منبر الإسلام

العدد العاشر – السنة ٢٣
شوال ١٣٨٥ – ٢٣ يناير ١٩٦٦ م
الثمن ٥ قروش

منبر الإسلام

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد العاشر - السنة ٢٣
شوال ١٣٨٥ هجرية - ٢٣ يناير ١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* **خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد النصر التاسع**
* الشريعة الاسلامية بناء بناه الله ـ **فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى**
* الصوفية فى الهامهم ـ **الاستاذ حسن كامل الملطاوى**
* التفسير قبل الزمخشرى ـ **الدكتور احمد الحوفى**
* الجد واللعب ـ **الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل**
* عقوبة الاعدام مالها وما عليها فى الشريعة والقانون ـ **الاستاذ محمود كمال**
* خواطر مستشار ـ **المستشار على على منصور**
* عود على بدء ـ **فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى**
* التطور الاقتصادى وكيف يقود الى الاشتراكية ـ **الدكتور احمد شلبى**
* رسالة الاعياد فى الفكر الاسلامى ـ **الدكتور لطفى على**
* رحلاتى فى الاسلام ـ **فضيلة الشيخ محمود الحصرى**
* الدعوة روح الفكرة ـ **الاستاذ عبد السميع البطل**
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى دولة وشعوبه ـ **الدكتورة عنايات الطحاوى**
* الجندية فى الاسلام ـ **الدكتورة سعاد ماهر**
* تراثنا الفنى الاسلامى ـ **الاستاذ سعيد الصدر**

الإشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة ٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة
ومايساوى هذه العملة فى البلاد الأخرى

الإشتراكات تدفع مقدماً

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٢٣٤٨٢

معالم الطريق

خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الشعبى الكبير

الذى عقد مساء الثلاثاء ٢١ ديسمبر ١٩٦٥ وذلك احتفالا

بعيد النصر التاسع

ايها الاخوة المواطنون ..

لقد دخلنا فى بداية السنة العاشرة من عصر ما بعد السويس ، بدأت المعركة التى تحقق فيها النصر الذى نحتفل به فى ٢٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ فاكتملت سنوات الذكرى تسعة فى أكتوبر الماضى .. وبدأت السنة العاشرة لعصر ما بعد السويس .

وأنا أيها الاخوة لواثق ان تاريخ النضال الوطنى المصرى والقومى العربى ، سوف يعتبر السويس فاصلا حقيقيا بين ما قبلها ، وما بعدها ، ويؤرخ حين يؤرخ بقبل السويس وبعد السويس .

وكان لكم انتم شعب بور سعيد ، الباسل المناضل ، الفضل الكبير ، لانكم كنتم الدرع

الذى تلقى الضربة ، كنتم الدرع الذى تلقى الضربة كنتم الدرع الذى تلقى العدوان ، كنتم المثل الكبير للشعب والامة العربية كلها ، بل العالم كله ، على ان الشعب اذا أراد أن ينتصر فلابد ان ينتصر ، حتى ولو كان فى مواجهة الدول الكبرى .

بور سعيد .. نقطة تحول

فى سنة ٥٦ كانت بور سعيد هى نقطة التحول فى السويس ، وقلت لكم فى الاعياد اللى فاتت ، واقول النهارده لكم ، وانا واثق من الكلام اللى بقوله ان ثورة الحرية الحقيقية فى مصر كانت هى بالذات الـ ١٥٠ يوم ، ما بين ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ ، الى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ ، بين تأميم القنال وبين انسحاب الدول ، التى قامت بالعدوان الثلاثى علينا . الـ ١٥٠ يوم دول ، عملوا تحول عميق ، سياسى واجتماعى وعسكرى ، فى العالم العربى - وكانت المرحلة الفاصلة فى الـ ١٢٠ سنة اللى امتدت من سنة ١٨٤٠ ، لما ارغموا مصر على الركوع ، وقعت معاهدة لندن التى سلبت مصر فرصة التحرر التى برقت ثم خبت فى عهد محمد على .. منذ لحظة الركوع المهينة ، فى تاريخ مصر .

وعبر الـ ١٢٠ سنة الى ما بعد السويس ، كانت الـ ١٥٠ يوم التى حدثت فيها ثورة الحرية ، هى الذروة المنتصرة .. القمة العالية التى شرف بها النضال المصرى والعربى ، وطنا وبشرا استعاد كرامته وملك ارادته .

من ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ الى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ عشنا ١٥٠ يوم مجيدة ، احدثت كل التحولات السياسية والاجتماعية والعسكرية .. يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، كان يوم الثورة ، يوم العزم على الثورة والقبول بمسئولياتها ومخاطراتها ، فى هذا اليوم استولت القوى الوطنية على السلطة وكان هذا التغيير الثورى فى حد ذاته ولكنه لم يكن التغيير الثورى الحاسم ، كان عندنا الانجليز ، كان عندنا الاحتلال ، كان عندنا قوات احتلال ٨٠ الف عسكرى انجليزى ، موجودين فى بلدنا ، فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حينما استولت الثورة على السلطة ، كان هذا هو التغيير الثورى ، ولكن لم يكن التغيير الثورى الحاسم .

فترة الاستعداد

السنين الاربعة بين يوليو سنة ٥٢ الى يوليو سنة ١٩٥٦ ، كانت اشبه ما تكون بفترة استعداد وتحفز وتأهب للصدام المحقق مع الاستعمار ومع كل القوى المتعاونة معه ، داخل الوطن زى ما نصت على هذا المبادىء الستة التى اقامت عليها الثورة ، القضاء على الاستعمار ، والقضاء على اعوان الاستعمار ، من الخونة ، ده كان اول مبدأ من مبادئنا الستة هل استطعنا ان نقضى على الاستعمار من اول يوم - لا .. هل استطعنا ان نقضى على اعوان الاستعمار من أول يوم - لا .. هل استطعنا ان نقضى على الانتهازية والقوى المستغلة من اول يوم ؟ - لا ..

اذن من سنة ٥٢ لغاية ٢٦ يوليو ٥٦ كنا نستعد ، وكنا نحشد قوانا ، حتى نستطيع ان نواجه الصدام بين ارادتين - ارادة الوطن وارادة المستغلين .. ارادة الحرية وارادة غاصبى الحرية .. وفى نفس الوقت فى سنة ١٩٥٦ ، خرج الانجليز .. خرجوا الانجليز فى شهر يونيو سنة ١٩٥٦ وتحررت بلادنا لاول مرة من اكثر من ٧٠ سنة من جنود الاحتلال .. من جنود الاستعمار ، اللى ادونا وعود لا اول لها ولا آخر ، على ان تجلو .. تحررنا فى سنة ١٩٥٦

ولم يكن من الضرورى ابدا ، ان الصدام اللى احنا كنا بنستعد له ينتهى بالحرب المسلحة كما حدث فعلا ، ولكن كان علينا احنا الشعب اللى قام بالثورة ، الشعب اللى حشد قواه ، الشعب اللى استعد حتى تكون الثورة ثورة كاملة .. وثورة شاملة ، كان علينا ان نتوقع الحرب فيه ؟.

لان المسألة صدام ارادات .. ارادة الوطن وارادة المستغلين ، ارادة الحرية مع ارادة غاصبى الحرية .

وفى حالتنا ، فى حالة ثورتنا اللى قامت سنة ١٩٥٢ وكان فيه احتلال ، وكان فيه استغلال

وكانت فيه رجعية وكانت القلة تحكم .. كنا نتوقع أن لابد ان يحصل الاصطدام كان يجب أن نتوقع أن يكون الاصطدام ايضاعنيفا وكان يجب ان يكون الاصطدام دمويا ، لقد كان الاستعمار يدرك ، واحنا ايضا ، كنا ندرك ، من اول يوم للثورة ، ان حرية مصر كنتيجة لانتصار ارادتها فوق ارادة الاستعمار ، سوف تكون لها اثار بعيدة المدى اثار بعيدة فى مصر نفسها ، واثار بعيدة فى العالم العربى ، الذى تنتمى مصر اليه ، واثار بعيدة فى افريقيا ، واثار بعيدة على كل حركة التحرير الوطنى ، ومقاومة الاستعمار فى العالم .

حساب السنوات التسع

كلنا النهاردة لو نستعرض هذه السنوات .. السنين التسعة التى فاتت ، بعد ان وقع فعلا الاصطدام الدموى العنيف ، بيننا وبين الاستعمار بنشوف ونلمس ونستعرض فعلا، ايه الآثار البعيدة اللى حصلت فى مصر ، كيف انتقلنا من مجتمع رأسمالى مجتمع مستغل الى مجتمع اشتراكى ، كيف انتهى حكم الطبقة ؟ وقام بدلا عنه حكم قوى الشعب العاملة .. كيف انتهى حكم الاستغلال .. كيف انتهى تحالف الاستعمار مع الرجعية .. كيف انتهى اعوان الاستعمار ؟.

كل هذا نستطيع ان نتخيله ونستعرضه فى عقولنا ، حصل بعد انتصارنا فى سنة ١٩٥٦ بعد ما بقت الثورة بتاعتنا اللى قامت سنة ١٩٥٢ واستمرت طوال السنين الاربعة ثورة حاكمة فعلا ، ثورة متحررة من قيود كثيرة ، كانت موجودة يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ اولها قيد الاستعمار والاحتلال البريطانى .

انتفاضة الامة العربية

فى العالم العربى ، كلنا نعرف ان حرية مصر كنتيجة لانتصار ارادتها فوق ارادة الاستعمار ، كانت لها اثار كبيرة فى العالم العربى - كيف انتفض العالم العربى فى كل مكان ، فى جميع انحاء الامة العربية .. كيف تصدى الشعب العربى فى كل مكان ، فى جميع انحاء الامة العربية ، للاستعمار ، واعوان الاستعمار ، وكيف تصدى للرجعية - وكيف تصدى للاستغلال وكيف كان الشعب العربى بعد ان انتصرت مصر لانهم رأوا بالمثل الواضح ان النصر ليس بالامر العسير .. كان هذا يدركه الاستعمار واحنا ايضا كنا ندركه .

اعطينا المثل لافريقيا

فى افريقيا كيف كانت معركة السويس ، نقطة تحول فى افريقيا ، كيف اعطينا المثل فى افريقيا كلها . ان اى شعب له ارادة الحياة ، ويصمم على ان ينتصر ، يستطيع أن ينتصر ، ولو كان فى مواجهة الدول الكبرى والدول العظمى والاساطيل ، أى شعب يستطيع اذا كانت له الارادة القوية ان يتحول ابناؤه الى اجسام من فولاذ من حديد اديتوا هنا المثل فى بور سعيد حينما تعرضتم للغارات وحينما تعرضتم للعدوان .. اديتوا المثل الكبير ، ان الطوب داب ، والحديد دأب ، ولكن الرجالة مادبوش ، ولا النساء ولا الاطفال .

مثل .. للعالم كله

اديتوا المثل ده فى سنة ١٩٥٦ لكل العالم، وكان فيه اثار بعيدة فى افريقيا وانتصرت الشعوب فى افريقيا وكافحت كل شعوب افريقيا ولا زالت باقى الشعوب الافريقية التى يجثم عليها الاستعمار تناضل وتكافح وتقاتل ، فى انجولا ، وفى موزامبيق وفى غينيا ، التى تحتلها البرتغال ، فى روديسيا وايضا فى جنوب افريقيا وكان انتصار مصر سنة ٥٦ اكبر مشجع واكبر مثل لهذه الدول انها تستطيع ان تقاتل ولا ترهب الدول الاستعمارية .

وكان لمعركتكم اثار كبيرة على كل حركة التحرر الوطنى، ومقاومة الاستعمار فى العالم حشدت الجنود لمقاومة الاستعمار والقضاء على القواعد العسكرية وقواعد النفوذ ، والتمسك بالحرية الحقيقية .. بعد معركة السويس انتهى حلف بغداد ، سقط حلف بغداد ، سقط اعوان الاستعمار بعد معركة

البقية ص ٢٠٤

الشريعة الإسلامية

بناء بناه الله

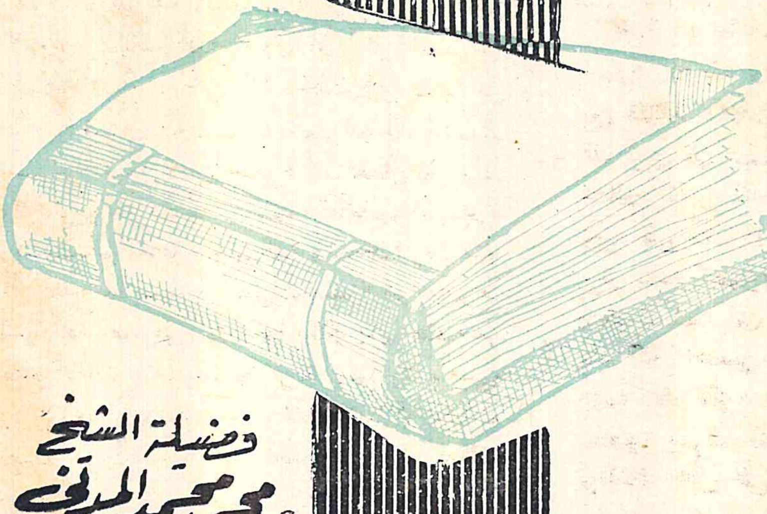

فضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

١ - الأسس الضرورية

٢ - المرافق الحاجية

٣ - الكماليات التحسينية

لو وقفنا أمام عمارة شامخة بنيت على أحدث طراز ، وروعيت فيها كل الاصول المعمارية والفنية والمدنية على اكمل وجه ، لرأينا هذه العمارة تمتاز بما يأتى :

*** متانة البنيان فى أسسه وتفاصيله وادواته .**

*** توافر المرافق التى يحتاج اليها السكان عادة .**

*** توافر الكماليات التى تعد من باب الرفاهية والنعيم .**

فالبنيان قائم على أسس قوية استعملت فى تكوينها مواد خاصة ، من شأنها اذا اجتمعت واختلطت ان تكون متماسكة شديدة الاحتمال مستعصية على عوارض الجو والرطوبات ، قادرة على أن تؤدى وظيفتها المطلوبة منها فى ثبات واستقرار ، والأرض التى تقوم عليها هذه الاسس ثابتة صلبة فى ذاتها ، فضلا عما أضيف اليها لتقويتها من مواد التحصين التى تحول دون انهيار أى جزء منها تحت ضغط البناء الذى عرف عدد طبقاته ، وحسب وزنه او ثقله الهندسى حسابا دقيقا ، وقد اختيرت الادوات الاساسية التفصيلية فى تقاسيم هذا البناء من خير الاصناف جودة ، واكثرها احتمالا ، واقدرها على مقاومة أعباء الاستعمال المتكرر ، ولو انطوى على بعض العنف ، واقترن ببعض الاخطاء .

اما المرافق التى يحتاج اليها السكان عادة ، فقد اهتم بها مهندس هذا البناء ، فلم يدع شيئا يمكن ان يؤدى الى لون من الوان الضيق والحرج الا عالجه ووضعه وضعا سليما من شأنه التيسير والترويح والترفق بالساكنين ، والتجاوب مع طبائعهم واحتياجاتهم فى كثير من السهولة والبعد عن التعقيد، **فهناك المصاعد الكهربائية المتعددة**

التى يمتطيها الصاعدون الى الطبقات ، فضلا عن المعارج المبنية التى تستعمل عند توقف المصاعد ، وعن تلك المعارج الاخرى الخلفية التى يستعملها الخدم ، وهناك الاماكن المعدة لحفظ السيارات الخاصة ومبيتها تحت العمارة احيانا ، وفوقها أحيانا ، وهناك الطرق والممرات المنظمة فى كل دور من الادوار يسلكها القاصدون الى كل قسم من أقسام البناء ، حتى اذا دخلت أى قسم من هذه الاقسام وجدت حجراته قد قسمت تقسيما بديعا ، بين حجرة لاستقبال الضيوف والزائرين قد اختير مكانها ، فأحسن اختياره ، وصممت نوافذها وجدرانها ومدخلها وشرفتها كل ذلك بحساب وتقدير ، وحجرة او حجرات للنوم قد أعد فى كل منها مكان بكل قطعة من قطع الاثاث يناسبها فلا يزيد عنها ولا ينقص ، ولا يسمح بأن يكون شىء منها نابيا أو قلقا أو مقيدا فى استعماله ، وحجرة للطعام كذلك ، وهكذا .

واما الكماليات فى هذه العمارة فحدث عنها ولا حرج : حدث عن المدخل الرائع الذى يشرح الصدور برحابته وفخامته ، حدث عن الاضواء التى تحيل الليل نهارا ، وعن جمال المصابيح المشعة لهذه الاضواء ، وماهى عليه من تنسيق ، وما لها من رونق وبهاء ، حدث عن الجدران الداخلية المبطنة بالرخام احيانا ، وبالخشب الجيد احيانا ، حدث عن الرسوم الطبيعية والمناظر الرائعة التى يراها الداخلون ، ويمر بها المارون فى كل طبقة من الطبقات ، حدث عن مظاهر النعيم والرفاهية فى الحجرات والحمامات والمطابخ والمرافق والصالات ، حدث عن الشرفات الصيفية التى يجرى فيها النسيم العليل فلا تكاد تحس حرارة الجو ، وعن الشرفات التى تسطع فيها الشمس شتاء فتبعث الدفء الى الاجسام فلا تكاد تحس فيها ببرد ، حدث عن الماء يجرى فى الانابيب باردا او مسخنا او بين ذلك قواما حسب ما تريد ، حدث عن الاضواء التى تراها ولا ترى مصابيحها ، حدث عن الستائر المعدنية التى تستطيع بحركة خفيفة ان تسدلها على النوافذ فتحجب عنك الضوء ان اردت ، وان تعيدها بمثل تلك الحركة الى ما كانت عليه فتعود اليك نوافذها مشرقة باسمة ، حدث عن كذا وكذا من الوان الرفاهية ، واسباب استكمال النعيم .

***

هذا هو ما نتصور ، او ما شهدنا ، من عمارة حديثة راقية بنيت على طراز جامع بين المتانة والفخامة والاناقة ، ومع هذا كله قد نرى ان مهندسها الذى صممها ، أو عمالها الذين نفذوا خطته فيها ، قد فاتهم شىء فى هذا الجانب او ذاك ، فيقول من يرى هذه العمارة : ما احسنها لولا كذا ، ويا ليت هذا كان هنا ، ولو وضع هذا موضع ذاك لكان احسن ، الى غير ذلك ، فان الانسان مهما عظم فكره ، ودق فنه ، انما هو انسان محدود يعرف شيئا وتغيب عنه أشياء ، ولذلك يظل فى تجارب واكتشافات يتطور بها علمه وعمله ما دام فى الحياة .

***

والشريعة الاسلامية بناء بناه الخالق الاعظم الذى لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء ، والذى خلق الانسان ويعلم طبيعته وحقيقته وما به يصلح امره ، ويستقيم شأنه .

وانما بنى الله هذا البناء الشامخ ليحفظ مقاصده فى الخلق ، من جهة الضروريات التى لا بد منها فى اقيام مصالحهم فى الدنيا والآخرة ، ومن جانب الحاجيات التى تيسر عليهم ، وتنفى عنهم الضيق والحرج ، ومن جانب الكماليات والتحسينات التى تسمو بهم الى مستوى من الرقى المادى والأدبى فوق مستوى الضروريات والحاجيات .

ومن ثم تدور احكام الشريعة مهما تعددت وتفرعت فى نطاق هذه الدوائر الثلاث :

- **الضروريات**
- **الحاجيات**
- **التحسينيات**

ويلحق بكل منها مكملات هى بمثابة التتمة لها ، والتكميل لمعانيها ، والمراد بحفظ

الشريعة لهذه الاشياء هو رعايتها من جانب الوجود بما يقيم اركانها ، ويثبت قواعدها ، ومن جانب العدم بما يدرأ عنها الاختلال الواقع والمتوقع .

ولكى نلقى شيئا من الضوء على هذه الحقيقة التى قررها العلماء ، نتبع هذا الاجمال بشيء من التفصيل :

اولا : فى دائرة الضروريات :

١ ــ معنى كونها ضرورية انه لا بد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا فلو ادركها الخلل ، أو بطلت ، بعدم مراعاتها والتشريع لها ، لاختل امر الناس، ودخل عليهم التهارج والفساد ، واضطراب شئون الحياة ، وفوت المصالح العاجلة والآجلة .

ويتبين ذلك اذا عرفنا أن هذه الضروريات هى :

ــ فى رأى اكثر العلماء خمسة : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ النسل ، وحفظ المال ، وحفظ العقل .

ــ فى رأى بعضهم ستة بزيادة حفظ العرض ــ قالوا : لأن الناس قد ركز فى طباعهم الدفاع عن الاعراض ، فالانسان ربما قتل فى سبيل عرضه ، واذا كان حفظ النفس من الضروريات وهى تهدر فى سبيل المحافظة على الاعراض ، كانت المحافظة على العرض اولى بأن تعد من الضروريات ، **وفى معنى المحافظة على الاعراض يقول الشاعر :**

يهون علينا ان تصاب جسومنا
وتسلم اعراض لنا وعقول

ويقول شاعر آخر :

اصون عرضى بمالى لا ادنسه
لا بارك الله بعد العرض فى المال
احتال للمال ان أودى فأجمعه
ولست للعرض ان أودى بمحتال

وليس هناك خلاف حقيقى فى ذلك ، بل الجميع متفقون على ان حفظ العرض من الضروريات ، وان الشريعة عنيت به ، وجاءت بنوع من احكامها لتثبيت معناه، ودرء الفساد المتوقع من جهته ، ولكن الذين يعدون الضروريات خمسا يدخلونه فى حفظ النفس والنسل من جهة ان الشريعة قررت ما يحفظهما ويدرأ الفساد عنهما ، وكان فى ضمن ذلك تحريم الزنا والقذف ، وتشريع الحد فى كل منهما ، اما الذين يعدون الضروريات ستا فهم يريدون التفصيل وزيادة التوضيح .

*** فحفظ الدين يكون باقامة اركانه ، وتوطيد قواعده .**

ويأتى فى ذلك أصل الايمان ، والاسلام ، والعبادات ، فكل ما شرع من ذلك انما هو اقامة للدين ، وحفظ له من جانب الوجود ، وهو اصلاح للافراد والجماعات، ونفع لهم فى الدنيا والآخرة .

اما صلاحه ونفعه فى الدنيا ، فلان المعتنق للدين ، العامر القلب بالايمان ، الخاضع للاسلام ، المقيم للشعائر والعبادات يكون صالحا فى نفسه متسلحا فى حياته بروح معنوى يبعث فيه القوة والصبر والثبات وهذا الايمان والتدين يحولان بينه وبين ايذاء غيره ، ومحاولة ايقاع الفساد فى مجتمعه ، ويحملانه على عمل الخير ، وان يسلك مع الناس مسلكا من التعامل يحبه الله ويرضى عنه ، فيفضى به ذلك الى محبة الناس واسعادهم ، والى ان يحبوه ويعملوا على اسعاده ، وتكون العلاقة بين الجميع هى المحبة والسلام .

واما اصلاحه ونفعه فى الآخرة ، فان الله تعالى قد تأذن لينجين عباده الصالحين من عذاب النار ، وليدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار ، فيها المقام الكريم ، والنعيم الدائم (اكلها دائم وظلها ، تلك عقبى الذين اتقوا ، وعقبى الكافرين النار) .

فمن آمن بالله وعمل صالحا ، واستقام فى نفسه وفى مجتمعه على الصراط المستقيم فاز بسعادة الدارين فظهر بذلك ان الدين من ضروريات الناس ، لانه هو الوسيلة الوحيدة لصلاحهم واستقامة امورهم وفوزهم بالنجاة والنعيم فى الاولى والآخرة ، وان الله

تعالى شرعه للناس ليصلحهم به ويسعدهم عن طريقه ، ولذلك كان من اول اهداف الشريعة الغراء العمل على حفظه واقامة دعائمه ، وتوطيد اركانه .

وقد يكون حفظه بدرء الخلل والفساد الذى يخشى أن يصيبه ويقضى عليه بالابطال، فيكون ذلك رعاية له من جانب العدم ، كتشريع اقتل المرتد ، وجهاد اعداء الاسلام الذين يريدون ان يطفئوا نوره ، سواء كانوا محاربين له بالسيف والقوة ، او محاربين له بالارجاف والفتنة ، فقد شرع الله الجهاد حماية لدعوة الاسلام وذودا عن بيضته ، ولولا ذلك لتعرض للضياع والابطال .

* * *

وحفظ النفس ، والنسل ، يكون ايضا من جانب الوجود ، ومن جانب العدم .

فالاول : كاباحة المآكل والمشارب التى لا بد منها فى بقاء النوع الانسانى ، اذ ان هذه المآكل والمشارب تتحول الى دماء وانسجة وغير ذلك مما تقوم به الاجسام ، وتستقر به الحياة ، وكذلك اباحة الملابس والمساكن ، فانها ضرورية لحفظ النفوس .

ومشروعية التناسل وكل ماشرع من اجلها من الزواج وأحكامه وشروطه وتفاصيله ترجع الى حفظ النفوس من جهة النوع البشرى ، والى حفظ النسل كذلك .

والثانى : كتشريع القصاص لحفظ النفوس والاعضاء والاجسام من ان يعتدى عليها معتد ، وكتشريع الديات وما فى حكمها من تعويضات الجنايات ، المعروفة فى الفقه (بالاروش) جمع ارش ، وهو القيمة المقدرة التى يستحقها المجنى عليه بدلا عن اصابته ، وهى قد تكون فى بعض الاحيان تعويضا عن اسقاط جنين ، فكل ذلك انما شرع لحفظ النفوس ، ولحفظ النسل .

* * *

* وحفظ المال يكون من جانب الوجود ، بتشريع ما به الملكية من بيع وشراء وهبة وميراث ونحو ذلك ، وما به التنمية من تجارة وتثمير حتى يكون ذلك المال قائما بوظيفته الضرورية التى لا صلاح للافراد ولا للمجتمعات الا بها ، ويكون من جانب العدم ، بتشريع ما يمنع من الغصب ، والسرقة ، والاتلاف ، فلمنع الغصب شرع وجوب رد المغصوب مع زجر الغاصب فقط اذا بقى ما غصبه دون تلف ، ومع تضمينه اذا تلف ما غصبه ، **وفى السرقة شرع حد القطع لكى** يكون هذا القطع نكالا للسارقين ، وتخويفا لمن تحدثه نفسه بأن يفعل مثل فعلهم ، فيطهر بذلك المجتمع من محاولات الاعتداء على الاموال ، وبذلك يأمن الناس على اموالهم كما يأمنون على انفسهم ، واذا وقع اتلاف للمال من احد خطأ كان عليه ضمان ما اتلف .

* * *

*** وحفظ العقل من جانب الوجود حاصل بتشريع تناول المباحات التى تصلح عليها الاجسام والنفوس ، فمن المعروف ان العقل السليم فى الجسم السليم ، كما انه حاصل بتشريع طلب العلم والنظر فى ملكوت السموات والارض لمعرفة الحقائق ، والتزود من الثقافة الطبيعية والفكرية والدينية .**

وحفظه من جانب العدم حاصل بتشريع تحريم المسكرات ، وتقرير الحد على متناولها ، وبتشريع حرمة المخدرات ، ووجوب زجر متعاطيها .

* * *

* اما حفظ الاعراض ، فقد شرع له من جانب الوجود كل الاحكام المتعلقة باختيار الزوجة ، من الحرص على ان تكون ذات دين وخلق ، ومن الحرص على ان تكون راضية بزوجها متقبلة له ، غير مكرهة عليه ، لئلا تكون كراهيتها اياه سبيلا يجرها الى ما لا تحمد عقباه ، ومن تشريع رؤية الخاطب لمخطوبته حتى يعرف فيها ما يرغبه ، ومايؤدم بينهما كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وشرع له من جانب العدم حرمة القذف وتقرير الحد عليه ، وحرمة الزنا وتقرير الحد عليه .

ثانيا - فى دائرة الحاجيات

نجد الشريعة الاسلامية قد أنبنت على أسس منها (رفع الحرج) وذلك مأخوذ من قوله تعالى (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

ويظهر هذا فى الرخص الكثيرة التى قررها الشارع فى الدوائر التى ذكرناها ، دفعا للحرج ، وتوسعة على المكلفين ، وان لم تقض بذلك ضرورة .

ففى دائرة الدين ، نراه يشرع الرخص فى باب الطهارة فيجعل التيمم لمن فقد الماء او فقد القدرة على استعماله ، ورفع حكم النجاسة فيما اذا عسر ازالتها ، وفى باب الصلاة يشرع القصر للمسافر ، ويرفع القضاء عن المغمى عليه ، ويبيح الجمع بين الصلاتين فى بعض الظروف ، ويبيح للغير القادر على القيام فى الصلاة أن يصلى قاعدا او على جنبه ، أو مضطجعا ، وفى باب الصوم يبيح الفطر بالسفر او المرض ، ويبيح الحامل او المرضع او الشيخ الكبير ان يفطروا على التفصيل المذكور فى الفقه .. وهكذا .

وفى دائرة النفس : يبيح أكل الميتة للمضطر ، وشرب الخمر لمن به غصة لا يجد ما يزيلها به الا الخمر .

وفى دائرة التناسل يبيح الزواج من غير تسمية المهر ، ويتجاوز فى المهر عن بعض الجهالات لانه مبنى على المكارمة لا على المساومة ويشرع الطلاق اذا استحال على الزوجين ان يعيشا معا .

وفى دائرة المال يرخص فى الغرر اليسير والجهالة التى لا تضر ، كما يرخص فى السلم ، والقراض ، والشفعة ، ونحو ذلك مما يراد به رفع الحرج عن الناس ، وكذلك يبيح التمتع بالزينة والطيبات من الرزق دون اسراف ولا تقتير ، ويجيز ادخار الاموال وامساك ما زاد عن الحاجة بشرط أداء الحقوق المترتبة عليه

وفى دائرة العقل يرفع الحرج عن المكره ، اذا اضطر الى التداوى بالشرب مثلا فان ضرورة حفظ النفس تدعو الى هذا الترخص عند الخوف عليها .. وهكذا .

فهذا كله قد اراد به الشارع التيسير على الناس ، ودفع الحرج عنهم ، لانه وان لم تقض به ضرورة ملحة ، ولم يترتب عليه فوات المصالح وضياعها ضياعا كليا ، محتاج اليه من الخلق ، يشق عليهم الامر اذا لم يشرع لهم ما شرع من الترخيص والتيسير .

ثالثا : فى دائرة التحسينيات

وهى راجعة الى العمل بمكارم الاخلاق ، ومحاسن العادات ، فليست مثل الضروريات التى لا بد منها ، ولا كالحاجيات التى يراد بها دفع الحرج والتشدد ، ولكنها من باب التأنق واختيار الاطيب والأعلى .

ففى الدين والعبادات كازالة النجاسات ، وستر العورة فى الصلاة ، واخذ الزينة عند المساجد ، وانتخاب الاطيب والاعلى فى المال الذى تزكى به او تتصدق .

وفى حفظ النفس كالرفق والاحسان بالناس ، وآداب الطعام والشراب ، فان هذه مراتب علو وسمو فوق الضروريات والحاجيات .

وبالنسبة للنسل : عدم التضييق على الزوجة والاولاد ، وبسط المعاشرة بالمعروف ، ونحو ذلك .

وفى دائرة المال : أخذه من غير اشراف نفس ، اى بدون جشع وشدة حرص ، والتحرز فى كسبه عن الشبه ولو كانت شبها صغيرة .

وفى دائرة حفظ العقل : اجتناب مجلس الخمر وان لم يشربها ، والبعد عن مجالس الخوض فى الاعراض وان لم يشارك بالخوض فيها .

وهكذا يتبين أن الشريعة الاسلامية بناء كامل فيه الاسس الضرورية ، والمرافق الحاجية ، والمزايا التحسينية ، فسبحان الحكيم العليم .

الصوفية في الإسلام

((وأنى اسأل الله لكم ولنا التوفيق والرضا وان يجعل وجهتنا اليه ، وان يفتح لنا طريق الخير ، وان يمدنا بنور من نور نبيهصلى الله عليه وسلم حتى نسلك سبيله القويم ، وان يجعل فرحنا به خير ما نلقاه به يوم القيامة ، انه سميع الدعاء))

ويرى أخى القارىء الكريم فى كلام شيخى العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه ، مشرب السادة الصوفية الاكابر ، فى التبرى من الحول والقوة ، والركون الى الله تعالى فيما يحتاجه العبد للفلاح ، من التوفيق ، وعون الله ، والنور النبوى المبين الذى يهدى الى الله سبحانه ، مصداقا لقوله تعالى (وان تطيعوه تهتدوا) وقوله تعالى (وانك لتهدى الىصراط مستقيم) ، فمن أطاعه صلى الله عليه وسلم

الاستاذ حسن كامل الملطاوي

فقد اطاع الله (من يطع الرسول فقد اطاع الله) ومن بايعه صلى الله عليه وسلم فقد بايع الله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ويرى السادة الصوفية أن هذه الآية الأخيرة هى أمدح آية فى القرآن لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كانت يده صلى الله عليه وسلم ممثلة ليده تعالى بين العباد ، فصارت أيدى العباد فى الأرض فى يد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصار الله فى علياثه شهيدا عليهم فى بيعتهم ، وراضيا عنهم فيما بايعوه عليه ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما

وكل مؤمن مبايع بايمانه لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما بايع عليه اسلافه الأولون ، لذلك كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا للأرواح المؤمنة ، وله على المؤمنين حرمة الأبوة ، كماأن ازواجه الطاهرات — رضوان الله عليهن — لهن حرمة الأمومة ، فحرم الله نكاحهن من بعده ، تأكيدا لهذه الحرمة ، وذلك بنص صريح فى القرآن الكريم كما هو معلوم ، ويوجب السادة الصوفية الاكثار من الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعظم فضلها ، وكثرة نفعها للمصلى ، ورأيت فى بعض مراجعهم ، أن أقل حد لها عندهم ، ثلثمائة مرة فى اليوم ، ويقولون فى تبرير الاكثار منها أنه تعالى ابرز فضلها فى قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وهى آية تدلنا على أنه سبحانه يثنى عليه عند الملائكة المقربين ، وان الملائكة يصلون عليه ، فأراد الله تعالى ان يصلى عليه أهل الأرض ، كما يصلى عليه اهل السماء (ان فضله كان عليك كبيرا) وكان هو صلى الله عليه وسلم يصلى على نفسه امتثالا لأمر الله تعالى ، وليتأسى به المؤمنون ويقول العارفون ليست الصلاة عليه شفاعة منا له صلى الله عليه وسلم ، ولكنها مكافأة لمن احسن الينا **ولأننا عاجزون عن مكافآته على احسانه ، وجب علينا أن ندعو له فتكون صلاتنا عليه مكافأة باحسانه ، ولا نعمة افضل من نعمة** الايمان التى جاءتنا على يديه صلى الله عليه وسلم ، واذا كان الحق سبحانه شرفه بالصلاة عليه مع ملائكته فما اخجلنا أن فرطنا فيها ، كأنه تعالى يقول لنا ان صليتم عليه كسبتم خيرا لانفسكم لأنه غنى عن صلاتكم بصلاتى عليه وكفاه غنى بها ، وقد كان بعض السلف الصالح يتوددون اليه صلى الله عليه وسلم بقربات أخرى الى جانب الصلاة عليه ، لعلمهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها ، ومن ذلك مثلا ، ما رواه الامام ابو طالب المكى رضى الله عنهم فى كتاب قوت القلوب من أن الامام على بن الموفق رضى الله عنه حج حجات عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابن الموفق حججت عنى ؟ قال قلت نعم يارسول الله ؟ قال ولبيت عنى ؟ قال قلت نعم يارسول الله ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : هذه يد لك عندى اكافئك بها يوم القيامة ، آخذ بيدك وادخلك الجنة ، والخلائق فى كرب الحساب — فيا فوز أهل المودة ، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه آمين .

وفى مناسبة قوله تعالى (يد الله فوق ايديهم) يعجبنى ما يقوله السادة الصوفية فى المتشابهات ، فهم يقولون جاء فى كتاب الله تعالى (يد الله فوق ايديهم) وجاء (بل يداه مبسوطتان) وجاء (والسماء بنيناها بأيد) ونحن نؤمن بها كلها على ماأراد الله منها — وهم لذلك لايؤولون المعانى ، كما أولها بعض العلماء من الخلف .

ولما كان مولانا رسول الله صلى عليه وسلم أبا للأرواح المؤمنة ، فهو الأسوة الحسنة لابنائه ممن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، ولا يصل المؤمن الى ربه الا من بابه ، بحسن التأسى به ، والعمل بأقواله وافعاله واحواله ، وصدق سيدى محمد البكرى الكبير رضى الله عنه اذ يقول .

وانت باب الله أى أمرىء
أتاه من غيرك لايدخل

والشيوخ العارفون بالله تعالى ، وقد بينا وصفهم فى المقالات ، نواب عنه صلى الله عليه وسلم في الدعوة والارشاد والتهذيب الروحي ،

وكل جيل مرزوق من فضل الله بأمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون .

ولأبوته صلى الله عليه وسلم ، اشفق على أمته شفقة الأب على ابنائه ، وحرص على ماينفعهم وشق عليه ما يؤلمهم ، فكان فى شأنهم الرءوف الرحيم (**لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) .

وقد وقع لى مالم أكن أحب أن أبوح به ، لولا أنى قصدت بذلك وجه الله فى تثبيت أفئدة اخوانى المؤمنين ، اقول وقع لى ما أكد عندى ، أنه وهو فى قبره الشريف حى يلحظنا ويبرنا ، ويشمل بره ، المجد منا والمقصر ، فقد كنت وانا المقصر متشرفا بزيارته صلى الله عليه وسلم ، وحين حان موعد السفر زرنا زيارة الوداع ، وبينما أنا قاصد الى مكتب شركة الطيران ، سمعت صوته الشريف يرن فى أذنى بهذه العبارة الرحيمة « شيعتكم السلامة » ولم اقرأ أو اسمع فى أية مناسبة مثلها ، فالشائع بيننا فى الاستعمال رافقتكم السلامة ، فجاشت نفسى متأثرة بعاطفته الكبيرة صلى الله عليه وسلم ، وذرفت عيناى الدموع ، وماكادت السيارة التى تقلنا الى المطار تنعطف فى الشارع الذى نرى منه جبل أحد حتى أشتد بكائى مع مغالبتى له ، وكان بكائى من رؤية جبل أحد ، مدفوعا بتضحيات مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقامة هذا الدين القيم ، وقلت ورثناه سهلا ، فلم نقدره قدره ، ولم نعمل له عمل السلف الأوائل ، الذين جاهدوا فى الله حق جهاده بالنفس والمال .

وكنت أظن أن تلك العبارة الرحيمة انما هى توديع لزائر تشرف بالرحاب النبوى الشريف الكريم ، واذا بالأمر يتعدى التوديع ، الى افق آخر لاتحسنه الا الروح النبوية المشرقة ، ذلك بأن الطائرة ماكادت ترتفع فى الجو ، حتى تخلخلت فى المطبات الهوائية بعنف لم اره فى رحلاتى الجوية على كثرتها ، واذا بالقلوب تكاد تنخلع ، واذا بالقىء يشتد عند كثير من الركاب واذا بمساعد الطيار الأمريكى يخرج ليطمئن الناس ، ولما رآنى أتصبب عرقا قال لى بالانجليزية ابلع الهواء ، وظن انى لم أفهمه ، فأخذ يبلع الهواء لأحاكيه ، ولكنى كنت مطمئنا على نفسى وعلى جميع الركاب ، بالعبارة النبوية الرحيمة التى كان سماعها فى ذلك اليوم الأغر احب الى مما طلعت عليه الشمس .

وابتهجت يومئذ من موقف سيدة مؤمنة انطلقت تقول والطيارة تعلو وتهبط فى عنف عنيف ، ودادا يارسول الله ، ودادا يارسول الله ودادا يارسول الله ، وقصدت ان تتجنب عامدة كلمة وداع وهو ذوق يدركه المحبون والمحبات فلله درها من مؤمنة ، بدل الله خوفها أمنا

وعلى قدر التأسى به صلى الله عليه وسلم ، يقوى الارتباط به روحيا ، فمن جد فى التأسى به ، جد به شوقه اليه ، واستمداده منه صلى الله عليه وسلم .

وفى ذلك الاستمداد يقول امام المادحين الامام البوصيرى رضى الله عنه :

كل فضل فى العالمين فمن فضـل
النبى استعاره الفضلاء

أى نور وأى نور شهدنا
يوم أبدت لنا القباب قباء

فترى الركب صائرين من الشوق
الى طيبة لهم ضوضاء

وقرأنا السلام اكرم خلق
الله من حيث يسمع الاقراء

وذهلنا عند اللقاء وكم
اذهل صبا من الحبيب لقاء

ووجمنا من المهابة حتى
لا كلام منا ولا ايماء

ورجعنا وللقلوب التفاتات
اليه وللجسوم انثناء

يا رحيما بالمؤمنين اذا ما
ذهلت عن ابنائها الرضعاء

ياشفيعا للمذنبين اذا
اشفق من خوف ذنبه البرءاء

قد تمسكت من ودادك بالحبل
الذى استمسكت به الشفعاء

وانطوت فى الصدور حاجات نفس
ما لها عن ندى بديك انطواء
جد لعاص وما سواى هو
العاصى ولكن تنكرى استحاء

الى ان قال رضى الله عنه وفى قوله نصيحة غالية لنا :

وبحب النبى فابغ رضا الله
ففى حبه الرضا والحباء
كيف يصدأ بالذنب قلب محب
وله ذكرك الجميل جلاء
هذه علتى وأنت طبيبى
ليس يخفى عليك فى القلب داء

ومن جد به شوقه لمولانا رسول الله صلى عليه وسلم استمد من حبه صلى الله عليه وسلم لربه ، وقد فاق فيه صلى الله عليه وسلم جميع المحبين لله تعالى ، حتى لقد قال العارفون ان الله تعالى عجل له صلى الله عليه وسلم الرؤية ، بلا كيف ، ليلة المعراج ، لأنه تعالى رأى بعلمه أن القلب المحمدى هو أشد القلوب شوقا الى الله فكان ماقال تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) أما سائر المؤمنين فانهم يتمتعون بالرؤية عند التجلى لهم فى الجنة مصداقا لقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وتتشوف المحبة الولهانة العارفة بالله السيدة رابعة العدوية الى تلك الرؤية فتقول :

ليس قصدى من الجنان نعيما
غير انى احبها لأراكا

ولذلك التجلى الأقدس يشير قول سيدى الشيخ رضى الله عنه « وان يجعل فرحنا به خير ما نلقاه به يوم القيامة » ويقول فيه بعض العارفين شعرا :

ولله افراح المحبين عندما
يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة
فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم
فيا نظرة اهدت الى الوجه نضرة
غدا كل وجه بالجمال مبسم
فحى على جنات عدن فانها
منازلك الأولى وفيها المخيم

وحى على يوم المزيد الذى به
زيارة رب العرش فاليوم موسم

أما قول سيدى الشيخ « انه سميع الدعاء» فيفيد حسن الظن بالله تعالى وهوسبحانه عند ظن عبده به ، فان ظن خيرا وجد خيرا ،وان ظن شرا وجد شرا ـ الست تراه تعالى يقول للكافرين والعياذ بالله (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فأصبحتم من الخاسرين)

ويقول العارفون أن كل دعوة عن حسن ظن بالله تعالى مستجابة قطعا لكن على الوجه الذى يريده الله ويرى بعلمه فيه الخير للداعى ،فقد يجيبه الى طلبه ، وقد يصرفه عنه لحكمة يعلمها ويبدله خيرا منه ، وقد يثيبه الله تعالى بدعوته يوم القيامة ، لأن الدعاء عبادة بل هو مخ العبادة كما جاء فى الحديث الصحيح :

ولله در سيدى العارف ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه اذ يقول :

ففى افتقارى وتسآلى ومديدى
اقوى دليل على أن تقضى الأربا
لو لم تردنى لما ارجو وآمله
من فيض جودك ما علمتنى الطلبا

ويكشف استاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل عن حسن ظنه بالله وعن موالاة الله له فى الدنيا والآخرة فيقول رضى الله عنه:

ولنا من نور حضرته
أمل فى يوم رؤيته
فلقينا اطيب الامل
ادخرنا ذكره عددا
واتخذنا وده مددا
ومددنا للعطاء يدا
وأفاضت باليقين يدا
خالقى فالكل فى نهل
رائدى فى حبه سهرى
وبهذا تم لى ظفرى
يافؤادى كن على حذر
من حساب الله واعتبر
بالذى قد مر من دول
طول ليلى فى محبتكم
أتحلى من جلالتكم

قد غرقنا فى مودتكم
وانتظمنا فى حمايتكم
فى جلال صيب هطل
ياحبيبى انت محتسبى
انت مقصودى ومطلبى
أنت يارب السما أربى
أنت يا خلاق منتسبى
انت لى ياذا الجلال ولى
قد تعاهدنا بمهجتنا
وتجملنا برقتنا
وتأهبنا بخشيتنا
وتوجهنا بذلتنا
وعن الاعقاب لم نمل
ولنا من ربنا كرم
وعلينا تسكب النعم
نحن بالايمان نغتنم
وبوجه الله نعتصم
ولنا الاخلاص فى العمل
راحتى فى الحب وجهتكم
مطلبى فى العمر رؤيتكم
مقصدى فى الموت رحمتكم
قد دعتنى اليوم خشيتكم
لكمو والقلب وجل
لم تغب عنى مشاهدكم
طالما روحى تعاهدكم
وتزكينى مقاصدكم
وتجلينى مواردكم
فأرى من ضوئها أملى

أما نور مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى سأل الله شيخنا ان يمدنا به، فهو نور الهدى الذى يمد به كل مؤمن من روحه الوضاءة صلى الله عليه وسلم لأنه السراج المنير الذى يهتدى به السالك الى ربه عز وجل يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) ويقول فيه تلميذه المبارك العارف بالله سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه

دع زماناً مضى وعد بى لارض
شغفتنى بنورها المتلالى
بين بيداء روعت ووهاد
وذئاب تختال فى اقبال
ونجوم مثل الحباب على الكأس
تسامت أو كالحلى واللآلى
قيل ماذا تريد من هذه الارض
اتبغى البقاء فى جمع مال
قلت والله غير أحمد مالى
بعد رب العباد من آمال
ياحبيبى رضاك دنيا ودين
فهما باتباعكم صحا لى
نفحتنى بنوركم نعمة الخير
وقد طابت منكموا آمالى
ياجميلا ما مثله من جميل
كان للبدر منك فضل الجمال
أنت للكون مبدأ وانتهاء
أنت من ساقه الى الاجلال
أول النور فى الحياة وان جئت
على بعثة ختام الأوالى
انما الكون منك كالصدف
استوطنته درة تسود الغوالى
انت سر الحياة بل سيد الكون
اجرنى مما أرى من وبال
انما انت مصدر النور من ربى
ومعنى الرضا وباب الوصال
مدح خير الورى احب لنفسى
من أنيسى وصاحبى وعيالى
بل ومنى ومن جميع البرايا
لحماة الحياة أزجى رحالى

وقد سئل رضى الله عنه ان يرتجل على البيت الآتى فجاء الهامه بالعجب العاجب ، الذى الهب القلوب بالشوق لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك البيت هو :

المصطفى ما زال يعلو قدره
حتى غدا فى الكون مسكا عاطرا

فكان مما الهمه الله على الفور :

المصطفى مازال يعلو قدره
فسما الزمان أوائلا وأواخرا
طهر فؤادك من شوائب غيه
حتى تقابله فؤادا طاهرا
ياسيدى ولقد غدوت مناجيا
عمرى وبت مع الجلال مسامرا
كم من صغير جاء حيك تائبا
اضحى يسود من الرجال أكابرا

لم انس ايام الطفولة حيثمـــا
كنت المؤمل لى وكنت الظافـــرا
فاذا نهلت نهلت من نور الهدى
واذا سكرت سكرت علما زاخـرا
واذا غفوت غفوت صبا مغرمـــا
واذاأفقت رأيته لى ناظرا
أنا ان اكن جسما بعـيدا أنما
روحى من النجوى تفيض سرائـرا
لم انس حبك ما حييت وان أمت
اجد الغرام على مد منابــــرا
أنا هائم ومن المحبة هائـــج
كالريح قد أزجى السحاب الماطـرا
فأصب فى الاحساس من مهج الورى
حكما تقلبها القلوب مزاهــرا
انا كل شىء فى الحياة تركتـــه
ووقفت نفسى للنبى مثـابرا
والوقف لايشرى وليس يباع فى
حال يدوم الى القيامة حاضرا
أنا باسمكم والى اسمكم ولو سمكم
فى دسمكم قلبى على الشعرى سرى

ولم يتمالك السامعون اعصابهم حين سمعوا هذا البيت الاخير فهبوا واقفين وهتفوا هتاف الاعجاب ونظرت الى وجه الشيخ فوجـدته استدار كوجه القمر ، وكأنه كسى نورا من الانوار النبوية التى وصفها سيدنا حسان ابن ثابت الانصارى رضى الله عنه (وهو شاعر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قوله :

لما نظرت الى أنواره سطعـــت
وضعت من خيفتى كفى على بصرى
خوفا على بصرى من حسن صورته
فلست أنظره الا على قـــدر
روح النور فى جسم من القمــر
كحلية نسجت فى الانجم الزهر

اللهم اجعلنا يامولانا ممن احببتهم واحبوك وجعلت علامة حبهم لك اتباع رسولك الامين صلى الله عليه وسلم فى قولــك الكريم (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم »

قال تعالى :

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صـدره للاسلام »

التفسير قبل الزمخشري

الدكتور أحمد الحوفي

— ١ —

عاش المسلمون ردحا من الزمن متحرجين من تفسير القرآن الكريم بآرائهم ، مكتفين بالنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بالاخذ عن اصحابه ، أو بفهم ما تجليه اللغة ويقتضيه التعبير وروح الشريعة .

فلما تقدم الزمن ، وتعددت الثقافة ، وتطور التفكير ، واحتدم الخلاف السياسى والمذهبى ، خطا المفسرون من طور الاعتماد على النقل الى طور الاجتهاد والاعتماد على العقل ، فلم يتحرجوا من تفسير القرآن حسب آرائهم ، لانهم رأوا فى التحرج عدولا عن التفكير واستنباط الاحكام ، ولو صح ما ذهب اليه المتحرجون لم يستطع احد ان يستنبط شيئا ، بل لم يفهم كثيرا مما تضمنه كتاب الله .

ورأى هؤلاء ان الحديث الذى ينهى عن التفسير بالرأى — على فرض صحته — مراد به الرأى الذى لا يعتمد على اصل ثابت ، ولا يستند الى روح الشريعة ، بل يذهب مع الهوى كل مذهب .

ولهذا اجتهد كثير من العلماء فى تفسير القرآن الكريم ، واعتمدوا على آرائهم ، لانهم مستكملون للعدة التى يجب ان تتوفر للمفسر ، وجعل التفسير منذ القرن الثانى يتأثر باتجاهات المفسرين ، ويصطبغ بثقافاتهم .

فالنحاة — كالزجاج والواحدى وابى حيان — اهتموا بالمسائل النحوية وتخريجها ، واعربوا القرآن اعرابا يساعد على تفسيره ، وعنوا بالمشكلات النحوية فى مثل قوله تعالى : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » . وقوله تعالى : « ان هذان لساحران » .

واللغويون — كأبى عبيدة وقطرب — الفوا كتبا فى غريب القرآن ، واهتموا بالمشكلات اللغوية ، وهؤلاء واولئك لهم كتب تسمى معانى القرآن .

واتجه آخرون الى المجازات فى نحو قوله تعالى (**فبشرهم بعذاب أليم**)

والفقهاء عنوا بآيات الاحكام ، والفوا كتبا مثل كتاب احكام القرآن على مذهب مالك ، وكتاب احكام القرآن على مذهب اهل العراق لابى بكر الرازى ، وكتاب احكام القرآن للشافعى .

والمشتغلون بالعلوم العقلية حشدوا آراء الحكماء والفلاسفة فى تفسير بعض الآيات ، مثل الفخر الرازى .

والمتصوفة لوّنوا تفسيرهم بآرائهم كابن عربي الاندلسي .

وعلماء الكلام أولوا بعض الآيات تعزيزا لمذهبهم مثل الزمخشري .

— ٢ —

وكان لابد للمفسر ان يكون موهوبا وعالما باللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات والاصول واسباب النزول والناسخ والمنسوخ والحديث والفقه.

ويذكر الزمخشري ان المفسر يجب ان يكون على معرفة بالعلوم كلها ، وان يكون حصيفا نقادة لما يقرأ ولما يسمع ، وان يتمرس بحفظ النصوص البليغة، ويتملى بالنظر في الاساليب ثم ان املاء العلوم بما يغمر القرائح ، وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق مسلكها ، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم — كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن — فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام ، والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ ، والنحوي وان كان انحى من سيبويه ، واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه ، لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما ازمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، جامعا بين امرين تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات ، طويل المراجعات ، وقد رجع زمانا ورجع اليه ، ورد عليه ، فارسا في علم الاعراب ، مقدما في جملة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقادها ، يقظان النفس ، دراكا للمحة وان لطف شأنها ، منتبها على الرمزة وان خفي مكانها ، متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف ، طالما دفع الى مضايقة ، ووقع في مداحضة ومزالقة » .

وكرر الزمخشري التنبيه على التذوق والخبرة بعلمي المعاني والبيان ، وعلل لهذا بأن القرآن معجز بنظمه لا بالصدفة ، فالنظم هو اساس اعجازه ، والقانون الذي وقع عليه التحدي ، ومراعاته اهم ما يجب على المفسر .

ويبدو من كلامه هذا بانه تأثر بما ردده عبد القاهر الجرجاني في كتابيه اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، واطمأن الى ما دعا اليه الجرجاني من ان الحكم بالجمال لا قيمة له اذا لم يؤيد بالكشف عن سر هذا الجمال « ان من الآفة من زعم انه لا سبيل الى معرفة العلة في قليل ما تعرف فيه المزية وكثيره ، وانه ليس الا ان تعلم ان هذا التقديم وهذا التنكير، وهذا العطف وهذا الفصل حسن، وان له موقعا من النفس وحظا من القبول فاما ان تعلم لم كان كذلك وما السبب ؟ فمما لا سبيل اليه ، ولا مطمع في الاطلاع عليه . فهو بتواتيه والكسل فيه في حكم من قال ذلك .

واعلم انه ليس اذا لم يمكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل ، وان تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وان قل فتجعله مشاهدا فيما لم تعرف احرى من ان تسد باب المعرفة على نفسك ، وتأخذها عن الفهم والتفهم ، وتعودها الكسل والهوينا.

قال الجاحظ : وكلام كثير قد جرى على السنة الناس ، وله مضرة شديدة وثمرة مرة، فمن أضر ذلك قولهم : لم يدع الأول للآخر شيئا . فلو ان علماء كل عصر مذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلا .

واعلم ان العلم انما هو معدن ، فكما انه لا يمنعك ان ترى الف وقر حمل قد اخرجت من معدن تبر ان تطلب فيه ، وان تأخذ ماتجد ولو كقدر تومة — لؤلؤة — كذلك ينبغي ان يكون رأيك في طلب العلم »

« انك لن تعلم في شيء من الصناعات علما تمر فيه وتحلي حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب ، ويفصل بين الاساءة والاحسان ، بل حتى تفاضل بين الاحسان والاحسان ، وتعرف طبقات المحسنين .

واذا كان هذا هكذا علمت انه لا يكفي في علم الفصاحة ان تنصب لهـا قياسا ، وان تصفها وصفا مجملا ، وتقول فيها قولا مرسلا ، بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصل ، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم ، وتعدها واحدة واحدة ، وتسميها شيئا شيئا ، وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الابريسم الذي في الديباج ، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع ، وكل آجرة من الآجر الذي في البناء البديع » .

وقد طبق الجرجاني نظريته في كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة على كثير من الآيات القرآنية والنصوص الادبية .

ثم جاء الزمخشري فعني بالكشف عن الاعجاز الكامن في نظم القرآن الكريم .

- ٣ -

وقد عني بعض سابقيه بالتفسير اللغوي البلاغي ، مثل أبي عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢١١ هـ) ولكن جهده ضئيل بالقياس الى جهد الزمخشري .

وسبقه الى التأويل على مذهب المعتزلة كثير من علمائهم وان لم يصل الينا من انتاجهم الا القليل ، فقد اقبلوا على تفسير القرآن وتأويله اقبالا ، فظهر منهم عشرات منذ الف واصل ابن عطاء (المتوفى سنة ١٣١ هـ) كتابه معاني القرآن والف قطرب - محمد بن المستنير - (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) خمسة كتب في الدراسات القرآنية هي : معاني القرآن ، والرد على الملحدين في متشابه القرآن ، واعراب القرآن ، ومتشابه القرآن ، ومجاز القرآن .

وتتابع مفسروهم كأبي بكر عبد الرحمن الاصم (٢٤٠ هـ) وأبي على محمد الجبائي (٣٠٣) وابي القاسم عبد الله البلخي الكعبي (٣١٩ هـ) وابي هاشم عبد السلام الجبائي (٣٢١ هـ) وابي مسلم محمد بن بحر الاصفهاني (٣٢٢ هـ) وابي الحسن على الرماني (٣٨٤ هـ) وابي القاسم عبيد الله الاسدي (٣٨٧ هـ) .

ثم جاء القاضي عبد الجبار (٤١٥ هـ) فألف كتابه (تنزيه القرآن عن المطاعن) وهو مطبوع في مجلد واحد ، وبعده الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ) فتناول كثيرا من آراء المعتزلة ، وطبق الآيات القرآنية عليها في اماليه المسماة (غرر الفوائد ودرر القلائد) وهي مطبوعة ، وبعدهما ابو يوسف القزويني (٤٨٣ هـ) الذي الف تفسيرا كبيرا بث فيه آراء المعتزلة ، ومزجه بمعتقداتهم ، وهو ضخم في ثلاثمائة مجلد ، منها سبعة مجلدات في الفاتحة وحدها .

وليس ادل على كثرة مفسري المعتزلة من ان الذين بين واصل بن عطاء وابي يوسف القزويني اكثر من ثلاثين معتزليا ، لهم في التفسير وما يتصل به مؤلفات تبلغ نحو المائة ، ولكن اكثرها مفقود .

ومن حق القاضي عبد الجبار على من يدرس الزمخشري ان يدرس آراءه ، لان بينها وبين تفسير الزمخشري كثيرا من التشابه في الفكرة والطريقة .

اما القاضي عبد الجبار فهو قاضي القضاة ابو الحسن عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار الهمداني الاسدباذي الشافعي . كان في عصره شيخ المعتزلة ، وقد استدعاه الصاحب بن عباد الى الري وولاه قضاءها ، وبقي بها يدرس الى ان مات ، وكان الصاحب يثني عليه ويصفه بانه اعلم اهل الارض .

وللقاضي مؤلفات كثيرة في علم الكلام والاصول والفقه والتفسير .

واما كتابه (تنزيه القرآن عن المطاعن) فليس تفسيرا كاملا يستوعب القرآن كله ، لأن مؤلفه لم يقصد الى هذا ، بل قصد الى

الآيات المتشابهة ليبين خطأ بعض الناس فى فهمها وفى تأويلها ، وليكشف عما يراه ، متبعا بناء الكتاب على المسائل التى تعنيه من كل سورة ، سواء أكانت راجعة الى الاسلوب ام الى العقيدة .

يقول مثلا فى تفسير قوله تعالى : « **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** »

مسألة : قالوا فقد قال تعالى ختم ، وهذا يدل على انه قد منعهم من الايمان ، ومذهبكم بخلافه ، وكيف تأويل الآية »

وجوابنا أن للعلماء فى ذلك جوابين : احدهما انه شبه حالهم بحال الممنوع الذى على بصره غشاوة من حيث ازاح كل عللهم فلم يقبلوا ، كما قد تعين للواحد الحق فتوضحه فاذا لم يقبل صح ان تقول انه حمار قد طبع الله على قلبه ، وربما تقول انه ميت ، وقد قال تعالى للرسول: « انك لاتسمع الموتى » وكانوا احياء، فلما لم يقبلوا شبههم بالموتى ، وهو كقول الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

ويبين ذلك انه تعالى ذمهم ، ولو كان هو المانع لهم لما ذمهم ، وانه ذكر فى جملة ذلك الغشاوة على سمعهم وبصرهم ، وذلك لو كان ثابتا لم يؤثر فى كونهم عقلاء مكلفين .

والجواب الثانى ان الختم علامة يفعلها تعالى فى قلوبهم ، لتعرف الملائكة كفرهم ، وانهم لا يؤمنون ، فتجتمع على ذمهم ، ويكون ذلك لطفا لهم ولطفا لمن يعرف ذلك من الكفار او يظنه ، فيكون اقرب الى ان يقلع عن الكفر ، وهذا جواب الحسن رحمه الله ، ولهذا قال تعالى « ولهم عذاب عظيم »

ويسير القاضى عبد الجبار على مثل هذا النهج فى تأييد آراء المعتزلة والدفاع عنها ، متذرعا بالفكر وبالتحليل البلاغى وحمل الكلام فى كثير من الآيات على التشبيه والمجاز .

قال الله تعالى « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب »

من حضارة الإسلام

الجدّ واللعب

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

حياة الجد ـ النفوس والأبدان ـ حد الاعتدال ـ المواسم والأعياد ـ عيد الفطر .

حياة الجد :

الاعتدال ـ المواسم والأعياد ـ عيد الفطر .

تفترق أحوال الأفراد وأحوال الأمم وحظوظ كل منهما . وبقدر ما فى لفظ الجد من صرامة فى المعنى وحدة فى الحروف واختصار فى الطول وما فى لفظ الاهمال من تميع وامتداد تتكيف الأقوال والأعمال وتتكيف كذلك الاتجاهات والحظوظ .

وحينما تنكفىء على العمل أيام الحياة جلها لفرد أو أمة فيبذلان فيه أقصى الجهد ويدوران كالدولاب الفولاذى الذى لايكل ولا ينبرى تزدهر هذه الأيام بقدر انكفائها وما يبذل فيها من حركة واخلاص واستطراد .

والصغر أو الكبر لفرد أو أمة لايحسبان بطول الفرد وامتداد أبعاده والتهام غذائه أو بقدر ما تحصى الأمة من تعداد الأفراد وما تملك من شطآن وبلاد ، بل ان الصغر والكبر يحسبان بقدر ما يعملان وعلى نسبة ماينتجان ويؤثران .

ولم يكتب النصر أو الهزيمة بنسبة ما تنسبط اليه أجسام المقاتلة أو تنكمش ولا بقدر ما يحتشد فى فرق المحاربة من أفراد وأمداد ، بل كان كل منهما راجعا الى الشجاعة والتجربة والفن والمقدرة ، وربما جرت الكثرة الى الهزيمة اذا نظرت الكثرة الى نفسها نظرة العجب والبطر وألقت بمقاديرها الى الانخداع والاغترار .

ولو كان فى استطاعتنا أن نلمس بأكفنا جدران القلوب لنحس فيها العواطف النابضة والدوافع الخافقة لأحسسنا بنبضات الخوف وخفقات الخيبة فى أفراد لهم جسوم وبطون وأطوال وعروض ، وفى أمم لها طول وعرض وسعة وامتداد ، لأنهما يكونان كخيول الحلبة التى قصرت خطاها عن مدى أى جواد رابح فى جهده وحظه وتصببه واندفاعه ، فلم يكن عليهما الا أن يرتدا خافضى الرقاب من الذل

أو يقعدا دون مضمار الحلبة وعلى مبعدة من ميدان السباق .

ومعظم الجد متعب ، ولكنـــه تعب مريح للضمير يهنىء الخاطر ويسعد العمر مهما كان شاقا مريرا اذ لاســـعادة الا لضمير خافق بالارتياح يبعث العقول للتفكير والتــدبير ويطلق الأعضاء للاعمال والأثقال . ولأن يكون العمر مستعرضا كالغمام المنبسط والسحاب المستعرض خير من أن يكون مفرطا فى الطول مسترسلا فى الامتداد فى دقة وخفة لاتحس الأرض بحمله ولا تئن تحت عبئه .

وقد يكون الجد غير متعب ولكنه جد لأنه ينبض بروح من الصدق وينطق بلســـان من الحق ، وربما لم يكن بينه وبين اللعب غير خط وهمى لايكاد يرى ، الا أن أولهما عمل نافع وثانيهما عمل ضـــار ، بل قد يحدث كلاهما من حركة واحدة موجبة ولكنها حركة مختلفة الاتجاهين ، فى أحدهما جد ونجح وفى الآخر لعب وخسر ، كما تندفع الأيدى وراء الأذى تميطه من الطريق فيكون جـدا وربحا ، أو تندفع بالأذى فترميه فى الطرقات فيكون اهمـــالا وخزيا تعتكـــر به الدروب وتتأذى الأنظار والقلوب .

وكما يتعاقب الجد والاهمـــال هكذا على الايجاب يتعاقبان على السلب فلايظهر أحدهما الا بأثره ولا يستبين الا بخبره ، كالصمت الذى يختفى وراء الجد حين يسترســـل فى فكرة عميقة وشـــطحة بعيدة أو يســتكن فى اهمـــال راكد بالخواطر مبلـــد للنواظر والبصائر .

ولكن الجد فى أى صـــورة أحق وأولى اذ الكون الدائر حولنا - كما قال القدماء - أو الكون الذى ندور فيه - كمـــا نقول نحن - انمـــا هو كون ســـائر فى طريق الجـــد بصورة مذهلة وهيئة محيرة ، وهو لا يكل فى سيره ولا يبطىء فى خطـــاه ولا يغير من نظامه ، وقد امتلأت خزائن الله فيه بكل شىء « وأن من شىء الا عنـــدنا خزائنـــه » ولكنها تنفتح وتنغلق بقـــدر معلـــوم ، لا زائد ولا ناقص ، ليستقر الأمر وتستقيم الحياة .

ولما كان الانســـان مثال العالم أو سائدا عليه كان الجد واجب الجماعة الانسانية كلها من حيث لايتخلف عنـــه أحد الا اذا ركبت الجماعة مركب التهور وأسرعت فى طريقها به الى الارتطام والانحطام .

النفوس والأبدان :

وقد يحسب القارىء أنى أردت أن يفرغ المرء والأمة كل عمرهمـــا فى قوالب الجد ودواليب العمل ، فان ذلك من المحال ، ولم تكن خلقة الكون متحولة بين الليل والنهار والضوء والظلام والحركة والسكون والنسائم والأعاصير الا وفطرة الخليقة تريد هذا التقلب وتطلب هذا التغير حتى لايقف نبض الحياة أو تتشـــوه فيها قســـمات الحسن ولمحات الجمال .

فدواليب الجسوم والأفكار لاتتجدد قوتها ولا تتولد طاقتها الا اذا استراحت من رهقة التعب وسكنت من ضـــجة الحركة ولجأت أحيانا الى الصـــمت ولو من غير تفكير والى الاسترخاء ولو من غير نوم حتى تعود اليها جدتها بعد الضعف والضنى وثورتها بعـــد الركود والهدوء .

وآية الله فى النـــوم بالليـــل انما كانت اعدادا للابدان والنفوس فى زمن كأنه الفترة لتعود بعـــده الى العمـــل والثورة ، وكأنه الاستعداد فى زمن السلم لمواقع الحرب ، فما لم تستجم وتهدأ أرغمهـــا الكلال والعى أو المرض والهزال الى استجمام طويل ومرض وبيل .

والعلماء يقولون ان الأعصاب تلتهم قواها من الراحة كما تلتهم البطون شـــهوتها من الغذاء وكما تبتلع الآلات قواها من الكهرباء والوقود ، فاذا لم تكتنـــز خلاياها بأغذية الراحة المشبعة وتتـــدفأ ظواهرها بأكسية الاستجمام المدفئة لم يحن للأفكار أن تنطلق

الى الأعماق ولم يصر للأعضاء أن تنبسط الى الأبعاد ، ولذلك راوح الأفراد المجدون بين الشغل والاستراحة وراوحت الأمم القوية بين العمل والراحة ، حتي يصير الجد الى غايته ويمضى النفع الى نهايته .

ولم يهمل الدين ولا الدول الناهضة فى قديم الزمن وحديثه أمور العمل والراحة بل سن كل منهما لهما القوانين وألزما الأفراد والجماعات على التزامها حفظا للأنظمة أن تنكب اذا نكبت الجهود أو تقف دواليب العمل فيها اذا انعدم الزاد والوقود .

وربما كان من حكم الضرورة أن يظهر بعض الجد فى صور من اللعب ، ولكنها فى حقيقتها جد ومشقة ، الا أنها تكسب القوى والأبدان مايكسبها اللهو المباح من تجديد فى الخلايا واحكام للعضلات وتقوية للأذهان ، وذلك كما فى العاب الفروسية والرياضة أو فى فنون الألحان التى يكون هدفها بناء الأمة فى مجموعها بما تبذله من العناية فى بناء أفرادها .

بل ربما كان المزاح وكانت الدعابة التى يتصف بها بعض الأفراد وتمتاز بها بعض الأمم مما يخفف الأعباء ويشعل الجهود ، ولم يبرم أحد من هذه الدعابات الا اذاخرجت عن حد الاعتدال أو احترفها قوم فأقحموها على كل قول وفى كل حال .

ومهما كانت صور اللهو المباح مصنوعة فان الطبائع تحتاج اليها لأنها تصل بها الى كمالها اذا أملت عليها ما ليس فيها من صور معشوقة وحلى مرموقة ، على أن تكون من نوع لطيف وصنف شريف .

حد الاعتدال :

والكائن الحى كلما تعقد تركيبه وتعالى فى درجة الحياة احتاج الى راحة من جهد ونوم بعد يقظة وتنفس للصعداء بعد تنفس للتصعيد ، وهو لايعيش الا اذا اعتدلت عيشته فكانت وسطا بين الطرفين يسلم كيانه ويمتد زمانه .

ولما كان الانسان عقدة التركيب وقمة الخليقة كان أحوج الأحياء الى التوسط والاعتدال ، وكان لابد له من أن يترجح بين الجانبين ويتمايل بين الكفتين ، حتى يبلغ بمطية البدن مايريد من أغراض وما يحقق من آمال ، ومتى لم يرفق بهما لم تبلغ .. « ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

وهكذا يجب أن يسير الانسان بين بين ، فلو استسلم للراحة والنوم لعجز بدنه عن الحركة وخمد خاطره عن التفكير ، ولو ارتمى على العمل والجهد والتصعد والتصعيب لانقطع حبله وانبت وصله .

وبين التخطيط للمستقبل ـ وهو ماتهبات له علوم عصرنا واشترطت له الاحصاء الدقيق ـ بين هذا التخطيط وبين طرح الغد على الأمل الخادع فرق بين ومدى بعيد ، فالأول صعود وشفاء والثانى هبوط وشقاء .

وغير جدير بان يرفع الأفراد والأمم الا الأبصار الممتدة للرؤية والبصائر المهدية للتمييز والأيدى المتحركة للأعمال ، أما طرح النفوس على الآمال الخادعة والأيام الوادعة فهو يورث التراخي والتوانى ويعقب التشاغل والتقاعس ، وانه لداء عضال لاينفع فيه علاج ولا ينجع فيه دواء .

ولم يجىء الاسلام الا وهو يأمر وينهى ويكلف ويعفى ويكافىء ويعاقب ، فلم يذر الناس يأكلون ويتمتعون وتلهيهم الآمال الا اذا كانوا من الكافرين به فابترد قلبه عليهم وتركهم يشرفون على الجرف الهار ويسرعون الى الخسار والدمار .

وقد شرع الاسلام أن يكون كسب الجد من طريق غير محرم ، فقد ينعطف الرجل أو الجماعة على كسب من حرام انعطافا مرهقا لايذوقون فى أثنائه راحة ولا يخلدون الى هدوء ، وهذا لايرتضيه الاسلام انما يضيف حرامه الى المخاسر والآثام .

وقد جعل الدين طريق النجح قواما فلا يسترسل الانسان لطبيعته ولا ينقاد لهواه ، بل يجعل لقوته الموهوبة أن تمسكه . فاذا ترك المرء نفسه لسموم الطبيعة جمحت به الى أقبح مذهب وأسوأ طريقة .

ومخافة هذه الأدواء اختلف فقهاء المسلمين حول اللعب فمنهم من حرمه اطلاقا قائلين ان اللعب كله من الباطل حتى ما كد الفهم وشحذ الذهن ، وقالوا انه ماتبحر فى اللعب قط رجل له ذهن .

ومنهم من أباح اللعب الذى لايخرج بصاحبه عن العدل واجتناب الزواجر وامتثال الأوامر ، وذلك بنهى النفس عن اللجاج والتمادى ، ورأوا أن أهم مايطلب من اللاهى اللاعب ان ينصف من نفسه بكل وجه فلا تكون فى لهوه اساءة لأحد بقول أو فعل . وفى سر أو فى علن .

المواسم والأعياد :

ولم يكن بد من أن ترسم الأمم لها أياما تقف فيها وقفة اجماع على السرور والاحتفاء بالذكريات ، وكأنها تعقد فيها النية وتؤكد العزم على أن تمضى الى فترات بين المواسم والى مسافات ممتدة بين المعالم تشد فيها ما تستطيع أن تشده من لبنات الجد وتعلى فيها ماتقدر على اعلائه من طباق المجد .

ولم تجمع أمة أو ملة على عيد الا وهى تنوى أن يكون من أول معانيه قهر الجماعة على نسيان آلامها وأحقادها ، ودفعها على بذل برها ومعروفها . ولا حيلة لفرد أن يتخلف عن العيد حتى لو استكن فى عقر بيته ، فان الود سيأتيه والبر سيوافيه وتحيات أهله وجيرانه ستدق على بابه وترن فى آذانه .

والأعياد القومية أو الدينية أو العالمية كلها ينشد الجماعة صغيرة أو كبيرة خاصة أو عامة ويحشد ذكرياتها وقدراتها على المسرة والابتهاج ، وكل منها بحسب الذكرى التى تمر وفى الحدود التى تباح حيث لايتهور الشعور وتشذ المظاهر فترتد الأعياد اتراحا والمواسم الضاحكة حزنا ووبالا .

وحين لم يكن العيد الا لحظة للذكرى فقد استقل الناس زمن الفرحة بذكراهم فجعلوها موسما يمتد يوما أو أياما ، وتوسعوا فاضافوا الى الفرحة بالذكرى أفراحا أخرى ربما لاتمت الى الذكرى بسبب ولا تنتمى اليها بقرابة أو نسب .

ثم انتقلت الأعياد من امة الى أمة بسبب الامتزاج والاختلاط وربما نسيت مبادئها وأسبابها الا ما جرت به العادة بين الناس كما انتقل الى المسلمين - فيما مضى - عيد النيروز وعيد المهرجان ، وكانت العامة تظهر فيهما من الفرح والسرور واشعال النيران وصب الأمواه أضعاف ما كان يفعله الفرس فيهما .

ومن الغريب أنهم يقولون ان الحجاج بن يوسف - وهو من رجال الدولة الأموية ذات الطابع العربى الخالص - كان أول من رسم الهدايا فى النيروز والمهرجان ، ثم رفعها عمر ابن عبد العزيز حتى أعادها احمد بن يوسف الكاتب حيث أهدى فيهما الى المأمون .

وكان من خير ماجرت به عادة الأدب واللغة فى أعياد العرب ومواسمهم تبادل التهانى بين الأكفاء والأهل والأصحاب ، وقد حفل الشعر العربى فيها بما لم يحفل به شعر من الافتنان فى ابتكار المعانى وتصوير الأمانى . وكان الأعياد كما كانت وظيفة شرعية أو عادة قومية كانت كذلك وظيفة انسانية ومروءة آدمية .

وهناك من الأمم والملل ما يغالى فى هذه الأعياد فلا يكاد شهر من شهور الشمس أو القمر يمضى دون عيد ، فهى أبدا متوالية تزدحم فيها أسواق اللعب أو دور العبادة ، فلا يمر عيد الا الى غيره وفى عقبه ، ولكن الفائز منها من لايعدل عن الجد الذى هو سبب حياتها بين الفترات الفاصلة والأزمان الحائلة .

ورءوس السنين اتخذت اعيادا ، وكذلك اتخذوها بعد الفراغ من كل صوم وعند تغير الفصول ومطالع الكواكب وذكريات النصر والفكاك من الأسر . ثم احتفل المسلمون بأعياد الهجرة ومولد النبى وليلة الاسراء

وليلة القدر، كما اخترعت كل طائفة لما تبغى عيدا وضربت لما تألف موسما، وكانت العصور الفارغة من الذكريات الكبرى مشجعة لهذه الأعياد والمواسم لتحيى موات الزمن وتملأ فراغ الناس •

وقد قيل ان المراد بالدين في قوله تعالى: « وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا » قيل ان المراد بالدين هو العيد وقال الكلبى: ان الله تعالى جعل لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه لله تعالى • وكل قوم اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم اتخذوه صلاة وذكرا وحضورا بالصدقة والمودة ولقاء الناس ومزاورة الاخوان •

عيد الفطر:

وأول ما بدىء به عند المسلمين من عيديهم عيد الفطر وكان ذلك فى السنة الثانية من الهجرة، وربما شرع العيدان كلاهما فيها، وأضاف الشيعة عيدا ثالثا سموه عيد الغدير وهو الذى آخى فيه النبى بينه وبين على بن أبى طالب رضى الله عنه عند غدير خم على ثلاثة أميال من الجحفة بسرة الطريق وحوله غيضة كثيرة الشجر تسمى خما • وكان ذلك بعد الرجوع من حجة الوداع فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة • وداومت الشيعة على احياء هذا العيد بالصلاة فى ليله وصبحه وذبحوا الذبائح ولبسوا الجديد وتبادلوا التهانى •

ولكن عيد الفطر كان أكبر مظهرا وأكثر امتيازا اذ هو خروج من انفرادية الصوم والتعالى بها الى الاندفاع الى الجماعة والنزول معها فى وديانها، فهو رد من التطبع الى الطبع ومن الاتصاف المصطنع المؤقت الى الصفة اللازمة الدائمة، ولذا كانت بعيد الفطر فرحة التخلص مما يعوق الطبع والرجوع الى ما لا تكلف فيه •

وقد يكون ذلك واضحا ـ عندنا نحن المسلمين ـ فى عيد الفطر، أما فى عيد الأضحى فهو يتضح فى تحريم الصوم على الحاج فى أيام التشريق اجبارا لهم على الرجوع الى عادة الفطرة وجماعة الناس، ولم يكن بد من هذا الرجوع حيث تكون الأضحيات مذبوحة واللهوات مفتوحة، وحيث يكون الصوم تعذيبا وحرمانا واعناتا وارهاقا •

واذا استحق عيد الفطر أن يكون احتفاء بتمام نزول القرآن ـ كما يقال ـ فانه لذلك يتقدم عيد الأضحى ويفضله، لأنه كما كان بداية جاء بالنهاية، اذ كل الفرائض بما فيها فريضة الحج نزلت فى ليلة القدر التى سبقته ومهدت له •

ولقد كان ارماض السلاح واحماؤه فى رمضان تأهبا لخطفة من القتال فى شوال قبل أن تهل الأشهر الحرم التى تبتدىء بذى القعدة عادة القوم، ففرض رمضان منعا للنفوس من نية العدوان ثم مغالاة فى قهرها عن ملاذها وشهواتها • ولم تكن هناك عبادة ومنع أقهر للنفس من الصوم • حتى اذا انتهى بالعيد تلاقى الناس على الخير والحب لا على الشر والكراهية، وتبادل الناس البر والمعروف مكان تبادلهم النبال وضربات السيوف •

وهكذا كان عيد الفطر تبديلا جذريا تناول النفوس والنيات والأعمال فبدلها كلها الى نقيض ما كانت عليه فصار الانقباض بسطا وفرحا، واضمار الشر والسوء نية من الخير والاحسان، واعداد القسى والسهام تجهيزا للصدقات وبذلا للمبرات •

ولقد اشتد المسلمون وأظهروا التكبير يوم الفطر جماعة وفرادى اذا خرجوا الى المصلى

حتى تنقضي صلاة العيد ، ثم شبهوا النحر به - ولا سيما للذين لايحضرون الموسم - أما الذين يحضرونه فعندهم حكمة الوحدة ومنفعة التعارف والاجتماع .

ومما لاشك فيه أن اجتماع أهل الجاهلية على التفاخر بالآباء والاحساب والتظاهر بالمفاخر والمناقب كان مقدمة للزحف واشعال القتال . فانقلب تكبيرا لله بدل الآباء وتعظيما للشريعة مكان الكبر والتفاخر وتواضعا للناس بعد التعالى عليهم وصار الناس فى ذلك اليوم أصحاب ود ومساواة وأرباب عطف واحسان .

وغدو المعتكف الى المصلى كان ضربة قاصمة لعادات الجاهلية فى صميمها ،اذ تمادت الشريعة فى تحبيب الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان . ثم يظل المعتكف ليلة الفطر فى المسجد حتى يغدو الى المصلى ليتأكد امتناع الناس عن الاستعداد للحرب والاختلاط بشهوة الغضب والارتماء فى أحضان السعير .

وكان من حكمة صلاة العيد - عندنا نحن المسلمين - أن لايمتد وقتها ككل الفروض ، فكان لابد من تأدية سنتها لأول وقتها مع الجماعة ، فاذا فاتت أحدا ممن لم يحضرها لم يقضها لأن حكمة الاجتماع قد فاتت ونشوة اللقاء قد خمدت وضاعت .

وكذلك طرحت خطبة العيد الى ما بعد الصلاة ليتاح لمن يريد الاستعجال لعذر أن يخرج دون استماعها بعد أن يكون قد أدى سنة الصلاة التى هى ركن الاجتماع فى العيد ، وكأنما كان هذا الطرح والتأخير تيسيرا للناس أن لايشتغلوا فى العيد بطول التعبد والاقامة فى المسجد .

وحتى يضمن السرور فى العيد والاقبال على اللعب المباح فيه بنفوس طلقة اشترطت زكاة الفطر قبل صلاة الفطر . أما سنة التضحية بعد صلاة الأضحى فذلك حتى يتوفر للناس من الطعام والرزق مايصرفهم عن هم المعيشة والاشتغال بالأسباب .

ومن عجيب الأمر أن المسلمين ما زالوا يحسون ببهجة عيد الفطر أكثر مما يحسون بها فى عيد الأضحى - لمن لايحضرون الموسم - وقد يكون ذلك الخروج من قيود الصوم والعودة الى الحرية والانطلاق ، ولكنه يخيل الى أن عوامل الوراثة التى تأصلت فينا نحن المسلمين لم تزل هى التى تحرك فينا هذه البهجة وتدفع فينا هذا السرور ، وهى العوامل التى جعلت عيد الفطر أشد تجملا وظهورا وأظهر تحميدا وتكبيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم

عقوبة الإعدام

مالها وما عليها في الشريعة والقانون

الأستاذ محمود كمال

انه وان كان هذا المقال مقصودا به شرح وجهات النظر فى عقوبة الاعدام ذاتها ، غير أنه مع ذلك لا بد من الالمام بأطراف موضوع العقوبة لانه متصل أوثق اتصال بموضوع هذه الجريمة • من أجل ذلك فقد وجب الكلام فى شأنه على النقط الآتية :

أولا – ما هى أهداف العقاب ، والغاية منه ، على المدى التاريخي .

ثانيا – أنواع المجرمين .

ثالثا – مجال تطبيق عقوبة الاعدام .

رابعا – الوسائل المتبعة فى تنفيذ هذه العقوبة على المدى التاريخي أيضا .

خامسا – الآراء فى استبقاء هذه العقوبة او الغائها واسانيد كل منها ، والاعتراضات الواردة على كل رأى منها .

* * *

اولا – ما هى اهداف العقاب ، والغاية منه ، على المدى التاريخي ؟

كانت أهداف العقاب والغاية منه ، فى مبدأ امرها ، فى الايام السحيقة ، منذ ان وجد الانسان البدائى ، هى الانتقام ، وكانت الروح الانتقامية هى المسيطرة على عقل هذا الانسان ، والمتحكمة فيه .

ولم يكن للقصاص عنده ، حدود او قيود ، اذ لم يكن الهدف الذى يقصد اليه شيئا سوى ازهاق روح عدوه او خصمه ، شفاء لغليل مستول عليه ، أو لغيظ منه مستحكم لديه .

ثم حدث فى التسلسل التاريخى أن وجدت القبيلة ، ثم تعددت القبائل ، بتوحدت ، فكونت دويلات ، وقد اوجدت هذه الدويلات بعض النظم للقصاص ، ولكن فكرة الانتقام من المجرم أو المذنب ظلت هى الفكرة السائدة دون غيرها .

٢ – ولما ان تقدمت الحياة خطوة أخرى ، تكونت الدول ، التى نظمت وسائل الانتقام وهذبتها بعض الشىء ، فانشأت نظام تسليم المجرم ، بمعنى ان يسلم المجرم بمعرفة قبيلته الى قبيلة المجنى عليه .

كما وجدت فكرة التعويض ، فكان طرفا النزاع يتفقان على تعويض ما يدفعه الجانى او قبيلته الى المجنى عليه .

ثم انشأت الدولة ما كان يسمى (بالجرائم العامة) اى انها حددت بعضا من الافعال الضارة بالمجتمع واعتبرتها جرائم معاقبا عليها – ومن امثلة ذلك جرائم السرقة ، وجريمة القتل .

وتطورت الانظمة لدى الدولة فاصبحت هى صاحبة الحق والسلطة فى معاقبة المجرم حالة فى ذلك محل المجنى عليه .

٣ — وفى العصور التالية تطورت فكرة العقوبة فلم تعد فكرة انتقامية ، وانما صارت مستندة الى فكرة دينية اخلاقية ، فقد اصبح اساس العقاب التكفير عن الذنب الذى ارتكبه المذنب ، وفى الوقت نفسه ، اصبحت العقوبة تهدف الى اصلاح المذنب واعادته الى الهداية .

٤ — ثم تغيرت فكرة العقاب فى القرن الثامن عشر ، قبل قيام الثورة الفرنسية ، **حين نشأت الفلسفات المختلفة التى اوجدها جان جاك روسو ، وبكاريا ، وغيرهما من فلاسفة ذلك العصر ، فأصبح الغرض هو منع المجرم من العودة الى الاجرام ، وفى ذات الوقت ، ارهاب غيره حتى لا يقدم على ارتكاب الجريمة .**

وهذه النظرية ، هى نظرية بكاريا ، التى تقرر أن العقوبة يجب أن تتجه الى المستقبل ، اى انها يجب ان تتجه الى تفادى حدوث اجرام فى المستقبل ، فالغرض منها لم يكن هو المعاقبة على فعل وقع ، ولكن منع وقوع مثل هذا الفعل مستقبلا .

وقد اخذت الثورة الفرنسية ، بهذه النظرية ، فى تشريعاتها .

ومعنى هذا التطور ان فكرة الانتقام القديمة لم يعد لها وجود .

٥ — ثم ظهرت نظرية العدالة بمعنى ان العقوبة يجب ان لا تتعدى الحد الذى تستوجبه الضرورة وتسمح به العدالة .

٦ — وآل الامر ، اخيرا ، الى اعتبار المجرم مريضا محتاجا للعلاج ، توصلا الى اصلاحه ، مع استبعاد الظروف التى تهيىء له فرص مفارقة الذنوب والاجرام ، حتى يصير بذلك اداة نافعة لنفسه ، وللمجتمع ، وليشق طريقه الى الحياة ، بعد انتهاء فترة العقوبة .

وبذلك فقد تطورت أنظمة السجون ، تبعا لتطور النظام الجنائى ، وكان اصلاح هذه الانظمة مسايرا لاصلاح القوانين الجنائية وما يلحقها من تطورات ، ولقد اصبحت تلك السجون بيوت تهذيب واصلاح بدلا من ان تكون بيوت انتقام وتعذيب .

ويقول البعض ان اصلاح المجرم اكثر فائدة للمجتمع من استئصاله .

* * *

ثانيا — انواع المجرمين :

واستكمالا لموضوع هذا المقال ، والفائدة المرجوة منه ، كان لزاما ان اعطى فكرة نافعة عن انواع المجرمين ، وقد وجدت مقالا فى هذا الصدد منشورا فى الكتاب الذهبى للمحاكم الاهلية الصادر سنة ١٩٣٣ ، ومحررا بقلم المرحوم الاستاذ مصطفى (بك) محمد النائب العمومى ، والمستشار بمحكمة النقض فى ذلك الحين .

وتلخيص هذا المقال يغنى عن بحث طويل فى صدد هذه النقطة .

وفيما يلى بعض ما ورد فيه ملخصا :

ان الاجرام ظاهرة طبيعية تبدو فى اشكال مختلفة ، واسبابه ترجع الى نقص فى التكوين الخلقى للمجرم ، فهو كالمرض سواء بسواء ، وهو غريزى أو مرضى .

اما المجرم بالغريزة فهو من يرتكب الجريمة للجريمة ، ولا يفقه معنى لعواطف الحياء ، او الامانة ، او الرحمة ، لخلوه منها ، وهو عديم المبالاة ، عديم الندم ، غير قابل للاصلاح والتهذيب ، فلا يردعه عقاب ، ولا يقلل من اجرامه سجن ، لانه يولد مجرما ، ويعيش مجرما ، فواجب الجماعة ازاءه ان تدفع عن نفسها خطره كما تفعل ازاء حيوان مفترس .

اما المجرم معتاد الاجرام فيرتكب جريمته بدافع من غريزته ، ولكنه يعترف بخطئه ويندم عليه ، ولا يرتكب الجريمة الا لانه عاجز عن مغالبة الوحى الاجرامى .

اما المجرم بالعرض فهو يرتكب الجريمة بدافع طبيعى وقتى لا يمكن مغالبته ، وهو لا يسعى للجريمة ، ولكنه يدفع اليها دفعا ، فاذا ما وقعت ندم لحصولها ، وقد يرتكب

الجريمة لغير سبب او لأوهى الاسباب .

وهذا النوع من الاجرام ليس اجراما حقيقيا ، وهو قابل للعلاج ، وقابل للشفاء .

* * *

فالاجرام موجود فى كل عصر ولكن مظهره واتجاهه يختلفان باختلاف درجة المدنية فى المجتمع الذى تقع فيه الجريمة ، فالمجرم الذى يعيش فى القبيلة او فى الجماعة غير المتمدينة يعتمد فى اجرامه على قوة عضلاته، فهو قاتل ، وقاطع طريق ، وهو يثور لكرامته وكرامة قبيلته ، ويرى الانتقام والاخذ بالثأر من أوجب واجباته .

اما المجرم الذى يعيش فى بيئة متمدينة فيعتمد فى اجرامه على الغش والخديعة ، ولا يحتاج عادة الى العنف فهو مزور ، نصاب ، خائن للامانة ، ويظهر من ذلك ان المدنية لا تمحو الاجرام ولكنها تغير مظاهره، وتغيره من العنف الى اللين .

وللأحوال الاقتصادية أثر كبير فى تحويل الاجرام ، فبينما نرى الفقير يدفع لارتكاب بعض الجرائم كالسرقة ، نرى الغنى يدفع للجريمة تحت تأثير ثروته التى تفسد اخلاقه وتغريه بالانغماس فى الشهوات .

* * *

ثالثا — مجال تطبيق عقوبة الاعدام :

ا) الشريعة الاسلامية

قررت الشريعة الاسلامية عقوبة الاعدام على سبيل القصاص فى جريمة القتل العمد فى آية (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ....) الى أن قالت (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب) (سورة البقرة آية ١٧٧ و١٧٨)

وفى آية أخرى قال سبحانه وتعالى : (النفس بالنفس) ، وفى آية ثالثة قال تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض)

والرسول صلوات الله عليه ، يقول : (من قتل له قتيل فاهله بين خيرتين ان احبوا فالقود ، وان احبوا فالقتل)

والقود هو الدية .

وقال العرب (القتل انفى للقتل) .

فاعدام القاتل فى نظر الشريعة ، جزاء على هذه الجريمة ، يؤدى الى استقرار المجتمع ، كما يؤدى الى تخويف المجرمين ممن يقدمون على قتل النفس التى حرم الله الا بالحق .

كما قررت الشريعة ، القتل ، على سبيل المحاربة فى الآية الكريمة المتقدم ذكرها (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ... الى آخر الآية)

وقررت القتل على سبيل التعزير فى الحالات التى يرى فرضها مراعاة للصلح العام ، كجرائم التجسس ، والقتل خنقا .

وعلى سبيل الحد ، فى جريمة الزنا للمحصن ، وفى الردة .

* * *

ب) وجاء فى التوراة (اذا أغواك سرا اخوك ابن امك او ابنك او ابنتك او امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهةاخرى لم تعرفها انت او آباؤك من الهة الشعوب الذين حولك القريبين منك او البعيدين عنك من اقصاء الارض الى اقصائها فلا ترض منه ، ولاتسمع ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره ، بل قتلا تقتله، يدك تكون اولا عليه لقتله، ثم ايدىجميع الشعب اخيرا ترجمه بالحجارةحتى يموت) .

وجاء به ايضا (اذا كان انسان متعصبا لصاحبه فكمن له وقام عليه وضربه ضربة قاتلة فمات ثم هرب الى مدينة اخرى يرسل شيوخ مدينته ويأخذونه من هناك ، ويدفعونه الى يد الدم فيموت ، لا تشفق عينك عليه).

وايضا (اذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها

فاخرجوهما كليهما الى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من اجل انها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من اجل انه اذل امرأة صاحبه ، اما اذا اضطجع معها خارج المدينة فيرجم الرجل وحده حتى يموت ، ولا ترجم الفتاة) .

ومن هذا يتضح أن الشرائع السماوية تقر عقوبة الاعدام ولا تنكرها .

ج) وكان قدماء المصريين يحكمون بالاعدام على :

***

١ – من يحلف يمينا كاذبة .

٢ – او من يقتل نفسا مع سبق الاصرار .

٣ – أو من رأى نفسا أشرفت على الهلاك ولم ينقذها ، وكان ذلك فى مقدوره .

٤ – او من يأكل عيشه بطريق غير شريف .

هـ) اما القانون المصرى فقد جعل عقوبة الاعدام جزاء على الجرائم الآتية :

١ – الخيانة العظمى

٢ – القتل العمد مع سبق الاصرار او الترصد .

٣ – القتل بالسم .

٤ – القتل العمد المقترن بجناية اخرى او المرتبط بجنحة .

٥ – جناية الحريق العمد اذا ادى الى موت انسان كان موجودا فى الاماكن المحترقة .

٦ – جناية تعريض وسائل النقل العامة عمدا للخطر اذا نشأ عنها موت انسان .

٧ – جناية شهادة الزور اذا حكم على شخص بالاعدام بناء عليها ونفذ فيه الحكم فعلا .

***

رابعا – وسائل تنفيذ عقوبة الاعدام :

كان الاعدام يحصل ، فى العصور البدائية ، بقيام القاتل بكتم أنفاس القتيل ، او بانشاب اظافره فى عنقه حتى يموت .

وفى العصور الوسطى كانت المحاكم الكنسية تأمر بعقوبات غاية فى العنف والقسوة للجرائم الدينية ، تفوق فى شدتها كل تصور ، ومن ذلك الحرق ، بل وقد تعدت العقوبة ، حينذاك ، المتهم ، الى اقاربه ، فانتفى ، بهذا ، مبدأ شخصية العقوبة .

وكانت هناك تفرقة فى تنفيذ العقوبة على الاشراف ، وعلى غيرهم من الناس ، فالاشراف كان يضرب عنقهم ، اما الآخرون فكانوا يشنقون ، أو يحرقون ، او يقتلون بالسم ، وكان المتهم يعدم بطريقة تقطيع الاوصال واعضاء الجسم .

وكان المجرم فى حق الدين يحرق عقابا له ، وكانت هناك ايضا عقوبة قطع اللسان ، والكى ، ولبس طوق من حديد ، والصلب .

وعند الرومان كان قاتل أبيه يعذب بتعذيب جسده على الأشواك ، أما قاتل ابنه فكان يصلب ثلاثة أيام بلياليها وجثة القتيل الى جانبه .

والتنفيذ فى مصر يتم بطريق الشنق .

وفى انجلترا وفرنسا بقطع الراس .

وفى امريكا بتسليط تيار كهربائى .

وفى ايطاليا بالرمى بالرصاص .

وكان تنفيذ العقوبة يحدث ، فى مصر ، علنا ، لكى يكون فى تلك العلانية عبرة وعظة للناس ، ولكن العلانية جاءت بنتائج عكسية ، لان الناس تألف مثل هذه المناظر بالتكرار ، كما ان العامة يأخذونها مثارا للسخرية .

ومن اجل ذلك فقد قامت حركة كبرى ، ضد هذه العلانية ، تزعمها رجال الفكر حوالى سنة ١٩٠٣ ، فعدل عنها ، والمظهر الخارجى للتنفيذ هو رفع علم اسود على السجن عقب التنفيذ لمدة ساعة .

***

ويستلزم القانون ، فى مصر ، أخذ رأى المفتى ، عند صدور حكم بالاعدام ، بقصد ان تكون المحكمة على بينة مما اذا كانت الشريعة تجيز الاعدام فى الواقعة الجنائية المعروضة عليها أو لا تجيزه ، وهو اجراء شكلى لأن المحكمة غير مقيدة برأى المفتى فى ذلك .

خواطر مستشار

المستشار علي علي منصور

- مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية
- حول السياسة الشرعية والقانونين الدستوري والإداري

ها نحن نتابع الكلام عن نظم الحكم والادارة فى عهد ثانى الخلفـــاء الراشدين عمر بن الخطاب .

مراقبة عمر للولاة والعمـــال وتفتيشهم ومصادرة ما يرتاب فيه من أموالهم :

قيل عن عمر فى هذا الشأن : انه كان يعلم بمن نأى عنه من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه فى مهاد واحد ، وكان يبث العيـون فى جميع النواحى ، وكان يقتص من عماله فيوقع القصاص على الوالى ان اعتدى على أحد من الرعية ، وكان يثق بمحمد بن مسلمه فيرسله ليفتش العمال ويكشف عن حالهم وكان يعلم الناس حقوقهم ، فكان فى موسم الحج يقول لهم : « انى لم أبعث عمالى عليكم ليصيبوا من ابشاركم ولا من أموالكم وانما بعثتهم ليقيموا دينكم ويحجزوا بينكم فمن فعل به غير ذلك فليقل » وكثيرا ما تقدم له أفراد الرعية بعد ذلك يشكون الولاة فيقتص منهم ومما أثر عنه فى ذلك :

١ ـ دخل منزل أبى عبيدة فلم ير الا لبدا وصحيفة وشنا وسأله طعـــاما فاخرج له كسيرات ، فبكى عمر وقال : غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة وأرسل اليه أربعمائة دينار ، وأرسـل مثلها الى معـــاذ بن جبل ، وامر الرسولين أن يرقباهما فلما علم انهمــا وزعا المال حمد الله على ذلك .

٢ ـ قدم عليه ابن عامر بالمدينة فلم ير معه الا عكازا وقدحا فسأله : أليس معك سواهما ؟ قال وما حاجتى لأكثر من عكاز أحمــل عليه زادى . وقدح آكل فحمــد له ذلك وولاه ولاية أخرى الى ولايته .

٣ ـ صادر عمر شـطرا من أمـوال أبى هريرة عامله على البحرين ، لما علم انه اجتمعت له عشرة آلاف فلما ناقشه فى مصدرها فقال : ان خيله تناسلت ، وسهامه تلاحقـت . وانه اتجر فقال له : « لا يحـل لوال أن يتجر فى سلطانه ، انظر رأس مالك ورزقك (أى راتبك) فخذه . واجعل ما عدا ذلك فى بيت المال » . وكذلك فعل مع عماله على بيسان واليمن مع سعد بن أبى وقاص عامله على الكوفة وخالد بن الوليد عامله عـلى الشام . وصادر أيضا نصف أمـوال عمرو بن العاص واليه على مصر ونهاه عن التجارة . ومر ببنــاء يبنى بحجارة وجص فى المدينة فسأل لمن هذا ؟ فذكروا له عاملا على البحرين ، فقال أبت الدراهم الا أن تخرج أعناقها وشاطره ماله .

وكان يود عمر أن يسير بنفســه الى كل مصر من الامصار فيقيم به شهرين من العـام ليخبر أحـوال الولاة بنفسه ويسمع شكاوى الناس ضدهم .

٤ ـ أحصى عمر أهل القبائل وميز بينهم فى العطاء وبدأ باهـل بدر ثم أهل الحديبية وبيعة الرضوان ثم لمن بعدهم ولاهل القادسية واليرموك ، وكان يعطى الرجل بقدر صبيانه ، فلمـا اعترض البعض وكانوا يريدون أن يكون القسم بالسوية قال عبارة هى أسـاس كل قواعد تقدير الأجور « الرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وغناؤه ، والرجل وحاجته ، وما من أحد أحق بهذا المال من أحد ، والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه » .

٥ ـ وكان عمر لا يأخذ من بيت المـال الا قوته وقوت عياله ، وكسوته وكسوتهم للشتاء والصيف ، ودابتين لجهاده وحوائجه وصلاته وحجة ؛ هذا بالنسبة لنفسه اما لعماله فكان يرى أن الراتب حق لكل منهم يأخذه ولو كان غنيا ثم يتصدق به وهذا ما فعله مع عبد الله ابن عمر السعدى . وكان يرزق العامل منهم بحسب حاجته ، والبلد الذى يعيش فيـه ، وكان يولى كل واحد على ما يحسنه من عمل .

ويشرح الماوردى تقدير العطاء للجند بقوله : ان تقدير العطاء يعتبر بالكفاية أى بما

يكفى الشخص جميع طلباته . ويضيف أن الكفاية معتبرة من ثلاثة أوجه ، احدهما عدد من يعول من الذرارى والمماليك : والثانى عدد ما يرتبطه من الخيل والدواب ، والثالث الموضع الذى يحله من حيث الغلاء والرخص .

وبدأ بتقسيم الولايات فبعد أن كان الوالى يجمع بين يديه امارة الجيش ، وامارة بيت المال ، وامارة القضاء ، وامارة الصلاة ، صار يقسمها فى المصر الواحد الى عملات بحسب تخصص كل واحد .

كان عمر أول من مصر الامصار ودون الدواوين : وعمله فى هذا الشأن لا يزال مضرب الأمثال لا تتسامى اليه بنات أفكار أكبر العقول ، ومعنى أنه دون الدواوين أى انشأها على مثال دواوين الفرس والروم ، دونها له عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير ابن مطعم وكانوا من نبهاء قريش ، والديوان الدفتر أو الكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية . وعرفوا الديوان بأنه موضع لحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ؛ وأطلق بعد حين على جميع سجلات الحكومة ، وعلى المكان الذى يجلس فيه القائمون على هذه السجلات والاضابير والطوامير وثبت أنه كان له سجن .

ولما كثرت الفتوحات واسلمت الاعاجم وأهل البوادى وكثر الولدان أمر عمر ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتاديبهم .

وضع عمر أول ديوان فى الاسلام للخراج والاموال بدمشق والبصرة والكوفة على النحو الذى كان عليه من قبل . وقيل ان أول ديوان وضع فى الاسلام هو ديوان الانشاء ودواوين الشام فكتب بالرومية ودواوين العراق بالفارسية ودواوين مصر بالقبطية يتولاها النصارى والمجوس دون المسلمين . وجعل عمر تابوتا أى صندوقا لجمع صكوكه ومعاهداته . وجند الاجناد أى ألف الفيالق فصير فلسطين جندا والجزيرة جندا والموصل جندا وقنسرين جندا ، وأصبح كل جند فى الشام والعراق يتالف من مقاتلة المسلمين يقبضون أعطياتهم من البلد الذى تزلوه ، فأصبحت الجندية خاصة بفئة من المسلمين ، ويسير الناس بعضهم وقضيضهم الى الزحف عند الحاجة حتى النساء والأولاد .. وكان الجند لا يجعلون كلهم فى المسالح بل يترك بعضهم فى البلاد يكونون على استعداد للوثبة عند أول اشارة والغالب أنه كان يترك فضل فى بيوت الاموال خارج الحجاز يستخدم فى طارىء اذا طرأ . وما كانت الصوافى تحمل كلها الى الحجاز بل يدخر بعضها فى بيوت الاموال فى الشام والعراق ومصر وجزء عظيم من دخل الدولة يصرف فى الوجوه التى أشرنا اليها .

وكان فى المسائل العامة يسأل الناس فى المسجد عن آرائهم ثم يعرض رأيه ورأيهم على مجلس شوراه وهم من كبار الصحابة فما استقر عليه رأيهم امضاه فكانت أعماله ثمرة ناضجة من الآراء الصائبة .

القضاء فى عهد عمر بن الخطاب :

كان عمر أول من عين القضاة فى الولايات بعد أن كان الوالى يجمع فى يديه سلطة الحكم والقضاء وجباية المال والصلاة . فولى عمر أبا الدرداء قضاء المدينة وشريح بن الحارث قضاء الكوفة وأبا موسى الاشعرى قضاء البصرة وعثمان بن قيس قضاء مصر .

وفى كتب عمر الى قضاته وعماله كأبى موسى الاشعرى والقاضى شريح وأبى عبيدة ومعاوية وغيرهم قوانين فى التشريع والادارة سنها للمسلمين ولا تزال الى يومنا هذا هى المعول عليها .

ورسالته فى القضاء الى أبى موسى الاشعرى جمع فيها جل الأحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها اماما ولا يجد محق عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها محيصا .

وتعتبر هذه الرسالة دستورا للقضاة والمتقاضين وهى أكمل ما وصلت اليه قوانين المرافعات الوضعية وقوانين استقلال القضاء وغيرها وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس ، سلام عليك أما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لاينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، وآس بين الناس فى وجهك ومجلسك وعدلك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ؛ والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت اليوم فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم أعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها واجعل للمدعى حقا غائبا او بينة امدا ينتهى اليه ، فان احضر بينة اخذ بحقه والا وجهت القضاء عليه ، فان ذلك أجلى للعمى وأبلغ للعذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد ، أو مجربا فى شهادة زور أو ظنينا « متهما » فى ولاء أو قرابة ، فان الله سبحانه تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات ، واياك والقلق والضجر والتأذى للناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فانه من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شانه الله » .

ولقد قالوا « اذا اختلف الناس فى أمر فانظر كيف قضى عمر ، فانه لم يكن يقضى فى امر لم يقض فيه قبله حتى يشاور » وكان أبدا يأخذ آراء اصحابه لا يقطع امرا عظيما من دون استشارتهم ويقول : الرأى الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين المبرمين والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض . هذا ولو وضع علم عمر فى كفة ، كما قال ابن مسعود ووضع علم أحياء العرب فى كفة لرجح بهم علم عمر .

وكانت المدينة فى أيامه أشبه بمدرسة يتخرج فيها القضاة والعمال والقواد والامراء فلا يبعث الى الامصار الا من اختبره وقلما اخطأت فراسته فى الناس وهو المثل الامثل فى جده ، كان كعب بن سور جالسا عند عمر فجاءته امرأة تشتكى زوجها فقال لكعب : اقض بينهما فلما قضى بينهما بما أعجبه وما لم يخطر له ببال قال لكعب: اذهب قاضيا على البصرة .

ساوم عمر بفرس فركبه لشوره فعطب فقال للرجل : خذ فرسك فقال الرجل لا ، قال اجعل بينى وبينك حكما قال الرجل : شريح فتحاكما اليه فقال شريح : يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت أورد كما أخذت فقال عمر : وهل القضاء الا هكذا سر الى الكوفة فبعثه قاضيا عليها ، قالوا وانه لأول يوم عرفه فيه وبقى شريح قاضيا هناك ستين سنة .

كان عمر بن الخطاب يكره الشفاعة والوساطة فقد توسط مولى عمر بأن يكتب كتابا الى عامله فى العراق ليكرم أحد من قصدوا اليها فانتهره عمر وسبه وقال : أتريد ان يظلم الناس وهل هو الا رجل من المسلمين يسعه ما يسعهم ؟.

هذا مجمل من ادارة عمر بن الخطاب وقد كان شديدا فى اقامة الحدود يقيمها على أقرب الناس اليه : حد فى الخمر ابنه وعاقب ابن عمرو بن العاص عامل مصر لأن أحد قبطها استعداه عليه .

عود على بدء

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

- ٢ -

ذكرنا فى المقال السابق ، أن العلماء اختلفوا فى الاسراء والمعراج ، هل كانا يقظة أم مناما .. وذكرنا أدلة من يرى أنهما كانا يقظة ، وهم أكثر العلماء ، والآن نذكر ادلة من يرى أن الاسراء والمعراج كانا مناما ، وأصحاب هذا الرأى هم : السيدة عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - وحذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - صاحب سر النبى ، - صلوات الله عليه وسلامه - ومعاوية أحد كتاب الوحى ، رضى الله عنه ، والحسن البصرى - رحمه الله - صاحب رسالة « صفة الامام العادل » التى طلبها منه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - واحمد الخطابى البستى - رحمه الله - شارح سنن أبى داود ، وهو من علماء القرن الرابع ، وكثير من المتأخرين . وأدلة هذا الفريق هى :

أولا - قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » ٦٠ الاسراء .

وما تلك الرؤيا الا حديث الاسراء والمعراج ، وأصل معنى « الرؤيا » فى لغة العرب أن تكون مناما ، أما فى اليقظة فيقولون : « رؤية » ، يقول العربى : رأيته فى المنام رؤيا حسنة . ويقول فى اليقظة : رأيت فلانا فى الطريق رؤية عيان .

قال الزمخشرى فى كتابه : « اساس البلاغة » : رأيته بعينى رأسى رؤية ، ورأيته فى المنام رؤيا .

وقال صاحب لسان العرب : يقـــال : رأيته بعينى رؤية ، والرؤيا : ما رأيته فى منامك .

وقال ابن برى : قد جـاء « الرؤيا » فى اليقظة ، وقول ابن برى هذا محمول على قلة استعمال لفظ « الرؤيا » فى اليقظة ، ولا يحمل القرآن على الاستعمال القليل ، وخاصة اذا لم يستعمله القرآن الا فى المنام ، قال تعـالى :

« لا تقصص رؤياك على اخوتك » ٥ يوسف وقال فى آية ٤٣ من السورة نفسـها : « ان كنتم للرؤيا تعبرون » ، وفيها أيضا فى آية ١٠٠ « هذا تأويل رؤياى من قبل » ، وقال : « لقد صدقت الرؤيا » ١٠٥ : الصـافات ، وقال : « لقد صدق الله رسـوله الرؤيا بالحق » ٢٧ : الفتح .

وليس خاليا من الحكمة الالهية أن ينزل الله سبحانه هذه الآية فى سورة الاسراء بخاصة بهذا التعبير ، وانما كانت فتنـة لأن بعض ضعاف الايمان حين سمعها ارتد ، لأنه لقصر عقله لما لم يعهد أن يقطع شخص برأى معين ، فى مثل هـذه الأمور التى لا تعـرف الا بالمشاهدة ، قاس النبى - صلى الله عليـه وسلم - على غيره ، وغفل عن أنه رسول الله، وليس شخصا عاديا ، فرؤياه المنامية وحى صادق كما سيأتى :

ومن سنته - سبحانه - : انه يبتلى خلقه ، ليظهر للملأ قوى الايمان وضعيفه ، ليطهر جو المسلمين من ضعفاء الايمان ، ولهـذا السـبب ابتلاهم بتحويل القبلة ، قال تعالى :

« وما جعلنا القبلة التى كنت عليهـا الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله » ١٤٣ - البقرة ، وقال سبحانه :

« أذلك خير نزلا ام شـجرة الزقوم ؟ انا جعلناها فتنة للظالمين » ٦١ ، ٦٢ : الصافات وانما كانت شجرة الزقوم فتنة وامتحـانا يصفى به الله جو المسلمين من ضعـاف الايمان ، لأن الكفار تلقفوها ، واستعملوها سلاحا يضللون به هؤلاء الضـعاف ، حيث قالوا : انظروا الى محمد كيف اضـطرب ؟ فتـارة يقول : ان جهنم وقودهـا النـاس والحجارة ، وها هو ذا الآن يقول : ان جهنم فيها شجر اخضر ، وجهل هؤلاء الضعاف ان النار انما جعلها الله سببا فى الاحراق، وانه قادر على ان يوقف خاصية هـذا السبب ، كما فعل مع خليله ابراهيم - عليه السلام - وقت القى فى النار فلم يحرق بانقلابها بردا وسلاما ، قال تعالى :

« قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » ٦٨ ، ٦٩ الأنبياء .

ثانيا - لو كان الاسراء والمعراج بالجسم يقظة ، لكان ذلك من أعظم معجزاته ، صلى الله عليه وسلم ، ووجب أن تكون بمحضر من الجم الغفير ، من المـؤمنين ، والمشركين ، ليزداد الذين آمنوا ايمانا ، وليفحم المشركون اذ ما الفائدة فى اسرائه ، صلى الله عليـه وسلم ،ليلا ، على حين غفلة من الناس ؟

ثالثا - مما استأنس به من قال: ان الاسراء والمعراج كانا مناما ، ما رواه البخـارى عن شريك عن أنس بن مالك ، ولفظه : قال شريك ابن عبد الله : سمعت أنس بن مالك يقول : ليلة أسرى برسول الله ، صلى الله عليـه وسلم ، من الكعبـة ... الى أن قال : جاءه ثلاثة نفر ، وهو نائم فى المسجد الحرام ، ثم ذكر الحديث بطوله ، وفيه : أنه فرضت عليه فيه الصلاة ، ثم قال فى آخره : واستيقظ - صلى الله عليه وسلم - وهو فى المسجد الحرام .

رابعا - ان الحركة الجسمانية البالغة فى السرعة الى هذا الحد ، غير مستساغة لدى العقول، فلا نقبلها الا اذا أفحمت بمشاهدتها، أو بما يفيد القطع بها ، كالخبر المتـواتر ، وتكون حينئذ معجزة ، ولم يحصل هنـا شىء من مشاهدة ، ولا من غيرها ، ولا يكفى فى اقناع العقل ، واقامة الحجة أن يقال :ان قدرة الله لا يعجزها شىء ، لما يرد عليه من اننـا

لو سلمنا بهذا المبدأ على اطلاقه ، لادعى قوم ما يخالف العقل، بلا دليل على دعواهم،غيرأن قدرة الله صالحة ، وهذا فضلا عما فيه من اهمال العقل ، الذى أمرنا الله سبحانه باستعماله ، وذم من أهمله ، وألحقه بالأنعام، بل جعله أضل منها ، قال تعالى : « أم تحسب أن اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا » ٤٤ الفرقان .
وقال تعالى فى حديثه عن الكفار بعد القائهم فى جهنم :

« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى اصحاب السعير » ١٠ : تبارك ، وقال سبحانه : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » ٢٢ : الأنفال ، وقال سبحانه : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ١٧٠ : البقرة ، الى غير ذلك من الآيات التى يخاطب بها القرآن العقل ، وهى كثيرة فيه .

والسبب فى ذلك أن فى اهمال العقل اخلالا بالنظام العام ، لأن الحجة حينئذ تفقد اعتبارها ، وتقف مكتوفة الأيدى لأتفه دعوة من هذا القبيل ، كما لا يكفى فى هذا المقام أن يقال : أن فى اسرائه — صلى الله عليه وسلم — بالجسم دليلا على صدق دعوة النبوة لأنه يرد عليه بعد ما سبق أنه لم يشاهده أحد عند اسرائه بجسمه ، حتى تقوم الحجة عليه ، فضلا عن أنه — صلوات الله وسلامه عليه — غنى بالمعجزات التى تحداهم بها ، مما لم يسبق له مثيل ، فى قوته ، ووضوحه ، وخلوده .. فليس فى حاجة الى هذه المحاولة التى يضعف من حجيتها كثرة الخلاف فيها بين المسلمين أنفسهم ، بل من كبار الصحابة أنفسهم ، كما تقدم .

وأيضا ، لو كان الاسراء والمعراج يقظة لفارق العقل فى كثير من المواضع ، غير ما تقدم ، كاخراج القلب وشقه ، وهو أخطرها ، وغسله بماء زمزم ، والاتيان بطشت من ذهب ، وملئه ايمانا ، وحكمة ، وعلما ونورا .. وافراغه فى قلبه — صلى الله عليه وسلم — وما يعارض العقل فى الظاهر ، يعد فى نظره بعيدا ، وما يعد بعيدا لا يقبله الا بدليل قاطع ، كما تقدم ، ولا قاطع ها هنا ، والا لما صح الخلاف بين المسلمين كما سبق ، واى ايمان هذا الذى وضع فى قلبه الشريف ، وهو لا يزال صبيا .. مع أنه — صلى الله عليه وسلم — قبل نبوته ، حتى فى كهولته ، لم يكن يدرى ما الايمان ... ؟ قال جل شأنه : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان » ٥٢ : الشورى .

خامسا — ان بعض الامور التى رآها فى اسرائه — صلى الله عليه وسلم — يستحيل وقوعها فى اليقظة ، كما جاء فى رواية ابن جرير ، والحافظ أبى بكر البيهقى ، وأبى عبد الله الحاكم ، وأبى زرعة عن أبى هريرة أنه — صلى الله عليه وسلم — رأى وهوراكب البراق قوما يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، وكلما حصدوا عاد الزرع كما كان ، فقال — صلى الله عليه وسلم — : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء هم المجاهدون فى سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، ولا يمكن الجمع بين هذا وبين كون الاسراء حصل فى ليلة واحدة ، فضلا عن أن البراق كان يسير بسرعة تشبه سرعة الصوت .. وعن أن المجاهدين منهم من قضى نحبه ، وهؤلاء فى الجنة عند ربهم يرزقون ، ومنهم أحياء ، وهؤلاء فى لحظة الاسراء كانوا فى بيوتهم ، وبذلك لايمكن ان يعقل هذا ، الا اذا كان الاسراء مناما ، لأن النائم يجوز أن يرى المستحيل ، كرؤيا انسان مثلا جملا يطير فى الهواء ، ومن هذا القبيل : ما جاء فى الرواية نفسها ، أنه — صلى الله عليه وسلم — مر على جحر صغير ، يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا جبريل؟ فقال : هذا الرجل يتكلم الكلمة الشنيعة ثم يندم عليها ، فلا يستطيع أن يردها ، وهذا ايضا لا يمكن ان يكون مناما .

للبحث بقية

مقدمة

في الحديث السابق شرحنا كيف ان المشكلة الاقتصادية مشكلة عميقة الجذور في حياة الانسان وانها ذات اثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية ، كما ذكرنا أن المراحل الاقتصادية التي سبقت الاشتراكية أربعة وهي :

١ ـ الشيوعية البدائية

٢ ـ عهد الرق والاقتصاد العبودي .

٣ ـ النظام الاقطاعي .

٤ ـ الراسمالية .

وقد شرحنا المراحل الثلاثة الاولى ، وحديثنا اليوم سيكون عن المرحلة الرابعة وهي الراسمالية .

لم يلتق الباحثون على تعريف موحد للراسمالية ، وفيما يلي بعض التعاريف التي ذكرها علماء الاقتصاد .

ـ ملكية الفرد لادوات الانتاج العامة ، او ملكيته عند قليل من الافراد لهذه الادوات .

ـ النظام الفردي الذي يسعى فيه كل فرد لتحقيق أرباحه في ظل منافسة حرة وحرية اقتصادية .

ـ النظام الذي يتم فيه الانتاج للتبادل في السوق البعيدة بواسطة تاجر الجملة الذي يستخدم أمواله في شراء السلع وتخزينها واختيار الزمان والمكان لبيعها حتى تحقق أعلى ربح .

ـ هي في رأي ماركس :

نظام يجعل قوة العمل سلعة ككل السلع تباع وتشترى في السوق ، والشرط التاريخي لذلك تجميع وسائل الانتاج في أيد قليلة واضطرار من لا يملكون هذه الوسائل الى بيع قوة عملهم لمالكيها .

فالانتاج في هذا النظام يجعل « عقد العمل » أساسا له .

ـ هي كما يقول الاستاذ (M. DoBB)

نظام المشروع الفردي الخاص ، والنظام الذي تسوده المنافسة الحرة بين الافراد في سبيل ثرائهم .

على ان كثيرا من الباحثين يعرفون الراسمالية ببيان خصائصها العامة دون التعرض للتفصيلات التي تختلف فيها الرأسمالية من دولة الى دولة ، ولعل التعريف بالخصائص أدق وأشمل ، وفيما يلي بيان هذه الخصائص :

خصائص الرأسمالية

أهم خصائص الرأسمالية هي

أولا : الانفصال بين راس المال وبين العمل ، ففي ظل الراسمالية اصبح العامل لا يملك الآلة التي يعمل عليها ، بل لا يملك الامل في أن يصبح يوما ما صاحب هذه الآلة ، واصبح يؤجر قواه وخبرته لصاحب الآلة الذي ينسب العمل اليه والذي يحصل على الربح ، وهكذا وجدت طبقتان متميزتان هما طبقة الرأسماليين وطبقة العمال .

ثانيا : الحرية الاقتصادية اي عدم تدخل الدولة للحد من نشاط الراسمالي ، ولذلك يمارس الرأسمالي اعماله بنشاط غير محدود في الميادين التي يراها وبالطرق التي اختارها في حدود القوانين العامة التي تمنع النشاط الاقتصادي في بعض المواد كالمخدرات او تضع حدا أدنى لاجور العمال ... وهكذا .

ثالثا : البحث عن الربح . فالهدف الرئيسي للنظام الراسمالي هو البحث عن الربح دون النظر الى حاجة المجتمع ، والراسمالي يهتم بانتاج السلعة الرائجة ، ومن اجل ذلك قد يتجه باهتمامه الى الكماليات التي يقبل عليها الاغنياء ويبتعد عن الضروريات التي تحتاجها الجماهير لقلة مقدرة الجماهير الشرائية ، ويرتبط بالربح قانون فائض القيمة الذي شرحه كارل ماركس وهو عبارة عن الفرق بين تكاليف السلع وبين ثمن بيعها .

رابعا : المنافسة ، فكل راسمالي يحاول ان يكسب السوق الى جانبه بحسن الانتاج من جهة وترخيص الاسعار من جهة اخرى .. وهو بهذا يسعى للقضاء على نظرائه ، فاذا تم القضاء عليهم احتكر السوق لنفسه وعوض من المستهلك ما ضحى به من قبل من رخص الاسعار .

خامسا : دور الاسعار ، فالنظام الراسمالي يحدد الاثمان تبعا لقانون العرض والطلب ، فاذا ازداد الطلب على السلع رفع الراسمالي السعر مهما قلت تكاليف الانتاج .

انواع الراسمالية :

الراسمالية قسمان : صناعية وتجارية ، وقد نشأت الراسمالية الصناعية فى خلال القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر حيث قامت الصناعة على انقاض الحرف الصغيرة التى عرفها عهد الاقطاع كما مر ، وفى القرن السابع عشر بدأ الانتاج الآلى ، اذ ظهرت الآلات التى تدار بالقوى الطبيعية كالماء والهواء ، بدلا من ادارتها باليد ثم اخترعت الآلة البخارية فى القرن الثامن عشر ، وبدأت بذلك المصانع التى كان من ابرز خصائصها الفصل بين ملكية راس المال وبين العامل أو بعبارة أخرى بين الآلة والانسان الذى يدير الآلة كما مر ، وهذا لم يكن معروفا فى الحرف ابان العهد الاقطاعى ، اذ كان العامل يملك آلته ، وهكذا نشأت الطبقة العاملة مع نشأة الراسمالية الصناعية واصبح جهد الرجل وقوته يباعان باجر يحدده له صاحب الآلة ولم يستطع رجال الحرف أن ينافسوا الآلات فكان عليهم أن يدخلوا عمالا فى المصانع ، وأن يرضوا سلطة صاحب المال ، وبهذا فقد العامل فى المصنع الحرية التى تحققت له بانهيار النظام الاقطاعى .

ومما زاد فى سلطان الراسمالية الصناعية قيام الثورة الصناعية التى استغلت كل الجهود وكانت بريطانيا اسبق دول أوربا فى تحقيق الثورة الصناعية والتطور بها ، لوفرة الفحم فيها ، وتوافر الاستقرار السياسى ، وسعة الاسواق التى تبيع فيها بريطانيا منتجاتها ، تلك الاسواق التى سيطرت عليها بريطانيا بالفتح العسكرى او بالكشف الجغرافى .

أما الراسمالية التجارية فقد بدأت مع قيام الدول القومية اذ ازيلت الحواجز بين الاقطاعات ، واببح انتقال الاشخاص والسلع من ضيعة الى ضيعة ، وبعبارة اخرى فان قيام الدول القومية جعل الانتاج لا للاستهلاك المحلى كما كان الحال فى عهد الضياع ، بل للتصدير ، وقد فتح ذلك الوضع الباب لاصحاب رءوس الاموال ليتقدموا مشترين بائعين ، ومما ساعدهم على ذلك وجود العملة وانتشار الامن .

وكان نمو الصناعة عاملا هاما من عوامل نشاط الراسمالية التجارية ، فقد وجدت صناعات فى بلاد ولم توجد فى بلاد أخرى ، اذ كانت الصناعات تابعة لتوافر المواد الخام ، وكان من الضرورى نقل الانتاج من مكان الى مكان ، فلعبت الراسمالية هذا الدور . ويمكن أن يقال عن الزراعة مثل ذلك ، فان المحاصيل الزراعية لا تنمو كلها فى كل المناطق على نسق واحد ، بل تتبع الجو والمناخ ، فهنا تنبت الحبوب ، وهناك تكثر المراعى والثروة الحيوانية ، وفى مكان ثالث يزرع القطن ، وهكذا .. وكان على التاجر أن يقوم بنقل هذه المنتجات من مكان الى مكان حسب طلبها .

وهكذا حدث فى التجارة ما حدث فى الصناعة ، فقد كان منتج السلعة هو الذى يبيعها ابان عهد الضيعة ولكن الراسمالية جعلت المنتج منتجا فقط ، وخلقت وسيطا بين المنتج وبين المستهلك هو التاجر ، واشتطت الراسمالية التجارية فى كثير من الاحوال فاحتكرت التجارة فى أكثر المناطق ، ولم تتح للمنتج الحق فى اختيار التاجر الذى يعامله ، بل تدخلت - باسلوب أو بآخر - باسم السياسة حينا وباسم القوة حينا آخر ، فالزمت المنتج أن يتعامل مع تاجر معين ، وقد اتاحت هذه الصفة الاحتكارية أرباحا ضخمة لهؤلاء التجار على حساب المنتجين ، كما سنشرح فيما بعد .

من أين جاءت رءوس الاموال الصناعية والتجارية ؟ أن الاستقراء يبين لنا أن ملاك الضياع وسادة الاقطاع كانوا فى الغالب أصحاب رءوس الاموال فى الصناعة والتجارة ، فقد انتقلوا بثرواتهم من مجال الزراعة الى مجال التجارة والصناعة .

البنــــوك .

على أن بعض الاستثمارات الكبيرة ، صناعية كانت او تجارية ، احتاجت الى رءوس أموال ينوء بها ثراء الفرد الواحد ، فتطلع اصحاب هذه المشروعات الى وسائل لتمويل مشروعاتهم ، وفى نفس الوقت كان هناك راسماليون ارادوا أن يلعبوا بأموالهم دورا ماليا محضا فابدوا استعدادهم لتمويل المشروعات دون الاشتراك فى ادارتها ، اى أن هؤلاء لم يريدوا دخول معمعة الصناعة والتجارة بصفة مباشرة مكتفين بتقديم اموالهم لهذا الغرض نظير ربح محدد لهذه الاموال ، على أن يكون فى المشروعات الصناعية والتجارية ضمان القرض وأرباحه . وكان ذلك بدء ظهور البنوك .

وقد لعبت البنوك دورا كبيرا فى النشاط الاقتصادى فى عهد الراسمالية . وكانت تستطيع أن تدعم مؤسسة أو تحارب أخرى ، وكثيرا ما كان اليهود هم مؤسسو هذه البنوك ، وبالتالى كانوا المسيطرين على كثير من النشاط الاقتصادى فى ذلك العهد .

ولم تقف البنوك عند حد تمويل المشروعات الراسمالية وتنميتها ، بل راحت فى ظل الاستعمار تقدم ، نظير ربح يتفاوت قدره ، قروضا باجل لكل من يملك مايغطى هذه القروض ، فقدمتها لصغار الملاك ، ولم تعن بتحصيلها فى مواعيدها ، بل على العكس شجعت هؤلاء على اقتراض مزيد من المال ، وراح الربح المركب ينمو ، والقروض تتوالى ، ثم كانت هذه البنوك تهب فجأة فتنزع هذه الاملاك من ملاكها ، وقد راحت الاف الاسر الصغيرة ضحية هذا التصرف المقيت .

شركات التأمين .

واخترع راس المال مجالا آخر لنشاطه وتنميته دون جهد ، ذلك هو شركات التامين ، فقد كان من الطبيعى أن تتعرض الراسمالية الصناعية أو الراسمالية التجارية الى تلف احيانا ، يصيبها أو يصيب جزءا منها فى حريق أو غرق أو ما ماثل ذلك ، فوجدت رءوس أموال تعوض الراسمالية عند حدوث مثل هذه الاشياء بشروط معينة ونظير مبلغ من المال يدفع سنويا لشركة التامين يتناسب مع قيمة العقد المبرم بينها وبين الراسمالية التجارية أو الصناعية ، وبالاستقراء يتبين أن شركات التامين تحصل على ربح وفير ، وأن نسبة قليلة من دخلها تغطى الخسائر التى تنزل بعملائها ، بل وجدت شركات تامين براسمال اضخم كانت مستعدة أن تؤمن جميع العقود المبرمة بين شركات التامين الصغرى وبين العملاء ، بشروط ونظم خاصة تضمن على كل حال الربح الوافر لكل شركات التامين .

وشركات التامين تحصل على أرباحها مقدما اى عند ابرام العقد ، وتستغل هذه الشركات ارباحها بطرق متعددة فى الصناعة والتجارة والمبانى وغيرها ، بحيث أصبحت هذه الشركات من أهم مظاهر الراسمالية .

وسنواصل حديثنا عن الراسمالية فى المقالات التالية .

التكافل الاجتماعي في الاسلام أسمى مظاهر القيم الانسانية

الدكتور محمد سلام مدكور

فى محيط التعامل

بينا قبل أن التكافل فى الاسلام تناول كل النواحي والصلات ثم افردنا مقالا خاصا لمظهره فى محيط الأسرة ومقالا لمظهره فى محيط العمل والمعرفة ومقالا لمظهره فى محيط العمل والعاملين بينا فيه منزلة العمل فى الاسلام وانه كما عبر الرسول الجهاد الأكبر وقلنا ان الاسلام برىء من التواكل والتكاسل وأنه حث على العمل والكدح والتعاون العملى مع العاملين فيما يشق عليهم وسقت امثلة من سنة الرسول فى هذا وبينا ان رعاية العاملين والعناية بهم والتكافل معهم بكل الطرق أمر تدعو اليه الشريعة واشرنا الى ما وصل اليه العمل والعامل فى مجتمعنا الجديد ووعدنا بلقاء آخر فى الموضوع لبيان مظهر التكافل الاسلامى فى محيط التعامل.

الاسلام دين يعمل لصالح كل من الفرد والجماعة ولكنه يؤثر صالح الجماعة ويقدمه عند التعارض على صالح الفرد لأنه الأنفع للأفراد فان كل نفع يصل الى الجماعة فانه واصل الى الأفراد لامحالة ولذا عرف التشريع الاسلامى بأنه ذو نزعة جماعية . الفرد يعمل لصالح نفسه وصالح الجماعة متكافلا معه بحيث يكون عمله نافعا مفيدا فهو لبنة فى بناء المجتمع ، ولذا كان التكافل بين الافراد فى شتى صور المعاملات التى تقع بين بعض الأفراد وبعض وجعل أساس ذلك الوفاء بالعقود وامضاء العهود والصدق فى القول ايثارا للنفع وتطبيقا لمعنى النصح الذى جعله الشارع هو الدين ووجه الناس الى ضرورة التناصح فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) قالوا لمن يارسول الله قال لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فبين صلوات الله عليه أن التكافل والتناصح أمر

ضرورى وأنه هو الدين فليس من الدين أن تبخل على أخيك بالنصح والا تبصره بالنافع فى كل ما استنصحك فيه وانما الأساس أن تصدقه النصح وتبين له حقيقة الأمر كما بين أن الاستنصاح والنصح مما يجب التكافل بين المسلمين فيه فى كل ناحية من نواحى التعامل وفى كل حق عاما كان الحق أم خاصا للأفراد أم للجماعة والدولة غير أن النصح اذا ما قدم للحاكم ينبغى أن يكون بأسلوب لين وعلى وجه لايخدش من كرامته ولا يقلل من مهابته ولقد بايع النبى صلوات الله عليه على النصح بعض أصحابه ، قال جرير بن عبدالله بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم ، فلولم تكن لهذه الناحية اهميتها فى الدين لما كان النبى صلى الله عليه وسلم يجعلها موضع بيعة بينه وبين أصحابه فأن البيعة ما كانت الا فى أهم الأمور وأعلقها بصالح المجتمع وهو معنى كفيل أن يكون أساسا للتعاون الصادق بين الناس فى تعاملهم ، **وان التعاون الصادق لأكبر محقق لمعانى الحب المنشود فى الأمم والجماعات**

ومن أوضح مظاهر الاسلام فى التكافل فى التعامل أنه جعل الصدق والوفاء بالوعد والامانة دينا يثاب عليه فاعله كما جعل الكذب والخلف والخيانة اثما يعاقب عليه صاحبه جاء فى الحديث الشريف « آية المنافق ثلاث اذا وعد أخلف واذا حدث كذب واذا أؤتمن خان فأنظر كيف جعل الاسلام المعاملات القويمة التى تقع بين الافراد من اسس الدين ودعائمه ومقوماته وانظر الى المتنكل عنها نظرة الخارج المارق فحكم الله بأنه منافق مما يدل على مبلغ عنايته بمعنى التكافل فى المعاملة حتى لايكون هناك غش ولا تمويه ، وقد اعتبر الرسول صلوات الله عليه من غش أى فرد فى المجتمع فقد اعتدى على الجماعة كلها وأنها تبرأ منه يقول صلوات الله عليه (من غشنا فليس منا) وذلك لان الغش يتنافى مع دعوة الاسلام الى التكافل فى التعامل وحرصه على أن يكون الناس يدا واحدة يتعاونون على سبل الحياة .

روى الحسن ان رسول الله قال : «لاتشربوا اللبن للبيع» اى لاتخلطوه بالماء عند عرضه للبيع

ثم قال : الا . وان رجلا ممن كان قبلكم جلب شرابا الى قرية فشابه بالماء حتى تضاعف ، فاشترى قردا من ربحه وركب البحر به حتى اذا أوغل فيه ، ألهم الله القرد فأخذ صرة الدنانير فصعد الذروة ففتح الصرة وصاحبها ينظر فاخذ دينارا فرمى به فى البحر، ودينارا فى السفينة وهكذا حتى قسم الصرة قسمين ، وفى ذلك التصوير الجميل دليل صادق على أن الغش فى التعامل لايفيد صاحبه لانه ابتذاذ لاموال الناس عند التعامل معهم بغير حق وذلك يتنافى مع ما اختطه الاسلام للناس من التكافل فى التعامل والتعاون على تيسير المهمات .

وقد حث الرسول صلوات الله عليه على طلب الحلال والابتعاد عن أخذ الحرام حتى يكون التعامل بين الناس على أسس سليمة وقيم من الخلق رفيعة ، ويمتنع من بينهم التشاحن والتخاصم ، وترتفع من نفوسهم عوامل الحقد والضغينة . يقول صلوات الله عليه ... ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا . وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال :

«يأيها الرسل كلوا من الطيبات» وقال : «يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم»

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد **يده الى السماء ويقول : يارب يارب ، ومطعمه** حرام وملبسه وغذى بالحرام فأنى يستجاب له؟

وانظر كيف جعل النبى آكل الحرام آثما أعظم الأثم بعيدا عن ساحة الرب لأنه يحارب مبادىء الاسلام القويمة الرشيدة التى تدعو الى التكافل وتحث على التعاون فاستحق ذلك الجزاء .

وانظر ايضا فى مسلك الاسلام فى حث التاجر على الصدق وأخذه بقلة الحلف لترويج السلعة لئلا يغريه الجشع والطمع على الكذب والحلف عليه فيضل شر ضلال ، ويكون عدوا للجماعة بدل أن يكون متعاونا معها ميسرا لها ما تخصص فيه من سبل الحياة . قال أنس رضى الله عنه : كان الرسول صلوات الله عليه يقول : التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديق والشهداء .. ويقول : أن التجار

يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبر وصدق ، وقال أبو ذر الغفارى « فجور التاجر أن يزين سلعته بما ليس فيها » وفى حديث آخر .. ان صدق البيعان وبينا بورك لهما فى سلعتها ، وان كذبا وكتما فعسى ان يربحا ربحا ما وتمحق بركة بيعها »

فانظر كيف حذر التاجر من الاغترار بالربح الحرام والانسياق وراء الجشع والطمع وبين أن من أثر ذلك ان يمحق الله بركة بيعهما لمخالفة ما أوجب الاسلام من التعاون والتكافل فى المعاملة .

وان من ابرز ما وجه الاسلام به الى التعاون فى التعامل تشريع الخيارات - التى هى تحفظات لصاحب العقد اما بقوة الشارع واما باشتراطها عند التعاقد - ويترتب عليها ان يكون من له الخيارات حق الانفراد بفسخ العقد الذى من طبيعته أن يلتزم المتعاقدان به ، وأن يترتب عليه أثره بمجرد التعاقد ، ولكن التشريع الاسلامى جاء بالخيارات وشرعها ليتأكد رضاء العاقد بالعقد ، وليكون على بينة من أمره دفعا للغبن ومنعا للضرر ، فالمرء قد يقوم على امضاء العقد من غير ان يرى محله أو من يكون له خبرة فيه ، وقد يكون فى محل العقد عيب لا يقبل معه التعاقد أو يكون الطرف الآخر قد أغراه ليقدم على امضاء العقد بأوصاف لم تكن فيه الى غير ذلك ، ويخشى اذا أحجم عن التعاقد أن تكون فى العقد مصلحة له لم يفد منها اذا ترك التعاقد ، وقد لا تتيح له الفرصة ذلك لاحتمال أن يتعاقد الغير عليها أو لاحتمال عدول صاحبها ، فيقدم على العقد من غير أن يتحقق الرضا فى نفسه ، أو يكون راغبا فى استشارة غيره ممن له خبرة ليقدم على امضاء العقد أو فسخه ، أو ليختار من السلع ما هو الأوفق والأرفق والحاجة اليه متحققه ، أو ليتمكن من رد السلعة عند ظهور عيب بها ينقص من قيمتها أو يفوت عليه الرغبة فى شرائها

فالشارع فى الواقع شرع الخيارات حماية للمتعاقد من التزامه عند التعاقد حتى يتأكد الرضا فى نفسه وتكون الرغبة فى امضاء العقد والابقاء عليه متحققة موفورة ، ولايكون هناك محل للحسرة والندم ، ولا للحقد والضغينة ، وانما يكون التحاب والوفاء والتعاون التام على تعامل لا اساءة فيه لاحد فيتم عن طيب خاطر ونفس راضية .

بل ان الشارع الاسلامى ثار على ما كان عليه الناس من التأثر عند التعاقد بالأمور الشكلية وانما قال صلوات الله عليه « البيعان بالخيار مالم يتفرقا » وجعل من كل واحد من المتعاقدين ان ينفرد بفسخ العقد ما دام مجلس العقد قائما ، وما ذلك الا لأن أساس التعامل فى الاسلام اليسر والتسامح وتوافر الرضا وهى من دعائم التكافل والتعاون فى التعامل

واا كان لنا ان نفاخر فانه يجدر بنا ان نفتخر بهذا التشريع الاسلامى العظيم ، وما ترك - لا فى الامة الاسلامية وحدها بل فى العالم كله - من ذخائر تحقق للناس مطالبهم وترعى شئونهم ومصالحهم فى ظل استيعاب كل معنى كريم يتحقق معه التكافل

ولقد جاء الاسلام والعالم متحجر فى مسالك التعامل ولا سيما تلك المنطقة التى بعث فيها رسول الله أول ما بعث ، والحضارات المحيطة بها ، فقد جاء فى تعاملهم انه كان يعتمد فى كثير من أنواعه وجزئياته على ما يشبه أن يكون تلكؤا فى الزام أحد الطرفين بالعقد مما يتنافى مع كمال تحقق الرضا ولا يتحقق معه تكافل فى المعاملة ومما يجمع هذه المعانى كلها ما سجله الله سبحانه فى كتابه الخالد الذى يتحدى كل تشريع ويقاوم كل معاملة غير رشيدة اذ يقول سبحانه فى كتابه الكريم « لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم .

ومما هو واضح كل الوضوح أن معنى التراضى ينطوى تحته اثبات الخيارات المشار اليها التى هى مظهر من مظاهر التكافل فى التعامل

بل ولقد بلغ من حرص الاسلام على التكافل فى التعامل انه حث المتعاقدين بعد تمام العقد بينهما على وجه نهائى وفوات مدة الخيار أو ابداء الرأى باسقاط الحق فيه، حثهما على ان من أحس منهما برغبة صادقة من الآخر فى العدول عن العقد والرجوع فيه أن يجيب رغبته

ويقيل بيعته حتى لا يضيق صدر أخيه ويجعله فى حرج وندم يقول الرسول صلوات الله عليه « من أقال نادما بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة »

فهل تجد بربك من ذلك معنى أوضح فى تمجيد التكافل فى التعامل من هذا التشريع الذى كل ما انتقلت من باب منه تحولت الى باب أوسع وواد أفيح يحقق للانسانية كل ما تتطلع اليه من معانى التكافل ، وان هذا المظهر الاسلامى فى التكافل فى هذه الناحية ليتحدى كل تشريع فى العالم حتى انه ليجعل هـذه المعانى تعاملا مع الله سبحانه هو الذى يتولى جزاءه وحسن مثوبة صاحبه حتى يتسابق الناس اليه طلبا لمرضاة الله وحسن ثوابه ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

ومن مظاهر ذلك التكافل فى المعاملة الحث على **ايفاء الكيل والوزن فى المبايعة والتحذير من التطفيف فى كل منها وقد ورد ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا ومعه صحبه الاكرمون وجد أهلها يطففون ويد اليهود تبخس الناس اشياءهم فحذر القرآن الكريم من ذلك اشد التحذير اذ يقول ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهـم أو وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيـم يوم يقوم الناس لرب العالمين »**

وعلى وجه العموم فلقد حث الاسلام على كل سماحة فى المعاملة ونهى عن كل مضارة ، ولقد ترحم النبى على كل انسان سمح اذا باع واذا اشترى واذا قضى واذا اقتضى ، كما حذر الذى يحتكر على المسلمين أقواتهـم من الشر المستطير فيقول : من احتكر على المسلمين طعامهم رماه الله بالجذام والافلاس .. ومن اجل الحرص على التكافل فى التعامل أجاز التشريع الاسلامى لولى الامر تسعير السلع اذا أغلاها التجار وأجاز الاستيلاء على الفائض بقيمته دون بخس ولا وكس لتمكين الناس من الحصول على مايحتاجون اليه دون أن يتحكم فيهم الجاشع الطماع

وانظر كيف حرم الاسلام الربا وجعله حربا لله ورسوله وعده النبى صلى الله عليه وسلم فى السبع المهلكات وصور فاعـله بما رواه البخارى من أن النبى عليه السلام قال :رأيت الليلة رجلين اتيانى فأخرجانى الى أرض مقدسة حتى أتيا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ،فأقبل الرجل الذى فى النهر فاذا أراد ان يخرج رماه الذى بالشاطىء بحجر فى فمه فرده حيث كان . فقلت : ما هذا الذى رأيته ؟ قال : آكل الربا !

فانظر الى نظرة الاسلام للربا وآكله الذى يريد أن يمتص دم أخيه ، فهو على غير مسلك الاسلام الذى يدعو الى التكافل والتعاون ويحث على السماحة فى المعاملة وينكر أكل أموال الناس بالباطل كما ينكر اضاعة حق الأجير ويعتبر اكل حقه من خصماء النبى يوم القيامة .

والواقع أيها القارىء ان دائرة التعامل فى الاسلام محاطة بسياج من الخلق الكريـم وبتعاليم رصينة لحمتها السماحة واليد والاخلاص والنصح ولا تنس قول الرسول صلوات الله عليه ، والذى نفسى بيده لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسـه » وهو حب عام شامل ومما ينبغى أن يكون فيه ذلك الحب التعامل . بل هذه الناحية احق النـواحى بهذا الاعتبار وخاصة ان الرسول فى موضع آخر يقول : «الدين المعاملة» وجعل حسن التعامل هو الدين فمن حسنت معاملته حسن دينـه ومن ساءت معاملته ساء خلقه ودينه . وصدق رسول الله فالتعامل هو المحك بين الناس هو المرجع فى حسن العلاقات بين الناس ودوام المحبة والترابط بينهم

ولا ينبغى أن أثقل عليك ايها القارىء فى الموضوع بأكثر مما ذكرت ، وقد تبينت ان الاسلام يحث على الرفق فى المعاملة بمقدار ما يحذر من الاعنات والمضارة فيها ، وانه يوجهنا الى حسن المعاملة ويدعونا الى التعاون والتكافل فيها حتى يبقى الود بين الناس ويدوم الصفاء والمحبة ويبيت كل عن أخيه راض .

والى لقاء فى عدد قادم ان شاء الله لنتكلم عن مظهر التكافل الاجتماعى فى الاسلام فى دائرة الاموال .

أثر الدين في المجتمع

الدكتور محمد فرج سليم

لا تستقيم حياة المجتمع فى نظر الاسلام الا اذا اخذ من الامور المادية بنصيب . ومن الامور المعنوية الروحيـــة بنصيب . فميدان عمل الاسلام هو الحيــــاة الانسانية كلها . روحيها وماديها . دنيويها ودينيها .

وقد قضى علي المادية الخالصـــة حيث قال . (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا . وما له فى الآخرة من خلاق) . وقضى على الروحية البحتة . فقال : (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) . وقال : (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق)

ولن يستقيم هذا المجتمع ما دام فى عزلة عن الدين . ولن يكون اسلاميا الا اذا كانت احكام الاســـلام وشرائعه ونظمه هم المهيمنة عليه . وفى هذا نزل القرآن يتلى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت . ويسلموا تسليما)

فليس الدين مجرد عبادات . بل ان فكرة المجتمـــع واضحة بارزة فى كل شعيرة من شعائره . فى العبادات . وفى نظمه فى المعاملات وغيرها . وهذه هى الفكرة القوية الشائعة فى كيان الاســـلام كله . فاذا شاهدنا فى بعض العصور محاولة لتضخيم الجانب التعبدى فى هذا الدين وفى عزله عن الجانب الاجتماعى . فتلك آفة العصر . لا آفة الدين .

لان الله تعالى جعل للصلاة نسبه ضئيلة من الزمن فى حياة الانسان . وجعل للمجتمع والحياة الجزء الاكبر من الليل والنهار . وهو يزيد على تسعين فى المائة منهما بل امر بهذا التوزيع الذى يلزمه هذا الزمن المتفـــاوت المتباعد (يايها الذين آمنوا اذا نودى للصـــلاة من يوم الجمعة فاسعوا الي ذكر الله . وذروا البيع . ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون : فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض . وابتغوا من فضل الله)

فالاسلام قد مزج العقيدة والعبادات بالحياة المـــادية بصـــــورة لا تطغى فيهـــا المادة على الروح . ولـــم يقف بتعاليمه فى العقائد والعبادات فى معزل وجدانى فى عالم الضمير والفكر .

وهذا هو الذى فهمه نبى الاسلام صلوات الله عليه . وفهمه الســـابقون الاولون من المهاجرين والانصـــار . بل هذا هو الذى فهمه كثير من الغربيين والمستشرقين الذين تعمقوا فى دراسة الاسلام فى محيطيه الفكرى والاجتماعى

فقد انتهى بهؤلاء تعمقهم الي الوقوف على ظاهرة عامه لها نتائجها اليقينية الحاسمة . تلك النتائج هى التي راقت النزهاء . واعجبت المحايدين منهم . كمـــا هالت المتعصبين واقلقت نفوســـــهم . وقضت مضـــاجعهم . وحملتهم على المبادرة بنصيحة صناديد الاستعمار من بنى جلدتهم . نصحوهم بالحيطة والحذر من هذه الظاهرة . وببذل كل مجهود فى منعها من ان تثمر وتؤتى اكلها .

تلك الظاهـــرة هى ان الروح الاجتمـــاعى بارز فى كـــل شعيرة من شعائر الاسلام بروزا لو فهمه المسلمون الآن واستغلوه اســـــتغلالا ذكيا حكيما لوصـــلوا به الى اوج الرفعة وقمة السمو فى جميع جوانب الحياة بلا استثناء ولاصبحوا سادة الموقف وقادة الفـــكر البشرى وزعماء المدنية الصحيحة وائمـــة الانسانية السائرين بها نحـــو الكمال .

ومن اجل هذا يقف هؤلاء الباحثون الغربيون والمفكرون المستشرقون من مبادىء الاسلام موقف الاعجاب والتقدير والاجلال . ولا يبالى المعتـــــدلون منهم ان يعلنوا هـــذا التقدير فى صراحة .

فيقول احد علمائهم ومفكريهم . كما حكاه عنه الدكتور محمد غلاب فى كتابه كنوز الاسلام :

الى مفتون حقا بهذه المرامى الاسلامية التى تهدف فى عمق الى وضع القيم الجماعية فى نصابها . وان الامر الذى هو أشد سحرا وادعى الى الاعجاب هو ان هذه المرامى كلها باطنية أصيلة فى تلك المبادىء الاسلامية . ولم تات اليها من الخارج . وانها تطبعها بطابعين ذاتيين خالدين . لا يتخلفان عنها البتة . أحدهما داخل فى مشاعر معتنقى هذا الدين . وهو مجموعة من أحاسيس التماسك والترابط وتبادل التعاون بين جميع المؤمنين (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) . والآخر طابع خارجى . وهو ما نستطيع أن ندعوه باطار الافكار واللغة والأدب والعلوم الدينية والفنون الاسلامية وطريقة الحياة ومعرفة انه كيف يجب ان يقدم مستوى الحشمة واللياقة والصالح العام على كل مصلحة فردية . وعلى أى فائدة شخصية .

ولا ريب أن هذا هو منتهي ما يرنوا اليه أرقى المجتمعات العصرية فى أوربا وفى امريكا .

ومن هنا نرى أن سبب تأثر الباحثين من الغربيين وغيرهم بالاسلام ومبادئه . وأن مصدر صلاحية الاسلام الأبدية للاصلاح الاجتماعى العام هى وحدته المطلقة المؤلفة من مبادئه التأسيسية التى اتسع اطارها لجميع الأنظمة الفردية والأسرية والجماعية والدولية والانسانية . على اختلاف اصنافها وتباين الوانها وتعدد مشكلاتها وكثرة اهدافها .

وعلى ضوء هذا التقديم الاجمالى وما هو مبين فى كتاب الله المحكم . وفى سنة رسوله الذى لا ينطق عن الهوى نرى ان نقدم نقاطا توضح كل واحد منها أثر الدين فى المجتمع .

الأمر الأول

هو ان الاسلام جرى فى سياسة المال على هدى فلسفته العامة الشاملة . فيلاحظ مصلحة الفرد . ويحقق مصلحة الجماعة . ويقف بين هذا وذاك قواما . لا يضار الفرد . ولا يضار الجماعة . ولا يقف فى وجه الفطرة . ولا يعوق سنن الحياة الأصيلة وغاياتها العليا الرفيعة .

ويسلك لتحقيق هذه السياسة طريقين . طريق التشريع . وطريق التوجيه . فيبلغ بالتشريع الأهداف العملية الكفيلة بتكوين مجتمع صالح قابل للرقى والنماء ويبلغ بالتوجيه الأهداف الكفيلة بالتسامى عن الغرائز . وبالتطلع الى حياة ارفع . وبالرقى بالحياة الى عالم المثل العليا والغايات الرفيعة .

ففى سبيل التشريع بين النظم التى بنى عليها المبادلات المالية . وفيها احكام البيع والاجارة . وبيان ما يجوز بيعه واجارته وما لا يجوز . وبين طرق استثمار الأموال من زراعة وتجارة وصناعة

وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله . والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه . كلو من ثمره اذ اثمر وآتوا حقه يوم حصاده) (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) (وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس) (وعلمناه صنعة لبوس لكم) . ووضع قواعد الشركة واحكام الأمانات وطرق الاستيثاق فى الديون . وغير هذا مما يحتاج اليه الناس فى انتظام حياتهم الاجتماعية . وترى فى كل مادة من مواد هذا الدستور روح المجتمع واضحة جلية بارزة وما هى ذى بعض الشواهد ناطقة بأن السياسة الاقتصادية الاسلامية مبنية على اساس المصلحة العامة التى تحقق النفع للفرد والجماعة وبالاهتمام بوجه خاص بمصلحة الجماعة روى البخارى ومسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا يبع حاضر لباد) زاد مسلم : (دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض)

ومعنى بيع الحاضر للباد أن يقدم غريب بمتاع تعم الحاجة اليه ليبيعه بسعر يومه . فيقول احد سكان بلد البيع : اتركه عندى لأبيعه لك علي التدريج . شيئا فشيئا . باغلى من سعر هذا اليوم . فيوافق الغريب على ذلك.

وروى البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم (نهى عن تلقى الركبان) زاد مسلم (فاذا أتى سيده السوق فهو بالخيار)

ومعنى تلقى الركبان أن يتلقى شخص طائفة يحملون متاعا الى البلد . فيشتريه منهم قبل قدومهم ومعرفتهم بالسعر

وروى البخارى ومسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا يسوم الرجل على سوم اخيه)

ومعنى سوم الرجل على سوم أخيه أن يقول رجل لمن أخذ شيئا ليشتريه بكذا : رده . حتى أبيعك خيرا منه بهذا الثمن . أو مثله بأقل . او يقول لمالكه : استرده لأشتريه منك بأكثر

وروى البخارى ومسلم عن النبي صلوات الله عليه وسلامه (لا يبع بعضكم على بيع بعض) زاد النسائى . (حتى يبتاع أو يذر)

وصورة بيع البعض على بيع البعض ان يأمر رجل المشترى لسلعة بالفسخ فى زمن الخيار . ليبيعه مثلها بأقل . أو يأمر البائع بالفسخ فى زمن الخيار ليشتريها منه بأكثر .

وروى البخارى ومسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع النجش .

ومعنى بيع النجش أن يزيد انسان فى ثمن السلعة المعروضة للبيع . لا لرغبة فى شرائها . بل ليخدع غيره

وهكذا لو تتبعنا جميع المعاملات المنهي عنها . او المأذون فيها لوجدناها كلها قد برزت فيها فكرة المجتمع واضحة تتسامى عن الغرائز الفردية والمنافع الشخصية

وفى سبيل التوجيه بين الاسلام ان المبادلات المالية عمدتها فى الاسلام . وأساسها فى الشريعة انما هو الارتباط بالالتزامات . والوفاء بالحقوق . وعدم اكل أموال الناس بالباطل . والسماحة فى البيع والشراء والمداينات .

وفى هذا يقول الله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) . ويقول : (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه . وليكتب بينكم كاتب بالعدل . ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله . فليكتب وليملل الذى عليه الحق . وليتق الله ربه . ولا يبخس منه شيئا) . ويقول : (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة . وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون)

ويروى البخارى والترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (رحم الله رجلا سمحا اذا باع . واذا أشترى . واذا اقتضى)

فبهذين الطريقين ـ طريق التشريع . وطريق التوجيه ـ تدخل الاسلام فى شئون المال . وكان لهذين الطريقين غايات قصدها الاسلام . تلك الغايات هى :

أولا أن المال وسيلة لمقصود ذاتي . وان الغرض المقصود من جمعه وانفاقه يجب ان يستقيم مع الغاية العليا لاستخلاف الانسان فى المال (آمنوا بالله ورسوله . وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير) . ولا شك ان النفقة المطلوبة هنا اعم من الزكاة .

فالمراد بها هنا كل ما يفرضه المجتمع من تكاليف لصيانة المصالح الدنيوية والدينية . وقد جاء بعد ذلك فى تعليل الامر بالنفقة قوله تعالى (ومالكم الا تنفقوا فى سبيل الله . ولله ميراث السموات والارض . لايستوى

منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل . أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) فالنفقة المبذولة هنا تعنى تضحيات الجهاد من بين ما تعنيه من شتى الأبواب .ولهذا جاء التفاوت بين المنفقين قبل الفتح وبين المنفقين بعده .

ثانيا : أن الفضائل المقررة من عدل وعفاف ورحمة وايثار ينبغى أن تهيمن على جميع التصرفات المالية (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) (وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) (فنظرة الى ميسرة . وان تصدقوا خير لكم) (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)

ثالثا : ان الاكثار من المال او الاقلال منه يجب ان لا يؤدى الى الكبر وتمزيق أوصال المجتمع . ويحرم ان تكون الرفعة أو الضعة مرتكزة على أساس مادى .

(ان الله لا يحب كل مختال فخور) (لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة . ولا تنس نصيبك من الدنيا . واحسن كما احسن الله اليك) (تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا) (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (ان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب . ولا يعطى الدين الا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه)

رابعا : ان عناية الاسلام بالمال وبالدنيا جزء من عنايته بالآخرة . (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) .

وروى مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه)

وقال الله تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم .. للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد .

خامسا : ان الاسلام يعتنى بعدم حبس المال فى أيدى طبقة خاصة . يتداول بينهم . ولا يجده الآخرون .

ولهذا نرى ان المسلمين السابقين من أهل مكة لما هاجروا الى المدينة بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتركوا أموالهم خلفهم . أصبحوا بعد الهجرة فقراء لا مال لهم . ولكن نفوس أنصار رسول الله من أهل المدينة سخت وارتفعت على الشح الفطرى الكامن فى النفس الانسانية . فرضوا باقتسام المهاجرين لهم فى كل شيء . وتآخوا مع هؤلاء فى كل ما يملكون . بل آثروهم على أنفسهم . طيبة بهذا جوانحهم . سمحة به قلوبهم .

والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم . ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم . ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

وهكذا ظهر الأنصار أهل المدينة بمظهر السماحة التامة وبعنوان السخاء الكامل. الى أن كانت موقعة بنى النضير التى سلم أهلها للنبى صلحا . وكان فيؤها لله تعالى ولرسوله عليه السلام ولذى القربى واليتامى والمساكين

وحينئذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيد لجماعة المسلمين شيئا من التوازن المالى . فاحتبس شيئا من أموال بنى النضير لنوائبه ولما يعروه . وقسم أكثرها بين المهاجرين خاصة . ولم يعط الأنصار منها شيئا سوى ثلاثة نفر منهم أو اثنين على الخلاف فى ذلك أعطاهم لفقرهم . وقال للانصار (ان شئتم قسمت أموال بنى النضير بينكم وبين المهاجرين . وأقمتم على مواساتهم فى ثماركم . وان شئتم أعطيتها للمهاجرين دونكم وقطعتم عنهم ما كنتم تعطونهم من ثماركم)

فقالوا : بل تعطيهم دوننا . ونقيم على مواساتهم . فأعطى المهاجرين دونهم . وعندئذ استغنى القوم جميعا . استغنى المهاجرون بما أخذوا . واستغنى الانصار بما رجع اليهم من ثمارهم . وبهذا نزل الوحى السماوى والتشريع القرآنى :

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا . واتقوا الله. ان الله شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا . وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)

فمن هاتين الآيتين ومن عمل رسول الله صلوات الله عليه ومن تعليل القرآن : (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) نستنتج أن الاسلام يكره أن يحبس المال فى أيدى فئة خاصة من الناس . يتداول بينهم خاصة دون غيرهم

والسر فى هذا – والله أعلم بما يريد – هو أن تضخم المال فى جانب وانحساره عن جانب آخر مثار مفسدة عظيمة . فهو يثير الاحقاد والأضغان فى نفوس المحرومين الذين لا يجدون ما ينفقون . على ذى الثراء الفاحش . ويجر أصحاب هذا الثراء الى الترف المفسد لنفوسهم المهلك لأجسامهم . ويولد فيهم طاقات حيوية فائضة . وشهوات جسدية زائدة . تجد متنفسها فى الجانب الآخر الذى لا مال له . عن طريق بيع العرض وسقوط المروءة وضياع الشرف والدعارة والقوادة وما يتصل بهذا كله من خمر وميسر .

وبسبب هذا الثراء ملق المحرومين وكذبهم وفناء شخصيتهم لاشباع غريزة الكبر . ولارضاء غرور الخيلاء الذى امتلأت به قلوب الرأسماليين . وهكذا تتهاوى نفوس هؤلاء المكروبين وتتهافت . وتتضاءل قيمهم الذاتية فى نظر أنفسهم . وتهون عليهم كراماتهم أمام سطوة المال ومظاهر الثراء . ويصبحون قطعا آدمية صغيرة حقيرة . لأنهم مضطرون . والمضطر يركب الصعب

وبهذا يتبين لكل ذى عينين جمال وجلال قول الله تعالى : (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) . فانه وان ورد فى الفىء خاصة . لكنه يشير الى اعتناء الاسلام بعدم حبس المال فى أيدى فئة خاصة . يتداول بينهم . ولا يجده الآخرون

الأثر الثانى

هو أن الاسلام بدأ ببناء فكرة المجتمع فى ضمائر الأفراد وفى وجدانهم . وغرس فى أعماق النفوس بذور الرحمة . وأخذ بيد الانسانية الى الماضى البعيد . فذكر بنى الانسان بنشأتهم الأولى من نفس واحدة . وأيقظ بين جوانحهم شعور النسب والقربى . وأخوتهم فى المنشأ وفى المصير الى الله تعالى

فاذا رقت قلوبهم بهذه المشاعر اللطيفة كانوا الى السماحة أقرب والى السلام أدنى . وهانت أسباب الخلاف بينهم . وكادت أن تنتهى سبل النزاع . وكان ذلك الوجدان الحي اليقظ بمثابة الضمانة الوثيقة للشرائع والقوانين والنظم . وسارت عجلة حياة المجتمع فى يسر ورفق وسماحة . ما دام شعور كل انسان يقظا ومدركا أن البشرية كلها تنتظم فى نسب واحد . وفى اله خالق واحد . وما دامت تلك الصلة الكبرى وثيقة عميقة

الأثر . تحتل القلوب . وتملأ الجوانح . وتشمل الناس جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم واجناسهم ولغاتهم .

قال الله جل شانه (يايها الناس اتقوا ربكم . الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)

ولم يكتف الاسلام بهذا . بل اخذ بيد المؤمنين الى الواقع الملموس . والى الحقيقة الحاضرة . فبين لهم انهم أقرب رحما . بحكم أخوتهم فى الله والتقائهم فى العقيدة التى يعدها الاسلام أوثق من روابط الدم . واقوى من وشائج النسب

قال تعالى : (انما المؤمنون اخوة) . وروى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

وبايقاظ الضمائر الى هاتين الاخوتين تمتلىء النفوس بالحب والرحمة . وبالعطف واللين . ويحصن المجتمع ضد نار الخصومة والقسوة وغلظة القلوب واشتعال نار الفتنة والتفرق

ولم يكتف الاسلام بغرس الرحمة فى النفوس . ولا بايقاظ الضمائر لاخوتى الانسانية والدين . بل جعل الايمان الصادق معلقا على الحب والاخلاص

فقد روى البخارى ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه)

وجعل الاسلام الغلظة والقسوة سببا فى التفرق المذموم . وفى تفكك المجتمع وانهياره . وعنوانا على الكفر والتكذيب .

فقال تعالى : (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

وقال : (أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين)

والرحمة التى دعا اليها الاسلام ليست خاصة بالمجتمع الاسلامى . ولكنها مطلوبة لجميع الادميين . بل لجميع الأحياء .

وهذه غاية لا تبلغها الا العقيدة المؤمنة بالوشائج الكبرى بين الأحياء جميعا . وبوحدة الخالق ووحدة الخلق فى المجتمعات الحيوانية الفقيرة

قال تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم . وتقسطوا اليهم . ان الله يحب المقسطين) .

وقال : (ولقد كرمنا بنى آدم)

وروى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش . فوجد بئرا . فنزل فيها . فشرب . ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ بى . فنزل البئر . فملأ خفه . ثم أمسكه بفيه . فسقى الكلب . فشكر الله له . فغفر له . قالوا : يارسول الله . وان لنا فى البهائم أجرا ؟ قال : نعم . فى كل ذات كبد رطبة صدقة)

وفى قول الله تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) معنى انسانى بديع واف . لا يدع مجالا لذرة من ريب فى أن الاسلام انما جاء ليمنح البشرية الأخوة والحب والرحمة والسلام

وهكذا يقوم الأدب النفسى الوجدانى بدوره فى تصفية جو الحياة . وأشاعة المودة والالفة فى النفوس . ويساهم فى بناء السلام فى المجتمع وفى عالم الواقع وعالم الشعور

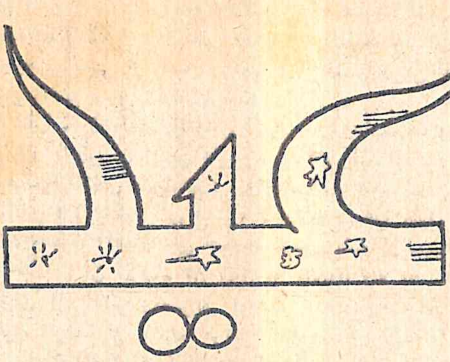

العيد ، على ما نعرف من قواعد اللغة ، كلمة ماخوذة من العود والعودة بمعنى الرجوع . لأن هذا اليوم الموعود يعود ويرجع الى الناس مرة كلما دارت دورة الفلك سنة قمرية كاملة .

وفى « القاموس المحيط » أنه كل يوم يجتمع فيه الناس . وهذا المعنى ينطبق تماما على عيدى الفطر والأضحى وجميع الأعياد الاسلامية والوطنية ، وتتجلى فيه الصورة الاجتماعية بجلاء ووضوح .

وللكلمة معنى آخر يهم عشاق الأدب وهواة التوسع اللغوى ، هو أن العيد ما يعتاد نفس الانسان من الأحوال المتغايرة التى لا يخلو من مكابدتها حينا بعد حين . ومنه قول « ثابت بن جابر » الشاعر الجاهلى المبدع الملقب « تابط شرا » :

يا عيد مالك من شوق وايراق
ومر طيف على الأهوال طراق

وهذا البيت من قصيدة له ، يرجع اليها فى ديوان « المفضليات » وهى من عيون الشعر الجاهلى الذى يتدفق بطولة ورجولة وحماسة وشجاعة ومروءة وكرما وأريحية لم تعرف فى شعب من شعوب الأرض ما عرفت فى الأمة العربية المنيفة .

اما سبب تسمية « عيد الفطر » هذه التسمية فلأنه يأتى بعد صيام عظيم فيباح فيه الأفطار الذى هو ضد الصوم ، ويتمتع فيه المسلم بأجر افطاره ، كما سبق ان تمتع فيه بأجر صومه لان كليهما طاعة مفروضة وواجب محتم من عصاه عد شاذا عن جماعة المسلمين عاصيا لرب العالمين .

ولعل هذا هو مرمى الحديث الشريف الذى ورد فى السنة الصحيحة : (للصائم فرحتان فرحة يوم فطره وفرحة يوم لقاء ربه) .

وأما عيد الأضحى فسمى بذلك لما يقدم فيه من الأضاحى التى يضحى بها تقربا الى الله ، على سنة أبينا ابراهيم عليه السلام وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم .

ويقع عيد الفطر اول يوم من شهر شوال ، واليومين التاليين له ، كلما اسفرت دورة الفلك عن هلال ذلك الشهر ، فى كل عام . وعيد الأضحى فى عاشر ذى الحجة واليومين التاليين له .

وعيد الفطر عيد اسلامى عظيم لوقوعه ختاما لموسم هام من مواسم العبادة الاسلامية وهو شهر رمضان المبارك الذى نزل فيه القرآن الحكيم ، نورا وهدى للناس ونصرا للحق ، وقهرا للباطل ، وارشادا الى طريق السعادة والاستقرار والسلام .

الفطر

فضيلة الشيخ أبو بكر محمد ذكري

ولما كان من شان المجتمعات مهما كان مكانها من الدقة والتحوط ان تستبدل سننا بسنن وعادات بعادات وتقاليد بتقاليد كان من الواجب علينا أن نفتح عيوننا دائما على طريق النور والهدى المبين الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وان نغلق عيوننا وآذاننا عن كل بدعة وكل ضـــلالة وكل انحراف عن ســواء السبيل .

وليس بخاف على ذى عقل ان الله سبحانه وتعالى قد شرع لنا هذه الأعياد والمواسم لكى نستزيد فيها من البر والاحسان ونتعرض فيها لنفحات الله حتى لا يفوتنا حظنا منها . ولئن كانت اســـواق الدنيا ومواسمها التجارية تجذب الألوف والمــلايين ، كما يجذب الطعم الشهى اســماك البحر ، ليغنموا منها الارباح مغامرين فيها بالخسائر الفادحة فمن الاحرى بنا معاشر العقلاء ان نغتنم هذه المواسم لننال أرباحا من الخير صافية من كل خسارة بعيــدة عن كل بوار . وانه ليعد من أفن الرأى وهفت الفكر أن نخرج أنفسنا من هالة الروحانية ودارة الحكمة والعقل والرزانة لنجمح كالعجماوات وراء بدع الشهوات وسمومها القاتلة .

وفى كتاب « الابداع » لشيخ الوعاظ والمرشــدين المرحوم الشيخ على محفوظ كلمة بليغة فى هذا المعنى اذ يقول : ولكن الشيطان لعنه الله قد آلى على نفسه ان يصــد الناس عن ســواء السبيل ويقعد لــهم بــكل صراط مستقيم ليحول بينهم وبين احسان الله ورحمته ويقذف بهم فى مهاوى الشقاء والحرمان فزين لهم ان هذه الاوقات اعتبرت للراحة واللعب وميدانا للشهوات ورسم لهم فيها من ضروب الهوى والغواية ما استمال به قلوبهم وصرفهم بذلك عن الهدى والرشد ووضع لهم مكان كل سنة بدعة حتى تعرضوا فيها لمقت الله وغضبه بدل رضوانه واحسانه .. (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين) .

ولما كانت الحرمات واضحة المعالم والسنن ظاهرة الحدود كان علينا أن نهيب بمن غلبت عليهم شقوتهم واعمت الغرائز بصائرهم ليفيئوا الى العلم بعد الجهل والهدى بعد الضلال .

أصبح التقليد المتبع عند أبناء هذا الزمان أن يتظاهر الثراة بما لهم من حول وطول وقدرة على الانفاق فى وجوه الشهوات من ملبس ومأكل ومشرب ومركب وزينة وطرب . وبذلك لا يتحصل من وراء عبثهم هذا الا اثارة الغلاء واشاعة القلق والحسد والرغبات المكبوته فى نفوس الفقراء ومن لم يؤتوا مثل ثرائهم ، فيكون قصارى عقــلائهم ان ينطووا على همومهم ويحاولوا الصبر عــلى حرمانهم ، على حين يحاول بعض الاغرار منهم ان يظهروا من القــدرة بما ليس فيهم ومن الثراء بما ليس لهم فيتكبدوا من الديون ما يربك اقتصادهم المحدود وجهدهم القليل وتنتهى أيام العيد كالحلم اللذيذ سرعان ما ينتهى ثم يستيقظون على حقيقة أمر فى حلوقهم من الحنظل وأوجع من السياط واسخف من ذلك ان يخرج الناس الى الخلوات والطرقات فى ضجيج تأباه الأخلاق ومظاهر تدل على انهم بلغوا من الهمجية ما هو افظع من مستوى البهائم مع أن ســنة العيد تبــدأ بالتفكير فى حاجــة المحتاجين واخراج الزكاة للمحرومين ومعاونة العاجزين ليكون لهم فى مثل هذه الأعياد سهم البشر ونصيب من الحياة المطمئنة .

وقد كان من سنة النبى صلى الله عليــه وسلم أن يخرج زكاته صباح العيد ويفطر على ثمرات ثم يخرج الى مصلاه ليتجمع حوله أصحابه كالنجوم حول البدر يتبادلون مظــاهر الحب والعطف والتعاون ويكبرون الله ويحمدونه على نعمة الاسلام وهديه المبين فاذا قضوا صلاتهم رجعوا من طريق آخر غير الذى ذهبوا منه لتكون مسالكهم فى الطرقات رمزا حيا على سعيهم فى الخير والاكثار من طرقه .

فاذا عادوا الى بيوتهم اشتغل كل بما يصلح شئونه الدينية والدنيوية وبما يعود على أهله وجيرانه ومواطنيه بالخير والسعادة .. اما نحــن فقد شاع فينا مظهر الفردية الى حد ان يذهب الفــرد الى المسجد الذى تعوده فيجلس مرددا كالببغاء كلمات تعودها ومرن على نطقها دون فهم للغرض منها ولا للحكمة التى شرعت من أجلها . انما هى تقاليد وكفى . فاذا ما خــرج المصلون عرج القرويون منهم الى القبور ليبكوا موتاهم الذين لم يمض عليهم العام بأصوات تقلق الموتى فى مضاجعهم ، ويعرج أهل المدينة على القبــور لكى يتبــادلوا فيما ابدعته ميولهم وغرائزهم من بدع وشهوات ما انزل الله بهــا من سلطان .

ان الاعياد الاسلامية انما هى مظاهر للروح الاجتماعى الرفيع السامى المهذب : تواد وتراحم وتعاون على الخير وسعى فى ســبيله . انها تجــديد كلمات كلما جدت الذكرى لتجديد العزائم وشحذ الارادات على العمل الصالح والخير العــا .

ولو أن امكانيات عصرنا هذا قد اجتمع لها ما كان لنا سابقا من جد وتقى وصلاح وايمان ما كنا نرى عيدا واحدا يمر الا وقد ترك وراءه المشروعات الاصلاحية الممولة المدروسة التى يحتاج اليها المجتمع كحاجته الى الماء والهواء والنور .

ومن الدلائل القوية على ماكان فى نفــوس السلف الصالح من أهمية واعتبــار لهذه الأعيــاد أنهم كانوا يحرصون على اعطائها صورة اجتماعية تمثل المجتمع الاسلامى كله برجاله ونسائه لا يتخلف أحد ممن تجب عليه الصلاة . روى البخارى بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما (أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها ، ثم اتى النساء ومعه « بلال » فأمرهن بالصدقة فجعلن يلقين تلقى المراة خرصها وســخابها) والخرص بضم الخاء وكسرها حلقة من الذهب أو الفضة . والسخاب بوزن كتاب نوع من القلائد تلبسه النساء .

ومن الحديث الشريف نأخــذ أن المجتمع كان يعد المرأة اذ ذاك الدعامة الثانية بعــد الرجل فى حمــل المسئولية فيدعوها فى التجمعات العامة ، ويشركها فى جمع التبرعات وتمويل الخزانة العــامة وكل مهم من شئون المجتمع وفى البخارى أيضا عن أم عطية رضى الله عنها قالت : (كنا نؤمر ان نخرج يوم العيد حتى نخرج

البكر من خدرها ، حتى نخرج الحيض فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم ويدعون بدعائهم ، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته) وفى حديث آخر ان الحيض كن يشاركن القوم فى كل شيء من تكبير ودعاء ما عدا ساعة اقامة الصلاة فقد كن يعتزلن المصلى ويجلسن بمعزل عن مكان الصلاة لان الحائض يحرم عليها الصلاة .

ومن هنا نعلم أن المراة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تبرز فى المجامع وتشارك فيما يشارك فيه الرجال مع التحوط والصيانة وعدم خشية الفتنة ، وأن ما تعوده المجتمع الاسلامى بعد ذلك من عزل المرأة عزلا تاما وراء الجدران انما هو تطور اجتماعى جديد ابتدعه الناس عندما رأوا فساد الاخلاق وتدهورها وشيوع الفساد وعموم الفوضى .

ومن النصوص القاطعة الدالة على تحريم البدع فى هذه الأحفال الاجتماعية ، ووجوب مراعاة الصالح العام ما ورد فى البخارى من رواية سعيد بن جبير رضى الله عنه قال كنت مع ابن عمر حين أصابه السنان فى اخمص قدمه فلزقت قدمه بالركاب فنزلت فنزعتها ، وذلك بمنى فبلغ الحجاج فجعل يعوده : فقال الحجاج لو نعلم من أصابك ؟ فقال ابن عمر : أنت أصبتنى . قال : وكيف ؟ قال حملت السلاح فى يوم لم يكن يحمل فيه وأدخلت السلاح الحرم ولم يكن السلاح يدخل الحرم .

عظة والله تشترى بأغلى الأثمان أن يحمل ابن عمر رضى الله عنهما الحجاج وزر الجرح الذى أصابه من يد مجهول لان الحجاج وهو قائد وأمير ، يقلده كثير من العامة ، تغافل عن حكمة شرعية هامة وأباح لنفسه حمل السلاح الشائك فى مجتمع يتزاحم فيه الناس فقلده المغرورون والجهلاء ، فحدث ما حدث لعبد الله بن عمر وهو صحابى جليل له مقامه وحرمته . والآن فكم من الأذى يحدث لعامة الناس بسبب هذه البدع العمياء ؟

ولعل ما يحدث فى أيامنا هذه من فرقعة المفرقعات السخيفة أيام الأعياد بين المارة وتحت أرجلهم ومن فوق رؤوسهم قد يحدث من الأضرار مصائب أعظم وأفخم . اذ قد ينشغل بها المارة عما حولهم من أرتال السيارات المسرعة فتدهمهم فيرجعون الى بيوتهم جثثا باردة ، بعد أن خرجوا فى العيد للارتياض والتنزه والتمتع بمباهج الحياة . ويقاس على ذلك فى هذه الأعياد المباركة جنون السرعة الذى يزدهى الجهلة من ركاب السيارات الخاصة يندفعون بها عميا وصما وكأنما تحولوا الى آلات ميكانيكية ينقصها العقل الاليكترونى والعقل الانسانى معا ، والقلب الانسانى الذى يستشعر الرحمة ويحس آلام الناس .

وقد يتجه الينا سؤال السائل يقول : اذا كنا سنحرم كل خروج على المعتاد ، فى أيام الاعياد فكيف تكون أعيادا ؟ والجواب الحاسم من نصوص الشريعة ان الذى يحرم انما هو البدع الدينية التى لم يرد لها أصل فى الشرع ، والتقاليد والعادات التى تنافى الخلق والادب الاسلامى كما نرى فى مبيت الناس فى المقابر رجالا ونساء بحالة تتنافى وحرمة الموتى وآداب المجتمع الشريف ويلحق بذلك الرقص الخليع فوق العربات وفى مسالك الطرق والمتنزهات مما يثير غرائز الجهلة ويؤدى أحيانا الى الوقوع فى جرائم أخلاقية غليظة .

أما المتع المعتدلة المهذبة التى لا ضرر منها فان الاسلام لا يحظرها وان كان بعض الناس يتشدد فيها عادة ويمنعها بتاتا .. جاء فى صحيح البخارى بسنده الى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : دخل ابو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث قالت : وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر : أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك فى يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا) .

ومن هذا الحديث نأخذ أن بعض العلماء قد يسهو عن الحكم الصحيح لسهوه عن مبررات العمل فيرشد الله الى الحق من هو أعلم بالحكم والأسباب . فهذا أبو بكر الصديق مع جلالة قدره ووفرة علمه يحسب أن الغناء محرم على أى وجه وفى أى حال وفى أى زمان . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتداركه ويرشده الى الصواب ، منبها اياه على النفس الانسانية لا تستطيع الكبت الدائم ، فلابد لها من تنفيسات بين الحين والحين ، ما دامت لا تجرح الادب ولا تمس الأخلاق . وماذا عساه يمس الأخلاق فى ان تتغنى جاريتان بشعر لا تخرج معانيه عن الفخر بالشجاعة فى الحرب وذكر مفاخر الآباء والأجداد وما لا يخرج عن ذلك ؟ وخصوصا فى بيت هو قدوة فى كل خلق وكل صيانة وكل حفاظ على الشرف والكرامة .

ومن سنن العيدين الفطر والأضحى ان يبدأ الانسان يوم العيد بالاغتسال والتجمل بأحسن ما عنده من الثياب لكى يكون المظهر الاجتماعى للأمة الاسلامية بالغا حد الكمال . واذا استطاع ان يتطيب بشيء من الطيب فليفعل لكى يستريح اليه جليسه أينما جلس .. وما أكرم آداب شريعتنا التى تأخذنا بكل ما فيه خيرنا وسعادتنا .. وما أشد بلوانا بقوم يعيشون بيننا بأجسادهم التى تجردت من روح الاسلام ومحاسنه ومزاياه العالية . لا يعنيهم يوم عيد ولا يوم جمعة فيذهبون الى الصلاة فى قذارات ليس فيها من الثياب سوى أشباح وخيالات رائحتها تزكم الانوف وتستدر العيون دموعها ، اذ تكحلها بكحل لا يباع ولا يشترى ، ويستعاذ بالله منه ، وتصدع الرؤوس بما يكسبها الدوار .. وعندما نرى أظافر أيديهم وأرجلهم تجزم بأنها لم تغسل ولم تهذب منذ شهور وأنها لا فرق بينها وبين مخالب الحيوان المفترس الا ان صاحبها عريض الأظفار .

أحكام متفرقة فى صلاة العيد وفضل العيدين .

« قال صلى الله عليه وسلم : (من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) أى يوم يكتب اصحابها) « من موتى القلوب وهم المنحرفون عن طريق الاسلام الصحيح الذين يموتون على الغفلة قبل ان يستقيموا على الطريق » .

صلاة العيد وقتها من ارتفاع الشمس مقدار قامتين الى وقت الزوال . فاذا فاتت الامام وأهل الحى لعذر قضيت فى اليوم التالى ، فيما بين بدء وقتها وبين الزوال فاذا فاتت بعذر لم تقض بعد ذلك .

أما الفرد اذا فاتته فانه يصلى ركعتين منفردا وبلا تكبير .

خطبتا العيد بعد الصلاة ، عكس خطبتى الجمعة ، ومن خالف فقد ابتدع .

فى تكبيرات العيدين ترفع الأيدى بخلاف الصلاة على الميت .

اختلف العلماء فى التهنئة المتبادلة بين الناس بالعيدين . فقيل بدعة ، وقيل من قبيل المباح .
والله أعلم .

رسالة
الأعياد
في الفكر الإسلامي

الدكتور لطفي علي

كتب كثير من العلماء والمفكرين عن حكمة الصيام وعن عيد الفطر ، وليس من السهل اضافة شيء الى ما قيل دون الوقوع في تكرار ممل يبتعد بالمقال عن مجال الثقافة الى مجال الوعظ . لذا رايت ان اتناول هذا الموضوع من ناحية الوحدة الفكرية العامة المتاصلة في الدين الاسلامي ، لاننا لو تعمقنا في الفكر الاسلامي لوجدنا انه يشمل جميع نواحي الفكر الانساني ، مع انه ظهر في وقت لم يكن التراث الفكري العالمي قد وصل الى مرحلته الحالية .

ان الدين الاسلامي دين علم وعمل ، دين روح ومادة ، دين يعالج مشاكل المجتمع عن طريق تربية النفس البشرية روحيا وماديا ، وذلك لاقامة مجتمع انساني تسوده المثالية الاخلاقية التي يتحدث عنها كبـار المفكرين الغربيين وكما يعنيها الفيلسوف الالماني « كانت »

من هذه الزاوية وحدها اريد أن أبحث الحكمة من فرض الصيام وزكاة الفطر ثم اعتبار ذلك عيدا قوميا للمسلمين في جميع بقاع الارض .

يهدف الاسلام كدين سـماوي الى اقامة المثالية الاخلاقية في المجتمع الانساني ، وهو في سـبيل ذلك لا يفصل ابدا بين الروحانيات والماديات ، فهو يتحدث عن وحدانية الله ويدعو الى اقامة الصلاة ولكنه في الوقت نفسه يربط بين كل هذا وبين أمور الدنيـا المتصلة بالمجتمع الانساني كوحدة أخلاقية ، لأنه يتناول في كثير من احكامه وتعاليمه العلاقات العامة التي يجب ان تسود المجتمع ، كما انه يشير الى مباهج الدنيا وزينتها حيث ورد في القرآن الكريم « المال والبنون زينة الحيـاة الدنيا » ، فضلا عن ذلك فقد وضع الاسـلام بعض المقاييس العامة التي يجب أن يسير الفرد على هداها في حياته حيث ورد في كتابه العزيز « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا »

يمكن اذن ان نقول بحق ان الاسلام كرسالة سماوية اساسها علاقة الانسان بربه لم يفصل ابدا بين هذه العلاقة وبين الانسان باخيه الانسـان أولا ثم علاقته بشئون الدنيا ثانيا ، ويحق لنا نحن المسلمون ان نعتز بان تعاليم ديننا هي المنبع الاول التراث الفكري العالمي الذي يدعو الى اقامة « مثالية اخلاقية » تحكم المجتمعات وهو الهدف الاسمى الذي تصبو اليه الانسانية الآن والتي يدعو اليه كثير من الفلاسفة والمفكرين الذين جاءوا بعد الاسلام .

ان اظهار هذه الناحية الفكرية المنبثقة من تعـاليم الاسلام هي أهم بكثير من ابراز فضائل التعاليم نفسها مجردة من هذا الفكر العام المتاصل في الاسـلام كدين اجتماعي يهدف الى اقامة المثالية الاخلاقية في المجتمع الانساني باسره للمسلمين ولغير المسلمين انه دين قوة وعدل ، دين اقناع واقتناع ، دين اقامة الحدود العادلة لجميع المعاملات البشرية .

ان كل صغيرة وكبيرة في الدين الاسلامي قد شرعت للوصول بالانسانية الى صورتها المثـالية كما يريد رب العباد الذي خلق الانسان ثم كرمه عن سائر المخلوقات فوهبه العقل الذي يستطيع أن يميز به بين الخير والشر . ان كل التعاليم الاسلامية كوحدة فكرية تبدأ من هذه النقطة وتنتهي اليها ، فمع أن الاسـلام فرض الصلاة حتى يقف الانسان بين يدي ربه ذاكرا فضـله عليه ، مجددا العهد والولاء لتعاليمه سبحانه وتعالى ، الا ان الشريعة الاسلامية فضلت صلاة الجماعة على صلاة الفـرد حتى لاتنفصـل علاقة الفـرد بربه عن تذكيره بعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه لأن صـلاة الجماعة تغرس في النفس روح التاخي والمحبة وعـدم التفرقة .

لقد تأكد هذا المعنى بفرض صلاة الجماعة يوم الجمعة لانه قد يتعذر على الفرد بحـكم عمله ممارسة صلاة الجماعة لأن الدين الاسلامي لا يغفل ناحية العمـل في الحياة الدنيا ابدا ، ولذا فرضت صلاة الجمعة في يوم واحد من كل أسبوع وفي ساعة واحدة حتى يستطيع

المسلمون تنظيم شئونهم لادائها دون ان يتأثر دولاب العمل العام في المجتمع .

يتضح من هذا ان الفكر الاسلامي يهدف الى اقامة مجتمع متماسك محب للخير ففضل ان يصلي الفرد بجوار اخيه المسلم في حدود ما تسمح به ظروف عمله الانساني كفرد يساهم في بناء المجتمع، ثم أوجب ذلك على المسلمين جميعا مرة كل أسبوع حتى يوفق بين احتياجات المجتمع للعمل الدنيوي واحتياجاته لروح التآخي والمحبة والمساواة . ان خيوط الفكر هذه ، التي تربط بين التعاليم الاسلامية كوحدة فكرية تهدف الى المثالية الاخلاقية . وهي نفسها التي اوحت بفرض الصيام مرة كل عام في شهر رمضان . ان صلاة الجماعة تربط بين افراد المجتمع على مستوى عدد قليل من الافراد ، اما صلاة الجمعة فانها تربط بين افراد المجتمع على مستوى القرية او الحي او المنطقة . لذا كان لابد من اكمال الحلقة بفرض الصيام على جميع المسلمين في وقت واحد من كل عام . كما فرضت صلاة الجمعة في وقت واحد من كل أسبوع ، وذلك للربط بين المسلمين في جميع بقاع الارض حتى يشعر المجتمع الاسلامي بوحدته وتنمو فيه روح المحبة والشعور بالهدف الواحد لتحقيق المثالية الاخلاقية .

فرض الصيام لتحقيق هذه الرسالة الاخلاقية السامية ، ولكن الرسالة تكون احكم واقدر على تحقيق الهدف اذا اشتملت على الدوافع الفعالة لتربية النفس روحيا وماديا . ان الصيام بدون شك يحقق هذه النواحي التربوية فهو تربية للنفس على تحمل الحرمان مما تشتهي كما انه تربية لها على تحمل مشاق الجوع والعطش . واذا كانت الدول المتقدمة تتسابق في مضمار استخدام الرياضة البدنية كوسيلة لتربية النشء على الصبر وقوة التحمل وبث روح التآخي والتعاون فان الصيام بدون شك يقوم بهذه الرسالة التربوية ، بل انه يزيد عليها لانه يفرض تحمل المشاق تحت ظروف الحرمان المؤقت من شهوات النفس المشروعة وهذا وحده تربية روحية ومادية لجميع المسلمين .

ان الذين يحاولون التهرب من الصيام بحجة عدم ملاءمته صحيا أو هؤلاء الذين يريدون ان يخرجوا بالصيام عن هدفه بوضعه في صورة علاج لامراض الجسم انما يحاولون ان يحيدوا بنواحي الفكر العام في الدين الاسلامي ، الذي يهدف الى تحقيق رسالة سامية ، الى نواحي الفكر الخاص الذي يبتعد بالدين عن اهدافه الاجتماعية . ان الصيام لم يفرض الا على الاصحاء القادرين على تحمله من غير ضرر ، أما الذين يتضررون منه فقد أحل الله لهم الفدية اذ ورد في كتابه العزيز « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ، ولذا فان تعلل البعض بعدم استطاعتهم الصيام لعجزهم النفسي عن الامتناع عن شهواتهم غير مقبول من وجهة المنطق العام . أما تبرير الصيام صحيا فانه يخرج بالحكمة من فرضه عن هدفها ، لأن المفروض أن تتحمل النفس مشقة في الصيام أكثر مما ألفت ، وذلك في حدود عدم وقوع ضرر لا يمكن تلافيه . ان وجود هذه المشقة في الصيام شرط أساسي لتربية النفس روحيا وماديا على الصبر وتحمل الصعاب والتعود على الحرمان تحت الظروف التي تعود عليها الانسان ولذا فان تبرير الصيام صحيا يحيد به عن الهدف الاجتماعي والتربوي المقصود به . اما الارشاد للحد من نواحي الاسراف في المأكل والمشرب بعد فترة الصيام اليومي فهو ليس واجبا فقط للابتعاد بالفرد عن النواحي التي تضره صحيا بل هو أوجب لكي تتم رسالة الصيام ، لأن محاولة تعويض الحرمان المؤقت بالاسراف في اشباع الشهوات مؤقتا يضعف الرسالة التربوية نفسها لأن المفروض أن يتحمل الانسان الحرمان مع عدم الخروج عن مألوف معيشته ، والمفروض أيضا هو الاسراف في التآخي والتقارب والبر بالفقير والابتعاد عن الرذائل التي تضر الفرد والمجتمع ، لذا فان مظاهر الاسراف في المأكل والمشرب هي خروج عن الهدف الأصلي لحكمة الصيام . ولقد أصبح هذا الاسراف للاسف مظهرا من مظاهر الترف في المجتمع الاسلامي الحديث .

ان الحكمة من الصيام لم تضعف فقط بهذا الاسراف ولكنها ضعفت أيضا عن طريق تخفيف عبء العمل عن الصائم لان المفروض ان يقوم الصائم بنفس الأعباء المطلوبة منه في الشهور الاخرى مع تحمل مشاق الصيام الا اذا كانت الأعمال التي يقوم بها الفرد من المشقة بحيث لا يستطيع الجمع بينها وبين مشاق الصيام نفسها فيتحتم هنا تخفيف عبء هذه الأعمال للحد المطلوب أو توزيع عبء العمل على فترات زمنية تجعلها محتملة مع الصيام ، ولذا فان تعطيل دولاب العمل عن طريق تخفيف العبء عن الافراد حتى يهون عليهم الصيام هو انحراف بالمجتمع عن الأهداف المقصودة منه .

يحتفل المسلمون بعيد الفطر بعد قيامهم بواجبهم نحو ربهم ونحو مجتمعهم ، ولا يمكن الحديث عن هذا العيد مجردا عن ارتباطه بحكمة الصيام التي ترتبط بدورها بالفكر الاسلامي الذي يهدف الى اقامة مجتمع المثالية الأخلاقية . ان الاساس الفكري الذي يرتكز عليه عيد الفطر هو شعور الانسان باداء رسالته بحكم كونه عضوا في مجتمع تتشابك فيه المصالح الفردية مع المصلحة العامة لهذا المجتمع . ان حكمة عيد الفطر ليست فقط في تقوية الشعور بالمسئولية عن طريق اطمئنان النفس وارتياحها لما قامت به ولكن جذور هذه الحكمة تمتد الى الاحساس الداخلي لضمير الفرد لأن الضمير الحي لا يستسيغ الشعور بالمشاركة في العيد وفرحته الا اذا كان الانسان قد أدى واجبه كاملا حتى يشعر بهذه المشاركة من داخل نفسه . انه اذن اختبار للضمير الانساني من ذات الانسان نفسه ومطرقة مسلطة على الوجدان الانساني حتى يشعر برسالته في الحياة كاملة . انه نداء للضمير الحي ليثوب الى رشده اذا كان قد خرج عن حكم المجتمع ، انه دعوة ليراجع الانسان نفسه بوحي من ضميره ، ولهذا فان اقامة الشعائر الجماعية في عيد الفطر هي الترجمة الحقيقية للفكر الاسلامي العام الذي يهدف الى مجتمع المثالية الاخلاقية عن طريق الوصول الى الضمير الانساني ليهزه هزا ، منبها اياه الى مسئولياته في مجتمع تسوده الفضائل الانسانية

أن جميع الامم المتقدمة تحتفل بالمناسبات الوطنية التي تعبر عن عمل قومي له دلالته بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد ، حتى يشعر الفرد بقيمته كقوة في مجتمع يعيش فيه الفرد للكل قبل اي يعيش لنفسه فقط . هذه الاحتفالات التي تسود المجتمع العالمي في جميع المناسبات الوطنية والقومية هي الصورة الحية للفكر الاسلامي الذي فرض المناسبات القومية التي تلقي على النفس البشرية عبء المسئوليات للشعور بالجماعية التي تربطها الفضائل الانسانية ثم خلق الاعياد القومية ليشعر الانسان بكيانه كقوة في مجتمع يرتبط بشعائر تنبذ الرذيلة وتحبذ الفضيلة النابعة من الضمير الانساني نفسه .

ان أثر عيد الفطر لا يمتد فقط الى الصائم الذى ادى رسالته أو الى المنحرف الذى فقد سلطانه على نفسه ولا زال عنده بقية من ضمير ، ولكن هذا الاثر يمتد أيضا الى النشء الصغير ، الذى لم يفرض عليه الصيام بعد ، والى الضعيف الذى أعجزه ضعفه عن اداء رسالته . ان النشء الصغير يجب أن يحس بالمسئوليات ويعيش فيها قبل أن تفرض عليه فرضا . ان الضعيف يجب أن يشعر رغم ضعفه انه لا زال عضوا فى مجتمع يرتبط به فى جميع كلياته وجزئياته لان هذا المجتمع قدر ضعفه ففرض عليه مسئوليات بقدر ما يستطيع لان الفكر الاسلامى لا يكلف نفسا الا وسعها.

ان الفكر الاسلامى يسمو فوق الأفكار البشرية بفرضه زكاة الفطر تعميقا لروح الجماعية المتاصلة فيه ، وحتى لا تكون فرحة العيد عند البعض مثارا للحقد والحسد عند البعض الآخر ، وهو بذلك يضع الاسس لاقامة مجتمع تسوده المحبة ويعمه الاخاء وتتوزع فيه الاعباء كل على قدر استطاعته .

هناك بعض الآراء التى تنادى بوجوب جمع الزكاة قهرا ثم توزيعها . هذه الآراء تتعارض مع حكمة الزكاة التى فرضت لاهداف اجتماعية انسانية ولذا فان اداء هذه الفريضة يجب أن ينبع من صميم الشعور بالواجب والايمان العميق بتعاليم الدين حتى يرجع الفرد الى ضميره فى هذه المناسبات فيحاسب نفسه بنفسه ، لانه لا فائدة ترجى من مجتمع انعدم فيه الضمير الانسانى نفسه ، ولذا فان الفكر الاسلامى لم يغفل ابدا اهمية الدور الذى يلعبه الضمير الانسانى نفسه لاقامة المثالية الاخلاقية لانه فرض الزكاة فى مناسبات مختلفة ثم وضع لها حدا أدنى ثم ترك للفرد حرية ادائها كفريضة دينية واجتماعية سيحاسب عليها امام الله اذن هى تنبع من وازع الضمير والايمان حتى لاتسود المجتمع مجرد نصوص قانونية تنفذها قوة جبرية ، خصوصا وأن الفكر الاسلامى نفسه لم يحرم أولى الأمر من حق اقامة التوازن الاجتماعى والاقتصادى فى المجتمع حيث ورد فى كتابه العزيز « وفى اموالهم حق للسائل والمحروم » اذن فالفكر الاسلامى يعطى لأولى الأمر الحق فى فرض الضرائب وتوزيع الاعباء لاقامة مجتمع متوازن اجتماعيا واقتصاديا هذا الحق يجب أن لا يمتد الى الفرائض التى شرعت لانماء روح الشعور بالواجب والمسئوليات الجماعية فى المجتمع لأن الفكر الاسلامى كرسالة سماوية يهدف الى علاج نواح تنازع الخير والشر فى النفس البشرية ويعتبر مصدر الفكر الأول الذى أنار الطريق لاقامة المثالية الاخلاقية ، ولن يستطيع العقل البشرى نفسه اضافة جديد فى هذه الناحية مهما بلغ من قوة ، وهذه ناحية من نواحى الاعجاز فى الدين الاسلامى .

هل يستطيع عقل بشرى ، بعد كل ما ذكر ، أن ينكر أن فريضة الحج لا تحقق رسالة اجتماعية عميقة الأثر فى النفوس البشرية ؟ ان الفكر الاسلامى ممثلا فى جميع فرائضه وأعياده ينبع أصلا من الاحساس بان هدف الانسان من الحياة هو السمو بنفسه للتغلب على النواحى العاطفية التى قد تجرده من الفضائل الجماعية أو تحاول النزوع به الى الانانية الفردية المقيتة التى تزعزع كيان جميع المجتمعات البشرية .

ان وثيقة حقوق الانسان كما أعلنتها هيئة الأمم لايمكن أن تتمثل فى أى مظهر من مظاهر الحياة كما تتمثل فى فريضة الحج لأن وقوف الحجاج فى وقت واحد أمام الله متجردين من جميع مظاهر التفرقة ، لا فرق بين غنى وفقير أو كبير وصغير أو أبيض وأسود ، هو تجسيد معنوى لجميع حقوق الانسان كما جاءت فى الوثيقة التى تعتبر الانسان الحر حجر البناء اول فى المجتمع .

واذا كان العالم يحتفل بيوم اعلان وثيقة حقوق الانسان فان للمسلمين الحق كل الحق فى الاحتفال بعيد الأضحى بعد الانتهاء من اقامة شعائر الحج مباشرة لأن هذه الفريضة تجسد فى معناها ومبناها كل نواحى الفكر الواردة فى هذه الوثيقة .

ان عيد الأضحى لا يعبر فقط عن نواحى الابتهاج بالمعانى الانسانية النابعة من فريضة الحج ولكنه يفرض الضحية والفداء على كل مسلم قادر حتى لاتصبح مظاهر الابتهاج مجردة عن الاحاسيس التى تنفذ الى ذات النفس البشرية لتقوى فيها الشعور بروح التضحية والفدائية لتحقيق سمو الوجود الانسانى كرسالة جماعية .

ان الأعياد فى الاسلام ليست مجرد مظاهر للابتهاج والفرح للتعبير عن قدرة الانسان على التغلب على ذاته ولكنها تتضمن معانى عميقة متاصلة فى الفكر الاسلامى الذى يهدف الى تحقيق مجتمع المثالية الاخلاقية عن طريق النهوض بالوجود الانسانى للشعور بكل جزئياته وكلياته كوحدة أخلاقية متفاعلة فى الوجود نفسه .

الحضارة الإسلامية في غرب افريقيا

١ - سلطنة مالي الإسلامية

الدكتور حسن محمود

فى آخر القرن الحادى عشر الميلادى أعتنق الاسلام فى الحركة الدافقة الكبرى التى صحبت قيام دولة المرابطين وتفرغهم للجهاد فى غرب افريقيا ، شعب افريقى اصيل هو شعب الماندنجو • وانشا زعماء هذا الشعب الزنجى الاصيل دويلة صغيرة انفصلت عن مملكة غانة القديمة وظفرت بنوع من الاستقلال الذاتى واطلق المؤرخون على هذه الامارة اسم مملكة كانجابا • ثم ارادت هذه الامارة ان تشارك بنصيب فى الحياة الاسلامية وان تؤسس لها ملكا اسلاميا خالصا ،فبدات تتوسع •

وكان توسعها يتأثر بالاحداث السياسية المعاصرة لها وبنصيب الدول المحيطة بها من القوة او الضعف يدل على ذلك ان توسعها واستهلالها لحركة دافعة من الفتح والتوسع حدث فى القرن الثالث عشر فى الوقت الذى تفكك فيه ملك غانة بعد صراعها مع المرابطين وتسرب الاسلام بين اهلها على نطاق واسع ، وكانت دول المغرب العربى فى ذلك الوقت مشغولة بشئونها الخاصة واحداثها المحلية منذ انحلت امبراطورية الموحدين وانقسمت على نفسها وقد توفرت للدولة النامية القوة تدربت على اساليب القتال وجندت جيشا قائما من الخيالة والابالة ثم تبنت حركة الجهاد فى سبيل الاسلام •

وضع هذا التطور فى عهد ملكها سنديانا • وكان مظهر هذا التطور استطاعة هذا الملك عام ١٢٣٧ « م » ان يقهر مملكة صوصو القوية وان يصرع صاحبها فى ميدان المعركة ثم استولى على مابقى من مملكة غانا القديمة • وانفسح المجال امام هذه الدولة فى سماء الحياة السياسية وتطورها على ذلك النحو ، اتخاذها حاضرة جديدة ترمز الى الدولة والى قوتها ونفوذها المطرد •

يستفاد مما كتبه المؤرخ محمود كعت فى كتابه « الفتاش » ان هؤلاء الملوك كانت لهم عاصمة قديمة تسمى جريبة وانهم جاوزوها الى عاصمة جديدة اتخذت اسم « نيانى » • والحفريات التى تمت فى منطقة النيجر فى السنوات الاخيرة ايدت ماذكره ذلك المؤرخ اذ تم الكشف عن موقع هذه المدن عند ملتقى النيجر برافده سنكران •

واستمرت هذه الحركة التوسعية فى عهد سنديانا ، بل استمرت بعد وفاته فى عهد خليفته منستى ولى « ١٢٥٥ - ١٢٧٠ » الذى استولى على مناجم الذهب فى ونجارة كما استولى على بمبوك وبونده • ولم تتوقف الفتوح بعد منسى ولى • انما استمرت فى عهد خلفائه حتى وصلت الغاية فى عهد ملك مالى الشهير منستى موسى « ١٣٠٧-١٣٣٢ » فقد استولت جيوشه على ولاتة ودخلت مدينة تنبكت ومنطقة جاو فى النيجر الاوسط • وامتدت الدولة فى آخر عهده الى بلاد الدكرور فى الغرب ثم الى وندى فى الشرق وامتد نفوذها جنوبا حتى جبال فوتاجالون •

وقد عدد القلقشندى الاقاليم التى انضوت تحت لواء هذا الملك الواسع وذكر منها « ملى » وصوصو وغانة وكوكو وتكرور • بل يشير الى ان آمال منسى موسى لم تقف عند حدود البحر بل امتدت الى ماوراءه • ان هذا السلطان اراد ان يتبع توسعها البرى بتوسع بحرى باكتشاف معالم المحيط الاطلسى فاعد حملة مكو... من ما تتى سفينة شحنها بالرجال والازواد وامرهم ... يعودوا حتى يبلغوا نهاية البحر •• ولما لم يعودوا ج... حملة اخرى فكان نصيبها الاخفاق •

بذلك استطاع هؤلاء السلاطين ان يبسطوا نفوذ... على سهل السفانة الفسيح من منطقة السنغال فى الغر...

حتى بحيرشاد في الشرق وادى ذلك الى تدفق الاموال الى خزانة الدولة كما احتكرت الملح والذهب وسيطرت على التجارة العالمية بين مدن غرب افريقية ومدن المغرب وكان ذلك الثراء العظيم الذى يظهر من وصف كل من ابن بطوطة وليو الافريقى .

وما كادت الدولة تبلغ الغاية من التوسع حتى بدت مظاهر الضعف فاغرق الملوك في الترف والقلقشندى يضرب لذلك مثلا بالسلطان مارى جاطه بن منسى لغا الذى بدد الثروات في ملذاته وفقد الملوك المتعاقبون روحهم العسكرية وبدات الاقاليم الخاضعة تستقل الواحدة بعد الاخرى ..

ويهمنا من تاريخ هذه السلطنة ان نبين كيف انفعلت انفعالا اسلاميا وكيف استطاعت ان تشترك بنصيب في الحياة الاسلامية وتسهم في بناء الحضارة الاسلامية في غرب افريقية ..

وكان اول ما فعله هؤلاء السلاطين اتصالهم بالقوى الاسلامية المعاصرة لهم واظهارهم لروح الاخوة الاسلامية ظهر هذا من اتجاه هؤلاء السلاطين الى الحج الى مكة ثم زيارة مصر في الطريق واشار المؤرخون الى خروج منسى ولى في عهد السلطان بيبرس . وكان هؤلاء الحجاج يجتازون الدرب الصحراوى المعروف بطريق غات حتى يصلوا الى مصر ..

لكن هذه الصلات وضحت في عهد منسى موسى الذى يعتبر موكبه من اروع مشاهد مواكب الحج وفد على مصر في القرن الثامن الهجرى .

اذ بلغت عدة من جاء في ذلك الركب اكثر من اربعة الاف شخص .

وقد اتاح ذلك للمصريين فرصة طيبة لمعرفة الكثير من احوال تلك البلاد والعمرى في كتابه مسالك الابصار يستمد معظم معلوماته عن الامير ابى العباس احمد بن الحاكى المهمندار الذى ندبه السلطان الناصر محمد للاشراف على ضيافة السلطان الافريقى . وقد ظهر ثراؤه الواسع فقد بعث الى الخزانة السلطانية بهدية منها حمل من الذهب الخام . ولم يدع اميرا او رب وظيفة الا ونفحه من هذا الذهب ، كما افاض على اهل مكه وتصدق باموال كثيرة .

اما سلطان مصر فقد اكرمه وبعث اليه بالخلع وكفل له جميع وسائل الراحة فزوده بالدراهم واعد له الجمال ووفر له المؤن .

ويبدو ان هذا الحج كان هدفه اظهار البذخ واكساب شخصيته من الهيبة مايمكن لملك من البلاد ويبعث رعيته على الاخلاص له . وقد مهد لمجيئه الى مصر وتقربه من سلطانها .. بكتاب امسك فيه ناموسا لنفسه مع مراعاة قوانين الاداب .. وخاطب فيه الناصر بآيات التقدير والاخاء وبعث اليه بهدية مقدارها خمسة الاف مثقال ذهب » . وفي هذا الكتاب مايدل على روح الاخوة الاسلامية بين مصر عاصمة الاسلام وبين السلطنات الاسلامية الناشئة في غرب افريقية . وقد واصل ديوان الانشاء بمصر ملوك تلك الجهات بدليل مايوجد في التعريف وصبح الاعشى من نماذج لكتاباتهم وكان ذلك استهلالا لعلاقات ثقافية وتجارية واسعة .

فقد انتهز السلطان فرصة وجوده بمصر واشترى جمله من الكتب الدينية ليوفر لاهل مملكته طرفا من مناهل الثقافة العربية . وتبع هذا رحيل كثيرين من علماء مصر الى تنبكت ورحيل علماء تنبكت الى مصر ..

بل ان ابن بطوطة راى هناك طبيبا مصريا .. واشتملت حاشية السلطان منسى سليمان على ثلاثين مملوكا من مماليك مصر كما رحل التجار المصريون الى هذه البلاد ورحل التجار التكارنة الى القاهرة واستقرت طوائف من هؤلاء في مصر تشتغل بالتجارة والعلم والتصوف .

وقد اتصل سلاطين مالى بملوك المغرب خاصة بالسلطان ابى الحسن على المرينى وانتهز منسى موسى فرصة استيلائه على تلمسان وبعث اليه بالتهنئة كما بعث سفراء دائمين الى مدينة فاس . وتوطد العلاقات الثقافية مع المغرب ليس في حاجة الى ايضاح ويكفى ان عرى هذه الصلات لم تنفصم بحكم وحدة اتباع مذهب مالك . فقد كان فقهاء هذه المذاهب دائمى الاتصال بفقهاء السودان يتبادلون الفتاوى والتواليف والرحلات

بل امتدت هذه العلاقات الى الاندلس ، يدل على ذلك مايروى من استعانة منسى باحد اهل الاندلس لبناء القصور والمساجد .

وقد احاط سلاطين مالى انفسهم بالفقهاء والعلماء خصوصا في عهد منسى سليمان الذى « بنى المساجد والمنارات واقام بها الجمع والجماعات والاذان » وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب مالك وقد اكتملت الحركة الاسلامية في عهدهم بسبب حركات الجهاد المتتابعة ورحيل الفقهاء . حدث هذا كله في القرن الرابع عشر حينما زار ابن بطوطة هذه البلاد وراى فيها حياة اسلامية عريقة وراى علماء مصر ومراكش وطلبة للعلم وحفاظا للقرآن . كما زارها ليو الافريقى في النصف الاول من القرن الخامس عشر فوجد الحياة الاسلامية فيها في غاية الازدهار بفضل الجهود المتصلة التى بذلها السلاطين في خدمة الاسلام ونشر الثقافة العربية وفي النصف الاخير من القرن الخامس عشر خضعت هذه السلطنة لحركة اسلامية اخرى .

« أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم »

صدق رسول الله

رحلاتي في الإسلام

فضيلة الشيخ
محمود الحصري

قال سبحانه وتعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » الحجرات ١٣ ·

وقفت بكم فى حديثى السابق عند أخبار رحلتى القرآنية الى العراق ، ذلك البلد العربى الاسلامى الشقيق ·

واليوم أنقل لكم مشاهداتى أثناء رحلتى لبلد آخر ، وهو وان لم يكن مسلما كله ا ان المسلمين فيه يشكلون طوائف متعدد ازداد عددهم يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة حتى أصبحوا اليوم قوة لها شأنها فى بن كيان الأمة كلها ، فقد أصبح لهم حقوق ف المراكز القيادية فى الدولة وكراسى فى مجلس النواب ، وعدد من الوزراء فى كل وزارة · انه الهند : الذى يرجع تاريخ دخول الاسلا اليه الى أمد بعيد ·

أجاب تساؤلي أحد مرافقي من العلماء عندما سألته عن تاريخ دخول الاسلام وانتشاره بين أهل هذه البقعة من الأرض، قال:

« لقد ورث الأبناء الاسلام عن الأجداد، منذ هجرة التجار العرب من شبه الجزيرة العربية الى السواحل الهندية بغية التجارة التي كانت من نتائجها أن تولدت بين أهالي هذه البلاد وبين العرب المهاجرين على مر الأيام علاقات اجتماعية - كانت المصاهرة اهم دعائمها - أدت الى خلق جيل جديد هندي الجنس عربي السمات والتقاليد اقتنع بالاسلام دينا له.

ويقال أيضا ان الهند قد ارتبطت بالعالم العربي منذ أيام نبي الله سليمان، وفي أواخر القرن الثامن للميلاد انتشر المسلمون على ساحل الهند الغربي كله. كذلك في عهد سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وفي أيام معاوية بن أبي سفيان كان للهند علاقة بالعرب المسلمين آنذاك.

وهكذا توالت العلاقات التجارية بين العرب وبين أهل الهند. يروي المسعودي مشاهداته عام ٩١٦ للميلاد فيقول: ان عشرة آلاف مسلم من عمان، والبصرة وبغداد، استقروا في مدينة «سيمور» بالقرب من بمباي - استوطنوها حتى اصبحوا يعرفون فيها بالبياصرة.

وكان أيضا للرحالة العربي المسلم ابن بطوطة القدح المعلى في وصف الهند وطوائفه الدينية المختلفة، ونشر مبادىء الدين الاسلامي الحنيف، واتساع رقعة الدعوة اليه، يقول:

« ان ملوك الهندوس كانوا يتجنبون كل ما من شأنه أن ينفر العرب منهم، لأن قسطا كبيرا من ثروتهم كان يتوقف على تجارتهم مع العرب ».

هكذا كانت علاقة الهند بالعرب منذ أقدم العصور علاقة التجارة أولا، ثم علاقة الألفة الدينية التي جعلت من الاسلام دينا يعتنقه كثير من أهل الهند، حتى أنك لو زرت احدى المدن الهندية أحسست الروح العربية الاسلامية ظاهرة في كثير من آثارهم القديمة هناك مثلا المدن التي لا زالت تحمل الاسماء العربية مثل: مدينة «المحفوظة» التي يرجع تاريخ بنائها الى أيام الحكم بن عوانة الكلبي الذي بنى أيضا مدينة أخرى تسمى «بالمنصورة»، والجامع المسمى «جمعة مسجد». والمنارة المسماة «قطب منار» كما بنى كذلك في مدينة أجنير الجامع المنسوب اليه.

ولو أنك تجولت داخل احدى المقاطعات الهندية ترى أيضا المظاهر الاسلامية في المدارس والمعاهد الدينية، فمنذ أسست المدرسة البيهقية في هيشابور عام ٣٨٤ للهجرة وحتى يومنا هذا ترى المدارس الاسلامية تحتفظ بطابعها فهي عادة ما تتكون من مسجد ومكتبة وقاعات للمحاضرات وأماكن للسكن.

أخبرني أحد اعضاء جمعية علماء الهند انه كان في مدينة دلهي منذ زمن بعيد سبع عشرة مدرسة، وفي البنجاب أربع مدارس، وفي أجرا خمس عشرة مدرسة عدا المدارس الأخرى المنتشرة في كل المدن الهندية.

ومن أشهر المدارس التي رأيتها ولا زالت حتى اليوم تحمل الطابع العربي الاسلامي «مدرسة الناصرية في مدينة دلهي التي بنيت عام ٦٣٥هـ، ومدرسة الحوض ومدرسة فيروز شاه ومدرسة الرحيمية، والمدرسة التي بنتها بيبي راجا بيجوم في عام ٨٥٦ هـ في مدينة جونبور، والتي تعد من أشهر دور العلم.

كما شاهدت أيضا مدينة «لكناو» التي بها أشهر مدرسة اسلامية في شبه القارة الهندية والتي تسمى بمدرسة «فرانجي هل».

ولا زالت بالهند حتى اليوم الجامعات والمعاهد الاسلامية التي يدرس فيها الطلاب

العلوم الاسلامية مثل جامعة « عليكره » التى أسسها المغفور له السيد احمد خان عام ١٨٧٥ على شكل مدرسة اخذت تنمو مع الزمن حتى أصبحت كلية من الطراز الأول ، ولم يكد ينتقل مؤسسها الى رحمة الله عام ١٨٩٨ حتى بذلت الجهود لرفعها الى مرتبة الجامعة .. وفى ديسمبر عام ١٩٢٢ من الميلاد أصبحت جامعة مركزية رسمية وذلك على أثر صدور قانون جامعة عليكرة الاسلامية .

ومما هو جدير بالذكر أن السيد الرئيس جمال عبد الناصر قد شرفها بالزيارة عام ١٩٦٥ وأهدت هيئة الجامعة سيادته

الدكتوراه الفخرية ، وكان لى شرف حضور هذا الحفل وافتتاحه بما تيسر من آيات الذكر الحكيم . كما أقامت جماعة العلماء بالهند حفلات عديدة فى كل مدينة تشرفت بزيارة سيادة الرئيس ، وكانوا حريصين على أن يفتتح كل حفل بتلاوة القرآن الكريم .

ومما طالعته على وجوه المحتفلين الفرحة والتقدير لزيارة سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، فهم يعتبرون سيادته الزعيم العربى المخلص الذى جاهد ويجاهد دائما فى سبيل رفع لواء العلم والمعرفة وجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى، بل يعدونه أيضا أمل كل من يحارب من أجل حريته وكرامته ، فقد أزال عن بلاده الظلم والفساد والاستعمار الذى ران عليها أمدا طويلا ..

ومما رأيته أيضا أثناء رحلتى هذه الجامعة العثمانية التى أسست عام ١٩١٨ من الميلاد ، قال لى أحد العلماء «ان الجامعة العثمانية فريدة فى نوعها لأن المواد العلمية والأدبية تلقن فيها بلغة هندية هى : النتاج الفنى المشترك لاتصال المسلمين بالهندوس » .

وفى مدينة «ديوبند» رأيت معهدا اسلاميا نموذجيا يعرف باسم « دار العلوم » يدرس فيه الحديث والتفسير والشريعة الاسلامية وأصول الفقه ، استرعى انتباهى أن أرى على من يقوم بتدريس هذه المواد من أساتذة السمة المصرية ، سألتهم واذ بهم من أبناء جامعات الجمهورية العربية المتحدة وأزهرها الشريف .

وهناك أيضا رأيت مدرسة اسلامية على نمط المدرسة السابقة تسمى « المدرسة القاسمية فى مدينة « مراد أباد » .

ولو أنك زرت الاماكن الأثرية فى الهند لوقفت حقا على مدى ما كان من علاقة بين الهنود والعرب ، منذ فجر التاريخ الاسلامى ، فقد تأثروا بالفنون الاسلامية المختلفة وكان تأثرهم أعظم فى بناء مساجدهم ومعاهدهم فلا يزال الناظر اليها يحس الطابع العربى الاسلامى فمثلا : « منارة القطب » التى تقع الى جانب العاصمة الهندية ، آية فى الفن المعمارى .. كذلك قباب المسجد الجامع فى عليكره ومئذنة المسجد الجامع فى دلهى .

على أن أعظم ما ينطق بالفن المعمارى التأثرى مقبرة «تاج محل » بمدينة اجرا أو «باكرا» كما يسمونها ، والتى قال ان البناء استمر فيها ٢٢ عاما . وهى محط أنظار كل زائرى الهند من كافة بقاع الأرض ، لما لها من شهرة عالمية بين الآثار الهندية القديمة .

ومما شاهدته أيضا مسجد « شاه حمدان ذو الطابقين ، والمسجد الجامع بسريناجار ، وهما يضمان آثارا للفن الاسلامى فى الحفر على الخشب غاية فى الاتقان والروعة ..

ولو أنك زرت احدى المدن الهندية فى احدى المناسبات الدينية رأيت المسلمين فيها وهم يحتفلون .. فهم حريصون دائما على الاحتفال بكل عيد اسلامى أو مناسبة دينية خاصة « ليلة المولد النبوى الشريف » فهى شبه عيد عند مسلمى الهند يتبادلون فيها التهانى والزيارات .

ولقد زرت الهند لا قاصدا المشاهدة ، انما قارئا طيلة ليالى شهر رمضان المعظم مبعوثا من وطننا الحبيب « الجمهورية العربية المتحدة ،

حصن الاسلام الحصين • استقبلتنى الطوائف المسلمة هناك بالترحاب مدة اقامتى بينهم • رأيتهم وكيف يستقبلون الشهر الكريم بالفرح والابتهاج فى كل مكان ، فالمساجد الهندية تتحول الى شعلة من الأضواء تقام فيها الصلوات ودروس العلم ليلا ونهارا ، ترى البشر يعلو حتى على وجوه الأطفال عندما يتجمعون حول هذه المساجد حيث ينثرهم المصلون بالتمر والحلوى عقب صلاة التراويح أيام الشهر المبارك •

ومن العادات الرمضانية التى رأيتها أنهم يؤخرون الافطار الى ما بعد صلاة المغرب، وعادة ما يبدءون افطارهم بتناول حباب من التمر سنة عن النبى صلى الله عليه وسلم •

ومن المظاهر الكريمة التى رأيتها ايضا احترام الحكومة الهندية للشعائر الاسلامية ، فهى تراعى أوقات العمل بالنسبة للمسلمين طيلة شهر رمضان ، كذلك تهيىء المدافع لتضرب مؤذنة للافطار والسحور فى كل مدينة تأهل بالمسلمين •

والمسلمون الهنود يحتفلون بليلة القدر ، ليلة السابع والعشرين من رمضان ، ترى الاحتفالات فى كل منزل اسلامى ابتداء من ليلة القدر وحتى نهاية الشهر ، كذلك تقيم كل طائفة من طوائف المسلمين فى كل مدينة حفل يدعى اليه الحاكم والأعيان • وفى جامعة عليكرة الاسلامية يقام أيضا حفل اسلامى كبير يقرأ فيه القرآن وتتبادل فيه التهانى ليلة السابع والعشرين من الشهر تبركا بنزول القرآن الكريم ، كما يقام داخل مسجد الجامعة حفل يومى يدعى اليه المسلمون من كل أنحاء الهند لتناول الافطار وسماع القرآن الكريم •

وأحسن ما رأيت من عادات مسلمى الهند أنهم يتلون القرآن كله فى صلاة التراويح مرتين طيلة الشهر ، ومنهم من يتلوه ثلاث مرات يقرأه الامام بالمصلين ثلاثة أجزاء كل ليلة ويسمون قارىء القرآن ، أى الامام يسمونه « الحافظ فلان » •

ومما زاد فى سرورى انى رأيت فى احدى المدن « تسمى حيدر أباد » كثير من النساء يقرأن القرآن الكريم بالقراءات السبع والعشر فى المصاحف وفيهن من يحفظنه عن ظهر قلب كما نحفظه نحن فى بلادنا ، ورأيت أيضا عادة فريدة فى نوعها ، فمسلمى الهند يقيمون كل ليلة من ليالى شهر رمضان حفلات يتلى فيها القرآن الكريم احداها قبيل الافطار والثانية بعد صلاة التراويح، أما الثالثة فبقرب منتصف الليل ، وتستمر حتى موعد السحور ، ويعلن عن هذه الحفلات فى الاذاعة والصحف كما توزع اعلانات عديدة فى الأماكن المجاورة تحمل مواعيد وأماكن هذه الحفلات وهى عادة ما تقام فى الميادين العامة والمساجد الكبيرة كى تسع تلك الأعداد الهائلة التى تفد اليها من كل أنحاء المدن المجاورة ، فقد يبلغ عدد الحاضرين فى الحفل الواحد حوالى مائة ألف مستمع ••

هكذا رأيت الهند ، وهكذا رأيت مظاهر اسلامية توارثتها الطوائف الهندية المسلمة ، منذ أقدم العصور لا تراها سوى أيام شهر رمضان المعظم تبركا به وعرفانا بما للاسلام من جلال ونور ينشره الله ـ سبحانه ـ على كل من آمن برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين والمرسلين • وحاول جاهدا وضع حجر فى بناء صرح الدعوة الاسلامية الخالدة • فالله جلت قدرته خلق الناس جميعا من ذكر وأنثى وجعل بينهم الاسلام مودة ورحمة ، والتقوى هى الأساس الوحيد الذى يكرم به المسلم على أخاه المسلم ، لا اللون ، ولا الجنس ، فالكل أمامه ـ سبحانه وتعالى ـ سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى •

والى هذا القدر أقف بكم عند أخبار بعض ما شاهدت أثناء رحلتى القرآنية الى الهند والى لقاء مع أخبار رحلة أخرى ••

الدعوة روح الفكرة

الأستاذ عبد السميع البطل

بينا في المقال السابق ما للدعوة من تأثير عظيم في كل جديد ، وأن بقاء كل جديد مرهون بنشاط الدعوة اليه والتعريف به ، فاذا فترت الدعوة أو انفصم عراها عفى الزمان عليه ، وقد يولد سقطا اذا لم تسبقه دعوة فارهة ، وهيهات أن تدب فيه الحياة من جديد ، سنة الله فى الكون ونظامه ، لذلك نرى مذاهب مرت عليها عصور ، وهي باقية على جدتها ، كأنها وليدة اليوم ، ونرى مذاهب وآراء أصبحت في خبر كان مع حداثة عهدها .

ونريد اليوم أن نبين فن الداعى الناجح ، ومن الداعى الذى يخفق فى دعوته ، لأنه لا يصلح لها ، ولا تصلح له ؟

وأول شرط فى الداعى أن يكون ذا استعداد فطرى يسير على ضوئه ، فاذا قام بدعوة استمد من قوته الذاتية معلوماته وحججه ، وكان له تأثير قوى وحافز يحفزه وينشطه ، فلا ينتظر أن يتلقى الوحى من غيره ، أو يأتمر بأمر رئيس أو مشرف ، ومن ثم ظهر الدعاة الملهمون ، والخطباء المفوهون ، الذين كان لصوتهم الجهورى تأثيرا أيما تأثير في مسامعهم ، يملك عليهم قلوبهم وأسماعهم ، ويلعب بعواطفهم وأهوائهم ، وظهر الكتاب البلغاء الذين يلعبون بالأساليب ، كما يلعبون بالعقول لعب الصوالج بالأكر ، وكل من الخطباء والكتاب لديهم القدرة على أن يجمعوا الجماهير ويفرقوهم ، ويضحكوهم ويبكوهم ، ويرضوهم أو يغضبوهم ، الأولون يجذبون العواطف ، والآخرون يخاطبون العقول ، وقد يجمع الواحد منهم بين القدرة على اقناع العقل ، وبين اثارة العاطفة .

ارجع ان شئت الى خطبة أبى بكر رضى الله عنه يوم السقيفة مثلا تره أفاض فى وصف المهاجرين والثناء عليهم ، حين ذكر أنهم كانوا أسبق الناس الى الاسلام وكانوا قلة ، استهدفوا سخرية العرب وشنآنهم فلم يبالوا ، وعذبوا أشد أنواع التعذيب فلم تلن لهم قناة ، ثم اضطروا الى مفارقة الديار والأهل والصحب ، فقابلوا ذلك بالرضا والسرور ، ثم عطف على الأنصار فأعطاهم حقهم من الثناء ، فهم قد فسحوا للمهاجرين فى الدار ، وآثروهم على أنفسهم وبهم خصاصة ، وخاضوا معهم المعارك لاعلاء كلمة الله ، فهم اخوانهم فى الدين ، وشركاؤهم فى الفىء ودعا لهم بالخير ، وختم خطابه بقوله : ان العرب لا تدين الا لهذا الحى من قريش ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لا نفتات عليكم ، ولا تقضى الأمور دونكم .

فى هذه الخطبة التى لم يزورها من قبل ، بل اضطره الموقف الى ارتجالها ارتجالا ، قد أرضى الفريقين ، ووصل الى ما أراد من اقناع عقول الأبصار ، واراحة ضمائرهم ، فبادر الجميع الى مبايعته بالخلافة ، ولولا ذلك لاشتعلت نار الفتنة ، ولكن وقى الله المسلمين شرها بمهارة أبى بكر وكياسته ، وحسن تصرفه .

وثانى شرط فى الداعى .

الثقافة : ثقافة الداعى الواسعة ، منها يستمد معلوماته ، وتتجدد أمامه الأفكار ، وكأنه يغرف من بحر ، فينتقل من فكرة الى فكرة ويفرغ من ضرب مثل الى ذكر حادثة لها اتصال بموضوعه ، ويجول بين القديم والحديث ، وتنهال عليه الأفكار من كل ناحية ، فيشبع ويقنع ، ويرضي ويعجب ويصعد بالسامعين ، والقارئين الى السموات ، ويهبط بهم الأرض ، وهم فى طرب ورضا .

غير أنه اذا كان ضيق الفكرة ، ضيق العطن ، ربما وقف جهده عند الحد الذى لا يرضى ولا يقنع ، وبدل أن يسمع تصفيق الاستحسان . يسمع صفير الاستهجان ، وان كان كاتبا طوى القارىء الصفحات على مضض ، آسفا على ما ضيع من وقت .

لذا نرى أن من الزم اللوازم للداعى أن يكثر من الاطلاع ولا يقف فى معلوماته عند حد ، بل يجدد معلوماته كل يوم ، ولا يقنع بأنه يحمل شهادة عالية ، فالشهادات مهما كانت قيمتها ، أول باب من أبواب المعرفة العالية ، لا نهاية الطريق « وقل ربى زدنى علما » وقد كان سلفنا الصالح مفتنين ، يجولون فى كل فن ، ويشاركون فى كل علم ، فكان الواحد منهم اشبه بدائرة معارف ، فى علوم الدين على اختلافها ، والطب والفلسفة ، واللغة والادب والرياضة ، ومن المعروف أن الخليل بن احمد اول من الف فى الموسيقا واول من وضع علم العروض ، وعلم النحو واول من ابتكر طريقة المعاجم ، لم يكن هو المبتكر الوحيد فى علماء العرب ، ففيهم كثير غيره لا يتسع المقام لذكرهم ، وحسبك ان الفارابى هو مخترع القانون فى الموسيقا ، بل حسبك ان ابن سينا كانت كتبه فى الفلسفة والطب ، تدرس فى جامعات اوروبا الى عهد قريب .

الشرط الثالث قوة الشخصية وموقف الداعى والقائه :

وللشخصية وحدها تأثير عظيم ، فلو وقف خطيب مشهور محبوب من الجماهير فوق المنبر وقال كلمة واحدة فربما تغنى عن خطبة ضافية يلقيها غيره . سمعت خطيبا عظيما ، كان له نفوذ كبير ، وكان

« محبوبا » من الجماهير ، وكانوا يتلهفون على رؤيته ويقضون الوقت الطويل انتظارا لوقفته ، فما يكاد يطل عليهم من فوق المنبر ، حتى تلتهب الأكف بالتصفيق ، وتبح الحناجر من الهتاف ، ثم يبدأ الخطيب بعد لأى ، فاذا هم كأن على رءوسهم الطير : آذان صاغية ، أنفاس مبهورة ، عيون شاخصة ، كأننا فى موقف القيامة ، وبدأ الخطيب يتكلم ، فماذا سمعت ؟ سمعت كلاما عاديا ، فى معان سطحية ، وموضوع تافه ، ولكن قوة شخصيته جعلت كلامه حسن الوقع ، ونال تصفيق الاستحسان ، والهتاف الذى صم الآذان ، وشق أجواز الفضاء فهم لا يسمعون الا بقلوبهم ، ولا يهتفون ويصفقون الا بعواطفهم وعلى الضد من ذلك : خطباء مليئون ، تنهال عليهم المعانى ، كما تشاء البلاغة ومقتضى الحال ، وتمرق الاساليب الجزلة ، من افواههم مروق السهم من الرمية ، ولكن لا حظ لهم من قوة الشخصية وأن الناس تكرههم ، أو لانهم لا يحسنون رمى الكلام ، لأن طريقة القائهم مملة ، فالاستفهام عندهم كالخبر ، والرضا كالانكار ، والتهكم كالاستحسان والنفى كالاثبات ، وصوتهم لا يلونونه بلون المعانى ، فموسيقاه على نغمة مطردة ، والنغمة المرددة مملولة ، ولو كانت من شاد بارع وبهذه الطريقة خسروا مواقفهم ، وخسروا تبعا لذلك الوصول الى الاقناع ، والتأثير ، وفشلوا فى كسب السامعين وجذبهم نحوهم ليكونوا فى صفهم ، يؤمنون بما يدعون اليه ، ويكونون عونا لهم على اذاعة الفكرة والتبشير بها ، وأمثال هؤلاء الفاشلين فى مهمتهم لا يصلحون للدعوة ، من طريق مواجهة الجماهير ، قد يكونون دعاة فى الصحف لا خطباء فى الأندية والمجامع .

واضرب مثلا لقوة الشخصية بالحجاج بن يوسف الثقفى حين قدم العراق واليا من قبل الدولة الأموية ، وكان العراق دائما شعلة من الفتن مؤججا بالاضطراب ، حتى أعيا الأمويين أمره ، فرموهم بالحجاج ، وكان ذا قلب كأنه قد من الصخر ، ولسان لو وضعه على حجر لفلقه ، صعد الحجاج المنبر وهو ملثم لا يبدو منه الا عيناه وجلس أخرسا لا ينبس ببنت شفه ، وطال جلوسه وطال انتظار الناس لسماعه ، حتى قال قائل . قبح الله بنى أمية اذ تستعمل مثل هذا الأبكم ، وأخذ آخر حفنة من حصى وهم بقذفها فى وجهه ، لا شك ان هذه مناورة من الخطيب ، بها يلفت الناس اليه قبل أن يتكلم ليعدهم للسماع ، ثم نهض ، وحسر اللثام عن وجهه ، وأخذ يرميهم بقذائف من جمله وقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفونى

والله يا أهل العراق انى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها ، وانى لصاحبها ، وانى لأرى الدماء تسيل بين العمائم واللحى .

يالعجب ! هو انت هكذا ؟ ثم استمر الحجاج يرميهم بهذه الصخور من كلامه ، متفاصحا على طريقة الأعراب ، مستعملا الغريب من الألفاظ ، حتى اذا اقتنع بأنه بهرهم وأزعجهم لان بعض اللين ، ووعدهم بأن يعطيهم اعطياتهم (أرزاقهم) حتى هدأت ثائرتهم ثم عاد الى الشدة وأمرهم بأن يجهزوا أنفسهم فى فرصة قصيرة للخروج الى حرب بعض الخارجين على الدولة ، فلم يكد ينزل من على المنبر ، حتى تزاحموا على الخروج ، وقد سبقه فى هذه الدولة زياد ابن أبيه فى خطبته المسماة بالبتراء لأنه لم يحمد الله فى أولها وترسم الحجاج طريقته فى الشدة والتهديد والاطالة بعض الاطالة على خلاف عادة الخطباء فى هذا العصر ، مستخدما الجمع بين الشدة واللين ، والوعد والوعيد واستخدام الألفاظ الفحلة ، والتراكيب الضخمة ، وقد نجح بهذه الطريقة كل من الخطيبين ، وهكذا كل خطيب ناجح وكل داع عنده الأهلية للدعوة .

وهكذا الكاتب المبدع ، كالخطيب المفلق ، يتكلم بيانه ، وان لم ينطق لسانه ، ويعرفه الناس من أسلوبه ومن اختياره للموضوع الذى يحدثهم فيه ، فيعشقونه وان لم يروه ، ويحبون أن يقرءوا له وان لم تظهر شخصيته أمام أعينهم ، ولكنهم يستشفونها من خفة كلامه واجتذاب أسلوبه ، وروعة معانيه ، وشفافة روحه ، فالجاحظ مثلا وهو من أئمة البلغاء ، لا تمل قراءته ، ولا تكاد تبدأ فى أحد كتبه حتى تراك مشدودا الى اتمامه ، وهو ينتقل بك من جد الى هزل ، ومن موضوع الى آخر ، ثم يعود بك الى حيث كنت ، وهكذا تراك أمام حديقة تنتقل فيها من زهر الى ثمر ، ومن جدول ماء الى تغريد طير ، وكذلك كان المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى ، الكاتب الخفيف الظل ، فقد كانت روحه روح فنان ، محبوب من جماهير قرائه ، كما كان حلو الحديث مع جلسائه .

انتباه الخطيب : من نجاح الداعى الخطيب ، أن يكون متصلا بجماهيره يتحسس من وجوههم ، ان كانوا لا يزالون على نشاطهم أم أصابهم الفتور والملل ، ويقرأ عليها ان كانت النقطة التى يتحدث فيها حساسة وبهم شوق الى الاستزادة منها ، أو اكتفوا فيها بما سمعوا فيمر بها مرورا وخير له أن يترك السامعين وهم فى شوق الى المزيد ، من أن يتركوه هم وحده على منبر الخطابة .

ويتصل بذلك أن يكون سريع البديهة ، حاضر الذهن ، واسع الحيلة ، مسددا الاجابة ، فقد يندس بين السامعين أحد الطفيليين ويعترض طريقه وهو متحمس فى الدعوة لفكرته ، ليسدد رميته فيسأله ذلك سؤال احراج ليسكته ، أو يبلبل أفكاره ، لينفض السامر من حوله ، فاذا ألجمه بالجواب السديد بديهة ، كسب الرهان ، وبهت الذى كفر .

ويذكر أن ماكدونالد رئيس وزارة العمل بانجلتره سنة ١٩٢٤ ، كان يخطب فى دائرة انتخابه لترشيح نفسه ، وتخطب ابنته فى منطقة أخرى من نفس الدائرة ، تدعو لانتخاب أبيها ، وذات يوم أعلن أن بنت ماكدونلد ستخطب فى جهة كذا ، فأسرع اليها الناس زرافات ووحدانا ليسمعوا الفتاة الخطيبة ، وهى ترشح أباها ، وتثنى على مبادىء العمال ، وبينما هى متدفقة فى الحديث ، منهمكة فى شرح المبادىء فاجأها أحد السفهاء : يا آنسة ، انى مؤمن بمبادىء أبيك ويسرنى أن أنتخبه اذا سمحت لى بقبلة ، توجم الشهود لوقاحة هذا الطفيلى وبروده ، ولكنها تمالكت نفسها وأجابت بديهة ، لقد كان يشرفنى اجابة طلبك لولا أن قانون الانتخاب الانجليزى يحرم أخذ الرشوة فضج المكان بالتصفيق ، والهتاف ، وخجل الطفيلى .

وخير من هذا ما قصه الله علينا عن ابراهيم عليه السلام ونمروذه (اذ قال ابراهيم : ربى الذى يحيى ويميت ، قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ، والله لايهدى القوم الظالمين) .

وبذا ألقم ابراهيم عليه السلام ذلك الجبار حجرا ، ولذلك لم يرسل الله تعالى رسولا الا كان ذا ثقافة وخطابه ليظهر حجة الله على عباده « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم .

دعوة الميثاق الوطني من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

آمن شعبنا العربى المسلم طوال فترة كفاحه المرير من اجل حياة الحرية • آمن ان الله أكبر من كل شيء ومن كل قوة تحاول ان تعطل حركة التغيير الاجتماعى فى الحرية والعزة والبقاء • البقاء الملء الذى يخدم الاسلام وفكرته واعماقه وآفاقه معا • كان شعبنا دائما ابدا وهو فى معركته المتصلة متيقنا من نصر الله تبارك وتعالى له « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ولم يكن هذا النصر الذى هو عند الله • الا جزاء ووفاء للمؤمنين الذين يحملون رسالة التغيير كانبل رسالة لصالح الانسان العربى فى كل عصر • ولم يكن الله تبارك وتعالى يعتبر هذا النصر حقا عليه ـ جل ـ جلاله ـ الا لان المؤمنين بقوة ايمانهم ارسوا دعائم الرسالة المحمدية الخالدة لتنشر الفضل والتراحم والبناء .

واذا كان الاستعمار والرجعية قد نجحا مؤقتا فى استغلال اسم الدين لخدمة مصالحهم غير المشروعة .. فان شعبنا العربى قد ضرب مثلا رائعا فى سرعة ايقاف وتجميد هذه المحاولات وعزلها عن تيار الحياة الصالحة المؤمنة التى بدات منذ ثورة ٢٣ يوليو فى الدخول فى آفاق حية جديدة فى رحاب العمل والكد والعمل والانتاج • ولم تكن حياتنا الصالحة لتبدا ابدا الا بالانتاج والعلم وهنا فقط يمكن أن نقول ان حياتنا امتلات بالايمان ايمان كله عمل وجهد تكلله وتتوجه المعرفة الصحيحة • بالخالق جل وعلا • والرسول العظيم الذى عاش حياته مكافحا عاملا ضاربا المثل الاعلى لانسانية الانسان الكامل التى علمتنا كيف نحيا وكيف نتج ومتى نصبح مؤمنين جديرين برسالة الاسلام •

لقد عرف شعبنا منذ ثورة ٢٣ يوليو ان الايمان الدينى السليم لايتعارض مع حرية الفكر الانسانى ولا مع جهاد البشر نحو حياة افضل • ويقول تعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولو الالباب » والقول هنا .. انما يعنى تجلية جوهر الدين المتالق وكشف العظمة الحقيقية للاسلام باعتباره ثورة انسانية استهدفت شرف الانسان وتقدمه وسعادته • كما استهدفت كرامته وعزته « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون » ولكن هذه الكرامة والعزة التى امرنا الله تبارك وتعالى ان ننشرها بيد المسلمين تتطلب منا ان ننشر العدالة فى توزيع المال وعدم حبسه فى ايد ذليلة فان شريعة العدل شريعة الله تقول « كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم » وشريعة العدل توفر الزكاة التى تجلت رائعة فى قول الصديق العظيم « والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة • فان الزكاة حق المال • والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » وخرجت الجيوش من المدينة لقتال مانعى الزكاة فكانت اول حرب فى تاريخ الانسانية تقوم بها دولة من اجل حق الفقراء • هذا الحق الذى قال فيه سيدنا عمر « « لو استقبلت من امرى ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء فرددتها على الفقراء » ولا اجمل ولا احلى من قول الرسول العظيم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

وهنا لنا وقفة .. نشاهد منها .. ونراقب مجتمعنا الاشتراكى • بعين منصفه مدركه لكل ابعاد حركة التغيير الاجتماعى التى علمتنا الكثير من المعانى والقيم والاخلاقيات التى هيأت لنا كل الظروف الملائمة لنمو المعرفة الدينية على حقوقها ومن منابعها حتى يتبلور فى مجتمعنا • فكر دينى واع • حر طليق يحقق رسالة الاسلام الحقيقية •

وفى يقينى ان حركة التغيير الاجتماعى التى حملنا رسالتها هى التى ستتولى تعريف العالم بالجوهر الصحيح للاسلام والوجه المضىء لقوة المسلم وقدراته واذا كنا اليوم ونحن نبنى ونشيد ونعمر ونوازن بين متطلبات البناء فى المجتمع وبين احتياجات الفرد وننشد حقوقا اجتماعية لكل المواطنين فى صورها الاربعة الخالدة • حق الرعاية الصحية حق التعليم • حق العمل • حق التامينات •

ونعمل جاهدين مؤمنين على تيسير الخدمات العامة لافراد الشعب جميعا ، فى اكرم صورة من صور تكافؤ الفرصة . اذا كنا نقيم كل هذا البنـــاء .. فان حركة التغيير الاجتماعى تطالبنا بزيادة الانتاج واتساع قاعدته . بعد ان اختلفت نظرتنا للانتاج منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو وتغيير اسلوبنا فى تنميته .. فبعد ان كان الانتاج عمليـــة تخدم مصالح الاستعمار والاقطاع والراسمالية دون نظر للشعب ورفاهيته . تغير مفهومه واصبح وسيلة لتحقيق الكفاية والرفاهية والتقدم لصالح الشعب . وبعد ان كان الانتاج عفويا خاليا من العقل والعلم والحساب . جاء الانتاج خاضعا لهدف الرفاهية والاسعاد للملايين ولكن بشروط زيادة هذا الانتاج بمعدل يحقق اعلى قدر من رفاهية شعبنا الذى يتزايد تزايدا كبيرا مخيفا .

ولكى يزيد الانتاج فى طريقه المرسوم كان لزاما ان نحد الاستهلاك . ويفيض الانتاج لنا . ويصبح مصدر ربح حلال يعود علينا بالمال اللازم لتمويل مشروعاتنا التى تنشر الحياة واليسار والسعة على الناس وبين اولادهم . ومن هذه البيئة . بيئة الانتاج الصـــالحة الواعية . ينبت المسلم المؤمن . واذا كانت حكومتنا قد ارتأت بعد دراسة مدركة - ان تصارحنا - بحقيقة وضعنا الاقتصادى وترفع بعض الاسعار لقليل من الســلع غير الضرورية . فان الاهداف الانتاجية . تبرر مثل هذا العمل الوقائى الذى ارتضى أن ينظم المال . ويوجهه بقـــدر الى طـــريق الاستهلاك . والانتـــاج .. والمـــال فى مجتمعنـــا الاشتراكى له وظيفة اجتماعية . وعليه التزام انسانى . فهو اقوى قوة عاملة فى الحياة ومن اجله يتصارع الناس وفى سبيله يقتتلون . ورغم ان المال نعمة فهو فتنة « زين للناس حب الشهوات من النســاء والبنين والقنـــاطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعـــام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب» ويقول تبارك وتعالى ايضا « انما اموالكم وأولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم » فاذا استجاب المسلم لهذا التوجيه الكريم وتخفف شيئا من فتنة المال وجد ثواب الله حاضرا ثم نجـــد فى الآية الكريمة « فاتقوا الله ما استطعتم » اى اننـــا ان لم نستطع التخلص من فتنة المال والبنين فلا باس من ان تخالطوا هذه الفتنة على الا تغرقوا فيها . أى ان القرآن يعلمنا كيف ننظم حبنا للمال . وننظم سلطانه علينا . فهو ليس شرا وليس خيرا بل هو أداة خاضعة لمشيئة الانسان ان شاء كان فضلا وعملا وانتاجا ورفاهية . وان شاء كان نارا تحرقه وتجرفه الى موارد التهلكة . لهذا كان الاسلام حريصا على اقامة الحدود حول المال . الحدود التربوية التوجيهية . التى تربط دائما بين المال والعقل والعقل الراجح الرشيد هو الذى يوجه جانبا من الانفاق الى حقوق النفس والاهل . حقوق المجتمع الذى يبنى بعد ان صمم على التغيير فى مواجهة أشد التحديات عنفا وضراوة .

ومجتمعنا اليوم نقل العمل - وهو اداة الانتاج - من كونه سلعة الى كونه حق واجب وحياة وبعد ان كان العمال يبددون جزءا كبيرا من طاقاتهم فى الكفاح من اجل انتزاع حقوقهم وبعد أن كان ذلك يفقدهم الثقـــة ويصرفهم عن التفرغ للانتاج ردت اشتراكيتنا للعـــامل انسانيته وكرامته واعطته حقه العادل فى فائض الانتاج .. فكان هدفنا هو زيادة فى الانتاج حتى الفائض . ثم تنظيم وتوجيه هذا الفائض لصالح الملايين . هـــذه الملايين الفقيرة التى عصرتها يد الظلم والاستغلال قرونا طويلة حتى ضاعت معالم انسانيتها وكاد يغيب عن التاريخ اسم الجانى الحقيقى ..

وتعالى معى للاسلام العظيم فى العبادة المالية .. واقصد الزكاة .. ان الزكاة وهى انفاق موجه عنى بها الاسلام ان يمد بها الغنى يده الى الفقير بما يسد حاجته والى المصالح العامة بما يحققها . وقد ظل القرآن الكريم يامر بالانفاق « ويسالونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو » « يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » ظل القرآن الكريم يامر بالانفاق دون تحديد لما ينفق حتما اذا ما اتسعت دائرة الاسلام ، اصبح المسلمون جماعة متميزة لها نهجهـــا الخاص فى الحياة . ولها اهدافها الانسانية فى البناء والتغيير الاجتماعى وتهيأت فى ظل ذلك نفوسهم لقبول التحديد . امتد بيان الرسول الكريم الى التوجيه بالتنظيم والتحديد على الوجه الذى يهدف الى صالح الفرد والجماعة من جعل الزكاة ركنا من اركان الدين . وفريضة من فرائضه يقول تعالى : « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم .. » « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين » وهكذا فان الزكاة هى نقل بعض مال الامة من احدى يديها الى اليد المشرفة التى استخلفها الله على حفظه وتنميته والتصرف فيه .. لصالح المجتمع السليم الذى لاقوام له ولا بقاء الا بتكافل هاتين اليدين فى البناء والتعمير . والذى يعنينا هنا فى هذا المقام بناء المواطن المؤمن الذى بدا يستقبل حياته على أسس موضوعية سليمة ذات هدف اجتماعى ، بعد ان وضحت حقوقه الاجتماعية التى منحته الاحساس بالوجود وهذا بدوره يمنح المواطن المسلم ويضفى عليه الايمان الحق بعيدا عن الفقر والعدم والحاجة . ان الاســلام العظيم يعتمد فى صيانة الرسالة على جهـــود المـــؤمنين انفسهم ومدى مايبذلونه من تضحيات غالية فى عصر يمتاز بالتخصص العلمى . وتسيطر عليه مفاهيم اقتصادية جديدة فى التخطيط والمعاملات . ولكنها كلها لاتخرج عن الاصول السمحة التى وضعها الاسلام ونظم مناهجها . فالاسلام ليس صلة تربط الناس بربهم فى ساحة المسجد فقط ، ولكنها صلة توجه المؤمن الى شـئون حيـــاته . وتقيم المجتمع الاسلامى والدولة الاسلامية الصحيحة . وليس ذلك على شعبنا بجديد فقد تمكنت الامة العربية بعد انتشار الاسلام وبقوة الايمان من ان تصل الى الذروة على هدى من رسالته ومبادئه . وقد ابرز الميثاق صورة من هذا الماضى لتكون نبراسا للعمل فى الحاضر والمستقبل وصورة للقيم الخالدة التى يقوم عليها مجتمعنا الجديد قال « وفى اطار التاريخ الاسلامى وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قام الشعب المصرى باعظم الادوار دفاعا عن الحضارة الانسانية » ولم يـــكن هذا الدور العظيم سوى بالمعرفة والعلم والرغبة فى البحث والتزود . وقد حض الدين الاسلامى على متابعة التقـــدم العلمى رافعا من شأن العلوم « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » وايماننا اليوم بالعلم جعلنا نرفض اى تعصب دينى او جمود فكرى ويدفعنا دفعا الى ملاحقة التطور البشرى نحو مجتمع افضل . يضمن الرفاهية للمواطنين المؤمنين والدين الحق والعلم الحق هما تصوير متكامل لجوانب وجود مجتمعنا .. فاذا قال العلم ان الاستهلاك قد اصبح يهدد مجتمعنا بانفجار مروع من الداخل - انفجار قد يطيح - اذا اهملناه - بكل عملنا الوطنى . فلا يعنى هذا الا اننا نهمل فى حق ملايين المسلمين . ونعود بهم الى الفقر والعوز والحاجة

ولا يعنى هذا سوى اننا نترك هذه الظاهرة « الناتجة عن الزيادة المريعة فى تعداد السكان دون عقل ينظمها » لتفترس كل نتاج المسلمين · وعرقهم · وهكذا نجد ان تدخل الحكومة ـ فى الوقت المناسب ـ لتقيم الحد على قطاع صغير فى الاستهلاك برفع بعض اســعار الكماليات هو قرار انسانى يهدف الى توجيه جزء من مال المسلمين لصالح الاستثمارات الحتمية ·· التى تدفع خطط التنمية تبعا لاحتياجات مجتمعنا المتطورة · وبنظرة مدققة لمــا انجزته الثورة خلال السنوات القليلة الماضية نجد انها بذلت الجهود المستحيلة فى ســبيل اعلاء كلمة الدين والحقيقة · كلمة العدل · والحق والسلام · فى صورها العملية من صور تكافؤ الفرصة · وحقوق العمل والعلم والرعاية الصحية · وكان ذلك كله تمهيدا لمــا يستوجبه التحول الاشتراكى من تغيير اعمق واشمل فى كل مناهج الحياة الجديدة التى تعكس اثارها النابضة علينا · بتطبيقها علميا وعمليا بالطرق والاســاليب التى تحقق فاعليتها وتضمن لها الوصول الى الاهداف والنتــائج المرجوة ·

ان الشعب بامواله وعرقه قد ذاق حلاوة وكرامــة المكاسب الاشتراكية الانسانيه هو الذى يقف الان مدركا واعيا ليضع اللبنة فوق اللبنة فى هذا البناء الشامخ

[illegible] لكل فئات المجتمع وتوجيهها لدعم المبادىء والقيم والمثل العليا التى ارتضاها شعبنا ·

اننا نستهدف الكفاية والعدل · كبــاب من ابواب الرفاهية للملايين ونستهدف الرفاهية لتكون بابا صحيحا ومدخلا للايمان القوى ونستهدف الايمان للقرب الى الله جل وعلا ··

ان حياتنا فى مجتمعنا الاشتراكى الانسانى · تحكمها القوى الروحية والمادية معا · ولا سبيل للفصل بينهما · فكلتاهما ضرورية لقيام المجتمع السليم · ومن هنا ثبت فى ضميرنا ان التوازن بين ماديات مجتمعنا وروحانياته امر ضرورى ·· فى اطار تعاليم كتاب الله جل وعلا ·· وسنة رسوله ·· حيث جاءت الشريعة الاسلامية شاملة لعموم الناس فى جميع الازمنة · وكان من تدبيرها انها وضعت المبادىء العامة والاصول الاولى للحلال والحرام ثم تركت للناس مجال التحرك والعمــــل فى ظل هــذه المبــادىء ·· وعلى هديهــا ·· ولن تكون حركتنا فى اتجاه التغيير الاجتماعى الا بمزيد من الوعى والادراك لحقيقة مشاكلنا الاقتصادية حتى نبنى مجتمعنا اسلاميا · يضم الملايين من المؤمنين ·

« ادع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظــــة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » .

قرآن كريم

الاستاذ عبد الرحمن عبد التواب

وثيقة إعادة بناء مسجد عبد الله بن عبد الملك بن مروان بالفسطاط

لم يتخلف لدينا من الاثار العربية القائمة من عهد الولاة سوى بعض الزخارف بمسجد عمرو بن العاص أو المسجد العتيق والتى ترجع الى زيارة عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ « ٨٢٧ م » وان كان البعض يعتبرها احدث من ذلك التاريخ اذ ينسبونها للعصر الفاطمى . واما المسجد بوضعه الحالى فيرجع الى تجديد الامير مراد محمد بك له سنة ١٢١١ هـ « ١٧٩٦ م » والى اصلاحات مصلحة الآثار . كما تخلف لدينا اثر مازال قائما كذلك هو مقياس النيل بالروضة الذى بنى سنة ٢٤٧ هـ « ٨٦١ م » واذا كانت احداث الزمان قد عفت على آثار تلك الحقبة فان بطون الكتب قد حفظت لنا الكثير من آثارها وأن كان الكثير منها قد عفا الزمن على آثاره كذلك .

ويعتبر مسجد عبد الله بن عبد الملك بن مروان الذى كان بمدينة الفسطاط وهو موضوع هذا المقال من اهم آثار تلك الفترة .

اما منشئه فقد ولد فى حدود سنة ستين من الهجرة ونشأ بدمشق تحت كنف والده عبد الملك وقام بعدة غزوات فى خلافة أبيه وافتتح المصيصة . وفى سنة ٨٥ أو ٨٦ هـ ولى امرة مصر من قبل ابيه ولما مات أبو اقره اخوه الوليد ابن عبد الملك على ولاية مصر . وأمره أبوه عند ماولاه ان يعفى آثار عبد العزيز فاستبدل العمال بعمال غيرهم والاصحاب بأصحاب اخر واستعمل على شرطة مصر عبد الاعلى ومنع من لبس البرانس وكان شديد الباس وامر ان تنسخ دواوين مصر بالعربية وكانت تكتب بالقبطية . وفى سنة ٨٧ شرقت ارض مصر وغلت الاسعار بها الى الغاية حتى قيل ان أهل مصر لم يروا فى عمرهم مثل تلك الايام وتشاءم منه أهل مصر وزعموا انه كان يرتشى ويأخذ الاموال من الخراج وغيرهم . وظل يحكم البلاد الى ان عزله اخو الوليد بعد ان ظل واليا على مصر سنتين وعشرة اشهر وعند خروجه من مصر اخذ معه جميع أمواله وجمع الهدايا والتحف لاخيه الوليد فلما وصل الى الاردن احيط به من قبل اخيه الوليد واخذ جميع ماكان معه وحمل الى اخيه .

ومن آثاره المعمارية فيما نعلمه مسجده الذى عرف بمسجد عبد الله وعمارته فى المسجد العتيق التى تناولت رفع سمك سقفه وكان سقفه مطاطا وذلك فى سنة ٨٩ هـ .

اما مسجده فقد انشيء في المكان الذي كان يجلس فيه اهل المدينة عندما مر عبد الله وهو اميرهم فسألوه ان يبني لهم فيه مسجدا وشكوا اليه مايلقون من الشمس فبناه لهم فكانوا يتجمعون فيه والظاهر ان هذا المسجد كان من الفخامة بحيث اثار تأثر صالح بن علي عندما مر عليه في موكبه بعد هزيمة الامويين وانتقال حكم مصر الى بني هاشم وعندما نظر اليه استحسنه واعجبه وسأل عنه فقيل له بناه عبد الله بن عبد الملك بن مروان فقال اويبقى لهم اثر حسن مثل هذا ؟ لا ارجع عن ركوبي وتم هدم المسجد .

وعندما عزل صالح بن علي عن ولاية مصر بناه بعض جيرته بناء غير طائل حتى ولي عبد الرحمن العمري القضاء من قبل هارون الرشيد دخل عليه رجلان من جيرة مسجد عبد الله فشهدا عنده ان مسجد عبد الله لعبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما وانه رث وهدم فامر العمري ببنائه ولم يعبأ بشهادة الشاهدين . وقد انفق على المسجد الف دينار من وصية ابي نمير عم محفوظ بن سليمان وكان قد توفي في ذلك الوقت فبنوه بها وجعلت له حوانيت غلة له .

وقد حفظ لنا الكندي في كتابه القضاة « نص وثيقة اعادة بناء هذا المسجد ننشرها لما لها من اهمية كبرى اذ انها تعتبر اول وثيقة لاعادة بناء مسجد حفظت لنا فيما نعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب امـــر به القاضي عبد الرحمن بن عبد الله وهو يومئذ يلي القضاء بين اهل مصر في صـــفر سنة ثمان وثمانين ومائة بما يثبت عنده في المسجد الذي يقال له مسجد عبد الله الذي بالظاهر قبلة الطريق الاعظم الى المسجد الجامع ويحويه الطريق الذي يسلك الى سوق بربر وشرقيه السويقة التي يقال لها سويقة مســجد عبد الله على طريق الموقف وغربيه الطريق الذي يسلك منه على الجب الذي يقال له جب عبد الله حين رفع الى القاضي عبد الرحمن بن عبد الله نفر من جيرة هذا المسجد ان هذا المسجد قد رث وخيف عليه لانكسار خشبه وسقفه واحتـاج الى العمارة والمرمة وانهم قد وجدوا من احتسب في اصلاحه وبنائه وتصيير حوانيت تحته في حقوقه ليكون غلتها مرمة لما استهدم منـه وفي زيته وحصره واجر مؤذنه وشأنه كله . فسألوا القاضي عبـد الرحمن بن عبد الله ان ياذن لهم في ذلك فدعـــاهم بالبينة على ما ذكروا واقاموا بينة وعدلوا عنده وقبل شهادتهم فشهدوا عند القاضي عبد الرحمن بن عبد الله ان هذا المســجد الموصوف في صدر هذا الكتاب خيف على سقفه من قبل خشـبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره وان اجنحته التي حوله وما تحت هذا المسجد ليس لاحد فيــه حق وان الذي طلب عمارته وبناءه واصلاحه وتصيير حوانيت تحته ومرمة ما استلزم منه وفي زيته وحصره واجر مؤذنه وغير ذلك من نوائبه منفعة للمسلمين ممن صلى فيه وان ذلك ليس بضرر على احد .

وبعث القاضي عبد الرحمن بن عبد الله نفرا ممن يثق بهم فنظروا الى المسجد الموصوف في هذا الكتاب فرفعوا اليه مثل الذي شـهد به الشهود في هذا الكتاب . فلما ثبت عند القاضي ذلك رأى ان يـاذن في عمارة هذا المسجد الذي وصف في هـذا الكتاب وبنيانه واصلاحه وتصيير الحوانيت التي ارادوها تحته في حقـوقه ليكون غلتها في مرمة ان احتاج اليها وما يصلحه في زيته وحصره واجر مؤذنه وغير ذلك من شأنه ويكون فضلا ان فضل من غلتها في وجوه الخير ورفع الى القـاضي عبد الرحمن بن عبد الله ان هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب قد اصلح وفرغ من بنيانه وحوانيته واتوا بشهود يقال لهم عبد الصمد ابن سعيد وعمرو بن اسماعيل الايلي ومحمد بن سليمان بن محمد فشهدوا عند القاضي عبد الرحمن بن عبد الله ان هذا المسـجد الموصوف في هذا الكتاب كان اخاف سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره وان كل ما كان تحت هـذا المسجد وما فوقه والثلاثة الاجنحة التي كانت حوله ملصقة به ان ذلك كله من حق هذا المسجد وحدوده ليس لاحد فيـه حق ولا دعوى ولا طلبة بوجه من الوجوه وان المجـالس التي كانت حول المسجد خارجة منـه كان يؤدي من يجلس فيها الكرى الى من يقوم بأمر هذا المسجد انها على حالهـا لم تدخل في المسجد ولا في حوانيته وعدل الشهود عند القـاضي عبد الرحمن بن عبد الله فقبل شهادتهم وسأل القاضي عبد الرحمن بن عبد الله من حضره من جيرة هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب ان يكتب لهم ما ثبت عنده فيه كتبا يضعها عند من يرى ليكون ذلك حجة وقوة وان يولى القيام به رجل من اهل الثقة . فولى القاضي عبد الرحمن بن عبد الله السكن بن ابي السكن القرشي القيام بأمر هذا المسجد الموصوف في هـذا الكتاب واكراء حوانيته وان ينفق من كرائها ماراى من زيته وحصره واجر مؤذنه مايحتاج اليه في امره كله وينفق بقية ان بقيت من كرائه حيث رأى من وجوه الخير وجعله في ذلك امينا وامره بتقوى الله وطاعته والعمل في ذلك بحق الله عليه . وانفذ القاضي عبد الرحمن بن عبد الله ان يكتب هذا الكتاب نسخا تكون وثيقـة في هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب فكتب ودفع منها كتابا الى عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي وكتابا الى حجاج بن سليمان الحميري وكتابا الى ربيعة بن الوليد الحضرمي وكتابا الى شعيب بن الليث بن سعد الفهمي وكتابا الى ابي رجب العلاء بن عاصم الخولاني وكتابا الى عمرو بن يزيد الفارسي وكتابا الى ابي زراره الليث بن عاصم القتباني وكتابا الى عبدالصمد بن سعيد الانصاري وكتابا الى محمد بن سليمان بن فليح وكتابا الى الاشقر عبدالملك ابن سالم وكتابا الى السكن بن السكن القيم بهذا المسجد وكتابا الى محمـد بن سليمان ابن محمد بن عبيد وكتابا في ديوان القاضي عبد الرحمن بن عبد الله .

اشـهد القاضي عبد الرحمن بن عبـد الله الشهود المسمين في هذا الكتاب انه ثبت عنده مافي هذا الكتاب وامر به وانفذه على ما سمى وفسر فيه وذلك في صفر سنة ثمان وثمانين ومائة .

هذه وثيقة اعادة بناء مسجد عبد الله بن عبد الملك ابن مروان بالفسطاط وتلك قصة مسجده وصفوة القول انه بني في عهد بني امية ثم اعيد بناؤه في عهد العباسيين بناء غير طائل .

ثم اعيد بناؤه مرة ثانية في عهد العباسيين كذلك طبقا لما جاء بتلك الوثيقة الفريدة وظل قائما الى ان عفت الايام على آثاره .

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

اذا حللنا اصول الاسلام وقواعده المقصودة بالذات في كتابه وشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم بروح التعقل والانصاف والمنطق السليم لوجدنا ان الاسلام يقوم في أركانه جميعا على اربع دعائم :

١ - توحيد الله وتنزيهه نفيا واثباتا ، لااله قط الاالله الواحد الاحد وان كل ما خطر ببالك من فكرة او تصور او خيال مبدع ليضع لله صورة او تحيز في شخص او شيء او حدود ، أو زمان او مكان او مشابهة او مماثلة لكان الله بخلاف ذلك جميعا . وان لله صفاتا هي نعوت وجودها لازم عن وجود ذاته ومنها كلامه .

٢ - شريعة الاسلام علم أساسه معتقد ونية وعمل قوامه الاخلاص .

٣ - ومعاملات للناس معيارها العدل والاحسان . الى سائر الخليقة .

٤ - مضافا الى كل ذلك سنن صالحة موروثة واصول مرعية بالفطرة ، ونفحات من المروءة والنخوة والشجاعة والحرية الى غير ذلك .

وعلى المبدا الاول : نقول ان التوحيدمبدا فطرى عامفى الخليقة ، تدل عليه سائر الكائنات بتوحدها خلقا والفه ، ثم محاولة ذلك التوحيد تطورا نحو غايتها التى كانت مبدأها ، وتلك الغاية وذلك المبدا سببه وحدة الله في اسمائه وصفاته وافعاله ، يشهد بذلك ويدل عليه توحيد نواميس الطبيعة نفسها وتجانس اعيانها مما يدلك على ان مبدعها ومنظمها والمسيطر على وجودها ومصيرها مبدا واحد هو الله .

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » « ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق » « وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون أم من خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هو قوم يعدلون » « هو الله الذى لا اله الاهوالملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » .

وفي الانجيل : « هذه الحياة الابدية انك انت وحدك الاله الحق » .

واول الكلمات التي انزل الله على موسى : «انا الرب الهك الذى اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية لايكن لك اله آخر امامى . وفي البند الثامن من الوصايا « لاتصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق ومما في الارض من تحت » الى ان قال « انا الرب الهك اله غيور » الخ .

وعقب القرآن فقال : « الا لله الدين الخالص» «ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » « ام كنم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » « قل يااهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون »

والاسلام يعتبر ان سائر الرسل طبقة من طبقات البشر امتازت عن غيرها باستعداد الهى يؤهلها لحمل رسالات ربهم الى بقية الناس من بني جنسهم ، وكذلك دينهم دين واحد تدرج فى ازمنة مختلفة بحسب تدرج العقل البشرى صعدا ، وظلت الفطرة المنبثة فيهم واحدة ، بل واكثر من ذلك انهم كانوا عائلة واحدة كلهم من ابراهيم وابراهيم من آدم وآدم من تراب ، الا ان الله يصطفى لرسالاته ونبوته وولايته من يشاء من عبادة .

هذا عن التوحيد والتنزيه ، وعن رسالة الرسل ونبوة الانبياء وولاية الاولياء فالله واحد والغاية واحدة والمطلوب فى الكل واحد هو الله الذى منه بدء الامر واليه يعود . فان كمل كل هذا اسلاما وايمانا رقى بالضرورة متبعة الى درجة الاحسان ، وهذا معلوم للمسلمين جميعا .

ونقول بناء على ذلك ان درجة الاحسان التى هى ثمرة الاسلام فى الايمان الا التصوف الاسلامى فى معناه ومبناه ، وبعبارة اخرى - التصوف الاسلامى الحقيقى - لان التصوف بشرط ان يكون اسلاميا محضا من الاسلام كخلاصة الشيء ، او كالزبد من اللبن او قل بعبارة واحدة انه روح الاسلام فى الاسلام .

واما من جهة التشريع فلسنا فى حاجة لان نقول ان اكمل دستور للتشريع والتقنين العام هو القرآن بدون معارض او منازع يضاف الى ذلك آيات الحكمة وآيات التحرير للعقل وآيات الحث على التقدم بطلب العلم كلها يذخر القرآن بها ولا يسعنا فى هذا المقام الا ان نأتى بكلمة واحدة تدل على سمو شريعة الاسلام وهى منحصرة فى قول الله تعالى للمسلمين « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ومعنى وسطا اى وسطاء فى الخير والعدالة الاجتماعية والنزعة الانسانية . او مثلا اعلى .

وقلنا : ان التشريع الاسلامى يجمع بين معاملات مع الله ومعاملات مع الناس .

اما معاملة كل من ينضوى تحت راية الاسلام مع الله ، فاسسها امران :

١ - النية كمبدأ .

٢ - الاخلاص كسند ووسيلة .

« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » حديث صحيح متواتر »

اما معاملته مع الناس فاساسها ايضا امران مذكوران فى القرآن عند قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » فالمسلم مأمور بان تدور رحى حياته فى التعامل حول هذين القطبين ، ويقرب من هذا القول ان يحب الانسان لغيره ما يحب لنفسه وان يحكم على نفسه بما يحكم به على غيره ، وذلكم هو العدل ، وهو باسم آخر الانصاف فان اراد التقرب لله اكثر وكان المقام فى المعاملة مما يجب فيه التسامح والعطف على الضعيف كان قانون المسلم فى ذلك الاحسان زلفة الى الله وقربى .

وتلك هى الانسانية الكاملة والدين العدل الذى جاء بالصراط المستقيم حقا ، والدين الذى له ان ينتشر حتى يفهمه على حقيقته سائر البشر .

هذا واما شأن الاسلام مع الديانات الاخرى التى جاء خاتمة لها فهو التسليم بها وبكتبها وبرسلها كما رأيت مما مر ، وما ذلك الا لانه لايرى نفسه دينا من ثلاثة اديان متغايرة او متعارضة ، وانما يرى الاسلام وله الحق : انها هو وانه آخر ادوار التطور الدينى للتسامى والتكامل للتطور الدينى . فهو بناء على ذلك يسلم بسائر الكتب ليس تعصبا لها او عليها او انحيازا لنفسه ومتبعيه ، ولكنه يسلم بها جميعا لانه يرى محيطه يحتوى كل صحيح وسليم جاء فيها ، وآية ذلك قول الله تعالى « وكذلك جعلناكم امة وسطا » .

والاسلام بطبيعته التوحيدية عدو لكل باطل وموضوع مما يكتبه الناس بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، وسلام الله على من اتبع الهدى وصدق بالحسنى . وكفر بكل ماسوى الله من معبود . وذلكم هو التصوف الاسلامى فى معناه .

على انه قد اعد رجال القرن الثالث المبادىء الضرورية لدراسة صوفية اسلامية كاملة ، ولم يكن على من جاءوا بعدهم الا ان يتعهدوا هذه المبادىء وينموها ولا سيما وقد كان فى تقدم الثقافة العربية ونهوض الدراسات الاسلامية عامة مايعينهم على التوسع فى ابحاثهم » فشاركوا المتكلمين فى بعض مشاكلهم واقترضوا من الفقهاء قدرا من مصطلحاتهم ، وكذلك اخذوا عن الفلاسفة شيئا من نظرياتهم ، وقد خطا « الجنيد » فى هذا السبيل الخطوات الاولى الفاصلة ، فانتقل من حال الفناء التى قال بها « البسطامى » الى فكرة الاتحاد وذهب الى ان التصوف قد يصل الى درجة تشهد فيها الروح شهودا تاما لخالقها عن طريق القلب ، وذلك بالتجرد عن حول العبد وقدرته الى حول الله وقدرته فيقوى بذلك وتتلاشى ارادته البشرية فى ارادة الذات الالهية عن طريق عدم رؤية العبد لنفسه واستمرار الشهود الايمانى بغية الوصول الى حق اليقين وهو شهود ملاحظة روحه . لواجب الوجود دون تشبيه او تحديد .

وليس الشهود هنا كاتحاد شيئين متغايرين احدهما بالآخر كما فى الاتحاد البوذى او الهندى او المسيحى ، وانما هو اتحاد بالملاحظة ، والملاحظة فقط ينشأ عنه شهود عرفانى لله من طريق علم اليقين او عينه او حقه ، ويظل العبد عبدا ضعيفا محدودا والرب ربا معبودا مشهودا معروفا ، مراقبا ، ولكن فهم هذه النظرية فهما خاطئا او مختلطا بمعتقد مغاير جعل لامثال « الحلاج » سبيلا لأن يغتال فى نشر مثل هذه النظرية لدرجة «الحلول» واتخذمن نفسه وسيلة لها . فكان يعلن انه اطلع على الغيب وان فى مقدوره الاتيان بخوارق العادات ، ثم ذهب الى ماهو ابعد من هذا بقولته المشهورة انا الحق والاله لايحل فى جسم فرد من عباده مهما بلغ ولهذا ثار عليه معاصروه ورموه بالسحر تارة والجنون اخرى ، وعذب عذابا اليما الى ان مات فى اوائل القرن الرابع ، والله اعلم بحاله . وكان من اثر الحلاج وجود من بالغ فى ذلك مبالغة قلت ام كثرت وهو شهاب الدين عمر السهروردى المقتول رئيس جماعة الاشراقيين ، ومحيى الدين بن عربى الاندلسى ، وابن سبعين الصقلى ، وهم من رجال القرنين السادس والسابع .

وتابعهم جماعة من شعراء الفرس امثال جلال الدين الرومى وفريد الدين العطار وكلهم يرمى الى ان يقيم التصوف على دعائم فلسفية او فارسية وهندية او يونانية ، ولم يراعوا أن التصوف الاسلامى اصلا وفرعا سليم فى ذاته صحيح فى نزعته لايقبل الا افكارا اسلامية سليمة صحيحة مقاسة على كتاب الله وسنة رسوله

وفى ختام هذا الدور جاء « الغزالى » فتوج بكتابه « الاحياء » ذلك الكمال الصوفى الاسلامى المحض .

صورة من البطولة والفدائية

• الأستاذ محمود محمد شبكة

لاشك ان التضحية والفداء والعمل من اجل الدين والوطن والوقوف فى وجه الاعداء وافساد خططهم والتغلب عليهم من الامور التى دعا اليها الاسلام ورغب اتباعه فيها ووعدهم عليها الفوز والنصر فى الدنيا او الشهادة والنعيم فى الآخرة ففى ذلك حفظ لكيانهم وتمكين لهم فى الارض ودرء لاعدائهم يقول الله تعالى فى كتـابه الكريم : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »

ويروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « والذى نفسى بيده لوددت انى اقاتل فى سبيل الله فاقتل ثم احيا فاقتل ثم احيا فاقتل » ويروى ابو هريرة كذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لايكلم احد فى سبيل الله ـ والله اعلم بمن يكلم فى سبيله ـ الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك ».

وقد تقبل المسلمون فى كل العصـور هذه الدعوة الكريمة الى الجهاد بقبول حسـن وانطلقوا فرادى وجماعات شيبا وشبانا يدافعون عن دينهم وأوطانهم . وقد استطاع الفدائيون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان يقوموا بدور هام فى تثبيت اركان الدعوة والقضاء على العناصر الفاسـدة التى تعرقل انتشار الاسلام وبخاصة اليهود الذين اشتهروا بعداوتهم للاسلام ومحاولتهم القضاء عليه واشـعال نار العداوة والبغضاء بين المسلمين وقد نشط لهم المسـلمون فاستأصلوا شـأفتهم وقطعوا دابرهم وكان من بين هؤلاء اليهود الذين ظهر شرهم ووضـحت نواياهم السيئة : كعب بن الاشرف فقد قال حينما علم بمقتل سادات مكة فى غزوة بدر : هؤلاء اشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد اصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير لنا من ظهرها . وهو الذى ذهب الى مكة لما تيقن الخبر يحرض على محمد وينشد الاشعار ويبكى اصحاب القليب ثم رجع بعد ذلك الى المدينة فجعل يشبب بابناء المسلمين وبأم الفضل بنت الحارث فآلم ذلك رسول الله والمسلمين ، حتى اجمعوا على قتله ، ولقد اخذ جماعة من الفدائيين على عاتقهم قتل ذلك الرجـل وحينما اقتربوا من مكانه تقدم اليه « أبو نائلة » . واخذ يستدرجه بالطعن على محمد فقال له : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس واصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا ولما انس كعب واطمأن الى ابى نائلة ، طلب اليه مالا لنفسه ولجماعة من اصحابه على أن يرهنوه دروعهم ورضى كعب على ان يجيئوه من بعد وانه لفى داره على بعد من المدينة اذ ناداه صدر الليل ابو نائلة وكان كعب حديث عهد بعرس فنزل اليه وكانت امرأته قد حذرته من النزول فى هذه الساعة وقالت له حينما ناداه ابو نائلة : انى لاعرف صوته الشر فرد عليها كعب قائلا : ان الفتى لو دعى لطعنة لاجاب .

سار الرجلان حتى التقيا باصحاب أبى نائلة وكعب آمن لايخالفهم وخرج القوم يسيرون حتى مشوا مسافة

بعدوا بها عن دار كعب وهم يتجاذبون اطراف الحديث ويذكرون من حالهم وما وصلوا اليه من شدة مايزيد في طمانينة كعب وبينما هم يسيرون كان ابو نائلة يضع يده في راس كعب ويشمها ويقول : ما رايت كالليلة طيبا اعطر قط ولما لم تبق لدى كعب شبهته فيهم عاد ابو نائلة فوضع يده علي شعر كعب ثم اخذ بفوديه وقال : اضربوا عدو الله فضربوه باسيافهم حتى مات. وبقتل كعب خافت اليهود فلم يبق يهودى الا ويخاف على نفسه .

وكذلك استطاع الفدائيون المسلمون ان ينتقموا من رجـل يهودى له خطره وضرره هو ابـو رافع سـلام ابن ابى الحقيق فقد كان مقيمـا بخيبر معتزا بثروته الطائلة وامواله الكثيرة وكان يظاهر كعب بن الاشرف ويؤذى رسول الله ويؤلب الناس ضده ويحاول تمزيق صفوف المسلمين فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم جماعة من الانصار وامر عليهم عبدالله بن عتيك ، وكان رجلا قوى الايمان فيه بطولة وشجاعة واوصاهم الرسول الا يقتلوا امرأة ولا وليدا ، توجهوا الى خيبر وكلهم أمل فى التخلص من عدو الله - جلس الجميع على مقربة من حصن ابى رافع .. ولكن كيف الوصول اليه وحصنه منيع وحراسه اقوياء اشداء واصدقاؤه يسمرون عنده ويستمرون في سمرهم حتى ساعة متاخرة من الليل ولم يطل التفكير بهم فقد انبرى « عبد الله بن عتيك » وحده للقاء عدو الله وقال لاخوانه : اجلسوا مكانكم فسوف انطلق واتلطف للبواب لعلى ادخل واستطاع عبد الله بحيلته وذكائه أن ينفذ الى داخل الحصن رغم الاسوار والحراس واتخذ له مخبأ قريبا من البـاب الاول وظل فيه حتى نام الحراس وهدا كل فى مكانه فنهض من مكمنه واخذ المفاتيح وبدا يفتح بها الابواب بابا بابا وكلما فتح بابا اغلقه من الداخل حتى انتهى الى ابى رافع ونادى يا ابا رافع وعلى صوت الاجابة اهوى بسيفه فلم يغن عنه شيئا فعرفت امراته صاحب الصوت فقالت بصوت مضطرب هذا صوت ابن عتيك فقال لها ابو رافع : ثكلتك امك واين منا الآن ابن عتيك ثم عاد عبد الله للنداء مرة ثانية مغيرا صوته يوهم ابا رافع انه احد الحراس قائلا : ماهذا الصوت ياابا رافع فصاح به وهو يقول : لامك الويل اين انت ورجل فى البيت يضربنى بالسيف وعلى الصوت ضرب عبد الله ضربة اخرى فكانت مثل الاولى فما اغنت شيئا ومكث عبد الله قليلا ثم اقبل عليه فوجده مستلقيا على ظهره فوضع السيف في بطنه ولم ينزعه حتى سمع صوت العظام وهى تتحطم ، ويقول عبد الله : فجعلت افتح الابواب بابا فبابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلى وانا ارى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامتى ثم انطلقت حتى جلست عند الباب فقلت : والله لا ابرح الليلة حتى اعلم اقتلته ام لا . فلما صاح الديك قام الناعى عليه على السور فقال : انعى ابا رافع اهل الحجـاز فانطلقت الى اصحابى فقلت النجاء قد قتل الله ابا رافع فانتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : ابسط رجلك فبسطتها فمسها فكانما لم اشتكها قط . وفى مقتل كعب بن الاشرف وابى رافع يقول : حسان بن ثابت

لله در عصـابة لاقيتهـم
يابن الحقيق وانت يابن الاشرف

يسرون بالبيض الخفاف اليكم
بطرا كاسد في عرين مغرف

حتى اتوكم فى محـل بلادكم
فسـقوكم حتفا ببيض وذف

مستبصرين لنصر دين نبيهـم
مستضعفين لكل امـر مجحف

ويذكر الطبرى أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال للصحابة عقب مقتل كعب بن الاشرف من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود على رجل من تجار اليهود يقال له ابن سنينه فقتله . وكان لمحيصة أخ أكبر لم يسلم بعد ، فجعل هذا الاخ يضرب محيصة ويقول : اى عدو الله فقتلته اما والله لرب شحم فى بطنك من ماله فقال محيصة لاخيه اما والله لو امرنى بقتلك من امرنى بقتله لضربت عنقك فقال : لو امرك محمد بقتلى لقتلتنى قال : نعم والله لو امرنى محمد بقتلك لضربت عنقك قال : ان دينا بلغ بك هذا لعجب ثم اسلم .

هذا بعض ماكان من الفدائيين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ماكان منهم فى عصرنا الحاضر فقد راينا كيف اظهر الفدائيون فى فلسطين من ضروب الشجاعة والبطولة والاقدام ما يجل عن الوصف وكيف اقضوا مضاجع اليهود والقوا الرعب فى قلوبهم وانزلوا بهم الخسائر الفادحة رغم المعوقات والمثبطات التى كانت تحيط بهم فالسلاح قديم والذخيرة فاسدة والقيـادة خائنة والعدو اوفر مايكون قوة واستعدادا ورغم ذلك كله تقدم المجاهدون المصريون لايلوون على شىء فى عزيمة وشجـاعة وايمان لايبغيهم الا النصر على الاعـداء أو الشـهادة فى سـبيل الله وكان اسـتشهاد البطـل احمد عبد العزيز واخوانه دليلا على تاصل دوح البطولة والفداء فى نفوس المصريين .

وهناك دور هام قام به الفدائيون فى القنـال عام ١٩٥١ ايام الاحتلال الانجليزى فقد قامت مجموعة كثيرة من المعسكرات للفدائيين وكانت خطتهم تهدف الى تدمير ونسف المخازن والمستودعات وقطع خطوط المواصلات والتحايل لمنع وصول التموين الى الاعداء والعمل على جعل الحياة صعبة ومستحيلة عليهم . وقد اسـتطاع الفدائيون تحقيق كثير من اهدافهم بالرغم من قـلة خبرتهم ونقص تدريبهم بل لقد بلغت بهم حدة النشاط والقوة ان دخلوا فى معارك مكشوفة مع قوات الاحتلال ولقد اظهر ابناء الجامعـة فى تلك الفترة من ضروب الشجـاعة والاقـدام ما يفوق الوصف وكان مـن بين الشهداء الخالدين : عباس الاعسر وعمر شاهين واحمد المنيسى والطيار احمد عصمت والطفل البطل نبيـل منصور والبطلة المجاهدة ام صابر .

كما سجل الفدائيون فى معركة بورسعيد اروع آيات التضحية والفداء وساهموا بقسط وافر فى نجـاح المعركة وهزيمة الاعداء ومن بين هؤلاء الابطال الذين سجل التاريخ جهادهم بمداد من نور : جواد حسنى فقد كان طالبا بكلية الحقوق وتطوع للدفاع فى بورسعيد واخذ يقاتل ويقاتل حتى اصيب بجروح اثناء مناوشاته مع بعض الكتائب الاسرائيلية واستمر يدافع ويقاوم حتى دخل القطاع الذى احتله الفرنسيون فى بورفؤاد فاسروه وعذبوه ثم قتلوه غيلة وقبل موته خط على الحائط قصة بدمه وكتب تحتها « تحيا مصر »

وهؤلاء هم الفدائيون فى الجنوب العربى المحتـل لاتزال ضرباتهم القاتلة وهجماتهم العنيفة تؤكـد ان العربى من العزة والكرامة بحيث لايرضى بالذل ولايستكين للضيم وصدق الله : حيث قال فى كتابه : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون »

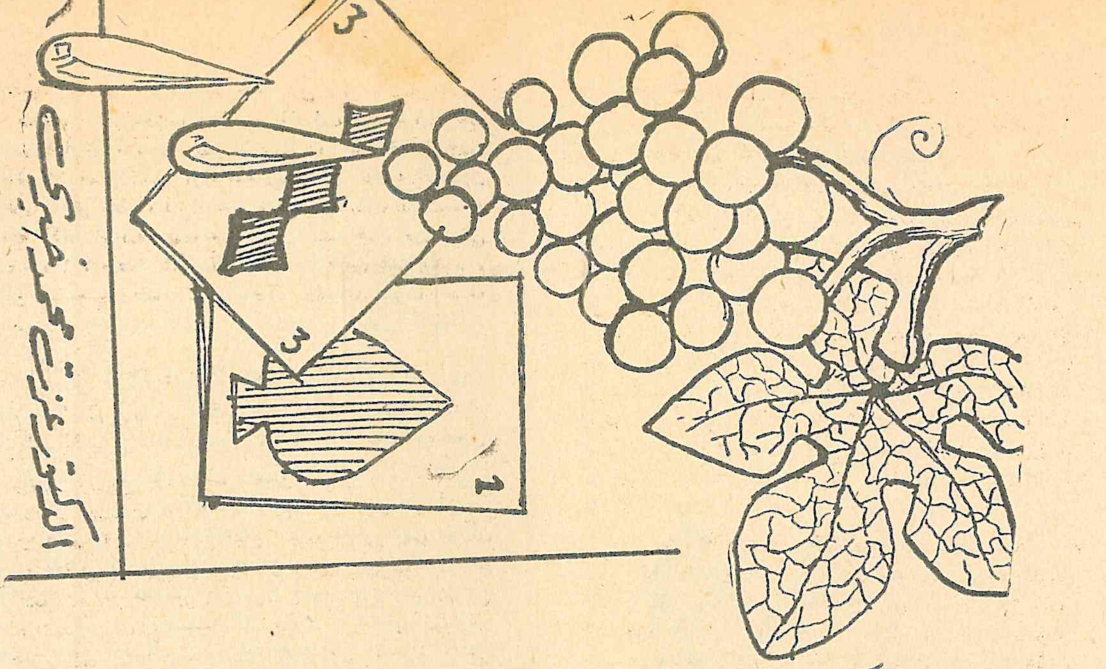

الخَمرُ والمَيسِرُ رِجسٌ مِن عَمَلِ الشَّيطان

يقول تعالى فى كتابه الكريم : « يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » - البقرة آية ٢١٩ -

يرد الله جلت قدرته فى هذه الآية على سؤال المتسائلين ، مستفسر ومستنكر ، عن حكم الله فى الخمر والميسر ، بأن هذين الصنوين المنكرين يطويان اثما كبيرا ولو كان فيهما بعض النفع القليل أحيانا الا ان اثمهما اكبر من نفعهما • وغنى عن البيان ان مرد هذا الكلام يرجع الى الاثار الوخيمة التى تنشأ عنهما على اختلاف أنواعهما وصورهما ، مما يؤكد أن المقصود تعميم دون تخصيص• والخمر على هذا الاساس هى كل ما من شانه ان يخمر العقل اى يستره ويعطل تحكمه ويخدر الاعصاب فينقلب زمامها • سواء كان ذلك نتيجة لتعاطى المواد المتخمرة او المخدرة أو المهيئة •

والتخمر تفاعل كيميائى يحدث فى المواد النشوية والسكرية نتيجة لفعل كائنات دقيقة حية فيحولها من مواد غذائية منشطة باعثة للطاقة الى مادة كحولية سامة شديدة الالهاب ، يحدث تناولها احتقانا وتلفا لانسجة الجسم المختلفة ، فتضمر تلك الانسجة وتتليف وتقل مرونتها ، وتضعف قوة احتمالها ، وتهين مناعتها ، وتتعطل وظيفتها • وان احتساء الموادالكحولية بوجه عام يؤدى الى فقدان الجسم لانواع مفيدة نافعة من الكائنات والدقائق التى تساعد الجهاز الهضمى على القيام بوظيفته على الوجه الاكمل ، فيتسبب عن ذلك ارتباك عمل هذا الجهاز • والخمر بسائر انواعها تضعف سيطرة المراكز العصبية العليا بالمخ على اعصاب الجسد التى تتخدر فتنهك وتتعب، ويفقد الجهاز العصبى اتزانه ، فينشط العقل الباطن منفلتا من تحكم العقل الواعى ، ويخرج حينئذ ما انطوى فيه وانطبع عليه من غرائز وافكار تتنافى مع كل اتجاه سليم وتتعارض مع كل فعل كريم • ولا يخفى ما يصاحب ذلك من آثار وأضرار بليغة تصيب المجتمع فى مختلف النواحى المادية والمعنوية •

وان كانت هذه هى اضرار الخمر فى بعض صورها فانها تطغى تماما على مالها من بعض النفع فى قلة محدودة تؤخذ عند الضرورة لعلاج بعض حالات مرضية خاصة • فان تناول نسبة ضئيلة من الكحول يولد طاقة اضافية وقتية تحدث انعاشا سريعا فى بعض حالات الهبوط المفاجىء التى تكون مصاحبة بفقد محسوس لطاقة الجسم الكامنة ، الا أنه حتى فى هذه الحالة يمكن استخدام وسائل اخرى اجدى وانفع • وهناك بعض حالات مرضية يستلزم علاجها اعطاء بعض المواد المخدرة تخفيفا لحدة مايصاحبها من آلام وتهدئة لما يحدث عنها من انفعال •

واذا قيس هذا النفع الضئيل بما للخمر من اضرار ونتائج وخيمة ، تتجلى حكمة الله جل وعلا فى أمره فى القرآن الكريم بتجنب الخمر بكافة اصنافها ، وتقييده الدقيق لاستخدامها عند ضرورة لا يوجد بديل ناجع لها •

ورب سائل يقول : لماذا وقد عببت السكر فتحملت اثره ، او تناولت المخدر فما افقدنى سيطرة كاملة على أعصابى ، لماذا يحرم على تعاطى هذا او ذاك ؟ انما

هو سؤال يتضمن امعانا فى الضلال وتقريرا لزيف واقرارا بالاثم ، فانما يتمثل اللب المقصود من وراء القطع بتحريم الخمر اول مايتمثل في تجنب الوصول بالانسان الى الحالة الراهنة التى وصفها ذلك المتسائل. وواقع الحال أنه بادمانه الخمر قد جعل من بعض بدنه خمرا ، وحفظ فى دمه نسبة عالية من هذا السم ، وخدر انسجته وبلد مشاعره ، واخفت صوت عقله وضميره ، وبالتالى عطل كل دوافع العمل والنشاط والحياة .

ان أمثال هذا المدمن يستحثون طريقهم الى حافة الهاوية تنتهى بهم ان عاجلا أو آجلا الى حطام متداع قد خان نفسه وخالف وحى عقله وشاب صفاء روحه .

وان كان هذا هو شأن الخمر وذلك افتاء القرآن فيها ، فان الميسر كذلك اثم عظيم . والميسر هو اجتباء كسب رخيص ومحاولة للحصول على مغنم سهل دون أن يؤدى لذلك ما يتكافأ معه من جهد نافع وكد وسعى هادفين . انه مكسب يقترن بخسارة ومغنم يزدوج بغرم ، وهو فى جملته اثم وضرر للكاسب والخاسر معا . وغنى عن البيان انه فضلا عن الاضرار المادية للميسر فان له آثارا بالغة الخطورة تعود على المجتمع بأسباب الفرقة والتناحر والحقد والضغينة ، والعداوة والبغضاء والبؤس والشقاء .

فكم من عائل اشقى اسرته وهدم كيانها بانكبابه على الميسر ، وكم من جريمة ارتكبت بسبب الميسر ، وكم من مصيبة ترتبت عن مباشرة الميسر او الدعوة اليه او التلاعب فيه . وان الميسر كاثم عظيم يرتبط ارتباطا وثيقا بعدد من الكبائر كتعاطى الخمر او استباحة الحرمات او ارتكاب جرائم التزوير والتدليس . والميسر كثيرا ما يصل بصاحبه الى ادمان قد يزيد على ادمان الخمر ، فاذا ما ربح المقامر طمع في المزيد ، وان خسر تمادى على امل تعويض ماخسر ، وهكذا تنتهى به الحال الى اسوا مآل .

وان هذه الاضرار تضع الميسر مع الخمر موضع التحريم رغما عما قد يكون له فى بعض الظروف من منافع وقتية لبعض الناس تتضاءل امام ماله من آثام .

واذا عدنا الى الآية الكريمة نجدها قد ختمت بعبارة رادعة واضحة اذ يقول تعالى : « ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ». والانفاق بذل وأداء ، وهو ضريبة وعطاء ، ولكل انفاق هدف ونتيجة ، فان كان خيرا أخلف خيرا وان كان شرا ابقى شرا . ولما كان لانفاق فى مجالى الخمر والميسر بذلا لا يشترى نفعا ، وأداء لا يخلف كسبا ، وعملا لا ينتج فضلا ، فانما هو انفاق خاسر وبذل عزيز باهظ ، ضريبته فادحة ألا وهى فقدان عفو الله وخسران غفرانه ورضاه . فمن راودته نفسه أو زين له الشيطان أن ليس هناك ضر فى قليل من الخمر يحتسيه أو غرم فى ضئيل من الميسر يتسلى فيه ، وجب عليه وقد اوضح الله امامه معالم الطريق ، ان يتوعى ويعمل بالحكمة القائلة رب قليل الى اكثار فادمان فخسران لعفو الله ، حينئذ يكسب نفسه ويخدم مجتمعه وينال عفو الله ورضاه .

وليس أدل على شدة اثم الخمر والميسر ، وعلى صرامة القرآن فى النهى عنهما والامر بتجنبهما من قوله جلت حكمته فى سورة المائدة :

« يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

لكل أمة من الأمم وجماعة من الجماعات أعياد ومواسم تكون منتزعة من واقع حياتها وتمليها عليها أحداث تاريخها ، وتصبح بمرور الزمن تقليدا متبعا ، يتطور أحيانا فيصير عقيدة من العقائد فى موضع التقديس والاحترام ، والتفانى فى المحافظة عليها والدفاع عنها .

ولكل جماعة طقوسها الخاصة فى هذه الأعياد ، تنظمها تقاليدها أو ترسمها لها قوانينها أو ترشد اليها عقائدها ، غير أن هناك قدرا مشتركا يجمع بينها فى صورها المختلفة وهو مظهر الفرح والسرور ، على أن هذا المظهر نفسه يختلف فى كل بيئة عن الأخرى ، وذلك باختلاف الاستعدادات والامكانيات وباختلاف المناسبات التى اقيمت من أجلها هذه الأعياد

الاسلامية

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

وقد ينسى المعنى الاول الذى اوحى بهـا فتصير الأعياد فرصة من الفرص الخالصة للهو والمرح ، بعيدة كل البعد عن منابعهـا الاولى ، مقطوعة الصلة بينها وبين مناسبتها .

وقد جاء الأسلام فوجد للعرب أعيـادا كغيرهم من الأمم ، فأبقى منها ماكان سليما فى فكرته ، مقبولا فى مظهره ، شريفا فى غايته . وأبطل منها ماكان متصلا بعقيدة باطلة أوعادة فاسدة ، أو داعيا الى عصبية أو خلق غـير كريم . وأبدلهم بها أعيادا تتصل بأسباب مشروعة ، وتهدف الى غاية نبيلة وتقوم عـلى أعمال نافعة مفيدة .

يقول أنس رضى الله عنه ، كما يرويه النسائى وابن حبان بسند صحيح : قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال « قد ابدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما ، يوم الفطر ويوم الاضحى » وهذان العيدان السنويان للمسلمين جعل الله الى جانبهما عيدا اسبوعيا هو يوم الجمعة ، وقد جاء كل منهما عقب شعيرة من شعائر الاسلام الكبرى ، وهى الصلاة والصيام والحج، ويجمعها كلها مظهر واحد مشترك هو التجمع والالتقاء ، وهدف واضح محدد هو العمل لخير المجموع .

فالجمعة عيد الصلاة الاسبوعى ، فرضت فيها الجماعة فرضا عينيا ، حيث يعقد أهل كل محلة جلسات عادية منتظمة فى ناديهم الأسلامى الجامع ، يحضرون ، كما ارشدت السنة ـ فى مظهر بهى وعرف شذى ، وتعلوهم السكينة ويجللهم الوقار ، ينصتون فيه جميعا الى النصح والتوجيه ، ويتعرفون على السياسة الرشيدة التى اختطها الاسلام لاسعاد حياتهم وترقية مجتمعهم ، ويدرسون عـلى الطبيعة مشاكلهم ، ويتبادلون الرأى فيما يرفع شأنهم

وفى عيد الفطر احساس قوى بلذة النعمة التى حرم منها الصائمون فى نهار شهر رمضان وفيه دفع قوى الى شكر الله على نعمه التى لا تعد ولا تحصى وعلى التوفيق فى هذا الامتحان الاخلاقى الذى اجتازوه بالصيام وقد خلصت نفوسهم وطهرت أرواحهم وسمت أذواقهم وتهذبت طباعهم وتحررت من أسر المادة ورق الشهوات .

ويجتمع المسلمون لصلاة العيد على نطاق أوسع ، ويشهد الاجتماع صغارهم وكبارهم ، ومقيمهم ومسافرهم ، وكل من يسهم حضوره فى ابراز صورة الاجتماع بشكل أوضح ومظهر أكمل ، يتلاقون فيه مشرقة وجوههم بالبسمات منطلقة السنتهم بالتهانى والدعوات سخية أكفهم بالصدقات ، متسابقين الى اخراج زكاة الفطر التى يشعر بها الفقير أن فى مجتمعه الأسلامى قلوبا عامرة بالعطف ، محسة بالأخوة عارفة بواجب المجتمع .

وفى عيد الأضحى تجتمع وفود المسلمين من كل فج عميق ، فى تلك الساحة الروحية

الكبرى عند البلد الأمين منضوين جميعا تحت لواء واحد هو لواء التوحيد مضحين فيها بشهواتهم مقدمين دماءهم وأموالهم فداء لدينهم ووطنهم الاسلامي الجامع ، راجمين شيطان أهوائهم ، طائفين جميعا حول مركز واحد مرتبطة قلوبهم بغاية واحدة ، هي رفع منار الاسلام عاليا كما يرتفع البيت العتيق في هيبة وجلال .

يجتمع المسلمون الذين لم يكتب لهم شهود مؤتمر الحج لصلاة العيد الأكبر كما اجتمعوا من قبل في العيد الأصغر ، ويعيشون اياما معلومات يرددون بأصواتهم الجماعية شعار العيد بالتكبيرات القوية والكلمات المعبرة الهادفة ، ويطعمون الطعام ويتبادلون الزيارات ويصلون الارحام ويعطفون على الأيتام . وينفسون عن المكروبين ويأخذون بيد العاجزين

ان هذه المعاني السامية الكريمة التي شرعت من أجلها الأعياد الاسلامية يجب أن تعيها قلوب المسلمين وتتمرس بها نفوسهم ويجب ألا تطغى مظاهر الفرح والسرور فيها على معانيها القدسية الجميلة بل يكون ذلك في حدود ما احل الله ، وفي اطار من الأدب واللياقة والاعتدال يليق بمسلم يشعر بان له رسالة سامية في هذه الحياة ، تنأى به عن سفاسف الأمور ومحقرات الأعمال . فالحكمة والقصد والاعتدال هي الطريق السوي للوصول الى الهدف ، أما الفوضى والسرف وتجاوز الحدود فهي عوامل هدم وتخريب وافساد للاخلاق والأموال .

يجب أن نتذكر ان الله سبحانه وتعالى أنزل في يوم العيد الأكبر في حجة الوداع قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » والمسلم الحر الأبي لايرضى أن يعيش الا اذا كانت حياته في ظل هذه النعم الكبرى ، التي سجلتها هذه الفقرات الكريمة في القرآن الكريم ، انه لايحس للأعياد طعما الا اذا كان آمنا في سربه، معافى في بدنه مطمئنا على حقه ، حرا في عقيدته ، كريما بين قومه يعيش في مجتمع خالص من شوائب الفوضى والاضطراب يتعاون افراده على البر والتقوى ، ولا يرضون بغير الحق والعزة والكرامة بديلا .

ان العيد الأكبر للمسلم يوم ان تعلو راية الاسلام وتقوى شوكة المسلمين وان تتوثق عرا المحبة بين افراد الامة وترفع الحواجز بين الدول الاسلامية التي اصطنعها الاستعمار لتمزيق شملها وتفكيك وحدتها .

عيده الأكبر يوم ان تطهر بلاده العزيزة من رجس المستعمر ودنس الدخيل ، وان تسترد الشعوب المغلوبة على أمرها حقوقها المسلوبة ، ويستقر الامن في ربوع الوطن العربي والاسلامي ، ويخلص مجتمعه من أعوان السوء وعملاء الاستعمار ويعمل الجميع لخير الجميع

ان الكلمة التقليدية التي تصطك بها شفاهنا والسنتنا في يوم العيد ، وهي « كل عام وانتم بخير » نريد ان يتحقق معناها الكامل لانريدها أمنية من الاماني ، ولكن حقيقة مقررة.. لانريدها دعاء واملا بل نريدها واقعا من واقع الحياة في جانبها العمل التطبيقي نريد ان ينعم كل فرد منا بالخير المرجى كانسان كرمه الله وأن ينعم العرب بالخير كمجتمع حر أصيل ، وأن ينعم العرب بالخير كأمة عريقة لها تاريخها المشرق وماضيها المجيد وان يتمتع المسلمون في كافة ارجاء الدنيا بالأمن والاستقرار ووحدة الصف والانصراف الى رسالتهم السامية الأولى وهي نشر كلمة الحق والعدل والسلام في العالم اجمع تحقيقا للرحمة التي أرسل بها رسولهم صلى الله عليه وسلم « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »

ان اليوم الذي تتحقق فيه أمانينا .ونصل فيه الى اهدافنا هو اليوم الجدير بان نفرح فيه حقا ، وان نفخر بأنه عيدنا الاكبر

فلنعمل في صف واحد على تحقيق هذه الاماني ولنبذل كل جهودنا للوصول الى اهدافنا الكبرى . والامل وطيد في الوثبات التحررية الناهضة التي قام بها زعماء العرب والعالم الاسلامي ورجاؤنا من الله ان يحقق على ايديهم الآمال وان يعيد علينا هذه الأعياد ونحن اسعد حالا وأعز مكانا وارفع شأنا ، انه سبحانه ولي التوفيق

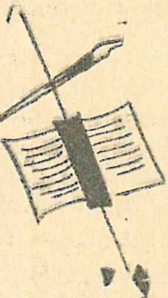

الشريعة الإسلامية والقانون المدنى

للمستشار عبد الستار آدم

ذكرت فى مقالاتى السابقة بهذه المجلة ان القانون المدنى المصرى الحالى قد اقتبس من احكام الشريعة الاسلامية الغراء كثيرا من نظرياتها العامة وكثيرا من احكامها التفصيلية وتحدثت بالتفصيل عن تلك النظريات العامة .. اما الاحكام التفصيلية فانى اتحدث اليوم عن احدها وهو حق الحكر .

والحكر هو عقد يكتسب المحتكر بمقتضاه حقا عينيا يخوله الانتفاع بارض . باقامة بناء عليها او باستعمالها للغرس او لاى غرض آخر . وذلك فى مقابل اجره معينه .. والغرض منه تسليم ارض ـ فى حاجة الى الاصلاح ـ الى شخص يصلحها وينتفع بها مدة طويلة حتى يتمكن من استثمار الارض استثمارا يجزى ما انفق عليها فى اصلاحها . ولذلك يغلب أن تكون الارض المحكرة وقفا مخربا ، وان كان يجوز ـ طبقا لاحكام الشريعة الاسلامية ـ تحكير الاعيان غير الموقوفة .

والقانون المدنى الحالى اخذ حق الحكر من احكام الشريعة الاسلامية وهذه الاحكام مبنية فى المواد ٧٠٠ وما بعدها من كتاب مرشد الحيران فى حقوق الانسان للمرحوم قدرى باشا والمواد ٣٣١ وما بعدها من قانون العدل والانصاف .. وقد اخذ القانون المدنى باحكام الشريعة الواردة بالمواد المذكورة على الوجه الذى كان قد قرره القضاء المصرى وقت اعداد مشروع القانون المدنى ثم عمل على تحديد انتشاره والتضييق فيه لانه قيد خطير على حق الملكية او ـ كما قالت المذكرة الايضاحية للقانون المذكور بحق ـ هو « ملكية تقوم على الملكية الاصلية مما يجعل امر الاستغلال والتصرف فى الارض المحكرة من الامور غير الميسرة » ولذلك فقد حدد مدة الحكر بستين سنة فنص فى المادة ٩٩٩ على انه « لايجوز التحكير لمدة تزيد عن ستين سنة . فاذا عينت مدة اطول او اغفل تعيين المدة اعتبر الحكر معقودا لمدة ستين سنة .. ونص فى المادة ١٠٠٠ على انه لايجوز الحكر الا لضرورة أو مصلحة واوجب ان يصدر به عقد امام المحكمة وان يشهر طبقا لقانون تنظيم الشهر العقارى .. كما قصر التحكير الذى يتم بعد صدور القانون على الاعيان الموقوفة « الفقرة الاولى من المادة ١٠١٢ » بينما احكام الشريعة الاسلامية تجيز ـ كما تقدم ـ تحكير الاعيان غير الموقوفة .. اما الاحكام القائمة على ارض غير موقوفة فى وقت العمل بالقانون المدنى فقد نص القانون المذكور . فى الفقرة الثانية من المادة ١٠١٢ . على ان يسرى عليها احكام الحكر المبينة به .

ولما صدر القانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ بالغاء نظام الوقف الاهلى ونص على ان يعتبر منتهيا ـ بسبب زوال صفة الوقف كل حكر كان مرتبا على ارض انتهى وقفها طبقا لاحكام القانون المذكور وبذلك اصبح معظم الاحكار منحصرا فى الاوقاف الخيرية وقد اصبحت هذه الاوقاف فى نظارة وزارة الاوقاف طبقا لاحكام القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣ بشأن النظر على الاوقاف الخيرية وتعديل مصارفها على جهات البر ـ والقوانين المعدلة له .. ولذلك رأت هذه الوزارة ان فى بقاء بعض الاحكار مايفوت على الاوقاف الخيرية مصلحة كبيرة اما لان استغلال العين المحكرة على وجه آخر يعود بمنفعة تزيد على اجرة

الحكر او لاى سبب آخر ولذلك فقد استصدرت الوزارة القانون رقم ٦٤٩ لسنة ١٩٥٣ متضمنا الحق فى انهاء الحكر على الاعيان الموقوفة وذلك بقرار من السيد وزير الاوقاف بعد موافقة المجلس الاعلى للاوقاف كما نظم هذا القانون تصفية الآثار المترتبة على هذا القرار توصلا الى حصول كل من المحتكر والمحكر على حقوقه وقرر الاجراءات والخطوات التالية للانهاء .. ثم صدر القانون رقم ٢٩٥ لسنة ١٩٥٤ تضمن احكاما قصد منها تبسيط هذه الاجراءات وتسهيلها .. وعلى اثر صدور هذا القانون الاخير اوجدت الوزارة من التسهيلات مايمكن المحتكر من الاستبدال - الا انه رغما عن ذلك فقد رات الوزارة ان القانون المذكور لم يحقق الغاية المرجوة منه فاستصدرت القانون رقم ٩٢ لسنة ١٩٦٠ - باعادة تنظيم انهاء الحكر على الاعيان الموقوفة - وقد راعت الوزارة فى وضع هذا القانون الاخير تذليل الصعوبات التى واجهتها عند تنفيذ القانون السابق ، تلك الصعوبات التى اشارت اليها المذكرة الايضاحية للقانون الاخير حيث جاء بها مايلى :

« وعلى اثر صدور هذا القانون - اى القانون رقم ٢٩٥ لسنة ١٩٥٤ اوجدت الوزارة من التسهيلات مايمكن المحتكر من الاستبدال .. الا انه رغما عن ذلك فان هذا القانون لم يحقق الغاية المرجوة منه وسارت عملية الاستبدال فى بطء شديد حتى كادت تتوقف فى الوقت الحاضر وذلك بسبب ماصادف الوزارة من عقبات ومسائل استعصى حلها ومن اثر ذلك تعدد المحتكرين . وقد يكون المحتكر وقفا اهليا انتهى على مستحقين كثيرين غير معروفين للوزارة ، ومن الصعوبة بمكان بل من المتعذر فى كثير من الاحوال اعلانهم بقراراتها والحكر وان اعلنوا فقد يقبل البعض الاستبدال دون البعض الآخر . يضاف الى ذلك ان هذا القانون نص على ان يكون الاستبدال للمحتكر فى حين ان السواد الاعظم من المنتفعين ليس لديهم عقود او آلت اليهم المنفعة بعقود غير مسجلة وفى هذه الحالات جميعها لايكون امام الوزارة من سبيل الا ان تبيع العقار بيعا اختياريا طبقا لاحكام قانون المرافعات المدنية والتجارية بما يصادف هذا الطريق من اجراءات طويلة .. » ولهذه الاسباب تضمن القانون رقم ٩٢ لسنة ١٩٦٠ سالف الذكر الحق فى انهاء الحكر على الاعيان الموقوفة بقرار من السيد وزير الاوقاف على ان يتم انهاء الاحكار خلال مدة لاتزيد على خمس سنوات من تاريخ العمل بالقانون المذكور « المادة ١ منه » ثم بينت المادة ٢ كيفية توزيع الثمن بين الوقف مالك الرقبة والمحتكر ونص فى المادة ٣ على نشر القرار فى الجريدة الرسمية وفى جريدتين يومتين ويلصق لمدة اسبوع على الباب الرئيسى لمقر الشرطة او العمدة ويخطر مكتب الشهر العقارى المختص بصورة من القرار المذكور لقيده فى سجل خاص لمراعاة اخطار الوزارة باى تصرف يرد على هذا العقار . واوجبت المادة ٤ على المحتكر وكل ذى شأن ان يتقدم الى تفتيش الاوقاف التابع له العقار فى خلال شهر من تاريخ نشر قرار انهاء الحكر فى الجريدة الرسمية بيانا يرفق به كافة المستندات المثبتة لحقه .. ثم نصت المادتان ٥ ، ٦ على تشكيل لجنة شئون الاحكار واللجنة العليا للاحكار ومبينا اختصاصاتهما واجازت للجنة العليا ان تتصرف فى ثلاثة اخماس الى الارض الى المنتفع الظاهر او الى بعض المحتكرين او احدهم واذا كانوا قد قدموا بيانهم واوفوا بالتزاماتهم فى المواعيد المنصوص عليها فى المادة ٥ كما اجازت لها ان تقرر فرز وتجنيب هذا النصيب .. ونصت المادة ٧ على ان يكون فرز وتجنيب نصيب الوزارة فى الرقبة طبقا للاحكام والاجراءات المنصوص عليها فى القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٦٠ - بشان قسمة الاعيان التى انتهى فيها الوقف كما اوضحت هذه المادة الاساس الذى يتبع فى توزيع الثمن بين المنشآت والارض اذا كانت هناك منشآت مقامة عليها .. واوجدت المادة ٨ تسهيلات للمحتكر او المنتفع الظاهر اذا قبل الاستبدال . كما نصت المادة ٩ على ان يتم الاستبدال بالتوقيع على العقد من السيد وزير الاوقاف او من ينيبه دون حاجة لعرض الامر على محكمة الاحوال الشخصية .. ثم تناولت المادة ١٠ الاحكار التى انتهت طبقا لاحكام القانون رقم ٢٩٥ لسنة ١٩٥٤ فقضت بأن تتبع فى شأنها الاجراءات المنصوص عليها فى المواد السابقة فيما عدا مسائل استبدال الاحكار المنظورة امام المحاكم فيستمر السير فيها مالم تطلب الوزارة احالتها للسير فيها طبقا لاحكام هذا القانون ..

ومما هو جدير بالذكر انه قد صدر اخيرا القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٥ باستمرار العمل بالقانون رقم ٩٢ لسنة ١٩٦٠ لمدة سنتين اخريين ابتداء من تاريخ انتهاء السنوات الخمس المنصوص فى مادته الاولى . وذلك لما ذكرته وزارة الاوقاف فى المذكرة التى قدمت بها القانون المذكور من ان « الفترة المحددة لانهاء الاحكار قد شارفت النهاية مع ان هناك احكارا مجهولة المواقع وما فتىء التطبيق الهندسى جاريا فى شأنها للتعرف على مواقعها واصحاب الحقوق عليها تمهيدا لاعمال القانون فى شأنها ».

بسم الله الرحمن الرحيم

« واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم »

صدق الله العظيم

الاسلام دين السلام

الاستاذ محمد حافظ سليمان

ان الله قد أرسل رسوله رحمة للعالمين وبعثه بالهدى ودين الحق وأيده بنصره وبالمؤمنين ليكون شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

ولقد ارشده ربه الى الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ليكون فى دعوته قويا فى غير عنف ، لينا فى غير ضعف ، وقال له « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله » .

لقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة وكان يستعين بالصبر والحلم يصل ما أمر الله به أن يوصل، وينهى عن الفساد فى الارض .

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
الا على صنم قد هام فى صنم
أخوك عيسى دعا ميتا فقام له
وأنت أحييت أمواتا من العدم

وبهذه الدعوة البناءة الهادفة أخرج الرسول صلى الله عليه وسلم الناس من الظلمات الى النور ومن الباطل الى الحق ومن العوج الى الاستقامة ومن الضلالة الى الهدى فبنى أمة وأسس دولة قال لها رب العالمين : « كنتم خير امة اخرجت للناس » .. « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » وأمرهم بألا يتفرقوا « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « ولا تنازعوا فتفشلوا »

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

وهكذا كان هذا الدين بناء ولم يكن هداما ولقد كان بمبادئه الخالدة ثورة على الاوضاع الفاسدة وعلى الحياة المتخلفـــة الراكدة فأنقذهم من ظلمات الجهـــل والاستبداد والاضطراب الى نور العلم والعـــدل والاستقرار فاطمأنت النفوس واستنارت البصائر وتيقظت الضمائر ، واتجه المؤمنون بالله ورسوله الى مرضـــاة رب العالمين بخطوات موفقـــة لا تزيغ ولا تنحرف فلا شر ولا رذيلة ولا ضلال ولا رياء ولا تعقيـــد ولا التواء .

« وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

والاسلام يأمرنا بالســـلام وينهانا عن الخصـــام وذلك لأنه يحض على البر والخير والعدل والتعاطف والتراحم والتواد والتحاب والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وهذا الدين لا يعرف للاجرام سبيلا ولا للغدر طريقا ولا يقبل المسلمين متقطعين فى الارض أمما ولا ينظر اليهم لا حول لهم ولا طول ولكنه يطالبهم بالوحدة والقوة وهمـــا ركنان لا يرجى للاسلام بقاء بدونهما . وهو يأبى الشر والضر والخيانة .

ان الدين عند الله الاســـلام وهو يدعو للامن والسلام . والله اسمه الســـلام . « والله يدعـــو الى دار الســـلام » . « تحيتهم يوم يلقـــونه ســـلام » . « ادخلوها بسلام » ، « سلام عليكم طبتم » « سلام عليكم بما صبرتم » . وتحية المسلم للمسلم السلام عليكم . وعليكم السلام .

وفى كل صلاة تذكر السلام ولا تخرج من الصلاة الا بالسلام .

أما الأمن فهو دعوة خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام « **واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا** : « وهـــذا البلد الأمين » .. « وآمنوا من خوف » وليبدلنهـــم من بعد خوفهم أمنا » ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» فهو جزاء للمؤمنين بالله رب العالمين .

وأولّ ما يبدأ السلم يبدأ بين المرء ونفسه قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها .

ثم بين الانســـان ووالديه والأقربين ، والجيران ، ثم بين الانسان والناس « **يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى الســـلم كافة** » « **وأن جنحوا للسلم فاجنح لهـــا وتوكل على الله** » .

والاسلام لا ينهانا عن الاحسان الى من لا يدينون بالاسلام اذا لم يهاجمونا ولم يقاتلونا « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياكم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** » .

ان جوهر الدين لا يتعارض مع حقـــائق الحياة بل ان الاسلام يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية وبأن الله وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة . ولقد كان الايمـــان الـــواعى زادا قويا يدفع الشعب دائمـــا الى الحفاظ على مقومات الحياة وسلاحا يرتد الى نحور الرجعيـــة التى تعوق الاتجاه الدينى الحق .

« ومن الناس من يعجبـــك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفســـد فيها ويهلك الحرث والنســـل والله لا يحب الفساد » .

ولن ينسى التاريخ قادة الاصلاح الدينى والسياسى أمثال جمـــال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده ورشيد رضا ولقد رفع التاريخ شأنهم وأعلى قدرهم .

ان شعب مصر يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويملك من اعتماده على ربه ويقينه بنفسه ومن ثقته بدينـــه ما يمكنه من فرض ارادته عـــلى الحياة ليصوغهـــا من جديد وفق ارادته وامانيهلتصبح أمة الاسلام عزيزة الجانب قوية السلطان تعنو لها وجوه العالمين .

والله قادر على ان يرد للاسلام مجـــده وعزه ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

تاريخ التشريع الإسلامي في مصر

البيئة الدينية في مصر قبل الإسلام

الدكتور حامد حفني داود

يؤلف الواقدى وابو اسحاق الراوى وغيرهما من المؤرخين كتبا فى فتوح مصر ، ويضع الصولى كتابا فى شعرائها ، ويزورها المسعودى فيصفها فى كتابه « التنبيه والاشارات » ويتحدث عنها فى « مروج الذهب » حديثا ليس بالقصير .

كذلك عني المصريون انفسهم بدراسة تاريخ هذه البيئة امثال ابن عبد الحكم صاحب « فتوح مصر » ، ومحمد بن زكريا العلائى ، واحمد بن يعقوب المصرى صاحب « اخبار العباسيين » .

كل هذا لايوازى شيئا اذا قيس الى الآيات الكريمة التى انزلها الله فى اخبار هذا البلد الكريم ، ثم هذه الاحاديث الشريفة المنسوبة الى رسول الله صلى الله وسلم ووصيته فى اهل مصر ومن ذلك : « اوصيكم بأهل مصر خيرا » واذا كان المؤرخون والعلماء - قديما وحديثا - عنوا ببعض فروع الحياة السياسية والاجتماعية والادبية فى مصر ، فخليق بنا نحن اليوم أن نكتب عن تاريخ التشريع الاسلامى فيها .

ومصر قطر متدين بأصوله وفطرته وتاريخه ، ونظرة بسيطة نلقيها على التاريخ المصرى القديم تكفينا مئونة المناقشة فى بحث هذه القضية التى اوليت بها ، ونضع أيدينا على الآثار الدينية فى حياة هذا الاقليم من أقدم ماعرفناه من عصور التاريخ . ونحن فى هذا المقام فى غنى عن ذكر التفاصيل ، ويستطيع القارىء الكريم أن يتصفح بنفسه كتب التاريخ القديم ليرى مبلغ اهتمام قدماء المصريين بالبحث فى عبادة الله وفى الديانات واصولها وشعابها .

ولم يحقق قطر من اقطار الشرق الاسلامى ماحققته مصر فى علوم الدين ، ولم ينتشر الاسلام فى قطر من اقطار الشرق بالسرعة العجيبة التى انتشر بها فى مصر عام الفتح ، ولذلك اسباب كثيرة نلخصها فيما يأتى

١ - جاء الاسلام الى مصر ، والمصريون : فراعنة ومسيحيين : تحت حكم ساداتهم من الرومان ، ونحن نعرف حالة المصريين فى عهد الرومان الذى يعتبر بلاشك عهد الارهاب الاكبر ، والذى كانت فيه مصر ترزح تحت عبء ثقيل ردحا من الزمن ربما لايليق بنا أن نقارنه بعهد الاتراك العثمانيين فيما بعد . ولسنا فى حاجة الى بيان الاضطهاد الدينى عند الاقباط فى ذلك الوقت ولا مبلغ المناوشات التى كانت بين اليعاقبة الحزب المصرى المظلوم والملكانيين الحزب الرومانى الظالم . ولكن لم يكن هناك مايخفف هذا الويل ، ويوقف هذا الطغيان ، ويضع حدا لجموحه الا الفتح العربى الاسلامى الذى سرعان ما تم فى العام العشرين من الهجرة النبوية وقد ساعد المصريون على اتمامه للتخلص من هؤلاء الطغاة وكان لهذا الانقلاب السياسى رد فعل فى نفوسهم حمل الكثيرين منهم على اعتناق الاسلام طوعا لاكرها وحبا لاخوفا .

٢ - كما ان استعداد مصر لتقبل العلوم الدينية قبل اعتناقها للاسلام لم يقف عند هذا الحد فالمصريون قد وهبوا حظا عظيما فى الروية والاناة والتفكير العميق فى كل مايبحثون او يذهبون اليه . ولسنا فى حاجة الى ان ندلل على هذا عن طريق نتاجهم الفنى والدينى فهاك الآثار المصرية الشهيرة تغنينا عن مئونة التدليل ومشقة الاثبات ، فاستعداد مصر او بمعنى اعم البيئة المصرية بما وهبت اياه من جغرافية ملائمة وجنس مكب على العبادة عرف فى التاريخ من بين الشعوب المتدينة

- كل هذا جعل مصر اقليما صالحا متميزا بايغاله فى العلوم الدينية والبحوث الروحية .

٣ - كذلك كان للمصريين قبل دخول العرب علوم ومقطوعات دينية يرتلونها ، وهناك العلوم التى كانت تدرس فى الاسكندرية وفى الاديرة الكثيرة المنتشرة فى ارجاء الصحراء وهذه المناقشات الدينية فى ارجاء الصحراء العنيفة التى كانت تثار بين طوائف المسيحيين كل هـــذا يدلنـــا دلالة قاطعـــة على ان مصر كان لهـــا قبل اعتناقهـــا الاسلام استعداد عظيم لتقبل الدراسات الدينية . ومن هنا وجد الاسلام فى الطبيعة المصرية وفى نفوس اهلها آنئذ تربة خصبة وجوا ملائما لنشر تعاليمه العليا .

فالمصريون بما وهبوا من استعداد عقلى لتقبل الدين الجديد ، وبما منحوا من اتجاه اخلاقى هيــأهم لفهم مبادئه والعرب النازحون بما يحملونه من رســالة انسانية كبرى ، وبما يكنـونه من حب لمصر وللمصريين كل أولئك جعل من مصر بيئة دينية خصبة تمهد لتاريخ التشريع الاسلامى .

وحين تولى عمرو بن العاص فتح مصر فى عهــد امير المؤمنين عمر بن الخطـاب رضى الله عنه فى السنة العشرين من الهجرة النبوية ، ومنذ دخل العرب الى مصر - وجدوا فيها تربة خصبة لنشر الاسلام ، وهنــاك حققوا وصية المصلح الاكبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ومن ثم اصبحت مصر مركزا علميا دينيــا خطيرا فى الدولة الاسلامية كما اصبحت مركزا سياسيا واسع النطاق .

وكان العرب الذين وفدوا الى مصر يعيشون اول الامر فى شبه عزلة عن المصريين وعن العلوم الطبيعية والفلسفية التى كانت متداولة بينهم . ولذلك لم يهتم العــرب فى مصر خلال القرن الاول الا بالدين الاسلامى الحنيف وتقاليده المباركة التى جعلت منهم امة قوية واحدة تقوم بمحاربة الامم الاخرى من مجوسية وغيرها ، لفتح البلاد وتشر الاسلام .

واتخذ العرب من « جامع الفسطاط » فى مصر مكانا للدرس والمناقشة الدينية والعلمية والادبية . ونحن مضطرون الى الالمام بهــذه العلوم لان تاريخ التشريع الاسلامى وتطور العلوم الدينيــة فى مصر تابع - بلا شك - لتطور الحياة العقلية فيها ، ولا جدال فى ان ظهور هذه العلوم وتطورها لايتأتى الا من المناقشات العنيفة والدراسات العقلية العميقة التى تتطلب مجهودا فكريا .

ففى « مدرسة الفسطاط » نرى ان أول مادرس بها كان علوم الدين من تفسير القرآن ورواية الحديث ، وكان لهؤلاء الصحابة الاجلاء الذين شهدوا فتح مصر اثر بارز فى العلوم الدينية اذ هم وحــدهم الذين تولوا التدريس فى المسجد الجامع ، ولعل عبد الله بن عمرو بن العاص كان أكثرهم رواية للحديث فقد كان من كبار الصحابة وعلمائهم المكثرين من رواية احاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عنه جماعة ، واصح رواته عمرو بن شعيب عن أبيه عن جــده عنه «عبد الله بن عمرو» ولأهل مصر عنه أكثر من مائة حديث هذا نقلا عن عبارة بن الربيع .

واذا اخذنا بما يقوله البغدادى فى مقدمة خزانة الأدب من أن الاحاديث التى تنسب للنبى صلى الله عليه وسلم . انما تروى غالبا بمعناها لا بلفظها وأن الذى يرويها يصوغ المعنى فى أسلوبه ، نستطيع أن نعرف قيمة رواية الحديث واسلوبه فى مصر . ولكن يخيل الى ان رواية عبد الله بن عمرو بن العاص فى مصر كانت من اصح الروايات وكان يعنى فى جملتها بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم لان هذا الصحابى الجليل كان يعرف القراءة والكتابة وكان يكتب كل ماسمعه من رسول الله . ذكر ابن كثير مع قصة ابى هـريرة رضى الله عنه . ومن هنا نعلم ان عبد الله بن عمرو استطاع ان يحفظ عددا من الاحاديث كما سمعها بنصها من الرسول الاعظم . وكثيرا ماكان يرجع الى اوراقه عندما يسال فى امر لايستطيع الاجابة عنه . ويروى ابن الحكم أن عبد الله بن عمرو قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب مايقوله لا او نعم .

ومهما يكن من شىء فان هذه الاحاديث التى رواها عبد الله وغيره واخذها عنهم المصريون اشتهرت وحفظها الناس وكان لها اثرها فى حياة مصر الدينية ولا شك ان هذه الاحاديث التى كانوا يروونها والتى كانـوا يفسرون بها القرآن كانت تلقى على الناس بصيغة عربية صحيحة وباسلوب عربى فصيح ، اذ لانستطيع ان ننكر ان اكثر هؤلاء المسلمين الذين دخلوا مصر منذ عام الفتح كانوا من العرب الخلص .

ومما يجدر ملاحظته ان عرب مصر لم يختلطوا بالموالى بالقدر الذى اختلط به عرب العراق والشام وغيرهما من الاقاليم المفتوحة ، فكان هذا سببا فى حفظ السنتهم من اللحن . وبسبب هــذا ايضــا لم يعن العــرب فى مصر بالدراسات اللغوية والنحوية عنــاية اخوانهم بالعراق والشام ، من أجل ذلك لم تستطع الفسطاط ان تجارى البصرة والكوفة فى هذا النوع من الدراسات ، وبسبب غناء عرب مصر عن هذه الدراسات اللغوية وجد لديهم الفراغ الكافى لدراسة القرآن والحــديث فى صورة واسعة .

كان لهذه المقومات البيئية فى مصر أثــر عظيم فى انتعاش دراسة القرآن الكريم والاحاديث النبوية ومن ثم تأثرت المدرسة الدينية باسلوبها ، واصبح تاريخ التشريع الاسلامى فيها بارزا واضحا . وبينما نلمس عناية العراقيين باللغة والنحو الى الحد الاقصى حيث تكونت مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة ونشأ بينهمــا صراع عنيف يرمى الى ان تخطىء كل منهما الاخرى - نلمس عناية المصريين بدراسة العلوم الدينية للاسباب التاريخية والاجتماعية والنفسية التى ذكرناها .

وربما لانكون مبالغين اذا قلنا ان عناية مصر بدراسة القرآن والحديث كانت تفوق عناية العراق فى دراستها واذا عرفنا ان ابا حنيفة النعمان . وهو امام اهــل العراق - لم يحقق من احاديث الرسول تحقيقا كاملا الا بضع مئات بينما كان الليث بن سعد وعبد الله بن وهب فى مصر من اكثر الناس جمعا لاحاديث رســول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانا من معاصريه .

وفى الفسطاط اخذت هذه الدراسات الدينية الخالصة تتقدم وتزداد تفريعا وتشعبا ، وتخرج رجالا اكفاء شهد لهم نقاد الحديث بالفضل فى جميع العصور الاسلامية وقد اخذ عنهم كثير من المحدثين ولا سيما اصحــاب الكتب الستة « البخارى - مسلم - ابو داود - الترمذى - النسائى - وابن ماجة » حين جاءوا الى مصر لرواية الحديث وبخاصة خلال المدرسة السادسة مابين سنة ٢٥٠ هـ ، سنة ٣٠٠ هـ وهذا ماسنوضحه للقارىء عندما نعرض لتاريخ المدارس الدينية فى مصر .

تنظيم الاحسان

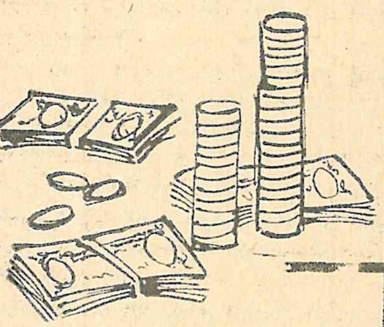

الأستاذ محمد عطية الابراشى

لقد وصف الله جل شأنه المحسنين الأبرار فى قوله : « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » . فهم يقدمون غيرهم على انفسهم ولو كان بهم فقر وحاجة الى ما يحسنون به .

ولا يكفى ان يتبرع المحسنون ، ويتصدق المتصدقون، بل يجب أن نغرس الروح الانسانى فى الأمة ، حتى يفكر الأثرياء فى احوال الفقراء ، ويشعر الأغنياء بما يشعر به البؤساء ، وننظم الاحسان والتبرعات تنظيما دقيقا ، بان تعين المرضى والمساكين والمتعطلين عن العمل ، والشيوخ والمقعدين العاجزين عن الكسب ، والعمى واليتامى من المحتاجين ، ونعطى المستحقين ، ونحرم غير المستحقين ، ونجمع المشردين والسائلين ، وننشىء للجميع مايحتاجون اليه من مستشفيات وملاجىء لرعايتهم وعلاجهم والتفكير فى شئونهم ، والعمل على تحسين احوالهم ، حتى نكمل ما ينقصهم من علاج ، وغذاء وكساء ، وتعليم وتربية ، وعطف وشفقة ، ورحمة ، وعناية ، ويشعروا بأن لهم حقوقا ، وعليهم واجبات ويجب ان يعاملوا معاملة تتمثل فيها الانسانية الكاملة .

فى العهد الماضى ، عهد الطغيان والاستعمار والاستغلال كان السائلون لدينا كثيرين منتشرين فى الميادين العامة وحول الأضرحة والمساجد . ولكثرتهم كان السائحون من الأجانب يقولون : ان مصر بلد السائلين . والحق انه كان لدينا عدد كبير من السائلين ، وهم لا يعدمون من يعطف عليهم ، سواء أكانوا مستحقين أم غير مستحقين

وفى هذا العهد السعيد قد انصف الفقراء والعمال والفلاحون ، ونالوا حقوقهم كاملة ، وعوملوا معاملة انسانية اسلامية ، فالسائلون من اليتامى العجزةوالمقعدين والعمى والصم والبكم قد انشئت لهم مؤسسة فى المرج، وملاجىء متنوعة ، وجمعوا وبحثت أحوالهم الاجتماعية والصحية والأسرية ، وعمل القائمون بأمورهم على اصلاحهم ، وتوجيه كل منهم الى الوجهة التى تلائمه ، فالقادر على العمل الزراعى حول الى الزراعة ،والصانع وجه الى المصنع ، وعلم المستعد للعمل صناعة يكسب منها عيشه بعرق جبينه ، وحول المرضى الى المستشفيات وارسل المسنون والعاجزون عن العمل الى الملجالرعايتهم

ودرست نفسية المجرمين من السائلين ، وعوملوا معاملة خاصة بهم ، وعمل المشرفون على اصلاحهم من النواحى النفسية والاجتماعية والخلقية . ورفعت أجور الفلاحين والعمال ، فارتفع مستوى معيشتهم وقد أعطوا فى الميثاق الوطنى من الحقوق ما يعوض عليهم الظلم الذى لحقهم فى العهود الماضية الظالمة . وسيكون نصف الأعضاء فى مجلس الأمة منهم ، وقد أصبح كثير من الأجراء ملاكا للارض الزراعية .

وان حالة الفقراء والمرضى واليتامى فى مصر فى العهود الغابرة تذكرنى بحالتهم فى انجلترا فى القرن التاسع عشر فقد كان غذاء الأطفال رديئا ، وملابسهم ممزقة ،والعناية بالصحة معدومة . وقد وصف « شارلز دكنز » الكاتب العبقرى ، والمصلح الاجتماعى حال اليتامى واللقطاء فى الملاجىء بانجلترا فى القرن الماضى فى روايته المضحكة المبكية » أوليفر تويست » حيث كان أطفال الملجا لا يجدون من الطعام ما يكفيهم ، وكان الطفل لا يعطى أكثر من مغرفة من الحساء فى الأكلة الواحدة ، ويمتص أصابعه حتى تحين الوجبة الأخرى ، واشتد الجوع بهؤلاء اللاجئين ، واصفرت وجوههم واقترعوا على من يتوجه الى مدير الملجا يرجوه مضاعفة القدر المخصص لكل وجبة ، فأصابت القرعة « أوليفر تويست » ؛ وأقبل المساء ، واخذ الغلمان أماكنهم على مائدة الطعام ؛ ووقف المدير ، ولم تمض هنيهة حتى التقموا مافى الأوانى ، وبدأت أعناقهم تشرئب الى « أوليفر » وكان جيرانه يدفعونه باطرافهم خفية ، رغبة فى طلب الزيادة من المدير . فقام « أوليفر » وقدم الى المدير الاناء والملعقة قائلا ، والذعر يملا جوانب نفسه : « سيدى أرجو أن تعطينى مغرفة أخرى من الحساء » .

فاصفر وجه المدير ، ثم نظر اليه مستغربا ، وسأله بصوت خافت : « ماذا تقول أيها الطفل الشره » ؟

فاجاب « أوليفر » : « أرجو ياسيدى أن تسمح باعطائى ملعقة أخرى » .

فلم يطق المدير هذا القول ، وانهال عليه ضربا بكلتا راحتيه ، واجتمع مجلس الادارة فى الحال ، وحدثت مناقشة عنيفة فى المجلس حول « أوليفر » لطلبه زيادة

ملعقة أخرى من الحساء . وقرر المجلس التخلص منه ؛ وكتب اعلان علق على جدار الملجأ الخارجي هذا نصه . « يمنح مجلس ادارة الملجأ مكافأة قدرها خمسة جنيهات كل من يتقدم اليه طالبا الغلام : « أوليفر تويست » ليساعده فى عمله .

وبهذه الوسيلة تخلص الملجأ منه . فالحال فى ملاجئنا اليوم أحسن كثيرا من حال الملاجىء فى انجلترا أيام « شارلز دكنز » .

وقد تألم « الدكتور بارناردو » لحال الملاجىء المحزنة الألم كله ، فأخذ يعالج المرضى من الفقراء ، ويخفف آلامهم ، وأنشأ فى البدء ملجأ يدعى بيت « الدكتور برناردوا » يضم بين جوانبه هؤلاء المهملين من أبناء السبيل الذين لفظتهم الحياة وتنكرت لهم الانسانية ، وقام بتعليمهم ، والعناية بشئونهم الصحية والتعليمية والعملية حتى وجد كل منهم مافقده من عناية الاباء ، وعطف الأمهات .

انتشرت هذه الملاجىء فى المدن الكبيرة ، وكونت جماعات خيرية لجمع التبرعات لها ، والقيام بتنظيم شئونها . وتسود فى هذه الجماعات الخيرية الأمانة والاخلاص ، وحب الاحسان والثقة . وبالمال الذى يجمع تنشأ ملاجىء تقوم برعاية اليتامى واللقطاء والعاجزين من الكبار والصغار ، وتأويهم حيث لا مأوى لهم .

واذا أنشأنا عددا كافيا من الملاجىء أمكننا ان نقضى على جميع المتحايلين من السائلين الفقراء والضعفاء والمسنين ولو اتبعنا الدين الاسلامى ما كان هناك سائل أو محروم . قال تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر » أى فلا تظلمه ، ولا تهمل تعليمه ، والعناية بشئونه . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير بيت فى المسليمن بيت فيه يتيم يحسن اليه . وشر بيت فى المسلمن بيت فيه يتيم يساء اليه . أنا وكافل اليتيم فى الجنة » وقال : « لكل شىء مفتاح ، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء » وقال : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » والساعى عليهما هو من يقضى حاجتهما من مسكن وطعام ولباس .

فلو اتبعنا الدين الاسلامى ونظمنا الاحسان ، وأكثرنا الملاجىء والمستشفيات وأحسنا ادارتها ، وقام كل فرد فيها بواجبه ما شعر فقير بحاجة ، وما مد مسكين يده ، وما شكا مريض سوء المعاملة فى أى مستشفى .

وليس فى استطاعة أى دولة فى العالم أن تقوم وحدها بكل مشروع تحتاج اليه بلادها . فيجب أن يقوم القادرون من الأفراد بواجبهم ، وبخاصة الأغنياء والموسرون منهم . وان قانون سنة ١٩٣٣ الذى يحرم السؤال « التسول » لم ينفذ الا فى عهد الثورة للقضاء على هذه المشكلة ، بعد أن أنشىء العدد الكافى من الملاجىء .

واذا أحسنا معاملة اللاجئين فى المؤسسات والملاجىء ، ودرسنا نفسية كل منهم ، وعاملناهم كما يعامل الانسان الحر لا السجين فى القفص ماهربوا منها ، وما حاولوا احراقها . فاذا وجدوا من يعطف عليهم ، ويواسيهم ويعالجهم ، ويرشدهم الى الطريق المستقيم ، طريق العمل الصالح ، ووجدوا فيها الطعام الصحى ، واللباس الضرورى ، وفراش النوم المريح . ماشكوا وما هربوا .

وفى استطاعة الطلبة والطالبات فى الجامعات أن يسهموا فى مشروعات المؤسسات والملاجىء أسوة بالطلبة فى الأمم الأخرى ، فكثيرا ما يقومون بمساعدة المشروعات الخيرية التى تتطلبها الانسانية ، كتخصيص يوم يجمعون فيه التبرعات لمستشفى من المستشفيات ، أو ملجأ من الملاجىء وكاقامة محفل فى المساء لليتامى واللقطاء والمشردين من أطفال المؤسسات والملاجىء ، تعمل فيه كل الوسائل لادخال السرور على نفوسهم باللعب والضحك معهم ، والتمثيل الهزلى أمامهم ، ثم يحييهم الطلبة والطالبات فى أثناء طعامهم ، ويهدون الى كل منهم هدية قبيل الانتهاء من المحفل ، ثم يؤخذون الى المؤسسة أو الى الملجأ .

وكثيرا مايتبرع الأغنياء بأوروبا وأمريكا بالاف الجنيهات لمشروع خيرى ، ويشترطون أن يذكر أمام المتبرع « فاعل خير » ، لا يريدون جزاء ولا شكورا .

فيأيها الأغنياء ، راعوا حقوق الفقراء ، وأعطوهم من مال الله الذى أعطاكم ، فقد تبنون مالن تسكنوا فيه ، وتشيدون ما لن تتمتعوا به ، وتزرعون حقولا لن تجنوا ثمارها . وأحسنوا الى المساكين ، وساعدوا الجماعات والمؤسسات الخيرية ، ولا توصدوا الأبواب فى وجوه المحتاجين ، وأسهموا فى انشاء الملاجىء لايواء اللقطاء ، والعجزة واليتامى والضعفاء ، ولا تظنوا أن جمع المال هو السعادة أو السعادة هى جمع المال وكنزه ، فالفقراء فى أكواخهم قد يكونون أكثر سعادة من الأغنياء فى قصورهم .

ويأيها الفقراء ، ارفعوا أيديكم الى السماء ، ولاتسألوا الا خالق الشمس والقمر ، ومرسل المياه ومنزل المطر ، اسألوا من يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، انه على كل شىء قدير . ولا تظنوا أن فى الفقر عارا أو منقصة فليس من العار أن تكون فقيرا ، ولكن من العار أن تكسل عن العمل ، وتجلس بجانب الحائط ، وتمد يدك ليس من العار أن تنشأ فقيرا ، فما فى الفقر عيب ولا منقصة ، فالفقر من أكبر العوامل لرقى هذا العالم فى الفكر والاختراع والابداع . فاذا نظرت نظرة الباحث المدقق وجدت أكثر العلماء ، وأعظم الكتاب ، وأكبر المصلحين كانوا من الفقراء . فالفقر ساقهم الى العمل والمثابرة والجد فى سبيل الحياة ، حتى وصلوا الى مآربهم ، وأدركوا أمانيهم .

ولو خلق العالم كله غنيا لقلت الأيدى العاملة وجمدت العقول النابهة . فالحاجة تفتق الحيلة ، وهى وحدها تحمل الانسان على أن يهب وقته وراحته فى سبيل ادراك أغراضه التى يسعى ليدركها . فهناك كثير من الأذكياء لا يعملون الا حينما يشعرون بأنهم فى حاجة الى العمل ، كى يصلوا الى المال الذى يريدونه . فأمثال هؤلاء الأفراد ربما لاتجنى من ورائهم ثمرة اذا خلقوا أغنياء . ولا يكمل نجاح العالم الا اذا كان هناك تضامن وتعاون وتكافل بين الأغنياء والفقراء ، وشعر كل منهم بحاجة الى الاخر ، وقام كل فرد بواجبه . وليس معنى هذا أننا ندعو الى اهمال حقوق الفقراء ، ولكننا ندعو الفقراء الى العمل ، حتى لا يعيشوا عالة على غيرهم ، ولا يمدوا أيديهم الى انسان ، وندعو الأغنياء الى التبرع والتصدق والاحسان ، لأن فى أموالهم حقا معلوما للسائل والمحروم ، كى يطهروا أنفسهم وأموالهم بالزكاة والاحسان الى الفقراء والمساكين .

قال تعالى فى وصف الأبرار « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا » وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى الاسلام خير ؟ فقال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وقال : « الراحمون يرحمهم الرحمن » « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

في رحاب القرآن الكريم

للأستاذ

عبد العزيز العلي

اتيحت لى فرصة الكتابة تحت هذا العنوان بالعددين ٧ لسنة ٢١ ، ٧ لسنة ٢٢ من مجلة منبر الاسلام الغراء حول ما ظهر لى من معان لبعض آيات من مستهل سورة الاسراء الكريمة وهي : « بسم الله الرحمن الرحيم »

سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله، الى قوله جل شأنه ، وان عدتم عدنا ،وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا •

واني أعود في كلمتي هذه لذكر بعض ما انتهيت اليه في الكلمتين المشار اليهما مع التعقيب على الجانب السياسى من ذلك على النحو الآتى :

١) ان العبودية لله وهي أسمى مرتبة يرتقى اليها الانبياء الكرام والملائكة المقربون والمؤمنون الذين يعملون الصالحات ـ ملزمة بحدودها لكل من حاول تجاوزها قربا من الله أو بعدا (ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا) •

٢) ان المساجد الحرام الثلاثة التى يشد المسلمون الرحال اليها من مختلف بقاع الارض ، باقية بيد المسلمين حتى يرث الله الارض ومن عليها وان احتل المسجد الاقصى فى فترات عابرة بواسطة اعداء الاسلام فان العاقبة ستدور على المحتل بطرده عنه على ايدى عباد لله أولى باس شديد فان عادوا الى فسادهم واعتدائهم اعاد الله الكرة عليهم •

٣) أن دعوى اليهود فى امتداد ملكهم الى حدود النيل والفرات اسطورة خرافية يكذبها القرآن العظيم •

٤) ان رجحان القوة لن يكون بجانب اليهود باى حال من الاحوال رغم مساندتهم وشد ازرهم بواسطة دول اخرى •

٥) أن دول الغرب بدافع من اسرائيل قد عقدت العزم على جعل الشرق أتونا من نار وشغله بمعارك متصلة وان

اسرائيل بدفعها دول الغرب الى ذلك كالشاه التى تبحث عن حتفها بظلفها

٦) ان ما يقع فى الصف العربى بين الحين والحين من خلافات حادة لاينال من جوهر وحدته تجاه اسرائيل وتجاه قضايا العرب العامة الكبرى ، ولابد من تصفية اسباب هذه الخلافات تباعا تمهيدا للعمل الموحد فى اللحظة الحاسمة

٧) ان من بعض الدول من يحاول اعادة التوازن الدولى الذى اختل بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بوضع أمريكا فى مقابل الشيوعيين الصفر فى الشرق الاقصى واعداد أوروبا الغربية فى مقابل أوروبا الشرقية ان حربا فحرب أو سلما فسلم أن يكون لفرنسا كدولة نووية موقف شبيه لموقف الصين الشعبية من حيث عدم الارتباط بالاتفاقات الدولية ومن حيث الخلاف العائلى مع أمريكا المشابه لخلاف الصين الشعبية مع روسيا .

٨) ان من المتوقع تطور النزاع فى الشرق الاقصى بحيث يشمل كتلتين كبيرتين فى المنطقة قوام كل كتلة ثمانى مائة مليون نسمة تقريبا وان الحرب الفعلية ستتركز مستقبلا فى الشرق الاقصى منطقة التضخم العددى من العالم وربما طال الصراع وتحول الى المعدات التقليدية والسلاح الابيض لتفادى الحرب الذرية واسلحة الدمار بالجملة لسبب التحام الكتلتين المتحاربتين . وعلى أى حال فمنطقة الشرق الاقصى بكامل كتلتيها سواء وقعت الحرب الشاملة فيها أم لم تقع فستظل مصدر الخطر المهدد للعالم بأسره حربا أو سلما لتعداد سكانها المتزايد باضطراد عن احتمال رقعة الارض الصالحة للسكن . أما الاسلحة الذرية فنظرا لوجودها فى حوزة الكتلتين المتصارعتين فان مصيرها سيكون نفس مصير الغازات السامة ولاشك التقليدية .*

٩) اذا كانت اليهودية العالمية تحاول تأليب القوى ضد العرب والكيد لهم وتحاول فى الوقت نفسه التصالح معهم والتقرب منهم وايجاد نوع من المشاركة بين العرب واليهود بدولتين داخل حدود فلسطين : دولة يهودية ودولة عربية ثم يحصل بينهما اتحاد فدرالى فلعلى اسرائيل بهذا المخطط تمهد لاقامة واشنطن جديدة فى قلب الوطن العربى - لاقدر الله - بحيث تسيطر على هذا الجزء الهام من العالم مثل سيطرة واشنطن السياسية والاقتصادية على الولايات المتحدة الامريكية ولكن الله سبحانه اخبرنا بانه سوف لاتتم مثل هذه المشاركة بين العرب واليهود وان قامت دولتان أو قطاعان فى فلسطين وذلك فيما يظهر من مستهل سورة الاسراء الكريمة من الاية الرابعة حتى السابعة وهى « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها . فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا .

فاذا تأملنا قوله جل وعلا سبحانه (وجعلناكم اكثر نفيرا) نرى ان بنى اسرائيل فى خلافاتهم مع الرومان والبابليين والمصريين القدماء وغيرهم لم يكونوا اكثر نفيرا من خصومهم وان المنافسات فى البنين والنفير لاتكون الا بين دولتين متقاربتين فى العدد ولعل منظمة التحرير الفلسطينية التى تشكلت اخيرا تكون النواه للدولة العربية المناوئه للدولة اليهودية وتكون ضمن حدود

فلسطين •

وستظل هـذه الدولة العربية فى حذر كبير من تكرار علو اليهود وفسادهم وعدوانهـم على المسجد الاقصى بيت القصيـد فى مخططهم ومتطلعـة الى المعونة الخارجية وبخاصة العـرب والمسلمين كلما حـدث اعتداء يهودى على المسجد الاقصى ويؤيدها فى ذلك ان تسمية المسجد هى تسمية اسلامية لاوجود لها قبل الاسلام •

١٠) لابد من تعاون اسلامى مسيحى ضـد اللادينية ولابد للعالم كله من الالتقاءعلى كلمة « لا اله الا الله » واليوم وقدحدث ماكنا نتوقعه بالامس من صراع دموى فى الشرق الاقصى استطيع ان اقول انه كلما ازداد الصراع فى الشرق المذكور كلما خف فى باقى انحاء الشرق الاخرى والعكس بالعكس حيث أن المتصـدر لحرب المنطقةهى امريكا، وليست الحرب الطويلة الامد فى الشرق الاقصى فى صالح أمريكا وتعلم أمريكا ذلك حق العلم ولكنها تورطت فى الحرب الفيتنامية ، ونجدها تتلمس مخرجا من ورطتها مع حفظ هيبتها وكرامتها ان استطاعت ، ولكن اعداء أمريكا يرغبون فى ابقائهـا بمأزقها أطول مدة ممكنة حتى تسلم من تلقاء نفسها بضرورة ترك الشرق الاقصى يتصارع وحده أو يتصالح ـ مكتفية بمساعدة الجانب المحـارب للشيوعية فيه عن بعد ـ وحتى تقبل تحريم الاسلحة الذرية تحريما كاملا لا مجرد تحريم جزئى كما هو مقرر الآن•

وقد حدث أيضا ما توقعناه من مقدمات لبداية تعاون اسلامى مسيحى ، ويقول القرآن الكريم فى مثل ذلك (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكـم أن لا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) والآيات فى مثل ذلك كثيرة •

وهنا يأتى دور اوروبا التى تعلم تمـام العلم ان منطقتنا العربية هى خط دفاعهمـا الأول ضد الخطر الزاحف من الشرق الاقصى ولا سيما عندما يتحتم على امريكا سحب يدها منه

وان هناك من الاحتمالات القوية ما يؤيد تحول أوروبا الى جانب العرب والمسلمين حفاظا على مصالحها الحيوية وسلامتها مما يرتبط ارتباطا وثيقا بحسن العلاقات بين أوروبا والشرق العربى والاسلامى وبخاصـة بعد أن لمست أوربا ضخامة ما تتحمله من اعباء جسيمة واخطار بالغة ومتزايدة فى مساندتها لاسرائيل ضد العرب والمسلمين وكان من بواكير هذا التحول بصفة خاصة تعديل سياسـة فرنسا مع العالم العربى والمحاولات المتكررة من جانب بريطانيا لاصلاح علاقاتها مع العرب وأنى اعتقد ان دور بريطانيا فى تعديـل أو تبديل سياستها سيكون قريبا ، وها هو المجلس المسكونى يدعو الى احترام الديـانة الاسلامية والى حرية الدين مع شجب الالحاد والاعتراف بحرية العقيدة الدينية شـاملة العقيدة الاسلامية

وفى تقديرى الشخصى ربما تحول البابا يوما ما الى القدس مهد المسيح بدلا من روما مهد بولس يدعـو الى التعـاون الاسـلامى المسيحى وفى مقدمة ذلك توحيد صفـوف المتدينين وتصفية خلافاتهم وتكوين كتلة كبيرة من المتدينين ضد اللادينية ، وقد يكون لمكة المكرمة دور فعال فى توحيد العالم الاسـلامى وزعامته ، والكتب السماوية الصحيحة تصدق بعضها بعضا لانها من لدن اله واحد لا اله الا هو •

وقد وجد اخيرا فى حفريات البحر الميت فى الاردن بعض الكتب المسيحية القديمة ولم يعلن عن جميع ماجاء فيها ـ على ما اعتقد ـ وأمل أن يكون فيها بشارات بالاسلام ونبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد اعطيت بحق أهمية كبيرة وربما سيطاف بها على

كثير من الامم قبل الاعلان عن جميع محتوياتها، ومما يستلفت النظر - فى هذا الصدد - سفر وزير خارجية بريطانيا مؤخرا الى موسكو وعودته منها لبلاده دون أن يحمل معه أي حل للمشكلة الفيتنامية والحرب المستعرة فيها

ومما صرح به انه قد اتفق مع روسيا على العمل على تحريم الاسلحة الذرية وعلى الدفاع عن أوروبا ولا يخفى ما فى ذلك من تأييد لما ذهبنا اليه بخصوص اهتمام اوروبا الشديد بمستقبل الدفاع عن نفسها ضد الخطر الاصفر مستعينة بالشرق الاوسط وبخاصة العرب والمسلمين كما انه لايخفى - فى هذا المجال - ما ورد فى تصريح هيوارت همفرى نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية بقوله ((ان الشرق الاوسط اخطر منطقة فى العالم ، وانه مهد الحضارات ، وقد جاء هذا التصريح بعد عودة وزير الخارجية البريطانية من موسكو فهل معنى ذلك كله ان روسيا والصين متفقتان بالنسبة للتطورات فى الشرق الاقصى ضد أمريكا وان هناك موقفا موحدا فيما بين أوروبا الشرقية واوربا الغربية ضد اسرائيل التى هى امريكا وان روسيا فى الوقت نفسه قد اعطت بريطانيا وعدا بغض النظر من جانبها عن تقوية دفاع الشرق الاوسط ضد الخطر الاصفر فى مقابل تحريم الاسلحة الذرية وانسحاب أمريكا من الشرق الاقصى ؟ وان أمريكا مقدرة لضرورة التعاون فيما بين أوربا من جهة والعرب والمسلمين من جهة ثانية للدفاع عن منطقة الخطر رغم تخوف اسرائيل من ذلك ومعارضتها وان أوروبا مقبلة الآن على مرحلة من التفاهم مع المنطقة على حل جميع قضاياها ومشاكلها مع تحقيق اهدافها والتعاون معها تعاون الند للند والصديق للصديق ؟ وان العرب والمسلمين سيدركون أهمية ما لديهم من امكانيات استراتيجية واقتصادية وبشرية ويعرفون كيف يستفيدون من ذلك كله ويستغلون الظروف الدولية بفاعلية وايجابية فى تحقيق مصالحهم ؟

وفى اعتقادى ان الضرورة ألجأت الغرب الى ذلك وان من يتابع ما يحمله الاثير وتنشره الصحف من انباء يومية قد يرى تأييدا لما ذهبنا اليه من تقوية الدفاع عن غربى أسيا ضد خطر الشرق الاقصى بتعاون شرقى غربى اسلامى مسيحى . ويبقى على المرء ان يتساءل الآن عن مدى صعوبة التطبيق أو سهولته ثم ماذا سيترتب على صعوبة التطبيق فيما لو حصلت ، وله أن يتساءل أيضا عن الذى يتحمل مسئولية الدفاع عن القارة الافريقية وهل ستتولى ذلك الشعوب الافريقية مجتمعة ومتحدة بزعامة الجمهورية العربية المتحدة الدولة العربية الاسلامية ذات المركز الاستراتيجى الوسط بين آسيا وأفريقيا وذات المكانة المحترمة المرموقة ؟ هذا ما سيكشفه المستقبل بمشيئة الله

والله أسأله جلت قدرته ان يحقق الخير للعرب والمسلمين وان يجمع الناس كافة على كلمة التوحيد لا اله الا الله التى تؤمن بها جميع الاديان السماوية كما يؤمن الشيوعيون بنصفها الأول (لااله) والعلم كفيل بتحقيق النصف الثانى (الا الله) فيتحقق بذلك السلام الشامل الكامل فى العالم اجمع وما ذلك على الله بعزيز ((هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

قال تعالى :

((لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون))

الأعياد وذكرياتها

فضيلة الشيخ
أبو الوفا المراغي

الناس فى استقبال الأعياد احساسات مختلفة ، فالأطفال يستقبلون الأعياد على أنها مناسبات للفرح والسرور ، وفرص لتحقيق مطالبهم المنتظرة من الملابس الجديدة واللعب اللطيفة ، والحلوى اللذيذة ، والتنزه فى الحدائق والبساتين ، ومشاهدة التمثيليات والروايات ولا يتجاوز معنى الأعياد عندهم هذه المطالب الجسمية واللذائذ الحسية ، والشباب الذين لم تبلهم الأحداث ولم تمتحنهم التجارب يستقبلون الأعياد على نحو ما يستقبلها الأطفال وهى عندهم فرص الحياة البهيجة يملئونها بالمرح والفرح ويسرحون فى مجالات اللهو واللعب على حسب ما تسمح به أسنانهم وامكانياتهم وبيئاتهم ، ويرد كل منهم الموارد التى يشتهيها ، وللشباب سلطانه ، وللهوى حكمه . والشباب والهوى فى الغالب رائدان الى ما لا يحمد عقباه ، وقائدان الى ما لا يفيد :

ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أى مفسدة

ولذا كان الشباب فى مثل هذه المناسبات أحوج الناس الى التذكير بمعانى الأعياد ومقاصدها .. وأنها ليست فرصا خالصة للعبث واللهو واشباع الشهوات والنزوات ، ولكنها فرص روحانية للذكر والشكر ، وفرص اجتماعية للبذل والسخاء والجود والعطاء والتعاون فى ميادين البر ، وفرص للصفح والتسامح وتصفية النفوس من الاحن والحزازات وابتعاثها الى التراحم والتواد ، وللشيوخ ولمن امتحنتهم الحوادث وعركتهم التجارب مواقف خاصة فيها عظة وشجن .. وفيها استذكار وألم .. فهى مناسبات لاستعراض الأحداث التى طوتها أعمارهم .. وفى حياتهم أحداث قاسية يوجع اذكارها ويؤلم افتكارها ، وما فيهم الا من له عزيز افتقده وكريم فارقه وأمل ضاع منه ورجاء لم يحققه ، فليست الأعياد عند كثير من هؤلاء مجالا للفرح والمرح ، ولكنها مجال للألم والشجن الذى يظل طول العيد يغدو على خاطره ويروح ، ويبعث فيه مشاعر الأسى

والحزن ويود ولو بجدع أنفه أن تنقضى لحظات العيد على عجل ليستريح من ذكرياته الموجعة وحسراته الممضة .

والاعياد على اختلاف أنواعها - فى جميع الشعوب - أحداث اجتماعية لها آثارها المؤقتة والدائمة فى الأفراد والجماعات . فهى فترات يتخلى فيها الناس عن شواغل العيش ويتفرغون من هموم الحياة ورهق العيش ليؤدوا حقوق أنفسهم فى الراحة والاستجمام وفرص لاستصلاح ما فرط فى حق العلاقات بين الأهل والأصدقاء ، ولتفقد البائسين فى المجتمعات وتعهدهم بالبذل والنوال .

وفى العيد فرص للنشاط الاقتصادى بجميع أنواعه ، وأيام الأعياد مواسم اقتصادية هامة يشتد فيها التزاحم على البيع والشراء ، وعلى وسائل المواصلات وغيرها حتى تبدو المدن والقرى وكأنها أسواق لاشتداد النشاط التجارى فيها ، والأعياد فرص لتوحيد الصفوف والتفاف القلوب . فاجتماع الطوائف فى معبد واحد مظهر من مظاهر الاجتماع والوحدة ووسيلة الى التشاور والتعاون فيما يفيد .

فى الأعياد هذه المعانى كلها ، وقد اعتبر الاسلام هذه المعانى فى أعياده وندب اليها فى رسوم هذه الأعياد ، فقد ندبنا الى أن نحيى ليالى هذه الأعياد بالطاعات شكرا لله على ما وفقنا اليه من اداء فريضة الصيام ، أو بما أنعم به على سيدنا ابراهيم من فداء ابنه من الذبح وفاء بنذره وفداه بذبح عظيم . وندبنا الى أن نبدأ يوم العيد بصلاة جامعة تحتشد لها جموع المسلمين فى أمكنة خاصة اشعارا بوحدة صفوفهم ، وارهابا لأعدائهم ، وندبنا الى التصافح والتسامح وحسن اللقاء استلالا للاحن والضغائن لتستكمل بهجة العيد ومسرته ويسود الصفاء بين المسلمين ، ودعانا الى الاكثار من البر فى الأعياد بمختلف الصدقات لنكفى البائسين ثقل الحاجة وذل السؤال وتطفىء لهيب أحقادهم وأطماعهم فى الموسرين وتتقى مكائدهم ومؤامراتهم عليهم .

ودعانا الى البر بالأهل والأصدقاء ومودتهم بالألطاف والهدايا تأكيدا لصلات القربى والرحم والصداقة لتبقى علاقات القربى والصداقة نقية قوية لا يشوبها دخل ولا يكدر صفوها شك أو ريبة .

هذه معانى الأعياد ومقاصدها . وما تزال أعيادنا تزخر بهذه المعانى وبخاصة فى ريفنا الطاهر الكريم ، فقد ظل ريفنا بحمد الله على صلة قوية بربه ودينه يخضع فى ايمان ورجاء لتعاليم دينه فى الأعياد وفى غيرها ، فالمريض حريص على تنفيذ رسوم الأعياد ، وهى عنده فترة فراغ ومسرة وابتهاج ، وفترة ذكر وشكر وبر ، وفترة صفح وتسامح ، وكأن ايام الأعياد ايام حرم لا يستباح فيها أذى ولا يسفك فيها دماء ، وصلات الأرحام مرموقة .. والريفى يشد الرحال فى الاعياد من أبعد الآفاق لزيارة قريب أوبر رحم ، ويبسط بالاحسان يده فى حدود ما يستطيع ، وقل أن يشوب الريفى اعياده بما يسخط الرب أو يغضب الناس

وقد اعتاد بعض المسلمين أن يتخذوا من الأعياد فرصا لزيارة المقابر يستذكرون فيها الموتى من أعزائهم ويتقربون الى الله بالصدقات رجاء أن يفيض عليهم من رحمته ويسبغ عليهم من رضوانه ، وتذكر الأعزاء بزيارة قبورهم وبالبر والاحسان الى الفقراء بر ووفاء ، وليس فى الدين ما يمنع منه ، بل انه ليدعوا اليه لما فيه من العظة واستذكار الآخرة والتفكر فى النهاية والمصير ، وقد يكون ذلك باعثا على اصلاح النفوس وتطهير القلوب واحسان العلاقات بالله والناس ، الا أنه لم يرد فى الدين دليل على تعيين العيد بالزيارة فهى محمودة فى كل وقت لمن أراد البر بموتاه وأحبائه ، وحبذا لو جعلت أيام الأعياد خالصة من هموم الدنيا واستذكار الآلام والمصائب لتأخذ النفوس والأفكار حظها من مسرات الاعياد ومباهجها وفى غير الاعياد فرص للذكرى والوفاء .

وقد انحرف بعض شباب المدن عن سنن دينهم وتقاليد أمتهم واستنوا فى الاعياد سننا

أخرى مبعثها التقليد والمحاكاة لغيرنا من الطوائف الأخرى ، فالاعياد عندهم فرص للهو المباح وغير المباح وللشرب المباح وغير المباح، وندوات للذائذ غير مشروعة من ميسر وقمار وغير ذلك مما لا يمت الى فضيلة ولا يقره دين وهذا هو نصيبهم من المشاركة فى الأعياد ، وهو التجديد والتطوير ، والصلاة والصدقة والبر بالفقراء وغير ذلك من المراسم الدينية شعار الجمود والتأخر والرجعية لا يحتكمون فيما يقولون الى دين ولا عقل ولا مروءة .. وأنى لهم ذلك .

والهوى رائدهم والشيطان سائقهم ، ليس لهم من دينهم زاجر ولا من نفوسهم وازع .. هؤلاء هم آفة الجماعة وجرثومة تنخر فى جسم الأمة تعدى السليم وتفسد الصحيح بالقدوة السيئة والمحاكاة الخطرة — هؤلاء فى البيوت وباء ، وفى الطرق بلاء ، وفى المنتديات والمتنزهات شقاء ، يحتبسون كثيرا من الأسر فى بيوتهم وينغصون عليهم صفاءهم وهم الخطر المتجدد الذى يهدد الأمة فى مستقبلها الخلقى ، والذين قال الله تعالى فى أمثالهم : واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا .

وهؤلاء لا يصدهم عن غوايتهم وعظ واعظ ولا بلاغة خطيب ، وقد لاتنجح فيهم رقابة الشرطة ، فهم يستخفون كالشياطين ، ويتلونون كالحرباوات ، وفى وسع الرأى العام تقويمهم وردهم الى صوابهم، فلو سخط الرأى العام عليهم وأخذ عليهم المسالك وقام بما يستطيع من التضييق عليهم لكان لهم فى ذلك رادع وعن غيهم زاجر ، ومن شرهم حائل ، والرأى العام سلاح لا يفل وسلطان لا يخيب .

هذا والاعياد مجال للتوسعة والترفيه فى المآكل والمشارب والملابس ، الا انا فى فترة من بنائنا القومى والاقتصادى ، وفى حاجة الى اقتصاد معقول يعيننا على اجتياز هذه المرحلة وحبذا لو وضع ارباب الاسر من الآباء والامهات هذا الاعتبار نصب اعينهم وتغاضوا عما اعتادوه فى هذه الاعياد او عن بعض ما اعتادوه من الاسراف فى عمل الكعك والفطير واختزان الاسماك المختلفة ونحو ذلك وحسبنا ما أكلنا فى شهر رمضان وكل نوع من الاقتصاد فهو مساهمة فى بنائنا القومى وله اثره فى مستقبلنا الاقتصادى .

وفقنا الله الى ما فيه الخير وجعل صيامنا مقبولا واعيادنا بالعز والرفاهية مقرونة .

ليس العيد لمن لبس الجديد
انما العيد لمن خاف يوم الوعيد

من وحي العيد

مظاهر عيد الفطر في الأوساط الإسلامية

فضيلة الشيخ
عبد الرحيم فرغل البلبيسي

أيها القارىء الكريم :

يرتقب المسلمون قدوم العيد كما يرتقبون القائد الظافر وينتظرون حلوله كما ينتظرون الغائب القادم .

لذلك نراهم يشغلون فترة من آخر رمضان يهيئون فيها غرف الاستقبال تهيئة تسر الوارد ، وتريح الوافد ، وتبهج الزائر . ويعدون فيها الثياب الانيقة ، والمآكل اللذيذة ، والمقاصف العظيمة .

ولا يدفعهم الى ذلك الا الابتهاج باداء العبادة فى شهر الصوم ، والاغتباط بعمل الصالحات فى أيامه ولياليه .

والدليل على هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « للصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح بفطره ،واذا لقى ربه فرح بصومه » .

فليست الفرحة بالفطر للتخلص من أثقال الصوم ، والتحلل من اعبائه ، ولكنها فرحة القيام بالواجب على الكمال ، مع صدق النية ، وصفاء الطوية ، واخلاص العمل ، والفوز بالاجر .

هذا وقد جرت العادة بان العيد يحتاج الى الترويح عن النفس : بالاستماع لالات الطرب والاستمتاع بمناظر الطبيعة ، والتوافد الى الرياض الانيقة .

ونقول لا مانع من ذلك مادام لا يسير الانسان الى مزالق الفتنة ، ولا يوقعه فى شباك الهوى ، ولا يصرفه عن حدود الدين .

والدليل على هذا مارواه البخارى فى باب العيد عن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فانتهرنى ، وقال : مزمارة الشيطان عند النبى صلى الله عليه وسلم ؟

فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دعهما .

فلما غفل غمزتهما فخرجتا . وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب ، فاما سالت النبى صلى الله عليه وسلم ، واما قال : أتشتهين تنظرين ؟ فقلت :نعم فاقامنى وراءه ، خدى على خده . وهو يقول : دونكم بنى أرفدة . حتى اذا مللت قال حسبك ؟ قلت : نعم . قال : فاذهبى .

واقول : ان هذا الحديث يدل دلالة واضحة على اباحة الترويح عن النفس فى يوم العيد بما لا يفتن الانسان عن دينه ، ولا يحيد به عن الصراط المستقيم . ويرشد الى أن اللهو البرىء يوم العيد مظهر من مظاهره ، وشعور طيب بحلوله ، واعتزاز بمنزلته وسموه .

ومن مظاهر العيد الكريمة ، وعوائد المسلمين فى أيامه بسط الأكف بالجود والندى ، والبر والجدى ، للترفيه عن البائس ، والترويح عن العانى ، والتخفيف عن المكدود ، والتيسير للمحدود .

ولا يكون ذلك الا بدافع الشعور الذى يوجده الصوم فى النفوس ، ويخلقه فى القلوب ويرهف به الأحاسيس

واقول : ان هذا التوجيه الدينى ، الذى يثمر التفريج عن المعاويز والعفاة ، والنهوض بالعامل الكادح وازاحة البؤس عن كواهل أصحابه ، وطرد الذل عن النفوس الكريمة . ما هو الا من أمثلة الاشتراكية التى

تنبعث من الاسلام ، وتشع من تعاليمه السمحة وتنساب من أحكامه السليمة ، والتى ينشدها المصلحون ويتنافس فى نشرها المخلصون .

وكم قلنا وقال معنا الكثيرون : ان الدين يحتم علينا ان نبين للنفس أحكام الاسلام على وجهها السليم ، ونرشدهم الى حكمها وثمارها ، وغاياتها واهدافها ارشادا يتعرفون به روح الاسلام وسماحته ، وأنواره وهدايته ، كى يدركوا توجيهاته الى التعاون على دفع نوائب الدهر ، وشدائد الحياة .

ويرحم الله القائل فى مدح سيد الكائنات :

الاشتراكيون أنت امامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء
والبر عندك ذمة وفريضة
لا منة ممنونه وحياء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل فى حق الحياة سواء
فلو ان انسانا تخير ملة
ما اختار الا دينك الفقراء

وما قلنا ذلك الا لما نلاحظه من وقوف بعض الناس بالاسلام فى الحدود الضيقة ، والجمود على المألوف من التعاليم القاصرة ، مع أن الاسلام دين يساير التطور الذى لايمس مبادئه ، ولا يهدم شيئا من قوانينه ويدعو الى كل ما يضمن للبشرية العيشة الطيبة ، والحياة الكريمة .

ويرحم الله القائل :

دين هو الفطرة الأولى يمت بها
الى السعادة قوم بالهدى سعدوا
دعا الى الله خير المرسلين به
قوما على امم الدنيا به مجدوا
كانوا حفاة عراة ليس يجمعهم
شمل ، ولا يتعرى باسمهم بلد
حتى اذا استفتحوا باب الحياة به
وجاهدوا باسمه فى الله واجتهدوا
اذا همو سادة الدنيا وقادتها
تسنموا غارب التاريخ واقتعدوا

واذا كانت الثورة قد أبرزت هذه المبادىء الاسلامية الكريمة ، وعنيت بما يضمن منها للامة حياة المساواة بقدر المستطاع ، واطاحت بأرباب الاستغلال والاحتكار ، الذين استعبدوا من خلقتهم أمهاتهم أحرارا ، فما ذلك كله الا احياء للتراث الاسلامى على أوسع نطاق ، واخراج لمكنون جواهره وكنوزه الى ظاهر الوجود . وهذا هو الاصلاح ، وهذا هو الطريق السليم .

واذا سار القادة على نور من ربهم ، وأدركوا مزايا دينهم ، واستمسكوا منها بأسباب العزة ، واتخذوها دعائم للنهوض بالأمة من كبوتها ، واخراجها من شقوتها ، فانهم يبنون ملكهم على قمة القلوب ، ويحققون له الدوام والبقاء .

أيها القارىء الكريم نعود بك الى عادة البر والبذل من المسلمين فى أيام العيد فنقول :

كان الأسلاف فى فجر الاسلام وضحاه ينتهجون هذا الطريق فى الأعياد وغيرها ، يدفعهم اليه التوجيه الدينى والهدى الربانى ، والارشاد المحمدى ، فملكوا به قلوب الناس ، ووصلوا به الى الحياة السعيدة .

قال رجل لبعض الأمراء :

وكأن آدم حين حان وفاته
أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهمو فرعيتهم
وكفيت آدم عولة الابناء

فقال انه أوصانى ، ووصية الأب تجب رعايتها ، خذ هذه العطية . ولك منى الزيادة والرعاية .

ودخلت امرأة على عبد الله بن أبى بكرة وكان يومئذ واليا بالبصرة ، فوقفت بين السماطين وقالت : أصلح الله الأمير وأمتع به ، حدرتنا اليك سنة اشتد بلاؤها ، وانكشف غطاؤها ، وأنا أعول صبية صغارا ، وآخرين كبارا ، فى بلقع شاسعة ، تخفضنا خافضة وترفعنا رافعة ، لملمات من الدهر ، برين عظمى ، وأذهبن لحمى وتركتنى والهة أدور بالحضيض ، وقد ضاق بي البلد العريض ، فسألت فى أحياء العرب : من الكاملة صفاته ، المعطى سائله ، الكافى نائله ؟ فدللت عليك أصلحك الله ، وأنا امرأة من هوازن وقد غاب الوالد ، ومات الرافد ، وانت بعد الله غيانى ومنتهى املى ، فاصنع بى احدى ثلاث : اما أن تردنى الى بلدى ، أو تحسن صفدى ، أو تقيم أودى ، فقال : بل أجمعهن لك ، ولم يزل يجرى عليها العطاء حتى ماتت كأنها من عياله .

وأقول : ها هو التاريخ يعيد نفسه ويزيد ، فاذا كان الأسلاف قد رفهوا عن بعض أفراد الرعية ، فان رئيس الجمهورية العربية قد أسعد كل الرعية ، بمشاريعه وانتاجاته ، وثماره وامداداته ، مما جعل الامة تشعر بالسعادة والاعتزاز ، والهناءة والكرامة . والعالم شاهد عدل ، والتاريخ رقيب عتيد .

ومن مظاهر العيد صلة الأرحام ، ومودة الأقرباء ، وتقوية رابطة الأسرة بنوافح الجود ، أو طيب الحديث ، أو بشاشة الوجه ، أو بسط الاسارير .

امتثالا لقول الله تعالى فى الحديث القدسى :

« انى أنا الرحمن خلقت الرحم (القرابة) وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

وأقول : ان هذه الصلة ، تثمر الوئام والوفاق ، والتآخى والتآلف ، والترابط والتعاون بين أفراد الأسرة وجماعة العشيرة ، وكل هذا يحقق فى الأمة الأمن والهدوء والطمأنينة والسلام ، والتقدم والرقى ، والسعادة والهناءة ولا شك انه من نوافح العيد وبركاته .

ومن مظاهر العيد تزاور المسلمين فى أيامه ، للتهنئة والتبريك ، ومبادلة الفرح والسرور ، ووصلة ما انقطع من الود ، وتجديد مارث من الحب ، والاشتراك فى الدعاء أن يجعله ميمون الطلعة ، ناصع الغرة ، تجنى فيه الامة ثمار جهادها ، وتستعيد ببركته تلاد امجادها ، ويصل الى أهدافها .

ومما لاشك فيه ان هذا كله من ميامين العيد واقباله وطوالع السعد فى أوقاته ، ودلائل الخيرات فى لحظاته وساعاته .

وان عيدا يعيد صفاء القلوب الى داراته ، ويغرس اخلاص النفوس فى مراكزه ، ويعقد اواصر الحب بين الافراد والجماعات ، لهو رسول الخير ، وبشيرالسعادة وصديق الارواح .

ومن مظاهر العيد الرواج الكثير فى التجارةوالصناعة ذلك الرواج الذى يتبعه تخفيف أثقال الديونوتصريف السلع المتراكمة ، وتيسير المعاملة فى العرض والطلب ، وتهوين أعباء المعيشة عن الكواهل .

واذا انسعت دائرة الربح ، وكثرت اسباب الرزق ، فان الجرائم تزول ، والسرقات تختفى ، وسلب الأموال يتضاءل ، والغش يتلاشى ويعيش الناس فى ظـــــلال الراحة آمين

واذا لم يكن فى العيد الا هذه الفوائد وتلك الثمرات، لكان جديرا بأن تحتفل به الانسانية وتستقبل ايامــه بالسرور والاغتباط .

ومن مظاهر العيد أن اليتيم فيه ينسى يتمه ،وبؤسه وذله وكربه . لأنه يرى أن كل مسلم يحنو عليهويعطف ويحن ويحدب ، فهذا يمسح رأسه ، وذاك يأسو جرحه وآخر يوليه رفدة ، حتى انه ليشعر ان الجميع آباؤه ، وان الكل كفلاؤه .

كل هذا امتثالا لما جاء به كتاب الله ، واستفاضت به سنة رسول الله .

فقد نهى سبحانه وتعالى عن قهر اليتيم فقال : «فاما اليتيم فلا تقهر » .

وجعل له حقا فى الغنيمة فقال : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان الله خمسة ، وللرسول ولذى القــربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .

وجعل له حصة فى الفيء فقال : « ما أفاء الله عـلى رسوله من اهل القرى ، فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

وامر بحفظ ماله ، ونهى عن اضاعته فقال : « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين ، وأشار بالسبابة الوسطى » وقال : «من مسح رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعره وقعت عليها يده صدقة »

فرعاية اليتيم اذن من أفضل القربات ، ومن أفضـــل الطاعات ، ومن اجل مظاهر العيد ، وأعودها بالأجر وحسن الجزاء « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » .

بقى علينا بعد كل هــذا ان نذكر مظهر احثت عليه الشريعة وطلبته ورغبت فيه ، ذلك المظهر يتجلى فى تهافت المسلمين على اداء صدقة الفطر من فجر يوم العيــد بنفوس راضية ، وجهود مشكورة وقلوب شاعرة بأنهــا حق الفقراء والمساكين .

وهذا كله يدل على ما فى الأمة المحمدية من حب الخير وفعله ، ويصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الخير فى وفى أمتى الى يوم القيامة » .

نسأل الله ان يجعل هذا العيد رسول سلام واعزاز للأمة الاسلامية ، وأن يبارك فى رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، واصحابه الأماجد .

والى الجميع خالص التهنئة والتبريك

الدراسات النحوية

ليس من شك فى أن التراث الفكرى الأندلسى قد حظى بنصيب كبير من اهتمام الباحثين منذ اخريات القــرن الماضى ، حينما أقبل المستشرقون عــلى هذا التراث فى مكتبات اسبانيا والمغرب ينفضون عنه غبار الزمن ، ثم يحققون نفائسه وينشرونها ، مرة مترجمــة الى اللغات المختلفة ، ومرات يكتفون بنشر النص العربى.وقد مست جهود المستشرقين فى هذا المجال الوانا عدة من الثقافة الأندلسية فنشروا كتبا فى الفلسفة والاجتماع والتاريخ والأدب والطب والزراعة وغيرها مما أعان الباحثين العرب بعد فى مجال الدراسات الأندلسية وفتح أمامهم الطريق للتحقيق والبحث. ومع أن هذه الدراسات الان قد بلغت طور النضج أو كادت ، الا أن واحدا من هؤلاء أو أولئك لم يكرس جهده لتحقيق مخطوط واحد فى النحو أو فى اللغة ، وظل هذا الجانب من جوانب المعرفة فى الأندلس مجهولا لا يعرف عنه شيء . وكأن الأندلسيين الذين كتبوا فى كل علم وفن ، لم يكتبوا شيئا فى اللغة أو فى النحو ، أو كأن الدراسات النحوية لم تعــرف ســبيلها الى الأندلس .

وسأقصر حديثي فى هذا المقال على التعريف بالدراسات النحوية فى الأندلس منذ الفتح الاسلامى حتى عصر ملوك الطوائف على نحو يتمكن معه القارىء من التعرف على المنهاج الذى سلكه الأندلســيون فى دراسة النحو ثـم الجهود التى بذلوها فى هذا الصدد . ومن المعروف ان الفترة الأولى التى تلت فتح العــرب للأندلس لا تتسم بأية حركة فكرية ، ولا نكاد نلحظ فيها اى أثر ينبىء عن حياة علميـــة . ذلك بأن الجيش الفاتح من العــرب والبربر كان مشغولا باقــرار الأمن وتنظيــم الشئون السياسية والاجتماعية ونشر اللغة العربية بين الشعب الاسبانى . كما كان الشعب الاسبانى يومئذ مشــغولا كذلك بأمر حياته الجديدة التى نقلته من عسف القوط وظلمهم الى العدالة الاجتماعية التى انتشرت بانتشار الاسلام . وهكذا مر بالأندلس نحـــو من نصف قــرن (٧١٠ - ٧٥٥ م) - طوال عصر الولاة - قبل أن تتكامل مقومات الحركة الثقافية ، وقبل ان تجرى العربية على الألسنة الاعجمية فى يسر وطلاقة . ثم كان دخــول عبد الرحمن بن معاوية المعروف بعبد الرحمـــن الداخل (٧٥٥ - ٧٨٨ م) مبدأ لعصر الامارة ، وفى الوقت نفسه مبدأ لحركة ثقافية منظمة بعد ان تمكن عبد الرحمن من انقاذ الاسلام من الضياع واستطاع ان ينشر الأمــن فى

في الأندلس

الدكتور محمد الأمين طه

الأندلس بما اوتى من حكمة وحزم وبعد نظر ودهـاء . فقضى على النزاع القائم بين العرب من أجل الولاية ، كما قضى على العصبيات القبلية أو الجنسية ، بين القبائل العربية المختلفة ، أو بين العرب والبربر،وبذلك مكن لنهضة فكرية . ولقد كان أمرا طبيعيـا أن تكون الدراسات اللغوية وفي مقدمتها النحـو من الدراسات الأولى التى اتخذت شكلا منظمـا في الأندلس فاقترن الاهتمام بها بادىء ذي بدء بالاهتمام بتعلم العربية نفسها ثم صارت ترفـا ذهنيا بعد أن تمكن الاسـبانيون من العربية وقنع الكثيرون بها عن اللاتينية الى الحد الذى جعلهم يتوافرون على حفظ الجيد من الشعر والنثر .

هذا ولقد مرت الدراسات النحوية في الأندلس بأربع مراحل ، لكل مرحلة منها سماتها الظاهرة .

(١) المرحلة الأولى تبدأ بعصر الامارة ، والأندلسيون يومئذ كانوا يدرسون النحو عن طريق قراءة النصوص الأدبية والكتب قبل أن يعرفوا كتبا منهجية في النحو . ودراستهم اذ ذاك كانت تقوم على التعرف على ضبط أواخر الكلمات عن طريق تحديد المسند والمسند اليه . أى أنهم كانوا يستنبطون المسائل النحـوية من ثنايا الجمل والتراكيب دون معرفة بالمصطلحات النحوية التى كان النحاة المشارقة قـد تواضعوا عليها . وهى طريقة سليمة تتمشى مع المنطق وتقوم على الاستنباط والتطبيق في نفس الوقت . والأندلسيون بهذا كانوا أول من وضع أمثل طريقة لتدريس النحو لا تتخذ المثال المبتور محـورا لتطبيق القاعدة ، ولا تجرى وراء الافتراض والتقدير . وان كنا لا نشك في أن الدارسين اذ ذاك كانت تعتـرض سبيلهم صعوبات عدة تتمثل في الكلمات المبنية التى لا تظهر حركات الاعراب على أواخرها ، وفي المعمول الذى يتقدم على عامله ، والعامل غير الظاهر ، وفي صور من الاشتغال والتنازع في العمل وغير ذلك . ولو أنهم كانوا قد ألموا بالمصطلحات النحوية ثم اتخذوا النصوص مجالا لدراسة النحو لأفادوا كثيرا .

(٢) وعندما دخلت بعض كتب النحـو المشرقية الى الأندلس في أوائل القرن الثامن الميلادى ابتدأت مرحلة ثانية من مراحل الدراسات النحـوية . فقد أقبـل الأندلسيون على هذه الكتب بما عرف عنهم من ولع بكل ما يرد من المشرق وتوافـروا على دراسـتها وتفهموا المصطلحات النحوية واذ ذاك انقطعت صلاتهم المباشرة بالنصوص أثناء الدرس ، وأصبحت دراسة النحـو لديهم صورة مماثلة لدراسته في المشرق ، تتخذ الأمثلة المبتورة محورا لتطبيق القاعدة وتنساق وراء الافتراض والتقدير .

ولقد كانت كتب الكسائى وسيبويه من أوائـل كتب النحو التى دخلت الأندلس ، ثم جاء بعـد ذلك كتاب الجمل للزجاج وقـد شغل الأندلسيون كثيرا بهـذا الكتاب حتى بلغت الشروح التى وضعوها عليه ستا . ولم يقتصر الأندلسيون خلال تلك المرحلة على دراسة النحو في الأندلس فقط أو في قرطبة مركز الثقـافة الأندلسية يومئذ ، ولكن اتصلت بينهم وبين النحويين المشارقة أسباب مباشرة تمثلت في الرحـلات التى كان الأندلسيون يقومـون بها الى المشرق بقصد الحج ثم يدخلون العراق ويطيلون الجلوس الى النحـاة هناك بصريين وكوفيين ، ثم يعودون بعد الى الأندلس وقد حملوا عن هؤلاء مذاهبهم النحوية . ومن ثم فقد وجد كل من المذهب البصرى والكوفى من يتعصب لـه في الأندلس ويذود عن وجهة نظره . وطالما شهدت قرطبة مناظرات قامت بين مؤيدى المذهب البصرى وبين مؤيدى المذهب الكوفى امتدت آثارها الي طلاب العلم فتعصبوا لهؤلاء أو أولئك على نحو ما كان يحدث بين النحـاة في المشرق . وهكذا ظلت دراسة النحو في الأندلس تسير وفقا للمذهب البصرى أو المذهب الكوفى دون أن يتخـذ الأندلسيون لأنفسهم مذهبا يتميزون به . ولقد وهم بعض من اشتغل بالدراسات الأندلسية عن بعد فزعم أن هناك مذهبا نحويا أندلسيا ، ولكن ذلك ليس بحقيقة . فحتى الآراء التى تدور حول نظرية العامل والتى تنسب الي ابن مضاء لا نستطيع أن نسـميها مذهبا مستحدثا في النحو ، لأن الباحث المتعمق يستطيع دون كبيـر عناء أن يرد تلك الآراء الى أصولها الأولى لدى نحاة البصرة أو الكوفة .

ومن أوائل الأندلسـيين الذين ارتحـلوا الى المشرق ودرسوا النحو هناك جودى بن عثمان النحوى المورودى المتوفى سنة ٨١٣م . فقد روى أنه ارتحل الي الحج ثم دخل بغداد في طريق عودته واتصل بجماعة من النحاة هناك فأخذ عنهم ثم كان أول من أدخـل الأندلس كتاب الكسائى . ومع أن كثيـرا من المصادر العربية وغيرها تنوه بقيمة الكتب التى وضعها جودى هذا في النحو مثل كتابه « منبه الحجارة » الا أنه لم يصلنا شىء من هذه الكتب تتمكن معه من الحكم على قيمتها أو تتبين فيهـا مناهجه .

ولم يقتصر الأمر على ارتحال الأندلسيين الى المشرق فقد أقبل الى الأندلس في عهد عبدالرحمن الناصر العالم المشهور أبو على القالى (٩٠١ - ٩٦٧ م) وكان ممن أتقن علوم اللغة والشعر على طريقـة البصريين وكان دخوله الأندلس سنة ٩٤١ م حيث جلس في أول الأمر لاقراء الحديث واللغة العربية وآدابها ، ثم صرف جهوده بعد الى علوم اللغة والنحو . وكانت شهرة أبى على قد سبقته الى الأندلس الأمر الذى جعل عبدالرحمن الناصر يعلى منزلته ويغدق عليه العطايا ثم يكل اليه تاديب ولى عهده الحكم . وكان أبو على القالى من أوائل من ألفوا في الأندلس كتبا في النحو . فقد ألف رسالة عن المقصور والممدود ، ورسالة أخرى عن الأفعال جعـل عنوانها « فعلت وأفعلت » ثم ألف كتابه « البارع في اللغة » وهو موسوعة لغوية ضخمة بلغت صفحاتها نحوا من خمسـة آلاف ، وقد رتب فصولها على أحرف الهجاء . وبفضل أبى على القالى تقدم المذهب البصرى على المذهب الكوفى في الأندلس كتبا في النحو . فقد ألف رسالة عن المقصور الزبيدى النحوى الاشبيلى كثيـرا (٩١٨ - ٩٨٩ م) حيث وضع كتبا في النحو ، وسار على طريقة استاذه في

تأييد طريقة البصريين ، ويذكر لنا خوليان ريبيرا ان ابا بكر الزبيدى كان يحاول بدراساته اللغوية دائما أن ينقى العربية مما عساه أن يتطرق اليها من الالفاظ العامية ، كما كان يرشد الأندلسيين الى ما ينبغى من العربى الصحيح .

(٣) وبابي بكر الزبيدى ابتدأت فى الأندلس مرحلة ثالثة من مراحل الدراسات النحوية كانت تقوم على تلخيص كتب المشارقة او وضع الشروح عليها . فقد عمد الزبيدى الى كتاب « العين » للخليل ابن احمد فلخصه وسمى ملخصه « مختصر كتاب العين » .

كما قام أبو الحجاج يوسف بن عيسى المتوفى سنة ١٠٨٣م بشرح الأبيات التي اشتمل عليها كتاب سيبويه ونقد بعض مسائله النحوية ، ويطنب أصحاب كتب التراجم من عرب واسبان عن الشروح القيمة التى وضعها على طائفة من الكتب المشرقية أبو الوليد هشام بن أحمد الكنانى الوقشى النحوى (١٠١٧ - ١٠٩٥ م) وان كان مما يؤسف له أن شرحا واحدا من هذه الشروح لم يصل الينا ، ويقولون انه أول أندلسى وضع شرحا على كتاب الجمل للزجاجى . ثم جاء الاعلم البطليوسى النحوى فوضع كذلك شرحا علي كتاب الجمل للزجاجى . وهكذا نجد طائفة من أعلام نحاة الأندلس يتوافرون فى هذه المرحلة على شرح ما يصل الى ايديهم من كتب النحو المشرقية . وانصرافهم الي الكتب المشرقية على هذا النحو يدل دلالة واضحة على ان الدراسات النحوية فى تلك المرحلة كانت ما تزال تسير فى نفس الطريق الذى تسير فيه فى المشرق . ومع ان خوليان ريبيرا وميجيل آسين بلاثيوس قد اعتبرا الشروح الأندلسية على كتب النحو المشرقية تجديدا او ما يشبه التجديد ، فانا لا نسايرهما فيما ذهبا اليه لأن التجديد لا يعتبر تجديدا الا اذا تناول المنهاج ، او مس القواعد التى تواضع عليها النحاة المشارقة مثلا . والشروح الاندلسية لكتب النحو ولغيرها لا تتميز من نظائرها فى المشرق بشىء يمكن ان يقال عنه انه تجديد . وقد اشرت آنفا الى ان المحاولات التى قام بها ابن مضاء لا يمكن أن نعدها مذهبا اندلسيا نحويا ، ولا يمكن فى الوقت نفسه ان نعتبرها تجديدا الا مع شىء كثير من التجوز .

(٤) أما الدعوة الحقيقية الي تجديد النحو ، او بعبارة أدق الى اصلاحه فهى التى ظهرت على عهد ملوك الطوائف بالأندلس حينما نشطت الحركة الثقافية بوجه عام ، وازدهر فى كل مملكة من ممالك الطوائف مركز للدراسات الادبية واللغوية . والنحويون على عهد الطوائف لا يحصون عددا . وأبرز المدارس النحوية اذ ذاك كانت فى بلنسية وسرقسطة واشبيليه ومرسية ثم غرناطة . ولا نكاد نعرف يومئذ علما أو فنا قد حظى بما حظى به النحو من عناية الدارسين واهتمامهم وارتحالهم فى طلبه . وقلما تجد من بين الأندلسيين من برز فى علم أو فن دون ان يكون قد أخذ فى أول حياته بنصيب من النحو واللغة . وبحسبنا ان نطالع الصلة لابن بشكوال او التكملة لابن الابار لنرى أنه يندر أن نجد فقيها أو محدثا أو اديبا لم يشتغل بالنحو فترة من حياته .

وأظهر سمات التجديد فى تلك المرحلة هى الجهود التي بذلها ابن السيد البطليوسى (١٠٥٢ - ١١٢٧ م) فى سبيل تنقية المسائل النحوية من شوائب الفلسفة . ولقد لقيت دعوة ابن السيد هذه تأييدا كما اصطدمت بمعارضة من خصومه الذين نسبوا اليه انه يعمل على ولم يقتصر الأندلسيون خلال تلك المرحلة على دراسة النحو فى الأندلس فقط أو فى قرطبة مركز الثقافة

افساد النحو ويحاول الخروج به عن القوانين التى تواضعت عليها مدرستا البصرة والكوفة .

ويقوم منهاج ابن السيد فى دراسة النحو على وجوب الابتعاد عن استعمال المصطلحات التى يستعملها أهل البرهان من الفلاسفة ، كذكر المحمول أو الموضوع أو ما شاكل ذلك ، كما يقوم علي وجوب تنقية المسائل النحوية من التقدير والافتراض ، لأنه يرى أن الوظيفة التى ينبغى أن يؤديها النحو هو الاقدار على القراءة السليمة والفهم السليم . واشتمال مسائله علي مباحث عقلية لا شك يوقع الفكر فى اضطراب وربما ينأى به عن الغرض الرئيسى للجملة أو النص . وقد اشتمل كتاب ابن السيد «المسائل والأجوبة» على تفصيل شامل لمنهاجه فى دراسة النحو وهو كتاب يضم بضعا وثلاثين مسالة نحوية ولغوية يستطيع القارىء أن يتبين خلالها الصورة الكاملة لهذا المنهاج . وبحسبى هنا أن أعرض على القارىء مسالة واحدة من هذا الكتاب ، وهى التى تصور الخلاف الذى نجم بين ابن السيد وابن باجة المتوفى سنة ١١٣٨ م من اجل اعراب بيت من الشعر . يقول ابن السيد : « جمعنى مجلس مع رجل من أهل الأدب يعرف بابى بكر بن الصائغ (ابن باجة) فنازعنى فى مسالتين من مسائل النحو ثم دبت الايام ودرجت الليالى وانا لا اعيرها فكرى ، ولا اخطرها علي بالى ، ثم اتصل بى ان قوما يتعصبون له ويقرظونه ، ويعتقدون انى انا المخطىء فيها دونه . فرايت أن أذكر ما جرى بيننا فيها من الكلام ، وازيد ما لم اذكره وقت المنازعة والخصام ، ليعلم المزجى البضاعة فى هذه الصناعة ، وبالله التوفيق . كان مبدأ الأمر ان هذا المذكور قال لى ان قوما من نحوى سرقسطة - حرسها الله - اختلفوا فى قول كثير :

وانت التى حببت كل قصيرة
الى ومـا تدرى بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد
قصار الخطا شر النساء البحاتر

فقال بعضهم البحاتر مبتدأ وشر النساء خبره . وقال بعضهم يجوز أن يكون شر النساء هو المبتدأ ، والبحاتر خبره . وانكرت أنا هذا القول فقلت له الذى قلت - أعزك الله - هو الوجه المختار ، وما قاله النحوى الذى حكيت عنه جائز غير ممتنع . فقال وكيف يصح ما قال وهل غرض الشاعر الا ان يخبر ان البحاتر شر النساء ؟ وجعل يكثر من ذكر المحمول والموضوع ويورد الالفاظ المنطقية التى يستعملها أهل البرهان . فقلت له انت تريد أن تدخل صناعة المنطق فى صناعة النحو . وصناعة النحو تستعمل فيها مجازات ومسامحات لا يستعملها أهل المنطق . وقد قال أهل الفلسفة يجب أن تحمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها . وكانوا يرون أن ادخال بعض الصناعات فى بعض انما يكون من جهل المتكلم أو عن قصد منه للمغالطة واستراحة بالانتقال من صناعة الى اخرى اذا ضاقت عليه طرق الكلام . وصناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني . وقد تكون مخالفة لها اذا فهم السامع المراد ، فيقع الاسناد فى اللفظ الى شىء وهو فى المعنى مسند الى شىء آخر ، اذا علم المخاطب غرض المتكلم ، وكانت الفائدة فى كلا الحالين واحدة . فيجيز النحويون فى صناعتهم : أعطى درهم زيدا ، ويرون ان فائدته كفائدة قولهم : أعطى زيد « درهما » . فيسندون الاعطاء الى الدرهم فى اللفظ ، وهو مسند فى فى المعنى الى زيد ، وكذلك يجيزون ضرب بزيد الضرب وخرج بزيد اليوم ، وولد لزيد ستون عاما . وقد علم أن

القرب لا يضرب ، وأن اليوم لا يخرج به ، وأن الستين عاما لا تولد . فهذه الالفاظ كلها غير مطابقة للمعانى ، لأن الاسناد وقع فيها الى شيء ، وهو فى المعنى الى اسم آخر اتكالا على فهم السامع . وليس هذا بضرورة شاعر بل هو كلام العرب الفصيح المتعارف بينها فى محاوراتها وهذا أشهر عند النحويين من ان يحتاج فيه الى بيان .

ومما يبين هذا أن النحويين قد قالوا اذا اجتمعت معرفتان فاجعل أيهما شئت الاسم ، وأيهما شئت الخبر . فتقول كان زيد أخاك . وكان أخوك زيدا . فان قال قائل الفائدة فيهما مختلفة ، لأنه اذا قال كان زيد أخاك ، أفادنا الاخوة واذا قال كان أخوك زيدا أفادنا أنه زيد فالجواب أن هذا جائز صحيح لا ينازع فيه منازع . ويجوز أيضا أن يقال كان أخوك زيدا ، والمراد كان زيد أخاك ، فيقع الاسناد فى اللفظ الى الأخ ، وهو فى المعنى الى زيد . والدليل على ذلك أن القراء قرءوا : « فما كان جواب قومه الا أن قالوا » برفع الجواب ونصبه . فتارة يجعلون الجواب الاسم ، والقول الخبر . وتارة يجعلون القول هو الاسم والجواب الخبر ، وليس يشك أحد أن الغرض فى كلتا القراءتين واحد ، وأن الاخبار فى الحقيقة انما هو عن الجواب . وكذلك قوله : « فكان عاقبتهما أنهما فى النار » قرىء برفع العاقبة ونصبها ولا فرق بين الامرين عند أحد من البصريين والكوفيين . وكذلك قول الفرزدق :

لقد شهدت قيس فما كان نصرها
قتيبة الا عضها بالاباهم

ينشد برفع النصر ونصب العض ، وبرفع العض ونصب النصر والفائدة فى الامرين جميعا واحدة . وكذلك قول الآخر :

وقد علم الاقوام ما كان داءها
بثهلان الا الخزى ممن يقودها

ينشد برفع الداء ونصب الخزى ، وبنصب الداء ورفع الخزى ، والفائدة فيهما جميعا واحدة . وانما تساوى ذلك لأن المبتدأ هو الخبر فى المعنى . ومما يبين ذلك بيانا واضحا أن القائل اذا قال : شر الناس الفاسق أو قال : الفاسق شر الناس ، فقد أفادنا فى كلا الحالين فائدة واحدة . وكذلك اذا قال : أبوك خير الناس ، فائدته كفائدة قوله : خير الناس أبوك ، لا يمكن أحد أن يجعل بينهما فرقا . ويشهد لذلك قول زهير :

واما أن يقولوا قد أبينا
فشر مواطن الحسب الاباء

فهذا البيت أشبه الأشياء ببيت كثير . وقد جعل زهير فيه شرا هو المبتدأ والاباء هو الخبر . وانما غرضه أن الاباء هو شر مواطن الحسب . ولا يجوز لزاعم أن الاباء هو المبتدأ ، وشر خبره ، لأن الفاء لا يجوز دخولها على خبر المبتدأ الا أن يتضمن المبتدأ معني الشرط الا ترى أنه لا يجوز زيد فقائم . وكذلك من روى : وشر مواطن بالواو لأن الواو لاتدخل على الأخبار . ولايجوز: زيد وقائم . ومما يبين لك تساوى الامر عند النحويين : باب الاخبار بالذى ، وبالألف واللام فقد تأول قول النحويين ما قلناه نصا . كأن القائل اذا سأل فقال : أخبرنى عن زيد من قولنا : قام زيد ، فجوابه عند النحويين أجمعين أن يقال : الذى قام زيد . الا ترى أن المجيب قد جعل زيدا خبرا . وانما سأله السائل أن يخبر عنه . ولم يسأله أن يخبر به . فلو جاء الجواب على حد لسؤال لقال : زيد الذى قام ، وزيد القائم . وباب الاخبار كله مطرد على هذا . وانما جاز ذلك عندهم لأن الفائدة فى قولك : الذى قام زيد ، كالفائدة فى قولك القائم زيد ، ولولا أن الامرين عندهم سواء لما جاز هذا

ومن أطرف ما فى هذا الأمر أن جماعة من النحويين لايجيزون تقديم خبر المبتدأ عليه اذا كان معرفة . فلا يجيزون أن يقال : أخوك زيد والمراد زيد أخوك . واحتجوا بشيئين . أحدهما . أن المعرفتين متكافئتان ليست احداهما أحق بأن يسند اليها من الأخرى.وليس ذلك بمنزلة المعرفة والنكرة اذا اجتمعتا ، والحجة الأخرى أنه يقع الاشكال فلا يعلم السامع أيهما المسند اليه . فلما عرض فيهما الاشكال لم يجز التقديم والتأخير ، وكان ذلك بمنزلة الفاعل والمفعول فيهما لم يجز تقديم المفعول كقولك ضرب موسى عيسى . وهذا قول قوى غير أن النحويين كلهم لم يتفقوا عليه.فعلى مذهب هؤلاء لا يجوز أن يكون شر النساء خبرا مقدما بوجه من الوجوه . فان كان هؤلاء القوم يريدون صناعة النحو فهذا ما توجبه صناعة النحو . وان كانوا يريدون صناعة المنطق فقد قال جميع أهل المنطق – لا أحفظ فى ذلك خلافا بينهم ، أن فى القضايا المنطقية قضايا تنعكس فيصير موضوعها محمولا ، ومحمولها موضوعا ، والفائدة فى كلتا الحالتين واحدة . وصدقها وكيفيتها محفوظان عليها . قالوا فاذا انعكست ولم تحفظ الصدق والكيفية سمى ذلك انقلاب القضية لانعكاسها . ومثال العكس فى القضايا قولنا : كل انسان واحد حجر . ثم تعكس فتقول : كل حجر واحد انسان . فهذه قضية قد انعكس موضوعها محمولا ، ومحمولها موضوعا . والفائدة فى الامرين جميعا واحدة . ومن القضايا التي لا تنعكس قولنا : كل انسان حيوان . فهذه قضية صادقة . فان صيرنا محمولها موضوعا وموضوعها محمولا ، وقلنا كل حيوان انسان ، عادت قضية كاذبة . فهذا يسمونه انقلابا لا انعكاسا . وانما ذكرنا هذا – وان كان لا مدخل له فى صناعة النحو– ليعرف هؤلاء القوم أن صناعة المنطق قد قاسمت صناعة النحو فى هذا المعنى بعض المقاسمة،وان لم يكن غرض الصناعتين واحدا ، وبالله التوفيق .

(مخطوط الاسكوريال / ١٥١٨ ورقات ٤٣–٤٥)

واذا كان ابن السيد قد عرض علينا فى هذه المسألة المقدمة لمحات لما ينبغى أن تكون عليه دراسة النحو فاننا نجد كذلك فى كتابه آنف الذكر صورة أخرى فى المسألة التى ضمنها المناظرة التى وقعت بينه وبين بعض النحويين من معاصريه حول الفرق بين البدل وعطف البيان حيث دعا الى وجوب الابتعاد بالمسائل النحوية عن التقدير والافتراض وتناولها بما يعين على الفهم لا بما يوقع فى اللبس .

وانما أوردت نص هذه المسألة المتقدمة – على طولها – لأضرب مثلا لما كانت عليه الدراسات النحوية على عهد ملوك الطوائف ، ولأنشر لأول مرة قطعة من هذا المخطوط القيم الذى لم يقدر له بعد أن يرى الضوء .

وانى لأرجو أن يكون لي عود قريب الى هذا الموضوع أعرف فيه بالجهود المشكورة التى بذلها فى هذا الصدد جلة من شيوخ النحاة فى مقدمتهم أحمد بن على بن أحمد بن خلف الانصارى (١٠٩٧ – ١١٤٥ م) وأبو الحسن على بن محمد الحضرمى المعروف بابن خروف الاشبيلى المتوفى سنة ١٢١٢ م وعيسى بن سليمان بن عبد الملك الرعينى المتوفى سنة ١٢١٩ م وأبو الحسن الاشبيلى المتوفى سنة ١٢٦٤ م ، ثم شيخ النحاة جمال الدين محمد ابن عبد الله بن مالك (١٢٠٨ – ١٢٧٤ م) .

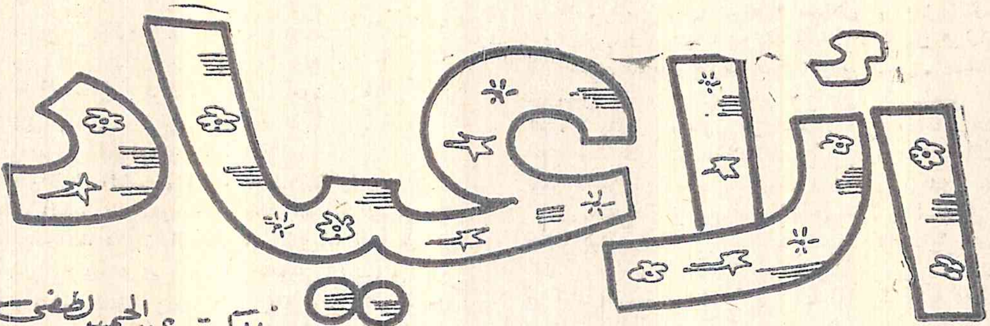

الدكتور عبد الحميد لطفى

الأعياد :

الاعياد جمع عيد ، من العود ؛ فكل ما يعود فهو عيد، فشروق الشمس عيد ، ويوم الأربعاء عيد ، وشهر صفر عيد ، وفصل الصيف عيد . فاذا ما صادف العيد بمعناه العام ظروفا سعيدة او محزنة ، كان عود هذا العيد ، مذكرا بهذه الظروف ، واكتسب العيد معنى خاصا ، كما هو الحال فى عيد القران ، وذكرى الوفاة .

والأعياد بمعناها الخاص قد تكون خاصة بالفرد أو الجماعة أو الأمة ، وقد تكون ميراثا ، ورثته الانسانية بينها ، وتشترك جميع الأمم فى الاحتفال بمثل هذه الأعياد . وقد تنوعت الاعياد وتشعبت ، واصبحت منها أعيادا وطنية ، وأعيادا دينية ، وقد تتفق الأعياد الوطنية والاعياد الدينية ، فيقوم القوم باحياء هذه واحياء هذه . وقد تختلف وتتعارض وتتناقض ، ويقوم الصراع العنيف بين الاثنين ، فاذا ما تغلبت الأعياد الدينية ، انتهى أمر الاعياد الوطنية ، واذا ما تغلبت الأعياد الوطنية ، قام القوم بصبغها بالصبغة الدينية ، لكى يمنعوا هذا الانتصار .

وسأتعرض بصفة خاصة لعيدى الربيع والخريف ، ولما كان هذان العيدان يمتان بصلة وثيقة للشئون الفلكية ، فساعرضها عرضا مجملا .

الشمس والقمر والنجوم :

نظر الانسان الى السماء ، فبهرته الشمس ، عرف منها مصدر حيويته ، ومنبع طاقته ، واصل حرارته ، فاجلها واحترمها فعبدها ، وأحلها المحل الأول ، وجعلها ملك السماء ، لما تتميز به أشعتها من حمرة وثورة ومضاء .

غربت الشمس وغابت ، واذا بالقمر ينير للانسان طريقه وقت سراه ، ولكن هذا القمر يختلف عن الشمس، فليس لحرارة نوره ، حرارة ضيائها ، كما لا يتميز به الليل بطوله ، اذ يختفى اذا ما بكر فى الغروب ، أو تأخر فى الشروق ، كما يتغير شكله باستمرار ، واذن فهذا القمر يختلف عن الشمس درجة ، ولذلك اعتبره الانسان ملكة السماء ، لما تتميز به أشعته من زرقة وهدوء وصفاء .

اختفى القمر ، وأسدل الظلام ستوره ، واراد الانسان أن يتلمس طريقه وقت سراه ، فوجه بصره الى السماء ، فاذا به يراها مزدانة بمصابيح سماوية علوية، تتلالا وتتالق ، فاحب أن يجعل منها علامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، فاعوزه ذلك لكثرتها وتعددها، ولكنه لم ييأس ، فداوم النظر اليها ، ليلة اثر اخرى ، فاذا بها تتكشف له عن نظام هندسى بديع ، وبدت له هياكل ، كساها بخياله شحما ولحما ، فبدت له اشياء مما يقع تحت حسه وبصره ، فى بيئته التى يعيش فيها، وهل فى بيئته غير الرعى والصيد ، أليست أمامه انعام يرعاها وسباع يخشاها ، وكهوف يغشاها ، ودواب يسخرها ، وغابات يقتحمها ، وحيوانات يصيدها ، وهوام يخشى بأسها ، وأمتعة يستعملها ، فليس غريبا اذن اذا ما رأى فى نجوم السماء نورا وحملا ، وجديا وارنبا ، ودبا وأسدا، وسرطانا وعقربا ، وحوتا وتنينا ، وكلبا وفارسا ، وجبارا وفرسا ، وميزانا ودلوا ، وامراة مسلسلة ، وغير ذلك . واذا به يوفق بين هذه الأشكال المختلفة ، ليبرر مواضعها ، وشانها فى هذه المواضع ، فيؤلف قصة أو جملة قصص ، فيستمتع بلذة لها شاوها وقيمتها ، وتمكنه من الاهتداء بهذه النجوم .

اليوم والشهر والسنة :

راقب الانسان الشمس فوجدها تشرق وتغرب ، ويخيم الظلام ، ثم تعود سيرتها الاولى ، وهذه دورة فلكية تتكرر ، فقاس بها الانسان ، وتنقسم هذه الدورة الى قسمين : قسم مضىء ، وقسم مظلم ، ولما كان القسم المضىء هو أهم القسمين ، فقد اطلق عليه اسم «اليوم». والدليل على ذلك ما ورد فى القرآن « سبع ليال وثمانية ايام حسوما » . وما ورد فى الحديث « فى كل يوم وليلة » . ثم اذا به يطلق هذا الاسم على الدورة كلها

وكذلك الحال في أغلب اللغــات ، اللهم الا عند الأمم الشمالية ، فقد أطلقت في بعض الحالات اسم الجزء المظلم على الدورة كلها ، ففي الانجليــزية يطلق على الاسبوعين حتى الآن ، اسم أربعة عشرة ليلة ، كما يطلق على الاعتدالين اسم تساوي الليالي .

واحتاج الانسان الى مقياس أطول للزمن ، فوجده في دورة القمر ، اذ يبدأ هلالا ناشئا ، ثم يتزايد حتى يصير بدرا ، ثم يتناقص حتى يعود كالعرجون القــديم ، ثم يختفي ، ثم يعود سيرته الأولى ، وهذه دورة فلكية تتكرر ، وسميت هذه الدورة باسم القمر ، ففي العربية الشــهر معنــاه القمر ، وفي القرآن « فمن شــهد منكم الشهر فليصمه » أي القمر . وكذلك الحــال في اللغات التركية والايرانية ، أما في اللغات الأخرى فقد اشتق اسم هذه الدورة من اسم القمر .

ثم احتاج الانسان الى مقياس أكبر طولا ، فوجده في الدورة النجميــــة ، اذ لاحظ أن الشمس تشرق بين مجموعة من النجوم ، وتغرب بينها ، ولكن ما يكاد يمر شهر حتى تترك الشمس هذه المجموعة ، وتنتقل الى مجموعة أخرى ، ولكن عند انتهاء اثنى عشر شهرا ، يجد أن الشمس قد عادت الى المجمــوعة الأولى ، ووجد أن هذه الدورة تتفق مع دورة الزراعة ودورة المناخ ، وأطلق على هـــذه الدورة اسم « الدورة » ، ففي العربية « الحول » . وكذلك الحال في اللغات اللاتينية ، كما أطلق عليها اسم الدورة الزراعية « السنة » . وكذلك في اللغات الجرمانية والاغريقية . ولما كانت هذه الدورة يعتريها تغير من اخضرار وازهار واثمار وتجرد ، ومن ربيع وصيف وخريف وشتاء ، فقد اشتق من الحــول « تحول » أي تغير ، كمــا اشتق من السنة « تسنه » أي تغير .

انضر أوقات اليوم والشهر والسنة :

عرف الانسان انضر أوقات اليوم في الشروق والغروب ، ففي الشروق يستيقظ الانسان من نومه مستعيدا نشاطه فيستقبل ضياء بعد اظلام ، ويستشعر المتعة والرغبة ، وفي الغروب يعود من عمله مكدودا ، فيستقبل اظـلاما بعد ضياء ، ويستشعر الخوف والرهبة ، والانسان أقرب الى مولاه عند الرغبة والرهبة ، في الشروق والغروب ، في الضحى والليل اذا سجى ، وتقرب الانسان لمولاه عن رغبة ، أرقى بكثير من تقربه اليه عن رهبة .

وعرف الانسان أنضر أوقات الشهر في ليلة البدر ، اذ يشرق البدر قبل أن تأذن الشمس بالمغيب ، فيشاركها في عرشها فترة من الزمن ضئيلة ، حتى اذا ما غربت الشمس ، تفرد البدر بالسيطرة على عرش السماء ، حتى اذا ما انتهى الليل ، وبرزت الغــزالة من خدرها تحت الأفق الشرقي ، عز على البدر كأنني أن يودع بسرعة ، واستمر فوق الأفق الغربي فترة من الزمن يلوح ويبتسم ، ثم ينزوي تحت الأفق ، فترسل الشمس ضياءها ، وما زال للبدر نوره ، سبحانك ربي جعلت الشمس ضيــاء والقمر نورا . ونرى من ذلك أن ليلة البدر ليست بهـا لمحة من ظلام .

وعرف الانسان أنضر أوقات السنة في الربيع ، حيث تخضر الأشجار ، وتهزج على أفانينها الأطيار ، ويعتــدل فيه الليل والنهار ، فيه تخرج الطيــور من وكناتها ، فترسل من شدوها أنغاما وألحــانا ، وتتفتح الأزهار ، فتبعث من بطونها أريجا وألــوانا ، وتبتسم الطبيعة ، فتبتسم لها النفوس والأرواح ، وترشف من مشــاهد حسنها الكؤوس والأقــداح ، ولا عجب اذا ما افتتن به الكتاب والشعراء ، كما أبدع البحتري في قوله :

أتاك الربيع الطلق يختال ضــاحكا
من الحســن حتى كاد أن يتكلمـا
وقد نبه النيروز في غسق الدجى
أوائــل ورد كــن بالامس نــوما

عيد الربيع :

الربيع لغة هو جزء من أربعة أجزاء متساوية ينقسم اليها الشيء ، وسمى كل فصل من فصول السنة ربيعا ، ثم اذ به يقتصر على فصلي الازهار ، وجمع الثمار ، وهما ما نسميهما الربيع والخريف ، ثم اذا به ينفرد بفصل الازهار .

وقد عرفنا نضارة اليوم في الشروق والغروب ، ونضارة الشهر في ليلة البدر ونضارة الســنة في الربيع ، فاذا ما اجتمعت هذه النضارات الثلاث ، كان أول اجتماع لها حريا أن يكون عيدا ، وقد كان ، فاعتبر أول بدر في الربيع عيــدا ، هو شم النسيم عند قدماء المصريين ، وعيد بساح عند البابليين ، وعيــد القمر عند الرومان ، وعيد استر الاهة الربيع عند الجرمان ، وعيد الفصــح عند اليهود ، وعيد النيروز عند الايرانيين ، وعيــد الربيع عند الباقين .

عيد الخريف :

احتفل المصريون القدامى بعيد الخريف . اذ وافق يوم وفاء النيل ، أساس حيوية الأرض الزراعية ، عماد ثروة مصر ، واحيوا هذا العيد في يوم الشروق الاحتراقي للشعرى اليمانية ، وجعلوا سنتهم تبدأ من هذا العيد ، واحتفل به كثيرون ، ومنهم اليهود باسم عاشــوراء ، والأمم المجاورة للعرب باسم عيد المهرجان .

عيدا الفطر والأضحى :

أحيا العرب عيدين سنويين ، عيدى الربيع والخريف ، أو عيدى الفصح وعاشوراء ، أو عيدى النيروز والمهرجان وقد غيرهما المصطفى (ص) الى عيدين سنويين آخرين هما عيدا الفطر والأضحى لحكمة عظيمة .

فقواعد الاسلام خمس :

اولاها : الشهادتان ، وهي أساس الدين ، وميعادها لحظى .

ثانيتهما : الصــلاة ، وهي عماد الدين ، وميعادها ساعى .

ثالثتهما : الزكاة ، وهي سنوية ، ولكن ميعادها غير ثابت، بل يختلف باختلاف الافراد ، تبعا لتوفية النصاب ، وتمام الحول .

رابعتها : الصوم وميعادها سنوى ثابت بالنسبة لكل فرد وللجميع .

خامستها : الحج لمن يستطيع ، وميعادها سنوى ثابت بالنسبة للجماعة الاسلامية .

وعيد الفطر هو اليوم التالي لانتهاء فريضة الصوم ، وعيد الأضحى هو اليوم التالي لانتهــاء فريضة الحج ، وهذا يومان ثابتان سنويا ، بالنســبة للسنة القمرية ، ويشعر فيها المؤمن بالفرح ، اذ تمكن من القيام بتأدية ما كلف به ، واعتبارهما عيــدين سنويين يؤيد هذا الفرح .

العمل

قيمة أساسية فى الإسلام

الأستاذ حسن فتح الباب

من الملامح الرئيسية التى تميز الاسلام عن الرسالات السماوية السابقة أنه دين ودولة ، فلا رهبانية فيه وهو دين العمل والكفاح الايجابى فى سبيل العيش الكريم . والعمل فيه حق للفرد وواجب عليه فى الوقت ذاته .

ولقد قرر الاسلام قيمة العمل بوصفه واجبا شرعيا ودينيا تحقيقا لمقاصد عليا أولها الحفاظ على الجنس البشرى ، اذ خلق الله الأرض والفضاء والمياه وسخرها للانسان وجعلها موارد لرزقه ، فلولا سعى الناس واجتهادهم فى استثمار ما على الأرض وما فى باطنها من خيرات لما استطاع الانسان أن يحيا وأن ينعم بحياته . فالعمل هو قوام الحياة لأنه مصدر الرزق والاستمتاع بالمعيشة الكريمة ، ولا سبيل الى الحياة الرضية الا به. ومن ثم حث الاسلام على العمل الصالح فى سبيل سعادة البشر :

« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور »

« وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

وثمة حكمة أخرى توخاها الاسلام من تقرير قيمة العمل وهى تكريم الانسان ورفع منزلته من طريق ابعاده من ذل الحاجة واغنائه عن مد يده بالسؤال واتاحة الفرصة له للانفاق مما رزقه الله فى وجوه الخير :

« ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »

وقد جاء فى الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام :

« لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله ، فيسأله أعطاه أو منعه » .

وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا : ويح هذا ، لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله.

فقال صلى الله عليه وسلم :

« لا تقولوا هذا ، فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها من المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان »

واذا كان العمل هو السبيل الى تحرر الفرد واستقلاله عن غيره ، فهو السبيل كذلك الى تحرر الأمة ، ذلك أن الأمة لا تعدو أن تكون مجموعة كبيرة من الأفراد الذين ترتبط بينهم وشائج معينة مثل الجنس والدين واللغة والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة. والامة التى تتكون من جماعات عاملة تستطيع بقوة سواعد أبنائهم وايمانهم وجدهم وانتاجهم أن تعتمد على نفسها فتتحرر اقتصاديا وتستغنى عن غيرها من الدول فتسلم من الضغوط الخارجية وتتعامل مع الأمم الأخرى على قدم المساواة ، وبذلك تهىء لنفسها مكانة مرموقة بين سائر الشعوب وتهيىء لأبنائها حياة راضية رغدة .

فالعمل المشروع هو الذى يكفل للفرد وللجماعة الحياة الحرة الكريمة ويجنبه مذلة الفقر وهوان السؤال . وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام :

« ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم ليتخذه مهنة » .

ومن المقاصد الجليلة التى يبتغيها الاسلام من تقرير واجب العمل على الفرد ، تحقيق العدالة بين الناس وتكافؤ الفرص بينهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه »

فالحديث يقرر أعدل السنن فى تحقيق العدالة التى يتعين قيامها فى علاقات الناس بعضهم وبعض لتنتظم أمورهم وتتوثق روابط التعاون والتآخى بينهم ، وذلك بتقويم الانسان الفرد على أساس العمل الذى يعمله فى مسالك الدين والعبادة ، وفى مجالات النشاط والكسب الذى تعمر به الدنيا ، لا على أساس النسب المتماز فقط المرتفع الى تاريخ دينى أو أصل أرستقراطى . ويحكم الحديث بأن الامتياز والكرامة لصاحب العمل ، وأن السقوط والاهدار لمن استغنى بالركون الى نسبه عن العمل ، وأن التفاضل بين الناس بالعمل أقوى من التفاضل بينهم بالنسب . فان النسب عاجز عن تحقيق كرامة الدنيا ونيل ثواب الآخرة لمن قعد به تقصيره فى العمل عن هذه الغاية ، على حين أن العمل وحده هو القادر - بدون النسب - أن يرفع العامل الى أعلى الدرجات فى حظوظ الدنيا ، والفوز بما عند الله من جزيل الثواب . والحديث دليل واضح على اهدار النظام الطبقى وبراءة الاسلام من جريمة تقسيم عباد الله الى طبقات متعالية .

كذلك ، فان فى الحديث دلالة على ربط الاسلام العمل بالجزاء ، وهذا الربط من أهم القواعد فى الشريعة الاسلامية . فالمرء يجزى خيرا من عمله الصالح وشرا عن عمله الطالح :

« ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض . فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب »

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولهوالمؤمنون »

ولقد حبا الرسول الكريم - بالقول والفعل - قيمة العمل والعاملين ، بل ان سيرته الخالدة منذ صباه حتى وفاته عليه السلام هى سيرة النبى المرسل الذى شرف العمل وشرف العمل به ، فكان قدوة للعاملين ومثالا يحتذيه المكافحون . فقد مارس عليه السلام أكثر من حرفة ، فاشتغل بالرعى ثم زاول التجارة وبذل فيهما من طاقاته الجسدية والنفسية ما فتح له طريق النجاح والتوفيق فى سبيلهما ، وكان عليه الصلاة والسلام يجمع بين العمل الدنيوى الصالح وبين العمل الروحى الخالص الذى يتمثل فى أداء الفرائض التى شرعها الله سبحانه.

وليس أدل على قيمة العمل الاساسية فى الاسلام ماجاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أن الرسول الكريم كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته وبلغ من تقدير الاسلام للعمل انه رفعه على قيمة العبادة وحدها لأن العمل نفسه عبادة يثيب الله عليها كما يثيب على أداء فرائضه .

ومن شواهد ذلك ان الرسول عليه السلام قد سأل أصحابه عن رجل يصلى النهار ويقوم الليل ويكثر من ذكر الله : « أيكم يكفيه طعامه وشرابه ؟ » فقالوا : «كلنا يا رسول الله » فقال صلى الله عليه وسلم : « كلكم خير منه » .

ومثلما كان الرسول عليه السلام يعمل لكسب قوته ، كان خلفاؤه من بعده يعملون فى سبيل رزقهم .

ومما يؤثر عن عمر بن الخطاب قوله :

« لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة »

وقوله : « ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى ، أبيع وأشترى »

وقوله وقد رأى زيد بن مسلمة يغرس أرضه :

« أصبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم »

وكذلك كان أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان يشتغلان بالتجارة ويتكسبان منها مع أنهما كانا منصرفين - كل فى عهد خلافته - الى سياسة أمور المسلمين وتدبير شئونهم وهى وظيفة يستحق صاحبها عنها أجرا .

وانتهج علماء المسلمين وفقهاؤهم هذه السبيل ، فكانوا يجمعون بين العلم والعمل ويعيشون من كسب أيديهم ويأبون أن يتقاضوا مالا من الدولة . ويستبين ذلك من أسمائهم التى اشتقت من الحرف التى كانوا يشتغلون بها مثل الغزالى والجلاد والوراق والاسكافى .

ومن الأدلة البينة على ربط العلم بالعمل فى الاسلام أن الرسول ومن بعده الخلفاء والحكام المسلمون كانوا يحثون المسلمين على تعليم أبنائهم الحرف والصناعات المختلفة ، فالأعمال اليدوية فى الاسلام لا تقل شأنا عن الأعمال النظرية والعقلية ، بل ان المعول عليه هو الاتقان . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »

وغنى عن الذكر أنه يأتى فى تقويم العمل قبل الاتقان أن يقوم على أساس أخلاقى هو التقوى والأمانة والاخلاص مما ينبعث عن ضمير العامل لا عن خوف أو قسر . فاذا توافرت فى العمل هذه الخصائص كانت منزلته فى مستوى العبادة ، لأن انصراف المسلم اليه يحرره من عبودية الشهوة ورق الاستعباد فى شتى صوره ، ويجعل له نصيبا فى اقامة العمران ورفع شأن الاسلام والمسلمين

ولقد ازدهرت الحضارة الاسلامية حين جمع المسلمون بين العلم والعمل ، وتفانوا فى أداء الأعمال المنوطة بهم والتزموا الجد والاتقان والتقوى بمحض ارادتهم فبلغوا الذروة فى الصناعةوالتجارة وفاقوا غيرهم من الأمم ، ولم يحتقروا العمل اليدوى بل استوعبوا مقاصد الاسلام فى تقرير العمل - طالما كان صالحا - كقيمة أساسية من القيم الاسلامية . والأمل الآن معقود بنهضة الاسلام فى ظل الثورة الشاملة التى تقودها الجمهورية العربية المتحدة على أساس من العمل بوصفه حقا للفرد وواجبا على الدولة تؤديه لكل المواطنين على سواء باتاحة فرصة للجميع . وها هى جامعة الأزهر تضيف الى علوم الدين واللغة والشريعة علوم الحياة كالطب والهندسة والزراعة والتجارة حتى يقوى الاسلام بقوة علمائه وعامليه جميعا. فالدين فى شريعتنا السمحاء لا ينفصل عن الدنيا لأنه دين عمل ودين حياة .

ألغاز خرافة

الجن لا تعلم الغيب

الأستاذ على الجندى

قراءات :

والمنساة ـ كمكنسة ومرتبة بكسر الميم وفتحها وبالهمز وترك الهمز : العصا ، لانه ينسا بها : من نساته : اذا اخرته .

او من نسات البعير : اذا طردته ، لأنه يطرد بهـا ، ونسات الدابة : اذا زجرتها وسقتها ، لأنها تزجر بها وتسـاق .

ويؤخذ من ذلك : انها العصا الكبيرة التى تكون مع الراعى واشباهه .

وقرا نافع وابن عامر وجماعة « منساته » بالف : ابدلت الهمزة الفا بدلا غير قياسى .

وقال ابو عمرو : انا لا اهمزها ، لأنى لا اعرف لهـا اشتقاقا ، فان كانت مما لا يهمز فقد احتطت .

وان كانت مما يهمز ، فقد يجوز لى ترك الهمز .
ولعله بيان لوجه اختيار القراءة بدون همز .
وبالهمز جاءت فى قول الشاعر :

ضربت بمنسـسـاة وجهه
فصار بذاك مهينـا ذليـلا

وبدون الهمز جاءت فى قول الآخر :

اذا دببت على المنساة من هرم
فقـد تباعد منك اللهو والغزل

وقرا ابن ذكوان وبكار والوليد بن عقبة وابن مسلم واخرون : « منساته » بهمزة ساكنة .

وهو من قبيل تسكين المتحرك تخفيفا وليس بقياس ، وقد ضعف النحاة هذه القراءة .

وقرىء بفتح الميم وتخفيف الهمزة : « منساته » .
وقرى : « منساته » ـ بكسر الميم وتخفيف الهمزة على وزن مفعالة ، كما فى ميضاة وميضاءة .
وقرىء : « منسيته » بابدال الهمزة ياء .

وقال الفراء : يجوز ـ يعنى فى الآية : « منساته » بفصل « من » على انه حرف جر . و « الساة » : لغة فى سية القوس بوزن « زنة » ، وهى ما عطف على طرفيها .

وقال صـاحب القـاموس : وفيـه بعد وتعجرف
دابة الأرض

ودابة الأرض فى الآية : هى الأرضة ـ بوزن ورقة ، وتسمى أيضا : السرفة ـ بوزن عزفة .

قال ابن السكيت : انها دويبة سـوداء الراس ، وسائر جسدها أحمر . ومن شأنها أنها تتخذ لنفسها بيتا حسنا ، له باب فى احدى جهاته . والبيت مربع الشكل تجمعه من دقاق العيدان ، وتضم بعضه الى بعض بلعابها كما تفعل العنكبوت بغزلها . وهو منخرط من أسفله الى اعلاه على مثال الناووس « القبر » . ومنهـا تعلم الأوائل بناء النواويس ، ومن أمثالهم : أصنع من سرفة ، لأنها صناع فى عملها ! ! وآكل من سرفة ، لأنها تاكل الخشب ونحوه ، تقول : أرضت الخشبة ـ بالبناء للمجهول ـ تؤرض أرضا ، فهى مأروضة : اذا اكلتها الأرضة .

واضيفت الى الأرض فى قوله ـ تعالى ـ « دابة الأرض لما كان فعلها فى الأرض .

وتقول أيضا : سرفت السرفة الشجرة سرفا من باب ضرب : اذا أكلت ورقهـا ، فهى مسروفة . وبعضهم سماها : سوسة الخشب .

ومن عجيب أمرها : أنها بعد صنع بيتها تدخل فيه لتموت ، فما أشبهها بدودة القز .

وقد فرق الجاحظ بين السرفة والأرضة ، فقـال : والسرفة التى يقال فيها : أصنع من سرفة ، لا تحسن أن تبنى مثل بيت الأرضة على خفاء هذا العمل وقلقله ، ودقة ذلك العمل ولطافته ، ولكل آفة آفة .

قالوا : وربما افسـدت الأرضة على أهل القرى منـازلهم واكلت كل شىء لهم ! ! ولا تزال كذلك حتى ينشا فى تلك القرى النمل ، فيسلطه الله عليها حتى ياتى على آخرها ! !

ويزعم بعضهم : ان تلك الأرضة باعيانها تستحيل نملا ، وليس فناؤها لأكل النمل لها ، ولكن لأنها نفسها تستحيل نملا ! ! فعلى قدر ما يستحيل منها ، يرى النقص فى عددها ومضرتها على الايام ! !

وقد ضرب بها ايضا المثل فى الأكل والصنعة ، فقالوا : آكل من أرضة ، وأصنع من ارضة ! ! مثلما قيل فى السرقة . لا تسبوا الأرضة ! !

شتم رجل الأرضة امام بكر بن عبد الله المزنى ، فقال له : مه ! ! فهى التى أكلت جميع الصحيفة التى تعاقد المشركون فيها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الا ذكر الله - تعالى .

وبها تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين ! ! وانكشف أمرها عند العامة بعد الفتنة العظيمة عندهم ، وكان على الخاصة من ذلك أعظم المحن .

قصة الصحيفة :

وقصة الصحيفة - كما جاء فى الصحيحين وغيرهما - ان قريشا لما بلغهم اكرام النجاشى ، لجعفر بن أبى طالب واصحابه كبر ذلك عليهم ، وغضبوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه ! ! فكتبوا كتابا : الا يزاوجوا بنى هاشم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم !

وكان الذى كتب الصحيفة « قيض بن عامر » فشلت يده ! !

وقد علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة ، وحصروا بنى هاشم وبنى المطلب الذين انحازوا اليهم فى « شعب أبى طالب » ليلة هلال المحرم سنة سبع من مبعثه - صلى الله عليه وسلم - وقطعت عنهم قريش الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون الا من الموسم الى الموسم ، حتى بلغوا الجهد وأقاموا على ذلك ثلاث سنين ! !

ثم اطلع الله تعالى - رسوله - صلى الله عليه وسلم - على امر الصحيفة ، وأن الارضة قد أكلت ما كان فيها من ظلم وجور ، وبقى ما كان من ذكر الله - تعالى .

فاخبر ابو طالب قريشا بذلك ، فارتقوا الى الصحيفة فوجدوها كما قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - فأخرجوهم من الشعب ! ! .

هل يجوز استخبار الجن ؟ ! !

استفتى جماعة شيخ الاسلام أبا العباس بن تيمية فى ذلك ، فقال : أما سؤال الجن ، وسؤال من يسألهم ، فهذا ان كان على وجه التصديق لهم فى كل مايخبرون به ، والتعظيم للسؤال ، فهو حرام - كما ثبت فى الصحيح - عن معاوية بن الحكم : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قيل له : ان قوما منا يأتون الكهان » . قال « فلا تأتوهم » .

وفى صحيح مسلم عنه - عليه الصلاة والسلام - : « من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة اربعين يوما » .

وأما ان كان يسأل المسئول ، ليمتحن حاله ، ويختبر باطن أمره ، وعنده ما يميز به صدقه من كذبه ، فهذا جائز ، كما ثبت فى الصحيحين : ان النبى - صلى الله عليه وسلم - « سأل ابن صياد » فقال : ما يأتيك ؟

« قال يأتينى صادق وكاذب » .

قال : ما ترى ؟

قال : أرى عرشا على الماء ! !

قال : فانى قد خبأت لك خبيئا .

قال : هو الدخ .

الدخ - بضم الدال وفتحها وتشديد الخاء وسكونها - : لغة فى الدخان .

قال : اخسأ ! ! فلن تعد وقدرك ، فانما أنت من اخوان الكهان ! ! » .

وسيأتى تفصيل خبره .

وكذلك اذا كان يسمع ما يقولون ويخبرون به عن الجن كما يسمع المسلمون ما يقوله الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم ، وكما يسمع خبر الفاسق ويتبين ويتثبت ، فلا يجزم بصدقه ولا بكذبه الا ببينة ، كما قال الله - تعالى - : « يايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » .

ثم قال : وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة : « ان أهل الكتاب كانوا يقرءون التوراة ويفسرونها بالعربية .

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فاما ان يحدثوكم بحق فتكذبوه ، واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه .

ويقول الشبلى الحنفى : لا شك أن الله - تعالى - أقدر الجن على قطع المسافة الطويلة فى الزمن القصير بدليل قوله - تعالى : « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك »

فاذا سأل سائل عن حادثة وقعت ، او شخص فى بلد بعيد ، فمن الجائز أن يكون الجنى عنده علم عن تلك الحادثة ، وحال ذلك الشخص ، فيخبر بها علم .

ومن الجائز الا يكون عنده علم ، فيذهب ويكشف ثم يعود فيخبر ، ومع هذا فهو خبر الواحد ولا يفيد غير الظن ، ولا يترتب عليه حكم غير الاستئناس ! !

واما سؤالهم عما لم يقع وتصديقهم فيه ، بناء على انهم يعلمون الغيب ، فكفر ، وعليه يحمل قوله - صلى الله عليه وسلم - : فلا تأتوهم » وقوله : « من أتى عرافا .. » الحديث المتقدم .

ويؤخذ مما أفتى به ابن تيمية والشبلى الحنفى : أن الأول يرى أن سؤال الجن على جهة تصديقهم لا يجوز ولو كان السؤال مما يتعلق بالماضى ! !

وانما يجوز اذا كان المراد من السؤال اختبار المسئول وكشف أمره ليميز صدقه من كذبه ، أو كان المراد من السؤال مطلق السماع كما نسمع القصص والحكايات عن الماضين دون الجزم بصدق أو كذب .

أما الثانى فيرى استخبار الجن عن شىء مضى لا بأس به ، لأنه يتعلق بشىء ممكن يدخل فى قدرة الجن ، ولا يصادم ما نؤمن به من استئثار الله - سبحانه وتعالى - بعلم الغيب ! !

أما السؤال عن شىء يتعلق بالمستقبل - وهو مما يدخل فى صميم الغيب - فلا يعده حراما كما يرى ابن تيمية - بل يعده كفرا ! ! والعياذ بالله ! !

والذى تميل اليه النفس : أن استخبار الجن عن شىء مستقبل لا يعد كفرا ، الا اذا اعتقد معتقد أنهم يعلمون الغيب كما يعلمه الله - تعالى - ولا يوجد مسلم يعتقد هذا .

وأما من يستخبرهم على أنهم لا يعلمون الغيب أصالة ، وأنهم يهرفون بما لا يعرفون ! ! ويخبطون خبط عشواء فمرة يصدقون عن طريق المصادفة - وكثيرا ما يكذبون ، فمن الحق أنه يعد محرما - كما قال ابن تيمية - لا كفرا - كما قال الشبلى الحنفى .

حتى لا نحكم على جمهرة المسلمين بالكفر ، وهو مغالاة بل اغراق لا تقره ملتنا « السمحة البيضاء » والله يروف بالعباد ! !

القرآن لا يموت

الأستاذ ابراهيم ابو الخشب

القرآن لا يموت ابدا .. قضية يؤمن بها المسلمون وتجرى من نفوسهم مجرى الدم من العروق وليست ككل القضايا التى يقف العاقل منها موقف الشاك المتردد يديرها فى ذهنه بين ان تكون صادقة وبين ان تكون كاذبة كما يقول المناطقة فى رسمهم للقضية بانها قول يحتمل الصدق والكذب لذاته بل هى من القضايا التى لا يعتريها الشك ولا يحيط بها الريب ولايتسرب اليها نوع من التردد . والذى يتامل القرآن الكريم تامل الباحث وينظر اليه بعين الفاحص ، ويتدارسه فى شيء من العقل الواعى والتفكير المستنير يعلم ان تلك القوى الكامنة فيه او الحصانة التى خصه الله جل وعلا بها تجعله بمنأى من العبث فلا يتسرب اليه هدم المدمرين ، وتخريب المفسدين ، وطغيان المسلطين ، وبطش الجبارين ، وعدوان الظالمين .

وقد حكوا ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الذى آلت اليه خلافة بنى امية فى يوم من الايام فتح المصحف ليرى فاله فيه على عادة بعض العوام الان فكان البخت الذى صادفه هو قوله تعالى (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فالقاه فى الارض وداسه بقدميه ثم قال البيتين من الشعر يتناسبان مع تلك الثورة الطائشة والانحراف الاهوج ولم يكتف حتى مزقه ، وجعله نهبا للريح تسير بقصاصاته ومزقه فى كل مكان . ولكن الله سبحانه الذى هو اكبر من كل كيد ختم له باسوا الخواتم ، واوخم العواقب حيث لم يلبث بعد ذلك الا يسيرا من الزمن ثم قتله اكابر اهله واعيان قومه ولم ياسف له حميم او يحزن عليه صديق .

وكذلك ركب الشيطان رؤوس بعض المغرورين فادعوا النبوة كالاسود العنسى وطليحة بن خويلد الاسدى وسجاج بنت الحارس التميمية وزوجها مسيلمة الذى يضرب به المثل فى الكذب والمتنبى الشاعر والمعرى الفيلسوف - فيما يرى بعض الناس - ثم ذهبت هذه الصيحات كلها ادراج الرياح حينما دعموا نبوتهم بقرآن مختلق ، وكلام ليس عليه مسحة من الادب ولا طابع من الفصاحة ، ولا سمة باهتة من البلاغة العربية التى كان الناس يسجدون لها ، ويهتزون لنغمها ، ويطربون لوقعها فى نفوسهم لذلك اشبعوهم سخرية واستهزاء ولم ينطل على عقولهم ان يكون هذا من الكتاب الحكيم والذكر المبين والهدى الذى لاريب فيه ، وهو يتارجح بين هذا الهزال والضعف والركاكة والاسفاف ، والسوقة والابتذال ، والصناعة التى هى اجدر بهؤلاء المفاليك الذين لا يستطيعون مهما اوتوا من القدرة ان يجيئوا بمثله فى دقة نسجه واحكام وصفه وعلو كعبه فى بلاغة معناه الذى حير الالباب، واعجز الافكار وادهش العقول . وقد مرت به تلك الاجيال فى تعاقبها وتلاحقها وتتابعها لا يزعم زاعم ابدا مهما سول له حمقه او زين له طيشه ان يصل جبار عنيد الى النيل منه او القضاء عليه او الكيد له كيدا يجعله فى الذاهبين الاولين .

ولقد حاربته اليهودية فى عنفوانها ، والنصرانية فى ابانها ، وظلت كلتاهما تعمل عملها فى خفاء وعلن ، وقوة وضعف وجهر وهمس بعنوان العلم ونشر الثقافة او عنوان الحضارة والمدنية فتحوا المدارس ، وارسلوا المبشرين هنا وهنالك مجهزين بكل سلاح ومزودين بكل شيء مشروع وغير مشروع فلم ينقض كل ذلك مبدءا نادى به القرآن ، ولا مذهبا دعا اليه ولا اصلاحا

حث البشرية عليه ، وسبب هذا فيما يعلم الناس عنه انه لم يخاف الفطرة ، او يحارب الغريزة او يات بخلق مرذول ، او ادب غير مقبول او امر من الاوامر ، أو نهى من النواهى دون أن يكون الباعث عليه ، او الداعى اليه هو نظام المعاش والمعاد ، والسلامة والامن ، والاستقرار والهدوء ، لهذا العالم الذى يغص بالفوضى ، ويطفح بالشر ، ويغص بالآثام يمد يده الى من ينقذه من هذا التردى والانحدار فلا يجد بصيصا من امل ولا وميضا من رجاء الا فى جوار تلك التعاليم التى شرعها اللطيف الخبير (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) لان دساتير الخلق وقوانين الامم ، وأنظمة الشعوب الى جوار مايشوبها من نقص ، ويعتريها من قصور ، ويصيبها من بلبلة تكتنفها الاغراض ، ويستولى عليها الهوى ، لذلك تتعرض للهزات الارضية والعواصف الزمنية ، والثورات النفسية . وهى مهما كانت كاملة او حصيفة قوية لا تعنى بشىء وراء الامن الدولى ، وكبح جماح الفوضى ، والعمل على السلام فى الارض بسلطان من العنف ، وحكم من القهر ، ويد من حديد تبسطها على الناس لينزلوا على ارادتها راغمين . ومثل هذا الاسلوب من الكبت لايلبث ان يعقبه انطلاق وتحطيم للقيود لان الاذعان الذى لايكون مصدره القلب لا يدوم . والامتثال الذى لا يكون عن ايمان صحيح اشبه بعمل المنافقين الذين وصفهم الله بقوله (يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون الا انفسهم وما يشعرون) .

وكم راينا جماعات خضعت لمثل هذا التسلط ثم تمردت عليه ، وكفرت به وتخلصت منه لكن القرآن الكريم الذى يبدا علاج الداء من أصله ويداوى المرضى من موضع العلة يعنى بالقلوب على اعتبار ان الدفع الثورى يبتدىء منها ، والقوة المدبرة مركزة فيها والايمان الحق لا يأوى الا اليها ، ويرى ان عمل المسلم له جانبان : جانب تفادى العقوبة فى الدنيا والاخرة وذلك بالامتثال الظاهرى ، وجانب الثواب من الله يوم القيامة فى جنة عرضها كعرض السماء والارض وذلك باليقين الثابت ، والايمان الكامل والاعتقاد الجازم ولذلك نراه يجعل النية فى العبادات هى حجر الاساس، ويقول الرسول الكريم (انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهى الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امراة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه) . ونراه سبحانه وتعالى فى سورة الاسراء لا يعترف بالعمل الذى لم يكن عن ايمان يعمر القلب ويملأ النفس ، وينير البصيرة (ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا) .

ولقيمة هذه التربية الروحية التى يتعهد بها المسلم ، ولاعتباره فى تشريعه نظافة الظاهر بعد نظافة الباطن يحاسبه على ضميره ودخيلة نفسه ونية الشر التى يبيتها لغيره . ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (اذا التقى الفارسان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار) . قالوا : اما القاتل فقد قتل وما ذنب المقتول ؟ قال : كان يضمر القتل لصاحبه .

ولا نطيل الكلام عن بقاء القرآن وخلوده فى الدنيا ، ولا نحاول محاولة ان نتصيد لك الادلة على ذلك كله ونحيلك فى هذا على الظروف الراهنة التى يعيشها الناس فى الحياة - الان - لترى هذا الصراع القائم بين الشرق والغرب على الشيوعية والراسمالية فان خصوم الشيوعية من راسماليين او ديمقراطيين لم يجدوا فى هدمها والقضاء عليها ، ووقف عدوانها وتنفير الناس منها او تلطيخ وجهها بالاقذار والاوساخ اكثر من ان يرفعوا راية القرآن امام اعينها ليشوه دعوتها ويطمس معالمها ، ويسكت صوتها ويردها على اعقابها كليلة خاسئة . وقد اصبحنا نسمع من اذاعاتهم صوت القرآن وفى مكتبات جامعاتهم ترجمة القرآن ، وفى كل مجال من مجالات حربهم ضد الشيوعية يقحمون حديث القرآن. فهل يكون هنالك نصر للقرآن ، وحفظ له ، وعمل على خلوده اكثر من ان يكون اعداؤه من جنده او ان يكون خصومه من انصاره ، وكم لله من عجائب فى خلقه .

اليس هو الذى اوحى لفرعون ان يلتقط موسى ليكون له عدوا وحزنا (وقالت امراة فرعون قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) .

وكماينصر دينه بالرجل الفاجر سيظل القرآن محفوظا بخصومه قبل انصاره ، وباعدائه قبل احبابه ، وسيبقى ما دامت الحياة لان عناصر الحياة فيه ستصونه من التلف ، وتحوطه من العوادى ولان البشرية الحيرى التى تطلب النجاة من الحيرة سوف لاتجد لها دستورا قويما ولا صراطا مستقيما ، ولا علاجا سليما الا هذا الدين الذى جاء به القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

أمام الأحداث

ثورتنا عقيدتنا

تسحق المتآمرين باسم الإسلام

الأستاذ عبد العليم المهدى

قلت لها : رحم الله كامل الشناوى ورحم صدقه عندما قال « رفعت المرأة العربية الحجاب عن وجهها لكنها لم ترفعه عن عقلها » ..

قالت : أشكرك على هذا الادب الجم .. ألتمس عندك الرأى ، فترميني بحجر فى بدء الحديث ..

قلت : سؤالك نفسه يفرض هذا الجواب .. لو كان الاخوان المتآمرون باسم الاسلام على شيء من الاسلام لاعانهم الله ، ولكنه سبحانه لا ينصر البغى والفساد وسفك الدماء .. فقديما ، ومنذ الازل ، وحتى الابد ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، وكان حقا على الله نصر المؤمنين .. لا اخوان الشياطين !

قالت : كأنى أخطأت السؤال ..

قلت : كثير من البسطاء يشفقون على الاخوان مثل الاشفاق على مخمور ملقى فى عرض الطريق ، أو العطف على قاتل معترف متلبس وحبل المشنقة يلتف حول عنقه .. رشاش من ضلال الاخوان يتسلل الى السذج والذين على قلوبهم غشاوة ..

قالت : أهذا منطق يمكن ان يستقيم معه فى حديث بين زوجين .. أسألك فى أمر هام ، فيكون جوابك نوعا من الاتهام ؟..

قلت : بل أريد يا سيدتى ان أوضح لك الرؤية .. ان دسائس العواطف لا يمكن ان تبنى الامم !

قالت : أريد ان توضح لى الرؤية .. بعيدا عن دسائس العواطف ..

قلت : انهم جماعة ضللت باسم الدين فتآمرت على الدين .. لقد شربوا سعير الاجرام على أنه رحيق الاسلام !

قالت : ولماذا تركناهم يشربون هذا السعير ؟..

قلت : بهذا يستقيم الحديث .. سؤال يشغل بال كل أم وكل أب يعيش ثورة عبد الناصر .

قالت : أليس من حقى ان أخاف ضلال أبنائى ؟..

قلت : ان هذه الفئة على قلتها تجسم معنى من معانى التحدى الموجه من الاستعمار ضد ثورة عبد الناصر .. لقد خسر الاستعمار كل معاركه ضد هذه الثورة ، عندما استخدم السلاح والجيوش ، وعندما استخدم الذهب فى التآمر ، أو الحصار الاقتصادى .. فقرر ان يستخدم هذا السلاح السرى .. التآمر باسم الاسلام .

قالت : اذن فهم مجرد عملاء ؟..

قلت : بل أخطر العملاء .. ان الجرائم المادية يمكن علاجها أو دفعها ، ولكن الجرائم الفكرية أخطر وأشد وأعمق ، والجريمة هنا تجريد الاخوان من عقيدة الاسلام الصحيح ، وتلقينهم الاسلام المسموم ، وتحريضهم على هدم هذا الدين .

قالت : كأنك ترى هذه الصورة كاملة ..

قلت : بل أرى الحقيقة كاملة .. أراهم يعرضون على محكمة الديان .. يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .. يوم يسألون بأى حق أردتم أن يكون القتل هو شعار الاسلام والاسلام دين السلام ؟. بأى ذنب تريدون اغتيال رجال قالوا ربنا الله ثم استقاموا لما أمرهم الله ، فأقاموا فينا حكم العزة ، وبعثوا فينا شريعة العدل والمحبة ؟..

قالت : أدركت حجم الخطر ..

قلت : ليت قومى يدركون ..

قالت : أليس واجبك أن تقول ما تعلم أنه الحق .

قلت : أعرف أنه واجبى .. ويحز فى قلبى أننى لا أستطيع أداءه على مستوى الامانة .

قالت : بدأت تتهم نفسك !..

قلت : أنا لا أهرب من الحقيقة .. وكل عزائى أن الله لا يكلف نفسا الا وسعها .

قالت : وماذا تريد أن يكون عليه مستوى الامانة فى أدائك للواجب ؟..

قلت : أكاد أحس فى كثير من الاحايين ، بأننى مكلف بالصياح فى ملايين المعذبين فى الارض ، أن رحمة الله قد جاءتهم منذ قامت ثورة عبد الناصر .. الثورة التى صلى قادتها الفجر بعد النصر فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هى نفسها الثورة التى استقامت على طريق الايمان الحق والعمل الامين ، فكان الله ناصرها لانه كان دائما هو القائد .

قالت : ما أعظم تصويرك لايمان ثورة يوليو ؟..

قلت : ليس تصويرا ، بل هو حق ناطق سجله انتصارات هذه الثورة فى كل المعارك ، انتصارات كانت اكبر من طاقة هذا الشعب وامكانياته .. كيف انتصر اذن ؟..

قالت : أنعم بنصر الله ..

قلت : ولا نقول الحمد لله .

قالت : ان عبد الناصر يقولها دائما ..

قلت : ولماذا لا نقولها معه ؟..

فقالت : من ينكر الحمد لله ؟ ..

قلت : بل ننكر نعمة الله .. ان الرجل الذى صنع هذه الثورة يملك ايمان نبى .. انه خلاصة عقيدة أمة .

قالت : اريد أن أستوضحك هذه الحقيقة .. واعتقد ان كثيرا غيرى يريدون ذلك من كل قادر عليه .

قلت : انظروا كل المعارك التى خاضها بنا هذا الرجل فى ١٤ عاما مضت ، هل كنا نملك وسائل النصر فى كل هذه المعارك ؟.. ان المكاشفة تفرض أن نعرف قدر أنفسنا .. نحن أنقاض أمة .. لقد بلغنا حدا من الشقاء كان أسوأ مثل للشقاء على السنة البشرية .. ان الرجل عندما قام فى فجر ٢٣ يوليو ، لم يجد أقوى من مصحفه درعا وسلاحا ، لان الكارثة لم يكن لها من دون الله كاشفة .. واليوم .. أين نحن اليوم ؟.. ألا نملك شيئا من الذاكرة ؟.. لو كانت عندى مرآة أكبر من حجم الارض ، لاريت شعبنا نفسه وهو يعلم الشعوب اليوم فى أحراش أفريقيا وصحارى آسيا وفى أمريكا اللاتينية كيف تتسلح بالايمان بحقها فى الحياة ، وكيف تحطم قيودها ، وكيف ترفع أعلام الحرية ، وكيف تسير فى قافلة ناصر الى الامل الانسانى العريض .. السلام القائم على العدل .

قالت : وكيف توفرت لدينا الامكانيات التى نقلت مبادىء ثورتنا الى هذه العوالم فى سنوات قلائل .؟

قلت : ان هذه المبادىء قد أعلنها زعيم انسانى .. والرؤية الواضحة لابعاد هذه الثورة تؤكد أنها موصولة بالسماء ، لا شرقية ولا غربية ، لانها بحكم طبيعتها ثورة الامة الوسط ، الامة التى قضى الله بأن يكون أهلها شهداء على الناس .. هذه هى امكانيات الوصول الى هذه العوالم . رسالة ورسول .

قالت : وكيف يفهم الناس هناك هذه الثورة ؟..

قلت : الثورة العصرية الوحيدة التى أعلنت أنها تقف مع حرية الشعوب وحقوق الانسان ، وأنها قامت لتعلى مشيئة الله بحفظ كرامة الانسان . .لا يمكن أن تكون ثورة محلية .

قالت : كأنى اعرف هذا لاول مرة .

قلت : ان ثورتنا هى عقيدتنا ، وعقيدتنا هى ثورتنا ، مهما تغيرت الصور والاشكال والمفاهيم والاسماء .. من هذه القاعدة الوطيدة ، انطلقت الناصرية ، الى عقول البشرية ، مصابيح حرية وسلام وعدل .

قالت : من أجل ذلك يحاربها الاستعمار بكل سلاح .

قلت : بالدين الآن ..

قالت : وهل حرية البشرية ، وسلام الدنيا ، وعدل الله ، يعتبر ضد الدين ؟

قلت : قال هذا اخوان الشياطين .

قالت : أريد ان اعيش الحقيقة التى تعيشها أنت مع ثورتنا على الصعيد الانسانى .. فلا تلق على الصورة بقعة سوداء ..

قلت : بل حمراء كما ارادها اخوان الدم !

قالت : من نكث فانما ينكث على نفسه .

قلت : فليبحثوا عن سلاح آخر غير الدين .. أليست لنا عقول !

قالت : ولكنه تآمر الاستعمار الذى يجهل جوهر الدين .

قلت : ان أرض العقيدة السليمة من قبل بناء الاهرام ، لا تقبل على ظهرها عقيدة سقيمة كضلال الاخوان ..

قالت : شطحت بى الى حيث لا أقوى على الجرى معك فى الحديث .. واخشى لسانك لو نطقت بالسؤال ..

قلت : لا داعى للجرى .. انها حقيقة قائمة فى اعماق الزمن .. ارضنا منازل الوحى ومهد الانبياء ، ومن قبلهم قامت على ضفاف النيل عقيدة الخلود والبعث والحساب ، ثم احتضنت ارضنا رسالات السماء جميعا، حتى صاغ الاسلام من عقيدتنا القوة التى نشرت هذا النور فى مشارق الارض ومغاربها .. فى نفس الدوائر التى تتحرك فيها ثورة عبد الناصر .. بالحرية والسلام والعدل .. غير مزهوة ولا مدعية .. لانها ثورة عقيدة راسخة عريقة فى هذا البلد المؤمن .

قالت : ويظن الاخوان أنهم يقدرون عليها ؟

قلت : بل سولت لهم شياطينهم فى الحلف المركزى ان ينقضوا على عبد الناصر وشعب عبد الناصر ، قبل أن يصنع هذا الشعب المعجزات .

قالت : وقد حمانا الله من كيد الحلف المركزى ؛ وضرب على أيدى عملائه بسيف الحق والعدل .

قلت : وهل تحسبين الاستعمار يكف عن محاولة اصطناع العملاء ؟

قالت : لقد سقطت خدعة الدين .

قلت : لن ييأس الاستعمار من المحاولة ..

قالت : هذه المؤامرة يجب أن توقظنا ..

قلت : اليقظة وحدها لا تكفى .. بل لا بد من المبادرة .. ان عقيدة ثورتنا فى جوهرها وحقيقتها عقيدة كل انسان له حق الحياة وينازعه فيه أعداء الحياة .

قالت : لهذا فهى ثورة عالمية ..

قلت : وهذا هو مصدر قوتها .

قالت : وهل يعنى ذلك تكرار المحاولة ؟..

قلت : انها معركة المادة والروح .

قالت : والروح عملة زائفة عند الاستعمار .

قلت : وهى أصل فى ثورتنا الانسانية ..

هذا هو الخط العقائدى الذى يجب أن يلمع ؛ ويبرق ، ويعمق ، ويتجسم ، فى ايماننا بهذه الثورة ؛

وفي الحديث عنها ، وفي العمل بها ، رسالة السلام القائم على العدل .

قالت : وهي رسالات السماء ملخصة .

قلت : ان هذا الوجه الروحي لثورتنا الرائدة يجب أن تطالعه الاجيال الصاعدة حتى لا تضل الطريق .

قالت : وكيف ترى الوسيلة ؟..

قلت : التربية الدينية في البيت ، وفي المدرسة ، وفي العمل .. هي المفتاح الى ملء قلوب ابنائنا بالنور الذي يهديهم الى الصراط المستقيم .. بدلا من ضلال الاخوان .

قالت : وهل هذه التربية معناها فهم جوهر هذه الثورة ؟..

قلت : النور متصل ، وهو يضيء بعضه بعضا .. وانه ليكشف أمام ذوي البصائر حقيقة النور الذي أضاء مصر في فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. كانت دعوة للعدل والرحمة ، يملكها جماعة يضعونها مع رؤوسهم على أكفهم قربانا لهذه المبادىء .. فنصرهم الله وسدد خطاهم .

قالت : ويظهر انه لابد للاسلام في كل عصر من خوارج .

قلت : وماذا كانت مصائرهم ؟.. الاسلام يا سيدتي أقوى من أن يكون مطية الى الجاه والمنصب .. لقد لوح دستور اخوان الارهاب ، واسمه « معالم في الطريق » ، بالدنيا العريضة التي يمنى بها المساكين من ضحايا طريقته الجنونية .. لوح لهم بالمناصب والمراكز في « الحكومة الالهية » ، وقال اصنعوا بايديكم أدوات النسف والاغتيال والتخريب والفوضى والدمار ، فهي التي تفتح لكم الطريق الى الحكم الذي اغتصبه البشر من الله ، والله سيعطيه لكم ، لانكم دعاة الاسلام ، وانتم فوق البشر .. لانهم جميعا في جاهلية !

قالت : لكن هذا جنون ..

قلت : ويجد الجنون من يصدقونه متى كان ملفوفا بالعقيدة القشرية .

قالت : اذن فباب محاولات الاستعمار مفتوح ..

قلت : ولكننا اعتزمنا أن نواجه العقيدة الزائفة بالعقيدة السليمة ، وقررنا أن نحيط شبابنا في مجال العلم والعمل بجوهر الدين ، حتى لا يختلط الامر عليه .. وحتى يضرب بعزمة الشعب المؤمن الواعي كل حركة تريد شرا بعقيدتنا وثورتنا .

قالت : وماذا تعني بجوهر الدين ؟..

قلت : أعني أن الاسلام هو كل الاديان ، وكل الاديان كانت ثورات تحررية استهدفت شرف الانسان وسعادته .. والدين في جوهره لا يتعارض ابدا مع حقائق الحياة .. ولكنها الرجعية عندما تستغل الدين لصالحها ، تنحرف الى الضلال متسترة بالدين .. ان العقيدة السليمة قد وجدت قاعدتها الوطيدة في أرضنا ، وقد انتصرت جميعها في هذه البقعة ، ومن فوق الموجة العالية لانتصارات العقيدة ، جاءت ثورة عبد الناصر تحق الحق وتبطل الباطل وتدعو وتعمل على هذا المنهاج :

١ ـ عالميا : الى السلام القائم على العدل .

٢ ـ عربيا : الى الامة الواحدة .

٣ ـ محليا : الى القوة الذاتية التي تستطيع أولا تحقيق الكفاية والعدل في وطننا العربي ، وتستطيع اقرار السلام القائم على العدل في المجتمع الانساني .

قالت : أليست هذه هي أهداف الاسلام ؟..

قلت : وعقيدة ثورتنا هي أن الانسان صديق للانسان .. والعقل البشري حر في اختيار عقيدته ولا اكراه في الدين .. على هذه الطريقة سارت ثورتنا في معاركها ضد الاستعمار ، وضد الاستغلال ، وضد التفرقة العنصرية ، وضد رواسب عهود الشرك .

قالت : كأنها تطبيق عملي للاسلام ؟..

قلت : وهذا الدين الحنيف لا يحتاج اليوم الى ثورة للدعوة من جديد ، ولكنه أحوج ما يكون الى ثورة للعمل الامين .

قالت : والميثاق دليلنا في هذا التطبيق .

قلت : الحمد لله .. بدأ الحديث يثمر .. والميثاق كما تعلمين يا سيدتي هو أول دليل للعمل الوطني جمع بين القوة الذرية والقوة الروحية ، وكل الثورات قامت على قاعدة واحدة هي الارض والمادة ، ولكن ثورة عبد الناصر قد تميزت عليها جميعا بأنها قامت على قاعدة صلبة من الحياة بالعقيدة .

قالت : وهي ترسل أشعتها الى كل مكان في الارض .. فتلهب ظهر الاستعمار .

قلت : الاستعمار ضد حقوق الانسان ونحن مع حقوق الانسان . الاستعمار ضد السلام ونحن نكافح من أجل السلام . الاستعمار ضد العدل ونحن أنصار العدل ، والاستعمار ضد حرية الشعوب ونحن مع حرية الشعوب منذ عرفنا طعم الحرية . والاستعمار نهب لثروات الاوطان ، ونحن ندعو الناس في كل وطن الى استرداد ثرواتهم من الناهبين . الاستعمار يفرض نفسه بالمدفع والقنبلة ، ونحن ننشر مبادئنا الانسانية بالحكمة والموعظة الحسنة والاقناع بأن الحرية هي الحياة .

قالت : والاستعمار عدوان على الضعفاء .

قلت : ونحن مع الضعفاء حتى يستردوا حقوقهم من الاقوياء .

قالت : كل هذه مبررات لقوى الشر وهي تكافح قوى الخير ..

قلت : ولذلك فلا بد أن يعيد الاستعمار الكرة .. لا بد أن يرهق نفسه بحثا عن المتاعب ليضعها أكواما على طريق ثورتنا التي غيرت معالم التاريخ وأقامت موازين جديدة للقوى العالمية ، فجعلت القوى المعنوية للشعوب أقوى من القنابل الذرية .

قالت : ومع ذلك اشترى الحلف المركزي بعض النمل ينطح الصخرة المقدسة . لقد افتقد الشباب الضال الهداية الحقة ، فالتهم الضلال ، لان قلبه لم يضأ بنور الايمان .

قالت : وما هو طريقنا الى الوقاية من هذا الضلال ؟

قلت : ان في تنظيمنا الشعبي الثوري اليوم حماسا بالغا لتطهير عقيدة الشباب .. فان الشيطان لا يبالي ، ونحن له بالمرصاد ، ولينصرن الله من ينصره ، انه قوي عزيز ، نلتمس عنده النجاة بالوعي والمعرفة والنور الذي يهدينا الى سواء السبيل .

الإسلام يدعو إلى البناء وينهى عن التخريب والهدم والإضرار

الدكتور سليمان الحكيم

الاسلام دين الحق انزله الله سبحانه وتعالى رحمة بالبشرية وخيرا للناس ليهديهم الى الطريق السوى ويرشدهم الى مسالك الخير وسبل السعادة وينهاهم عن الاذى والشر والاضرار بالغير . وعن كل مايسيء الى الوطن ماظهر منه وما بطن . ان الاسلام يدعو الى الوفاق والمحبة والاخاء وينهى عن الحقد والضغينة واعمال العنف والهدم والتخريب يدعو دين الاسلام الى البناء ، بناء الاوطان وتشييد مجدها والاخلاص لها والسعى فى الخير والمنفعة .

قام الرسول الحكيم محمد عليه افضل الصلاة وازكى السلام بنشر دعوة الخالق العظيم قام بنشر دعوة الاسلام الكريم لتنظيم العلاقات بين الناس اجمعين والعمل على تكوين وبناء المجتمع الصالح الذى يهيىء الحياة الطيبة والمعيشة السعيدة ودعا عليه الصلاة والسلام تنفيذا لامر ربه الى المحافظة على الامن ونشر الطمانينة بين الناس ليطمئن كل فرد على نفسه وعشيرته وعلى حياته ورزقه وعياله فينصرف اذا اطمان حاله الى عمله بكليته فيحسن عمله ويزيد انتاجه وبذلك يفيد أمته وبلاده .

امرنا الله بالاخلاص فى العمل والوفاء للوطن ومن مظاهر الاخلاص للوطن المحافظة على كيانه وتدعيم اركانه والعمل على استتباب الامن بين ربوعه والقضاء على الشائعات الضارة به والافكار المسممة والمبادىء الهدامة . لان الوطن هو المكان الذى ينبت فيه الفرد ويعيش فوق ارضه وياكل من خيره ويستظل ويحتمى بحمايته .

ان الانسان الذى لا يخلص لبلاده او لا يكون وفيا لوطنه ويعمل فى الظاهر او الباطن على الاضرار به او الهد من كيانه يعاقبه الله على اعماله ويحاسبه على جحده وكفرانه ومثل هذا الانسان والحق يقال لا يكون مسلما حقا بل هو كافر بنعم الله جاحد بافضال وطنه لا يقدر له جميل ولا يرعى له جانب ولا يرد له معروف . ان الذى تسول له نفسه ويرضى له ضميره ويهديه تفكيره ان يتستر وراء الدين ويتظاهر بالتقوى والصلاح والورع ويدعو باسم الاسلام الى عمليات الهدم والتخريب فى بلاده ويسعى الى نشر الفوضى بين ربوع وطنه ويتآمر على قتل الابرياء من المواطنين والاعتداء على قادة البلاد المخلصين لا لذنب جنوه او جريمة ارتكبوها غير انهم فى الصفوف الاولى من التضحية يحملون علم الجهاد ولواء الفداء مضحين بكل عزيز لديهم فى سبيل اسعاد بلادهم ويقومون بقيادة الشعب ليصلوا به الى بر السعادة والخيرات ويقضون على حياة الذل والاستعباد والبؤس والشقاء التى كان يعانيها أيام الاقطاع والاستعمار . ان مثل هذا المخلوق الذى يقدم على مثل هذه الامور هو فى الواقع حليف الشيطان عميل الاستعمار . والدين برىء منه والاسلام بعيد عنه وهو اقرب الى الكفر منه الى الايمان .

الم يفكر ذلك المدعى بحمل لواء الدين وحامى حمى المسلمين والقائم على تنفيذ أوامر رب العالمين والمتمسك

بمبادىء القرآن الكريم والسائر على هدى نبى المسلمين وسيد المرسلين بان ما يتآمر على القيام به من اعمال الهدف والتخريب والقتل واشاعة الفوضى بين الآمنين منـاف لاصول الدين وتعاليم رب العالمين مخالف لما انزله الله فى كتابه المبين – ان الله امر بعدم الاضرار بالنـاس والعمل على المحافظة على سلامة الاوطان ونهى عن قتل النفس التى حرم الله الا بالحق وشدد العقاب لمن يعصى اوامره او يخالف تعاليمه وما ذلك الا حرصا على سلامة المجتمع وبناء الوطن •

الم يعلم ذلك المتظـاهر بالتقى والورع ان اشاعة الفوضى والفـزع بالبلاد وتدبير المؤامرات للتخـريب والتدمير والقتـل وكل ما يسىء الى الوطن والمواطنين ستتيح الفرصـة الذهبية بل ستتيح فرصة العمر للعدو والمستعمر ليهاجم فيها البلاد ليستولى عليها لقمة سائغة ويقضى عن استقلالها ويعمل على اذلال ابنائها ويسلبها عزها ومجدها ويضيع بمكانتها التى اكتسبتها بين دول العالم ويعمل على خفض كلمتها التى اصبحت هى العليا وكلمة العدو هى السفلى • سيعمل العدو قطعا عـلى القضاء عن تلك المغـانم التى ماحصلنا عليها الا بعد شق الانفس وبعد جهـاد مرير وتضحيات جسام وبذل الكثير من الدماء الطاهرة والارواح العزيزة الغالية •

ان المسلم هو من سـلم الناس من يده ولسانه • المسلم هو الانسـان الـذى لايدبر المؤامرات التى تجر النكبات على البلاد ولايفكر فى قتل النفس البريئة بغير ذنب او جريرة

ان التعـاون من تعاليم الدين الحقـة ومن مبادىء الاسلام الصحيحة وقد امر الله المسلمين ان يتعاونوا على الخير والمنفعة وعلى بناء الوطن والذود عن كيانه والدفاع عن استقلاله والمحافظة على سلامته والتعاون على صد اعدائه ومحاربة المستعمر وبذل التضحية فى سبيله للمحافظة عليه من كل مكروه او ضرر ولم يامر الله سبحانه وتعالى الانسان ابدا ان يتعـاون على الشر والاذى او الاضرار بالناس او الاساءة الى الوطن او مناهضـة قادة البلاد المخلصـين • لم يامره ان يتعـاون مع الشيطان او يتحالف مع اعداء البلاد على تسليم الوطن لقمة سائغة للعدو المستعمر • ولقد جاء فى كتابه العزيز (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

امرنا الله تعالى ان نتعـاون على الخير والنفع والبر باهلنا ومواطنينا كما امرنا ان نتقيـه حق تقـاته فى اعمالنا واقوالنـا وتفكيرنا وتصرفاتنا ولم يامرنا جلت حكمته وتعالت قدرته بأن نتعاون على الاثم الكفر بالوطن والاعتداء على اخواننا فى الدين والوطن • كما نهانا عن التعـاون مع اعداء البلاد وعن كل ماهو ضار بسلامة المجتمع والوطن الذى نعيش فيه •

نهـانا الله عن التعـاون للقيام بتدبير المؤامرات وترويج الشائعات الضارة بالبلاد •

قال الله تعالى فى كتابه العزيز (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) •

امر الله الانسان ان يعمل الخير وان يعمل صالحا يرضاه ونهاه عن الاذى والشر وعن كل ماحرمه الاسلام وانذر عباده بانه على ما يعملون رقيب ووعدهم بحسابهم على مايفعلون من خير او شر • وجاء فى القرآن الكريم (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) •

وقال تعـالى وهو اصدق القائلين (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) وجاء فى القرآن الكريم (رب اوزعنى ان اشـكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه)

ان العمل الصالح من حقيقة الايمان ومن تقوى الله ومن اراد الخير لامته ولنفسه اتقى الله • ومن اتقى الله وعمـل صـالحا لنفسه ووطنه وعشيرته فقد فاز فوزا عظيما • ومن اساء الى اهله ووطنه وعصى امر ربه فقد باء بغضب من عنده واستحق عذابه وساء سبيلا •

وجـاء فى القرآن الكريم (الـذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنـات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيـلا) •

وقال تعالى وقوله الحـق (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) •

ان مـكانة الوطن من المواطنين كمكانة الوالدين من الابناء • فكل من الوطن والوالدين صاحب فضل عظيـم ففضل الوطن على مواطنيـه لا ينكر وفضل الوالدين على ابنـائهم ظاهر وملموس فلولا الوطـن ماكان المواطنين ولولا الآباء ما وجد الابناء وكما كرم الله الوالدين لما يقومون به نحو اولادهم من جهـد مضن وبذل وتضحية بأن اوصى ابنـاءهم بهم خيرا وامرهم حسن المعـاملة والاكرام والدعاء لهم من الله بالمغفرة وجاء فى القرآن العـزيز (وقضى ربك الا تعبـدوا الا اياه وبالولدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فـلا تقل لهما اف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما • واخفض لهما جنـاح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) •

كذلك رفع سبحانه وتعالى من منزلة الوطن ومقداره لما له من فضل كبير وخير عميم على مواطنيه وامر عباده بالاخلاص للوطن وبذل النفس والنفيس فى سبيله والذود عن كيانه والدعاء له وقال القرآن الكريم (رب اجعل هذا البلد آمنا) •

فعملا بأوامر الاسلام وتنفيذا لما جاء به القـــرآن وآداب القرآن ندعو الله مخلصـين ومن اعماق قلـوبنا (اللهم اجعل وطننـا آمنا سـالما سخاء رخاء وحقق اغراض ثورتنا وايد قادتنا وارشدنا جميعا للعمل على ما فيه الخير والعزة والكرامة للبلاد •

لا إكراه فى الدين

آية ٢٥٦ سورة البقرة

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

كان من رحمة الله بعباده أن شرع لهم الدين ليسيروا على هديه فى عبادتهم ، وفى دنياهم ، وكان من رحمته كذلك أن يبعث فيهم رسلا من أنفسهم مبشرين ومنذرين .

وان يجعل دعوة الرسل لقومهم رحيمة لا قسوة فيها ، وبينة بلسانهم لا عسر فى فهمها .

« وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ، ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ، ويهدى من يشاء » .

وكان من هدى الله لأمة محمد ان يحدثها عن الدعوة الدينية ، وكيف كان سبيلها لدى الانبياء جميعا ، ليكون لنا من ذلك علم بما مضى ، واقتداء فى عملنا .

فقال فى كتابه العزيز : **« لا اكراه فى الدين »**

وفى تفسير هذه الجملة الكريمة مجال للافهام ، نتابعها فى هوادة لنقف على ما نحسب من الصواب .

فالاكراه هو العنف ، والجبر ، لحمل الانسان على شىء لا يريده .. ومن قبيله — فيما أفهم — المخادعة ، والاستدراج فى غير صراحة الى الشىء الذى تكون الدعوة اليه .

والله سبحانه يحدثنا بأن الدين لا اكراه فيه يعنى لا عنف ولا مخادعة فى الدعوة الدينية .

١ — وقد فهم الكثيرون أن هذه الجملة متعلقة برسالة الاسلام خاصة ، ثم توسعوا فى الآراء حول هذا باجتهادهم ، وذكروا توجيهات محتملة فى فهم الجملة ، وجزاهم الله عنا خيرا .

والمعنى الذى نطمئن اليه ان الله يحدثنا عن الدعوة العامة الى الدين كله ، وفى عصور الانبياء جميعا ، فانه يقول « لا اكراه فى الدين » ولم يقل فى الاسلام بخصوصه والجملة خبر من جانب الله ، وفى ضمنها نهى ، كما يقول أهل العلم : خبرية لفظا انشائية فى المعنى .

وبيان الخبر — أولا — أن الله تعالى — يخبرنا أن الدعوة الى دينه مطلقا لم يكن فيها اكراه ، ولم يشرع فيها اكراها ، وما كان أحد من رسله فى دعوته يحاول اكراه الناس بالعنف ، ولا خداعهم الذى يعتبر اكراها ملفوفا .

بل كان الانبياء يحسنون ، ويترفقون ، ويؤكدون لقومهم انهم نصحاء امناء ، وانهم لا يكلفون القوم بشىء من أجر ، أو نفع ، وانما هو تبليغ لدعوة ربهم الى الخير رحمة بهم ، ورعاية لصالحهم فى دنياهم وأخراهم .

فلم يكن جزاء الرسل من أقوامهم الا الاساءة اليهم ، والاعتداء عليهم ، والاستهزاء بهم ، والاسراف فى خصوماتهم الى درجة القتل ، أو المطاردة ، وغير ذلك من ضروب الوحشية ، حتى فعلوا معهم الافاعيل التى اتعبت الانسانية وتعثرت فيها الحياة أزمانا .

وكانوا كلما تمرد عليهم القوم أو ضاعفوا لهم الايذاء ثبتهم الله فى دعوتهم الرحيمة وهون عليهم مشقة الدعوة ، ووعدهم بالنصر من عنده ، وبهزيمة المعارضين لهم ، فيظلون

صابرين ، محتسبين عند الله هذا الجهاد ، حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، ثم يكون الامر كما وعد الله « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الاشهاد » « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .. والمثل واضح فيما تحدث به القرآن عن كثير من رسل الله ، صلوات الله عليهم أجمعين .

فما كان نوح ، ولا هود ، ولا صالح ، وما كان ابراهيم ، ولا لوط ، ولا موسى ، ولا عيسى بأصحاب جبروت فى دعوتهم ، ولا اصحاب صولة يقاومون بها كفارهم وانما هى دعوتهم بالحسنى مؤيدين من الله بالمعجزات ، ثم يكون من القوم ما يطول بنا تفصيله .

ثم يصدق الله وعده حينما يشاء : « فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا - ريحا ترميهم بالحصيات من الأحجار - ومنهم من أخذته الصيحة - الصاعقة - ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

ومن هذا القصص الحق نفهم فى وضوح ان دين الله لا يكون بالاكراه ، ولم يشرع الله لرسله أبدا ذلك الاكراه ، ولا يكون بالخداع ، والله لا يرضى بالخداع .

ووجه ذلك أن الدين المطلوب حقا هو تصديق بالقلب ، وطاعة بالقول والعمل مع اخلاص لله يوافق تصديق القلب .. وهذا لايحصل من الانسان الا عن رضاه وارتياحه، ولا يحصل أبدا بالاكراه .

وانما يحصل بالاكراه نفاق ، وتصنع وذبذبة بين الحق ظاهرا ، والباطل سرا ، وباطنا .

كما يحصل بالخداع والتمويه تصديق على غير اساس من اليقين ، والارتياح ، وحكمة الله تأبى ان يكون دينه قائما على النفاق وان يكون العمل قائما على غير أساس من التقوى ، فان الله طيب لا يقبل من العبد الا ما كان طيبا .

« افمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ، خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ، فانهار به فى نار جهنم »

أى : هل الايمان الخالص والعمل المبنى على ايمان صحيح وعلى رضوان من الله يكون خيرا أم الايمان المصطنع ، والعمل الذى يشبه البناء على حافة رمل متناثر ، لا ثبات له ، وهو ساقط بصاحبه فى جهنم حتما ؟ .

« ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم ، وأشد تثبيتا ، واذن لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما »

أما فيما يتعلق بالدعوة المحمدية فكانت كذلك على ما جرت به سنة الله فى شرائع الرسل الاولين « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » .

والله تعالى يوصى رسوله محمدا فى كثير من الآيات أن يكون مقتديا بهدى الله للرسل الاولين « أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده » « قل ما كنت بدعا من الرسل » .

وجملة لا اكراه فى الدين - تتعلق بالاسلام كذلك من ناحية الافادة بأن الاكراه ، ونحوه غير مشروع فيه ، كما لم يكن شىء من هذا مشروعا فى الاولين .

وقد سارت الدعوة الى الاسلام فى رفقها وملاينتها ، واحتمالها لصنوف الاذى ، ثلاثة عشر عاما ما قبل الهجرة .

ثم لم تهدأ عداوة الكفار للاسلام ولا لرسله والمؤمنين به ، بل أسرفوا ، واسرفوا كثيرا حتى تربصوا بالمسلمين كل سوء ، وحاولوا بكل وسيلة حبس الدعوة الاسلامية عن تقدمها ، وحاولوا غير مرة طرد المسلمين من مكة الى الحبشة ، واخيرا هيأ الله للمسلمين وطنا جديدا هو المدينة ، وهيأ لهم من أهل المدينة أنصارا يجاهدون بحق ، فى سبيل الله مع محمد وأصحابه ، فاذن الله للمسلمين بالهجرة الى المدينة ، وبالجهاد ، ومقاتلة عدوهم « أذن للذين يقاتلون - بفتح التاء -

بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » أى لم يكن القتال مأذونا فيه ، وقد أذن الله فيه بعد ذلك دفعا للظلم .

فهل بعد تشريع القتال بهذه الآية تكون الدعوة تحولت من المسالمة الى الاكراه ؟.

لا ، ولا يصح أن يفهم هذا فان هذا قتال دفاعى أراد الله منه ان تكون للاسلام رهبته فى نفوس الكفار الذين يقاومونه ، وأن تكون للمسلمين صولة أمام الذين يستذلونهم ، ويتحكمون فيهم ، وفى دينهم ، ولذلك يقول الله فيها « بأنهم ظلموا » بسبب ظلمهم من الكفار .

ثم لم تهدأ خصومتهم بعد الهجرة ، بل ظلوا يناوئون بالقوة ، والعدوان ، ويتكتلون مع بعضهم ، ومع من يحالفهم من اليهود أو النصارى على الكيد للاسلام وأهله كلما سنحت لهم فرصة علنية أو خفية .. حتى أنزل الله تعالى **« يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله » « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار »** وبذلك أصبح الجهاد حتميا بالمقاومة المادية وبالجيوش ، وبكل وسيلة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله ، وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

فهل بعد ذلك التكليف والتحريض تحولت الدعوة من سلمية الى اكراه فى الدين ؟ .
وايضا نقول : لا يصح أن يفهم ذلك لان الامر بالحكمة والموعظة الحسنة لا يزال قائما ، والسياسة الرحيمة هى طبيعة الاسلام ، وانما شرعت الحروب فيه بعد تجارب كثيرة ، وفى زمن طويل ، بسبب عدوان الاعداء على المسلمين هنا وهناك .

وانت ترى مع تشريع الحرب ، والتشديد فى التكليف به أن باب الصلح لم يكن مغلقا من جهة المسلمين ، بل كان النبى صلى الله عليه وسلم مصغيا دائما للرغبة فى الصلح وعقد المعاهدات الودية مع خصومه .. **« وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله »** .

ومن هذا التكليف بقبول الصلح مع الاعداء المشركين وغير المشركين من أهل الكتاب يتضح لنا ان اللين والمسالمة فى الدعوة الى الاسلام باقيان ، وأنه لا اكراه فى الاسلام وأن الحروب انما شرعت كعلاج ملائم لحالة القوم ، حسبما تقتضيه السياسة الرشيدة ، التى يتعهدها الوحى السماوى ، ويفطن اليها محمد وأصحابه ــ فى محيطهم الجماعى .

وهو العلاج الذى يحفظ على الاسلام كرامته ومهابته ، ويدع باب التفاهم مفتوحا أمام عدوهم اذا ارادوا فى غير اكراه ولا مخاشنة .

ولم تنهدم أبدا فكرة عدم الاكراه .. بل الآية كما قلنا ، خبر عن الماضى والحاضر ، وتحتمل فى معناها نهيا مستمرا للمسلمين عن الاكراه للغير أبدا .

فمن فهم ان الاسلام كان جبارا فى دعوته ، وانه قام بالسيف لم ينصف هذا الفاهم نفسه قولة الحق ، ولم ينصف الاسلام فى سياسته ولا فى وجهته التشريعية ، ولم ينصف الواقع التاريخى الذى بهر الانسانية فى حياتها الطولى ، وكان السبب البارز فى اجتذاب الناس جماعات وأفرادا مختارين مقتنعين الى حوزة الاسلام ، حتى ينخرطوا عن طواعية منهم فى صفوف جيشه المجاهدين المضحين فى سبيلها بحياتهم وأرواحهم وأموالهم وبنيهم .

(لها بقية)

مملكة غرناطة الإسلامية في طورها الأول

٦٧١ - ٧٣٣ هـ (١٢٧٢ - ١٣٣٣ م)

الدكتور محمد كامل شبانة

سبق ان تحدثنا في هذه المجلة القراء ، بالعدد الخامس « جمادى الاولى - اغسطس » من هذا العام - عن ظروف تاسيس مملكة غرناطة - اثر سقوط دولة الموحدين بالاندلس - في ثنايا الفتن والثورات . وذكرنا ان قيام هذه الدولة قد اقترن باسم مؤسسها زعيم بني نصر ، محمد الاول بن يوسف بن الاحمر . والذى كان يعرف بالشيخ ، حيث تسلم مقاليد الحكم في اواخر شهر رمضان المعظم ٦٣٥ هـ « ابريل ١٢٣٨ م » ، بعد ان بذل مجهودات حربية غير عادية في القضاء على مناوئيه من الطامعين في الملكة بالداخل ، ومن اعدائه الاسبان في الخارج ، ومع هذا فلم تتهيأ له فرصة من العمر تتسع لمشروعاته الانشائية ، والتي كان ينوي القيام بتنفيذها . فقد توفي في جمادى الآخرة « ٦٧١ هـ ديسمبر ١٢٧٣ م » فور عودته من احدى المعارك التي خاضها ضد بعض الخارجين على طاعته ، اولئك الذين حاولوا اكثر من مرة ان يغتالوه ، حتى كانت هذه المحاولة الاخيرة ، تلك التي اصيب فيها بجرح بالغ اثر سقوطه من فوق جواده ، بعد ان رد الثوار على اعقابهم خاسرين . وكان قد قارب الثمانين من عمره يومئذ .

هذا ، ولما كان مؤسس دولة بني الاحمر قد اعلن قبل وفاته بقليل - البيعة لاكبر اولاده سنا ، فقد جلس السلطان محمد الثاني بن محمد بن يوسف بن الاحمر على عرش غرناطة عقب وفاة والده مباشرة ، وعرف من بين ملوك بني نصر « بالفقيه » لما اشتهر عنه من العلم والفقه . ولد بغرناطة عام ٦٣٣ هـ « ١٢٣٥ م » واثر عنه انه قام بتنظيم دواوين المملكة ، وتقدير الضرائب العامة ، وترتيب رسوم الملك والالقاب . على العاملين في دائرته . كذلك عرف ببراعته السياسية ، وسعة افقه فيها ، هذا الى التحلي بالخلال الحميدة . والميل الى العلم والعلماء ، وايثاره لمجالس الفقهاء والادباء ، حسب رواية الوزير ابن الخطيب في « الاحاطة » ، حيث ارخ لهذا السلطان ، ضمن من ارخ لهم من سلاطين بني الاحمر ، ممن سبقوا هذا الوزير او عاصرهم ووزر لهم .

عاصر محمد الثاني ابن الاحمر ملك قشتالة الفونسو العاشر ، والذى كان يتربص بغرناطة الدوائر ، جريا على سنة اسلافه نحو المسلمين بالاندلس ، وبخاصة والده « فرناندو الثالث » منتهزا فرصة حداثة دولة بني نصر ، ولكن سلطان غرناطة الجديد كان يدرك هذه السياسة النصرانية ذات العداء التاريخي للمسلمين وشعر عقب توليه السلطة بتحرش الاسبان وتحركاتهم ، فبعث بسفارة اندلسية من خلاصة القوم ، الى سلطان المغرب المعاصر يومئذ ، ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، يستنجده ويطلب منه العون ضد النازى فما ان بلغت هذه السفارة قصر الملك المريني بفاس حتى استقبلهم بالترحاب ، واصغى بقلبه الى شكاتهم من النصارى ، واستصراخهم اياه للنجدة ، حيث بسطوا له رسالة السلطان محمد الفقيه في هذا الشان والتى جاء فيها على الخصوص قوله : « .. وعندك من جنود الله من يشتري الجنات بنفسه ، فان شئت الدنيا فالاندلس قطوفها دانية ، وجناتها عالية ، وان أردت الاخرة بها جهاد لايفتر ، وهذه الجنة ادخرها الله لظلال سيوفكم ، واحتمال معروفكم ، ونحن نستعين بالله العظيم وملائكته المسومون ، ثم بكم على الكافرين

فاجابه السلطان ابو يوسف الى ماطلب ، وخاصة بعد ان تكرر صريخ الاندلس ، وتوالت الرسل على المغرب تستغيث ، وكان ان عبر السلطان المريني ، الى الاندلس في صفر ٦٧٤ هـ « يولية ١٢٧٥ م » على رأس جيش كبير ، ونزل بثغر طريف ، الذى نزل عنه سلطان غرناطة بالاضافة الى كل من رندة والجزيرة الخضراء . لتنزل فيها الجيوش المغربية .

تقدم ابو يوسف بجيشه لملاقاة النصارى . واقتحم عدة من البسائط ، وغنم كثيرا من العتاد ، ولكن القشتاليين عولوا في النهاية على صده بكل قواهم ، ووقع اللقاء بين المسلمين والنصارى في ١٥ ربيع الاول ٦٧٤ هـ « ٩ سبتمبر ١٢٧٥ م » وانجلت المعركة عن هزيمة منكرة للاسبان ، وسقط فيها قائدهم صريعا ومعه نخبة من القواد البارزين . ويذهب المؤرخون العرب الى انه قتل من الاعداء يومئذ مايقرب من ثمانية عشر الفا اذن المؤذن على رؤوسهم لصلاة العصر بينما لم يخسر المسلمون سوى اربعة وعشرين رجلا على حد نفس الرواية الاسلامية .

ولقد بقي سلطان المغرب بالجزيرة الخضراء اسابيع وزعت خلالها الغنائم ، واراح فيها الجند دوابهم ، ثم عاود الغزو مرة اخرى في جمادى الاولى ٦٧٤ هـ « ١٢٧٦ م » مواصلا زحفه على اراضي النصارى حتى بلغ احواز اشبيلية ، فتحصنت المدينة من دونه ، فجاوزها الى شريش التي حاصرها فترة من الوقت لم تطل . فقد خرج اليه سكانها ورهبانها طالبين الصلح . فوافقهم على ماسالوا ، ورجع الى مراكزه الاولى بالجزيرة الخضراء ، يحمل المزيد من الغنائم ، واخيرا

جاز البحر الى المغرب فى اواخر رجب ٦٧٤ هـ «فبراير - مارس ١٢٧٦ م »

هذا وتجدر الاشارة من جانب آخر الى ان السلطان محمد الفقيه قد لاقى فى نفس الوقت كثيرا من العنت والارهاق من اصهاره بنى اشـــقيلولة الذين تحالفوا بادىء ذى بدء مع سلطان المغرب لقتال قشـــتالة واستقلوا فى هذه الاثناء بمالقة ، وخشى ابن الاحمر من هذا التحالف ، وعاتب ملك المغرب فى ذلك كثيرا ، وبخاصة قبل اقلاعه من الاندلس فى طريقه الى المغرب ، ثم حدث أن عاد ابو يوسف مرة اخرى الى الاندلس لقتال النصارى عام ٦٧٧ هـ « ١٢٧٨ م » ، وهبط بمالقة ومنها توجه مع بنى اشقيلولة الى ارض الاعداء ولكن لم تحدث حينئذ وقائع تذكر ، والتقى ابن الاحمر مع ملك المغرب قرب قرطبة ، حيث تعاتبا فى جو من الود والاخاء بيد أن هذا الاجتماع لم يكلل بالنجـــاح والصفاء .

وحدثت بعدئذ وقائع فى كل من الاندلس تجاه بنى مرين ، اثر ضم هؤلاء لمالقة تحت سيطرتهم . ثم فى قشتالة بين الملك الفونسو العالم وابنه ، وقد تمخضت الحوادث فى الاندلس - بصفة خاصة - عن عودة جو الصفاء بين فاس وغرناطة بعد ان نزل ابن الاحمر عن مالقة للسلطان المنصور المرينى ، لتكون بمثـــابة قاعدة للجنود المغاربة ، يفدون اليها من المغـــرب اذا استصرخوا ، وينطلقون منها اذا ما دعاهم داع الجهاد وهذا ماحدث فعلا عندما قدم السلطان المنصور الى الاندلس للمرة الرابعة ، فقد سار جند الاندلس والمغرب جنبا الى جنب لقتال جند قشتالة فى كل من بسائط اشبيليه ولبلة واســـتجه والفرنتيـــــرة عام ٦٨٤ هـ من سلطان المغرب وملك الاسبان ، ومن جهة اخرى فقد ساد جو من التفاهم الواسع بين غرناطة وفاس وكان من نتائجه ان خلف سلطان المغرب من ورائه ببلاط غرناطة بعض مشاهير القواد من شيوخ الغزاة ، يرأسهم شيخ من بنى العلا من ذوى القرابة لبنى مرين، والذين لعبوا على مسرح السياسة الاندلسية دورا هاما، كما سنرى فى موضعه من هذا المقال .

وفى نهاية عصر السلطان محمد الفقيه عقدت معاهدة صلح - وتحالف بينه وبين ملك ارجوان « خايمى الثانى » ضد قشتالة ، تعديلا لمعاهدة صلح سبقت ، وكان هذا التعاقد الاخير فى نهـــاية ربيع الثـــانى ٧٠١ هـ « ٣١ ديسمبر ١٣٠١ م » . ثم توفى السلطان النصرى فى شعبان ٧٠١ هـ « مايو ١٣٠٢ م » بعد حـــكم دام اكثر من ثلاثين عاما وفر له خلالها كاتبه فى ديوان الانشاء الشاعر ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحكيم اللخمى ، الملقب بذى الوزارتين، الذى اليه يعود الفضل فى جو الاستقرار الذى ساد المملكة على عهد هذا السلطان ، وتوطـــد ملك بنى الاحمر اكثر من ذى قبل .

ثم تولى سلطة العرش بعد محمد الفقيه ولده ابوعبدالله محمد الثالث الملقب بالمخلوع ، والمعروف فى الرواية الاســـبانية بالاعمى ، حيث كان ضريرا فعلا وكان كسلفه ميالا لمجالس العلم والعلماء ، وتنسب اليـــه بعض المشروعات الانشائية ، فى مقدمتها مسجد الحمراء الاعظم ، ولكن عهده القصير تميز بالاضطراب والفتن ، واستبداد وزير ابيه بالسلطة ، وظلام جو العلاقات النصرية المرينية ، نتيجة لاستيلاء سلطان غرناطة على سبتة من بنى مرين ، كما بدت اطماع بنى العلا تلوح فى الافق المغربى ، حيث انتصروا فى الاستيلاء على سبتة ، ودعوا لانفسهم على انهم من شجرة ملوك بنى مرين ، وان كانوا لم يحققوا شيئا من هذه الاحلام ، نتيجة اخفاقهم امام السلطان سليمان بن الربيع قرب فاس ، فعاد قائدهم عثمان بن ابى العلا فى قواته الى الشمال ، ومنه الى الاندلس مع آله وخاصته .

هذا وقد اندلعت الثورة الاهلية بغرناطة فى ذلك الوقت ، وانجلت عن اعتلاء مدبرها عرش المملكة ، وهو اخو محمد المخلوع المسمى ابو الجيوش نصر بن محمد الفقيه ، نتيجة الحكم الاستبدادى الذى فرضه كل من الســـلطان ووزيره اللخمى ، الذى قتل فى معمعة الفتنة ، ونفى السلطان المخلوع الى سـجن المنكب ، وبقى به اسيرا طيلة خمس سنوات ، بعدها اطلق سراحه بعد ان ثقل عليــــه المرض ، ثم توفى عام ٧١٣ هـ بغرناطة .

وكان السلطان ابو الجيوش شابا فى الثالثـــة والعشرين من عمره ، من الادباء والعلماء فى الرياضة والفلك محبـــا للمظاهر الملكية ذات الابهـــة والسلطان بيد انه لم يحالفه التوفيق فى تدبير امور الملك ، ففى اول عهده استرجع سلطان المغرب مدينة سبتة ، دون مقاومة منها تذكر ، بل على العكس ثار اهل المدينـــة على حامية ابن الاحمر ، وطردوا عاملهم عليهـــا ، واستقبلوا الجند المغاربة بالتهليل والترحيب ، وذلك فى اوائل عام ٧٠٩ هـ « ١٣١١ م » .

ثم حدث ان اضطربت احوال المملـــكة ، وتوترت العلاقات بين فاس وغرناطة ، اثر حـــوادث سبتة المذكورة ، كمـــا انتهـز نصـــارى قشتالة فرصة هذه الاضطرابات ، فاتفقوا مع جيرانهم نصارى اراجون على القيام بمشروع حربى خطير ، مؤداه ان تغزو قشتالة جبل طارق ، وتغزو اراجون المرية وذلك فى وقت واحد ، واعد الطرفان الجيوش المجهزة بالعتاد عام ٧٠٩ هـ « ١٣١١ م » ، وانجلت هذه المغامرة الجريئة عن نجاة المرية من هجوم الارجونيين ، فقـد استبسل فى الدفاع عنها ، وردوا عنها الاعداء خاسرين ، اما القشتاليون - فى الجانب الآخر - فقد شددوا الحصار على الجبل ، واخذوا بخنقه برا وبحرا بضعة اشهر ، حتى سقط فى ايديهم اواخر عام ٧٠٩ هـ « مارس ١٣١٠ م » ، وبهذا فقدت الاندلس بابهـــا الجنوبى الهام ، وهمزة الوصل بينها وبين عدوة المغرب ، وادرك السلطان نصر انه قد اخطأ فى جفاء بنى مرين ، فعاد يتودد ويتأسف لهم ، ويطلب الصلح والمغفرة فاجيب الى سؤله ، وعزز هذا الصلح فتزوج من اخت السلطان المغربى ، وعاد العون المرينى للاندلس ، بعد ان حل الصفاء والوئام محل الشحناء والخصام .

بيد ان هذه السياسة الجديدة تجاه فاس لم تؤت ثمرتها المرجوة ، فالاحوال الداخلية بالمغرب لم تكن يومئذ تشجع الكتائب على العبور الى الاندلس ، كما ان النصارى من جهة اخرى قد ضيقوا بدورهم الخناق على مملكة غرناطة ، الامر الذى رأى معه الســـلطان نصر مرغما ان يهادن ملك قشتالة ويتعهـــد له بجزية ، فازداد الشعب الاندلسى سخطا عليه ، وشبت الثورة ضده فى الجنوب ، حيث اعلنها صاحب مالقة يومئـــذ الرئيس ابو سعيد فرج بين اسماعيل بن نصر ابن عم الســـلطان ، ورشحت الثورة للعرش بدلا من نصر الامير ابا الوليد اسماعيل بن نصر » ، حفيد اسماعيل اخى السلطان محمد الاول بن الاحمر مؤسس الدولة

النصرية ، وفعلا تحققت أمانى هذه الثورة ، حيث هزم نصر امام قوات الرئيس ابى سعيد قرب غرناطة ، فارتد اليها ، واضطر فى النهاية الى التنازل عن العرش ، ولجا الى وادى آش حاكما لها حتى توفى عام ٧٢٢ هـ « ١٣٢٢ م » ، بعد ان مضى على تنازله قرابة عشر سنوات .

تربع السلطان ابو الوليد اسماعيل على عرش غرناطة فى شوال ٧١٣ هـ « ١٣١٣ م » الامر الذى شجع وخلال فترة حكمه قويت حركة الجهاد فقد تابع القشتاليون غزواتهم حتى بلغوا أجواز غرناطة واصابوا كثيرا من الغنائم بعد ان هزموا المسلمين فى بعض المواقع وأهمها موقعة قرب فرترنة عام ٧١٦هـ «١٣١٦م » القشتاليين على مواصلة القتال لمنازلة الجزيرة الخضراء والاستيلاء عليها ، حتى يحولوا بين المسلمين بالاندلس وبين اخوانهم فى المغرب فتنقطع عنهم الامدادات الحربية بيد ان السلطان اسماعيل استعد لحمايتها برا وبحرا، فعدل الاعداء عنها ، واتجهوا الى غزو غرناطة ذاتها ، فاتجه السلطان أبوالوليد الى السلطان ابى سعيد المرينى يطلب منه العون والنجدة ، فابى هذا الاخير حتى يسلمه شيخ الغزاة عثمان بن ابى العلاء ، ليقتص منه جزاء ماقدمت يداه من قبل فى حق بنى مرين ، فامتنع ابن الاحمر ان يخفر الذمة فى قائده ، وما كان جواب السلطان المرينى ليعوقه عن الاستعداد للقشتاليين خارج غرناطة ، فقد جهز لهم جيشا قوامه فرسان ومشاه لايتجاوزون سبعة آلاف مقاتل ، بينما كان جيش الاعداء يفوق هذا العدد بكثير ، تحت قيادة الدون بيدرو والدون خوان الوصيان على الفرنسو الحادى عشر ملك قشتالة . يصحبهما عدد آخر من الامراء ، والتحم الجيش القشتالى - بجيوش المسلمين بقيادة أبى سعيد عثمان ابن ابى العلا ، والذى ابلى فى هذه الموقعة بلاء حسنا ، وكر على الاعداء حتى ولوا منهزمين شر هزيمة ، وبقى المسلمون يجمعون السبايا والغنائم والاسرى طيلة ايام . ثلاث ، وقد قتل الدون بيدرو نفسه فى الموقعة ، فوضعت جثته فى تابوت ذهب علق على ايوار الحمراء ، مبالغة فى التنويه بهذا الانتصار .

وكان من نتائج هذا الفوز الساحق ان استرد السلطان ابو الوليد بعض البلاد والحصون التى سبق ان سقطت فى يد قشتالة ، مثل مارتش وبسطة وبياسة ، ولكن لم يمض على هذا الانتصار اكثر من ايام حتى قتل السلطان عقب عودته لغرناطة ، وذلك بيد ابن عمه محمد بن اسماعيل صاحب الجزيرة ، قتله غدرا بباب قصره ، لاسباب شخصية ، فى ٢٦ رجب ٧٢٥ هـ « ٧ ديسمبر ١٣٢٤. م » .

هذا وقد اشتهر السلطان اسماعيل بالحزم والعزم ، وحب الجهاد ، كما يعود اليه الفضل فى القضاء على البدع ، ومحاربة صفوف الفساد ، ومنع اختلاط الجنسيين على موائد الرجال ، كما شدد على اليهود معاصريه ، وأرغمهم على ارتداء شعار خاص فوق رؤوسهم .

ثم تولى السلطة ولده السلطان ابو عبد الله محمد الرابع ، ولم تكن سنه يومئذ قد جاوزت الحادية عشرة تولى له الامر فى البداية وزير ابيه ابو الحسن بن مسعود الذى لم يلبث ان توفى بعد شهور ، فتولى له امر الوزارة وكيل ابيه محمد بن احمد بن المحروق ، وكان من الوزراء المستبدين بالامر ، فانتهى أمره بالقتل بايعاز من السلطان نفسه عام ٧٢٩ هـ ١٣٢٩م»

كان معاصره فى اراجون الملك خايمى الثانى الذى بعث بسفيره الى غرناطة ، يطلب تجديد معاهدة الصداقة التى كان عقدها معه ابو السلطان ابو الوليد ، وكان قد انتهى أجلها وهو خمس سنوات ، فوافق السلطان محمد الرابع على تجديد هذه المعاهدة بنفس شروطها ، وذلك فى جمادى الثانية عام ٧٢٦ هـ « مايو ١٣٢٦م»

وفى عهد هذا السلطان تم استرجاع الجزيرة الخضراء واصبحت محطا لنزول - الجيوش المغربية التى عبرت البحر ، بعد أن استنجدت غرناطة بالملك ابى الحسن المرينى ، بعدما ضيق ملك قشتالة الخناق على القوات الاندلسية فى اكثر من خط دفاعى عن المملكة . وكان ان اتحدت القوى المغربية والاندلسية وشددت الحصار على جبل طارق برا وبحرا حتى اضطرت القوات الاسبانية المرابطة به الى التسليم قبل ان تصلها الامدادات وبذلك استرجع الاندلسيون الجبل فى اواخر عام ٧٣٣ هـ « ١٣٣٣ م » بعد ان ظل فى يد النصارى طيلة اربعة وعشرين عاما ، ويرجع الفضل فى هذه الانتصارات المظفرة الى همة الملك المرينى والى عزيمة الحاجب ابى النعيم رضوان النصرى .

وما ان تمت هذه الانتصارات المظفرة حتى راينا سلطان قشتالة يتقدم الى السلطان النصرى طالبا الصلح والمهادنة ، وعقدت الهدنة بين الملكين ولكن ماكاد ملك غرناطة يقفل راجعا الى العاصمة حتى اعترضه بعض الرقيق من خدمه وقضوا عليه ، بتدبير خاص من بنى العلا شيخ الغزاة بعد ان اظلم الجو بينهم وبينه اثر صفاء العلاقات بين بلاط غرناطة وفاس الامر الذى خشى معه هؤلاء القواد على انفسهم ، بمعنى ان يخفر فيهم السلطان الذمة فيبعث بهم الى سلطان المغرب على نحو ماسنفصل القول فيه فى مقال قادم ان شاء الله .

الإسلام عمل وإنتاج وحركة في مجالات الحياة

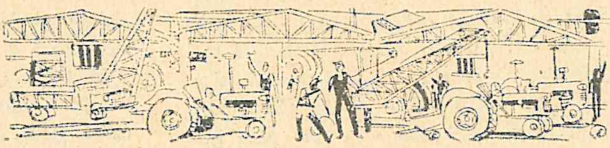

الأستاذ
سليمان حسن عبد الخوها

منى الاسلام قديما بقوم رموه باطلا وزورا بأنه دين خمول وجمود ، وانه يعزف بطبيعته عن الدنيا ولا يأبه لشأنها ، وان تعاليمه فيها هدم لنظم المعيشة ولا تنمى الثروة بل انه يدعو أتباعه الى ترك الدنيا وعدم التزود منها . ويصور الدنيا لدى الناس سهما قاتلا وضلالا مبينا ، وان شرعة الاسلام جاءت لتنقض لبنات الدنيا لبنة لبنة ، ولتقوض بناء العمران ، وقالوا ان الاسلام بعيد كل البعد عن الحياة العامة العاملة النشيطة .

قد يكون هؤلاء الذين قالوا ما قالوا عن الاسلام من أعدائه القدامى الذين دخلوا فى الاسلام تقية وأرادوا أن يلبسوا على المسلمين دينهم وقد يكونون من المسلمين الذين حسنت نياتهم وغلبت عليهم روحانية التبتل والتصوف ، واعتقدوا انه لا ينجيهم من بأس الله غدا الا ترك الدنيا جملة وتفصيلا ، وقد يكونون من المستشرقين الذين لم يتحروا الصواب ولم يلموا الماما تاما بحقيقة الاسلام ، أو وقعت فى أيديهم كتب المتصوفة من المسلمين، فأخذوا بظاهرها وحكموا هذا الحكم الجائر على الاسلام.

ومما نهض بحجة أولئكم ما قرأوا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تدعو الى الاقلال من الدنيا والتزهد فيها ، وتذكر فضل الفقر والفقراء - وما رأوا من حال بعض الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الزاهدين أمثال ابى ذر الغفارى الذى كان ينشد مذهب الكفاف وترك ما فوق الحاجة - وأمثال سعيد بن المسيب من التابعين الذى كان يدل حاله وعمله على التقشف الشديد والورع المميت ، وحب العزلة والبعد عن الشهرة وما عرفوا عن أهل الصفة الذين اتخذوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة لهم وتركوا العمل والسعى وعاشوا على فضلات اخوانهم وصدقات نبيهم ، والذين جاءوا من بعدهم فتأثروا بحالهم كالامام أحمد بن حنبل والغزالى والسرى السقطى والحارث المحاسبى وابراهيم بن أدهم وأبو اليزيد البسطامى. وغيرهم جم غفير أسسوا مدارس الزهد وخانقاه الرهبنة وزوايا التنسك . وكانت لهم تلاميذ حملوا هذه الراية وطافوا بها فى الآفاق وملأوا العالم الاسلامى بالزهد والورع والتقشف والرهبنة ولهم كتب وآثار تنادى بأن الدنيا لا خير فيها ، وان الشر كل ما فيها ، وأنها مهلكة متلفة والسعيد من رام عنها ، والشقى من رغب فيها .

وقبل أن نأتى على بنيان هذه الدعاوى نريد أن نقول كلمة صريحة : ان بعض المسلمين عصفت بهم روح التصوف العالية وأخذهم تيار الرهبنة فلبسوا الصوف والمرقعات ، وما جمعوا بين ثوبين ، وما هضموا طعامين وعزفوا عن أكل الطيبات من الرزق وراحوا صائمين قبل أن تفارقهاأجسادهم،وعرفوا بالفقرواشتهروابالفقراء تفارقها أجسادهم ، وعرفوا بالفقر واشتهروا بالفقراء وكان من أحب الأسماء اليهم اسم الفقير ، تسربت هذه الروح الى المسلمين من عقائد الملل الأجنبية ومذاهب الديانات الأخرى من الأمم المجاورة والبلدان التى فتحها المسلمون فنقلت هذه التعاليم على أيدى أهلها الذين أسلموا وعلى أيدى الموالى وبحكم المعاملة والمجاورة واختلاط المسلمين بهم واتصالهم العلمى . وقد صادفت قلوبا خالية فتمكنت ونفوسا مستعدة للزهد فزهدت .

شبت نار هذه الريح فى غضون القرن الثالث الهجرى وقوى أوارها فى القرن الرابع واشتد ساعدها فى القرن الخامس وأخرجت للناس أئمة دعاة ، لهم مذاهب تنشر ، وكتب تدرس . وآثار تحفظ وتلاميذ جدوا وشمروا وأذاعوا هذه التعاليم بين العالمين فتأثر المسلمون بهذه التعاليم حقبة من الزمان فسلبت أموالهم وفقدوا بعض ما بأيديهم واحتضنهم الخمول وخيم عليهم السكون

والجمود وقصرت الهمم ووقفت الفتوح وأصبحوا عزلا فقراء مستضعفين فى الارض يتخطفهم الناس بعد أن كانوا السادة والقادة وأصحاب السيطرة على العالمين ترهبهم الملوك وتزلزل منهم العروش . اذن فما هى الدنيا فى نظر الاسلام ؟ وما هى القواعد التى جاء بها لتنظيمها ؟ وكيف ترد تلك الشبه وندافع عن رجال الاسلام الزاهدين ، ذلك ما تلمسه لمس اليد ، فيما يتلى عليك من آى الذكر الحكيم وأحاديث النبى الأمين وتعاليم الصحابة والتابعين وأعمال المسلمين الأولين الذين شفت أرواحهم عن حقيقة الاسلام ، وتجلت أعمالهم صورة ناطقة للدين ، فاستمع لما يوحى ، واحكم بما ترى لتبصر الآية الكبرى على أن دين الاسلام يدعو بفطرته ، الى العمل للدنيا كما يدعو الى العمل للآخرة وأنه جاء ليدعم قواعد العمران وليؤسس دنيا جديدة خالية من الباطل ، خالصة من الشوائب ، صافية من الأكدار وأن طبيعة الاسلام تنظم أمر الدنيا وتسمو بأهلها ، وتعد المسلمين للنهوض ، والطموح ، والمجد ، الذى لا يحد ، والعزة التى تبلغ الجبال طولا .

هاكم الادلة الواضحة مرتبة منظمة فى صحف مطهرة فيها كتب قيمة وذلك دين البينة : قال الله تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (سورة الجمعة) وقال تعالى « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (سورة الملك) وقال عز وجل « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم » (سورة الأنعام) وقال سبحانه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذىارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » (سورة النور) وقال عز من قائل « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين » (سورة الأنبياء) وقال فى كتابه « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » (سورة القصص) وقال عن داود « وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير (سبأ) وقال « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » (الاعراف) وقال « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » (البقرة) وقال « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الىعالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (التوبة) .

فانت تلمح معى من هذه الآيات البينات كيف أمر الله المسلم بعد الفراغ من عبادته أن ينتشر فى الأرض لطلب الرزق وأن يضرب فى الأرض ذات الطول والعرض لابتغاء القوت وبين له أنه خليفة الله فى الأرض له عليها القوامة والتمكن ، وأن المسلم الصالح هو الوارث للارض وصاحب الأمر فيها ، وأمره أن يأخذ حقه منها ولا يترك نصيبه فيها . وأوضح له أن الأنبياء وهم أمناء الله كانوا عمالا وصناعا وقال له هذه الأرض خلقت لكم فكلوا منها حلالا طيبا وتمتعوا بما فيها من لذائذ العيش ورغد الرزق وزينة الحياة وأمرنا أن نستخرج ثمارها وأن نعمرها أكثر مما عمروها وجعلنا فيها أئمة وجعلنا الوارثين .

وخذوا من السنة شرحا وافيا ، وبيانا قيما ، عن نظرة الاسلام للدنيا ، وان كان ذلك غيضا من فيض وقطرة من نبع .

روى البخارى ومسلمعنالمقدام بن معديكربعن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده وروى البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه ، وروى أحمد والبزاز والطبرانى فى الكبير قال « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الكسب » قال بيع مبرور وعمل الرجل بيده ، وروى الطبرانى عن كعب بن عجزه وابن أبى الدنيا عنمعاوية قال لقى عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال من أنتم ؟ فقالوا متوكلون قال كذبتم ما أنتم متوكلون انما المتوكل الذى ألقى حبة فى الأرض وتوكل على الله .

وفى الحديث : أثنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقالوا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم من يكفيه طعامه وشرابه فقالوا كلنا ، فقال رسول الله كلكم خير منه ، وروى الطبرانى عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال مر على رسول اللهصلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب الرسول من جلده ونشاطه فقالوا يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ، فقال رسول الله ان كان يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيلالله وان كان خرج يسعى عن نفسه ليعفها فهو فى سبيل الله ، وان خرج رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان. وروى الطبرانى والأصفهانى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له وروى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالالتاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء . وروى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ، أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فاذا خان خرجت من بينهما .

جاء فى كشف الظنون لو علم عباد الله رضاء الله فى احياء أرضه لم يبق فى وجه الأرض خراب : أما تؤمن معى من مآخذ هذه الأحاديث بنشاط اسلامى جبار ، وانه يدعو الى العمل وينهى عن البطالة والكسل ، ويتعوذ من العجز والعالةومن الفقر فانه بئس الضجيع، ويحفزنا الى التجارة والصناعة والزراعة وفلاحة الأرض والسير فى الأرض للاكتساب والارتزاق ويبين لنا ان من لا عمل له لا خير فيه أما تبصر نورا يضىء جوانبالعقيدة الاسلامية فى الحياة ووحيا محمديا ينهض بالمسلمين ، ويترفع بالمجتمع البشرى عن الذلة والمهانة ويأخذهم الى العزة قسرا ويصيح بهم ان أعملوا واعتزوا فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

وان أردت المزيد والبيان الشافى فاقرأ الحديث الآتى وارجع فيه حتى تمتلىء نفسك اعجابا بقوة الاسلام وتربية المسلمين الفذة .

روى النسائى وأبو داود والترمذى عن أنس رضى الله عنه أن رجلا من الانصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فأعطاه فقال الرسول أما فى بيتك شىء قال بلى: حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه قال ائتنى بهما فأتاه بهما فأخذهما الرسول صلى الله عليه

وسلم بيده وقال من يشترى منى هذين قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا فقال رجل أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما أياه فأخذ الدرهمين وأعطاهما الانصارى ، وقال له اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى أهلك واشتر بالآخر قادوما ، فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ، ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضهما ثوبا وببعضهما طعاما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خيرلك من أن تجيء المسألة نكتة سوداء فى وجهك يوم القيامة ، فانظر الى هذه الى التربية العالية وهذا المسلك القويم فى تربية الأمم آمنا بالله ربا وبالاسلام دينا ، وهذه الصور الاسلامية تريك الحق وتنير الجادة وتهدى للتى هى أقوم ، لتعلم أن الدين لا يحول بين الانسان وآماله فى الحياة ولا يقف عثرة دون مطالبه فى الدنيا فهذا أبو بكر الخليفة الأول كان تاجرا عظيما أفاد المسلمين بماله وجهز الجيوش من حر أمواله ولم تمنعه الخلافة أن يتاجر الى السوق صبيحة الخلافة طلبا للرزق وسعيا وراء الكسب وهذا عمر بن الخطاب ، حذا حذو صاحبه أبى بكر وكان يقف فى السوق يبيع ويشترى وهو أمير المؤمنين ولم تحجزه الامارة عن الصفق فى الاسواق وقد روى عنه أنه كان يقول لأن يأتينى الموت وأنا أبيع واشترى خير من أن يأتينى الموت وأنا ساجد لربى وكان فى أيام خلافته يطارد المتعطلين والكسالى ويقول لهم ان الله يكره الرجل الفارغ من العمل لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة وهذه حكمته الذهبية التى خلدها التاريخ. « لا يقف أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم أرزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وهذا عثمان وثراؤه العظيم الذى بلغ مائة الف من الدنانير وكانت قوافله تغدو وتروح حاملة الطعام بين الحجاز والشام أقحط الناس فى زمن أبى بكر وغلت الأسعار فقدمت عير عثمان تحمل الطعام على ألف راحلة فاقبل التجار يبتاعونها من عثمان بثمن مرتفع فقال أشهدكم معشر التجار انى قد تصدقت بها على أهل المدينة هذه همة عالية ومروءة سامية قل ان نجد لها نظيرا بين الناس ، ان عثمان لم يورثه آب ولا جد هذا المال الكثير، وانما ورثه اياه اجتهاده ونشاطه فى التجارة وضع يدك على ذلك المثل السامى عن على بن أبى طالب « ان الجوع عضه يوما فراح يطلب القوت من مواطنه بعزة النفس المؤمنة الأبية فطلب العمل فى عوالى المدينة فاذا امرأة جمعت مدرا تريد بله بالماء فبادلها كل ذنوب من ماء على تمره فملأ ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يده من العمل فاتى المرأة فأعطته ستة عشرة تمرة فاتى رسول الله فأكل معه رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرارا لهذا الكسب الهنىء واحمادا لذلك العمل الشريف الذى يسمو بالانسان الى العلا » ولما آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف المهاجرى وبين سعد بن الربيع الأنصارى خيره فىماله وأهله فقال له لاحاجة لى فى مالك وأهلك ولكن دلنى على السوق أبيع واشترى فعمل عبد الرحمن بن عوف فى التجارة حتى أثرى ثراء واسعا وكانت قافلته التجارية تربو على سبعمائة بعير.

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها المغزل بيد المرأة خير من الرمح فى يد المجاهد وقال عبدالله بن المبارك ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يطعمك ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد .

وهؤلاء علماء الاسلام قديما وحديثا نهضوا لطلب رزاقهم بأيديهم فكانوا تجارا وزراعا وصناعا ولم تمنعهم محابرهم ودفاترهم عن طلب الأقوات ولم يشغلهم العلم والتعليم عن معيشتهم فى الدنيا وما ركنوا الى عملهم يأكلون به وما استكانوا لذلة وما رضوا بالدور من الحياة لأنهم يعلمون أن اليد العليا خير من اليد السفلى فأبو حنيفة كان يبيع الخز من الثياب وأسد بن الفرات كان غازيا والسيوطى كان طبيبا وابو بكر الرازى كان كيماويا وغير هؤلاء ممن ضربوا بسهم وافر فى الحركة والنشاط مما جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين فى هذه الدنيا وفى الدين.

لقد أسفر الصبح ووضح الحق لذى عينين ولم يبق أمامنا سوى رد الشبه والانتصاف لرجالات المسلمين الذين آثروا التقشف وأحبوا الفقر وألفوا العزلة وصاروا ناسكين وأن نبين للناس حقيقة الاسلام وما جاء به لنظام الدنيا .

تمتاز الشريعة الاسلامية عن الشرائع جميعها الهية ووضعية بصبغة خاصة وطابع ممتاز هى أنها شريعةالدين والدنيا جاءت لصلاح الآخرة والأولى ولحرث الدنيا والعمل ليوم المعاد وانها لا تفصل بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية وحاكمها الدينى هو حاكمها السياسى يجمع السلطتين ويفصل فى الامرين وعلماؤها دينيون ومدنيون وكتب الفقه الاسلامى تضم بين صفحاتها الأحكام الدينية والمدنية أسوة بكتابهم المنزل الذى جمع أحكام الدنيا وحكم الآخرة فى صفحاته واتباعا لأحكام نبيهم الذى شرح بكلامه سياسة الدنيا وسياسة الآخرة ولا يعزب عن ذهنك حكم فقهاء المسلمين بانه « يفرض على كل قطر فرض كفاية بأن يعدوا رجالا فى كل فن وفى كل علم وفى كل صناعة اعدادا ممتازا ليدافعوا بفنهم وعلمهم عن أوطان الاسلام وأن يتعلموا الالسن الأجنبية وأن يحسنوا الترجمة خشية أن تقع فىحبال قوم لانعرف لغتهم » فقد ثبت عن رسول الله انه اتخذ من بعض الصحابة مترجمين فى الفارسية والسريانية والعبرية ، ومن أحسن ما قرأت فى كتب الحنابلة انهم يجوزون جمع الصلاة تقديما وتأخيرا للعمل المانع وفى ذلك تيسير عظيم للمسلمين فى أعمالهم واهتمام بشأن نظام الدنيا وانه ليأخذك الدهش والعجب اذا تصفحت كتب الفقه الاسلامى ورأيت فيها من الأحكام المدنية والدينية ثروة زاخرة وخضما لا ساحل له بز كتب الرومان واليونان وغيرهم فى الفقه والتشريع ، أما ما ورد من الأحاديث والآيات التى ترمى الى الزهد وحب الفقر والاقلال من الدنيا والاشارة بالكفاف فانما كانت علاجا للأثرة الدنيوية وحب المال الذى يعمى ويصم ولتنهنه من حدة الشره المالى ولتكسر من شره ذوى الاطماع الباطلة ولتحد من سلطان الدنيا اذا طغى ولتبين للناس أن سعادتهم فى الاعتدال والتوسط فى الأمور وان خيرهم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه كما روى اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وما كان أهل الصفة جميعا كسالى متعطلين منهم العاجز عن العمل فلهم رزقهم عند اخوانهم ولهم عذرهم عند ربهم لعجز قام بهم ومنهم القادرون على الكسب فهؤلاء كانوا يخرجون للعمل والسعى ولم يكونوا عالة على غيرهم . فقد ورد أنهم كانوا ينفرون للجهاد ويتسابقون الى الأعمال فاذا فرغوا آثروا الجلوس فى المسجد ابتغاء لرضاء مولاهم وتعرضا لرحمته . وكانوا كما قال الله « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار » ولذا ورد أنهم كانوا يقلون حتى يبلغ عددهم أربعين ويكثرون حتى يزد عددهم عن أربعمائة وذلك تبعا للعمل فهم يقلون عند الطمع ويكثرون عند الفزع .

اما ما ورد عن أبى ذر وسعيد والسرى السقطى والحارث المحاسبى وغيرهم ممن زهدوا وعاشوا على كفاف فانما كان لملابسات سنحت لهم وخوفا من مضلات الدنيا رأوا الناس على عهدهم ضلوا وأضلوا وعاثوا فى الأرض فسادا وقست قلوبهم وطال عليهم الأمد واستمرأوا مرتع الدنيا ومنعوا حق الناس واستولت عليهم الأثرة فراحوا وعاظا مرشدين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون الى الاقلال من الدنيا حبا فى السلامة . وكانوا مخلصين فى أقوالهم وعظاتهم . لأن حالهم كان أقوى من قولهم ودلالة الحال أنفذ من دلالة المقال .

ولم يعرف عنهم أنهم استجدوا أو تعرضوا لما فى أيدى الناس أو اخذوا من فضل اخوانهم بل قد ورد عنهم أنهم كانوا يردون الصدقات والهدايا باباء وشمم . لهم عزة موفورة وكرامة بين اخوانهم محفوظة واما من تجاوز من ذلك وتعدى وظلم نفسه وشط فى زهده ومسكنته وترك العمل وآثر الآخرة ونبذ الدنيا وشذ عن الطريق السوى فأخطأوا السبيل فهؤلاء وأضرابهم لن يكونوا حجة على الدين وحالهم لا يحكم على الاسلام بل الاسلام والدين حجة عليهم ولله الحجة البالغة .

ولقد قرأنا فى الكتب الصحاح أن نفرا من الصحابة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم دخلوا دار عثمان بن مظعون رضى الله عنه وذكروا الدنيا وفتنتها والآخرة وأهوالها والنار وزقومها فقالوا لا ينجينا من بأس الله غدا الا اذا تركنا الدنيا وطلقنا نساءنا وقطعنا مذاكيرنا وصمنا النهار أبدا وقمنا الليل سرمدا وامتنعنا عن أكل اللحم والحلوى وتعاهدوا على ذلك فبلغ النبى من أمرهم فنهض اليهم وقال لقد علمت صنيعكم وانما أنا محمد رسول الله أصوم وافطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم والحلوى والدسم وتلك سنتى ومن خالف سنتى فليس منى ونزل قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » هذه صراحة الاسلام وهذا صراطه المستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيل ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

وان ما نراه اليوم من تأخر بعض الأمم الاسلامية وتخلفهم عن ركب الحياة وقعودهم عن المجد وبؤس عيشهم وسوء حالهم لم ينجم ذلك عن طبيعة دينهم ولا عن نقص شريعتهم وانما نشأ عن تفريطهم وتجنبهم عن طريق الاسلام . والاسلام جاء لسياسة الدنيا والدين . فهو سياسة ورياسة ونظام وعمل وحياة عريضة وفتح وامتلاك ونهوض وعزة ولايرضى بالهوان ولا بالدون فى هذه الحياة ويأبى الخنوع والذلة ويجافى العجز والمهانة ويحب القوة والكرامة والاباء والكفاح ولا يبتغى سوى المجد مرتقى وفى هذه الأيام بزغت شمس الجمهورية العربية المتحدة وحددت معالم الطريق وبينت سبل العيش السعيد للأمة العربية فقامت ثورتها المباركة على الاقطاع والاستغلال وقادت أفراد الشعب العربى الى المجد فرفع رأسه ورفع نفسه ورمى ثوب الخمول وسلك طريق الكفاح فكثرت المصانع وأسست الشركات ونهض العربى مستلهما روح الثورة العربية فأخذ طريق الاعتلاء فى ثوب الاشتراكية السليمة والديمقراطية الصحيحة وأصبحت الجمهورية العربية المتحدة دولة كبرى تنافس الدول العظمى فى مجال الحياة فى الصناعة والزراعة والتعليم حتى سمع الدهر كلمتها والتفت اليها وذلك بفضل قادتها تحت زعامة السيد الرئيس جمال عبد الناصر . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

التحليل النفسى

الأستاذ منصور نسيم

النفس التى خلقها الله عز وجل فى الانسان ، تحركه وتدفعه وتوجه سلوكه ، لم يتركها عبثا ، بل أوجد سبحانه وتعالى فى كونيتها حافظا لها وقرينا لصاحبها ، فان تعاونا معا تعاونا صادقا موحيا بالخير متبعا دائرة الايمان ، متصفا بالتقوى كانت النفس الراضية المرضية المؤمنة المطمئنة على أفعالها وسلوكها ، أما اذا اختلفا وكانت صفاتها البغى والظلم والانغماس فى الملذات ، متخذة الرذيلة هدفا لها ، والعناد ديدنا لسلوكها كانت النفس الأمارة بالسوء .. وكلاهما يسلك طريقا يوحى اليه بسلوك خاص ، وصفات معينة ، فيقع جسم الانسان بينهما ميدانا للصراع والحرب ، وموقعا للمقاتلة ، يشهد أسلحته الفتاكة ، ويتحمل الآلام المبرحة ، ويتلقى النتيجة سيئة كانت أم حسنة وهى فى حسناتها قد اجهدته لما لقى من عناء العراك وأساليب المقاتلة .

وقد خلق الله الحافظ لحكمة بالغة ، خلقه للوعى والادراك والحس ، ومعرفة الخير والشر ، والفصل بينهما .. كما خلقه ليوحى الايحاء الصحيح للنفس بما يجب أن تنطوى عليه تصرفاتها ، خلقه رقيبا على النفس وسلوكها ، مسديا اليها النصح والارشاد ، واذا أخطأت أو حادت عن الطريق السوى ، نبهها وأرشدها الى ما تفعل ، وأيقظها الى سلوكها المحمود .

والحافظ أو الرقيب هو الضمير الذى تشعر به بين جوانبها ، يهتف بكل تصرف فى حياتنا اليومية ، والنفس التى تشعر برقيبها يحافظ عليها دائما ويتيقظ لتصرفاتها هى النفس الواعية العاقلة أو الذات التى تلمس الحقائق والتصرفات السلوكية والدوافع النفسية والغرائز فى انفعالاتها ، ونتائج الأخلاق فى تصرفاتها ، قال تعالى « ان كل نفس لما عليها حافظ » .

والحافظ فى رقابته لتصرفات النفس وسلوكها ، يرضى عنها اذا اتبعت طريق الخير ونهجت سبيل التقوى ، فتطمئن القلوب وتهدأ النفوس ، ويصح عقل الانسان ويسلم منطقه وتصدر عنه التصرفات السليمة ، أما الحافظ فى النفس الامارة بالسوء فهو فى عراك معها ، يؤنبها على ما فرط منها من ذنب ووقع من سوء ، وهو شديد الايمان يجذبها اليه ، ويهديها الى الخير ، فان كسبت المعركة منه حزن وتألم ، وأحس بالفشل والقنوط ، والجسم يشاركه فيما انتابه من

أمام التوبة الصادقة

سقم وعناء فتنتابه الأمراض العصبية والعقد النفسية التى قد يستعصى شفاؤها .. واما اذا ما تغلب الحافظ على النفس الأمارة بالسوء ، وأوحى اليها الخير ففعلته وسلكت غرائزها وتصرفاتها جادة الصواب ، واحست بالتأنيب عما فرط منها ، رجعت الى رشدها ، متجنبة سابق سلوكها ، ملهمة الايمان الصحيح والطريق السليمة ، رافعة نفسها الى آفاق روحية عالية ، ورتب نفسية سامية ، مستغفرة ربها ، تائبة عن أفعالها ، قال تعالى « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » وقال عز من قائل .. أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين » .

ولقد وقعت الخطيئة الأولى من الانسان ، عندما حرم الله على آدم وحواء فى الجنة الأكل من الشجرة المباركة ، فوسوس لهما الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء الاستمتاع بلذتها ، والاندفاع الى الأخذ منها ، فكان العقاب بالخروج الى عالم الدنيا والحرمان من الجنة ، ولما ابان الحافظ لهما مدى خطئهما ، واقتتابه لاما نفسيهما فقد ظلماها وأراد الرجوع الى الحق ، واستغفروا ربهما فى توبة نصوح قال تعالى « ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين » .

والنفس التى تهتدى بهدى الحافظ ، وتسلك طريق الخير بعد أن لست ما كانت فيه من خطأ ، ولامت نفسها وقد ظلمتها وسبحت بحمد ربها واستغفرت الله فيما فعلت تقبل توبتها ، وتأتى هذه التوبة عادة نتيجة عراك جدلى يقع بين العقل من جهة وبين النفس من جهة أخرى .. يبدأ بالتفكير فيما يصدره الانسان من تصرفات سلوكية لدوافعه الشعورية واللاشعورية ، التى تمثل الخير منها والشر ، يرضى الحافظ عن بعضها ويغضب من غيرها لمناهضتها للتقاليد الخلقية السامية والتعاليم الدينية الرفيعة ، فيحدث الصراع بين الضمير رمز المثالية النفسية وبين « الذات » فيما يحدثه من سلوك ، فاذا ما تغلب عليها الضمير عاقبها بالكبت ، وأرجعها مقرها فى عالم الذات السفلى وهى متألمة نتيجة لهذا العراك فتحدث توترا عصبيا فى نفس الانسان ، واضطرابا فى بدنه .

أما اذا استطاعت النفس أن تنفذ دوافعها الغريزية الفطرية ، وتستمتع باللذات ، حدثت الخطيئة ، ووقعت السيئة ، فيتألم الضمير ، ويأخذ فى مواصلة عقابه بالتأنيب والزجر ، ويوقع اللوم بالنفس ، وهو جزاء قاس تستمر النفس واعية له بين جوانبها ، قلقة وجلة ، حائرة فيما آتته من ذنب ، وما ارتكبته من خطيئة وائم . قال تعالى « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

والانسان أمام ذلك كله هو المتكفل بالمعركة ، المضطرب لمظاهرها ونتائجها ، فتحدث التوتر النفسى فلا يرى حلا لهذه المشكلة ولا التخلص منها الا بالاعتراف بالخطأ والعدول عن فعله ، وتعويضه باتباع المثالية الخلقية والدينية فيما رسمته من تقاليد وتعاليم . قال تعالى « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » .

والاعتراف صفة منطقية نفسية سلوكية ، تكشف عن ايحاء ذاتى لمنطق سليم وفكرة سديدة ، فالانسان يبحث عن اخطائه ويظهرها أمام نفسه ، فترى النفس السفلى نتائجها ، وتقبل الانفصال عن سلوكها ، وتعمل على اتباع ما تأمر به المثالية الخلقية ، وما يرضاه الضمير لها من سلوك وتصرفات ودوافع .

والاعتراف فى صورته الواضحة ثمرة قبول المهادنة والمصالحة بين النفس والضمير ، اذ يتعاقدان على أن يتسامح الضمير عما حدث ، ويوقف عقوبة اللوم على النفس بقبولها اتباع المثالية الخلقية ، فتتم التوبة ، والتوبة بدورها اعتراف واستغفار ومهادنة بين النفس والضمير ، على فعل الخير واتباع الطريق الصحيح التى تصدر عنه الدوافع الغريزية فى سلوك حسن ، وتصرفات سليمة ، والاعتراف والتوبة عملية لتحليل نفسى لافعال الذات وسلوكها ، حتى اذا ما عرفت مدى تصرفاتها من خير أو شر رفع عنها التوتر النفسى ، قال تعالى « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما » .

والتوبة فى حقيقتها تنفيس عن أثر عقوبة الضمير للنفس واعتراف بالخطيئة والقرآن الكريم يحدثنا عن الخطيئة والتوبة وما تحدثه الخطيئة من ظلم الانسان لنفسه واسرافه عليها ، ووضع للتوبة قواعد هى أن يعرف الانسان نفسه ويعترف بذنبه ، ويستغفر ربه ، ويعاهد نفسه على ألا يعود الى فعل خطأ ، اما من ارتد أو ظل جاحدا يعيش بين رذائل الاثم حتى يحضره الموت فلا توبة ولا مغفرة والدين الحنيف يعلن مخلصا فى دعواه أن التوبة جزاؤها المغفرة ، والعفو من الله عز وجل قال تعالى « ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا » . ومن هنا يحدث الأمن النفسى ، ويطمئن الانسان الى آثار التوبة فى الدين ، فتهدأ النفس ويستقر ايمانه فى رضا وحب لأداء الخير قال تعالى « التائبون العابدون الحامدون السائحون ، الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله » .

والنفس بحافظها ، اذا ما تمسكت بالتوبة ، واستمرت على طاعة الله ، وبقيت على أداء التقوى ، يمنحها الله نعمة المغفرة من عنده ، فتهدأ ويرضى الحافظ عليها ويعمها الايمان الصادق والطمأنينة الكاملة .

الإسلام وتجدد الحياة

للأستاذ محمد معروف

خلق الله الانسان وخلق معه قدرات نفسية وجسمية وفكرية يستطيع أن يواجه بها قوى الطبيعة المختلفة المتربصة به وبامكانيات تقدمه ورفاهيته وظلت سيرة الانسان على هذه الارض حلقات متصلة من السعى الدءوب لانتهاج سبيل مثمر للحياة حيث يروض البشر الطبيعة وحيث يكشفون يوما بعد يوم الاسرار الهائلة التى اودعها الخالق سبحانه باطن الارض وطيات السماء ٠

فما هى حكمة هذا الوجود الانسانى ؟

ثمة بصيرة نافذة استلهمها فكر الثورة المصرية العربية الاسلامية وعبر عنها قائد الثورة فى كلمات غاية فى البساطة طرحت على اسماع وافهام الجماهير العربية ليلة النصر فى بورسعيد : « ربنا قادر على كل شىء ربنا قال اجتهدوا ٠٠ بالاجتهاد والعمل نأخذ الجزاء المقابل٠٠ ربنا كان قادرا على أن يعطى كل واحد منا وكل واحد من الناس كل شىء ٠٠ كل متع الدنيا ولكن له حكمة ٠٠ حكمة الحياة أن نكافح ونعمل حتى نحقق آمالنا والا كانت الحياة بلا متعة وبلا كفاح وبلا معنى » ٠

اجل فلو شاء الله ان يمنح الانسان كل شىء وان يجعل الطبيعة بعناصرها المختلفة رهن الارادة البشرية لفعل وهو القادر ولكنه سبحانه خلق الحياة وخلق ايضا حكمة الحياة ومناط الوجود ٠

فالجهاد بكل معانيه المعنوية والمادية هو اس الحياة وحكمتها ، والخير الانسانى هو مناط الوجود وعلة بقائه وتجدده عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل ٠

ليس صدفة اذن ان تترى كلمات محمد الهادى صلوات الله عليه مفعمة بحب الحياة وحاضة على الاحتفال بها وخوض لجتها بلا تهيب ولا عجز ولا مداراة ٠

« استعن بالله ولا تعجز »

« فاذا عزمت فتوكل على الله »

بل ليس صدفة أن حياة محمد عليه الصلاة والسلام نفسها كانت وما تزال اكمل مثال لحياة الكائن البشرى اذ يمضى فى موكب الحياة يحمل تبعة الامانة التى كلف الانسان بحملها دون السموات والارض ويحملها فى شرف وفى وداعة وفى اقدام ايضا ٠

انه يعلن ان « لا رهبانية فى الاسلام » وهو فى نفس الوقت يعيش ويتزوج ويأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، يفرح ويألم يصوم ويفطر ثم هو من قبل ذلك كله ومن بعد ذلك كله يأتى بأعجز الاعجاز ٠

وهو يعلن ايضا أن « رهبانية امتى الجهاد » ثم يفتح تعريف الجهاد لكل فرد من افراد الامة رحبا فسيحا٠٠ من جهاد بالسيف لاعلاء كلمة الحق الى كل مجالدة مقدامة للحياة وكل انتصار خير بناء على عناصرها من اجل سعادة البشر كل البشر ٠

ثم نلقيها نظرة سريعة الى عبادة المسلم والى اوامر عقيدته ونواهيها ٠ ٠ان المسلم يلزم مسجده ليقتطع من حياته دقائق معدودات يجد فيها نفسه حيث تصفو روحه حيث تشف وتحفها ملائكة الغفران والرحمة ٠٠ ثم « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض » وليس هذا فقط بل « وابتغوا من فضل الله » فهو اذن حض على مواصلة هذا الجلاد العتيد العنيد خاصة بعد ان تطهرت النفوس وزكت من الوقوف لحظات بين يدى الرحمن فى بيت الرحمن ، وهو ايضا ارتفاع بالبشرية عن القعود حتى ولو كان انقطاعا للتعبد والتهجد ، حتى ولو كان لزوما للزوايا وأعمدة المساجد ٠

ثم تأتى الدعوة الى استشراق آيات الوجود وحكمة خلقه واسرارها « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب » ٠ فعلى الفكر ان يتوهج ليتدبر ويسبر ويغوص أن استطاع ان يغوص الى باطن الارض او يحلق فى أجواز الفضاء من أجل صالح الجماعة الانسانية فلا حجر على العقل المؤمن بخالق الكون ان يحاول ما وسعه أن يستثمر آيات هذا الكون وموارده ٠

ثم يأتى درس عشناه ونعيشه جميعا فيما سلف من أيام قريبة٠٠ عشنا ايام صيام وليالى عبادة وقيام وعبر ثلاثين يوما من ايام رمضان العظيم استطاعت النفس المسلمة فى كل بقعة أن تتعلم معنى الزهد وان تعى دروس التقشف والحرمان ، هذه النفوس التى حرص الاسلام على ترويضها اذ تنظر الى الطعام فتشيح عنه واذ يساورها الايذاء والفحش من القول والعمل فترتفع عليه لابد وان تجد منطلقا للترويح الشريف عنها حتى ينتظم بذلك ميزان القصد الحكيم الذى تسير عليه حياة الفرد المسلم فى مجتمع الاسلام ٠

والعيد ٠٠ عيد الفطر هو أول معالم الطريق : فيه فرحة الانجاز انجاز ترويض النفس وتطويعها للخير والنأى بها عن مهابط الشر وفيه سعادة البذل الديمقراطى بكل معانيه لان فرصة زكاة الفطر وجوبها على كل فرد مسلم بل وجوب اخراجها فى اوقات لاتتعداها تحقق معنى المساواة التامة بين افراد المجتمع كله ٠٠ ان اخراج زكاة الفطر من كل بيت فى مجتمع الاسلام معناه ان المجتمع كلية ممثلا فى افراده عليه ان يبذل للمجتمع كله ايضا ممثلا فى الجوانب المهيضة منه واى احساس بالثقة أقوى من ذلك الاحساس الذى يشارك فيه الضعيف الباذل غيره من القادرين الباذلين واى فرحة أكبر من فرحة الشعور بالمشاركة فى الفرحة واى سعادة اغمر من أن نحس أن هناك من يعيش لحظات السعادة هذه معنا ٠

ثم أى اطمئنان يعمر قلب المسلم ويدفئه اذ يخرج من شهر رمضان وقد أحسن صيامه مغفور الذنب مقبول التوبة قوى النفس لينضم مع كل مسلم الى ذلك الركب الشريف الحثيث ٠٠ ركب الحياة الصاعد أبدا نحو المستقبل ٠

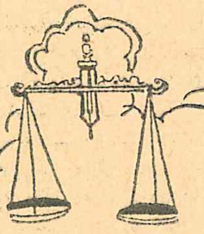

الإسلام عدالة ومساواة

فضيلة الشيخ السيد عبد الرحمن باز

روى التاريخ : أن القاضي شريك بن عبدالله العالم الذكي الأبي جلس في مجلس الحكم في مسجد الكوفة حتى اذا فرغ من اخر قضية ذات يوم . واذا بامرأة عربية تقدم عليه فتقول له : أستجير بالله . ثم بك يا نصير المظلومين ، فقال لها شريك : من ظلمك ؟ قالت: الأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين المهدى ، قال القاضي شريك : وكيف ؟ قالت كان لي بستان فيه نخل على شاطىء الفرات ورثته عن أبي ، وتقاسمته انا واخوتي . وبنيت بيني وبينهم حائطا ، واقمت في بستاني رجلا خبيرا يحفظ النخل . ويغرس في البستان ، وقضيت أعواما اقبض غلة بستاني ، وانفق منها على نفسي واولادي وأصلح من شأنه حتى صار احسن من بساتين اخوتي وأعظم غلة . ثم اشترى الامير موسى بن عيسى بساتين اخوتي ، ورغب في ان يشترى بستاني ، ورغبني وساومني فابيت أن أبيعه فهددني وتوعدني ، فلم أخش تهديده .

فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فهدموا الحائط وسووا ما بين بستاني وجاره ، فأصبحت لا اعرف نهاية بستاني ، واختلط نخلي بنخله وزرعي بزرعه ، فكتب القاضي الى الأمير هذا الكتاب .

(أما بعد) أبقى الله الأمير وحفظه واتم نعمته عليه ، فقد جاءتني امرأة فذكرت أنها فلانة بنت فلان ، وأن الأمير اغتصب بستانها أمس . فليحضر الأمير مجلس الحكم الساعة ، أو يوكل وكيلا والسلام ، ودفع الكتاب الى حرسي (حاجب) وقال له : اذهب بكتابي هذا الى الأمير موسى بن عيسى . فحمل الحرسي الكتاب وسار به الى قصر الأمير وسلمه اياه ، فلما قرأه الأمير اربد (تغير واغبر) وجهه وقال له اذهب أولا فادع لي رئيس الشرطة ، فذهب الحرسي واستدعاه ، فقال له الأمير ، الآن تمضي الى شريك القاضي وتقول له بلساني : يا سبحان الله ، ما رايت أعجب من أمرك . كيف تنصف على الأمير امرأة حمقاء لم تصح دعواها ؟

فقال رئيس الشرطة ، وهل حكم القاضي فانصفها ؟ قال الأمير ، حسبها من الانصاف أن اقف معها في مجلس القضاء ، قال رئيس الشرطة لو تفضل الأمير فاعفاني من تبليغ هذه الرسالة للقاضي فانه رجل - كما تعلم - صارم ، فقال الأمير غاضبا : امض ويلك لا تتردد فخرج رئيس الشرطة حيران في أمره ، ثم قال في نفسه ، وماذا على ان أنا بلغت رسالة الأمير للقاضي ؟ ثم عاد فقال : لكن القاضي سيتهمني بممالأته (محاباته) وبالتطفل على أمر لا علم لي به من قبل ولم يكلفني القاضي ان أكون وسيطا فيه . وأنى لي أن أعصى أمر الأمير وهو تياه (متكبر) بالامارة ، صوال (عظيم السطوة والقوة) بعمومته لأمير المؤمنين ، الرأى ان أصدع (اخبر وأبلغ) بما أمرني الأمير به وان أعد نفسي لحكم القاضي على بالحبس ، ثم أمر غلمانه أن يحملوا الى الحبس بساطا وفراشا وغطاء وطعاما وشرابا ، ومضى الى شريك ، فبلغه رسالة الأمير في كياسة وتلطف فقال له شريك ، لقد أرسلت الى الأمير حرسيا ولم أرسلك ، وطلبت منه أن يحضر ، فبعثك تحمل رسالته التي لا تغني عنه شيئا في مجلس الخصومة . فما أنت وذاك ؟

ونادى بحرسي وقال له : خذ بيد هذا ، وضعه في الحبس ، فقال رئيس الشرطة في وداعة ، لقد ظننت انك تحبسني فقدمت الى الحبس ما أحتاج اليه ، وسرعان ما ترامى الخبر الى الامير موسى ، فهاج ووجه حاجبه الى القاضي ليقول له على لسان الامير . رسول أدى

وسالة كلفه الأمير موسى أن يؤديها فأى تثريب (لوم) عليه حتى تحبس وأنت تعلم أنه رئيس شرطة الكوفة . وكان الأمير ينتظر أن يتراجع شريك فى حكمه فيـأمر باخراج رئيس الشرطة من الحبس . لـكنه فعل نقيض ما كان الأمير ينتظر ، فان الحاجب ما كان يبلغه هـذه الرسالة حتى أمر بحبسه مع سابقه ، وما لبث الأمير أن عرف الخبر حتى ازداد هياجا وأخذته العـزة بالامارة والصلف والتكبر بحسبه ونسبه وقرابته من الخليفـة المهدى ، فبعث الى جماعة من وجوه الكوفة وسراتها من أصدقاء شريك وشكا لهم ما فعل ، وقال لهم : اذهبـوا جميعا فابلغوه سلامى واعتبوا عليه انه اسـتخف (استهزأ) بى وبرسولى وهو يعلم أنى لست من العامة ولا كالعامة ، فذهبوا كلهم الى القاضى شريك وبلغـوه ما قال الأمير ، وزاد كل منهم شيئا من عنده يستميل به القاضى ويترضاه فلما أتمـوا حديثهم قال شريك لهم : ما لكم جئتم تكلموننى فى أمر لا أقدر فيه على غير الحق؟ ولماذا استعصى على الامير أن يحضر مجلس الحكم لأرى ما لهذه المرأة الضعيفة أو عليها من حق . وهل نصب القضاء للفصل بين العامة فحسب ، انه لا فرق فى العدل بين العامة والأمراء ثم قال للحرسى : امضوا بهؤلاء جميعا الى الحبس انهم فتنة .

فدهش الوسطاء وقالوا : أجاد أنت يا شريك ؟ قال : أجل حتى لا تعودوا لمساعدة ظالم ، ومضى الحرسى بهم الى الحبس مع سابقيهم . وكانت جموع من أهل الكوفة قد وفدت الى المسجد لترى ماذا يصنع القاضى بهـؤلاء الوسطاء ، فلما سمعوه يرد وسـاطتهم ويزجرهم ثم يحبسهم صاح بعضهم فى صوت جهير (عال) الله أكبر ، وانسل بعضهم من مجلس الحكم حذرا من أن تسـول للقاضى نفسه أن يحكم على من يظن من الحاضرين نصيرا للامير ، وما غربت شمس ذلكاليوم حتى كان حكمالقاضى على رئيس الشرطة وحاجب الأمير ووسطـاء الأمير قد وصل الى كل بيت وبلغ كل أذن ، فشغلت المدينة كلها بهذا النبأ . وباتت الجموع تتجادل فيه فيعنف جدالها تارة ويهدأ تارة ويعجب أكثر الناس بالقاضى العادل ، ويؤيده فيما فعل ، ويسخط عليه بعضهم ويتهمه بالشدة ومجاوزة الحد ، وبينما الناس فى جدالهم العنيف الهادىء فى تلك الليلة ، كان الأمير موسى بن عيسى قد ركب فى غلمانه وفرسانه الى باب السجن واعتدى على حراسه وفتح بابه عنـوة ، وأخـرج رئيس الشرطة والحاجب والكبراء .

فلما كان الغد وعلم الناس الخبر الجديد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، وانقلب خصوم القاضى أمس الى أنصار له ، وجهر بعض أنصار الأمير أمس استنكارهم لغلظته وغطرسته ، وشغلت المدينة كلها بالتكهن بماينتهى اليه أمر هذا الصراع ، ثم اتجه كثير من ذوى الفراغ وراغبى الاستطلاع الى مسجد الكوفة ليشهدوا مجلس القضاء وماذا يصنع شريك فى حادث أمس ، وبينما هم يتحدثون فى الامر أقبل القاضى مهيب الطلعة مرفوعالرأس وئيد (متمهل) الخطى ، فلما جلس فى مجلسـه دعا حاجبه وأمره أن يحضر قمطر (وعاء الكتب) كتبه فختمه وأرسله الى منزله . وقال لغلامه ، هات متاعى كله ، والحقنى ببغداد ، والله ما طلبنا من بنى العباس ولاية القضاء وانما هم الذين أكرهونا عليها ، ولقد واعدوناعلى أن نكون أعزة أحرارا عادلين اذا تقلدنا القضاء أماالآن ، فلا سبيل الى البقاء فى مجلس الحكم وأداء الأمانة،وخرج متجها الى قنطرة الكوفة يؤم (يقصد) بغداد ، ومنحوله جموع الناس ، ولم يكد يغادر الباب (بابالمسجد) حتى كان عيون (جواسيس) الأمير قد أسرعوا اليه بالخبر ، فارتاع وذعر ، وأسرع فركب فى فرسانه وغلمانه ولحـق بالقاضى ، وجعل يناشده الله ، ويقول له ، أيها القاضى ـ أصلحك الله ـ تثبت واصبر قليلا ، أتحبس اخوانى بعد أن حبست رسولى ؟ قال شريك ، نعم لانهم مشـوا لك فى أمر ما كان لهم أن يمشوا فيـه ، قال الأمير لا تثريب عليهم ، لانى أنا الذى أوفدتهم اليك ، فقـال شريك ، قبولهم هذه الوفادة تعطيل للقضاء وعدوان على العدل ، وعون على الاستهانة بحقوق الضعفاء، قالالامير لقد عاملتهم كماتعامل الدهماء (العامة) فغضب شريكوقال، دهماء دهماء ، اننى آنف أن أسمع هذه الكلمة أيهـا الامير ، الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، وأفضلهـم أتقاهم وأكرمهم اخلاقا ، الناس فى مجلس الحكمسواسية كأسنانالمشط لافرق عندى بين أمير كبير وامرأةضعيفة متظلمة ، فوجم الامير وقال : وماذا تريد يا شيخ القضاة؟ فقال : أريد أن ألقى أمير المؤمنين المهدى فاستعفيه من قضاء الكوفة بل من القضاء كله فخشى الامير عاقبة الامر، وقال للقاضى فى تلطف واسترضاء ، أليس عندك حـل آخر ؟ وقد عهدناك حلالا للمشكلات ، قال شريك : ترد الى السجن من أمرت بسجنهم فسرى عن الامير . وقال : سأردهم جميعا كما أخرجتهم ، فقال شريك ، والله لأبرح مكانى حتى تردهم . وعندئذ أسرع الامير فى موكبه فردهم الى السجن فى كبرياء مجروحة . وجاء السجان فأخبر شريكا بردهم ولحق به الامير فقال لشريك قد رددتهمفعد الى مجلسك . قال شريك أما الآن فنعم ، ثم أمر السجان أن يأخذ بلجام دابة الامير الى مجلس الحكم ، وجلس شريك فى مجلس قضائه واستدعى المرأة المتظلمة وقال لها، هذا خصمك قد حضر ، فقـال موسى ، أما اذا حضرت فأرجو أن تأمر باخراج المسجونين ، فقال شريك ، لك الآن ذاك ، وأمر باخراجهم ، ثم سأل الامير عما تدعيه المرأة ؟ فأجاب : صدقت . فقال له : اذن رد ماأخذت منها وتبنى حائطها سريعا كما كان ، قال الامير ، سمعا وطاعة ، فقال القاضى للمرأة ، هل بقى لك شىء ؟ قالت: لا : وبارك الله عليك وجزاك الله خيرا ، وهكذا تكون القضاة وهكذا يكون العدل والحكم ، لا يخشى القـاضى لومة لائم فى الحق . ولا يرعى فيه الا الله تعالى القائل «فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » آية ٤٨ ـ المائدة ، والقـائل فى آية ١٥ ـ الشورى « واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقـل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم » هدانا الله لما فيه الخير ووفقنا للعمل بما جاء به الـكتاب المبين على لسان النبى الامين .

شهر شوال

الاستاذ محمود لطفي عبد الكريم

لشهر شوال عند المسلمين مكان كبير ، لوقوع عيد الفطر فى أول أيامه ، ولم يكن له هذا الشأن قبل الاسلام ، وبعبارة أدق ، قبل السنة الثانية من الهجرة ، التى فرض فيها صيام رمضان .

***

وقد وقعت فى هذا الشهر حوادث ذات بال ، ولعل اهم هذه الحوادث غزوة الخندق ، أو غزوة الأحزاب ، وأهمية هذه الغزوة تاتى من المبادىء التى وضعها لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والدروس التى علمنا اياها .

***

وسنوجز الكلام عن الغزوة لنتمكن بعد ذلك من استعراض هذه المبادىء والدروس .

وقعت هذه الغزوة فى شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة على أصح الأقوال .

واليهود هم العامل الأول فى وقوعها ، وكان لهم الدور الأكبر فيها .

من المعلوم أن غزوة أحد انتهت فى السنة الثالثة بانتصار المشركين على المسلمين ، وكان أبو سفيان قد واعد المسلمين على الخروج لقتالهم فى السنة التالية ـ وهى الرابعة ـ ولكنه لم يف بوعده ، وأجل الخروج الى السنة الخامسة ، وخشى اليهود أن تخلف قريش وعدها فى هذه المرة أيضا ، فخرج بعض زعمائهم الى قريش بمكة ، يشدون من عزائمهم ، ويشجعونهم على الخروج لغزو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووعدوهم بأنهم سيقاتلون فى صفوفهم ، ثم ذهبوا الى غطفان ، وصنعوا معهم مثل ما صنعوا مع قريش ، ولم يكتفوا بهذا ، بل طافوا على قبائل العرب الأخرى لهذا الغرض ، واستجاب هؤلاء وأولئك لتحريض اليهود ، فخرجوا جميعا ، وكان جملة من وافى الخندق منهم عشرة آلاف .

وعلم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بذلك قبل وصول الأعداء الى المدينة ، فاستشار أصحابه فيما يمكن عمله ازاء هذه المفاجأة التى لم تكن قد خطرت لهم على بال ، فأشار عليه سلمان الفارسى بحفر الخندق ، وهو من فنون الحروب التى لم تكن معروفة للعرب آنذاك ، وأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بحفر الخندق ، وكان يعمل فيه بنفسه مع المسلمين ، وفوجئت قريش وحلفاؤها بالخندق يحول بينهم وبين المدينة .

ولم يقف غدر اليهود عند هذا الحد ، فقد انتهز يهود بنى قريظة هذا المأزق الذى وقع فيه المسلمون لينقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليجعلوا من أنفسهم خنجرا يطعنون به المسلمين من خلفهم ، وهم يدفعون عن أنفسهم العدو الرابض أمامهم .

واشتد الكرب على المسلمين ، وضاقت نفوسهم ، وصاروا كما وصفهم الله بقوله : (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) .

ولكن الله الذى لا يتخلى عن أوليائه رد كيد المشركين جميعا الى نحورهم ، فجعل من الظواهر الطبيعية أسلحة أيد بها المسلمين ، فالظلمة ، والريح العاصف ، والخوف ، كل ذلك قلب تدبير المشركين رأسا على عقب .

ومن تمام نعمة الله على المؤمنين ان هدى نعيم بن مسعود الأشجعى الى الاسلام فى تلك اللحظات الحرجة ، ليتم على يده تفريق جمع الأعداء ، وصدق الله العظيم اذ يقول : ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها ، وكان الله على كل شىء قديرا) .

***

ولقد آن لنا أن نستعرض بعض المبادىء التى أرساها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والدروس التى علمنا اياها فى هذه الغزوة .

فمن ذلك على سبيل المثال

١ ـ لما رأى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ شدة ضغط الأعداء على المسلمين أرسل الى رئيسى غطفان

يعرض عليهما أن يرجعا بمن معهما ، ولهما فى مقابل ذلك ثلث ثمار المدينة ، ثم استشار زعيمى الأنصار سعد ابن عبادة ، وسعد بن معاذ فى ذلك ، فقالا : يا رسول الله ، أن كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة ، وان كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه ، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا يطمعون أن يأخذوا منا ثمرة الا قرى أو بالثمن ، أفبعد أن أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ والله لا نعطيهم الا السيف ، فاستحسن رأيهما ، وقال لهما : انما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة .

وفى هذا التصرف من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ توجيه للمسلمين ، وارشاد لهم الى ما يجب أن يعالجوا به شؤونهم ، فيكون تبادل الرأى والتشاور منهجهم فيما دق وجل من أمورهم .

ولقد كان موقف سعد بن عبادة وسعد بن معاذ هو الجدير بكل مسلم يعتز بدينه ، ويؤثر الموت مع الكرامة على الحياة مع المذلة .

٢ ـ لما أرسل الله جنوده ، من ظلمة ، وريح ، وخوف ، على الأعداء أراد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يستوثق من أمرهم ، وأن يعرف ماذا سيصنعون ، فأرسل حذيفة بن اليمان ليأتيه بخبرهم ، ومعلوم أن العملية التى سيقوم بها حذيفة عملية تجسس ، تحتاج الى قوة أعصاب ، وحضور بديهة ، وقدرة على التخلص مما عسى أن يقع فيه من مآزق ، ولقد كان كل ذلك متوفرا فى حذيفة ، ولهذا اختاره ـ عليه الصلاة والسلام ـ لهذه المهمة ، فانه لما ذهب اليهم اندس فيهم كأنه واحد منهم ، ولم يفطن له أحد بسبب الظلام الشديد الذى كان يغمر المكان .

وما أن جلس حتى نهض أبو سفيان وقال : يا معشر قريش ، احذروا الجواسيس ، وليتأكد كل منكم ممن على يمينه ، وممن على يساره ، ولم تخن حذيفة أعصابه فقد أسرع فأمسك بذراع من على يمينه وذراع من على يساره قائلا لكل منهما : من أنت ؟ فقال أحدهما : أنا معاوية ، وقال الآخر : أنا عمرو بن العاص ـ ولم يكونا قد أسلما وقتذاك ـ وأخذا بهذه المباغتة ، فلم يفطنا لأمر حذيفة ، وظنا أنه من قريش .

ولما اطمأن أبو سفيان الى أنه لا يوجد بينهم جواسيس أعلن أن طول انتظارهم قد أضر بهم ، وأنه خير لهم أن يرجعوا الى بلادهم ، على أن يعيدوا الكرة فى وقت آخر أكثر ملاءمة .

وعاد حذيفة الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبلغه عزم الأحزاب على الرحيل .

والدرس الذى نستفيده من اختيار حذيفة بن اليمان لهذه المهمة ، هو أنه لا ينبغى لأولياء الأمور أن يجاملوا أحدا على حساب مصلحة الأمة ، وأن عليهم أن يضعوا كل شخص فى المكان الذى يناسبه .

فلو أن حذيفة كان ضعيف الأعصاب ، أو بطيء التفكير لارتبك حينما حذر أبو سفيان من الجواسيس ولو حدث هذا لانكشف أمره للأعداء ،ولأنزلوا به أشد العذاب ، ولما تحققت الحكمة من ايفاده ، ولكنه كان عند ظن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ به .

وفقنا الله الى اقتفاء أثر الرسول الأكرم ، والاهتداء بهديه .

نحو تنمية دينية

دور الاسلام في بناء مجتمع اشتراكي

جاء الاسلام برسالة انسانية عامة وبدين عالمى لكل عصر وجيل ، ليصلح الاوضاع الفاسدة . ويقوم المعوج من الامور ، ويضع الاسس والاتجاهات الصالحة لبناء مجتمع سليم متكامل متكافل ، فهو ثورة اجتماعية ضد الاوضاع الفاسدة ، وانطلاقة ثورية نحو الرفاهية الانسانية .

وان رسالة السماء ، التى جاء بها الاسلام . الى البشر جميعا لاتفرق بين عربى وأعجمى ، وتهدى الى طريق الانسانية ، والى تطوير المعنى الانسانى ، دفع المجتمعات ، نحو النمو والنضوج والرشد ، بالقضاء على الانانية والفردية والتفكك فى العلاقات الاجتماعية ، لتبقى للانسانية كرامتها وسيادتها .

ولا يزال الاسلام يهدى بنوره الى الصراط المستقيم بكل ماتضمنه من غايات انسانية سامية ، تتمثل فى التواد والتعاون والمحبة والوضوح والسلام .

والمجتمع الانسانى علاقات اجتماعية بين افراد تجمعهم وحدة الهدف وتضمهم صلات قوية وعمل مشترك ووجود مادى ، يتبادلون فى اطارها دفع الاضرار ، وتحقيق المنافع .

ويتميز مجتمع عن مجتمع آخر بعلاقاته الانسانية ويطلق على الفرد فى مثل هذه المجتمعات بانه انسان اجتماعى ، وهو يختلف عن الانسان الاخر بالبعد عن فرديته وأنانيته ويشارك بخصائصه الانسانية فى تحقيق اهداف مجتمعه .

والمجتمع السليم يتصف دائما بالانسانية فى جوهرها وصميمها وأهدافها وتقاس قيم المجتمع السليم بمستوى احترام المجتمع للانسان المواطن .

ولقد ضرب الاسلام الكثير من المثل الرائعة على كيفية احترام الانسان وتأكيد كرامته وحماية المجتمع وحسن توجيه ابنائه ، وقام بتحديد مسئولية المجتمع ككل نحو اعضائه مما يوفر لهم الكفاية والعدل ، مبتدئا بحقوقهم فى بيت المال ومتدرجا بهم حتى جعل امرهم شورى بينهم وبهذا كان المجتمع الاسلامى مجتمعا متماسكا ويعتبر افراده كالجسم الواحد اذا تداعى منه عضو استجاب له باقى الاعضاء بالسهر والحمى .

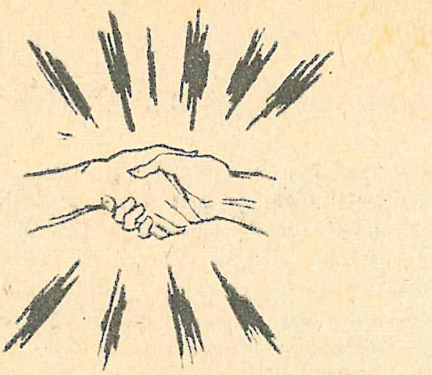

الدكتور أحمد كمال أحمد

ولقد عرف الانسان طريقه الى التجمع حفاظا على حياته ومصالحه ، وتمكينا لصراعه ضد الاخطار ، وجاء الاسلام فعمق مفاهيم التضامن والتكافل الاجتماعى ونجح الى ابعد الحدود فى ايجاد مجتمع يتكون من افـــراد كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا ومن بينات الحق التى يتميز بها الدين الاسلامى فى بناء قواعده واحكامه انه وضع نظاما شاملا قابلا للتطور من اجل تحقيق مطالب الحياة الانسانية الكاملة ، فى كل عصر وفى كل بيئة • وبلغ من مرونة اتجاهاته واتساع قواعده انه لم يشأ ان يتحكم فى ظرف المستقبل المتغير بوضـــع احكام تفصيلية للاحداث المتغيرة ، وقـــد بين القرآن الكريم كما بينت السنة ان الاسلام دين الفطرة •

وقال تعالى :

« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها »

وقال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة » ولذلك كانت شريعة الاسلام ميسرة للتعامل لان عقائدها وتقنينها وآدابها على اتساق تام مع طبيعة الانسان ، وعلاقاته بظروف وجوده ومجتمعه • وقـــد تنبه الى هذا المعنى شيخ الاسلام ابن القيم فقـــرر القاعدة الفقهية وهى « ان شرع الله لاينافى قـــدر الله » اى الفطرة الانسانية ، لان خالق الطبيعة هو واضع الشريعة • كذلك دعى الاسلام المجتهـــدين الى الاستهداء بحكم الفطرة فى وضع الفقه والاحكام الشرعية ومن هنا نشأت فكرة الاجماع واعتباره مصدرا اساسيا من مصادر الشريعة لاثبات الاحكام • ويتجلى لنا فى ذلك ان الاسلام دينى انسانى لايقف عقبة فى سبيل تقدم الامم حتى قال بعض الفقهاء « اينا تكون المصلحة فثم دين الله »

ومضمون الرسالة السماوية التى جعلت من الاسلام دينا صالحا لكل زمان ومكانودولة كاملة لايتضمن العقيدة الدينية فحسب أو النظام الاخلاقى فقط بل ان الاسلام يمثل لنظام اجتماعى شامل يحدد علاقات الانسان بربه وبنفسه وعلاقات الانسان العديدة بالمجتمع واعضائه •

هذا والعكوف على تراث الماضى دون اهتمام بتنميته وتطويره ، جمود وتأخر يعوق كثيرا حركات التقـــدم وثورات التطور الانسانى ويتعارض حتما مع مضـــمون الرسالة السماوية •

وهناك فارق واضح بين الشريعة والفقه ويجر الخلط بينهما الى شطط كبير لان مخالفة الشريعة قد تؤدى الى الالحاد والكفر ولكن الخطأ فى الفقه عن اجتهـــاد لاضرر فيه ولا شر • وفى القول المأثور « من أصاب له اجران ومن أخطأ فله اجر واحد »

والشريعة هى كل ما انزله الله من الدين والاحكام فى القرآن الـــكريم وكل ماجـــاء فى ســـنة رسوله عليه الصلاة والسلام من المعتقدات المتصـــلة بالله عز وجل وصلته بالانسان والدار الآخرة •

والقرآن الكريم لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه تنزيل العليم الحكيم وفى رواية عن سيدنا على ابن ابى طالب رضى الله عنه انه « يذكر انه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « ستكون فتن كالليل المظلم •• قلت : يارسول الله ؟ وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تعالى وسنة رسوله فيـــه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم . وحكم مابينكم ، هـــو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصم الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله •• من حكم به عدل ، ومن عمل به اجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم »

والقرآن الكريم يتضمن الاحكام التشريعية تضمنـــا كلى وعام ومن ثم كانت الحاجة الى سنة رســـوله الكريم • ومن امثلة دلالة القرآن على الاحكام على نحو كلى وعام •

قوله تعالى فى سورة البقرة « واحل الله البيع وحرم الربا » فهذا نص يدل على حكم عام ولكنه لم يتضمن الشروط التى يجب ان تتوافر فى صفقات البيع وعقوده لتكون صحيحة • كما لم يوضح متى يكون الربا حقيقة ربا ، وما هى الاموال التى يجرى فيها الربا ويكـــون محرما • وكل هذه المسائل يمكن توضيحها بالســـنة الشريفة ثم بعد ذلك فى اجتهاد الفقهاء اذا لم يجدوا لها فى السنة بيانا واضحا •

ولا عجب فى ذلك فان رسول الله فى احاديثـــه وأفعاله وتقريراته لم يكن الا معلما للمؤمنين وموجهـــا وهاديا لهم •

« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رســـولا من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ومن هذا يتضح ان الحكمة هى السنة الشريفة كما ذكر الامام الشافعى • وهذا لايمنع ظهـــور جماعة او افراد يقولون « حسبنا القرآن وقد نزل بلســـان عربى مبين يفهمه الناس كافة »

« وما فرطنا فى الكتاب من شىء » وهـــذا القول ظاهره حق وحقيقته باطلة لان تفسير القرآن الكريم وفهمه والاحاطة به لايتيسر لجميع الناطقين باللغة العربية وقد قال الله تعالى :

« وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » • لقد امرنا الله تعالى فى القـــرآن الكريم بالصلاة وجعلها فرضا الا انه لم يجىء فى القرآن بيان بأوقاتها ولا عدد صلوات كل منها ولا عدد ركعات كل صلاة او كيفية ادائها وجاءت السنة النبوية الشريفة فأوضحت كل ذلك ، وقال الرسول الكريم •

« صلوا كما رأيتمونى أصلى »

كذلك فرض الصوم وجاء فى القرآن الكريم

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام اخر »

وقد بين لنا الرسول الامين المراد من الشهر . قمرى لا شمسى ، وكيفية الصوم من الفجر الى الغروب وبين حكم المفطر ناسيا أو عمدا ، الى غير ذلك من الاحكام .

وكذلك فرض بنص القرآن الكريم الزكاة . ولكن السنة هى التى أوضحت نصاب الزكاة وحددت المقادير الواجب اداؤها .

والحج فرض فى القرآن الكريم وجاءت السنة ببيان كيفية الاحرام والمحظورات وكيفية السعى بين الصفا والمروة وعدد مراته وزمن الوقوف بعرفة حتى صار الحج معرفا لنا كما قام به الرسول .

أما الفقه فهو العلم الذى يتناول الانسان وتصرفاته وعلاقاته سواء فى هذا ، العبادات أوالمعاملات والعلاقات ولذلك فان اكثر احكام الفقه تستنبط بالرأى والاجتهاد ويجوز فيها الاختلاف والتطوير ولا يمكن ان يحكم على من يخالف فقيها فيما ذهب اليه من رأى أو فكر ، بالكفر والالحاد .

ولقد نبع الفقه الاسلامى متدرجا متطورا ينمو ويتقدم بمضى الايام ويزداد وضوحا بالاجتهاد. والعمل متأثرا بأوضاع وأحكام وتقاليد المجتمعات الاسلامية المتغيرة الاوضاع . ولقد اقر الاسلام كثيرا من المعاملات التى وجدت قبل ظهوره ورأى الاسلام صلاحيتها فأبقاها وحرم بعض ما وجد ، لضرره بالانسان ومجتمعه . كما تناول البعض الآخر بالتغيير فأصلح الاوضاع الفاسدة وقوم المعوج من الامور ووضع للحياة مايضمن لها الاستمرار على قواعد وأسس صالحة تبنى بها المجتمع وتخرج الناس من الظلمات الى نور الهدى والسلام

ان الشريعة الالهية الخالدة صالحة حقا بأصولها لكل زمان ومكان ولكنها بحاجة الى مجتهدين من الفقهاء

والعلماء يفهمونها ويمعنون فيها ثم يعرضونها صالحة للتطبيق فى كل عصر أما العكوف على تراث الماضيين والسلف الصالح ونقله دون تنمية دينية وتغيير مناسب وتطوير لازم لتحقيق مصالح المسلمين فى كل عصر ومكان ثم رمى كل من يحاول الاجتهاد والتجديد فى الفقه بالالحاد والكفر فان هذا وقف للمعقول عن العمل واثارة للرأى العام على الدين وشريعته قد تؤدى الى الطفرة والجموح وطرح الماضى بلا قيد أو شرط وفى هذا خطر أى خطر ـ لقد حاولت أوربا بعد الحروب الصليبية الطاحنة وبفضل الاتصال بالاسلام والمسلمين أن تتخلص من نفوذ الكنيسة،فالتزمت فكانت الثورات الدامية لمحاولة تخفيف الالتزام بتوجيه الكنيسة فى المعرفة والبحث مما بعث النهضة العلمية الاوروبية وظهرت فى المجتمع الاوروبى عدة ظواهر تعتبر من مقومات مجتمعهم الحديث هى :

ظهور القانون الوضعى وبرزت معه ملكة الفقه والتشريع .

ظهور العلم الحديث وبرز معه نمو الصناعة .

وفى الاسلام لم ينب الله احدا ليكون نائبا عنه على أرضه ، حتى يكون لقوله من القداسة مالكتاب الله ووحيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان بشرا وظل بشرا ومات بشرا

« قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد »

« قل سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا » ولا شك ان خلفاء النبى من بعده ، أقرب من البشرية منه ، ولم يسلم واحد منهم من النقد ولم تسلم حكوماتهم من المعارضة فأبو بكر رضى الله تعالى عنه يقول يوم ولى الخلافة « أيها الناس ، فانى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فاعينونى وان اسأت فقومونى » . وقد وقف عمر بن الخطاب فى خلافته على المنبر ينهى الناس عن المغالاة فى المهور فقامت امرأة وقالت كيف تنهى عن ذلك وقد قال الله تعالى :

« وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا »

فقال رضى الله عنه « اصابت امرأة واخطأ عمر » وكذا معارضة عثمان وما قامت به جماعة الخوارج والشيعة .

ان الجمود من سمات الموت وان الحركة من الصفات الاولى للحياة والتطور سنة الوجود والقانون الذى يقف جامدا امام أحداث الحياة ومشاكلها يحكم على نفسه بالنهاية والفناء وقد قدم لنا الفقه الاسلامى اكثر من دليل على انه تشريع حى صالح متطور ومتقدم ونام فى حدود اصول الهية عامة ، والقرآن الكريم نفسه قد نعى فى كثير من اياته على التقليد والمقلدين وكان دائما حربا على الجمود وعلى القديم لانها من أكبر العقبات أمام التقدم والاصلاح والمجتهدين ، وقد نهى الامام أبو حنيفة وغيره عن التقليد بلا دليل .

ان الاحداث الكبيرة تهز مجتمعنا العربى من اعماقه وتشد تطلعات الشعوب العربية نحو الغد المرتقب بكل مافيه من حرية واشتراكية ووحدة وان كثيرا من المشكلات يتطلب حلولا صالحة للازمنة التى ظهرت فيه تتفق مع الكتاب والسنة . ولم تعرف كثير من هذه المشكلات فى الماضى فكيف يمكن أن نطالب بالاثبات بنص من الكتاب والسنة مباشرة ـ أن الاجتهاد فى الفقه أمر ضرورى لاسيما فى مرحلة البناء والتطور التى نحياها وان اغفالنا تطورالزمن والتغيير الاجتماعى السريع جمود قاتل وتخلف لمجتمعنا عن عجلة الزمن الذى تدور دائما بسرعة زائدة ويكفينا مانعانيه بسبب ماحدث قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من تخلف زمنا طويلا .

ان المجتمع الاسلامى مجتمع حر فاضل كريم تسوده المحبة والاخلاص والود والتفاهم لان الاسلام دين الانسانية يصلح كل الصلاحية لجميع البيئات وكل الازمنة ولم يكن الاسلام فى يوم من الايام دعوة الى الانعزال عن الحياة والى الجمود ولكنه سيظل دائما دعوة الحق والانسانية والحرية والكرامة والامن . والمجتمع الذى آمن بالله ورسوله وانبيائه هو مجتمع يحركه دافع الضمير وصالح المواطنين .

ان مجتمعنا يؤمن بالله ايمانا لايتزعزع وبرسله وبرسالاته المقدسة التى بعثها الله بالحق والهدى الى الانسان وان القيم والاتجاهات والمبادىء والاحكام النابعة من الاسلام وتشريعاته وفقهه قادرة على تحقيق رفاهية مجتمعنا العربى وتقدمه فى مرحلة تطوره وتقدمه الحالى .

عبد الناصر صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

فى مؤتمر القمة الافريقى الثالث

« ان شعبنا يعيش على الباب الشمالى الشرقى لقارة أفريقيا المناضلة وهو لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى والاقتصادى » .

« اذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة افريقية ويؤمن بتضامن آسيوى أفريقى » .

(الميثاق)

اذا كان لنا اليوم أن نتحدث عن مؤتمر القمة الافريقى الثالث الذى انعقد فى آكرا عاصمة غانا فى الفترة من ٢١ الى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٦٥ ، فانه لابد لنا كبداية أن نشير الى القرار الجماعى المبكر الذى اتخذه أقطاب افريقيا بشأن روديسيا . فقد أنذر المؤتمر بريطانيا وحكومة الاقلية البيضاء باتخاذ اجراءات سياسية واقتصادية هامة ضدهما اذا ما أعلن الاستقلال من جانب الاقلية البيضاء ، وأعلن المؤتمر أن الدول الافريقية ستمد شعب روديسيا الافريقى بمختلف المساعدات للوقوف فى وجه الاقلية البيضاء ، كما طالب الامم المتحدة بالتدخل لوقف اعلان الاستقلال فى روديسيا من جانب واحد ، كما أعلن المؤتمر فى قراره أن الدول الاعضاء ستستخدم جميع الوسائل بما فى ذلك القوة ضد اعلان هذا الاستقلال وأنها ستقدم المعاونة القوية لشعب « زيمبابوى » الافريقى لاقرار حكم الاغلبية . وفى هذا المجال قال صانع السلام أمام المؤتمر « أن خطورة الموقف فى روديسيا يشابه ما حدث فى فلسطين » مشيرا بذلك

الى مسئولية بريطانيا السابقة فى فلسطين وكيف أنها تركتها للمستوطنين الصهاينة الذين أتوا من الخارج وتحدث عن احتمال نشوء مثل هذا الموقف فى روديسيا .

وقد وضع الرؤساء الافريقيون - أعضاء المؤتمر - قراراتهم موضع التنفيذ ، عندما أعلن الاستقلال من جانب واحد فى روديسيا . فسارعت كل من الجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا ومالى وتنزانيا والصومال والسودان والكونغو برازافيل والجزائر الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا « لانها الدولة الحاكمة - المسئولة فى الاصل - عن الموقف فى روديسيا » ، خصوصا وأن هارولد ويلسون - كما وصفه الرئيس الغينى سيكوتورى - هو أكبر رأس فى الدول الاستعمارية ، وأيضا - كما قال الرئيس العربى عبد الناصر « ان بريطانيا لم تتخذ اى اجراءات رادعة ضد حكومة أيان سميث »

وهذا هو تطبيق عملى وسريع لقرار المؤتمر الذى كان قد ناشد فيه جميع الحكومات والمنظمات الدولية - فى حالة صدور اعلان الاستقلال من جانب واحد - أن ترفض الاعتراف بحكومة الاقلية الاوربية وأن تطبق عليها العقوبات المختلفة . وهذا الاجراء أيضا هو تحقيق لتوصية المؤتمر الدول الاعضاء « باعادة النظر فى العلاقات السياسية والاقتصادية بينها وبين بريطانيا اذا قبلت استقلال روديسيا على أساس حكم الاقلية »

ان هذه الخطوات الفعالة الحاسمة تعكس روح مؤتمر القمة الافريقى الثالث التى عبر عنها الرئيس الغانى نكروما بان « أفريقيا للافريقيين » وانهم لن يسمحوا لاية دولة أجنبية بالسيطرة على أية دولة أفريقية أو بالتدخل فى شئونها ، كخطوة نحو تحقيق الوحدة الافريقية والتضامن الافريقى .

وهذا الموقف من المشكلة العنصرية فى روديسيا يدفعنا الى معالجة المؤتمر لمشكلة التفرقة العنصرية فى أفريقيا . فقد تضمنت قراراته قرارات من أجل تحرير أفريقيا فى أسرع وقت ممكن واعتبار التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا تهديد للاستقرار والسلام فى العالم ، وليس فى أفريقيا فحسب ، وطالب الامم المتحدة باتخاذ اجراءات فعالة ضد حكومة جنوب أفريقيا بسبب سياستها العنصرية الهدامة . كما أهاب القرار بحكومات بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية بالامتناع عن مواصلة تدعيمها الاقتصادى لدولة جنوب أفريقيا العنصرية .

وهكذا أكدت هذه القرارات نجاح المؤتمر الذى يعتبر ضربة قاصمة للمستعمرين وعملائهم ، وخطوة كبيرة نحو تحقيق السلام فى القارة الافريقية وفى العالم ، وخصوصا بعد المحاولات العديدة التى بذلها المستعمر والجهد المستميت الذى صرفه من أجل تعطيل المؤتمر أو نسفه من الداخل ، ولكن الفشل كان نصيب هذه المحاولات والجهود كلها . وهكذا تمكن المؤتمر من الاحتفاظ بوحدة أفريقيا - بل وبدفعها دفعة قوية الى الامام - رغم جسامة التحديات التى واجهها ورغم صعوبة المشكلات التى وضعت فى طريق نجاحه .

وعند هذه النقطة لا نغفل قرارين هامين اتخذهما المؤتمر اولهما لتصفية الجو الافريقى حرصا على دعم الصلات الاخوية التى تجمع بين الدول الافريقية فتعهد الرؤساء بالاجماع بعدم السماح بأى عمل تخريبى تقوم به الدول الاستعمارية داخل أفريقيا ، وتعهدوا أيضا بالتشاور الثنائى أو الجماعى لتسوية الخلافات التى قد تنشأ بين دولتين أو أكثر استجابة لدعوة صانع السلام الى « عقد اجتماعات للاطراف المتنازعة أو عقد اجتماعات ثنائية لان العبرة ليست بالكلام وانما هى بالاخلاص فى التنفيذ » .

وتضمن القرار سبع نقاط تهدف الى تدعيم الصلات الاخوية التى تجمع بين الدول الافريقية والامتناع عن مواجهة أى موقف بحملات الاذاعة والصحافة . كما تعهد الرؤساء أيضا بالالتجاء الى الاجراءات المنصوص عليها فى الميثاق وبروتوكول المنظمة الخاص بالوساطة والتوفيق والتحكيم . وتعهدوا بالاضافة الى ذلك بعدم السماح باثارة المشاكل الدينية أو العنصرية ومراعاة القانون الدولى العام فى المسائل المتعلقة بجميع اللاجئين السياسيين من رعايا اية دولة فى المنظمة وايضا تأمين سلامة اللاجئين من الاقاليم الافريقية غير المستقلة ومساندتهم من أجل تحرير بلادهم .

وقد فوض الرؤساء الافريقيون فى قرارهم الثانى الرئيس جمال عبد الناصر حل مشكلة اللاجئين وتركوا له اختيار اللجنة التى تعاونه فى حل هذه المشكلة على أساس « تأكيد الرؤساء الافريقيين لرغبتهم فى العمل بكافة الوسائل لتقديم المعونة للاجئين الافريقيين على أساس انسانى وأخوى » .

وقبل أن نصل الى آخر قرارات هذا المؤتمر وهو الخاص بدراسة مشروع الرئيس نكروما لانشاء جهاز تنفيذى للمنظمة . نشير الى الدور الكبير الذى لعبه صانع السلام فى هذا المؤتمر بفرض اتجاهه وتحقيقه للامال الافريقية الكبرى التى كانت معقودة عليه . وقد تحدثت عن ذلك الدور وكالة انباء أجنبية هى وكالة رويتر فقالت « ان الرئيس جمال عبد الناصر بذل كل نفوذه من أجل دعم منظمة الوحدة الافريقية التى يؤمن بها الرئيس من كل قلبه » . ولا يفوتنا هنا الاشارة الى حرص الرئيس جمال عبد الناصر على اتخاذه موقفا حازما من سفير اسرائيل ، مؤكدا بذلك أمام كل الشعوب الافريقية أنها سوف تجد نفسها مضطرة دائما للاختيار بين اسرائيل والدول العربية .

وقد قام الرئيس الغينى أحمد سيكوتورى فى المؤتمر بشرح الدور التخريبى الذى تقوم به مكاتب الدعاية الاسرائيلية فى أفريقيا ضد العرب ، ولفت نظر الاعضاء الى أن هذا التخريب ليس موجها الى العرب وحدهم وانما هو موجه ضد الوحدة الافريقية أصلا وأساسا ،

وقال ان اسرائيل هى الواجهة التى يتخذها الاستعمار ستارا له لانه لا يستطيع أن يعمل فيها مباشرة ومكشوف الوجه .. وهكذا أتيحت الفرصة للفت أنظار رؤساء أفريقيا الى الخطورة التى يشكلها تغلغل اسرائيل فى أفريقيا تحت ستار المعاونات الاقتصادية أو العسكرية ، أو بنشرها خلف منظمتها العمالية «الهستدروت» .

وأخيرا اتخذ المؤتمر قرارا بالاجماع يدعو الدول الافريقية الاعضاء الى دراسة مشروع الرئيس الغانى نكروما بشأن انشاء جهاز تنفيذى للمنظمة على أن تقدم الدول الاعضاء وجهات نظرها فى هذا المشروع الى المؤتمر القادم الذى سوف يعقد فى شهر نوفمبر سنة ١٩٦٦ بأديس أبابا وذلك « لان تقوية المنظمة ونشاطها هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق آمال الافريقيين الذين لايزالون حتى الان يناضلون فى سبيل حريتهم واستقلالهم » .

ولا يسعنا فى نهاية هذه الكلمة الا أن نتذكر كلمات الرئيس الغينى سيكوتورى التى عبرت عن أهمية هذا المؤتمر وحيويته بالنسبة للعالم الافريقى حين قال : أن القرارات التى اتخذها المؤتمر لا تمثل فقط أصوات الثمانى والعشرين دولة التى حضرت دورة انعقاد المؤتمر ولكنها تمثل الرغبة الافريقية فى تحقيق الوحدة والتقدم والرفاهية لجميع شعوب أفريقيا كافة ، وهذا ما سوف يتحقق فى المدى القريب العاجل باذن الله .

بعض الشعوب العربية في القرآن الكريم

الدكتور خليل يحيى نامي

ذكرت شعوب كثيرة فى القرآن الكريم مثل عاد وثمود واصحاب الأيكة ، واصحاب الرس واصحاب الفيل وأصحاب الأخدود ، وغيرهم من الشعوب العربية الأخرى ، وتوسع علماء العرب فى الكلام عن تلك الأمم ، غير أن معظم ما قيل من أخبار عنها مملوء بالاسرائيليات ، والمبالغات ، وقد اهتم العرب بتاريخ تلك الجماعات وبخاصة تاريخ اليمن لأسباب منها :

أولا : ذكر أسماء تلك الشعوب فى القرآن الكريم .

ثانيا : تطلع العرب الى معرفه اخبار الامم البائدة .

ثالثا : حب العرب للفخر بمجد آبائهم وأجدادهم .

ونذكر فيما يلى بشيء من الايجاز تاريخ بعض الشعوب العربية التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم :

١ ـ قوم عاد

هم بنو عاد بن عوص بن أرم بن سام ، وهم من العرب العاربة أو البائدة ، وقد جاء ذكرهم فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ، ونذكر على سبيل المثال ما جاء فى سورة الأحقاف آية ٢١ « **واذكر اخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف** » ، والأحقاف هى بلاد بظاهر أرض اليمن كانت عاد تنزل بها ، وهى بين اليمن وعمان ، وحضرموت والشحر ، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى اليهم النبى هودا . ومما هو جدير بالذكر أن قبر النبى هود مشهور بحضرموت ، ويحج اليه عدد غفير من الحضارمة فى نصف شعبان من كل عام .

٢ ـ بنو ثمود

بنو ثمود هم أولاد جاثر بن ارم بن سام بن نوح ، وهم من العرب العاربة أو البائدة أيضا ، وقد حدثنا القرآن الكريم فى أكثر من موضع عن ثمود ، منها ما جاء فى سورة هود آية ٦١ وهى « **والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** » . سورة الفجر آية ٩ وهى « **وثمود الذين جابوا الصخر بالواد** » . وأرسل الله ـ عز وجل ـ الى قوم ثمود النبى صالحا ، وتنسب اليه مدينة مدائن صالح الواقعة بشمال الحجاز ، وهى مشهورة ببيوتها المنحوتة فى الصخر .

ووجدت الكتابات الثمودية فى العلا ومدائن صالح والطائف بالعربية السعودية ، كما وجدت أيضا فى بعض بلاد شرق الأردن ، وفى الجمهورية العربية المتحدة، وفى جمهورية اليمن ، وفى حضرموت . ولم تعرف لأهل ثمود مملكة ولا دولة ، ولم يكن الثموديون غير جنود فى جيوش الأمم المتحضرة المحيطة بهم ، أو رعاة أبل ، أو ادلاء للقوافل التجارية المخترقة بلاد العرب من جنوبها الى شمالها وبالعكس . ويرجع تاريخ الثموديين من القرن الثامن قبل الميلاد الى القرن الخامس الميلادى .

٣ - اليمن

أطلق اليونان والرومان اسم البلاد العربية السعيدة على بلاد اليمن لخصوبة أراضيها التى تتساقط عليها الأمطار الغزيرة ، وكذلك لغناها المفرط اذ كانت محتكره فى القديم تجارة الصين والهند وشرقى أفريقيا ، وبلاد العرب من بخور وطيب وتوابل ومنسوجات حريرية وعاج وأحجار كريمة وذهب وفضة ونحاس وأخشاب ، وكانت تنقلها من جنوبى الجزيرة العربية بطريق البر والبحر الى بلاد العراق ومصر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى وجزر اليونان كما يتبين ذلك من الكتابات والآثار التى وجدت فى بلاد اليمن ومصر وجزر اليونان .

وذكر اليمن فى القرآن الكريم فى ستة مواضع يستطيع الباحث أن يتبين منها أربعة عصور تاريخية لبلاد اليمن ، وهذه العصور هى :

العصر الأول - مملكة سبأ

مملكة سبأ هى المملكة التى أسسها شعب سبأ ، وقد نسبه علماء الأنساب العرب الى سبأ وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وسمى سبأ لأنه أول من سبى الناس، وجاء ذكر سبأ فى القرآن الكريم فى سورتين هما سورة النمل وسورة سبأ . أما فى سورة النمل فقد جاء ذكر سبأ فى الآيات الكريمة ٢٢ ، ٢٣ و ٢٤ ونصها كما يلى : « **فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ، انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** » . **وذكرت أيضا فى الآيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ من تلك السورة، وهى بنصها كما يلى : « قالت يأيها الملا أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ، قالوا نحن أولوا قوة وأولوا باس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين ، قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، وانى مرسله اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون » . وذكر شعب سبأ فى الآيتين ١٥ ، ١٦ من سورة سبأ ، وهما بنصهما كما يلى : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم » يتبين من الآيات الكريمة السالفة الذكر عدة أمور نذكر منها ما يلى :**

١ - أن بنى سبأ كانت لهم مملكة قويه فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وكانت هذه المملكة على جانب عظيم من القوة والبأس والمنعة .

وأوتيت ملكتهم من كل شىء يحتاج اليه الملوك فى ترفهم ، ولها سرير ملك عظيم قيل انه من ذهب وفضة ، ومكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ، وقوائمه لؤلؤ وجوهر ، وكان مسترا بالديباج والحرير .

٢ - كان لهذه الملكة مجلس شورى وقيل فى احدى الروايات انه كان لها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا هم أهل مشورتها ، كل رجل منهم على عشرة آلاف .

٣ - رأت ملكة سبأ أن ترسل الى النبى سليمان بهدية كدلالة على حسن شعبها فى مصافاته ، وكانت الهدية كما يقال فى احدى

الروايات عبارة عن وصيفات من الذكور والاناث وخمسمائة لبنة من الذهب وتاج مكلل بالجوهر ومسك وعنبر وغير ذلك من الهدايا الثمينة مع رسول بكتاب .

٤ ـ كانت عاصمة سبأ وهى منطقة مأرب مملوءة بالبساتين والأشجار والثمار التى تؤتى أهل سبأ رزقا حسنا فأعرضوا عن شكر الله وكفروا بنعمته فأرسل عليهم سيلا عارما أى شديدا ، وقيل العرم هو السد أى سيل السد العرم ، وقيل هو وادى سبأ كانت تجتمع اليه مسايل من الأودية فردموا ردما بين جبلين ، وجعلوا فى ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الأعلى ، ثم من الثانى ، ثم من الثالث على قدر حاجاتهم ، فأخصبت أراضيهم وكثرت أموالهم .

يتبين لنا من الحقائق التى ذكرناها ، وكذلك من النقوش والآثار اليمنية القديمة أن مملكة سبأ كانت فى القرن العاشر قبل الميلاد وما بعده لها السيادة على جنوبى بلاد العرب ، وشرقى افريقيا ، كما كانت دولة عزيزة الجانب ذات ثراء عظيم ، وكانت تقوم بنقل التجارة عن طريق البر والبحر من جنوبى بلاد العرب الى شمالها والى بلاد البحر الأبيض المتوسط بمعاونة الممالك اليمنية القديمة الأخرى الخاضعة لسيادتها كالحضرمية والقتبانية والمعينية . وكانت هذه الحكومات لها دور ندوة يجتمع فيها ملوكها ورؤساء كهنتها ، وكبراؤها ، وأولو الحل والعقد فيها لكى يتشاوروا فى أمور حكوماتهم . وتحكمت تلك الحكومات فى مياه الأمطار المتدفقة من جبال اليمن على أراضيها ، فبنت السدود لتوزيع مياه الأمطار على سهولها الزراعية ، وكان سد مأرب الباقية آثاره حتى اليوم بمدينة مأرب من أعظم هذه السدود ، وقد درس العلماء هذا السد فتبين لهم أنه كان يروى أكثر من أربعة آلاف من الأفدنة ، وأن محرم بلقيس والمنطقة المحيطة به والمجاورة له هى الجنة التى عن يمين وادى ذنة ، كما كانت مدينة مأرب الحالية والمنطقة التى تجاورها هى الجنة التى عن شمالى الوادى ، وهاتان الجنتان هما المذكورتان فى القرآن الكريم .

وظهر للعلماء من دراسة السد أيضا أن بناءه كمل فى عدة مراحل تاريخية مختلفة كما توضحه النقوش المكتوبة عليه ، وكذلك تصميمات بنائه وفتحاته الموجودة آثارها حتى اليوم ، وخرب السد وجدد بناؤه عدة مرات حتى انكسر وخرب تماما فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى .

وتحدثنا الكتابات اليمنية القديمة أن المعينيين الذين كانوا يسكنون فى جوف اليمن وكانت جماعات منهم تقيم فى مدينة العلا وفى أرض مصر ، وقد وجدت كتابات معينية عديدة فى ناحية العلا بشمالى الحجاز ، كما وجد نقشان معينيان ، أحدهما فى سقارة بالجيزة والآخر فى صعيد مصر . وكان المعينيون يتجرون مع المصريين والسوريين والآشوريين واليونان ، وقد وجد نقشان فى جزيرة ديلوس ببحر الارخبيل ببلاد اليونان ، أحدهما مكتوب باللغة المعينية والآخر بالحضرمية ، ويرجع تاريخ هذين النقشين الى القرن الثالث قبل الميلاد ، كما أن العطور المعينية قد ذكرت لأول مرة فى بردية مصرية يرجع تاريخها الى سنة ٢٦١ قبل الميلاد .

وتدهورت الحالة الاقتصادية لبلاد اليمن بسبب طمع اليونان والرومان فى الثروة المتدفقة على أهل اليمن من تجارة البخور والتوابل وتجارة الهند والصين وشرقى أفريقيا فغزا اليمن القائد الرومانى اليوس جالوس فى سنة ٢٤ قبل الميلاد ، وقد باءت تلك الغزوة بالفشل والخسران ، وأخذ اليونان والرومان من قبل ذلك التاريخ يرسلون سفنهم التجارية عن طريق البحر الأحمر الى بلاد البخور والتوابل وبلاد الهند لنقل السلع التجارية ، واستطاع الرومان فى القرن الأول الميلادى السيطرة على الطريق البحرى ، فتدهورت الحالة الاقتصادية لبلاد اليمن ودب الضعف والوهن فى كيان الحكومة السبئية فأخذت الوحدة السياسية لبلاد اليمن تتفكك ، وقامت

فى جبال اليمن فى الفترة الواقعة بين القرن الأول الميلادى ونهاية القرن الثالث الميلادى حكومات مختلفة كانت تنازع ملوك سبأ السلطان كبنى بتع فى حاز وما يجاورها وقد إستولت على مدينه حقه ومخلاف مأذن وحملان وبيت خولان ، وأول من تولى منهم ملك سبأ كان فى سنة ١٢٠ م ، واستولى الهمدانيون على تلك المنطقة فى سنة ١٥٠ م ، وقد عرفوا منذ ذلك التاريخ باسم بتع وهمدان ، واتخذوا ناعط عاصمة لهم ، وكانت من مدنهم أكانط وذبيان وحضور ومدر وحدقان ، وتولوا ملك سبأ من سنة ١٦٠ حتى قبيل سنة ٢٠٠ م . وكانت هاتان الحكومتان من بنى حاشد بن همدان . وقامت حكومة بنى ذى جرة فى ناحية سنحان وتحصنت فى جبل كنف ، وكانت مدينة صنعاء وغيمان من بلادها ، وقد تغلب عليهم بنو مرثد وهم من قبيلة بكيل ابن همدان الذين أسسوا حكومةلهم فى غربى بلاد همدان وبنى بتع ، وكانت عاصمتهم فى شبام اقيان ، كما كانت مدينة ريدة وشهر وعران وكوكبان من بلادهم ، وقد استولوا فى الفترة الواقعة بين سنة ٩٠ م وقبيل سنة ٢٤٠ م على مأرب وبلاد الحميريين عدة مرات . وقد سقطت حكومة قتبان فى سنة ١٤٠ م فى أيدى الهمدانيين .

وكانت بعض هذه الحكومات التى ذكرناها تحارب حكومة سبا بتضافرها مع الأحباش الذين احتلوا الجزء الأكبر من ساحل اليمن فى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى حتى الربع الأول من القرن الثالث الميلادى ، وقد احتلوا ظفار عاصمة الحميريين غير أن الملك الهمدانى ، شاعر أوتر ملك سبأ وذى ريدان طردهما بمساعدة الحميريين من ظفار وبلاد حمير ، كما طردهم الملك البكيلى الشرح يهضب الثانى من بلاد اليمن فى سنة ٢٢٥ م ، وكانت شرقى أفريقيا فى ذلك الوقت تابعة للحميريين .

العصر الثانى - قوم تبع أو الحميريون

جاء ذكر قوم تبع فى القرآن الكريم فى موضعين هما :

١ - سورة « الدخان » آية ٣٧ : « **اهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين** » .

٢ - سورة « ق » آية ١٤ : « **وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد** »

نفهم من كتب التفاسير واللغه والتاريخ أن المراد بقوم تبع هم قوم لقب ملكهم بلقب تبع ، وقد سمى كل واحد منهم تبعا لأنه يتبع صاحبه ، وقيل انه لما صار الملك الى الحارث الرائش وهو تبع الأول ، فمن ملك اليمن قبل الرائش ملكان ، ملك بسبأ ، وملك بحضرموت ، فكان لا يجتمع اليمانيون كلهم عليهما الى أن ملك الرائش فاجتمعوا عليه ، وتبعوه ، فسمى تبعا ، وقيل أيضا : كان ملك اليمن لا يسمى تبعا حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير .

يتبين من دراسة العلماء للكتابات والآثار اليمنية القديمة أن المقصود بالتبابعة هم أهل حمير الذين كانوا يملكون سبأ وحضرموت وحمير . وكان الحميريون يسكنون فى منطقة يافع أوسر وحمير ، وقد ثاروا على مملكة قتبان واستقلوا بمنطقتهم فى نهاية القرن الثانى أو أوائل القرن الأول قبل الميلاد ، كما استولوا على جنوبى تهامة اليمن والحجرية ، ورعين وذمار وقاع جهران فى الشمال . واتخذ الحميريون ظفار عاصمة لهم وبنوا فيها حصن ريدان فى أيام غزوة الرومان لبلاد سبأ تحت قيادة اليوس جالوس ، كما انتزعوا منطقة الساحل من عدن غربا حتى قنا شرقا من مملكتى حضرموت وقتبان فى ذلك الوقت أو بعد ذلك بقليل ، ومن الجائز أن يقال انه بعد غزوة الرومان لبلاد اليمن فى وقت غير معروف استولى الحميريون على مأرب بعد أن هزموا ملك سبأ وتلقب زعيمهم بلقب ملك سبا وذى ريدان ، غير أن بعض أقيال قبائل جبل اليمن

طردوا ملك حمير من مأرب ووضعوا مكانه ملك سبأ السابق أو شخصا آخر من أسرته .

وتسمى ذلك الملك السبىء باسم ملك سبأ وذى ريدان ، كما أن ملوك حمير فى ظفار لم يتخلوا عن هذا اللقب . وتحدثنا النفوس السبئية ان ملكا حميرا استولى على مأرب فى سنة ١٢٠ م ، وكذلك فى سنة ٢٠٠ م ، كما أنه منذ سنة ٢٦٠ م حتى سنة ٤٥٠ م خضعت كل بلاد اليمن لملوك حمير ، وقد لقبوا فى سنه ٣٠٠ م بلقب ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت ، والمقصود بيمنت جنوبى حضرموت ، ولقبوا فى سنه ٤٠٠ م باسم ملوك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم فى تهامه وفى عسير وما يعلوها من الجبال والسهول . وقد احتل الأحباش جزءا من اليمن فى الربع الثانى من القرن الرابع الميلادى . ولذلك لقب ملوكهم بالقاب ملوك سبأ فى تلك الفترة واعتنق المسيحية ملك من ملوك حمير فى القرن الرابع الميلادى وبنى كنيسه فى حمير وأخرى فى عدن ، كما دخل أحد التبابعة فى اليهودية فى أوائل القرن الخامس الميلادى .

العصر الثالث ـ أصحاب الأخدود

جاء ذكر اصحاب الاخدود فى سوره البروج فى الآيات من ٤ الى ٧ ، وهى كما يلى : **« قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود » .**

الأخدود الشق العظيم المستطيل فى الأرض كالخندق ، النار بدل من الأخدود ، بدل الاشتمال ، الوقود بفتح الواو قراءة العامة هو الحطب ، وقرأ بعضهم بضم الواو على المصدر أى ذات الاتقاد والالتهاب ، وقيل ذات الوقود بأبدان الناس ويقال ان الملك الحميرى يوسف ذانواس تهود فسار الى نصارى نجران بجنوده من حمير فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخذلهم الأخدود فحرقه بالنار وقتل بالسيف ، ومثل بهم حتى قتل منهم عشرين ألفا ، وقال وهب بن منبه اثنى عشر ألفا ، وقيل كان أصحاب الأخدود سبعين ألفا . والملك ذونواس اسمه زرعة بن تبان أسعد الحميرى ، وكان يسمى أيضا يوسف ، وكانت له عدائر من شعر تنوس اى تضطرب فسمى ذانواس ، وقيل انما سمى ذانواس لذؤابه له كانت تنوس اى تتذبذب .

هذا ما قاله رجال الأخبار والتفسير واللغة ، وقد وجد نقش سبئى فى شتاء سنة ١٩٥١ المتداخله فى سنة ١٩٥٢ فى أكمة كوكب الواقعة فى الحدود الشرقية لهضبة الفاره المتداخلة فى رمال الربع الخالى ، وهذا النقش مؤرخ فى سنه ٥٢٤ م ، وهو ليوسف ذى نواس ، وهو ملقب فى النقش بلقب اسار ، وأسار افعل من سئر بمعنى بقى والسؤرة البقيه والفضله .

ونلمح فى هذا النقش الاثر اليهودى اذ نجد فيه اسم الله الذى له السماء والأرض مكتوبا بصيغة الجمع مثل الله فى اللغه العبريه فهو الوهيم . ونعرف من هذا النقش أن جيوش الملك هاجمت الأحباش فى ظفار ، كما هاجمت الأشاعره فى ناحيه زبيد ، وسار لمحاربة أهل نجران . ووجد نقش آخر فى نجران فيه اسم يوسف اسار وهو مؤرخ بنفس السنة المؤرخ بها النقش السابق ، ونعرف من هذا النقش أن الملك الحميرى يوسف قد حصن ساحل اليمن وأرسل أحد قواده واسمه شرحئيل دويزأن الى نجران لمحاربة المسيحيين هناك لانهم ساعدوا الاحباش على محاربة الملك ، وقد أحرق ذلك القائد كنيسة المخا .

ومهما يكن من أمر فان المسيحية قد دخلت بلاد اليمن فى القرن الخامس الميلادى ، وقد انتشرت فى نجران وفى تهامة اليمن ، واضطهد يوسف ذو نواس الذى تهود المسيحيين ، وخرب كنيستهم فى نجران وكذلك فى المخا ، وقد استغاث المسيحيون بملك بيزنطة الذى أرسل الى ملك الحبشة يطلب منه ارسال جيوشه الى اليمن لمناصرة المسيحيين ، فدخل الأحباش بلاد اليمن فى سنة ٥٢٥ م بعد هزيمة الملك الحميرى يوسف ذى نواس ، وقيل انه قتل فى الحرب ، كما قيل انه ألقى بنفسه فى البحر .

العصر الرابع ـ أصحاب الفيل

جاء ذكر أصحاب الفيل فى سورة الفيل : **« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم**

يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » .

تصور هذه السورة من القرآن الكريم غزوه الاحباش للكعبة ، ويقال ان أبرهه الحبشى بنى كنيسة فى صنعاء تعرف باسم القليس ، لم ير مثلها فى زمانها ، وكتب الى النجاشى يقول : انى قد بنيت لك أيها الملك كنيسه لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب . فلما سمعت العرب بذلك كبر عليها فخرج رجل من بنى مالك بن كنانة حتى قدم اليمن فدخل الهيكل فأحدث فيه فغضب أبرهه ، وأجمع على غزو مكة وهدم البيت فباء بالخذلان والخسان ورجع بجيشه مدحورا مهزوما لتفشى الأمراض فى الجيش . وطرد الفرس الأحباش من بلاد اليمن ، وآحتلوا اليمن فى سنة ٥٧٠ م . وقد ظلوا فى بلاد اليمن حتى دخل الاسلام بلاد اليمن ، وأسلم بازان الوالى الفارسى على بلاد اليمن فى السنة الثامنة من الهجرة .

الدكتور يحيى خليل ناص

مرحبا بعيد

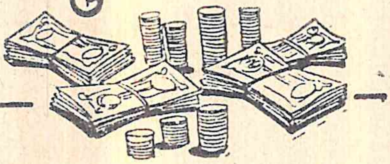

لكل أمة من الأمم وجماعة من الجماعات سواء فى ذلك القديم والحديث أعياد تنتزعها من واقع حياتها ، وتفرضها عليها أحداث تاريخها ، وظروف تطوراتها ، وبتوالى الزمن تصبح هذه الأعياد سنة منيعة قد تتطور النظرة اليها فتتحول الى عقيدة من العقائد لها مالها من التقديس والاحترام .

ومع أن لكل جماعة أو أمة طقوسها الخاصة فى هذه الأعياد ترسمها لها قوانينها ، وتمليها عليها تقاليدها ، أو ترشد اليها أديانها ، الا أن هناك قدرا مشتركا بين تلك الأعياد يجمع بينها فى شتى صورها المختلفة وهو مظهر الفرح والسرور الذى يختلف فى كمه وكيفهباختلاف الامكانيات والاستعدادات ، والمناسبة التى تقام منأجلها تلك الأعياد .

والمسلمون فى شتى بقاع الأرض لهم أعيادهم الاسلامية والوطنية والعلمية كسائر تلك الأمم والجماعات وهاهم الان فى هذه الأيام قد ودعوا شهر الصفاء الروحانى ، والهدى والنور الربانى ليستقبلوا مع اشراقة فجر اليوم الأول من شهر شوال عيدا من أغلى أعيادهم الاسلامية ، عيد الفطر المبارك ، الذى يلهج بذكره لسان كل مسلم تخرج من مدرسة الصوم فى رمضان قائلا فى فرحة واشتياق « مرحبا بك يا عيد الاحسان » .

ولا غرو فى ذلك فان عيد الفطر أهل لهذه الفرحة والتقديس والتمجيد لأن فيه احساس بلذة النعمة التى حرم منها الصائمون نهار شهر طويل ، بل وفيه تذكير للمسلمين بضرورة تقديم الشكر لله على توفيقه لهم فى هذا الامتحان الذى اجتازوه ، وقد خلصت نفوسهم

بر واحسان

الاستاذ احمد مسلم ابراهيم

وتهذبت طباعهم ، وسمت ارواحهم ، وتحررو من اسر المادة ورق الشهوة . وغرور الجاه والسلطان .

وفي هذا روى ابو داود أن أنسا رضى الله عنه قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ماهذان اليومان قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال رسول الله صلى اللهعليه وسلم (ان الله قد أبد لكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) .

ولو نظرنا الى ما كانت عليه اعياد العرب قبلالاسلام لوجدنا أنها كانت تختلف اختلافا كبيرا عما هى عليه الان . فلما جاء الاسلام بمبادئه البناءة وتعاليمهالحكيمة أبقى منها ماكان سليما فى فكرته ، مقبولا فى مظهره ، شريفا فى غايته ، وأدخل التحسينات فى كل ما رآه منها متجاوزا للحد ، مائلا عن القصد ، وأبطل منها ماكان متصلا بعادة سيئة فاسدة ، أو عقيدة باطلة أو داعيا الى خلق غير كريم أو الى عصبية جامحة ، وجعل للمسلمين بدلا منها اعيادا تتصل بأسباب مشروعة ،تقوم على اعمال مفيدة ، وتهدف الى غايات نبيلة .

ومن هذه الأعياد عيدا الفطر والأضحى اللذان جعلهما الله تعالى كل سنة عقب اكمال ركنين مهمين من أركان الاسلام ، وهما الصوم والحج ارشادا لنا الى أنالسرور والهناء انما يكونان بكمال العبادة وتمام الطاعةوالخضوع لله رب العالمين .

ولعل هذا هو السر فى أن المسلمين فى هذين العيدين يعلنون الفرحة والاغتباط ، ويجتمعون فيهما للصلاةعلى نطاق واسع يشهده صغارهم وكبارهم حيث يتلاقون جميعا مشرقة وجوههم بالبسمات ، منطلقة السنتهم بالتهانى والدعوات ، سخية أيديهم بالصدقاتمتسابقين الى اخراج زكاة الفطر التى تكون بمثابة رسوم مقررة لاستلام شهادة النجاح فى مدرسة الصوم والتقدير من الله العزيز الكريم فى هذا اليوم العظيم ذلك لأن زكاة الفطر فيهما اشعار للفقير بأن له فىمجتمعه الاسلامى أخوة قلوبهم رحيمة ، وشعورهم نبيلة يحسون باحساسه ويتألمون لآلامه ، وبذلك تسود المحبة والوئام ، وتعم الفرحة كل مسلم فى هذا اليوم فتقوى بذلك الرابطة الاسلامية ، ويعم الخير ويسلم المجتمع من التدهور والانحلال .

ولكن مما يلفت النظر ويسترعى الانتباه فى هذه الايام أن الكثير من المسلمين تنسيهم شدة تعلق نفوسهم بالمتع والبهجة التى يتفننون فيها ، ويحرصون كلالحرص عليها هذه الحكم التى شرعت من أجلها هذه الأعيادحتى أصبحت فى نظرهم فرصة خالصة من فرص اللهو والمرح والترفيه . بعيدة كل البعد عن مقصدها الأسمى التى شرعت من أجله . وهذا بلا شك حال أهل الغفلة الذين لم ينظروا الى غدهم ، ولم يسعوا الى مستقبليتطلعون فيه الى خير وفير عن حاضرهم ، ولو رجع هؤلاء الى رشدهم وصوابهم لعلموا أن المسلم الصادق هو الذى يشعر بسروره اذا صام وقام فى شهر رمضان ، ووفق للبر والاحسان ، وأخرج زكاة الفطر ، وسر بها فقراء المسلمين . وعمر ليالى رمضان وأوقات نهاره بتلاوة آى الذكر الحكيم ، وحينئذ يستحق أن يفرح بالعيد ويسعد برضا الرب المجيد القائل (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) .

واذا كان أولئك الذين يغفلون عن حكمة مشروعية الأعياد السامية يظنونها فرصة للتظاهر والفخر والمتعة وكفى فانى أقول لهم ليس العيد لمن لبس الجديد ،وانما هو لمن طاعاته تزيد ، واذكرهم بما كان من أمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حينما رأى ولدا له يوم عيد وعليه قميص خلق ، ليس بجديد فبكى فقال له : ما يبكيك ؟ قال : يابنى أخشى أن ينكسر قلبك يومالعيد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال يا أمير المؤمنين انما ينكسر قلب من اعدم الله رضاه . اوعق أمه وأباه ، وانى لأرجو أن يكون الله راضيا عنى برضاك فبكى عمر رضى الله عنه وضمه اليه . وقبله بين عينيه ودعا له .

ولقد حكم أيضا عن الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه أنه دخل عليه رجل يوم عيد الفطرفى سنة من السنوات فوجده يأكل خبزا يابسا فقال له : تأكل هذا فى هذا اليوم ؟ فقال رضى الله عنه : اليوم عيد من قبل صومه وغفر ذنبه ، واليوم لنا عيد ، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد .

فما أشد حاجة المسلمين الان أن يتأسوا بهذاالسلف الصالح ، ويفهموا هذا الذى ينبغى أن يعملوا به كما فرض الاسلام ، وكما كان عليه المسلمون الأولون ، حتى تكون أيام أعيادهم سعيدة تسعدهم ، والى الروحانية تهديهم وترشدهم ، ما أشد حاجتنا الى أن نعرف أن العيد كان عند المسلمين الأول عيد فكرة عابدة ،فأصبح اليوم عيد فكرة عابثة ، كان العيد اثباتا للوجود الروحى فى الأمة الاسلامية . فأصبح اثباتا لوجودها الحيوانى ، كان يوم مبدأ فأصبح يوم مادة الى غير

ذلك من اختلافات ملموسة ومظاهر محسوسة تبيح لنا – بحق – أن نصفها بأنها الآن عاطلة ممسوخة ، لا مظهر لها الا التجديد فى الثياب وتجديد أوقات الفراغ والزيادة فى ابتسامات النفاق .

ولو ظلت نظرتنا الى الأعياد وهكذا شأنه من الخير لنا أن لا نطلق عليها اسم أعياد ، بل نطلق عليها اسما ينفق وتلك الفطرة الخاطئة ، ولو صح هذا لما شرع لنا الاسلام يوم الجمعة وجعله عيد الصلاة الاسبوعى تكون الجماعة فيه فرضا عينيا حيث تعقد فى جلسات عادية يحضرها مسلمو أهل كل حى أو بلد فى منظر بهى ، وعرف شذى، تعلوهم السكينة ويجللهم الوقار فينصتون فى أدب تام الى النصح والتوجيه ، ويدرسون مشاكلهم على الطبيعة ، بل ويتعرفون على السياسة الرشيدة التى رسمها لهم اسلامهم لاسعاد حياتهم ورقى مجتمعهم ويتبادلون الرأى والمشورة فيما يرفع شأنهم ، ويعلى من قدرهم فى دنياهم وأخراهم ، وبذلك يكون هذا اليوم الاسبوعى الفضيل بجميع مظاهره المشروطة ما هو الا اعداد للمعنى الكبير فى العيد بشرط ألا يخطب على المنابر فى المساجد الا رجال أرواح ومنافع ، لا رجال مظاهر فى أيديهم سيوف ولكنها من خشب .

وان الحقيقة التى أحب أن أذكرها وبذكرها معى كل مسلم أن نعرف جميعا أن العيد فى حقيقته ما هو الا اشعار الأمة بقوتها على تغيير الأيام لا شعورها بأن الأيام تتغير . وأنه عرض لنظامها الاجتماعى ، وتوحيد لكلمة الأمة ، وتعليم لها كيف تكون سعة الجوار حتى يكون البلد جميعه لأهله كأنه دار واحدة لأسرة واحدة وبذلك يتحقق الاخاء ، ويقوى الترابط والوفاء ، وتكون هدايا الأعياد هدايا قلوب ، ولا يخفى على كل عاقل أن فى هذا ابراز الطابع الشعبى ، واعلان استقلاله فى سياسته وصناعته ، ومن ثم فان كل يوم يمر على هذا الحال يعتبر عيدا من أسعد الأعياد ، لأن العيد لايكون عيدا الا اذا نهضت الأمة اقتصاديا وفنيا وعلميا واجتماعيا ، واذا ما تحقق ذلك استطعنا أن نكيف الى أمثلة الماضى نظائر مما يبدع الحاضر ، أما اذا كان الماضى أو الحاضر مظلمين فان النفوس لا تشعر بالعيد أو تشتم له أريجا أو تستنشق منه عبيرا ، ولا عجب فى ذلك فتلك المواسم والأعياد لاتبتهج لها الا النفوس المليئة بالعزة ، ولا تنشرح لها الا القلوب المفعمة بالكرامة ، ولا تبتسم لها الا الثغور المنفرجة عن سرور برفعة الوطن ، وارتفاع مناره واعلاء شأنه وتدعيم بنائه .

هذه هى المعانى السياسية للعيد التى من أجلها فرضه علينا الاسلام . ولن تكون تلك المعانى الا اذا كانت صلتنا بآثار الصيام وحكمته لم تنقطع ، وداومنا على جنى ثماره الطيبة لأن الله سبحانه وتعالى يطالبنا بأن نداوم على ما اعتدناه من بر وخير ورحمة وتعاون وخلق كريم . كما يطالبنا بأن نتحمل مسئولياتنا نحو خالقنا وأنفسنا وأوطاننا . ويقوم كل منا بواجبه فى عزم واصرار وثقة . بل دعانا الى أن نأخذ من دروس شهر رمضان لجاما لأهواء النفس ، وكبحا لجماحها حتى تنقاد لأمر الله وتسلك السبيل المستقيم .

ولنعلم أن الفرض المهم فى العيد هو تأليف مشاعر المسلمين وعواطفهم ، وتوحيد نظامهم وأهدافهم ومبادئهم لأن توحيد الهدف يجمع قلوب الأمة على اسعاد أبنائها والعيد ليس لطبقة أو لطائفة بعينها دون الأخرى ، ولا للغنى دون الفقير ، وانما هو للجميع تعمهم مسرته وخيراته ، ويشتركون فى بهجته وسماته .

وأى معنى للعيد اذا لم تتجلى فيه تلك المعانى الانسانية والمشاعر الأخوية ، وفيه يتغلب الانسان على أنانيته ، ويحارب غريزة البخل والحرص ، ويعلو الى كمال انسانيته ، ويفرح بمساعدة المحتاجين ، ويسعد

بمسح دمعة البائسين . وذلك باخراج زكاة الفطر التى أوجبها الله فى آخر رمضان حتى فجر يوم العيد . وأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم باخراجها بقوله « أغنوهم عن السؤال فى مثل هذا اليوم » وبذلك تقوم علاقات الناس على المحبة والثقة المتبادلة . وطهارة الذمة والوفاء .

واذا كان الاسلام قد أراد بهذه المعانى السامية أن يعلمنا أيضا بطريق عملى كيف أن الحياة تقوم على المادة والروح ، وأن سعادة الأمة تكون فى توفر موارد العيش لأبنائها ، وفى الاهتمام بالروابط التى تجمع بينهم وتعتنى بنظم معاملاتهم وآداب أخلاقهم وسلوكهم ، فمما ينبغى أن يعلم أنه ليس معنى هذا أن نتجنب الأفراح ونترك الاحتفال بأعيادنا ، فالاسلام لا يمنعنا أن نمزح ونفرح فى حدود الوقار والفضيلة ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه كان ضحكه متبسما ، وكان يمزح ولا يقول الا حقا ، ولا ينطق الا صدقا ، ولقد أباح لنا فى أعيادنا أن نلهو لهوا محمودا يعود علينا بالمتعة والتسلية ، ويعود على الأمة بالنفع العميم مثل ممارسة الألعاب الرياضية كتعلم الرماية والمصارعة والسباحة وركوب الخيل وغير ذلك ، وفى هذا حكى أن الأحباش كانوا يلعبون يوم العيد بالرماح فى مسجد المدينة وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجته السيدة عائشة رضى الله عنها أن تشاهد هذه المباراة التى تقوى روح الجهاد ، وجعلها تقف خلف ظهره وهو يشجع اللاعبين

وليس هذا هو مظهر الفرح الذى أباحه الرسول صلى الله عليه وسلم فى العيد وكفى . بل ان من الغايات النبيلة التى قصد اليها الدين الحنيف من الأعياد الاسلامية التزاور واستقبال الناس بالبشاشة والبشر واظهار الفرحة والسرور لأن ذلك يوطد عرى المحبة بين أبناء الأمة الاسلامية ، ويدفعهم الى العمل والتقدم وذكر الله والتأمل فى ملكوته ، والاسترشاد بما فيه من دلائل لا تظهر الا للعقلاء أهل القلوب اليقظة والأذهان السليمة ، وفى هذا يقول الامام مالك رضى الله عنه « المحبة فى الله من دأب أولياء الله ، وممن يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ، رجلان تحابا فى الله ، اجتمعا عليه . وتفرقا عليه فانهما فى رضا الله على الدوام ، تجمعهما طاعته من صلاة أو ذكر أو تلاوة قرآن ونحو ذلك ، ويفترقان وهما عبدان لله مخلصان صادقان له » .

والحق يا أخى القارىء الكريم أن أعيادنا الاسلامية ما جعلت الا لتحقيق كل هذه الأهداف التى سبق ذكرها فى صورة تبتهج لها النفس ، وينشرح لها القلب ، وتفتح الأمل للناظر ، وتنير السبيل للسالك ، ولا يحس المسلم الحر هذه الصورة الكريمة الا اذا أدرك النعمة الكبرى لهذه الأعياد ، وعاش محبا لاخوانه ، عزيزا فى قومه ، آمنا فى وطنه ، معافى فى بدنه ، مطمئنا فى مجتمع متكافل متضامن يسوده التعاون على البر والتقوى بين أفراده ولا تشوبه شائبة من شوائب الفوضى والفساد .

متعنا الله بأعيادنا ، وآمنا فى أوطاننا ، وأعاد تلك الأيام السعيدة على الأمة الاسلامية باليمن والاسعاد .

الأعياد الإسلامية في الهند

الاستاذ محيي الدين الالوائي

تعتبر الهند اولى دول العالم فى تعداد اديانها ولغاتها ، وتباين ثقافاتها وأجناسها ، وثانى دول العالم فى عدد سكانها ، وثالث دول العالم فى عدد المسلمين . وفيها أتباع جميع الأديان القديمة والحديثة ، ومنها أديان نشأت فيها وتطورت وانتشرت ، مثل الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وغيرها . ومنها أديان دخلت فيها ووجدت فى أرجائها أرضا خصبة لتنمو وتترعرع ، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من كيانها ، وفى مقدمة هذه الأديان : الاسلام .

ان للاسلام والمسلمين فى الهند صفحات مجيدة فى تاريخ خدمة الدين والعلم ، ونشر الثقافة العربية والاسلام فى ربوع شبه القارة الهندية والبلدان المجاورة لها ، حيث وجد الاسلام منذ انبثاق فجره أرضا سهلة فى هذه البقعة التاريخية الواسعة الأرجاء ، وساهم فى نشر النور والعرفان الى شتى جنباتها . ويؤكد بعض كتابات المؤرخ العربى فخر الدين والمؤرخ الفارسى ابن عرفشة ، أن الاسلام بدأ ينتشر فى الهند فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام . وأول بقعة اشرقت بنور الاسلام فيها منطقة « ملابار » الواقعة فى ساحل بحر العرب . ويرجع تاريخ بناء المساجد الأثرية فى القارة الهندية الى سنة ١٢٠ هـ . وكل هذا يدل على توطد أركان الاسلام وانتشار دعوتها فى أنحائها منذ العصور الأولى لظهور الاسلام فى جزيرة العرب .

وفى عام ١٩٤٧ استقلت الهند من نير الاستعمار الانجليزى وقسمت الى دولتين كبيرتين – الهند والباكستان – فلما أصبحت باكستان ثانى دول العالم فى عدد المسلمين ، بعد اندونيسيا ، صارت الهند ثالث ثالث دول العالم فى عدد المسلمين ، حيث يبلغ عددهم الآن فى الهند حوالى ستين مليون نسمة ، ويحافظون على تراثهم الاسلامى ، وعاداتهم وآدابهم الموروثة عن التعاليم الاسلامية ، ويبذلون أقصى جهودهم لنشر الدعوة الاسلامية فى تلك البقاع بشتى الوسائل الممكنة . كما يلعبون دورا هاما فى حياة الهند فى مختلف المجالات ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية ، ولهم مؤسسات خاصة ذات الأهداف الدينية والثقافية فى سائر أنحاء الهند لخدمة الاسلام والمسلمين ونشر النور والعرفان .

وفى هذه المناسبة السعيدة التى يحتفل فيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بعيد الفطر المبارك ، نقدم للقراء الكرام على صفحات « منبر الاسلام الغراء » نبذة من عادات وتقاليد المسلمين فى الهند فى الأعياد الاسلامية المختلفة ، ليروا كيف يحتفل اخوانهم فى تلك البقعة النائية ، فى أعيادهم ومناسباتهم الدينية .

ومن الأعياد الكبيرة التى يحتفل بها المسلمون فى الهند فى غاية الابتهاج والسرور « عيد الفطر المبارك » ، الذى يحل عقب انتهاء فريضة الصيام فى شهر رمضان المعظم ، فاذا كان « عيد الأضحى » يحل فى أكبر مناسبة من مناسبات العالم الاسلامى ، الا وهى « الحج » الذى هو بمثابة اجتماع اسلامى عالمى ، يحضره المسلمون من كل بقعة من بقاع العالم ، ليتعارفوا ويتشاوروا فى أمور دينهم ودنياهم ، يحل « عيد الفطر » عقب شهر

رمضان الذى يقترن بذكريات خالدة ، واحداث كبرى فى تاريخ العرب والمسلمين ، بل وتاريخ الانسانية جمعاء .

وترى المسلمين فى الهند أكثر تدينا وتبرعا فى المناسبات الدينية ، وتستكمل فيها مظاهر الأبهة والابتهاج فى منازلهم ومتاجرهم ومحلاتهم ، وتزدحم الشوارع والطرقات فى الأحياء المكتظة بالمسلمين بالكبار والأطفال بملابسهم الملونة الجديدة . وينفق الأغنياء منهم بسخاء على الجمعيات الخيرية والمدارس الاسلامية ، وعلى الفقراء والمساكين .

وقبيل حلول يوم العيد يسرعون الى الأسواق لابتياع الملابس واللوازم المنزلية الجديدة ، وفى الصباح الباكر يتوجه المسلمون الهنود مكبرين ومهللين الى ساحة الصلاة المعروفة باسم « عيدكاه » أو الى المساجد. ويتزين كل منهم بأجمل أنواع الأثواب والزينات مما يملكه ، ويظهرون جميعا بمظاهر العزة والكرامة ، وبعد الفراغ من الصلاة وخطبة العيد يتبادلون التهانى والتمنيات فيما بينهم ، ويزورون الأساتذة والكبار فى بيوتهم ، ويبدو أن هذا اليوم فاتحة صفحة جديدة فى سبيل توثيق العلاقات ، وتوطيد أركان التعارف والمحبة . ومن مظاهر الحفلات الرسمية فى الهند ، بمناسبة عيدى « الفطر والأضحى » الاجتماعات العامة التى تقام فى المدن الكبرى يحضرها الزعماء المسلمون ، وكبار رجال الدولة .

وفى دلهى عاصمة الهند تقام حفلة رسمية فى كلا العيدين فى الميدان الفسيح أمام جامع دلهى التاريخى الذى يعتبر من أفخم مساجد العالم ، بناه الامبراطور المسلم « شاه جهان » مواجها لقلعته الحمراء الحصينة فى عاصمة دولته . وتعطل فيهما المصالح الحكومية ، والمكاتب الرسمية ، وتغلق المتاجر والحوانيت ، والمحلات العامة أبوابها ، ويهنىء رئيس الدولة ، ورئيس الحكومة الطائفة الاسلامية فى هذه المناسبة ، ويستقبلان وفودا لها فى مقرهما الرسمى بالعاصمة . وتضاء المساجد والمعاهد فى ليالى أيام العيد ، وتزين بأبهى زينة . ويستمر الاحتفال بعيد الفطر فى مراكز المسلمين فى الهند لمدة ثلاثة أيام ، بينما يستمر الاحتفال بعيد الأضحى ومظاهر الفرح به أربعة أيام كاملة ، أى الى آخر اليوم الثالث عشر من شهر ذى الحجة ، لان أيام التشريق من الأيام الممنوعة من الصيام تبعا ليوم العيد .

وفى معظم الأماكن يخرج المسلمون زكاة الفطر صباح يوم العيد قبل التوجه الى الصلاة . وتقوم دور النشر الاسلامية بطبع المنشورات الدينية التى تدعو المسلمين الى اخراج زكاة الفطر وتوزيعها فى المصارف الشرعية ، مع بيان أحكامها ومقدارها وسائر المسائل المتعلقة بها ، بينما يقوم علماء الوعظ والارشاد بحث الأمة الاسلامية على الاكثار من البر والتقوى والجود ، وكل هذا فى اللغات المحلية المنتشرة لكى يفهمها ويعيها الجمهور بيسر وسهولة .

ومن المناسبات الكبيرة التى يحتفل بها المسلمون فى الهند ، ذكرى الهجرة النبوية ، ولو كان الاحتفال بها فى نطاق ضيق من حيث المباهج والاحتفالات ، فتحمل هذه الذكرى معانى تاريخية ، وعظات قيمة ، وتقام فيها حفلات هامة فى المساجد والمراكز الاسلامية فى طول البلاد وعرضها ، حيث تلقى فيها خطب ومواعظ تشيد بعظمة هذه الذكرى ، وتذكر المسلمين بالدروس الكامنة فى فكرة الهجرة النبوية ، وتدعوهم الى تحمل المشقات والصمود أمام العقبات والصعاب ، والمثابرة والمصابرة فى سبيل العقيدة والمبادىء أسوة بصاحب الهجرة صلوات الله عليه .

منظر عام لمسلمى الهند أثناء تأديتهم صلاة العيد فى الميدان الفسيح المخصص للصلاة بمدينة دلهى العاصمة

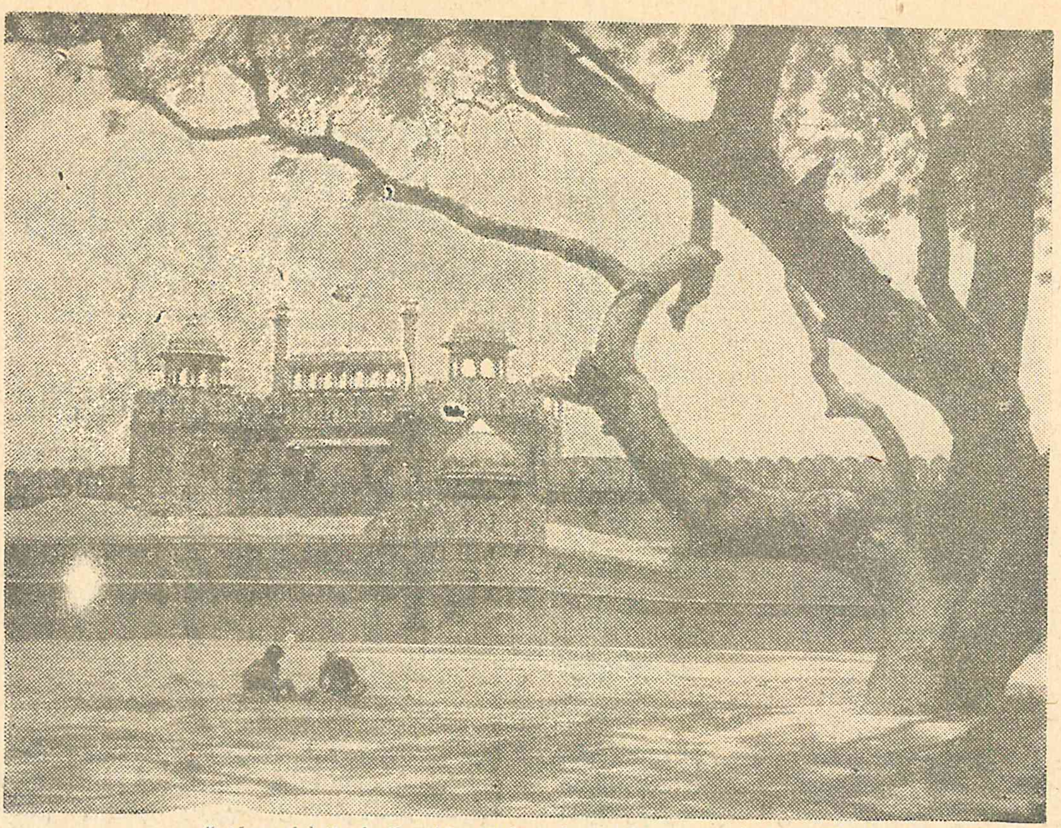

القلعة الحمراء الاسلامية فى عاصمة الهند شيدها الامبراطور المسلم « شاه جهان »

ومن المناسبات التاريخية التى يحتفل بها أبناء الأمة الإسلامية فى الهند باهتمام بالغ « عيد مولد النبى عليه الصلاة والسلام » ، وتستمر فى الهند الاحتفالات باحياء هذه الذكرى العاطرة طوال شهر ربيع الأول من عقد اجتماعات دينية والقاء خطب ومواعظ فى مختلف اللغات الاقليمية ، تبين للناس عظمة هذه الذكرى ، ومبادىء الدعوة التى دعا اليها صاحبها ، وتنظم الجمعيات الاسلامية والهيئات الدينية اجتماعات فى المدن والقرى يحضرها المواطنون من المسلمين والهندوس ، حيث تلقى الأحاديث والخطب عن سيرة الرسول العربى .

ومن العادة المتبعة فى أوساط المسلمين فى بعض مناطق الهند ، أن يعقدوا مجالس خاصة بهذه المناسبة تتلى فيها سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام باللغة العربية ، ويتخللها أناشيد وتواشيح دينية بالعربية ، ثم تترجم معانيها الى اللغات المحلية فورا لكى يفهمها جمهور الحاضرين . وبعد الفراغ من تلاوة السيرة والتواشيح الدينية توزع الحلوى والمرطبات على الحاضرين ، وترش عليهم مياه الورد والعطور ، ويكون مكان الاحتفال مزينا ومضاء بأنوار ساطعة .

ويحتفل المسلمون فى الهند « بيوم عاشوراء » فى اليوم العاشر من شهر المحرم ، لأن شهر المحرم الى جانب كونه أول شهور العام الهجرى ، فهو شهر ذكرى الشهيد الامام الحسين رضى الله عنه ، حفيد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فنرى الطائفة الشيعية فى مدن الهند الرئيسية تحتفل بهذه المناسبة بطرق متباينة عن العادات والتقاليد التى يحتفل بها « السنيون » ، حيث يخرجون فى مواكب حاشدة مولولين ، وضاربين صدورهم ، وحاملين هياكل قبر الامام الحسين المعروفة فى الهند ، باسم « التعازى » .

وهناك عديد من المناسبات التى يحتفل بها المسلمون فى الهند على أساس دينى بطرق مختلفة حسب البيئات والتقاليد التى ورثوها جيلا بعد جيل ، ومنها ، الاحتفالات التى تقام لأحياء ذكرى عظماء المسلمين وأوليائهم الذين كانت لهم يد طولى فى نشر الدعوة الإسلامية فى ربوع الهند ، تخليدا لذكرياتهم العاطرة ، وتنبيها للمسلمين لأن يحذو حذوهم ، ويتخذوا دروسا من حياتهم ، بحيث لا تخلو ولاية من ولايات الهند الا وفيها عالم كبير يخلد الشعب ذكراه المجيدة ويتخذون منها مناسبة دينية يحتفل بها ، ومن هذه المناسبات التى يحتفل بها فى الهند على أساس عام شامل يشترك فيها الشعب والحكومة ، مسلمين وغير المسلمين ، الاحتفال بذكرى وفاة ولى الله « نظام الدين » فى مدينة دلهى ، والشيخ « معين الدين جيستى » فى مدينة « أجمير ، ويشترك فى ذلك حتى رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وأعضاء السلك الدبلوماسى من مختلف البلدان . وأما فى النواحى الاجتماعية ، فتتخذ الاحتفالات بالأعياد الاسلامية لونا محليا ، ويضفى عليها هذا الاختلاف المحلى بهجة ورونقا ، مع الاحتفاظ بالطابع الدينى الموروث .

عبد الناصر والشخصية المصرية

الاختيار الصعب من أجل كل الشعب

الأستاذ ابراهيم مصباح

حينما اعيت مشركي قريش الحيل في امر النبي عليه الصلاة والسلام ارسلوا اليه عمه أبا طالب يعرض عليه باسمهم المال والجاه والثروة وكل ما لم تسمع العرب بمثله من سؤدد ، واختار عليه الصلاة والسلام طريق الحق تعالى وتبارك وقال صلى الله عليه وسلم كلمته التي لا زالت تهدى البشرية كلما حزب بها الأمر :

« والله يا عماه ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته » .

ولله المثل الأعلى ولرسوله عليه الصلاة والسلام .

ويقول الله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

فالرسالة المحمدية بجوانبها المضيئة المشرقة هي رحمة لكل الناس ، لكل من واجه الشدائد فانه يعود الى كتابها النوراني .. يقرأ بين صفحاته العليات دروسا في الصبر والتمسك بالحق وايثار الخير والايمان بالله والثقة بان نصره قريب .

***

وقد جاءت على الأمم المستعبدة فترات يقظة وثورة بفضل بعض أبنائها الذين يرفضون الحياة في استسلامها وذلها ويريدون صنع حياة فاضلة كريمة كما ارادها الله عز وجل لبني آدم في الأرض .

وعند مفترق الطرق يتقوى الأمل أو يتبدد الحلم ، فان السير في الشوط الى آخره هو طريق صعب محفوف بالمشاق والنفس مجبولة على قبول الهين اللين ، والفزع من المغالبة الشاقة التي تطول سنوات وسنوات .

وعلى قدر اختيار طريق المجابهة والتحدي والصعوبات يكون ازدهار الأمل في تغيير الحياة من رتابتها وأسنها الى اطار عادل يتحرك الانسان من خلاله برسالته في البناء والتعمير .. وكم سمعنا عن ثورات بدأت ولكنها لم تصمد بل تحولت اخيرا الى مجرد انقلاب حيث تستبدل الوجوه التي تحكم اما قوار الحياة وجذرها فباق على حاله لم يتغير أو يتبدل ..

وفي الخطاب العظيم الذي القاه الزعيم القائد يوم الثلاثاء ٢١ر١٢ر١٩٦٥ وفي بورسعيد وهي مدينة النصر اذ تحتفل بعيد النصر تناول الرئيس جمال عبد الناصر هذا المعنى وأكد الاختيار الصعب ومبرراته وهي أولا واخيرا صالح الشعب .. ومن أجل كل الشعب .

يقول البطل الثائر عبد الناصر « ان الشعب المصرى - بالثورة - رفض منطق مجتمع النصف في المائة . اختار طريق الحرية .. الطريق الصعب » .

وياله من طريق صعب ولكنه يؤدى في نهايته الى ما يطلبه المرء لاقامة امة كريمة .. وهل تستطيع امة أن تعيش بلا حرية .. مسلوبة الارادة يتحكم فيها من ليس منها ؟ ان الحرية هي روح الأمة وبدونها تعتبر النفوس مواتا لا خير فيها .

وقد وضعنا هذا الاختيار للحرية وجها لوجه امام ثلاث قوى : الأولى هي قوة الاستعمار ومنطقه في ذلك مفهوم ، والقوة الثانية هي اسرائيل التي ترى في مصر القلب النابض اذا ارتفعت ضرباته سقط عليها معول النهاية وختام كل ظالم .

اما القوى الثالثة فهي التي استبطنت ما ستقوم به الثورة بعد أن كان أول عمل هو اقرار تحديد الملكية الزراعية ولسنوات أربع منذ قيام الثورة حتى حرب السويس كان النضال لا يفتر بين القوى التي اختارت وجه الحق وطريق الحرية وبين عناصر الصراع الأخرى التي تود لو توقف الزمن وتجمد كل شيء على ما هو عليه .

ولقد بلغ الصراع أشده حينما اتحدت هذه القوى المناوئة وأرادت الفئة الباغية أن تغتال الرئيس

وفى شخصه تجسدت الآمال الكبيرة وتركزت ارادة الشعب التى لا تقهر .. وسوف تتردد بين جنبات تاريخ الشعوب صيحة المناضل البطل حينما قال « ان اغتيال عبد الناصر ليس المشكلة سيخرج من الشعب ألف عبد الناصر .. الأهم هو اغتيال الشعب بمكاسبه » .

لقد أكد عبد الناصر ويؤكد فى كل مناسبة أن الشعب هو التيار المتجدد المتدفق وأن الشعب هو المعلم الكبير الذى يجب على القادة أن يستلهموه دائما فى كل خطواتهم .

ويستمر الصراع حتى حرب السويس .. المعركة الحاسمة التى استمرت ١٥٠ يوما والتى يقول فيها عبد الناصر .

« ان تاريخ النضال الوطنى المصرى القومى العربى سوف يعتبر السويس فاصلا حقيقيا بين ما قبلها وما بعدها . ان ثورة الحرية الحقيقية فى مصر كانت هى بالذات المائة وخمسين يوما ما بين ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ الى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ بين تأميم القناة وبين انسحاب الدول التى قامت بالعدوان الثلاثى علينا ، المائة وخمسون يوما تسببت فى عمل تحول عميق سياسى واجتماعى وعسكرى فى العالم العربى ، وكانت المرحلة الفاصلة فى المائة وعشرين عاما التى ابتدأت منذ عام ١٨٤٠ » .

وسنة ١٨٤٠ عند الرئيس عبد الناصر هى سنة الانحدار والركوع حينما عقدت معاهدة لندن واجبرت مصر على الانكماش . وسنة ١٩٥٢ هى سنة التغيير الثورى اما سنة ١٩٥٦ فهى سنة التغيير الثورى الحاسم .

ان عبد الناصر كما أنه يصنع مع شعبه التاريخ فقد أوتى من البصيرة النفاذة ما يسمح له بأن يرى فترة تاريخية كبيرة وأن يحكم عليها ويقيمها لا كظواهر منفصلة ولكن كمجموعة من العناصر المؤثرة والمتأثرة بالفترة كلها .. وهذا الوضوح والنفاذ هو من الأسباب الرئيسية للنجاح العظيم الذى أحرزه شعبنا بقيادة الرئيس عبد الناصر لقد أدركنا أننا بعملنا العظيم نسقط مجتمع النصف فى المائة .. مجتمع الاستغلال والجمود والرجعية والقسوة والتحالف مع الاستعمار .. هذا المجتمع كان يجب أن يسقط ليحل محله مجتمع كل الشعب مجتمع المائة فى المائة كما عبر عنه الرئيس أى التزام فى هذا الاختيار ؟ . انه التزام المسئولية الكاملة تجاه هذه الثورة التى هزت الجذور الراسية هزا عميقا عنيفا لتقتلعها ولتضع بدلها بذور العدل والكفاية والاشتراكية . ان الذين يختارون مجتمع النصف فى المائة هم أصحاب الاختيار السهل – حيث لا يواجهون أى تحد ولا يعتنقون أية مسئولية أو التزام .. انهم يفضلون العزلة والانعزال ولكنهم ينسون هنا الزمن .. فالله جلت حكمته قد جعل الأرض لعباده الصالحين . وهو ما نعبر عنه بأن البقاء للأصلح .. والأصلح هو من يتبع منطق التطور فالأيام تدور بالجديد ومن يقف ولا يدور فانه يخرج نفسه من الفلك الى قرارات لا يعلم مداها الا الله .

ان الاختيار الصعب قد جعلنا نؤكد قيمة انسانية كبيرة وهى أن الرخاء والرفاهية يجب أن تكون للشعب كله .. وفى خلال الخطة الخمسية الأولى أيام سنوات التحول العظيم اتضحت معالم الطريق الذى اخترناه .

ويقول الرئيس جمال عبد الناصر

« فى الكفاية : خطة صناعية تمهيدية تكلفت ٣٠٢ ملايين جنيه بدأت سنة ١٩٥٧ وانتهت سنة ١٩٦٠ وفى نفس الوقت الذى بدأت فيه الخطة الشاملة باستثمارات فى السنوات الخمس الأولى قدرها ١٥١٣ مليون جنيه ، فى السنوات الخمس الثانية ستصل الاستثمارات الى ثلاثة آلاف مليون جنيه .

« من العدل : قوانين التأميم بين سنتى ٦١ ، ١٩٦٤ التى أنهت قاعدة حكم الطبقة .. حكم النصف فى المائة .. سيطرة الشعب على وسائل الانتاج .. العامل شريك فى الادارة والأرباح سبع ساعات عمل فى اليوم .. التأمينات .. العمالة .. توسيع السلطة السياسية لضمان الاستمرار . للفلاحين أكثر من نصف المقاعد فى كل المجالس الشعبية .. مشينا خمس سنوات .. سنوات التحول العظيم وانتهت الخطة الأولى » .

بهذا التقييم العلمى يتحدث قائد الشعب الى شعبه من ذروة النصر فى بورسعيد وأكد المعنى الجديد والتعبير الرائع عن اسقاط مجتمع النصف فى المائة وكأن مصر قد نهضت من عثرتها الاجتماعية بعد أن قامت شامخة من عثرتها السياسية عام ١٨٤٠ والأعوام التى تلتها .

وفى كل لقاء بينه وبين الشعب يؤكد المناضل البطل أن العمل هو السلاح الوحيد لمجابهة مشاكلنا .. العمل هو القيمة الكبرى التى يجب اعلاؤها لنكسب المعركة .. « ان مواردنا محدودة وليس أمامنا الا العمل .. العمل هو أملنا وسلاحنا .. هذا هو الطريق لكى نبنى بلدنا ونحقق مضاعفة الدخل سنة ١٩٧٠ لنصنع مجتمع الـ ١٠٠٪ باذن الله .

واذا كان فشل الشركاء الثلاثة فى العدوان الثلاثى قد جر عليهم مشاكل لا أول لها ولا آخر فقد اعتزل منهم من اعتزل وانتهت حياة بعضهم السياسية .. فان النجاح أيضا يأتى ببعض المشكلات .. ولكنها مشكلات تختلف اختلافا كبيرا وموضوعيا عن مشكلات الفشل .. ان اختيارنا الصعب للحرية كان هو السبب فى تلك المشكلات .

لقد ازدادت الخدمات ، وازدادت العمالة وكانت النتيجة الحتمية زيادة الاستهلاك ففى السنوات العشر السابقة للثورة كان مجموع ما أنفق على الاسكان ١٨ مليون جنيه ولكن فى سنوات الصحوة الكبرى انفق ٢٤٥ مليون جنيه .. وهكذا نستطيع ان نتبين فى جلاء هذا الخط البيانى الصاعد والذى تشير اتجاهاته الى تحقيق مزيد من الرخاء والرفاهية وفرص الحياة الكريمة لكل المواطنين .

واذا كان الاستهلاك يلتهم كل الانتاج فمنطق النجاح يحتم علينا ان نراجع أنفسنا حتى يظل الخطان فى تصاعد واستمرار وهما خط الاستهلاك وخط الانتاج .. ان الشعب العظيم الذى خاض حروبا مريرة وتجارب عنيفة لا ينقصه العزم ولا الصبر ولا الفهم والوعى ليواصل مع بطله العظيم زحفه المقدس لانجاح هدف خطة التنمية وهو مضاعفة الدخل القومى مرة كل عشر سنوات .

وفى الخطاب الضخم الذى افتتح به الرئيس جمال عبد الناصر دورة الانعقاد الثالثة لمجلس الأمة يوم الخميس ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٥ الثانى من شعبان سنة ١٣٨٥ .. لخص الرئيس عدة اعتبارات للمرحلة القادمة فى العمل الداخلى لضمان الكفاية والعدل واستمرار نجاح مجتمع المائة فى المائة .

اولها التأكيد على قيمة العمل باعتبار أن زيادة الانتاج هى القاعدة الأولى لرفاهية المجتمع وثانيها ربط الزيادة فى الاستهلاك وفى عدد السكان عن طريق تخطيط محكم يتعاون فيه الجميع لتنفيذ أحكامه ، أما النقطة الثالثة فهى ضرورة تطوير الزراعة علميا والدخول بسرعة الى ميدان تنقية مياه البحر المالحة بالطاقة الذرية .. وبعد ذلك ركز الرئيس على ضرورة الاسراع بالتصنيع والتصنيع الثقيل باعتباره دعامة أساسية فى مجتمع متطور جديد كما أكد مفهوم الصناعة للتصدير وهذا يلزمنا بان نستوعب الأساليب العلمية المتقدمة لتكون صناعتنا عالية المستوى وان كانت محلية الصنع وأن الخدمة العامة لابد أن توضع تحت الاشراف المباشر للجماهير .

وفى الكلمة القيمة التى القاها الرئيس فى مهرجان عيد العلم يشير القائد الي العلم باعتباره السلاح الاول لمجابهة كل التحديات .. فبالعلم نستطيع أن نكسب معركة الانتاج وبتجاوب الشعب العظيم وأصالته يمكن ان ندرج الى ارقى المستويات .

وفى المناقشات المفتوحة فى مجلس الأمة يوم الثلاثاء ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٥ يعلن الدكتور القيسونى أنه طبقا للخطة سيزيد الدخل القومى ١٥٪ بين عامى ٦٥ ، ٦٧ وأن الأسعار الجديدة سوف تمتص ٣٪ فقط من هذه الزيادة .. فاذا توصلنا الى زيادة فى الدخل دون استهلاك هذه الزيادة كلها فهنا يظهر النجاح بأبعاده المتعددة التى تتمثل فى ارساء قاعدة لا تتزعزع نستطيع أن نرسى عليها آمالنا فى ضمان الخدمات اللازمة لانسان كريم يحيا فى القرن العشرين .

لقد اخترنا الطريق الصعب بمحض ارادتنا ولم يفرضه علينا أحد .. لأننا من خلال هذا الطريق نستقطب كل عزيمتنا واصرارنا على الكفاح ونتفاعل فى حيوية مع العام الجديد الذى بدأ يتدفق فى شرايين أمتنا غداة النصر الكبير منذ فجر الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ حتى اليوم وبلا أى خوف من نكسة أو تقهقر .. لأن هذا الطريق معناه الحرية والرخاء والرفاهية والمستقبل الباسم لكل الشعب لا لنصف فى المائة من هذا الشعب .

فلتجدد دائما البيعة لمن نذر نفسه لبعث أمة مجيدة وللرجال الذين اختارهم ليحملوا معه المسئولية الكبرى ولنختتم هذه العجالة ببسمة التفاؤل والثقة التى يبعثها القائد حينما يقول فى مجلس الأمة .

« ان الأمل يملؤنى بالنجاح فانى اعرف الرجال الذين تقدموا لحمل المسئوليات ولقد خبرتهم فى مختلف الظروف » .

وليس من المهم ان يكون الطريق صعبا ، ولكن الأهم ان يكون فى هذا الطريق الخير للشعب .. لكل الشعب .. وهذا ما تؤكده النظرة العلمية التى تبغى وجه الحق وما تؤيده كل المقدمات الناجحة .. والتى اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء وآخر ذلك ما نشرته مجلة نيوسوسيتى الأسبوعية البريطانية بالحرف الواحد فى ٢٢-١٢-١٩٦٥ .

« ان الجماهير قد أصبحت الآن على يقين بعد تنفيذ سلسلة من الاصلاحات الاجتماعية الثورية من أن لديها للمرة الاولى منذ عدة قرون قيادة مهتمة بالفعل برفاهيتها » .

الاجتهاد فى

١ - للاجتهاد لدى الاصوليين والفقهاء تعاريف كثيرة مختلفة ، لكنها ليست متعارضة او متناقضة ، ويرجع تباينها غالبا الى زيادة قيد ، أو شرط ، اواطناب فى تعريف وايجاز فى آخر .

والاجتهاد فى اللغة مأخوذ من الجهد والمشقة وبذل اقصى مايمكن بذله من الوسع فى تحقيق امر لايكون الا بكلفة ، ولذا يقال : اجتهد فى حمل الصخرة ولايقال اجتهد فى حمل النواة .

وهو فى اصطلاح بعض الاصوليين : استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعى . ومعنى استفراغ الوسع بذل تمام الطاقة بحيث يحس المجتهد من نفسه العجز عن المزيد على مابذل ، ويشير التعريف الى أن الاحكام الظنية - وهى تلك الاحكام التى لم ترد بالدليل المتواتر الذى لايحتمل تاويلا - مجال الاجتهاد اما الاحكام القطعية - وهى على العكس من الاحكام الظنية ثبتت بالدليل القاطع المتواتر الذى لايحتمل تاويلا - فلا مجال للاجتهاد فيها ، لانها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان .

٢ - وهو واجب على كل من تحققت فيه شروط الاجتهاد وهى بايجاز :

المعرفة بالكتاب والسنة ، ومقاصد الاحكام الشرعية، والاطلاع الواسع على آثار السابقين من الفقهاء المجتهدين ، والعلم باللغة العربية ، والزهادة والاخلاص

فالمجتهد الذى تحققت فيه هذه الشروط وغيرها مما نص عليه العلماء ، يصبح مكلفا شرعا باستنباط أحكام ما يجد من مسائل وما يقع من حوادث يراد فيها معرفة حكم الله تعالى سواء كان ذلك لنفسه أو لغيره ، بحيث اذا لم يفعل ذلك كان آثما الا اذا قام به غيره فيسقط عنه .

وأدلة وجوب الاجتهاد كثيرة ، فالقرآن الكريم قد كرم العقل أعظم التكريم ، وبين أن للعلماء مكانة عالية وان المرء كلما ازداد علما ازداد من الله خشية ، وان نعمة العلم من النعم التى يتوجه المسلم الى ربه بسؤالها وطلب المزيد منها .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » .

« انما يخشى الله من عباده العلماء » .

« وقل رب زدنى علما » .

وما دام القرآن يهيب بالانسان أن يسمو بعقله الى

الفقه الإسلامي

الأستاذ محمد الدسوقي

آفاق رحبة من البحث والعلم ، ويبشر العلماء بالخير الجزيل ولا يسوى بين من يعلمون ومن لا يعلمون ، فان المسلم الذى يهمل نعمة العقل ولا ينهج بها طريق التدبر والبحث يكون قد عطل أعظم نعمة قد منحها الله له . ويصير كالانعام أو أضل سبيلا .

واذا كان العلم الذى يدعو اليه القرآن يشمل كل ابواب المعرفة التى تخدم الحضارة الانسانية فلا ريب ان دراسة الشريعة وفقه أحكامها من أهم العلوم التى يدعو اليها القرآن ، ليعبد الانسان ربه على هدى وبصيرة .

٣ ـ وفضلا عن هذا فان علماء الاصول يذكرون أن قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر »

« واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

نص فى وجوب الاجتهاد ، لان المقصود بالرد الى الله والرسول ، أى الى أحكام الله من الكتاب والسنة ، وذلك لا يكون الا بالبحث والنظر ، ليكون الاستنباط قائما على أساس سليم وادراك واع لعلل الاحكام ومقاصدها وسبيل هذا الاجتهاد فيكون واجبا .

٤ ـ وقد جاء فى السنة أحاديث تدعو الى الاجتهاد ، اشهرها حديث معاذ حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقد روى انه قال له : « كيف تقضى ان عرض لك قضاء ؟

قال : أقضى بما فى كتاب الله .

قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟

قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : أجتهد رأى لا آلو .

قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا شبهة فى دلالة هذا الحديث على وجوب الاجتهاد

٥ ـ فاذا أضفنا الى ماسبق أن الاسلام خاتم الاديان وأن شريعته صالحة لكل زمان ومكان ، وأن نصوص الشريعة من الكتاب والسنة محدودة وحوادث الناس متجددة غير محدودة تبين بجلاء أن سبيل تعرف الاحكام الطارئة هو الاجتهاد أما بقياس هذه الاحكام على نظائرها ، أو توجيهها الى تحقيق المصالح التى ترمى اليها الشريعة ، وبغير هذا تفقد الشريعة مرونتها وصلاحيتها لكل زمان وكل مكان .

٦ ـ تلك تعاريف الاجتهاد فى نظر بعض الاصوليين وهذه أدلة وجوبه فماذا عنه فى تاريخ الفقه الاسلامى .

لقد اختلف العلماء حول اجتهاد الرسول ، فذهب بعضهم الى انه لا يجوز له الاجتهاد ، وذهب بعضهم الآخر ـ وهم الجمهور ـ الى غير ذلك ، وأوضحوا ان الرسول قد اجتهد فى بعض النوازل ولا يقدح فى اجتهاده ان الوحى لم يقره فى بعض الاحيان ، لان اجتهاد الرسول يختلف عن اجتهاد غيره بانه واجب الاتباع ، ولهذا لو أخطأ فان الوحى كفيل برده الى الصواب ، ويكون اجتهاده حينئذ ملحقا بالوحى .

أما الصحابة فى زمن الرسول فانهم اجتهدوا وكان الرسول يشجعهم على ذلك ، وقد سبق أنه أقر معاذا حين بعثه الى اليمن على موقفه اذا عرض له قضاء ، وفى غزوة الاحزاب أمر الرسول المسلمين بعد انتهاء تلك الغزوة أن يصلوا العصر فى بنى قريظة ، فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق ، وقال : لم يرد التاخير وأنما أراد سرعة النهوض فنظروا الى المعنى واجتهد آخرون وأخروا العصر الى بنى قريظة فصلوها ليلا ، نظروا الى اللفظ . ولما علم الرسول ذلك لم يعترض على ما فعل كل فريق من المسلمين .

فالاجتهاد فى عصر البعثة كان أمرا واقعا ، وقع من الرسول الكريم ومن الصحابة على مرأى ومسمع من الرسول ، وكانوا يعتمدون ـ بعد الكتاب والسنة ـ على الفكر والنظر فى استنباط الاحكم الشرعية ، على أن الاجتهاد فى تلك الفترة كان فى حدود ضيقة ، لان الوحى ينزل من السماء ، فليس للاجتهاد مجال واسع ، وكان كذلك عمليا تعالج فيه الحوادث الواقعة فقط .

٧ ـ وفى عصر البعثة كانت مكة والمدينة تموجان بفقهاء الصحابة لا يرحل عنهما صحابى فقيه الا فى وفادة سياسية أو تعليمية ،ولكن بعد أن لحق الرسول بالرفيق الاعلى ، وأخذ نور الاسلام ينسخ ظلام الشرك والوثنية خارج الجزيرة انتشر الصحابة فى الامصار وبخاصة بعد أيام عمر رضى الله عنه ، ولم تعد مكة والمدينة مثابة للفقهاء فحسب ، بل صارت الكوفة والبصرة ودمشق والفسطاط مراكز اشعاع للفقه وكعبة يقصدها طلاب العلم .

ومع انتشار الاسلام فى بلاد مختلفة الثقافات والعادات وما نجم عن الفتوحات من أقضية ومشكلات واجه الفقهاء من الصحابة حوادث متنوعة وطوارىء جديدة ، وكان لابد أن يعالجوا تلك الحوادث ، وان يجدوا الحلول المناسبة لكل ما واجههم وهم لقرب عهدهم بعصر الرسالة وفهمهم والمامهم بأقضية الرسول وايمانهم بان الاحكام قد فرضت لعلل تقتضيها ومقاصد تؤدى اليها ، كانوا أعمق فهما فى اجتهادهم وكان كل منهم يحترم رأى سواه ويتخلى عن رأيه مغتبطا اذا بدا له أن رأى غيره أقرب الى الحق من رأيه مهما كانت منزلته ، وكان جدلهم العلمى لا يعرف المغالطات والمهاترات ولا يراد منه الا الوصول الى الحق .

وكان الصحابة فى اجتهادهم يعتمدون على القرآن

الكريم والسنة النبوية ، واذا واجهتهم حادثة لا يرون فيها نصا من كتاب او سنة كانوا يلجأون الى القياس وكانوا يعبرون عنه بالرأى .

واحيانا كانوا يجتمعون ويتشاورون فاذا اجتمع رأيهم على شيء أمضوه كما كان يفعل الخليفة الاول رضى الله عنه .

وهم مع قولهم بالرأى فيما لانص فيه من كتاب أو سنة كانوا يكرهون الاعتماد عليه لئلا يجترىء الناس على القول فى الدين بلا علم ، ولذلك ذم كثير منهم الرأى ، فهم فى اجتهادهم بالرأى يستلهمون روح الشريعة والقواعد العامة للدين مثل « لا ضرر ولا ضرار - درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة - المشقة تجلب التيسير ، وبهذا فمدلول القياس فى عصرالصحابة لم يكن هو المدلول الذى اشتهر به بعد ذلك .

٨ - اما التابعون ... وقد سموا بذلك لانهم اتبعوا الصحابة عن نظر ودليل لا عن تقليد - فانهم قد سلكوا سبيل الصحابة فى الاجتهاد ، وكانت المصادر الفقهية فى زمن الصحابة هى نفس المصادر التى كانت فى زمن التابعين ، وان امتاز هؤلاء بكثرة الاجتهاد والاراء فى مختلف ابواب الفقه ، وان هذه الآراء قد حفظت ونقلت عن التابعين ثم دونت بعد ذلك .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان الاسلام فى عهد التابعين قد شرق وغرب ، وقد انتشر فقهاء التابعين فى كل مكان من الوطن الاسلامى ، وكانوامنارات هادية يهرع الناس اليها ليجدوا الهداية وفصل الخطاب فيما يحزبهم من امر ، أو ينزل بهم من مشكلات .

وكان الاجتهاد فى زمن التابعين كما كان فى زمن البعثة والصحابة واقعيا ، غير انه مال فى نهاية القرن الاول الى الفقه الفرضى وان كان بدرجة قليلة ، وفى حدود ضيقة .

٩ - وفى نهاية القرن الاول تقريبا ظهرت بوادر المذهبية والاتجاهات الخاصة فى الدراسات الفقهية لاسباب لا مجال هنا لتفسيرها ، فقد كان فقهاء التابعين فى الامصار يتصدرون حلقات الدرس فى المساجد وكان لكل منهم فى البلد الذى حل فيه أتباع وتلاميذ يأخذون عنه ، ويقتفون رأيه ، ومن هؤلاء التلاميذ والاتباع ظهر اعلام الائمة ، وفقهاء المذاهب المعروفة المشهورة .

وفى القرن الثانى كان الاجتهاد فى الفقه الاسلامى خصبا زاهيا فقد كثر الفقهاء فى كل مكان ، وظهرت المدارس الفقهية المتميزة بمنهجها فى الاجتهاد كما ظهرت المؤلفات التى وصل الينا بعضها وبرزت أسماء المجتهدين فى جميع الامصار مثل الامام الأوزاعى فى الشام، والليث بن سعد فى مصر ، ومالك فى الحجاز ، وابى حنيفة فى العراق ..

وكان هؤلاء العلماء يتراسلون أو يلتقون فى مواسم الحج فيتناقشون حول كثير من المسائل الفقهية ، وكان هذا يمحص الامور ويظهر الاتجاهات الخاصة لكل فقيه ، ولم تكن هذه الاتجاهات متنافرة فى معظم الاحيان ، ومرد ذلك الى موقف كل فقيه من السنة النبوية ومدى أخذه بها ، فمدرسة الرأى فى العراق كانت تشترط شروطا معينة فى الحديث ليصح الاعتماد عليه فى بناء الاحكام على حين لم تشترط مدرسة الحديث فى الحجاز مثل ما اشترطت مدرسة الرأى .

وايضا فقد ظهرت بعض الاسس أو القواعد التى تتخذ عمادا فى توجيه الاحكام وكانت هذه الاسس غالبا صدى للبيئة التى عاش فيها كل فقيه ، واثرا من آثار تراثها الفكرى والحضارى .

لقد كان القرن الثانى وهو عصر النشأة للمذاهب الفقهية ، وكان الاجتهاد فى هذا القرن يعيش أخصب لحظات عمره وازهى أيامه ، وكان يقوم على الكتاب والسنة الصحيحة والقياس والاجماع .

وظهرت بعض المصادر الاجتهادية الاخرى مثل الاستحسان ،وعمل أهل المدينة .

وقد استمر نشاط الاجتهاد فى القرن الثالث ، واتسعت فى هذا القرن دائرة المذهبية واحتدم الصراع بين فقراء المذاهب ولكنه الاحتدام المحمود ، لانه كان خاليا من التعصب الكريه غالبا .

١٠ - وبعد عصر الائمة المجتهدين ، وفى نهاية القرن الثالث تقريبا فترت همة الفقهاء وأخذ التعصب المذهبى يستشرى فى كل مكان ، واهتم العلماء بمسائل الفروع اهتماما كبيرا مما أدى الى تضخم المؤلفات الفقهية وحشوها بكثير من المسائل المفترضة التى لا وجود لها والتى تدل على أن الفقهاء كانوا يلجأون اليها لافحام خصومهم ، وكان بعضهم يرى بأن وضع المسائل يعتبر نصف الفقه ، ويسوغون ذلك بأنه استعداد للبلاء قبل وقوعه ، والحقيقة ان هذا اللون من الفقه كان قد ظهر فى نهاية القرن الاول واتسع نطاقه فى عصر نشأةالمذاهب غير أنه بعد ذلك أسرف اسرافا غريبا ، وافترض افتراضات مضحكة أو مستحيلة .

لقد ركن الفقهاء الى التقليد واغلق باب الاجتهاد فى نحو منتصف القرن الرابع ، وانصرف الفقهاء الى ترديد ما قاله السابقون ، والتعصب له تعصبا كريها فى بعض الاحيان لانه كان يقوم على جعل آراء الائمة فى منزلة تسمو منزلة النصوص من القرآن والسنة . فهذا ابو الحسين عبيد الكرخى - وكان رئيس الاحناف بالعراق ، وقد توفى عام ٣٤٠ هـ - يرى ان كل آية أو حديث يخالف ماعليه أمامه هو مؤول او منسوخ ، فاين هذا من قول غير واحد من الائمة الاربعة : اذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط ،

١١ - وليس معنى انصراف الفقهاء بعد عصر نشأة المذاهب الى التقليد والسير على منهج الائمة المجتهدين أن الفقه الاسلامى لم يجد فقهاء مجتهدين خلال هذه المدة الطويلة التى بدأت منذ نحو منتصف القرن الرابع حتى الآن على وجه من الوجوه .

لقد ظهر فى عصور الضعف والمذهبية فقهاء سجل لهم التاريخ مآثر خالدة فى مجال جهاد الكلمة والفكرة ، وهم وان كانوا ينتسبون الى المذاهب المعروفة غير انهم امتازوا برحابة الأفق واحترام الرأى السليم دون نظر الى قائله لانهم كانوا لا يعرفون الحق بالرجال ولكن يعرفون الرجال بالحق ، ومن هؤلاء الامام النووى الفقيه الزاهد العابد الذى ثار ضد الظلم والضيم ، وجابه الولاة القساة بالصدق والحق ولم يرهبه تهديد او وعيد وكذلك الامام ابن عبد السلام الذى اشتهر بمواقفه البطولية وقياداته الشعبية وآرائه التى تعتمد على

النظر الحر والفكر المستقل ، وايضا الامام ابن تيمية صاحب المؤلفات الغزيره فى الفقه والعقائد وتلميذه ابن قيم الجوزية الذى ترك مؤلفات مختلفة فى السيرة والفقه والعقائد والتصوف ، ونهج نهج استاذه فى الدراسة والبحث ، فاحترم عقله وحارب التقليد حربا لا رفق فيها ، وحمل على المقلدين حملة عنيفة ودعا الى الاعتماد على الأدلة والمصادر الاصلية والاخذ بما فعله الصحابة والتابعون والائمة المجتهدون وسوى هؤلاء بما لا مجال هنا لحصره وذكره .

ومع هذا فان التيار الفقهى العام كان يسيره فى اتجاه خاطىء وكان الطابع الذى يميزه هو التقليد والتعصب المذهبى والاهتمام بالفروع والفرضيات وكان التاليف الفقهى فى هذه الفترة يدور فى فلك الشرح والتفسير والترجيح بين الآراء فى المذهب الواحد ، واحيانا يشرح الكتاب ثم يوضع للشرح حاشية وتوضع للحاشية تقريرات فيصبح الكتاب عبئاعلى قارئهودراسة وتشغله المباحث الشكلية او الجانبية من اللباب والجوهر .

١٢ - وجدير بالذكر ان محاولات بذلت للافادة من تراثنا الفقهى دون اهتمام بما عراه من حشو وافتراضات فوضعت مؤلفات جردت من الخلافات وان كانت هذه المؤلفات تسير فى اتجاه مذهب بعينه ، كما ان الحكومة العثمانية قامت فى القرن الماضى بمشروع جليل وهو وضع كتاب اسمته « مجلة الاحكام العدلية » وضمت فيه القواعد الفقهية الخاصة بالمعاملات فى صورة مواد كالتى نراها فى القوانين الحديثة ، غير ان موادهذه المجلة قد اخذت من المذهب الحنفى ، وبخاصة من كتب ظاهر الرواية ، وقد نهج هذا السبيل فى مصر المرحوم محمد قدرى فوضع كتبا على غرار المجلة مثل كتابه « مرشد الحيران الى معرفة أحوال واحكام الوقف » .

والحقيقة أن هذا عمل مفيد ولكن كان يجب ان تتجه الدراسة الى المذاهب الفقهية كلها والرجوع أصلا الى المنابع الاساسية للفقه ، والاستهداء بآراء الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ، ويبدو ان هؤلاء الحكام كانت تلعب دورا كبيرا فى هذا المجال .

١٣ - وفى العصر الحديث منيت البلاد الاسلامية بالاحتلال الاجنبى وكان هدف المحتلين صرف المسلمين عن تراثهم العقائدى والفكرى وغزوهم فكريا وروحيا قبل غزوهم ماديا وعسكريا ، وكان المستشرقون والمبشرون يقومون بتنفيذ سياسة الاستعمار هذه فى الوطن الاسلامى ، وقد نجح الاستعمار فى هذا المجال الى حد كبير ، فشاعت لدى المسلمين افكار غريبة اثرت فى تفكيرنا الاسلامى ، وانعكس هذا التاثير فيما يصدر من اراء حول القضايا والمعاملات المعاصرة وبيان موقف الاسلام منها .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان الاستعمار قد فرض قوانينه فى كل مكان استعمره ، وانحصر نطاق الشريعة فى الاحوال الشخصية وما يتصل بها ، ومع قيام الجامعات فى البلاد الاسلامية اقتصرت دراسة الفقه ايضا على مسائل الزواج والطلاق والميراث والوقف والنفقات وبعض المعاملات القديمة وشىء من علم الاصول ولكنها بوجه عام تحررت من اسار المذهبية ، ومنهج الدراسة القديمة ، فضلا عن سهولة الصياغة ، وبعدها عن الحشو والفضول .

١٤ - غير اننا فى هذا العصر الذى يعج بمختلف المذاهب والآراء يجب أن نعيد للفقه قوته وفتوته ، فان لدينا ثروة هائلةفى مجال التقنين فى كل مجال من مجالات الحياة السياسية والاجتماعية ، وقد اعترفت بهذا المؤتمرات القانونية العالمية ، وذلك فيما ارى يكون بامرين :

اولا : اعادة دراسة الفقه دراسة جديدة تقوم على تخليصه من الحشو والفروض وعرضه فى صورة خلابة تجذب القارىء وتحمله على القراءة والدراسة ، ويقوم بجزء من هذا العمل الان المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى المشروع الضخم الجليل « موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الاسلامى »

ثانيا - ان يقوم المختصون بمسح شامل للمشكلات المعاصرة التى تتطلب بيان موقف الاسلام منها ، وان يفتح المجال اما مالدارسين والفقهاء للبحث وابداء الاراء وان يكون لهم اجتماع اسبوعى حتى يتسنى له ان ننجز بطريقة عملية سريعة كثيرا من الاعمال التى تحتاج الى ابداء الراى بطريقة حاسمة ووضع حلول ناجعة لكثير من المشكلات الراهنة .

وبعد .. فاننا قد جربنا قوانين الغرب فابعدتنا عن قوانين الله ، ونحن لدينا الخير الذى لايعدله خير سواه ، ولا مناص لنا من أن نمعن النظر والتفكير لادراك هذا الخير والاستهداء به فى الحياة وسبيل ذلك الاجتهاد الذى حض عليه القرآن وحثت عليه سنة خاتم الانبياء والمرسلين ، وفرضه النظر العقلى ايمانا بعالمية الاسلام وانه آخر الاديان السماوية .

« يأيها الذين آمنوا هل دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله و جاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم»

قرآن كريم

العيد في ثوب جديد

فضيلة الشيخ عطية صقر

ان وراء الالفاظ والمظاهر معانى تستشف من بين السطور وتلوح من بين الثنايا ، وكذلك التشريعات لها حكم يتوصل الى ادراك كثير منها بأشعة نفاذة وبعين ذات أعصاب لهـا تكييف معين ومنهج خاص فى الاحسـاس ، وتلك أشـبه فى بعض حالاتها بالمواجيـد والأذواق التى تنفعل بها النفوس الصـاخبة المشرقة ، فتخترق الحجب الكثيفة ، وتسـبح فى عالم شفاف يعلو على أفهام الكثيرين ممن هبطوا بفكرهم الى الأرض ، وجمـدوا أمام عوائق المـادة الكثيفة ، وهـذه الاشراقات النفسية فى انطلاقاتها الواسـعة الحرة قد تجافى الموازين المعروفة أحيانا ، لكن بعضها قد يصحبه التوفيق فلا يصـطدم بشىء من مقررات العقل ، أو يعارض وضعا فرضـه الدين . وكثير من الموهوبين الموصـولين بتوفيق الله وصـلوا بأذواقهم وأرواحهم الشفافة الى معان حاولوا بالألفاظ أن يحددوا أبعادها فاستعصى على الكثيرين فهمهـا . ووقفوا حيارى أمامها ، واشتدت بهم الحيرة فخلصوا منها بالانكار والتشنيع عليها .

ولكل انسان كامل الحرية فى أن يستشف من المعانى ما يشـاء ، على أن يكون ذلك فى دائرة المعقول الثـابت والمشروع القـاطع ، وسيصافحك أيها القارىء هذا العدد من المجلة فى يو العيد ليقدم اليك التهنئة ويشترك معك فى مظاهر الفرح والسرور بهذا اليـوم السعيد ، وقد أحببت أن ألبس مقالى هـذا ثوبا أراه جديدا يتناسب مع الجدة التى هى طابع الناس فى هذا اليوم فتقدمت اليـك بصورته المتواضعة فى نماذج ثلاثة انتزعتهـا من واقع الحياة ، أحاول بها أن أنفذ الى شىء من المعانى التى توحى بها ، يجمل بها الظاهر والباطن ، وتسمو بها الروح فتجد نشوتهـا وتنال حظها من المتعة والاشراق ، وتطل من عليائها على الناس فتوجههم وجهة الخير .. وتلزمهم القصد .

يوم العيد فى نظرى ميعاد لحفل التكريم الذى توزع فيه الشهادات على النـاجحين فى الامتحان ، وهو امتحـان النفوس بصـوم رمضان ، الذى يشبه منهجا دراسيا تلقى فيه ثلاثون محاضرة تتناول موضوعات عدة ، فى الصبر والتحمل وتقوية الارادة ، وفى الرحمة والرأفة والمشاركة الوجدانية ، وفى التعـاون والتكافل والتضامن ، وفى النظـام والضبط والدقة ، وفى السـمو بالنفس عن الدنايا ، والارتفاع بها الى الكمالات العليا .

والذين شهدوا هذه المحـاضرات بقلوب واعية وبصيرة نافذة واخلاص كامل ، وصدر منشرح ونفس مطمئنـة ، لا بد أنهم أفادوا افادة كاملة منها فى كل المجالات الروحيـة والأخلاقية والعلمية والصحية والاقتصـادية وغيرها ، وجدير بهؤلاء أن يعطوا شـهادات النجاح فى هذه الدراسة القاسية ذات المعركة الطاحنة بين الروح والمادة ، وبين العقـل والشهوة ، بين الاثرة والايثار ، وبين الفوضى والنظام .

يقام الحفل فى النادى الاسلامى الواسع ، وهو المسجد أو المصلى حيث تفتـح الأبواب لجميع المسلمين على اختلاف ألوانهم والسنتهم ومستوياتهم ، وحيث تتجلى كل مظاهر الحياة الديموقراطية الصحيحة بأبعادها المختلفـة وألوانها المتعددة . ويشرف على هـذا الحفل منـدوبون عن الداعى اليه ، يسـتقبلون الحاضرين ويحيونهم ويضعونهم حيث تتناسب مكانتهم ، وهـؤلاء هم ملائكة الله ، وعنـد اللحظة المرتقبة التى يتشوق اليها المدعوون ، يتسلمون الشهادات على ما أحرزوا من نجاح فى هذا الامتحان الخطير ، ويتسلمون معهـا جوائز التقدير والتشجيع ، مع ضـمانات وامتيازات لا تعطى الا لأمثالهم الذين استجابوا وأنابوا وأخلصوا لله ، يغريهم بها الله على متابعة الدراسـة فى مواعيدها السـنوية المقررة ، وعلى بذل أقصى جهـودهم للفوز

بالتقديرات التي تضعهم في الصفوف الأولى من قائمة المتفوقين .

انظر معي أيها القارىء الى هذه الصورة وقارنها بما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه ابن حبان والبيهقي عن ابن عباس في حديث طويل « فاذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة ، فاذا كانت غداة الفطر - أي صباح يوم العيد - بعث الله - عز وجل - الملائكة في كل البلاد فيهبطون الى الأرض فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمع من خلق الله - عز وجل - الا الجن والانس ، فيقولون : يا أمة محمد ، أخرجوا الى رب كريم يعطى الجزيل ويعفو عن العظيم . فاذا برزوا الى مصلاهم يقول الله - عز وجل - للملائكة : ما جزاء الأجير اذا عمل عمله ؟ قال فتقول الملائكة : الهنا وسيدنا ، جزاؤه أن توفيه أجره . قال فيقول تعالى : فاني أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضاى ومغفرتي . ويقول : يا عبادى سلوني ، فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئا في جمعكم لآخرتكم الا اعطيتكم ، ولا لدنياكم الا نظرت لكم ، وعزتي لأسترن عليكم عوراتكم ما راقبتموني ، ولا أخزيكم ولا افضحكم بين أصحاب الحدود ، وانصرفوا مغفورا لكم ، قد أرضيتموني ورضيت عنكم » .

هذه صورة ، أما الصورة الثانية فاليك بيانها :

يعتاد الملوك ورؤساء الدول أن ينعموا بأوسمة ونياشين على المبرزين من رجال الدولة ، تكون كفاء لما يقدمون من خدمات وطنية جليلة في مجال الثقافة أو السياسة أو الاقتصاد وغير ذلك من المجالات ، ويحدد يوم معلوم تسلم فيه البراءات بهذا التكريم ، وهؤلاء المبرزون يكونون دائما عناوين كبيرة عند المباهاة والمفاخرة بعظمة الدولة وقوتها ، وهم موضع الثقة من ذوى السلطان وفي مكان القرب القريب منه ، ومن أجل هذا هم يحرصون كل الحرص على الاحتفاظ بهذه الثقة ، ويحذرون كل الحذر أن يطردوا بعيدا عن الرحاب أو يقالوا من المناصب ، بسبب سوء تصرفهم أو جحودهم نعمة التكريم . حتى لو كانت هناك ضمانات يأمنون بها على دوام الثقة فانهم يزدادون نشاطا واقبالا على الجد والتبريز ، شكرا على النعمة لتزيد ومقابلة للاحسان بالاحسان .

أنظر الى هذه الصورة وقارنها بالجزء الثاني من الحديث السابق تتضح لك معالمها ، ومن هنا كانت الفرحة بالتكريم والنجاح غامرة في يوم العيد ، تتجلى في الملابس الجديدة ، وحسن الهندام ، والخروج في مظاهرة سلمية وقورة تتخللها هتافات التكبير والتهليل ، وتتبادل الزيارات والتهاني ، واظهارا لروعة المهرجان أمر الاسلام بأن يشهده كل من يشارك حضوره من رجال ونساء ، وكبار وصغار ، في هذه الروعة . فقد روى مسلم وغيره عن أم عطية أنها قالت : أمرنا - تعني النبي صلى الله عليه وسلم - أن تخرج في العيدين العواتق ، أي الجوارى البالغات غير المتزوجات ، وذوات الخدور ، أي المصونات في البيوت ، وأمر الحيض أن يعتزلن مصلى المسلمين ، وفي رواية عنها : قلت يا رسول الله : احدانا لا يكون لها جلباب ، قال : « لتلبسها أختها من جلبابها » . كما أباح لنا بهذه المناسبة الاستماع الى الأغاني البريئة التي تشيع البهجة في النفوس وتحملها على فعل الخير ، فقد أقر النبي - صلى الله عليه وسلم - غناء الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيته يوم العيد ، ولم يجد في ذلك ما كما رآه أبو بكر الصديق . وحديث ذلك مشهور .

ومن تمام الفرح أيضا التمتع بتناول الطيبات من الرزق ، والأمر بذلك وفرضه

وذلك بتحريم صيام يوم العيد فان المسلمين فى ضيافة الله - سبحانه - • وفى هذه المظاهر اطلاق - الى حد ما - للحرية التى قيدت فى رمضان ، والترويح عن النفس بالمتع المعقولة لتنشط وتستعد لاستئناف عمل آخر يحظى معه بالتكريم فى المهرجان القادم •

ولا شك أن الصائمين نجحوا فى امتحانهم وقاموا بعمل شاق يفيدون منه أنفسهم ومجتمعهم ، وهم جديرون لذلك أن يعطوا أوسمة التقدير ، يعطيهم الله اياها فى الدنيا يوم العيد ، كما يعطيها لهم يوم القيامة . وفى الحديث الشريف : **للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه** » • والصائم اذا فاز بمغفرة الله ورضوانه يخشى أن يعود الى المعصية بعد رمضان بالانطلاق يوم العيد وبعده ، حتى لا تسحب منه الثقة وتسترد منه الجائزة ، ويقال من منصب التكريم ، وهو لا يضمن أن يمتد به الأجل حتى يتقدم للترشيح فى رمضان المقبل للفوز بهذه الجائزة •

هاتان صورتان ، أما الثالثة فهى صورة ذات ألوان قاتمة بظلال معينة واطار خاص ، فقد لا تجد معها أيها القارىء لأول وهلة ما يسر نفسك ويشاركك فرحتك الغامرة بالعيد ، لكنها صورة مكملة للصورتين ، لا يبرز جمالهما الحقيقى الا بها • وقد أردت بها أن تنظر الى الحياة من وجهيها ، والا يطغى اهتمامك بجسمك على روحك ، ولا تلهيك دنياك عن آخرتك ، ولا تكون ممن قال الله فيهم : **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** » •

الناس فى العيد يخرجون من بيوتهم للصلاة بين مظاهر التكبير والتهليل ، سواء فى ذلك الخارجون للعيد الأصغر، أو الحجاج للاجتماع بمنى فى العيد الأكبر ، يكونون يوم العيد فى ملابسهم على صور مختلفة . وتحدث نفس كل واحد منهم بالتباهى بما يلبس كدليل على النعمة والثراء ، فى الوقت الذى ينزوى فيه الفقير بأثوابه المهلهلة ، ويود لو خرج من الدنيا أو فات هذا اليوم دون أن يحس به ، وأنا أمثل هذه الصورة بصورة الناس يوم القيامة حين يخرجون من القبور على نداء اسرافيل بالنفخ فى الصور ويحشرون الى الله فى أشكال مختلفة تتناسب مع ما قدموا من عمل ، والغنى بأعماله الصالحة تكسوه حلة البهاء والسرور ، ويحاول أن يلفت أنظار الناس اليه ، والمقصر العاصى يلبس لباس الذلة والهون ، قال تعالى « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ، انى ظننت أنى ملاق حسابيه ••• وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه• يا ليتها كانت القاضية ••• »

ومن أجل هذه الصورة الرهيبة لهول المحشر الذى يوحى به يوم العيد ، غلب حال الخوف على كثير من الصالحين الفاهمين الواعين لقيمة الحياة • وعلى هذا يفهم ما ورد من أن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - كان يلبس الخشن يوم العيد ، فالعيد ليس لمن لبس الجديد ، انما العيد فى نظره لمن نجا من هول يوم الوعيد •

وقد ورد أن الحسن البصرى لقى شابا يضحك فقال له : هل اطمأننت على آخرتك حتى تضحك ••

وبعد ، فاهنئكم أيها المسلمون بعيد الأرض وأرجو أن أهنئكم ويهنىء بعضنا بعضا بعيد السماء عند لقاء الله ، وعندما نرى المسلمين فى عزة ومنعة كما كانوا من قبل، وانبهكم الى المبادرة بدفع الرسوم المقررة لتسلم الجائزة ، وهى زكاة الفطر ، فقد ورد فى الحديث « صيام شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع الا بزكاة الفطر » •

ذو النورين

ثالث الخلفاء الراشدين

الاستاذ عبدالعال السيد شعيب

هو عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشى ، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .. كانت ولادته فى السنة الخامسة من ميلاد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولما بعث رسول الله كان من السابقين الأولين ، أسلم على يد ابى بكر الصديق وزوجه عليه السلام بنته رقية ، وحضر مع رسول الله كل مشاهده الا بدرا فلم يحضر لأن الرسول خلفه فى المدينة لتمريض رقيه زوجته التى توفيت عقب غزوة بدر ، ثم زوجه بنته الثانية أم كلثوم وكان كاتب الوحى لرسول الله ، ولما توفى عليه السلام كان لأبى بكر ثم لعمر أمينا كاتبا يستشار فى مهام الأمور ولما دنت منية عمر دعا الرهط الذين قال عنهم الرسول انهم من أهل الجنة وهم : على وعثمان ابنا عبد مناف ، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله ، والزبير بن العوام حواريه وابن عمته ، وطلحة بن عبيدالله ، دعاهم وقال لهم : انى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر الا فيكم ، وقد قبض رسول الله وهو عنكم راض ، انى لا أخاف الناس عليكم ان استقمتم ، ولكن أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس ، ويتبين لنا من هذا التوجيه أثر الاستقامة ووحدة الكلمة فى المحافظة على وحدة الأمة ، وصيانة قوتها ، فطالما كان الذين يسدهم التوجيه متفقى الرأى ، موحدى الهدف وصلوا بأمتهم الى ما يريدون لها من عزة وأمجاد ، وصدق القرآن الكريم حينما قال « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وصدق الحديث النبوى الشريف حينما قال « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » « عليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » وعكس ذلك تماما الاختلاف ، انه كالسوس الذى ينخر الجسم القوى فيوهنه ويفتته ، والأمم لا تجنى من وراء فرقة أبنائها الا الضعف والخذلان وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى قوله « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا أن يراجع » .. ثم عين عمر رضى الله عنه الزمن الذى يتم فيه الاختيار وهو ثلاثة أيام من بعد موته ، وقال للمقداد بن الأسود : اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلا منهم ، وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام وادخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة ان قدم – وكان غائبا – واحضر عبدالله ابن عمر ولا شىء له من الامر ، وقم على رؤوسهم ، فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وابى واحد ، فاشدخ رأسه بالسيف ، وان اتفق اربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رءوسهما فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبدالله بن عمر فاى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فان لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين منهم عبد الرحمن بن عوف .. وتم الأمر باختيار عثمان ، وكانت بيعته يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ٢٣ هجرية فاستقبل بخلافته السنة الرابعة والعشرين من الهجرة ..

وعقب بيعته نودى فى المسلمين ليجتمعوا فى المسجد النبوى الشريف ، ليستمعوا الى الخليفة الجديد وهو يعلن عليهم منهاج حكمه ، لقد صعد المنبر فحمد الله عليه ، ثم قال : « انكم فى دار قلعة وفى بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم أصبحتم أو أمسيتم ، الا وان الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا ، فانه لا يغفل عنكم ، أين أبناء الدنيا واخوانها الذين اثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا ، ألم تلفظهم ، ارموا بالدنيا حيث رمى الله ، واطلبوا الآخرة ، فان الله قد ضرب لنا مثلا والذى هو خير ، فقال « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » ولنقف وقفة قصيرة نتأمل فيها هذا التوجيه الرائع من ثالث الخلفاء الراشدين ، انه يدعو الأمة الى أن يكون لها هدف نبيل تسعى اليه ، ومثل عليا تحيا من أجلها ، فليست الحياة مجرد متع زائلة من طعام وفير وشراب كثير ولباس وثير ، هذا كله عرض زائل ، وقشور فانية ، لا تغنى عن الجوهر شيئا ، هذا الجوهر هو الذى ينفع ، وهو اللباب الذى يفيد ، وهو العمل من أجل المبادىء والأهداف العالية والغايات المجيدة ، ثم يذكر بالماضى ، ومن عاش فيه من الاوائل الذين أثاروا الأرض وعمروها ومتعوا بها طويلا ، والنظر الى الماضى انما يكون للعبرة ، ولكى تتضح الرؤية ، وتظهر الأبعاد الحقيقية للحياة الطيبة ، والانسان يعيش فى هذه الحياة ويسعى ويكد فيها ويكدح من اجل

ان يعمرها بالخير ، ويبنى لأمته عزا سابقا ومجداخالدا-
ولكى يعمر أخرته كذلك بالعمل الصالح الذى هو خير ، والاسلام يحث ابناءه على العمل من أجل الحياة الدنيا والحياة الآخرة معا .. والقرآن الكريم يحثنا على ذلك « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » فمن يعمل للدنيا وحدها فهو يعيش بالمادة وللمادة ويهمل روحه وحياته الآخرة ، وبذلك كان المثل الكريم الذى ساقه القرآن مبينا لنا أن الدنيا لها زينة تخلب الألباب وتستهوى الأفئدة ، والمال والبنون فيها زينة تميل اليها النفس وتحبها وتهواها ، لكن هناك العمل النافع للامة وللدين . العمل المدخر ثوابه عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، هذا العمل هو الباقيات الصالحات « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » ..

وكتب يوجه عماله الى اتباع السياسة التى رسمها لرعاية مصالح الأمة ، فكتب الى أمراء الاجناد هذا الكتاب الموجز : « قد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل كان على ملأ منا ، ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله ما بكم ويستبدل غيركم » وكتب الى عماله كذلك ، وكتب الى عمال الخراج « أما بعد ، فان الله خلق الخلق بالحق ، فلا يقبل الا الحق ، خذوا الحق ، وأعطوا الحق ، والأمانة الأمانة ، قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم ، والوفاء والوفاء ، ولا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فان الله خصم لمن ظلمهم » ، هذا التوجيه لعمال الخراج الذين يقومون على جمع الأموال من الرعية ، فهو يوصيهم بالحق ، ليأخذوا الحق ويعطوا الحق بدون نقص أو زيادة ، ويحثهم على الأمانة ، وهى من أهم الصفات التى يتصف بها القائمون على الأموال ، فاذا كانوا امناء سعدت بهم الأمة لأنها وضعت ثقتها فيمن يتصف بتلك الصفة الكريمة فيأمنون على الأموال العامة، ويثقون بأنها فى أيد أمينة لا تجمعها الا بالحق ، ولاتنفقها الا بالحق ، ولم تبتل الأمم بأسوأ من تفشى الخيانة بين القائمين على أموالها ، ان الثقة تتزعزع فيهم ، واذا اهتزت الثقة تزعزع بناء الأمة القوى ، وصدق الله العظيم اذ قال : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ويوضح القرآن الكريم كذلك الصفة التى رشحت نبى الله يوسف عليه السلام ليتولى خزائن مصر وهى صفة الأمانة « وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم ، وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ، قال اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم ، وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » ..

ورشحت الامانة موسى قبل أن يبعث بالرسالة ليكون زوجا لاحدى بنات شعيب ، لانها وجدت فيه رجلا يتصف بمكارم الاخلاق ، ونبيل الصفات ، واقرأ فى القرآن هذه القصة الرائعة : « ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما؟ قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير ، فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال : لا تخف نجوت من القوم الظالمين ، قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين ، قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل » .

ويذكر عثمان رضى الله عنه فى هذه الوصية التمسك بالوفاء ، والوفاء صفة تدل على أن صاحبها رجل محترم الكلمة ، نافذ الرأى ، اذا قطع عهدا أوفى به ، واذا قال كلمة نفذها ، وعامل الخراج أولى الناس بالتمسك بهذه الصفة ، لتكون الثقة قائمة بينه وبين من يجبى منهم الاموال ، فيتعاون الجميع على قضاء الحقوق ، واداء الواجبات ، ثم ينهاهم عن ظلم اليتامى ، لان اليتيم قد فقد الذراع الذى يحميه ، والسند الذى يؤويه ، والساعد الذى يدافع عنه ، فعامل الخراج يجب ان يكون ذا قلب رحيم ، يرعى حقوق هؤلاء اليتامى ولا يأخذ منهم الا بالحق والعدل ، لان من يأكل مال اليتيم بغير حق يأكل السحت والنار المحرقة « ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » ..

ويحذرهم كذلك من ظلم المعاهد ، الذى ارتبط بالمسلمين بمعاهدة لحمايته ورعايته ، فقد أصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وهذا يدل على سماحة الاسلام ، وعلى سعة صدره فى معاملة من يخالفونه لقد ارتبطوا بالمسلمين بمعاهدات تدل على أنهم يريدون العيش معهم فى أمان وسلام ، وان من يظلم اليتيم كمن يظلم المعاهد يكون الله خصمه ومن خصمه الله كان من « الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » هذه التوجيهات الرائعة لعمال الخراج من خليفة المسلمين عثمان بن عفان تظهر بوضوح ما امتاز به ذلك الخليفة من سياسة رشيدة فى معاملة رعيته ، ومن حسن خلق فى ادارته شئون الامة وليس ذلك بمستغرب من ثالث الخلفاء الراشدين ذى النورين ..

المجتمع الإسلامي جزء من المجتمع البشري

الدكتور
علي حسني الخربوطلي

الله واحد ، ومنبع الاديان السماوية واحد ، والدين كله لله ، والله هو رب العالمين ، والله هو الذى خلق ويرزق الامم جميعا على اختلاف اجناسها والوانها وقومياتها ولغاتها ويبعث لهم الانبياء والرسل ليهديهم سواء السبيل .

والمجتمع الاسلامى جزء من العالم ، ولون من الوان التشكل البشرى . ولم يكن المجتمع الاسلامى ، منذ اقدم الاجيال فى عزلة عن العالم ، فقد اتصل بغيره من المجتمعات غير الاسلامية ، وأعطى واخذ ، ولكنه احتفظ بطابعه الاسلامى الاصيل . واطردت الحياة فى المجتمع الاسلامى واتصل هذا المجتمع على مر العصور والاجيال بغيره من المجتمعات الاجنبية ، لكنه لم يفرط فى تراثه الحضارى ، وساير سنة التطور بحكمة واعتدال ، واستفاد من دينه الاسلامى الرشيد فى التعمير والبناء وخدمة الانسانية .

والعاطفة الاجتماعية هى اساس الشعور الدينى ،حتى ان بعض المفكرين يعرفون الانسان المتدين بانه كائن محب للاجتماع .

يدعو الاسلام الى انه لا اكراه فى الدين ، ويعترف الاسلام بما قبله من كتب سماوية وينصح الناس بالتعايش الاجتماعى السلمى . ولا ينال الاسلام من عقيدة الاخرين ، بل ينظر الى الاديان الاخرى نظرة تسامح ، فقد سمى اليهود والنصارى اهل كتاب ، وسماهم اهل ذمة ، وهما تسميتان رقيقتان . ويرى الاسلام انه آخر ادوار التطور الدينى للتسامى والتكامل بالتطور الدينى . والاسلام دين يتجاوب مع ارفع النظم واسمى التاليد ، يدعو الى الانسانية وهو حضارة عامة شاملة تنتظم كل من يعيش تحت سمائها فى حرية وصفاء

والاسلام دين عالمى ، فيذكر المستشرق (توماس ارنولد) فى كتابه (الدعوة الى الاسلام) : لم تكن رسالة الاسلام مقصورة على بلاد العرب ، بل ان للعالم أجمع نصيبا فيه . ولما لم يكن هناك غير اله واحد ، كذلك لايكون هناك غير دين واحد يدعى اليه الناس كافة ولكى تكون هذه الدعوة عامة ، وتحدث اثرها المنشود فى جميع الناس وفى جميع الشعوب نراها تتخذ صورة عملية فى الكتب التى بعثها محمد فى السنة السادسة من الهجرة الى عظماء وملوك هذا العصر .

ويدعو الاسلام الى تعاون ابناء المجتمع البشرى جميعا دون تفرقة عنصرية ، ولا تفضيل امة على اخرى ، سوى بالتقوى وما تحققه من منافع للبشرية . ويدعو الاسلام الى الانسانية والتعاون العالمى ، وهى نفس المبادىء التى تسعى الى تحقيقها الآن الهيئات العالمية

ويتميز الاسلام بملاءمته لجميع الاجناس البشرية ،

فقد اعتنقه عناصر كثيرة غير عربية ، من فرس وروماك واحباش وغيرهم . وقد اثبت الاسلام منذ ظهوره انه دين عام يصلح لكل زمان ويناسب كل مكان ، ويتلاءم مع كل عقل وتفكير ، فهو دين الفطرة ، والفطرة لاتختلف فى انسان عن آخر ، وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة .

حارب الاسلام العصبيات التى تفضل جنسا على جنس ، او جماعة على جماعة . فالعصبية تدعو الى

الصراع الاجتماعي وتفرق بين الناس وقد جمعهم اصل واحد . ويدعو الاسلام الى أن يعيش العالم كله بشعوبه وعناصره ، في مجتمع واحد ، ويكفل الاسلام لهم جميعا الامن والسلام والحرية والاخاء فقد دعا الاسلام الناس ـ مع دعوته الى تكوين اخوة اسلامية قوية ـ الى اخوة انسانية عامة شاملة .

ويدعو الاسلام الى نظرية اجتماعية تقول ان جميع البشر ينحدرون من سلالة واحدة ، فقد انحدروا جميعا من آدم وحواء . وعاش أحفادهما فترة طويلة يدينون بدين واحد ويتحدثون بلغة واحدة . حتى اذا تكاثروا انتشروا في أرجاء الارض وانقسموا الى مجتمعات وقبائل وشعوب ، وذلك نتيجة اختلاف ظروف البيئة الجغرافية .

والاسلام يعترف بالفوارق البشرية ، ولكنه يرى أن تكون وسيلة للتعارف والتعاون ، ويرفض ان تؤدي هذه الفوارق الى العصبية العنصرية او الى الشعوبية الهدامة . ويعمل الاسلام على توحيد هذه المجتمعات البشرية حتى تصبح مجتمعا انسانيا يحقق وحدة فكرية وخلقية تستند الى اشرف المبادئ والاهداف . وكل من آمن بالله ورسله يصبح عضوا في هذا المجتمع البشري ، سواء أكان من أفريقية أو أوروبا ، اسود اللون او ابيض البشرة ، مهما كانت لغته التي يتحدث بها . فابناء المجتمع الانساني سواسية كأسنان المشط في الحقوق والواجبات الاجتماعية

ولايعترف الاسلام بالحدود الصناعية التي وضعها المستعمرون ، ولا بالحدود الجنسية التي يدعو اليها أنصار التفرقة العنصرية بل يتخطى الاسلام هذه الحدود الصناعية غير الطبيعية ويدعو الى مؤاخاة بشرية عالمية .

ولذا من واجب افراد كل مجتمع العمل على تحقيق المصلحة العامة للجنس البشري . وليس من الضروري القضاء على العادات والتقاليد التي تتميز بها المجتمعات المختلفة ، بل ان هذه الفروق قد تضيف لونا خاصا الى تراث الحضارة والمدنية .

اصبح الاسلام في القرن العشرين هدفا قوميا ودينيا . فقد كان الدمار الشامل الذي نجم عن الحربين العالميتين بمثابة صدمة للعالم ، فساد شعور بأن قيام حرب اخرى كفيل بالقضاء على البشرية . ولذا اصبح السلام ضرورة قومية واجتماعية ، فالمواطن عضو في وحدة بشرية هي الامة ، والامة عضو في وحدة بشرية كبرى هي العالم . وان الهدف الذي يستهدفه المجتمع البشري العالمي الآن هو تدعيم السلام العالمي الدائم وتحقيق الرخاء الشامل ، اي رفع مستوى المجتمع المادي والروحي الى أعلى الدرجات التي يمكن أن تصل اليها الانسانية كافة .

وبين المسلمين اتجاهات عالمية تعمل من اجل تحقيق المجتمع العالمي فجميع البشر يمثلون اسرة انسانية كبيرة يجب أن تعيش في مجتمع عالمي واحد كبير .. وينادي هؤلاء بانه حتى نستطيع تدعيم بناء الامة الاسلامية ، والتهيؤ لحمل الرسالة الانسانية فاننا محتاجون الى السلام ، في انفسنا وفي بلادنا وفي العالم كله .

والسلام ليس كلمة تقال او حلما يداعب الاجفان ، ولكنه عمل متواصل قائم على تقارب امم الارض وتفاهمها وتعاونها . ولذلك ستعتبر الامة الاسلامية نفسها صديقة لسائر الامم في العالم ، وتقيم معها علاقات تعاون وتعامل في كل ميدان اقتصادي وثقافي واجتماعي . وهذا التقارب والتفاهم والتعاون ينتهي جميعه في ذروة كبرى ، هي تحقيق الوحدة العالمية بحضارتها الانسانية

وعلى المجتمع الاسلامي أن يؤدي واجبه ودوره نحو المجتمعات الاخرى فقد راينا أن ابتعاد كل مجتمع عن الرسالة الانسانية قد أدى الى وقوعه في اخطاء واضرار كثيرة ، ونحن ـ ابناء المجتمع الاسلامي ـ نفخر انه في مجتمعنا ولدت قبل نيف وثلاثة عشر قرنا حركة سامية كانت رسالتها انسانية تؤمن بالخالق العظيم رب العالمين ، وان البشر سواسية . هي دعوة الاسلام التي دعت الى توحيد البشر في ظل حقوق وواجبات واحدة ، يتساوون ، ولا يتفاوتون بغير التقوى وما يؤدونه للمجتمع الانساني من نفع ومصالح .

ويجب على ابناء المجتمع الاسلامي أن يوحدوا صفوفهم وينظموا جهودهم ، حتى يلحقوا بسائر المجتمعات الاخرى المتحضرة . كما يجب أن نمد يد العون الى اخواننا المتخلفين حتى يلحقوا بمن سبقهم الى الحضارة والمدنية ثم يسير موكب البشرية الى الامام في تعاون وتآزر كالبنيان المرصوص نحو ما يحقق الحياة الرغدة للبشر جميعا .

ومن واجب الامة الاسلامية اثبات وجودها في كل منظمة دولية ، بشكل يتيح الاستفادة من الجميع والتعاون مع كل دولة ، ويضمن لها عدم الخضوع لاي قوة ، ويحفظها بشخصيتها التي لاتعتمد في بقائها على تقلبات التوازن الدولي ، وانما تعتمد على وعي المسلمين وارادتهم وقوتهم .

ان الرسالة الانسانية للعالم الاسلامي تنمو مع نضال الامم الاسلامية ، وتتبلور من خلال تجاربهم وهي في جوهرها تعبير عن انسانية الدين الاسلامي ، وتستهدف ارساء جميع العلاقات الانسانية على اسس الحق والعدل والمساواة والمنفعة المتبادلة ، وهي في جوهرها تعبير عن ايجابية الدين الاسلامي وبعده عن التعصب والانعزالية ، وتعبير عن حيوية الامة الاسلامية لان هذه الرسالة هي عملية اخذ وعطاء ، تتأثر بالتجربة الانسانية .

وهكذا فان للمسلمين رسالة انسانية على وجهين ، وجه في داخل المجتمع الاسلامي ، وآخر الى خارجه ، الى المجتمع الكبير ، اي المجتمع البشري .

وهذه هي رسالة العالم الاسلامي في بعثه الجديد ، وستكون رسالة كل وطن وكل انسان . ونحن المسلمين جماعة من البشر آمنت برسالتها الانسانية ، ووجدت لزاما عليها أن تضع يدها في ايدي المؤمنين مثلها حتى يسيروا جميعا صفا واحدا في الموكب الانساني العظيم وستقوم وحدة المجتمع البشري على وعي عالمي ورغبة عند جميع الامم ، وتكيفه لمقتضياتها ، وتعاون حر على تحقيقها ، وتشكيلها على هيئة تعامل كل جماعة من الناس على قدم المساواة . وهذه هي رسالة المسلمين الانسانية الى العالم .

مصادر القصص القرآني

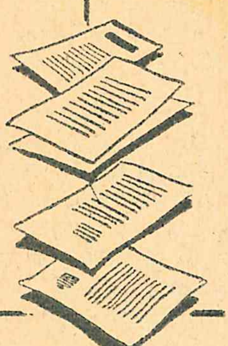

الدكتور عبد الغني الراجحي

تحت هذا العنوان قرأت فى مجلة الرسالة عدد ١٠٨٩ «للكاتب عبدالحميد ابراهيم» بحثا استهله كاتبه بالتنويه بما يرى من الاختلاف أسلوبا وهـدفا بين قصص القرآن وقصص التـوراة . ثم دلف من ذلك الى القول بأن قصص موسى وعيسى وسليمان وداود وغيرهم كان فاشيا عند العرب قبل ظهور الاسلام كنتيجة حتمية لاختلاط العرب باليهود والنصارى فقد تهود وتنصر عرب وتعرب يهود ونصارى وكان هناك حنفاء عرب كأمية بن أبى الصلت عبدوا الله على ملة ابراهيم . وأكثروا الحديث والقصص عنه وعن ولده اسماعيل والكعبة وزمزم وغير ذلك ووجدت بجوار ذلك عند العرب ثقافة أخرى تعاونت على تكوينها البيئة الصحراوية والاتصال بالأمم المجاورة فكثر الحديث بين العرب عن الجن والغيلان والسعالى والهواتف وشاعت بينهم حكايات الحيـوان كالظليم والهدهد ... والشخصيات الاسطورية كلقمان الحكيم ـ وهكذا يقول الكاتب والى هنا وقد يكون الكلام مقبـولا ومحتملا لكن الذى لا يقبل ولا يحتمل ما بناه على هذه المقدمة من النتيجة الخطيرة الخاطئة التى تتلخص فى أن القرآن جارى عواطف العرب ولم يصدم وجدانهم ولم يحاول الغاء ظنونهم وأوهامهم ليضمن لنفسه النجـاح بينهم . وكان معهم على حد قول القائل « حرك لهـا حوارها تحن » ثم خلص من ذلك الى القول بأن القصص القرآنى كان مجاريا لما ألفوه حبكا فنيا وعملا أدبيا بحتا دون أن تكون له حقيقة فى الخارج ونفس الأمر فمصادره لم تكن الا وجدان العرب وثقافتهم وما يعتلج فى لاوعيهم ويعتور مكنونهم . وهذا هو الاعجاز الفنى الخالد فاذا تحدث قصص القرآن عن ابراهيم واسماعيل واسـحاق ويعقوب فانما يتحدث عنهم لأنهم شخصيات معـروفة عند العرب يستغلها ويورد على لسانها ما يريد غرسه من المبادىء ، فابراهيم يوصى بنيه بقوله « يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » وبنو يعقوب يقولون له « نعبد الهك واله آبائك ابراهيـم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحـن له مسلمون » فيقول الكاتب : أشك فى أن هذا الموقف قد حصل بقصه وقضيضه فلم يكن الاسلام قد ظهر أيام ابراهيم وأبنائه حتى يوصى الآباء الابناء لكنه التصوير الأدبى الرائع الذى يتخذ فيه شخصية مشهورة شاعت قصصـها وأخبارها وسيلة لبث المبادىء والاهداف التى يريد تحقيقها .

وبمثل ذلك يقول فى كل قصص جاء فيه كلمة اسلام كقصص عيسى حين قال له حواريوه « آمنا بالله واشهد بانا مسلمون » وقصص ابراهيم واسماعيل وهما يقولان حين بناء البيت الحرام « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة » وقول سليمان لبلقيس « الا تعلوا على واتونى مسلمين » ذلك كله فى نظره مما استلغت فيه تصورات العرب والشخصيات المشهورة لديهم ليـردد القرآن على ألسنتها لفظة الاسلام الذى يدعو اليه من غير أن يكون ذلك قد حصل بدليل أن الاسلام لم يكن قد وجد بعد ـ هذا كلامه ورأيه بكل أمانة ودقة فى التلخيص وهو كلام لا يحتاج فى الرد عليه وبيان بطلانه وخطله الى كبير جهد أو عناء فى الدرس والتفكير .

ان الوجوه التى يدخل منها الخطأ على هذا الـكلام كثيرة جدا نذكر بعضها ونعرض عن بعض .

أولا : بالنسبة لما يدعيه هذا الـكاتب من أن القرآن جارى عواطف العرب واذهانهم وظنونهم نحب أن ننبـه الاذهان الى أن القرآن لو نزل مجاريا لأوهام العرب وظنونهم وما يعتلج فى وجداناتهم لما قامت للاسلام دعوة وما كانت هناك رسالة ولا رسول فان الرسالة والقرآن والدعوة لم يكن ذلك كله الا لاصلاح ما فسد من أوهام العرب وتخيلاتهم وعقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم .

القرآن الذى صادم العـرب فى معبوداتها وعاداتها وتقاليدها وجرد عليهم حملة شعواء من اللوم والذم والتسفيه والتقريع وشبههم بالأنعام والدواب والحمر المستنفرة فرت من قسورة لا يجوز أن يفترى عليه بأنه كان ممالئا لأوهام العرب ونازلا على ما يعتور مكنونهم ويعتلج فى لاوعيهم . كيف اذن حرم الخمر عليهم وقد كان حبها ممزوجا بذرات دمائهم ؟

كيف حرم الربا الذى كان فاشيا وأول ربا وضعه ربا العباس عم النبى ؟

كيف حرم الدم المسفوح والأزلام والأنصاب والميسر وما ذبح على النصب والتشاؤم والطيره ووأد البنات ؟ وعادة التبنى والظهار وغير ذلك مما كان فاشيا عند العرب . كيف هاجم أصنامهم التى كانوا يعبدونها وتهكم بها وضرب الأمثال الموضحة لحقارة العابد والمعبود والصنم الذى هام فى صنم فقال « مثل الذين اتخـــذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيـــوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » . وقال « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شـــيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ؟!!

كيف هاجم الآباء التى كانت موضع الاعتزاز والتوقير عند العرب وقال عنهم : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أولوا كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » نعم ان القرآن قد يستعمل الحكمة والتدرج فى بعض التشريعات التى يرى ان من الحكمة التدرج فى معالجتها وذلك كالخمر والربا والزنا والميسر وغير ذلك لكنه فى النهاية لا يسكت على باطل ولا يجارى فى وهم خاطىء ولابد أن يعمل على ترسيخ حقائقه التى من اجلها نزل ومن أجلها كان ضياء ونورا وكتابا مبينا يهـــدى به الله من اتبع رضـــوانه ســـبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النـــور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم .

ان القرآن الكريم الذى غير حياة العرب تغييرا جذريا ونقلهم من الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء الى خير أمة اخرجت للناس وكان نقطة تحول فى تاريخ العرب بل فى تاريخ البشرية كلها حاشاه أن تكون مصادره مستمدة من أوهام اول من نزل لاصلاحهم ليصلح بهم بقية العالم . « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

« كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعـــروف وتنهون عن المنكر » « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

ثانيا : بالنسبة لما يدعيه الكاتب بصريح العبارة من ان مصادرالقصص القرآنى وجدانات العرب وثقافتهم ومايعتلج فى لاوعيهم ويعتور مكنونهم . نريد أن نقرر أن هذاكلام يصح أن يقال عن القصص الانسانى الذى هو أثر فنى لكاتب من الكتاب القصاصين كما ذكر هذا الكاتب نفســـه مستشهدا بقصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم . أما قصص القرآن فانه وان كان بأساليب عربية وله لمساته القوية لعادات العرب وثقافتهم وأفكارهم تصويبا لما هو صواب وتخطئة لما هو خطأ على أتم مناسبة لحال من نزل عليهم وحكى لهم وعلى أعلى درجات الروعة والتـــأثير ومناسبة الكلام لمقتضى الحال واصابة الأهداف والاغراض الا انه فى النهاية ومع ذلك كله لا مصدر له الا الذى صدر عنه ومنه وهو الله سبحانه وتعالى . نطق ذلك القرآن نفسه وشهد لقصصه تلك الشهادة فيما يقوله الله لنبيه فى كثير من الآيات التى تستعصى على الحصر كقوله تعالى « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » وقوله « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن » وقوله « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنـــه فانه يحمل يوم القيامة وزرا » . وقوله « نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون » وقوله « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » وقوله « ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد » وقوله « ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا » .

ان القول بأن مصادر القصص القرآنى هى البيئـــة العربية والثقافة العربية والأوهام العربية يجرنا من حيث ندرى أو لا ندرى الى عملية تمهيـــد وتوطئة للقول بأن القرآن وقصصه ابن البيئة منها واليها من الانسان والى الانسان .. على نحو ما كان يقول الكافرون فيه « ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا » « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » فرد الله عليهم بقوله « قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفـــورا رحيما »

ثالثا : أما بالنســـبة لما قصـــه الله علينا من قصص ابراهيم ويعقوب وبنيه وقوله لهم « لا تموتن الا وانتـــم مسلمون » وقولهم « ونحن له مسلمون » وقول الكـــاتب انه يشك فى أن هذا الموقف قد حصل بقصه وقصيصه اذ لم يكن الاسلام قد ظهر ايام ابراهيم فتلك منه ثالثة الاثافى وكبيرة الكبائر ولا احب ان أكون من الذين يجردون على مخالفيهم سيف التكفير ولا من الذين يحمـــلون منجنيقا للقذف بالمخطئين الى نار جهنم وبئس المصير . ولكنى أحب أن أقول وبكل هدوء وبساطة ان هذا القول معناه الطعن فى صدق القرآن واحقية القصص القرآنى وادعاء أنه سبحانه يحكى علينا ويقص أشياء لم يكن لها وجود خارجى ولكنها من نسج الخيال وحبكة التـــاليف وتلفيق حوادث لاقصوصة خيالية ليخدم غرضا معينـــا على نحو ما يتخيل القصاصون البشر ويلفقون الامور لاشخاص خيالية أو حقيقية فى حبكة فنية وانشاء أدبى يخدم غرضا معينا .

نعم : ان الكاتب يعترف فى بعض فقرات مقاله بأن القرآن معجز وأنه تنزيل من الحكيم العليم ونحن نشـــكره على هذا السخاء لكن نسبة الخيال والتلفيق والاخبار بما لا يطابق الواقع الى قصص القرآن على نحو ما يلزم من كلامه لزوما بينا بل ويصرح به يعود بالنقض والتـــكذيب الى القصص والقرآن من غير مبرر لذلك الا اشـــتباه الكاتب فى أن الذين حكى عنهم لفظ الاسلام كانوا قبـــل الاسلام كأنه لم يسمع قط بأن جميع الاديان الســـماوية الصحيحة هى اسلام لله وتسليم له واذعان وخضـــوع وانقياد فقد وصف بالاسلام ابراهيم فى القرآن الـــكريم وغير ابراهيم من المرسلين والصـــالحين بمعنى عـــدم الاشراك به سبحانه وتعالى والانقياد التام له فقال تعالى « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفـــا مسلما وما كان من المشركين » وقال تعالى « بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحـــزنون » وقالت بلقيس « انى ظلمت نفسى

وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » ان الكاتب يقول ما نصه « نظر القرآن فوجد شخصيات اسرائيلية مألوفة وشائعة بين العرب فلم لا يحملها مبادىء دعوته ويكسب سمعتها وألفتها فيجعلها تهمس بمبادىء اسلامية » يعنى الكاتب بذلك أن القرآن يقولها ما لم تقل وينسب اليها كذبا ما يريد ترويجه على لسانها مستغلا سمعتها كأنما القرآن فى نظر الكاتب يريد أن يروج بضاعته ان بالحق وان بالباطل ان بالصدق وان بالكذب وهذا لعمرى هو نفس ما سبق أن طعن به طاعنون على القرآن وقصصه من مستشرقين مغرضين ومستغربين أذناب . تارةبقولهم أن فى القرآن قصصا متخيلا لا أساس له من الصحة كقصة ابراهيم واسماعيل حول بيت الله الحرامانتحلها منتحلون كعملية تقريب بين أحفاد اسماعيل بن ابراهيم وهم العرب بمكة وأحفاد اسحاق بن ابراهيم وهم اليهود بيثرب . وتارة بقولهم ان القرآن وجد بالجزيرة العربية قصصا شائعا فأكثر من ذكره توددا الى العرب ومخاطبة للناس على قدر عقولهم . وتارة بقولهم ان القصة فى القرآن يدخلها التزيد والتنقيص مسايرة للحبكة الفنية والصدق الأدبى والاخراج القصصى من غير التزام للواقع والحقيقة ولمناقشة كل هؤلاء والرد عليهم وبيان خطئهم فيما ذهبوا اليه مجالات أخرى أوسعوا فيها ردا وتأثيما الا أننا ننتهز هذه الفرصة فنقرر فى ايجاز انه كان من أهداف القصة فى القرآن .

أن تكون دليلا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعواه الرسالة واتصاله بالله من حيث أنه يخبر عن أمم وأشخاص ماضية لم يشاهدها ولم يقرأ تاريخها وكان عرضة لان يكذبه المكذبون اذا لم يقص بالحق والصدق ومن هنا لابد من أن القرآن وهو يقص أن يكون متحريا الحق والواقع والمطابقة لما فى الخارج وقد أشار القرآن الكريم نفسه الى هذه المعانى التى ذكرنا فى مثل قوله تعالى « ان هذا لهو القصص الحق » وقوله تعالى « لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة » . وقوله تعالى « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك » وقوله تعالى « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » وقال مشيرا الى معنى الاعجاز ودليل الصدق فى مطابقة قصصه لما هو واقع فى الخارج فى سورة آل عمران عقب قصص مريم وزكريا وعيسى « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » وقوله تعالى فى سورة يوسف وفى قصته « وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » وقال فى قصص موسى وشعيب « وما كنت بجانب الطور اذ نادينا » « وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين »

رابعا : بالنسبة لما ذكره الكاتب من قوله « ويشيع الحنفاء فكرتهم عن بناء ابراهيم واسماعيل الكعبة وهنا موقف خصب للقرآن فليأخذ تلك الفكرة وليكسب أنصارها الى صفه ثم يوحى اليهم بمبادىء دعوته « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » وقوله « وشاعت بين العرب عقيدة الجن فآمنوا بها ايمانا عميقا أفلا يكون اعجازا أن يحمل القرآن شخصية جنيه بعض مبادىء الدعوة وقد حدث اذ تخيل نفرا من الجن وأجرى على ألسنتهم حديثا اسلاميا تضمنته سورة الجن _ نقول : ان ما فى ذلك من الخطأ والتطاول على القرآن وقصصه ورميه بالخيالية والانتحالية لم يزد عن كونه امدادا أكثر تصريحا لما سبق ذكره عنه فى الوجه الثالث مع زيادة التصريح بانتهازية القرآن واستغلاله أفكارا خاطئة وتبنيها للتوصل بها الى ذكر مبادئه كأنما كان القرآن الكريم تنقصه الحقائق التاريخية والوقائع الخارجية يحبك عنها قصصه ليبلغ بها ذروة التأثير والاعجاز حين يعمد الى عالم الاوهام والخيالات يحيك منها قصصه كما يفعل صغار القصاصين والمتأدبين ولست أدرى ما الحامل للكاتب على أن ينكر وجود ابراهيم واسماعيل حول الكعبة وأن ينكر وجود الجن والحقائق التى ذكرت عنهم فى سورة الجن . أهى شهوة الانكار للانكار أم لدى الكاتب أدلة تستطيع أن تقف على قدميها أمام الادلة الدالة على وجود الجن وبناء ابراهيم واسماعيل بيت الله الحرام ؟

ان كان يؤمن بالقرآن فقد نطق القرآن بهذه الحقائق واضحة وكل ممكن نطق القرآن به وجبالايمان به . وان كان لا يؤمن بالقرآن فالادلة على حقية القرآن وصدق الرسالة وكونه من عند الله يستطيع أن يسأل عنها أو ينقل الجدال اليها .

خامسا : بالنسبة لما ذكره الكاتب من الربط بين قصة موسى والعبد الصالح فى سورة الكهف وبين ما كان عليه العرب من التشوق لكشف الحجب والتطلع الى الغيب بواسطة الكهان والعارفين والشياطين فموسى فى نظره يمثل العربى فى قلقه والعلم اللدنى مثل يضربه القرآن للعرب ليأتوا البيوت من أبوابها .

أحب أن أقول ان الكاتب فى بعض فقرات من مقاله يذكر أقوالا عن بعض المفسرين يحاول الاستدلال بها على ما يدعيه . فهلا أطلع على ما ذكره المفسرون فى تفسير هذه القصة وبيان سبب حصولها خارجا فى الواقع ونفس الامر مما نقلوه عن كتب الصحاح من السنة النبوية من أن موسى وقف خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل من أعلم الناس؟ فلم يرد العلم الى الله فأرادالله رده عن ذلك فعتب عليه وأخبره أن بمجمع البحرين عبدا هو أعلم منه فليرحل اليه فرحل موسى وكان من أمرهما ماكان لم يذكر الكاتب ذلك لانه يريد أن يذهب بالقصة مذهب الرمز والتمثيل والتخيل دون أن يكون شىء من حوادثها وقع خارجا . وذلك على نحو ما صرح به فيما ذكره بعد ذلك من أفكاره لقصة سليمان ومعجزة سليمان . وذلك حين يقول « عرفنا ان العرب قد عرفوا قصص الحيوان فيسير القرآن فى هذا الاتجاه ويجعل بعض الحيوانات تنطق بمبادىء اسلامية فمثلا شخصية ((الهدهد)) حيكت حولها أساطير جاهلية فليخبره القرآن وليجعله ينطق فى لغة المؤمن وحرارة صاحب العقيدة بقوله يخاطب سليمان « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » يعنى أن القرآن هو الذى يختار ويلفق وينتهز فرصة الاساطير الكاذبة ليستعير شخصياتها الخيالية ليحيك حولها مبادئه التى يدعو اليها . هكذا تماما من غير أن يكون هناك رسول اسمه سليمان ولا معجزة يدل عليها قوله تعالى « علمنا منطق الطير » وقوله تعالى

« وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون »

وهكذا يكون الالحاد فى كتاب الله وهكذا تنبش الارض من جيف وقاذورات كان يرمينـــا بها الغرب ايام كان يرمينـــا بكل نقيصة ليقضى على مقاومتنـا الاستعماره ومناعتنا ضد حيله والاعيبه

اخشى ما اخشاه أن يكون هذا الكاتب من عملاء مجلة « حوار » البيرونية التى تصدرها المنظمة العمالية لحرية الثقافة والتى تستتر تحت هذا العنوان وهى تخفى وراءه مآرب استعمارية خبيثة ويقع فى شراكها كثير من كتـاب العرب .

وانا لنأسى ونأسف أشد الاسى والاسف لنشر امثـال هذه المباحث المقوضة لدعائم القرآن الكريم الذى نشق طريقنا فى نهضتنا السياسية والاجتماعية على هـــدى وبصيرة من عروبته واشـــتراكيته ويعتبـــره الغرب والاستعماريون العقبة الكئود فى طريق استعمارهم واستغلالهم للشعوب التى تلتف حول رايته « كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

لله رجـال قد صبروا
وبفوزهمو سبق القدر
قامـوا لله بامـر الله
ولولا الله لما قــدروا

(من شعار الصوفية)

« اذا دعتك قدرتك الى ظلم الناس ، فتذكر قدرة الله عليك » .

العيد

الدين الاسلامى الحنيف الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى للناس دينا وارسل به رسوله الكريم محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه للناس كافة ليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط العزيز الحميد

وضع هذا الدين فى المقام الاول علاقة المسلم باخيه المسلم علاقة واسعة تشمل جوانب شتى من الحيـاة الجانب النفسى والجانب المادى . فلقد كان الاســلام حريصا كل الحرص على ان تسود المحبة بين افــراد المجتمع بما حث عليه من الاخلاقيات الاسلامية التى يجب ان تراعى فى العلاقات بين المسلم والمسلم . فلقاء المسلم لاخيه المسلم بوجه طلق بشوش من اخــلاق الاسلام لتوطيد المحبة بين المسلمين ومناواة المسلم لاخيه المسلم باحب الاسماء اليه من الفضـائل التى دعا الاسلام اليها لتسود المحبة بين الفـــرد واخيه .

وافساح المكان ليجلس المسلم بجانب المسلم اخلاقيات اجتماعية تمكن المحبة فى القلوب بل لقد ذهب الاسلام الحنيف الى جوانب ذات حساسية خاصة قد ينتج عنها ان يشعر غير القادر بالضعف لعدم قدرته على ان يتمتع بما يتمتع به القادر فلقد نهى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه المسلم ان يطلق رائحة طعامه على جاره غير القادر ان لم يمنحه منه ونهى لذلك ان يظهر المسلم ما يشتريه لبيته واولاده امام جاره غير القادر على الشراء حتى لايدخل فى نفسه السخط والشعور بالعجز والقصــور عن تحصيل ما حصل عليه صاحبه .. وهنا يطالعنــا سؤال لماذا كان للاسلام هذا الموقف النفسى فى علاقات

رحمة وبر

الأستاذ جابر محمد محمود

الافراد بعضهم مع بعض ٠٠ وقد يكون الجواب سهلا ولكن سهولة ترتبط الارتباط الوثيق بفلسفة الاسلام الحنيف في علاقة الافراد داخل اطار المجتمع الواحد هذه العلاقة التى يحرص الاسلام على ان تكون على اساس من الحب لا اساس من التصارع والحقد والبغضاء والتنافس غير الشريف فاذا رغب الاسلام فى جزئية صغيرة وهى عدم ايذاء المسلم لاخيه المسلم غير القادر برائحة طعامه الا أن يعطيه منه تفسر لنا هذه الجزئية تفسيرا نفسيا دقيقا للاسر غير القادرة على ان توفى للابناء كل احتياجاتهم ٠

تمنع كثيرا من التساؤلاء التى قد تتردد على لسان الابناء وهى لماذا لم تحضر لنا ما احضره جارنا لابنائه ٠٠ من هنا كان حرص الاسلام على ان تكون العلاقة علاقة حب وشكر بين المسلم والمسلم ٠ ولم يترك الاسلام الحنيف هذه الدروس يكتسبها المسلم من تلقاء نفسه باستجابته لاوامر الدين الحنيف بل خصص له شهرا كاملا فرض عليه صومه حتى يعايش الذين لايجدون شعورهم حتى يشعر وهو القادر بما يشعر به المسلم غير القادر حين لايجد الطعام ٠٠ مشاركة وجدانية عميقة يعيشها المسلم طوال الشهر الكريم شهر رمضان مع ملايين المسلمين فى مختلف ارجاء المعمورة تنصهر نفوسهم بمشاعر كريمة واحدة توحد بين ارواحهم فى وحدة شعورية تتركز حول الخير وتسموا الى الخير فى شهر الخير الذى علق الله سبحانه وتعالى رفع صيامه الى السماء بأن يخرج صاحبه زكاة رمضان كما قال الصادق الامين عليه الصلاة والسلام (صوم رمضان معلق بين السماء والارض لايرفع الا بزكاة الفطر)

اذا فصوم رمضان شهر التربية الروحية للانسان حيث يعمق فى نفسه آفاق الخير ويفجر ينابيع النور من هذا الشهر الكريم شهر التربية الروحية لابد ان ينتهى بتجربة عملية تبرهن على أن الانسان قد تعاطف حقا مع أخيه المسلم غير القادر حينما يعطيه زكاة رمضان ليدخل عليه وعلى من يعولهم السرور فى ايام مباركات هى ايام العيد ٠ ما اروعها تجربة صادقة حين يبرهن الانسان بالدليل المادى انه قد تعاطف حقا مع اخيه المسلم ، وان هذا الشهر الكريم شهر رمضان قد اثمرت شجرته المباركة فى نفسه فتعاطف مع اخيه المسلم بما قدمه له من زكاة لايقبل صومه الا بها ان الاسلام الحنيف حينما دعا الى اخراج هذه الزكاة انما يؤكد للمسلمين جميعا الفرحة الحقيقية بعيد الفطر المبارك ٠ فالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حينما قال (اغنوهم عن ذل السؤال فى هذا اليوم) وهو يوم العيد باخراج زكاة الفطر انما يضع فى الاعتبار الاول ان يكون المسلم الفقير قد وجد مايكفيه من المال فى العيد ليتفرغ لاستقبال العيد بفرحة حقيقة صادقة لاتشوبها الحاجة ولاتفسدها

عليه مطالب لايجد لها من المال مايقضيها به ٠ فكما سوى الاسلام بين المسلمين طوال شهر رمضان الكريم فى وحدة الشعور بالصوم والامتناع عن الطعام والشراب كذلك يسوى بينهم فى الفرحة بيوم العيد باخراج زكاة الفطر يخرجها المسلم للمسلم حتى يقبل بها صومه يرتفع الى السماوات العلا بعد ان قدم صاحبه الدليل العملى الصادق على انه قد تعاطف التعاطف الحقيقى مع اخيه المسلم الذى لايجد ٠ ان الاسلام الحنيف جعل من هذه العبادة وهى اخراج الزكاة وسيلة لتاكيد المحبة والتآلف بين القلوب المسلمة فحينما يرى غير القادر اخاه المسلم القادر وقد تجاوب معه فى هذا اليوم الكريم بما فرض عليه من زكاة انما يشعر بالرضى والتآخى مع من واساه بماله فى هذا اليوم الكريم

والاسلام الحنيف حينما يامر رسوله الكريم باخراج زكاة الفطر ليقبل الله سبحانه وتعالى بها صوم الصائم جعلها زكاة سهلة تتمشى مع جميع تعاليم الاسلام تعاليم سهلة لايقصد بها التعجيز ليستطيعها كل انسان كما جاء فى الكتاب الكريم فى سورة البقرة (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) فقيمة الزكاة بالعملة المالية تتراوح بين سبعة وعشرة قروش على اختلاف المذاهب الفقهية وهى القيمة التى توازى ثمن الشعير او التمر او البر الذى كان يخرجه المسلمون الاولون فهذا المبلغ هو مبلغ سهل ميسور يخرجه المسلم عن نفسه وعمن يعولهم شرعا ليقبل الله سبحانه وتعالى بها صومهم ٠٠ هى زكاة ميسورة لاتكلفه من امره عسرا حتى يستطيع اخراجها لاخوانه من المسلمين فى يوم كريم مبارك يوم اختاره الله سبحانه وتعالى للمسلمين عيدا بعد شهر مبارك كريم ينعمون فيه بعد الرحلة الروحية الصادقة فى رحاب الايمان بصفاء النفس وطهارة الروح وصدق الله العظيم اذ يقول (قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ٠

ابن خلدون والاقتصاد

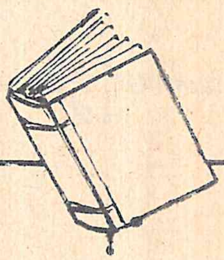

فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى

كان ابن خلدون علما من أعلام الاسلام فى التاريخ والاجتماع والاقتصـاد ، وهو ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المالكى ، وهو من أصل يمنى حضرمى ، وقد ولد بتونس فى غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ (٢٧ مايو سنة ١٣٣٢ م) ، وتوفى بالقاهرة فى ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨ هـ (١٦ مارس ١٤٠٦ م) .

وهو الذى سبق « أوجست كانت » فى مباحث علم الاجتماع ، وسبق « مالتس » فى بعض النظريات الاقتصادية ، كما سبق فى فتح الباب أمام مباحث علم الاقتصاد السياسى ، وعلم الاحصاء بقسميه وهما الاحصاء السكانى ، والاحصاء الخلقى أو « الطبيعة الاجتماعية » .

وقد نشأ ابن خلدون فى تونس ، وحفظ القرآن وهو صبى ، ثم تعلم على يدى أبيه أولا ، ثم درس العلوم الشرعية والعربية على أيدى كثير من المشايخ ، ثم انقطع عن التلمذة بسبب ظهور الطاعون الجارف فى سنة ٧٤٩ هـ وهجرة أكثر معلميه بسبب هذا الطاعون ، فاتجه ابن خلدون الى الوظائف .

وفى سنة ٧٥١ هـ تولى وظيفة « كتابة العلامة » أى كتابة مقدمات الخطابات والرسائل التى تصدر عن الحاكم ، ثم عين عضوا فى المجلس العلمى بفاس ، ثم خاض بحر السياسة بمكائدها ومناوراتها ، ونالته من وراء ذلك متاعب منها السجن ، حتى قال يشكو وهو سجين :

على أى حال لليالى أعاتب
وأى صروف للزمان أغالب
كفى حزنا أنى على القرب نازح
وأنى على دعوى شهودى غائب
وأنى على حكم الحوادث نازل
تسالمنى طورا وطورا تحارب !

وأخرج عن ابن خلدون ، وبعد حين تولى وظيفة « خطة المظالم » ، وهى وظيفة لها صلة بالنواحى الاقتصادية ، لارتباطها بامور مادية ، وقد قال ابن خلدون عن هذه الوظيفة :

« هى وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء ، وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة ، تقمع الظالم من الخصمين ، وتزجر المعتدى ، وكأنه (أى الموظف فى هذه الوظيفة) يمضى ما عجز القضاة أو غيرهم عن امضائه ، ويكون نظره فى البينات والتقرير واعتماد الأمارات والقرائن ، وتأخير الحكم الى استجلاء الحق ، وحمل الخصمين على الصلح ، واستحلاف الشهود ، وذلك أوسع من نظر القاضى ، وربما الخلفاء الأولون يباشرونها بأنفسهم الى أيام المهدى من بنى العباس ، وربما كانوا يجعلونها لقضاتهم ، كما فعل عمر مع قاضيه أبى ادريس الخولانى ، وكما فعل المأمون ليحيى بن أكثم ، والمعتصم لأحمد بن ابى دؤاد » .

ثم رحل ابن خلدون الى الأندلس سنة ٧٦٤ ، وعاد منها ثم رجع اليها وهو يدرس الحياة والأحياء ، ويجرب وينتفع ، ويتفقه فى شئون المجتمع من نواحيها السياسية والاقتصادية والعمرانية ، ثم تفرغ بعد ذلك للتأليف ، فكتب كتابه المشهور فى التاريخ ، واسمه الكامل : « كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ، وهو فى سبعة مجلدات وقد جعل المجلد الأول منه مقدمة له ، وبهذه المقدمة ذاع صيت ابن خلدن وصارت أشهر من الكتاب كله ، واعتبر الباحثون ابن خلدون بهذه المقدمة أول واضع لعلم الاجتماع .

ثم رحل الى مصر سنة ٧٨٤ هـ ، ولما هبط القاهرة لاحظ فيها وفيما حولها القدرات الاقتصادية والمظاهر العمرانية ، وكثرة الخيرات ، ووفرة البركات ، وكتب عن ذلك ، وقال فيما قال :

« فانتقلت الى القاهرة أول ذى القعدة ، فرأيت حضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر ، وايوان الاسلام ، وكرسى الملك ، تلوح القصور والأواوين فى جوه ، وتزهر الخوانك والمدارس

بآفاقه ، وتفيء البدور والكواكب من علمائه ، قد مثل بشاطىء بحر النيل نهر الجنة ، ومدفع مياه السماء ، يسقيهم النهل والعلل سيحه ، ويجبى اليهم الثمرات والخيرات ثجه ، ومررت فى سكك المدينة تغص بزحام المارة ، وأسواقها تزخر بالنعم ، وما زلنا نحدث عن هذا البلد ، وبعد مداه فى العمران واتساع الأحوال » .

* * *

ثم اشتغل ابن خلدون بالتدريس فى الأزهر الشريف ، ثم تولى منصب قاضى القضاة للمالكية فى مصر ، وكان من أهم ما ينظر فيه الأمور المالية والشئون الاقتصادية مثل أموال اليتامى والوصايا والمواريث والأوقاف ، وكان حازما صارما فى حفظ الحقوق ورد المظالم ، حتى ناله بسبب ذلك حسد الناس وكيدهم .

والتقى ابن خلدون بتيمورلنك فى الشام ، وطلب منه تيمورلنك أن يصف له الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية فى بلاد المغرب بأقاصيها وأدانيها ، وجبالها وأنهارها ، وقراها وأمصارها ، وزروعها وثمارها ، وطلب منه أن يكون الوصف كالمشاهدة ، فاستجاب له ابن خلدون ، وكتب فى ذلك كتابة رائعة .

* * *

ومن ثقافة ابن خلدون الاقتصادية العميقة انه يقرر ان التطور سنة الحياة الاجتماعية ، وأن الأوضاع الاقتصادية والسياسية لا يمكن أن تجمد على حالة واحدة ، بل هى تختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة والأمم ، ومن المستحيل أن نجد أمتين تتفقان كل الاتفاق فى نظمهما الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وهو يقرر ظاهرة اقتصادية هامة حين يذكر أن الأمة اذا كانت مغلوبة محتلة محكومة بغيرها أسرع اليها الفناء ، لأنها تكسل وتضعف فى مجالاتها الاقتصادية والسياسية ، ويقول فى تعليل ذلك :

« والسبب فى ذلك ــ والله أعلم ــ ما يحصل فى النفوس من التكاسل اذا ملك عليها أمرها . وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم ، فيقصر الأمل ، ويضعف التناسل . والاعتمار انما هو عن جدة الأمل وما يحدث عنها من نشاط فى القوى الحيوانية ، فاذا ذهب الأمل بالتكاسل ، وذهب ما يدعو اليه من الأحوال ، وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم ، تناقص عمرانهم ، وتلاشت مكاسبهم ومساعيهم ، وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم ، بما خضد الغلب من شوكتهم ، فأصبحوا مغلبين لكل متغلب ، طعمة لكل آكل ، وسواء كانوا حصلوا على غايتهم من الملك أو لم يحصلوا .

وفيه ــ والله أعلم ــ سر آخر ، وهو أن الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى خلق له (يعنى جعل الله الانسان خليفة فى الأرض) ، والرئيس اذا غلب على رياسته ، وكبح عن غاية عزه ، تكاسل حتى عن شبع بطنه ورى كبده ، وهذا موجود فى أخلاق الأناسى ، ولقد يقال مثله فى الحيوانات المفترسة ، وأنها لا تسافد الا اذا كانت فى ملكة الآدميين ، فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره فى تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم الفناء ، والبقاء لله وحده » .

* * *

وأهم كتب ابن خلدون هو كتاب « المقدمة » ، وقد تكلم فيه عن طبيعة العمران فى الخليقة ، وما يعرض فيها من البدو والحضر ، والتغلب والكسب ، والمعاش والصناعات ، وتحدث عن أثر البيئة الجغرافية فى طرق المعيشة وفى الأحوال الاقتصادية .

وقارن ابن خلدون فى « المقدمة » بين العمران البدوى والعمران المدنى ، وبين الأمم المتوحشة المتأخرة والأمم المتمدنة الراقية ، وتكلم عن نظم الحكم وشئون السياسة وأمور الاقتصاد . وتكلم عن وجوه المعاش ، ووسائل الكسب ، وأنواع الصناعات ، وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال .

ويقرر أن النظم الاقتصادية التى تتجه الى شئون الثروة فى المجتمع ، وتحدد طرائق انتاجها ، وتداولها ، وتوزيعها واستهلاكها ، هى احدى الظواهر الاجتماعية الهامة التى تبنى القواعد والاتجاهات العامة التى يسير عليها المجتمع ، ويتخذها أساسا لتنظيم شئونه ، وتحديد العلاقات بين بعض أفراده وبعض ، وبينهم وبين غيرهم .

وقد عقد ابن خلدون فى مقدمته أكثر من ثلاثة عشر فصلا فى الشئون الاقتصادية نكتفى فى هذا المجال المحدود بسرد عناوينها ، وهذه العناوين على الرغم من وجازتها تشير الى موضوعاتها ، وهى :

١ ــ الجباية ، وسبب قلتها وكثرتها .

٢ ــ ضرب المكوس (أى الضرائب الجمركية) .

٣ ــ التجارة من السلطان مضرة بالرعايا .

٤ ــ ثروة السلطان وحاشيته انما تكون فى وسط الدولة .

٥ ــ نقص العطاء من السلطان نقص من الجباية .

٦ ــ الظلم مؤذن بخراب العمران .

٧ ــ وفور العمران آخر الدولة .

٨ ــ تفاضل الأمصار والمدن فى كثرة الرفه (الغنى) لأهلها ونفاق الأسواق .

٩ ــ أسعار المدن .

١٠ ــ اختلاف أحوال الأقطار بالرفه (الغنى) والفقر .

١١ ــ تأثل العقار والضياع .

١٢ ــ حاجات المتمولين من أهل الأمصار الى الجاه والمدافعة .

١٣ ــ اختصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع .

ومن العجيب أن ابن خلدون الباحث الاقتصادى الاسلامى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ قد تحدث فى « المقدمة » عن القوانين التى يسير عليها التزايد فى النوع الانسانى ، وبذلك سبق ابن خلدون « مالتس » الانجليزى فى نظريته التى اشتهر بها ، وهى نظرية « تزايد السكان » .

و « مالتس » من علماء الاقتصاد الانجليز ، ولد سنة ١٧٦٦ م وتوفى سنة ١٨٤٢ م . ويعد من المنشئين لعلم « الديموجرافيا » أو علم احصاء السكان ، وهو من العلوم الاقتصادية ، ووضع مالتس فى ذلك كتابا سماه « تزايد السكان » ، وظهر هذا الكتاب سنة ١٨٠٣ م .

واستخلص مالتس من دراساته لظاهرة التزايد فى النوع الانسانى أن السكان يتزايدون كل خمس وعشرين سنة بنسبة متوالية هندسية (١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ..) الخ ، اذا لم يعق تزايدهم عائق خارجى .

وابن خلدون الذى كان قبـــل مالتس بأكثر من أربعمائة سنة قد تعرض لهذه النظرية ، وان لم يمن بتفصيل الحديث عن أجزائها ، ووضع قانون محدد لها كما فعل مالتس .

وقد استخدم ابن خلدون هذه النظرية التى سبق بالاشارة اليها والحـديث المجمل عنها ، فى تمحيص الروايات التاريخية ، فقد ذكر المسعودى المؤرخ وغيره عن جيوش بنى اسرائيل أن موسى عليه السلام أحصاهم فى التيه (أى فى المدة التى قضاها بنو اسرائيل فى سيناء وهى أربعون سنة) فوجدهم ستمائة ألف أو يزيدون ، من ابن عشرين سنة فما فوقها .

فجاء ابن خلدون ينقد هذه الرواية ويردها فقال فى « المقدمة » :

« فالذى بين موسى واسرائيل انما هو اربعة آباء على ما ذكره المحققون ، فانه موسى بن عمران بن يصهر ابن قاهث - بفتح الهاء وكسرها - ابن لاوى - بكسر الواو وفتحها - ابن يعقوب ، وهو اسرائيل الله ، هكذا نسبته فى التوراة ، والمدة بينهما على ما نقله المسعودى قال : دخل اسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا الى يوسف سبعين نفسا ، وكان مقامهم بمصر الى أن خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائة وعشرين سنة ، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ، ويبعد أن يتشعب النسل فى أربعة أجيال الى مثل هذا العدد » .

وقد تحدث ابن خلدون فى « المقدمة » أيضـا عن الفلاحة ، والبناء ، والتجارة ، والحياكة ، والخياطة ، والوراقة ، وغيرها ، وقد لخص كتاب « تاريخ فلاسفة الاسلام » الفصول التى طرقها ابن خلدون فى مقدمته ، فقال عن الفصل الخامس : « الفصل الخامس فى المعاش ووجوهه من الكسب والصـــناعات ، وفيه مسائل فى الرزق والكسب ، وأنه قيمة الأعمـــال البشرية ، وفى المعاش وأصنافه ومذاهبه ، ونســبة ذلك الى طبيعة العمران ، وفيه مباحث مســهبة فى أبواب الرزق من التجارة والصناعة على اختلاف ضروبها وأنواعها ، ووصف أمهات الصناعات فى أيامه كالزراعة والعمارة والنسيج (الحياكة والخيـــاطة) والتوليد والطب ، والوراقة ، والغناء وغيره .

وهذا المبحث من قبيل ما يسميه أهل هذا الزمان الاقتصاد السياسى ، والاقتصاد الاجتماعى .

وهكذا كان عبد الرحمن بن خلدون باحثا اجتماعيا اقتصاديا هيأته كتاباته لكى يكون علما من أعلام الاجتماع والاقتصاد فى تاريخ الاسلام .

قال تعالى :

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .

الإسلام دين عالمي

الاستاذ عبد المنعم الادفوي

الاسلام دين الله الحق الذى ارتضاه سبحانه وتعالى لجميع عباده ، وتلك حقيقة يؤيدها الواقع والبحث العلمى المجرد أو التجريبى كما يقول علماء العصر الحديث .

واذا كان بعض المستشرقين والمغرضين من أعداء الاسلام يحاولون أن ينالوا منه كقولهم انه دين محلى جاء لاهل الجزيرة العربية وحدهم دون سائر الامم الاخرى ، وأن توسعه كان بعد ذلك نتيجة لظروف لم تكن فى الحسبان ـ فاننا نرد هذه الاغراض المريضة بالواقع الذى صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله الى وفاته

فاول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »

يقول الدكتور عبد الحليم محمود فى مؤلفه « الرسول صلى الله عليه وسلم .. لمحات من حياته ونفحات من هديه » ان « اقرأ باسم ربك» تنص على ان القراءة لاتكون باسم وزير ولا أمير ، ولا باسم منفعة شخصية ، ولا باسم مصلحة اقليمية ، ولا باسم غاية مادية أيا كانت ، ولا باسم وطن أو بيئة ، وانما هى باسم الله ، واذا كانت باسم الله فانها تفيد الشخص باعتباره فردا ، وتفيد المجتمع الخاص الذى نسميه وطنا ، وتفيد المجتمع الاسلامى ، بل تفيد الانسانية جمعاء » .

ولو كان الدين الاسلامى دينا محليا لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم قولته المشهورة : لعمه أبى طالب ظنا منه أنه ضعف عن نصرته « يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك دونه »

وكانت هذه الكلمة المدوية فى سمع الدنيا قد قالها الرسول ردا على ما ضاق به كفار قريش من رسول الله حيث مشوا الى عمه أبى طالب فقالوا له : ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيناك من ابن أخيك ، فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك أذلك حتى يهلك احد الفريقين ، ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم .

ولو كان الدين الإسلامى دينا محليا ، كما يقول المغرضون من الغربيين لقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ما عرضته عليه قريش فى بدء الدعوة ، حيث بعثوا اليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم ، فجاءهم سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا ، يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا له : يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك ، وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك .. لقد شتمت الآباء وعبت الدين والآلهة ، وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح الا جئته فيما بيننا وبينك .. فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالا .. وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك

رئيا تراه قد غلب عليك ، فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال رسول الله : ما بي ما تقولون .. ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما حدثتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم »

ومما يؤكد أعظم التوكيد تاريخيا أن الاسلام دين عالمي قول الرسول لعمه أبي طالب « يا عم كلمة واحدة يعطونيها فيملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم والعرب والعجم هم كل الانسانية »

وذلك أنه لما اشتكى ابو طالب وبلغ قريشا ثقله مشوا اليه فكلموه .

فقالوا : يا أبا طالب أنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه : ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه

فبعث اليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك قال : فقال رسول الله : « يا عم كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات قال : « تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه »

فالتاريخ يروي بالنص أن الاسلام دين عالمي

ومن دلائل أن الاسلام دين عالمي ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله عنه في واقعة الخندق التي حدثت في العام الرابع من الهجرة اذ قال :

ضربت في ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة .. قال : ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى قال : قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ..؟ قال : « أو قد رأيت ذلك يا سلمان..؟ قال : قلت نعم ، قال : « أما الاولى ، فان الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية ، فان الله فتح علي بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق »

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول ، حين فتحت الامصار في زمان عمر وعثمان رضي الله عنهما وما بعده . افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة ، الاوقد أعطى الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

مكاتبة الملوك

وفي أواخر العام السادس من الهجرة وأمن الطريق من قريش بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يكاتب الملوك يدعوهم الى الاسلام ، ولو كان الاسلام دينا محليا لما فعل ذلك وبخاصة أن الجزيرة العربية لم تسلم كلها بعد .

وقد بعث الرسول هذه الكتب الى كل من قيصر ملك الروم ، وأمير بصرى والحارث بن أبي شمر أمير دمشق من قبل هرقل ، والمقوقس أمير مصر ، والى النجاشي والى كسرى والى المنذر بن ساوى ملك البحرين والى ملكى عمان والى ملك اليمامة .

ومعنى ذلك أن دعوة الرسول الى الدين الاسلامي وصلت في حياته الى مصر والحبشة والى أوربا ، وكل هذه خارجة عن الجزيرة العربية

والقاسم المشترك في هذه الكتب هو الدعوة الى الاسلام .

ومن المرفوض عقلا وواقعا أن توجه الدعوة من أول يوم لظهورها الى سكان الارض ، فذلك من المستحيل ، ويكفي لتكون الدعوة عالمية أن تحمل من أول يوم لميلادها بذور شمولها ، وهي الدعوة الى القراءة باسم الله كما ذكرنا .

ان الكتب التي بعث بها الرسول الى خارج الجزيرة العربية ، يدعو فيها الملوك والامراء الى الاسلام ، ليس لها معنى أكثر من أن الاسلام دين البشرية جمعاء .

ان الرسول كان يدعو للاسلام كل من يقابله ، بل ويتعرض للناس لهذا الغرض ، فهو اذا كان قد بدأ في مكة بعشيرته الاقربين ، الا أنه أخذ بعد ذلك يدعو الى رسالته في الاسواق وفي الطرقات ، ويذهب الى الطائف ، ومكة يومئذ تقاومه

ونحن اذ نسرد هذه الوقائع التاريخية للتدليل على أن الاسلام دين عالمي ، فانما نقدمها للمنكرين ، الجاحدين.. لانهم لا يؤمنون الا بالواقع المحسوس

أما الادلة النقلية على عالمية الاسلام ، فذلك هو القرآن والسنة المطهرة

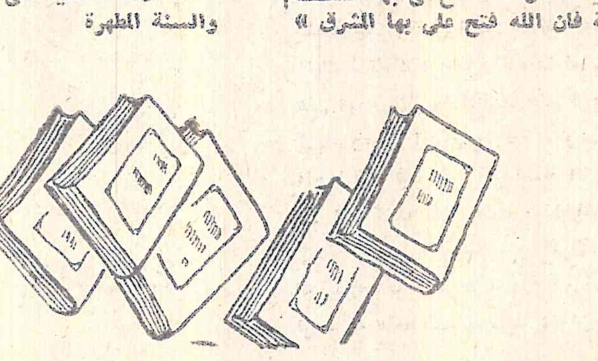

الحسن بن زياد اللؤلؤي

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

نشأته ومبدأ امره :

كان كوفى الدار عراقى الاصل ، نبطيا والنبطشعب نشيط معروف بالحـــذق فى عمارة الارض ، وكانوا سكان العراق واربابها ، وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، نحن معاشر قريش حى من النبط من اهل كوثى . وكوثى العراق سر السواد ، وبها ولد ابراهيم عليه السلام ، وفى حديث على كرم الله وجهه ، من كان سائلا عن نسبنا ، فانا قوم من كوثى ، وهذا منه تبرؤ من الفخر بالانساب ، وتحقيق لقوله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وكان عليا الصحابى الجليل صاحب الشرف الاصــــيل ، لم يحمل نسبه الاشرف من كـــل نسب ، على الفخر بنســـب أو حسب ، مترفعـــا عن الكبرياء ، عادا الاخاء الاسلامى فوق كل اخاء .

نظام حياته عند اكتمال بدره :

لزم الحسن بن زياد مجلس ابى حنيفة ، فقال ابوه لى بنات وليس لنا غيره فقال اشر عليه بما ينفعه ، فقال له ابوحنيفة حين جاء ان اباك قال كيت وكيت ، الزم فانى لم أر فقيها قط فقيرا ، وكان يجرى عليه النفقة حتى استقل ، وهذا يدل على ان الحسن بن زياد كان ممن ينفق عليهم ابوحنيفـــة من تلاميذه ، ليتمكنوا من الانصراف الى العــلم ، حتى ينبغوا فى الفقه ، الا ان الحسن بن زياد لم يكن من الرعيل الاول من اصحاب أبى حنيفة ، بل تفقه عليه فى مبدأ امره ، ثم اصبح هلاله بدرا بعد أبى حنيفــــة ، بملازمتــه زفر وابا يوسف وغيرهما من اصحابه ، وكان والد الحسن بن زياد من موالى الانصار ، فنسب الحسن انصاريا لذلك ، ومما تحلى به الحسن بن زياد . اتساع دائرة علمه . ويقظته البالغة وورعه الشديد ، فاقبل على العلم بشغف ، حتى قال فيــــه نصـــير بن يحيى ، ان الحســـن بن زياد كان قد قسم النهار الى اقسام ، يجلس صدر النهار اذا رجع من صـــلاة الصبح ، فيدرس فيخوضــون فى مسائل الفروع الى قريب الزوال ، ثم يدخل المنــزل فيقضى حوائجه الى وقت الظهر ، ثم يخرج للظهر ويجلس للواقعات الى العصر ، ثم يصلى العصر ويجلس فيناظرون بين يديه فى الاصول ، ثم يصـــلى المغرب ويدخـــل المنزل ، ثم يخرج فيتذاكرون فى المســـائل المغلقة الى العشاء ، فاذا صلى العشـــاء جلس لمسائل الدور والوصايا الى ثلث الليل ، وكان لا يفتر عن النظر فى العلم . وكانت له جـــارية اذا اشتغل بالطعام او بالوضوء او بغير ذلك تقرا عليه المسائل حتى يفرغ من حاجتـــه ، هكذا كان انكبابه على العلم والتعليـــم بعد ان اصبح اماما قدوة رحمه الله ورضى عنه .

ثناء اهل العلم على الحسن بن زياد :

قال الحاوثى ما رايت احسن خلقا من الحسن بن زياد ولا اقرب ماخـــذا ولا اسهل جانبا منه حتى كان الحسن يكسو مماليكه مما يكسو نفسه وفى احتياطه لدينه . يحـــدثنا ابنه محمد فيقـــول استفتى ابى فى مسالة فاخطا فيها فلم يعـــرف من استفتاه ، فاستاجر مناديا ينادى أن الحسن بن زياد استفتى يوم كذا وكذا فى مسالة فاخطا . فمن كان أفتـــاه الحسن بن زياد بشئ فليـــرجع اليه ، فمكث اياما لا يفتى حتى وجد صاحب الفتـــوى ، فاعلمه انه اخطأ وان الصواب كذا وكذا ، فهل يتصور ان يفعل مثل هذا من لا يكون ملء اهابه خوف الله جل شأنه ، وفيه يقول يحيى بن ادم ما رايت افقـــه من الحســـن بن زياد . وقال ابن شجاع سمعت ابن زياد يقول : مكثت اربعين سنة لا ابيت الا والسراج بين يدى . وسهره فى سبيل العلم اربعين سنة هكذا جعله خالد الذكر بين فقهاء هذه الامة .

ماقاله الحسن عن ابى حنيفة :

قال الحسن سمعت أبا حنيفة يقول كانت ولاة بنى امية لايدعون بالموالى من الفقهاء المفتيا ، وأول من دعا بالموالى من الفقهاء ذكر رجلا منهم سماه ، قال أبوحنيفة فدعيت فيمن دعى ، فدخلت فاذا ابن ابى ليلى وابن شبرمة عنده ، احدهما عن يمينه والاخر عن شماله ، فقال أحدهما يفرق بينهما ، ويضرب ضرب النكال ، فقال لاحدهما ماتقول فى امراة تزوجت فى عدتها ويجعل مهرها فى بيت المال ، ولا يجتمعان ابدا . وقال للآخر ماتقول فقال مثل ذلك ، قال فنظر الخليفة الى

فقال ماتقول يا نعمان :

فاسترجعت فى نفسى وقلت ، اول مادعيت سئلت ، انا اقول فيها بقول على رضى الله عنه ، وبه ادين الله تعالى . فكيف اصنع ، ثم عزمت ان اصدقه وافتيه بالذى ادين الله به ، وذلك أن بنى امية كانوا لا يفتون بقول على رضى الله عنه ، ولا يأخذون به فقلت اصلحك الله ، اختلف فيها رجلان بدريان ، فقال لى وماقالا ، قلت قال احدهما بالذى قال به ابن ابى ليلى وابن شبرمة قال ومن هو ، قلت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال وماقال الآخر ، قلت قال يفرق بينهما ، وتعتد بقية عدتها من الاول ، ثم تعتد عدة مستأنفة من الاخر ان كان دخل بها ، ثم يفرق بينهما ، ولها مهرها بما استحل منها ، يدفع اليها ولا يجعل فى بيت المال ، فاذا انقضت عدتها ، فان شاء تزوج بها بنكاح جديد ومهر جديد ، فقال لى يانعمان ، من هذا قلت على بن ابى طالب رضى الله عنه ، فقال لى ابو تراب قلت نعم ، ثم قلت وما تقول أنت فنكس راسه ونكت بقضيب كان فى يده ، ورفع راسه الى وقال لى يا نعمان ، والله انه لاشبه القولين بالحديث ، فرجع قول على رضى الله عنه مع عداوة بنى امية له .

توليه القضاء واتصاله بالامراء :

كانت تولية الحسن بن زياد القضاء سنة ١٩٤ هـ بعد وفاة حفص بن غياث القاضى ، فلما ولى الحسن ابن زياد القضاء لم يوفق فيه مع انه كان حافظا لقول اصحابه ، لكنه اذا جلس فى مجلس الحكم يذهب عنه التوفيق ، حتى يسأل اصحابه عن الحكم فى ذلك ، فاذ قام من مجلس القضا عاد الى ماكان عليه من الحفظ ، ولا يكون هذا الا من تهيبه القضاء وخوفه من الله فى الحكم ، وبين من ولوا القضاء على خلاف رغبتهم اناس يتحاشون الحكم لذلك . بأن يصلحوا بين المتخاصمين بتحمل القاضى الغرامة ، وهذا نوع من الورع لايمكن أن يتخذ أساسا للقضاء . فسبيل مثله ان يستعفى ويستريح كما فعل الحسن بن زياد الذى بعث اليه البكائى يقول له ويحك انك لم توفق فى القضاء وأرجو أن يكون هذا لخيرة أرادها الله فاستعف فاستعفى واستراح وأما اتصاله بالامراء فذلك حين امره الرشيد أن يسير الى المأمون ايام كان بالرقة فى كل أسبوع يوما ، فيذاكره الفقه ويسأله عن الحديث واختلاف الناس فيه ، وبينما الحسن فى بعض الليالى عنده بالرقة يحدثه اذ نعس المأمون ، فقال له الحسن سمعت ايها الامير ففتح عينيه وقال فى غضب انك سوقى خذ ياغلام بيده واخرج به من مجلسى فأخرج فلم يدخل عليه بعد ذلك فبلغ الرشيد فقال متمثلا :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه
وتغرس الا فى منابتها النخل

وهذا يدل على انه كان قوى النفس . لايعامل الكبار معاملة خاصة وذلك امر يستسيغه الامراء والكبراء ولو كان يرعى السياسة المرعية لانتفع بعلمه الكبار والصغار ، ولعله لم يكن يتاح للاتصال بهم لانصرافه الى العلم ، فأبدى شذوذا عن الرسوم المرعية ، ليستغنوا عنه فحصل له ما أراد ، وهذه الانباء تدل على نفسية الحسن بن زياد ، وعلى أنه من خيرة العلماء ، والمشار اليهم فى الفقه والحديث والمبرزين فى معرفة الاختلاف بين الفقهاء ولذلك وقع أختيار الرشيد عليه لمجالسته وتعليم ابنه المأمون وان اخفق فيهما لحالته الروحية ، ولقد عاش الحسن بن زياد قوالا بالحق لايخاف فى الله لومة لائم ولا يرهب سطوة احد ، لان عزه بالله ، ومن كان الله معه لا يغلب ولو أطبق العالم عليه وهكذا سار الحسن على جسر الحياة حتى آخر خيط من خيوط عمره الذى قطعته المحن وابلته الفتن فاقفر الربع وصوح النبت وخلت الديار من قطانها فعاف هذا العالم ورحل عنه فى رحلة الابد عن تسعين حجة قضاها فى البر وعمل الخير فرجعت نفسه الى ربها راضية مرضية نقية من الدنايا كنقاء الثوب الابيض من الدنس وذلك فى سنة ٢٠٤ هجرية فاستحق من العباد الثناء ومن الله حسن الجزاء .

الفتنة الأولى

وعثمان المفترى عليه

الأستاذ سالم البهنساوي

تناولت الصحافة الاسبوعية هذه الفتنة فى الاسبوع الماضى . غير ان كتابنا ما زالوا يستقون معلوماتهم من مصادر ثبت أنها مفرضة ووضعت ممن لا يوثق بهم ولا يؤخذ بروايتهم ، حيث قد انفرد الاسلام دون غيره بتحقيق عظيم للروايات والرواة لتمييز الصادق منهم والكاذب ، وهو معروف بعلم مصطلح الحديث ، وذلك بعد أن ثبت أن المنافقين قد نسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الاحاديث ليحدثوا فى الاسلام ما ليس منه ، فحفظه الله بتحقيق هذه الروايات وتمييز هؤلاء الرجال .

وما زالت روايات التاريخ الاسلامى بها الصادق والكاذب ، وينبغى على من يتصدى للكتابة فى هذا التاريخ أن يتحرى هذه الروايات حتى لا تكون فتنة ويوضع الحق فى نصابه .

من هذه الروايات الكاذبة ما نسب الى عثمان بن عفان الخليفة الثالث من انه ولى اقاربه فثار عليه المسلمون ومنهم كبار الصحابة ثورة انتهت بقتله عندما رفض التنحى عن الحكم .

ومن له دراية بالتاريخ الاسلامى يعلم ان الذين حاربوه بالسيف هزموا شر هزيمة فى الغزوات المعروفة رغم تفوقهم فى العدد والعدة ومن ثم لم يجدوا سوى الحرب الباردة فأسلموا فى الظاهر وتخللوا صفوف المسلمين لاحداث الفتن والاضطرابات .

لم يستطع هؤلاء الوصول الى غرضهم خلال حكم الرسول عليه الصلاة والسلام فقد أظهرهم الله وأمر رسوله بمقاطعتهم وهدم المسجد الذى أقاموه لغرضهم قال تعالى :

« والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن ان أردنا الا الحسنى ، والله يشهد انهم لكاذبون » .

ولقد اقترح بعض الصحابة قتل رءوس هؤلاء المنافقين فرفض الرسول حتى لا يقال ان محمدا يقتل أصحابه لوجودهم فى صفوف المسلمين .

وفى ظلال حكومة الخليفة الاول والثانى لم يستطع هؤلاء أحداث أى فتنة أو اضطراب فقد كان لهم بالمرصاد ، بل ان عمرا كما روى الطبرى حينما استعرض الجيوش للجهاد وجد أقواما شك فيهم ، منهم خالد ابن ملجم وسودان بن حمران فقال : ما أجد فى العرب أكره الينا من هؤلاء . وشدد عليهم .

ثم جاءت خلافة عثمان بن عفان ومعها كان الاسلام قد انتشر فى مصر والشام فوجد هؤلاء المنافقين الفرصة لاحداث الفتن والاضطرابات بين المسلمين الجدد ولا سيما أن عثمان بن عفان كان لينا شفوقا رحيما .

بداية الفتنة :

تولى قيادة هؤلاء المنافقين عبد الله بن سبأ وحكيم ابن جبلة ومالك بن الحارث الاشتر وخالد بن ملجم وغيرهم .

أقام حكيم بن جبلة بالبصرة يشعل الفتن واقام عبد الله ابن سبأ بمصر ، وحرضا الناس على الفتنة متهمين الخليفة بثمانى عشرة تهمة ، وجاءوا مع الناس اليه فناقشهم ووعظهم وعادوا من حيث جاءوا .

ولكن رؤوس الفتنة لم ترض بما حدث ، فاقتناع المسلمين وعودتهم قد قطع على المنافقين غايتهم ، ومن ثم تخلف قادة النفاق بالمدينة وعلى رأسهم الاشتر وحكيم ولم يجدوا حيلة لاعادة الفتنة الا اختلاق رسالة على لسان الخليفة الى عامله بمصر بقتل بعض المسلمين وفى مقدمتهم محمد بن أبى بكر .

تسلم المسلمون هذه الرسالة من حاملها وهو مأجور من دعاة الفتنة فعادوا الى المدينة وناقشوا الخليفة فى هذا الكتاب فانكره وطلب منهم ان يقيموا شاهدين من المسلمين على دعواهم أو يقبلوا يمينه فرفض دعاة الفتنة لانهم لا يريدون الحق بل يريدون الفوضى والدمار حاصر الثوار دار الخليفة فتجمع الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم للدفاع عن الخليفة كما ارسل اليه معاوية يستأذنه فى ارسال قوة من جند الشام لقتال هؤلاء البغاة ولكن عثمان رفض ذلك كله .

وآثر حقن الدماء وقال لعبد الله بن عمر وكان معه في داره اخرج الى الناس واخبرهم أن من عليه سمعا وطاعة لامير المؤمنين ان يكف يده وسلاحه فخرج عبد الله بن عمر وأعلن المسلمين بذلك ولكن البغاة اقتحموا على عثمان الدار وقتلوه .

الكتاب سبب الفتنة :

سبق للبغاة أن جمعوا المسلمين من مصر والشام بعد أن أقنعوهم أنهم تلقوا من علي وطلحة والزبير دعوة الى الثورة على الخليفة لانه غير سنة الله . ولما تجمع القوم بالمدينة واقتنعوا بسلامة موقف الخليفة عادوا الى ديارهم وقد كانوا اربع عشرة فرقة اتجهت عائدة الى مصر والشام فاذا براكب يمر على وفد مصر ويتردد في المرور امام الوفد ثم يذكر لهم ان معه رسالة من عثمان الى عبد الله بن أبى السرح ففتشوه وقرأوا الرسالة فثارت ثورتهم ثانيا وعادوا الى المدينة وحاصروا الخليفة وقتلوه .

وهـذا الكتاب اختلقه الاشتر وحكيم واسا الفتنة اللذان تخلفا بالمدينة ويؤكد ذلك ما يأتى :

١ – الروايات التى رويت عن هذا الكتاب وجاء فيها أن الذى حمله غلام عثمان وان الجمل الذى ركبه من ابل الصدقة ... كلها اخبار مرسلة أى لايعرف من الذى رواها حتى يمكن التحقق من مدى صدقه أو كذبه .

٢ – مضمون الكتاب اضطربت فيه الروايات ، فقيل ان مضمونه « اذا قدم عليك عبد الرحمن بن عويس فأجلده مائة جلدة وأحلق رأسه ولحيته واحبسه حتى يأتيك أمرى » .

ورواية اخرى ان مضمون الكتاب « واذا قدم محمد ابن ابى بكر الصديق فاقتله وكن فى عملك حتى يأتيك رأيى »

ورواية اخرى عن مضمون الكتاب امر بقطع أيدى وارجل الثوار العائدين .

وهذا الخلاف فى الرواية مع جهالة الراوى يوضح مدى الريبة والشك فى صدقها .

٣ – تجمع الفرق التى كانت قد اتجهت فى طريقها الى مصر والكوفة والبصرة يؤكد ان هذا التجمع لم يكن وليد الصدفة وانما لابد ان يكون بتدبير من قبل . والذين أرسلوا هذا الكتاب الى قوافل المصريين أرسلوا رسلا الى القوافل الاخرى تخبرهم بأمر هذا الكتاب ومن ثم عاد الجميع فى ميعاد واحد ليدخلوا المدينة سويا ، وهذا يؤكده ما رواه الطبرى مما دار بين الثوار وعلى بن ابى طالب من نقاش حيث قال لهم : « كيف علمتم ياأهل الكوفة وياأهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا هذا والله أمر أبرم بالمدينة » .

٤ – قيل ان الكتاب موجه الى عبد الله بن أبى السرح فى مصر بينما ثبت أن الخليفة عثمان كان قد أرسل الى عبد الله ليحضر الى المدينة وفعلا غادر مصر ووصل الى العقبة فى طريقه اليها ، وقد تولى حكم مصر فى هذه الفترة بالقوة والغلبة محمد بن أبى حذيفة وهو أحد الثوار الخارجين على الخليفة .

فلا يتصور أحد أن يرسل الخليفة كتابا الى عبد الله ابن أبى السرح وهو يعلم انه ليس بمصر ، كما لايتصور ان يرسل هذا الكتاب الى احد الثائرين عليه مما يؤكد اختلاق هذا الكتاب .

تولية أقارب عثمان :

من الاتهامات التى أشاعها دعاة الفتنة القول بأن الخليفة ولى أقاربه ، والحقيقة أن هؤلاء كانوا اما قادة فى الحروب أو فى مناصب اخرى قبل تولى عثمان الخلافة ومن ثم فوجود أكثر هؤلاء كان من زمن أبى بكر وعمر ووجودهم فى هذه المناصب فى عهد عثمان شىء طبيعى لان سلفه لم يعينهم لمحسوبية او قرابة وانما لكفاءتهم ويؤكد ذلك قول عبد الله بن عمر : « لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر لما عتبوا عليه » .

فمثلا : معاوية ولاه ابو بكر ثم من بعده عمر وكفاءته معروفة . أما تولية الوليد بن عقبة فهى من زمن أبى بكر الذى استخدمه أمينا للسر فى الرسائل الحربية ثم قائدا لجيوش الشام اما توليه عبد الله بن عامر فسببها ليس القرابة بل لانه قضى على يزدجرد آخر ملوك الفرس أى انه من عظماء المحاربين وقادة الجيوش والاولى أن يكرم عثمان لاختياره امثال هؤلاء القادة العظماء ولو كان هؤلاء فى اوربا لخلدتهم دولهم .

الصحابة وتنحية عثمان :

زعم دعاة الفتنة ان كبار الصحابة وعلى الاخص على ابن ابى طالب ، كانوا وراء الفتنة لانهم يعلمون بواطن الامور ، وهذا باطل لا يصدر الا عن جاهل .

فالصحابة يشهدون جميعا بصلاحية عثمان وانه من المبشرين بالجنة حيث روى عن رسول الله ما يفيد ذلك فقد روى طلحة أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : « لكل نبى رفيق ، ورفيقى بالجنة عثمان »

وقد قال على عن عثمان قبل وفاته : « ذلك امرؤ يدعى فى الملا الاعلى ذا النورين » .

وقال عنه بعد وفاته : « كان عثمان أوصلنا للرحم وكان من الذين آمنوا وأحسنوا . اللهم العن قتلة عثمان فى البر والبحر » .

وقد زعم دعاة الفتنة ان عثمان لم يتنح عن الخلافة وقال لا أخلع قميص الله عنى . وبذلك زادت الفتنة والحقيقة انه عندما طالبه زعماء الفتنة بالتنحى عن الخلافة ليقوموا بتولية غيره استشار الصحابة فى ذلك فرفضوا .

ومما قاله عبد الله بن عمر : امخلد انت فى الدنيا ؟

قال عثمان : لا .

قال : ايملكون لك جنة أو نارا ؟

قال عثمان : لا .

فقال ابن عمر : لاتخلع قميص الله عليك فتكون سنة كلما كره جماعة خليفتهم خلعوه أو قتلوه .

فلم يكن امتناع الخليفة عن الاستجابة لهم تمسكا منه بالحكم ومظاهره ، وانما كان دفاعا عن هذا المبدأ وهو أن تصير القوة وسيلة لتغيير الحاكم ، ثم ان عثمان يعمل فى هذا بحديث الرسول اليه الذى رواه ابن ماجه واحمد عن عائشة : « ان ولاك الله هذا الامر يوما فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذى قمصك الله فلا تخلعه » .. قالها ثلاث مرات .

ثم ان القوم ينظرون الى الخليفة بمعايير عصرهم فيظنون أن وراء الخلافة حكما وعظمة ، والحقيقة غير ذلك كما يعلم الناس جميعا .

وأخيرا يجب على كل من يتصدى للحديث عن هؤلاء الصحابة أن يعرف ماضيهم وأن يتجرد من الهوى وليعلم أن التاريخ لن يجود بمثلهم .

حلف الزمان ليأتين بمثلهم   حنثت يمينك يازمان فكفر

من جهود المسلمين
في خدمة النص القرآني

أبو إسحاق الزَّجّاج وكتابه معاني القرآن

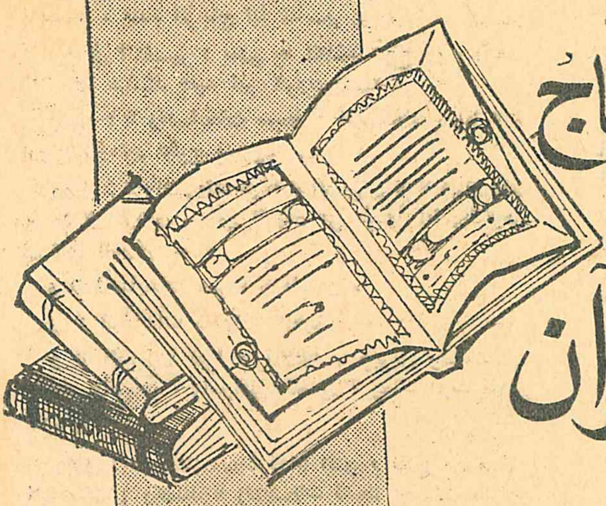

الدكتور مصطفى الصاوي الجويني

لا نفتأ نشير الى أنه كان من السباقين الى خدمة القرآن واضاءة معانيه جماعة اللغويين والنحويين ، فاتجهت جهود جماعة كبيرة منهم الى التأليف فى معانى القرآن ، يعرض ابن النديم فى الفهرست لذكر اعلامهم ومؤلفاتهم حتى عصره .

وأما المقصود بمعانى القرآن فهو تفسيره ، يقول ابن الصلاح - فيما ينقله السيوطى فى اتقانه - :

« وحيث رأيت فى كتب التفسير « قال اهل المعانى » فالمراد به مصنفو الكتب فى معنى القرآن كالزجاج والفراء والاخفش وابن الانبارى » .

وكان من هؤلاء المفسرين طبقة قصدت الى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الاسانيد تقف اليوم منهم عند علم من أعلام اللغويين البصريين هو ابراهيم ابن السرى بن سهل أبو اسحاق الزجاج « المتوفى سنة ٣١١ هـ » .

والزجاج رجل يشهد من ترجموا لحياته بانه من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد جميل المذهب .. رفعته همته من مهنة كان فيها يخرط الزجاج الى علم شامخ بين اللغويين والنحاة العرب . ذلك أنه آنس من نفسه ميلا الى النحو ، واشتهى التبحر فيه فأخذه عن ثعلب ثم انتقل عنه الى المبرد ، وعنهما معا ثقف الادب .

واخذ نفسه الى هذا بما ياخذ به كل عالم من علماء عصره من أسباب الثقافة العربية ، قرآنها وحديثها وعلوم لغتها وتأريخها ، الى ما استطاع تحصيله من ألوان المعرفة فى عصره .

وبرع فيما ثقف وساد . واذا بمن كان يخرط الزجاج يختص بصحبة الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ووثق هذا فيه فعهد اليه بتعليم ولده القاسم الادب . ولما استوزر القاسم بن عبيد الله أفاد الزجاج بطريقه مالا جزيلا ، ثم ما يزال نجمه يعلو حتى يصبح نديما للخليفة العباسى المكتفى بالله .

ويخلف الزجاج وراءه ما هو خير له مما لقى من حظ وجاه فى دنياه ، يخلف تلاميذ وتآليف علمية . فكان من تلاميذه أساتذة كبار فى النحو وفى اللغة . فعنه أخذ أبو على الفارسى . وتتلمذ له ابو جعفر النحاس المصرى . وانتسب اليه تلميذه أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجى ، صاحب كتاب « الجمل » فى النحو . أما تآليفه فكثيرة يدور معظمها حول اللغة .

والذى يهمنا هنا كتابه « معانى القرآن » . يحدد ابن النديم تاريخ تأليف هذا الكتاب فى قول له نصه : « قرأت على ظهر كتاب المعانى : « ابتدأ أبو اسحاق املاء كتابه الموسوم بمعانى القرآن فى صفر سنة خمس وثمانين ومائتين واتمه فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثلثمائة » .

اى أن الزجاج ألف كتابه هذا وقد نضج علمه ، واستوت معارفه ، اذ أنه سيلقى ربه بعد عشر سنوات من تاريخ اتمام كتابه ، وقد ناهزت سنه السبعين فى قول أو الثمانين فى قول آخر - على خلاف -

ومهما يكن من أمر ، فالجزء المخطوط الذى نستشيره هنا فى التعرف على خصائص منهج الزجاج يبتدىء من سورة يس وينتهى الى آخر تفسير سورة التين . وتاريخ نسخه شهر ذى الحجة من سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة . وهو واحد من مصورات الجامعة العربية .

ثم هذا اوان الحديث عن المنهج :

١ ـ سمة أولى بادية فى منهج التفسير عند الزجاج، هى اعتصار ماقيل فى تفسير النص القرآنى من تفاسير نقلية وعرضها فحسب .

ففى قوله عز وجل : « والنازعات غرقا . والناشطات نشطا » ، يقدم الزجاج لنا تفاسير مروية :

قيل فى التفسير : يعنى به الملائكة تنزع روح الكافر وتنشطها فيشتد عليه أمر خروج نفسه .

وقوله : « والسابحات سبحا • فالسابقات سبقا » . أرواح المؤمنين تخرج بسهولة .

وقيل : « والنازعات غرقا » القسى . و « الناشطات نشطا » الاوهاق ـ هى الحبال فى طرفها انشوطة تجعل فى عنق الدواب ـ .

و « السابحات سبحا » السفن .

و « السابقات سبقا » الخيل .

و « المدبرات امرا » الملائكة ، جبريل وميكائيل بالقطر والنبات ، واسرافيل للصور ، وملك الموت لقبض الارواح .

وقيل : « والنازعات غرقا » النجوم تنزع من مكان الى مكان . وكذلك « الناشطات نشطا » تنشط من مكان الى مكان . وكذلك « فالسابحات سبحا » النجوم تسبح فى الفلك ، كما قال « وكل فى فلك يسبحون » . وكذلك « فالسابقات سبقا » . فاما « المدبرات أمرا » : فالملائكة .

وقيل : « فالسابقات سبقا » الملائكة تسبق الشياطين بالوحى الى الانبياء .

كل هذا جاء فى التفسير ، والله اعلم بحقيقة ذلك .

هكذا ايراد للتفاسير دون ترجيح لتفسير على آخر . ويضطرد هذا التحرج العلمى فى عدم القطع بترجيح أحد التفاسير على الاخرى فى خلال تفسيره كله ، وذلك حين لا يكون معه دليل على تقوية تفسير دون آخر . وليس أروع فى هذا السبيل من آداب أخذ علماء المسلمين على مر العصور أنفسهم بها يجمعها قولتهم « والله اعلم » .

وحين يكون ثمت وجه لغوى يفسر به النص القرآنى نراه يعرضه مجاورا التفسير النقلى .

هذه آية « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم » فلنر صنيعه حيالها ، انه اولا يقدم تفسير المفسرين :

فاما ما روى فى التفسير ، فروى أن الرجل من العرب كان اذا أراد أن يعتان شيئا ـ اى يصيبه بالعين ـ تجوع ثلاثة ايام ثم يقول للذى يريد ان يعتانه لا ارى كاليوم ابلا وشاء .. فكان نصيبها بالعين بهذا القول . فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لما سمعوا منه الذكر كما يقولون لما يريدون أن يصيبوه بالعين .

ثم يتبعه بتفسير اللغويين :

فاما مذهب أهل اللغة فالتأويل أفهم من شدة ابغاض لك وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء يصرعونك . وهذا مستعمل فى الكلام يقول القائل : نظر الى فلان يكاد يصرعنى به ، ونظرا يكاد يأكلنى منه . وتأويله كله أنه نظر الى نظرا لو أمكنه أكلنى أو أن يصرعنى لفعل .

ويقول الزجاج فى آية « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا» بادئا بالتفسير :

جاء فى التفسير أنه يثقل العمل به لان الحلال والحرام والصلاة والصيام وجميع ما أمر الله أن يعمل به ونهى عنه لا يؤديه أحد الا بتكليف ما يثقل .

ويثنى باللغة :

« ويجوز على مذهب اهل اللغة أن يكون معناه أنه قول له وزن فى صحته وبيانه ونفعه . كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن ، اذا كنت تستجيده وتعلم أنه قد وقع موقع الحكمة والبيان » .

والزجاج انما بنى تفسيره اللغوى هذا بمقابلة النص القرآنى على متعارف التعبيرات العربية ، وهذا مايعطى لتفسيره لونا غير اللون المألوف فى التفاسير النقلية . ولنتبعه ثالثة فى قوله تعالى : « أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين • يوم يكشف عن ساق »

« يعنى يكشف عن ساق فى اللغة يكشف عن الامر الشديد وأنشدوا :

قد شمرت عن ساقها فشدوا

وجدت الحرب بكم فجدوا »

٢ ـ غير أن الزجاج لم يقف موقفا سلبيا من التفسير النقلى ، اذ أن منهجه فيه منهج اختيار وانتقاء ، وبنى اختياره على اسس علمية فنية حقا :

« ا » فهو يختار التفسير الذى يحفظ للنص القرآنى نسقه المعنوى . فأمام قوله تعالى : « لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون » يذكر اولا انه :

« جاء فى التفسير : لتنذر قوما مثل ما انذر آباؤهم»

ثم يذكر الزجاج وجها ثانيا :

« وجاء : لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم على أن « ما » جحد ، وهذا والله أعلم الاختيار لان قوله « فهم غافلون » دليل على معنى « ما انذر آباؤهم فهم غافلون » واذا كان قد انذر آباؤهم فهم غافلون كان فيه بعد ، ولكنه جاء فى التفسير .

ودليل النفى قوله « وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير »

ولو كان آباؤهم منذرين لكانوا منذرين دارسين للكتب والله اعلم » .

«ب» أو هو يستجيد وجها تفسيريا تسنده قراءة مروية . ففى قوله عز وجل « لينذر يوم التلاق » يقول الزجاج :

« لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالذى يوحى اليه يوم التلاق . ويجوز أن يكون لينذر الله يوم التلاق .

والاجود ، والله اعلم ، ان يكون لينذر النبى صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك انها قرئت لتنذر يوم التلاق بالتاء » .

« ج » وقد يختار تفسيرا نقليا بحسه الذوقى بالاساليب العربية ، ففى قوله جل وعز « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » .

يعرض الزجاج ثلاثة أوجه تفسيرية ، يقول :

«جاء فى التفسير أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به جمع له الانبياء فى بيت المقدس فأمهم وصلى بهم وقيل لاتسلهم ، فلم يشكك ولم يسل •

ووجه ثان ـ وهو الذى اختاره وهو المعنى ـ : سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن

آلهة يعبدون . ويكون معنى السؤال هنا على جهـــة التقرير كما قال « ولئن سألتهم من خلقهم ليقـــولن الله » فليس يسألهم هاهنا عن من خلقهم الا على جهة التقرير وكذلك اذا سأل جميع أمم الانبياء لم يأتوا بأن فى كتبهم أن اعبدوا غيرى .

ووجه ثالث : يكون المعنى فى خطاب النبى صلى الله عليه وسلم قد دخل فيه خطاب الامة مثل قوله : «يأيها النبى اذا طلقتم النساء » .

« د » فنجد الزجاج فى مناسبات النزول حين لا يستطيع الا أن يشير الى المروى أكثر ، نجده يستقى قاعدة علمه يستخلصها ، فيقف أمام قوله عز وجل :

« يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغىمرضات أزواجك والله غفور رحيم » يقول :

« أى وقد غفر الله لك التحريم . وجاء فى التفسير ان النبى صلى الله عليه وسلم شرب عسلا عند زينب بنت جحش ، فاجمعت عائشة وحفصه على أن يقـــولا له : انا نشم منك ريح المغافير ، والمغافير صمغ متغير الرائحة ، وقيل فى التفسير انه بقلة .

فلما صار الى كل واحدة منهما قالت له : انى أشم منك ريح المغافير . فحرم النبى صلى الله عليه وسلم على نفسه شرب العسل ، وقيل انه حلف على ذلك .

وجاء فى التفسير ــ وهو الاكثر ــ ان النبى صلى الله عليه وسلم خلا فى يوم لعائشة مع جاريتـــــه أم ابراهيم وكان يقال لها مارية القبطية ، فوقفت حفصـــة على ذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعلمى عائشة ذلك . فقالت له : لست أفعل . وحرم مارية على نفسه .... »

ثم ينتهى الزجاج الى القول بأنه : « على التفسيرين ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله له .

« هـ » وحين يورد التفسير القصصى للآى القرآنى لا يدلى الزجاج بشىء موكلا العلم بالحقيقة الى الله ، ففى الآية : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » .

يذكر انه :

« جاء فى تفسير الكلبى : خلق الموت فى صورة كبش أملح لا يمر بشىء الا مات . ولا يطأ على شىء الا مات . وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشىء الا أحيته ولا تطأ على شىء الا أحيته ولا يجد ريحها شىء الا حيى . والله أعلم بحقيقـــة ذلك » .

وهو يتسمح بذلك فى حين نجد الجاحظ مثلا ينقد التفسير القصصى للكلبى وأضرابه نقدا عنيفا .

لكن اذا اصطدم هذا التفسير القصصى بما يجرح عصمة الانبياء مثل ما تردد فى كتب التفسير القصصى من اسرائيليـــات عن داود النبى وامرأة قائده أوريا يتصدى الزجاج مؤولا ذلك التفسير القصصى بما ينبغى للانبياء من عصمة ، نسمعه يقول :

وكان فى التفسير الذى روى أن داود أحب أن يتلف أوريا حتى يتزوج بامرأته وهذا والله أعلم على جهـــة محبته أن يتفق له ذلك من غير أن يسعى فى دم الرجل فجعله الله ذنبا له أن أحب ذلك .

وجائز أن يكون كتب فى أن يقدم هذا الرجل لبأســـه ونجدته فى الحرب ورجاء كفايته ، فاتفق مع ذلك أن أصيب وبه حلت له امرأته ، فعوتب على محبته امرأة من له امرأة واحدة وله تسع وتسعون امرأة فكان ذلك ذنبا من ذنوب الانبياء فلما بالغ فى التوبة وجهد نفســه فى الرغبة الى الله فى العفو حتى كاد يتلف نفســـه تائبا ومتنصلا الى الله من ذنبه ، والله عز وجل قـــد وصفه فقال : « انه أواب » ..

والموقف عينه الذى وقفه الزجاج من التفســـير النقلى متحرجا ، يقفه بدرجة أكبر تلقـــاء القراءات ، فتحريف القراءة يستتبع منطقيا خطر التحريف فى معنى النص ، ولهذا فهو حريص مهما كان هنـــاك من أوجه نحوية يصح اجازتها ألا يعدو السنة فى القراءة ونص قوله فى ذلك « القراءة سنة لا تخالف وان كان ما لا يقرأ به جائزا فى النحو » .

وكرر هذا المعنى فى أثناء تفسيره كله . وطبقه عمليا حين عرض للآى القرآنى ، مثال قوله فى الآية « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » .

« على اضافة الزينة الى الكواكب وعلى هذا أكثر القراء . وقد قرئت بالتنوين والمعنى أن الكواكب بدل من الزينة ، المعنى انا زينا السماء الدنيا بالكواكب ــ ويجوز أن تكون الكواكب فى النصب بدلا من قـــوله بزينة ، لان بزينة فى موضع نصب . ويجوز بزينـــة الكواكب ، ولا أعلم أحدا قرأ بها ، فلا تقرأن بها الا أن تثبت برواية صحيحة لان القراءة ســـــنة ، فالرفع فى الكواكب على معنى : انا زينا السماء الدنيا بأن زينتها الكواكب وبأن زينت الكواكب » .

٥ ــ واذا ما عمد الزجاج مفسرا بجهده الذاتى ، فانه أولا يفسر القرآن بالقرآن عملا بالقاعدة المتبعـــة فى التفسير « القرآن يفسر بعضه بعضا » . فيقول فى قوله جل وعز « ألا ذلك هو الخسران المبين » :

ثم بين حالهم فقال : لهم من فوقهم ظلل من النـار ومن تحتهم ظلل » هذا مثل قوله « يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم » .

ويقول فى الآية : والملائكة يسبحون بحمـد ربهـم ويستغفرون لمن فى الارض » يعنى من المؤمنين .

ولا يجوز أن يكون يستغفرون لكل من فى الارض لان الله يقول فى الكفار : « أولئك عليهم لعنـــة الله والملائكة والناس أجمعين » ... ففى هذا دليـــل أن الملائكة انما يستغفرون للمؤمنين ، ويدل على ذلك قوله « ويستغفرون للذين آمنوا ربنا .. »

٦ ــ والزجاج متنبه ــ وهو يفسر القرآن بالقرآن ــ الى التوفيق بين معانى الآى القرآنى المتفقة موضوعا المتباينة مواضعا فى القرآن كله . يقـــول فى الآية : « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان » :

« معنى لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان ، يعـــرف المذنب فلا يسأل ليستفهم ولكنه يسأل سؤال توبيخ ، لانه قال فى موضع آخر : « وقفوهم انهم مسئولون » . فاذا كان ذلك اليوم ، كان سيما المجرمين سواد الوجوه والزرقة ، ودليل ذلك قوله «يعرف المجرمون بسيماهم» أى بعلامتهم هذه ودليله قوله : « يوم تبيض وجـــوه وتسود وجوه » . وقوله : « ونحشر المجرمين يومئـذ زرقا » .

ويقول الزجاج فى موضع آخر من تفسيره :

وقوله عز وجل : « خلق الانســـان من صلصـال كالفخار » ، وقال فى موضع آخر : « انا خلقناهم من طين

لازب » . وقال : « من حما مسنون » . وقال : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب » .

وهذه الالفاظ التي قال الله عز وجل : خلق الانسان، مختلفة اللفظ وهى فى المعنى راجعة الى أصل واحد ، فأصل الطين التراب ، فأعلم الله أنه خلق آدم من تراب جعل طينا ثم انتقل فصار كالحما المسنون . ثم انتقل فصار صلصالا كالفخار ، والصلصال اليابس . فهذا كله اصله التراب وليس فيه شيء ينقض بعضه بعضا »

٧ ـ ولم يعطنا الزجاج معنى القرآن وحسب ، وانما أعطانا نظراته الجمالية هو فى القرآن فوقفنا على ألوان الاساليب البيانية فيه .

« ا » ففى قوله جل وعز : « قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار » يقول :

« هذا الكلام لفظه لفظ الامر ومعناه التهدد والوعيد، ومثله « فتمتعوا فسوف تعلمون » ومثله : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ومثله من الكلام قولك لمن تتهدده : عد الى ما أكره وحسبك ، وانت لست تامره فى المعنى وانما تتوعده وتهدده ان عاد »

« ب » ويهتم الزجاج بالتناغم المعنوى فى جو السورة كلها فيقول فى سورة الرحمن :

« ذكر الله عز وجل ما يدل على وحدانيته فى هذه السورة من خلق الانسان ، وتعليم البيان ومن خلق الشمس والقمر ، والسماء والارض ، ثم خاطب الانس والجن فقال : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » من هذه الاشياء الكثيرة لانها كلها منعم بها عليكم فى دلالتها اياكم على وحدانيته وفى رزقه اياكم ما به قوامكم والوصلة الى حياتكم » .

ثم فى ختام السورة يخلص الى ان الله سبحانه ختم السورة بما ينبغى ان يمجد به ويعظم فقال : تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام .

« جـ » وينظر نظرات جمالية فى التعبيرات القرآنية التى تصور جو البيئة العربية ، جو التجارة ، جو البيع والشراء ، والربح والخسارة . ولنسمع اليه مرة عند الآية : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » يقول :

« ويوم التغابن يوم يغبن أهل الجنة أهل النار . ويغبن من ارتفعت منزلته فى الجنة من كان دون منزلته . وضرب ذلك مثلا للشراء والبيع . ، كما قال : « هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله » .

وقال فى موضع آخر : « فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » . وذلك فى الذين اشتروا الضلالة بالهدى . »

ويقول الزجاج فى موضع آخر فى الآية « واذا العشار عطلت » .

العشار : النوق الحوامل التى فى بطونها أولادها . وانما قيل لها عشار لانها أتت عليها عشرة أشهر . وهى تضع اذا وضعت لتمام فى سنة ، فهى عشراء أحسن ما تكون فى الحمل ، فليس يعطلها أهلها الا فى حال القيامة . وخوطب العرب بأمر العشار لان مالها وعيشها أكثره من الابل » .

ثم الى هذا كله سنجد الزجاج يناقش من الفوا كتبا فى معانى القرآن أو مجازه من قبله مثل أبى عبيدة والفراء .

وفى القرن السادس الهجرى نجد الزمخشرى المفسر الاشهر يعتمد فى منهجه فى التفسير على الزجاج .

اما ابو على الفارسى ـ تلميذ الزجاج ـ فقد تتبع اخطاء استاذه فى كتابه « المعانى » وناقشها فى مؤلفه سماه « الاغفال » وقال فى مطلعه : « هذه مسائل من كتاب أبى اسحاق ابراهيم السرى فى اعراب القرآن ذكرناها لما اقتضت عندنا من الايضاح عنها للاغفال الواقع فيها ونحن ننقل كلامه فى كل مسالة من هذه المسائل بلفظه وعلى جملته عن النسخة التى سمعناها منه فيها ثم نتبعه بما عندنا .. »

وهذا اذن نقاش نحوى بين الاستاذ وتلميذه .

وبعد ، فقد بنى الزجاج تفسيره على الانتخاب والاختيار من التفاسير النقلية ، وحيثما كان هناك وجه للتفسير اللغوى ابانه مقدما بين يديه الدليل من الاساليب العربية . ثم اخيرا وقفنا ـ بملاحظة ـ على بعض الاسرار الجمالية للاعجاز القرآنى .

عيد الفطر المبارك

فضيلة الشيخ
عبد الحميد بلبع

يهل هلال شهر شوال المبارك معلنا انقضاء شهر الصوم الكريم ومهنئا بحلول عيد الفطر المبارك ومؤذنا بعودة الصائمين من رحلتهم الروحية الميمونة • تلك الرحلة التى استغرقت شهر رمضان المبارك والتى هجر فيها الصائمون ما ألفوه من عادات وتقاليد وعزفوا فيها عن اغراءات النفس ووسوسة الشيطان الرجيم والتفوا حول المائدة الكبرى مائدة القرآن الكريم • يغذون ارواحهم وينهلون من فيضها ايمانهم • ويراقبون بها ربهم - يؤدون ما اوجب عليهم - يمتثلون امره ويجتنبون نهيه - يراقبون ربهم مراقبة تملا بالخشية منه قلوبهم وبالصبر على مكاره الحياة نفوسهم وتحلى بالرحمة اعمالهم وفى هذا اليوم الكريم - يوم عيد الفطر المبارك - يختتم الصائمون هذه الرحلة - وقد ربحوا منها زادا روحيا يصلهم بربهم - ويعينهم على مواجهة اعباء الحياة طوال عامهم بهذا الزاد الروحى يتراحمون وبه على مكاره الحياة يصبرون ويستعينون به على مهام الحياة وعلى ربهم يتوكلون اليوم يختتم الصائمون هذه الرحلة وقد صاروا بكل ماكسبوا منها مصدر خير ويمن وبركة لانفسهم ولقرابتهم وللناس اجمعين - اليوم يختتمون هذه الرحلة ويعودون الى حريتهم الشخصية • يأكلون كما يشاءون ويشربون كما يريدون ويستمتعون بما احل الله لعباده المؤمنين يعود الصائمون من هذه الرحلة بعد ان ادوا ماوجب عليهم من طاعة الله وامتثال امره واجتناب نهيه فصاموا لله وافطروا لله واجتنبوا ماحرم الله يوم هذا شانه جدير به أن يتخذه الصائمون عيدا لهم . به يفرحون ومن عناء العمل يستريحون ، وبمظاهر الفرح والزينة المباحة يستمتعون ولارحامهم يصلون ومع اخوانهم يتعاطفون ويتزاورون • لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحه عند لقاء ربه »

هنيئا للصائم بهذا الوعد الكريم الوارد على لسان الصادق الامين بان للصائم فرحتين الاولى عند فطره بما حصل عليه فى رحلته من مكاسب روحية ودرجات علوية من صفاء النفس وكمال اليقين ومراقبة الله فى السر والعلن والثانية عند لقاء ربه بما يلاقيه من حسن التوبة وجميل الجزاء ويقينى ان المؤمن الحق لايفرح بشىء فرحه بتوفيقه لعمل مافرض الله عليه وبعون الله له على القيام باداء هذا الفرض بهذا يفرح المؤمن وحق له ان يفرح لانه باداء مافرض عليه يحقق ربحا عظيما نعم يحقق حب الله له ورضاه عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « وما تقرب الى عبدى بشىء احب الى مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى ى بها ولئن سالنى لاعطيته ولئن استعاذنى لاعيذنه » رواه البخارى . ولا شك ان الصوم احد الاعمال التى كلف الله بها عباده بل هو العمل الوحيد - من بين التكاليف كلها - هو العمل الوحيد الذى نسبه الله تعالى لنفسه حيث يقول : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وانا أجزى به » او معناه فاذا ما ادى الصائم صومه محتسبا عند الله ثوابه واجره واذا ما اتم الصائم صومه فى حدود ما رسم الله للصائمين فانه يفرح اذن بتحقيق ماوعد الله به العاملين المخلصين ومن اوفى بعهده من الله ، واضح من هذا ان اداء الواجب وان الثقة بالحصول على ثواب هذا الواجب هو الطريق الممهد لسعادة الفرد ورفاهية المجتمع فان فى

اداء الواجب راحة الضمير وهدوء النفس وقوة العزيمة وحسن صلة العبد بالله وبالناس وفى الثقة بالحصول على ثواب العمل بالواجب مايحمل العبد على تجشم المشاق وارتكاب المخاطر ليحصل هذا العمل فى غير تردد ولا تشكك لثقته بان الاجر مضمون لدى من لايخلف وعدا وواضح كذلك ان هذه المكاسب الروحية هى التى من اجلها جعل الله هذا اليوم عيدا فقد روى عن انس رضى الله عنه قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد للانصار يومين يلعبون فيهما فقال « ماهذان اليومان » قالوا يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم « ابدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر » وبالتامل فى واقع الحياة نجد ان الاعياد جميعها دينية او قومية انما تكون فى اعقاب اسداء نعمة او كشف غمة فما من امة اتخذت لها عيدا قوميا الا لنصر احرزته او لخطر تخلصت منه وها هى ذى اعيادنا المدنية كذلك انما كانت عقب نعمة سابقة ومنة كبرى سامية امتن الله تعالى بها على عباده المؤمنين .

فعيد الفطر جاء عقب شهر رمضان ، وشهر رمضان هو فجر النهضة الاسلامية ومبدأ النعمة القرآنية - ومبعث الخير للامة حيث انزل الله فيه على رسوله الامين قرآنه الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النار باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وفى رمضان امتن الله على الامة بليلة القدر وهى كما قال الله تعالى فيها « خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هى حتى مطلع الفجر » .

ورمضان امر الله بصيامه للشكر على نعمة انزال القرآن الكريم فيه وما تضمنه من التشريع الخالد العظيم الذى هو اس الحياة وروح العمران والصوم كما قلنا رحلة روحية عظيمة تحقق للصائم مكاسب ذات معنى عميق وتراث ضخم وشان رفيع عقب كل هذه المنح الالهية كان عيد الفطر اما عيد الاضحى فقد جاء ايضا عقب اسداء فضل كبير واهداء جليل حيث اكمل الله دين الاسلام ورضيه لنا دينا ويكفى ان اروى فى هذا الصدد ماورد عن انس رضى الله عنه « ان احد اليهود قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه - ان آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا وهى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » فقال عمر « اعرف الآية واعرف الزمان والمكان الذى نزلت فيه نزلت فى عرفة فى حجة الوداع واتخذنا يومها عيدا »

ولان فى العيد ترويحا للنفس وراحة للبدن من عناء العمل ولان فيه ما تصبو اليه النفس من الحيلة بالجديد والتزين بمظاهر الزينة فى جو عامر بالفرح غامر بانواع اللذائذ والمتع لاجل هذا كله نرى كل الناس يرقبون ايام العيد ويحسبون الليالى والايام لمقدم ايام العيد ويعدون ما وسعهم الاعداد من هذه المظاهر استعدادا لايام العيد حتى اذا ماجاء العيد عمرت الاندية بروادها واكتظت الملاهى بطلابها . وزحمت الاماكن العامة من الحدائق والمتنزهات بعديد من المعيدين والشوارع ملأى بالناس ذهابا وجيئة يلهون ويلعبون والمؤسف بل المؤسف جدا ان نرى الكثير من هذه الطوائف وقد اطلقوا العنان لانفسهم يستبيحون مالايباح ويترنمون بما لايقال ويأتون فى ناديهم المنكر من الاقوال والاعمال ويلهون بالوان شتى من اللهو الرخيص الذى يؤذى الفضيلة فى خدرها ويجرح الكرامة فى كرامتها ويجافى الانسانية فى معنويتها ومكارم الاخلاق فى عزتها والمؤلم كل الالم انهم يبررون هذه الفظائع « بانه عيد »

لا لا يامسلمون ليس معنى العيد مجونا واباحة ليس معنى العيد اطلاق الرذيلة من عقالها تملأ الافق فحشا وبذاءة ليس معنى العيد الخروج على التقاليد والظهور بمظاهر المجون والخلاعة انما العيد فرحة مباحة ومتعة بريئة يتمتع العبد فيه بما افاء الله عليه شاكرا انعمه مظهرا آثار نعمة الله عليه حامدا فضله وقد اباح الله له اللهو واللعب فى هذا اليوم ولكن اللعب المباح واللهو البرىء الذى لايتناول عرضا ولا يهدر حرمة ولا يهين كرامة ولا يمس فضيلة ولهذا انواع كثيرة والوان عديدة فى كل شعب بما يناسبه ويكفى ان اروى فى هذا المعنى ماورد عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت :

« دخل ابو بكر وكان يوم عيد وعندى جاريتان تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث » فقال « أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا لتعلم يهود ان فى ديننا فسحة وانى بعثت بحنيفية سمحة » وانى اهيب بالمسلمين ان يتمعنوا هذا القول الحكيم والتوجيه الرشيد الصادر من نبع النبوة الصافى وان يدققوا الفكر فيما يهدف اليه من هذه الوسطيه المتزنة التى تصرح ان الدين ليس جامدا مفرطا كما انه ليس متساهلا فى تسامحه مفرطا فلم يحرم اتباعه مما يرفه عنهم ولم يدعهم لعبة بين اهوائهم وانفسهم بل كان دينا سمحا متسامحا تسامحا وسطا لم ينحط باتباعه الى مستوى المهانة والضعة ولم يقف بهم موقف الجمود والتنطع فعلى المسلمين ان يجعلوا عيدهم عيد فرح وزينة وشكر وعبادة وليكن لهم فى رسول الله احسن الاسوة وفى السلف الصالح اطيب القدوة ليعيدوا مجد دينهم ومجد امتهم ومجد وطنهم والله ولى التوفيق والهادى لاقوم طريق .

فلينظر الإنسان مم خلق

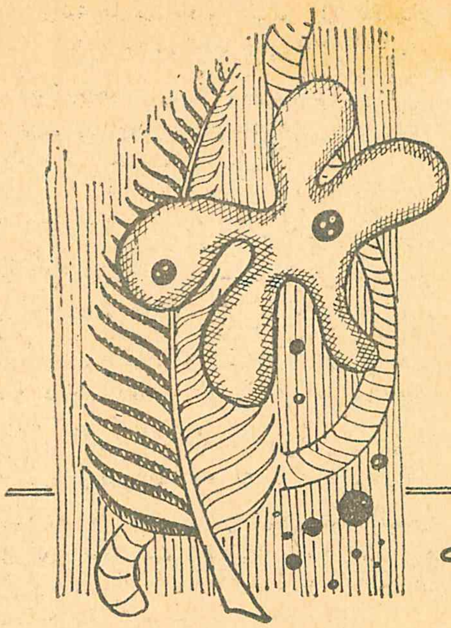

الدكتور عبد الحليم كامل

يحدثنا القرآن الكريم فى آياته البينات عن الانسان ومم خلق ويقول لمن يكفر بنعمة الله ولا يقر بعظمته وقدراته. قتل الانسان ما أكفره من أى شىء خلقه . من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره . ثم أماته فأقبره . ثم اذا شاء أنشره)

ويقول البيضاوى فى تفسيره (قتل الانسان ما أكفره) دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ . و (من أى شىء خلقه) بيان لما أنعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال و فقدره أطوارا الى أن أتم خلقته . « ثم السبيل يسره » ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فوهة الرحم وألهمه أن يتنكس أو ذلل له سبل الخير والشر . ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بأنه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بأن الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله (ثم أماته فاقبره) جعل له قبرا يوارى فيه (ثم اذا شاء أنشره) وعد الاماتة والاقبار من النعم لأن الاماتة وصلته الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى (اذا شاء) اشعار بأن وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى .

والآيات عن خلق الانسان كثيرة . ومن غير الخالق يحدثنا عن أسرار خلقه وعظمة قدرته وحديثه الينا تكريم لنا واعلاء من شأننا ورحمة منه بنا لأنه يدعونا للايمان وهو الغنى عن ايماننا ويريد لنا الخير ولا يريد لنا الشر فيقول فى أكثر من سورة لنفكر ونتذكر فيقول سبحانه وتعالى فى سورة المرسلات (ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون)

وفى سورة الطارق (فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر)

ولم نذهب بعيدا وقد حدثنا القرآن الكريم فى أول ما أنزل على اشرف الخلق اجمعين (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم)

وهكذا يدعونا القرآن الكريم الى الايمان والاطمئنان الى عناية الله بالخلــق والى قدرته وسلطانه وعظمته ولا يدعــونا الى برهان بعيد بل يدعــونا الى أن ننظر الى أنفسنا كيف خلقنا ومم خلقنا .

فاذا رجعنا الى تاريخ العلم القديم قبـل أن ينزل هذا الوحى بمئـات من السنين مبتدئين بأرسطو الذى يلقبونه بابى العلوم والذى نادى قبل الميلاد بأربعمائة من السنين أن الام لا دخل لها فى تكوين الجنين ولكنهـا نطفة الذكر التى تجد فى البويضة ما تجده البذرة فى الارض الطيبة فتنمو وتكبر ولعل هذا التفكير هو ما دعانا لان نطلق كلمة البذرة على السائل المنوى فيقال بذرة الرجـل ولا يقال بذرة الام .

ويستمر دور الام مجهولا منذ هذا العهد حتى يأتى عالم آخر ايطالى يدعى مارسـلو ملبيجى فى منتصـف القـرن السابع عشر وينشر رأيا آخر يختلف تمام الاختلاف عما كان يعتقده أرسطو الا وهو أن البويضـة هى المسئولة عن تكوين الجنين ولا دخل لنطفة الرجل فى ذلك اللهم الاما تقوم به من تنشيط البويضة ودفعها الى النمو وتشاء الظروف أن يكتشف بونيت التكاثر العـذرى بعـد ذلك ويجد العلماء فى هذا الكشف ما يثبت رأى ملبيجى وهكذا يهمل العلم دور الاب فى هذا التكوين .

ثم تمر الايام سراعا ويأتى عـام ١٨٣٨ م فيعلن كل من شليـدن وشوان أن الكائنات الحية تتكون من خلايا وأن كل من البيضـة والحيوان المنوى خليتان مستقلتان وهكـذا يستقر العلم ويهتـدى العلماء فى القرن التاسع عشر الى حقيقة دورالام ودور الاب فى ذلك التكوين .

هذا بينما يحدثنا القرآن الكريم عن ذلك وقبل شليدن وشوان بمئــات من السنين فاستمعوا لقوله فى سورة الانسان (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلنـاه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)

ويقول البيضاوى فى تفسيره (من نطفة امشاج) اخلاط جمع مشج أو مشيج من مشجت الشىء اذا خلطته ووصف النطفة به لأنه المراد بها مجموع منى الرجل والمـرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص . الى آخر ما جاء فى التفسير .

وهكذا يحدثنا القرآن أن تكوين الانسان من نطفة امشاج أى أن هنـاك اختلاط بين نطفتى كل من الذكر والانثى وكما يدل المعنى فكلاهما له دوره وله أهميتـــه فى ذلك التكوين الذى لا يتم الا اذا تم هذا الاختلاط. وهكذا نجد فيما نعرفه الآن ما يتفق مع هـذا البيان العلوى فتاريخ حياة الانسان يبـدأ منذ اللحظة الاولى التى يلقح فيها الحيـوان المنوى البويضة . وفى هذه اللحظة يكتب تاريخ طويل لكائن حى جـديد سيظهر الى عالم الوجود أو هى بمعنى آخر قصة طويلة محكمة محددة المعالم والفصـول والمناظر نتيجة لهذا الحادث العظيم . .

ولا يتم تكوين هذه الامشاج الا بعد أن يمر كل منهما بسلسلة من الاحداث المهمة حتى يصبح كل منهما ميسرا ومستعدا لما خلق له .

وهذه الامشاج أو الخلايا الجـرثومية هى كالخلايا الاخرى الموجودة فى جسم الكائن الحى تحتوى على كتلة من المادة الحية أو البروتوبلازم الذى يحتوى على النواة ولكن اذا أخذنا فى الاعتبار التركيب التفصيلى لكل من البويضة والحيوان المنوى لوجدنا أنها خلايا متخصصة ولا تشبه الخلايا العادية كما يظن لانها خلايا غير طبيعية مهيئة لمهام عظيمة ستقوم بها وتؤديها فى سبيل تكوين كائن حى جديد .

وقد فرق وايزمان (١٨٣٤–١٩١٤) بين نوعين من الخلايا أما أحدهما فهو الخـلايا الجسمية والتى يتكون منها كل أعضـاء الجسم . أما النوع الثانى فيضم الخـلايا الجنسية وهى المسئولة عن تكوين الجيـل الجديد .

وتقوم الخـلايا الجسمية بتغذية وحماية ورعاية الخلايا الجنسية أو الخلايا التناسلية

التى تنتقل أو بمعنى أدق التى ينتقل جزء منها من جيل الى جيل . ولهذا يقول وايزمان أن هذه الخلايا الجسمية تمثل الجزء الذى يفنى من جسم الكائن الحى أما الخلايا التناسلية فهى الخلايا الباقية والتي تنتقل من جيل الى جيل فهى التى كتبت لها حياة قد تطول أو تقصر بقدر ما هو مقدر لهذا النوع من البقاء او الوجود على سطح الارض .

والبويضة خلية أكبر من الخلايا الاخرى اذ تحتوى على المواد الغذائية التى يستعملها الجنين حتى تتكون له الاجهزة الغذائية فيتمكن من الحصول على غذائه لنفسه بنفسه. وتخزن هذه المواد على شكل حبيبات من المح موزعة فى السيتوبلازم ويختلف حجم البيض كثيرا فبويضة الانسان على سبيل المثال يبلغ قطرها ١٣ر. مم اما بيضة الدجاجة مثلا ففيها من المح الكثير ولهذا قد ازداد حجمها كثيرا وما ذلك طبعا الا لان بويضة الانسان يضمها الرحم الذى تتصل به اتصالا وثيقا فتأخذ ما تحتاج اليه من غذاء ، أما بيضة الدجاجة فيختلف الامر اذ لا بد ان تختزن ما يحتاجه الكتكوت من غذاء حتى الفقس والذى يتم تكوينه داخل هذه البيضة فلا غذاء من الام ولا مكان فى رحم .

اما الحيوان المنوى فهو متخصص جدا ويتكون من أجزاء ثلاث ، الراس الذى يحتوى على النواة ثم العنق ويليه الذيل الطويل الذى يضرب الى الامام والخلف دافعا الحيوان المنوى خلال السائل الذى يعيش فيه . والخلية المنوية صغيرة جدا ولا تحتوى على ملح وبها قليل من السيتو بلازم . وتساعد خفة التكوين هذه على الحركة والنشاط . ويستطيع الحيوان المنوى فى الانسان أن يقطع بوصة واحدة كل ثلاث دقائق .

ولعل أهم عملية فى سلسلة العمليات التى تؤدى الى انتاج هذه الخلايا هو تحضير النواة . وهذه العملية واحدة فى كل من البيضة والحيوان المنوى والنواة فى كل خلية عبارة عن كيس يكون غلاف النواة

ويمتلىء هذا الكيس بسائل البروتوبلازم . وعندما تبدأ الخلية فى الانقسام يختفى هذا الغلاف ويتكون من البروتوبلازم السائل كتلة يمكن أن تصبغ بصبغات مختلفة مكونة ما يسمى بالكروموزومات أو الصبغات ويشتق هذا الاسم من الكلمة اللاتينية لون وجسم .

وتختلف الكروموزومات عن بعضها البعض فى الشكل والحجم ، وتحتوى كل خلية على اثنين من كل نوع من هذه الكروموزومات كما أن عدد ونوع الكروموزمات فى كل خلية من خلايا أى نوع من انواع الحيوانات ثابت . ويختلف هذا العدد فى الانواع المختلفة من الحيوانات . فبعض الحيوانات بها اربع وقد يصل العدد فى البعض الآخر الى مائة او مائتين . اما فى الانسان فعددها ثمانية واربعون . ولما كانت الكروموزمات دائما مزدوجة كان لا بد ان يكون عددها الكلى زوجيا .

وعندما تظهر الكروموزومات عند بدء الانقسام فان كل كروموزوم ينقسم طوليا الى نصفين كل نصف بجانب الآخر . وعندما تنقسم الخلية ينفصل هذان النصفان ويذهب كل نصف الى احدى الخليتين المتكونتين . وعندما يتم الانقسام يكون كل نصف كروموزوم كروموزوما كاملا والذى سرعان ما يختفى فى سائل النواة .

اما انقسام الخلية الذى يؤدى الى تكوين خلية جرثومية او مشيجة يظهر انه يختلف اختلافا سطحيا عن الانقسام العادى وقد عرف اخيرا انه عندما تظهر الكروموزومات فى انقسام الخلية الجرثومية فانها لا تنقسم طوليا ولكنها تتجمع فى أزواج أى أن كل كروموزمين متشابهين يجتمعان. ثم يذهب كل منهما الى الخلية وعلى هذا تحتوى كل خلية على نصف عدد الكروموزومات وبهذا تشذ عن الخلايا الاخرى لانها تحتوى على كروموزوم واحد من كل نوع . والانقسام بهذا الشكل يسمى انقساما اختزاليا ..

حتى اذا تم هذا الانقسام أصبحت الخلايا الجرثومية مستعدة للقيام بعمليات النمو

المعقدة فى الكائن الحى ثم أخيراً مستعدة للتلقيح .

ويقال ان كلا من الحيوان المنوى يفرز موادا تشبه الهرمونات ويقال ايضا ان الحيوان يفرز نوعين من المواد اولهما يقلل من حركة الحيوان المنوى وما ذلك الا لان الحيوان المنوى يحتوى على أقل كمية من المواد المولدة للطاقة . وعلى هذا تعمل هذه المادة على ان يحتفظ الحيوان المنوى بطاقته حتى وقت الحاجة حيث يقل مفعول هذه المادة بافرازات الاجهزة التناسلية للذكر اولا ثم بما تفرزه البويضة ثانيا . أما المادة الثانية فيظهر انها المسئولة عن اذابة الاغلفة الخارجية للبويضة وبهذا يسهل على الحيوان المنوى دخول البويضة .

اما البويضة فيقال انها هى الاخرى تفرز نوعين من المواد اولهما يظن انه ينشط الحيوان المنوى ويجعله يتحرك بنشاط اما ثانى هذه المواد فيجعل سطح الحيوان المنوى لزجا وبذلك يلتصق بسطح البويضة عندئذ يتوفر له الوقت الكافى لدخولها .

حتى اذا دخل الحيوان المنوى البويضة واتحدت نواته بنواتها أصبح عدد الكروموزومات زوجيا فى البويضة الملقحة ويتبع ذلك طبعا أهمية الكروموزومات فى النمو لاحتوائهما على العوامل الوراثية التى تنتقل من كل من الابوين الى صغيرهما .

هذا ولعملية التلقيح أهمية أخرى هى تنشيط البويضة فتبدأ فى الانقسام والتكوين والنمو .

أما كيف يتم تكوين هذه الامشاج داخل المبايض والخصى فسيكون هذا حديثنا فى مقال آت باذن الله .

وسبحانه وتعالى القائل (الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) .

قال تعالى :

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »

الاستاذ محمد فرج

قلنا فى مقال سابق ان الجهاد كتب على المسلمين جميعا وأنه تقرر كواجب على كل مسلم قادر عليه وقلنا أيضا ان من لا قدرة له على الجهاد لا جهاد عليه ومن عجز عن الجهاد بنفسه ولا مال له فعليه ان يجاهد بأية صورة حسب مايستطيع من قلبه ولسانه ويده .. وقلنا ايضا انه قد اعفى من الجهاد الضعفاء والمرضى والعاجزين عن وسائل الجهاد فلا ياخذ الله بالاثم والعقاب المرضى والضعفاء والمرضى والعاجزين عن وسائل الجهاد فلا ياخذ الله بالاثم والعقاب المرضى والضعفاء من النساء والصبيان والهرمى ولا ياخذ الفقراء الذين لايجدون ما ينفقون اذا ماتخلف هؤلاء عن الغزو والجهاد .

ورغم ان تعاليم الاسلام فى الجهاد واضحة صريحة الا ان فئة ممن انتسبوا الى الاسلام أبت أن تشارك فى الجهاد وأن تاخذ بنصيبها من هذا الفخر وأن تسهم مع اخوانها فى المجد العظيم الذى اقاموه بسواعدهم وايمانهم وقدراتهم . وأصحاب هذه الفئة - دون ريب - كانوا يفتقدون العقيدة الصحيحة السليمة لان من كانت عقيدته أسمى من حياته وأكبر من دنياه فهو أحق الناس بمجد الدنيا وسعادة الاخرة .

لقد تقاعدت هذه الفئة عن الجهاد ولم تشارك فى اقامة صرح الدولة الاسلامية ولم تكتف بذلك بل حاولت - قدر استطاعتها ان تفت فى عضد المجاهدين وان تقلل من ايمانهم وان تحول قلوبهم من الايمان الى الكفر

ولم تكن لدى هذه الفئة القدرة على مواجهة العدو وقتاله وانما جبنت وخافت وتولاها الذعر وودت لو عادت أدراجها وتركت الاسلام وارتدت الى دين آبائها واجدادها .

ولم تشأ الارادة الالهية ان تترك هذه الفئة تعيث فسادا بل كشفت عنهم النقاب وازاحت الستار لتظهر حقيقتها للامة ويعرف الناس جميعا امرهم .. لقد كشف الله امر هذه الفئة فى مواضع مختلفة من القرآن الكريم كما سيتضح من الآيات الكريمة التالية ..

١ - (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) .

والقاعدون آمنوا كما آمن الناس واسلموا كما اسلم الناس ولكنهم لم يفقهوا الاسلام ولم يعرفوا الايمان ولم يدركوا قيمة الوعد الذى وعد الله به المجاهدين من المسلمين .

٢ - (يايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض .أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل)

والمتثاقلون هم الذين يتثاقلون عن القتال مع ايمانهم بلزومه لركونهم قليلا الى الدنيا وتفضيلهم الدنيا الزائلة الفانية ومافيها من شهوات ولذات زائلة وراحة مع الذل والبؤس والفقر عن الاخرة بما فيها من نعيم مقيم دائم .

٣ - (وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ، ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما) .

والمتباطئون هم الذين لم يرتقوا الى الايمان بالجماعة والدخول فى الطاعة لله ولرسوله فلا يتسابقون الى الخير العام ويغلب الطمع والاثرة على نفوسهم وليس عندهم ايثار أو تضحية يتظاهرون بالايمان ويبطئون المسلمين عن الجهاد ويثبطون ويتخلفون واذا اصابت المسلمين هزيمة فرحوا لانهم لم يكونوا معهم فيصابوا واذا أصاب المسلمون فضلا حزنوا لانهم لم يكونوا معهم فياخذوا نصيبهم من هذا الفضل .

٤ - (انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليها لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

والمترفون الاغنياء شغلتهم اموالهم واولادهم وانفسهم عن ربهم وتعلقوا بالحياة الدنيا وتناسوا الخير الذى وعد الله به عباده المخلصين ورضوا بالتخلف عن الواجب وانصرفت نفوسهم عن الخير فاذا دعوا الى الجهاد استأذنوا فى التخلف وقدموا اعتذارات باطلة تبرر تخلفهم وقعودهم عن شرف الجهاد راضين لانفسهم ان يكون شأنهم شأن أرباب الضعف من النساء والصبيان والعاجزين وقد اعمى الله بصيرتهم وختم على قلوبهم فغفلوا عن سوء عاقبتهم فى نكوصهم عن الجهاد (انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون).

٥ - (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين - ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون) .

والمتربصون قوم اظهروا الاسلام الا انهم نكصوا عن الجهاد حين دعى اليه المسلمون ولجأوا الى وسائل وحيل ليتخلصوا من تبعاتهم وليتخلوا عن دورهم فى الجهاد وكانوا يتقدمون بأعذار يعلمون مدى بطلانها حتى لا يشاركوا فى الجهاد .. وكان هؤلاء يحزنون ويتالمون حين ينال المجاهدين توفيق وحين يصيبهم خير وظفر وكانوا يفرحون حين تحل بالمجاهدين هزيمة او كارثة .. كانوا يقولون شامتين لقد اخذنا حذرنا فلم نخرج مع المجاهدين ولم يحل بنا ما حل بهم ولم ينلنا ما نالهم

٦ - (وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شىء قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم مالا يبدون

لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) .

والخائفون اساءوا الظن بربهم وخافوا على انفسهم وخشوا الموت ولم يصدقوا ان الله ناصر نبيه وآخذ بيده وقالوا لو ان الامر بايدينا ماتركنا انفسنا للمشركين يقتلوننا وماخرجنا اصلا لنلقى مصارعنا .. وكان الله قد جعل خروجهم ليختبر مافى نفوسهم من الشك وليظهر حقيقتهم للمسلمين المؤمنين فيتبينوا مافى قلوبهم من العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين .. وهؤلاء لم يشعروا بقوة الحق ولم يثقوا بعهد الله ولم يطمئنوا الى وعده تبارك وتعالى .

٧ - (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون . ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ، لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون) .

المرتابون قوم لا ثقة لهم فى انفسهم ولا فى غيرهم لا يريدون عملا ولا يعدون عدة ويبذلون الجهد لاشاعة الفتنة والفرقة تغطية لموقفهم وحقدا على غيرهم وهم لا يؤمنون بالله واليوم الاخر رغم زعمهم انهم مؤمنون وهم لا يشعرون فى قرارة نفوسهم بباعث يحفزهم على الجهاد فيكرهونه ويبدون المعاذير لتركه لان قلوبهم لم يستقر فيها الايمان .

٨ - (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون) .

المتخلفون طلبوا من رسول الله ان ياذن لهم فيقعدوا ولا يخرجوا معه فاذن لهم لانه يعلم انه لا فائدة من خروجهم وقد فرحوا بقعودهم وكرهوا الجهاد لان الكفر والنفاق راسخ فىقلوبهم فلم يبذلوا انفسهم واموالهم ضنا بها على القتال مع المؤمنين ولم يكتفوا بهذا بل عملوا على تثبيط من اراد الخروج فانتهزوا فرصة دعوة الرسول للخروج لغزو الروم فى فصل الصيف وقد اشتدت الحرارة فقالوا لا تخرجوا للغزو فى الحر فتتعرضوا للجهد والعطش وتلقوا بانفسكم فى الهلاك ، وتناسوا خلال دعوتهم شدة نار جهنم وقسوتها ولم يتبينوا ان نار جهنم اشد كثيرا من حرارة الصيف التى يقاتل فيها المجاهدون .

٩ - (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا . اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) .

المعوقون هم فئة من اهل النفاق اشتركوا فى الحرب اشتراكا ضئيلا ريثما يراهم المؤمنون ثم انصرفوا وهم حريصون على طلب الخير لانفسهم فيظهرون اذا زال الخطر يسبون المسلمين ويذمونهم ويبسطون السنتهم بالسوء .. اما فى وقت توزيع الغنائم فيتظاهرون بالايمان رياء وخداعا وطمعا فى الحصول على نصيبهم من الغنيمة .

١٠ - (والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) .

المرجفون هم اخطر فئة يحذر الله رسوله والمؤمنين منهم فهم عين العدو ولسانه بين المسلمين وفى صفوفهم ينشرون الاخبار الكاذبة والشائعات المغرضة والوقائع الباطلة والقصص المزيفة وهم يباشرون هذا العمل فى الخفاء يظهرون غير مايبطنون يكيدون للمسلمين فى السر ويصادقونهم فى العلن ويعملون على اضعاف معنويات المجاهدين ويسعون التوهين للدعوة .

١١ - (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا . ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار وكان عهد الله مسئولا . قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا) .

والمنافقون فى قلوبهم ضعف ايمان وضعف اعتقاد فهم لا يثقون فى ان الله تبارك وتعالى سيؤيد رسوله والمؤمنين وسينصرهم على اعدائهم ولهذا فقد تحدثوا الى اهل يثرب بانه لا جدوى من اقامتهم معرضين للقتل والاسر على يد ابى سفيان وصحبه لان مصيرهم هو الهزيمة والفشل ويدعونهم الى الرجوع ففى ذلك خير لهم وسلامة ويطلبون منهم ان يسلموا الرسول لاعدائه وان يتركوا الدين الجديد الذى دخلوا فيه ويعودوا ادراجهم الى دين الاباء والاجداد .. وحاول هؤلاء ان يعودوا ادراجهم فلا يشتركون فى القتال فيزعمون للنبى ان بيوتهم غير محصنة وانها معرضة للنبال والسرقة .

ان الله تبارك وتعالى قد كشف حقيقة هؤلاء جميعا وبصر رسوله الكريم بنواياهم وبمكرهم فانزل فيهم هذه الايات التى احتوت تقريعا شديدا متنوع الاسلوب واحاطهم بجو من الحقارة والزراية والمقت واوضح ما اتصفوا به من النفسية الخبيثة والقلوب المريضة والعادات الذميمة والتذبذب المكروه .

ولقد اوضح سبحانه وتعالى فىعزيز آياته مصير هؤلاء فى آيات كثيرة وبشرهم بعذاب اليم (الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا) (ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا . خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا . يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) .. (فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون) .

وصدق الله العظيم ..

فقد نصر عبده وايد المسلمين فى جهادهم واطاح بالمترددين فكان النصر عظيما للمسلمين وكانت النهاية اليمة للمترددين الذين آمنوا ولم يدخل الايمان قلوبهم واسلموا دون ان يكونوا مسلمين .

اعترافات الأجانب

بالدين الإسلامي

سماحة الاستاذ مبشر الطرازي الحسيني

لقد روينا لقراء « منبر الاسلام » الأغر ، فى القسم الثانى من بحثنا تحت هذا العنوان ، روينا لهم مقتطفات عديدة ، ومنتخبات مفيدة ، من اعترافات الأجانب المنصفين بشأن القرآن المجيد ، وها نحن نروى لهم عددا من الاعترافات بشأن نبى الاسلام ورسوله .

محمد صلى الله عليه وسلم

١ ـ قال جرجس سال فى كتابه « مقالة فى الاسلام » صفحة ٧٥ ما يلى :

« ان محمدا رسول الاسلام (صلى الله عليه وسلم) كان صالح الأخلاق ، ولم يكن على الشر والخبث كما يصفه به خصومه ، ثم مضى يقول :

قال جيبون : « عقيدة محمد خالصة ليس فيها لبس ولا ابهام ، والقرآن شاهد عدل وبرهان قاطع على وحدانية الله عز وجل .

لقد هجر نبى مكة (نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام) عبادة الأصنام والبشر ، سواء أكانوا من النجوم ، أم من الكواكب السيارة ، أم من غير ذلك ، على القاعدة العلمية الصحيحة . وهى :

ان كل قابل للنهى لابد أن يبيد ويفنى ، وكل مولود لابد أن يموت ، وكل بازغ لابد له من أفول ، كانت لمحمد حماسة حكيمة اعترف بمبدع الكون وعبده على أنه كائن أبدى غير محدود ، بلا صورة ولا مكان ولا ولد ولا شبيه ، يعلم خطايا الأفكار ، وأسرار القلوب ، وجوده من نفسه واخلاقه وعلمه وكماله من نفسه ، هذه الحقائق السامية مبينة على وجه معقول بغاية الاحكام ، فى تراجم القرآن ، فكل من يؤمن بالله ايمانا علميا فلسفيا ، قادر على أن يشارك المحمديين فى اعتقادهم المقبول » .

٢ ـ وقال فروفيسور ليك (فى كلام مفصل عن الاسلام ورسوله) ما يلى :

« حياة محمد التأريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفه الله نفسه بألفاظ قليلة ، بين فيها خلق النبى حيث قال « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » ان يتيم آمنة العظيم قد برهن بنفسه على أنه أعظم الرحمات لكل ضعيف ولكل محتاج الى المساعدة ، كان محمد رحمة حقيقية لليتامى وأبناء السبيل والمنكوبين والمدنيين وجميع الفقراء والعمال ذوى الكد والعناء .

لقد كان محمد رحمة لجنس النساء الذى كان يعامل فى جميع الدنيا ، من قبل كل دين من الأديان ، وكل نظام اجتماعى وكل أمة ، كالأمتعة والأثاث لا غير ! فهلم الآن نقول باعظم الاخلاص والتلهف والابتهال « اللهم صلى على محمد وعلى أتباعه ومحبيه » .

٣ ـ وقال تولستوى الفيلسوف الروسى المعروف تحت عنوان « من هو محمد » :

« ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو مؤسس ورسول الديانة الاسلامية ، التى يدين بها فى جميع جهات الكرة الارضية مائتا مليون نفس (فى حساب عهده) ولد النبى محمد فى بلاد العرب سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح ، من أبوين فقيرين وكان فى حداثته راعيا ، وقد مال منذ صباه الى الانفراد فى البرارى والأمكنة الخالية ، حيث كان يتأمل بالله وخدمته (أى طاعته وعبادته على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام) ان العرب المعاصرين له ، عبدوا أربابا كثيرة ، وبالغوا فى التقرب اليها واسترضائها ، فاقاموا لها أنواع التعبد ، وقدموا لها الضحايا المختلفة ، ومنها الضحايا البشرية ، ومع تقدم سن محمد كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب ، وأن ديانة قومه ديانة كاذبة ، وأن هناك الها واحدا حقيقيا لجميع الشعوب وقد ازداد هذا الاعتقاد فى نفس محمد ، حتى اعتزم فى نفسه أن يدعو مواطنيه الى الاعتقاد باعتقاده الصحيح الراسخ فى فؤاده ، وقد دفعه الى ذلك عامل داخلى ، وهو : أن الله اصطفاه لارشاد أمته وعهد اليه هدم ديانتهم الكاذبة ، وانارة أبصارهم بنور الحق ، فاخذ من ذلك العهد ينادى باسم الواحد الأحد ، وذلك بحسب ما أوحى الله اليه ، وبمقتضى اعتقاده الراسخ » .

وبعد ما بين تولستوى خلاصة الديانة الاسلامية قال :

« وفى سنى دعوة محمد الأولى ، تحمل كثيرا من اضطهاد أصحاب الديانة القديمة ، شأن كل نبى قبله نادى

امته الى الحق ، ولكن هذه الاضطهادات لم تثن عزمه، بل ثابر على دعوة امته ، مع ان محمدا (صلوات الله عليه) لم يقل انه نبى الله الوحيد ، بل اعتقد أيضا بنبوة موسى والمسيح (عليهما السلام) ودعا قومه الى هذا الاعتقاد أيضا . وقال ان اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم ، بل يجب عليهم أن يتبعوا وصايا أنبيائهم » .

٤ ـ وقال القس لوزون الفرنساوى تحت عنوان

(ليس محمد نبى العرب وحدهم ، بل هو افضل نبى قال بوحدانية الله) ما يلى :

« وليس محمد (صلى الله عليه وسلم) نبى العرب وحدهم ، بل هو أيضا أفضل نبى قال بوحدانية الله تعالى ، فان دين موسى وان كان من الأديان التى اساسها الوحدانية ، الا انه كان قوميا محضا وخاصا ببنى اسرائيل ، ولم يكن التعبد عليه ممكنا الا فى بيت المقدس ، وأما محمد (عليه الصلاة والسلام) فقد نشر دينه بقاعدتيه الاساسيتين وهما : الوحدانية ، والبعث . وقد أعلنه لعموم البشر فى انحاء المسكونة ، وانه لعمل عظيم يتعلق بالانسانية جملة وتفصيلا ، عند من يدرك غايته ، فالديانة المحمدية اذن مع كونها من بعض الوجوه خاصة بالعرب وبعصر ظهورها ـ هى للنوع الانسانى ، الديانة العامة الخالدة » .

٥ ـ وقال لورد هدلى (الذى اعتنق الاسلام فيما بعد) فى رسالة بمناسبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم :

« أبلغت فى أواخر العام الماضى (يريد العام ١٣٥٠ هـ) ان هناك حركة خاصة يقوم بها فريق من المسلمين (يريد جماعة الهداية الاسلامية فى بغداد) والغرض منها وقوف الناس على ما كان لمحمد النبى الصادق الملهم ، من فضل على الجنس البشرى .

وقد طلب الى القائمون بهذه الحركة ، ان اضع لهم بهذه المناسبة (يريد مناسبة المولد النبوى) رسالة مختصرة (الى أن قال) والأنبياء أو الرسل قوم اصطفاهم الله واختارهم وفضلهم على الناس ، وبعثهم اليهم مبشرين ومنذرين « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » كما يقول القرآن الكريم .

وقد تحققت بعد طول البحث والاستقراء ، أن محمدا نبى الاسلام (عليه الصلاة والسلام) لم يكن دعيا ولا دجالا (كما يدعيه خصومه ، ولكنه كان رسولا نبيا ، جاء برسالة الهية صادقة لا ريب فيها ، هدى للمتقين ، أوحى الله بها وكلفه بآدابها ، فجازت مخففة لصرامة احكام التوراة ، مكملة لكتاب المسيح (عليه السلام) فى الانجيل يقول السيد المسيح « من صفعك على خدك الأيمن ادر له خدك الأيسر » وتلك لعمرى وصية نافعة لولا انها لم تعد نصلح للزمن الذى نعيش فيه ، كما أن العمل بها فى الوقت الحاضر (فضلا عن أنه متعذر وغير مألوف) لا يولد الا المتاعب ، ولا يؤدى الا الى الشغب والاضطراب .

جاء موسى بالوصايا العشر ، وهى فى يقينى قيمة ونافعة ، لو تمسك الناس بأهدافها وعملوا بها لضمنوا لانفسهم كل راحة وهناء . أما المسيح فلم يكن فى كتابه مشرعا ، ولا نص فيه على عقاب الذين يجترئون على خرق النواميس الالهية ، بل كان فقط يحضهم على التوبة ويدعوهم الى الندم ويبشر التائبين برحمة الله وعفوه وغفرانه .

فلما جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) كان داعيا الى الرحمة والعدل والكرم والشجاعة والصبر على المكاره ، وغير ذلك من مكارم الأخلاق ، وبخاصة الصدق الذى كان يحبه ويقدسه أكثر مما سواه .

(من الأخلاق الحميدة) .

ومضى لورد هدلى يقول

وكان محمد نبى الاسلام (عليه الصلاة والسلام) يعتبر أن الدين وحده هو القانون الطبيعى الذى يجب على الناس أن يتبعوه ، وأن الله ما بعثه الا رحمة للعالمين ليبين لهم طريق الهدى وطريق الضلال ، ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم صراطا مستقيما .

ويعتقد محمد أن الدين هو أقرب الأشياء الى العقل والى الطبيعة ، وأن الانسان ما هو الا مظهر من مظاهر قدرة الله فقد أوتى عقلا يميز به الخير من الشر ، فمن آمن واتبع الهدى فبها ونعمت ، ومن كفر فعليه كفره ، والله غنى عن العالمين .

والقرآن يقول « وأن أقم وجهك للدين حنيفا » فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون »«صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » « انا لله وانا اليه راجعون » .

وهكذا نرى أن الدين الذى يدعو اليه محمد انما هو دين واضح جلى لا غموض فيه ولا ابهام ، وقد ذكر لين بول المستشرق الكبير فى رسالة له : أن محمدا نبى الاسلام (عليه الصلاة والسلام) ، كان يتصف بكثير من الخصال الحميدة ، كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق ، حتى ان الانسان لا يستطيع أن يحكم عليه ، دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات فى نفسه من أثر ، ودون أن يكون هذا الحكم صادرا عن ميل وعلى غير هدى . وكيف لا ؟ وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته سنوات وأعواما بصبر وجلد عظيمين ، وبلغ من نبله وحسن خلقه ، أنه لم يكن فى حياته ، البادى بسحب يده من يد مصافحه ، حتى ولو كان يصافح طفلا ، وأنه لم يمر بجماعة يوما من الأيام ، رجالا كانوا أو أطفالا ، دون أن يقرئهم السلام ، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة تكفى وحدها لتجذب القلوب الى صاحبها جذبا .

وقد كان محمد (صلى الله عليه وسلم) غيورا ومتحمسا ، وكلنا نعرف أن الغيرة والحماسة انما هما للعالم بمثابة الملح للأرض يحفظها من التعفن والفساد ، وقد يساء استعمال الحماسة ، حيث يلجأ اليها بعض الناس ، لأغراض غير شريفة ، وفى مواطن لا تكون فيها الحماسة مقبولة ولا مرغوبا فيها ، ولكن غيرة محمد وحماسته لم تكن من هذا النوع ، وانما كانت لغرض نبيل ومعنى سام ، فهو لم يتحمس الا عندما يكون ذلك واجبا مفروضا لا مفر منه لالهاب العالم . فقد كان رسولا من الله ، وكان يريد أن يؤدى رسالته على أكمل وجه ، كما أنه لم ينس فى يوم من الأيام كيانه أو الغرض الذى بعث من أجله ، وكتب المستر بوسورث سميث أحد كتاب المسيحية رسالة جاء فيها :

ان محمدا كان موفقا توفيقا فريدا فى بابه ، لم يحدثنا التاريخ عن مثله ، فقد جمع بين زعامات ثلاث هى زعامة الشعب وزعامة الدين وزعامة الحكم

والسلطان ، وعلى الرغم من أنه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ، فقد جاء بكتاب جميع بين البلاغة والتشريع والعبادات ، وهو الآن موضع احترام أكثر من سدس العالم ، كمعجزة هى دليل العقل والحكمة ، أى معجزة .

ويقول المستر لين بول فى موضع آخر من رسالته : ان كثيرا من كتاب التراجم والسير الأوربيين الذين تناولوا الكلام عن سيرة محمد نبى الاسلام ، لم يتعففوا عن أن يشوهوا هذه السيرة ، بما أدخلوه عليها من افتراءات وادعاءات ، كاتهامهم له بالقسوة ، فان تهمته غير جديرة بالاعتبار . (كغيره من الاتهامات) . لأننا اذا رجعنا الى التاريخ وحكمناه فى هذه المسألة لتبين لنا أن القسوة لم تكن قط من أخلاق محمد ، وذلك بدليل معاملته للأسرى بعد موقعة بدر ، وتسامحه مع أعدائه ، وصبره على أذاهم ، وعطفه على الأطفال والمرضى ، وحقنه للدماء ، وعفوه عن اولئك الذين قضوا فى محاربته ثمانية عشر عاما ، واظهروا له فيها كل صنوف العداء ، واذاقوه فى خلالها كل أنواع الجور والاضطهاد والظلم .

ثم قال لورد هدلى (بعد رواية هذه الشهادات) : « وتلك شهادة لها قيمتها ولها نصيبها من الحقيقة »

وقال لورد هدلى (بعد رواية الحروب الدائرة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الكفار ومعاملته معهم) :

افلا يعتبر هذا كله دليلا على أن محمدا لم يكن متصفا بالقسوة ، ولا متعطشا للدماء كما يقولون بل كان دائما يعمل على حقن الدماء ، جهده المستطاع » .

ومضى لورد هدلى يقول : وقد نال محمد نبى الاسلام (عليه الصلاة والسلام) حب العالم أجمع وحب أعدائه بنوع خاص ، عندما ضرب للناس مثلا فى مكارم الأخلاق ، باطلاق سراح عشرة الاف اسير كانوا فى يوم من الايام يعملون على قتله والفتك به ، وايراده هو وأصحابه موارد الهلاك ، ولما أن استتب له الأمر وخضعت له شبه جزيرة العرب الى أقصاها ، وجاءه نصارى نجران اليمانيون بقيادة البطريرك لم يحاول قط أن يكرههم على اعتناق الاسلام ، وأمنهم على أموالهم وأرواحهم ، وأمر بأن لا يتعرض لهم أحد فى معتقداتهم وطقوسهم الدينية ، وأن تبقى كنائسهم ومعابدهم كما هى ، يؤدون فيها شعائر دينهم كما كانوا يفعلون من قبل ، بل أكثر من ذلك . لم يفرض عليهم أى ضريبة أو جزية . ولما توفى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتولى بعده خلفاؤه الراشدون أبو بكر فعمر فعثمان فعلي لم يحاول أحدهم قط أن ينقض عهد الرسول مع من أمنهم على أموالهم وأنفسهم ، بل أحسنوا معاملتهم أى احسان .

وفى الختام قال لورد هدلى : ان كل هذا يكشف لنا عن ناحية من نواحى الرسول وما اتصف به من الصبر واحتمال المكاره والعفو عند المقدرة ، كما يبرهن لنا أن محمدا كان صادقا اذ يقول « لا اكراه فى الدين » .

« للبحث بقية »

الاعتراف بين الشريعة والقانون

للدكتور حسن المرصفاوي

العدالة من صفات الله سبحانه وتعالى ، والعمل على تحقيقها موجب للثواب ، والقاضى - وقد انيطت به مهمة اقامة العدل بين الناس بعضهم وبعض - يجب أن يسلك كل سبيل يوصله اليه من غير أن يتقيد بواحدمعين معها. والأصل أن أساس تعرف وجه الحق فى الدعوى هو البينات التى تتعدد طرق الوصول اليها .

والقاعدة التى استقرت حاليا فى النطاق القانونى تقضى بأن القاضى حينما يريد اعمال حكم القانون فيما يطرح عليه يستهدىوجدانه وضميره ، ويكون عماد قضائه هو ما يطمئن اليه قلبه . على أن القانون وان تدخل فىبعض الأحوال ليرسم للقاضى طريقا معينا يستدل به، لا يلزمه باتباع نتيجته ، وانما يخضع للقاعدة السابقة ، وحكمتها أن الأحكام الجنائية التى تقضى بانزال العقاب على المتهم قد تصيبه فى حياته متى كانت الاعدام ، أو فى حريته ان جاءت مقيدة لها ، أو فى ثروته ان كانت بتغريمه ، فاثرها الخطير يبين فيما يمسه من الفرد وقد اقتضى هذا - حماية لتلك الحقوق - أن يكون مبنى تلك الأحكام هو الجزم واليقين لا الظن والترجيح .

وكل الأدلة التى تطرح على القاضى الجنائى تحتمل وجهين ، الصدق أو الكذب ، فعليه أن يمحصها ويختار واحدا منهما . وقد يدق الأمر ويصعب فى بعض الحالات ، ولكنه يتيسر عندما يقر المتهم بمقارفة الجرم المسند اليه . ولا يعنى الاعتراف وجوب الحكم بمقتضاه ، وانما يسهل على القاضى مهمته بالاقتصار على فحصه ، فقد يكون المتهم صدوقا فيما أقر به ، وقد يندفع اليه كاذبا تحت تأثير بواعث مختلفة ، الأمر الذى كشف عنه كثير من القضايا الشهيرة .

ولهذا ان اعترف المتهم فى التحقيق بالتهمة المسندة اليه ، فلا يكتفى المحقق بهذاالاعتراف، بل يجب عليه أن يبحث عن الأدلة التى تعززه، لأن الاعتراف ليس الا دليلا يحتمل المناقشة كغيره من أدلة الاثبات . وعلى هذا زالت كل قوة كانت للقاعدة التى تعتبر الاعتراف سيد الأدلة ، وأصبح هو مع غيره على قدم المساواة من ناحية خضوعه لتقرير القاضى .

والاعتراف قد يجىء تلقائيا - وهو أمر قليل الحدوث - دون اجراءات سابقة عليه ، كمن يرتكب الجريمة ثم يتقدم طائعا مختارا الى رجال الشرطة مبلغا عنها . بيد أن الغالب من الأمر أن يأتى الاعتراف فى ثنايا اجراءات أخرى أو بعد مباشرتها ، وهو ما دعا الى العناية ببحث الاجراءات السابقة عليه والموصلة له ووضع الشروط المختلفة للأخذ به كدليل فى الادانة .

ولقد كان القائمون على تولى شئون القضاء بين الناس فى الاسلام يتبعون ما جاء فى الكتاب الكريم من أحكام وما أثر عن النبى عليه الصلاة والسلام من أحاديث . وكانوا قبل النطق بحكم الدين فيما يطرح عليهم يتثبتون من الواقعة مهتدين فى هذا بما يطمئن اليه ضمائرهم وتهديهم اليه مختلف الأدلة التى تقدم فى الدعوى .

وانه وان بني القضاء على اطمئنان قلب القاضي ، الا أنه اطمئنان قد يكون مسنده دلائل خادعة يعسر عليه تبيان حقيقتها . ولقد روى عن النبي عليه السلام قوله « انكم تختصمون الى ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه : فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فانما اقطع له به قطعة من النار »

ووفقا لأحكام الشريعة الاسلامية كان من بين الأدلة التى تقبل على المتهمين الاقرار والبينة بشهادة الشهود ، ذلك أن المتهم يسأل عن التهمة وحاله عندئذ بين أمرين : اما أن يقر بما أسند اليه أو ينكره ، وفى هذه الصورة

تقام عليه البينة . واختلف الفقهاء فيما اذا كان من الجائز تحليف المتهم اليمين من عدمه ، والأغلب والأصح عدم تحليف اليمين .

والاقرار بالتهمة – وهو ما يسمى فى القوانين الوضعية بالاعتراف ، ان كان قد مر عليه دور اعتبر فيه سيد الأدلة ، الا أن ذلك لم يكن حاله فى الشريعة الاسلامية .

ويعرف الفقهاء الاقرار بأنه اخبار الانسان بحق على نفسه ، ذلك أن المخبر ان أخبر بما على نفسه فهو مقر ، وأن اخبر بما على غيره لنفسه فهو مدع ، وان أخبر عما على غيره لغيره ، فان كان مؤمنا عليه فهو مخبر والا فهو شاهد .

والاقرار في رأى فقهاء الشريعة الاسلامية حجة قاصرة . أما حجيته فلأنه ملزم لمن أقر (فقد رجم النبى عليه الصلاة والسلام ماعزا باقراره والغا مدية باعترافها على ما سيأتي ذكره) ، لأنه خبر يحتمل الصدق والكذب وجانب الصدق فيه ارجح لأن العاقل البالغ الرشد المختار لا يخبر بحق يلزمه الا اذا كان معتقدا الصدق فى ما يقوله ، فضرر اقراره واقع عليه وحده ، وقد التزم ما أقربه على نفسه .

أما قصور الاقرار فيعنى أنه حجة على نفس المقر غير متعدية الى الغير ، لانه لما كان الاقرار خبرا مترددا بين الصدق والكذب اعتبر محتملا ، والمحتمل لا يصلح حجة ، ولكنه جعل حجة بترجيح جانب الصدق فيه بانتفاء التهمة فيما يقر به الشخص على نفسه، ولكن التهمة باقية من الاقرار على الغير .

وبرغم الحجة التى للاقرار بالنسبة الىمن أقر علي نفسه ، فقد وجب على القاضى أن يتبين من صحته والا تعين عدم التعويل عليه. فطرح الاقرار ان قام الدليل على عدم الاطمئنان اليه هو من القواعد المعمول به لدى فقهاء الاسلام ، فيقولون ان للحاكم أن يلتفت عن اقرار الانسان فيحكم بخلاف ما يعترف به اذا تبين أنه الحق لعله اطلع عليها غير ما أقربه .

فتضعف حجية الاقرار بما قد يصاحبه من ظروف يترجح معها جانب الكذب فيهعلى جانب الصدق . أما لضرر آخر يدفعه المقر عن نفسه يراه فى تقديره أشد من الضرر الذى يلحقه من جانب الاقرار كذبا ، واما لمصلحة يرجوها تربو على ما يلحقه من الضرر ، واما لمعنىأدبى يحتمل من أجله الأذى كالستر ونحوه الى آخر تلك الأغراض .

ويستدل الفقهاء على ما سبق بحكم نبى الله سليمان فى شأن المرأتين اللتين ادعتا الولدحين قال ، أئتونى بالسكين أشقه بينكما ، فسمحت الكبرى بذلك وقالت الصغرى لا تفعل رحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى ، اذ استدل من شفقتها عليه وامتناعها عن الرضي للصغرى على انها أمه ، وأن الدافع لها على الامتناع عن الدعوى ما قام بقلبها من الرحمة والشفقه التى وضعها الله فى قلب الأم .

ويشترط لصحة الاقرار شرعا فيما يوجب الحد أن يكون المقر عاقلا بالغا يقظا لا نائما ولا مغمى عليه ، وأن يحصل الاقرار بالطوع والاختيار وان يصدر بصورة جدية لا يراد به الهزل ، وأن يكون صريحا ، والا يكذب المقر ظاهر الحالة فيما أقر به .

وعلى هذا اذا أقر الشخص بالزنا أوالسرقه فى حالة السكر لا يطبق عليه الحد لأن اقراره يحتمل الكذب نظرا لما فيه من سكر .

وكذلك لا يعتد بالاقرار الصادر تحت تأثير الرهبة والاكراه ، فيروى عن يونس بن يزيد ابن أبى الزناد انه قال فى اعتراف العبد على نفسه بالسرقة والقتل ان كان قد استرهب أو امتحن فكان اعترافه بعد ذلك ، فانا لا نرى عليه فى ذلك قطعا ولا قتلا . فأما ما اعترف به طائعا مختارا غير مخوف ولا مسترهب فاعترف أنه أتى ذلك عمدا فانه تقطع يده فى السرقة ويقتل فى القتل ان كان قتلا عمدا

ولقد جاء فى الأحكام السلطانية انه يجوز للأمير مع قوة التهمة أن يضرب المتهم ضرب التعزير لا ضرب الحد ليأخذه بالصدق عن حاله فيماقرف بهوأتهم،فانأقر وهو مضروب اعتبرت حاله فيما ضرب عليه . فان ضرب ليقر لم يكن لاقراره تحت الضرب حكم

وان ضرب ليصدق عن حاله واقر تحت الضرب قطع ضربه واستعيد اقراره فاذا اعاده كان مأخوذا بالاقرار الثاني دون الأول ، فان اقتصر على الاقرار الأول ولم يستعده لم يضيق عليه بعمل بالاقرار الاول وان كرهناه .

وفيما تقدم دليل على جواز التجاء القاضى الى الضرب باعتباره من وسائل التحقيق وهو مقيد بأمرين : الأول أن لا يوقعه الا الأمير والآخر أن تكون التهمة قوية . على أن لا يؤخذ بالاقرار الناشيء عن الضرب الا اذا انقطع الضرب أى انقطع الاكراه ، وبقى المتهم على اعترافه ، واذن فانه حتى مع حالة الضرب هذه يشترط فى الاعتراف صدوره من غير رهبة أو خوف .

وصراحة الاقرار من ضمان الأخذ به ، فلو اقر الأخرس بالزنا كتابة أو اشارة لا يقام عليه الحد لوجود الشبهة المبنية على عدم الصراحة خلافا للأعمى ، فانه يصح اقراره .

ولو كان ظاهر الحال يكذب المقر أهدر الاعتراف ، كمن يقر بالزنا ويظهر أنه مجبوب ، او من تقربه ويتضح انها عذراء . وكذلك ان كذبه الآخر ، فان أقر الرجل بالزنا بفلانة فكذبته دريء الحد عنه سواء قالت انه تزوجنى أو لا أعرفه أصلا ، وان أقرت المرأة بالزنا بفلان فكذبها الرجل فلا حد عليها . ولقد روى أن رجلا جاء الى النبى وقال انه قد زنى بامرأة سماها فأرسل النبى الى المرأة فدعاها وسألها عما قال فأنكرت ، فحده عن القذف .

قلنا أن الاعتراف فى نظر الشريعة الاسلامية لا بعد سيد الأدلة ، وهو قابل لكل تمحيص وفحص ، بل انه يجوز الرجوع فيه وان صح سنبه رفع حكمه .

وأما الاطمئنان الى صحة الاعتراف فد ليله حادث ماعز بن مالك الاسلمى ، اذ أتى رسول الله عليه السلام وقال : يارسول الله انى قد ظلمت نفسى وزنيت ، وانى أريد ان اتطهر ، فأعرض عنه . فجاء الى الجانب الآخر وقال مثل ذلك فأعرض عنه . فجاء الى الجانب الثالث وقال مثل ذلك فأعرض عنه . فجاء الى الجانب الرابع وقال مثل ذلك . فلما كانت المرة الرابعة قال النبى عليه السلام ، الآن أقررت أربعا ، فبمن زنيت فقال بفلانه ، فقال ، لعلك قبلتها ، لعلك باشرتها فأبى الا ان يقر بصريح الزنا ، فقال أبك خبل، ابك جنون؟ وفى رواية أخرى أرسل الى قومه أتعلمون بعقله بأسا تنكرون معه شيئا قالوا .. ما نعلمه الا وفى العقل ومن صالحينا فيما نرى . ولما أخبر انه محصن أمر برجمه .

واستدل الفقهاء من هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخر اقامة الحد الى أن تم الاقرار أربع مرات ، وانه لو كان الاقرار مرة واحدة كافيا لم يؤخره ، لأن اقامة الحد عند ظهوره واجبة ، وتأخير الواجب لا يظن برسول الله .

وفى رأينا أن الاقرار بالزنا أربع مرات لا يؤخذ على أنه شرط عددى ليعمل الاعتراف أثره فى الأحكام ، وانما ابتغى الرسول درء الحدود بالشبهات والاطمئنان الى صحة الاقرار . وآية هذا انه اعرض عنه فى كل مرة لعله يفكر فيما هو مقدم عليه وبالغ نتائجه من اقامة الحد عليه فيعدل عنه والا لو كان شرط الأخذ بالاقرار فى الزنا تكراره أربعا لما كان الرسول فى حاجة الى أن يعرض عن ماعز ، فضلا عن انتفاء الحكمة من الاقرار أربع مرات بالزنا ، وبأقل من هذا فى غيره من الحدود . ولقد جاء فى المدونة الكبرى « أرأيت الاقرار به لزنا ايقيم مالك الحد فى اقراره مرة واحدة أو حتى يقر أربع مرات (قال) قال مالك : اذا أقر مرة واحدة أقيم عليه الحد فى اقراره ان ثبت على ذلك ولم يرجع عنه »

ولقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أتى بلص فاعترف ولم يوجد معه متاع ، فقال له ما أخالك سرقت ، فقال بلى يارسول الله ، فأعادها عليه مرتين أو ثلاثا فأقر فأمر بقطع يده . وفسر قوله ما أخالك سرقت بأنه ما أظنك سرقت ، وهو دليل على أن يستحب تلقين ما يسقط الحد .

وذهب أبو يوسف وأحمد الى اشتراط الاقرار مرتين ، أما أبو حنيفة ومالك والشافعى فيكتفون بالاقرار مرة واحدة .

وهذا الخلاف بين الفقهاء فى عدد الاقرار يؤدى فى رأينا الى القول بأن المرجع فى المسألة هو الاطمئنان ، لا الأخذ بما قيل انه تم فى الحادثة فعلا ، لان المأثور عن النبى عليه السلام أن سنته واجبة الاتباع باعتبارها مصدرا تشريعيا ، ولكل تشريع حكمة يبنى عليها وهى التى ينبغى البحث عنها .

وروى أن الغامدية جاءت رسول الله عليه السلام وقالت ، انى قد زنيت فطهرنى وأنه ردها ، فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردنى لعلك أن تردنى كما رددت ما عزافو الله انى لحبلى ، قال اما لا فاذهبى حتى تلدى ، فلما وضعت أتته بالصبى فى خرقة قالت هذا قد ولدته ، قال اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز فقالت ، هذا يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام ، فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ثم أمر بها تحفر لها الى صدرها وأمر الناس فرجموها .

ويذهب الفقهاء استدلالا من هذا الحديث الى أن قلب النبى عليه السلام لم يرتض رجم الحبلى حتى تلد ، وهذا ما نجد له مقابلا فى التشريعات الوضعية من تأجيل تنفيذ حكم الاعدام فى الحامل حتى تضع حملها .

وفى رأينا هنا أيضا ان الرسول عليه السلام ابتغى الاطمئنان الى صحة الاقرار ، وسبق لنا بيان رأى البعض أنه يستحب تلقين ما يسقط الحد ، فهل لو عدلت الغامدية عن الرجوع الى الرسول كان يعدمها ؟

واعمالا لقاعدة الاطمئنان الى الاقرار نجد أنه يشترط تكراره عدة مرات فى الجرائم التى توجب الحدود ، فيجب الاقرار مرتين فى القذف والسكر والسرقه ، أما فى المحارب ووطء الأموات فيكفى مرة واحدة .

ولما كانت حجية الاقرار تضعف اذا ما صاحبته قرائن يترجح معها جانب الكذب على جانب الصدق فيه ، استتبع هذا جواز الرجوع عنه ، وهذا العدول يستقصى أمره فى دلالته الحقيقيه ، فان كان الأمر الأول أهدر الاعتراف والا لم يعتد بالعدول .

وقد روى عن جابر فى قصة ماعزالسابقة البيان أنه قال « كنت فيمن رجم الرجل ، وأنه لما خرجنا به فرجمناه فوجد مس الحجارة صرخ بنا يا قوم ردونى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان قومى قتلونى وعزونى من نفسى واخبرونى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير قاتلى فلم ندع عنه حتى قتلناه ، فلما رجعنا الى رسول الله عليه السلام واخبرناه قال ،فهلا تركتموه وجئتمونى به ليتثبت رسول الله .

ولقد ذهب أبو حنيفة الى أنه لو رجع المقر عن اقراره قبل اقامة الحد أو فى وسطه قبل رجوعه أخلى سبيله ، فالرجوع خبر يحتمل الصدق وليس أحد يكذبه ، فتتحق به الشبهة فى الاقرار السابقة عليه .

ويقول مالك فى الذى يعترف على نفسه بالزنا ثم يرجع عن ذلك ويقول لم أفعل ، وانما كان ذلك منى على وجه كذا أو كذا بشىء يذكره . فان ذلك يقبل منه ولا يقام عليه الحد ، وذلك أن الحد الذى هو لله لا يؤخذ الا بأحد وجهين ، اما بينة عادلة تثبت على صاحبها ، واما باعتراف مقيم عليه حتى يقام عليه الحد ، فان أقام على اعترافه أقيم عليه الحد .

ويبين مما تقدم أن الشريعة الاسلامية قد أرست قواعد العدالة وأوجبت الاطمئنان الى صحة الاعتراف ومطابقته لواقع الحال ، هذا فى حين ان الاعتراف كان قد مر بفترة مظلمة فى العصور الوسطى حيث كان معتبرا سيد الأدلة وكان ذريعة لمباشرة مختلف وسائل التعذيب التى تقشعر منها الأبدان . ومع تقدم المدنية فى الغرب ضعفت قوة الاعتراف المطلقة ، وأصبح من تقديرات القاضى ، ثم استوحت الدول الشرقية القوانين الغربية عندما وضعت تشريعاتها وأخذت بالقاعدة المقررة أصلا فى الشريعة الاسلامية

حياة العقل الشابى

(ابن فضل الله العمرى)

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والأدب

٢٠

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

« تتمة مضامين وموضوعات الجزء الاول »

وفود الروم واعجابهم بمسجد دمشق المعروف بالمسجد الاموى :

ثم جاء الى الخليفة عمر بن عبد العزيز بريد من مصر يخبره أن قاربا ورد عليه من رومية ، فيه عشرة من الروم يريدون الوصول الى أمير المؤمنين . فاذن لهم وأمره أن يوجه معهم عشرة من المسلمين يحسنون الرومية ، ولا يعلمونهم بذلك حتى يحملوا الى كلامهم . فساروا حتى نزلوا دمشق ، خارج باب البريد . فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم فى دخول المسجد . فاذن لهم فمروا فى الصحن حتى دخلوا من الباب الذى يواجه القبلة . فكان أول ما استقبلوا المقام . ثم رفعوا رؤوسهم الى القبة . فخر رئيسهم مغشيا عليه . فحمل الى منزله . فاقام ما شاء الله أن يقيم . ثم افاق . فقال له اصحابه بالرومية : ما قصتك ؟ وما الذى عرض لك ؟ قال : كنا معشر اهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل . فلما رايت ما بنوا ، علمت أن لهم مدة سيبلغونها . فلذلك أصابنى ما أصابنى . فلما قدموا على عمر أخبروه ، فقال : لا أرى مسجد دمشق الا غيظا على الكفار . فترك ما كان هم به من أمره ١٩١

رواية اخرى فى عزم عمر على تجريد القبلة مما فيها من الذهب :

وروى أن عمر بن عبد العزيز أراد أن يجرد ما فى قبلة مسجد دمشق من الذهب . وقال : انه يشغل عن الصلاة ، فقيل له : يا أمير المؤمنين انه أنفق عليه فىء المسلمين واعطياتهم . وليس يجتمع منه شىء ينتفع به . فاراد أن يبيضه بالجص . فقيل له : تذهب النفقات فيه . فاراد أن يستره بالخزف ، فقيل له : ضاهيت الكعبة ، فبينا هو كذلك اذ ورد عليه وفد الروم . فاستأذنوا فى دخوله فاذن لهم . وأرسل معهم من يعرف الرومية وقال : احفظوا ما يقولون . فلما وقفوا تحت القبة ، قال رئيسهم : كم للاسلام ؟ قالوا : مائة سنة . قال : فكيف تصغرون امرهم ؟ ما بنى هذا البنيان الا ملك عظيم . وأتى الرسول عمر فاخبره ، فقال : أما اذا غايظ العدو ، فدعه ١٩٢

اقرار الخليفة المهدى العباسى بفضل بنى امية فى اربعة أشياء :

لما قدم الخليفة المهدى العباسى يريد بيت المقدس ، ومعه أبو عبيد الله الاشعرى كاتبه ، فقال : يا ابا عبيد الله ! سبقنابنو امية بثلاث : بهذا البيت ، لا أعلم على الارض مثله ، وبنبل الموالى ، وبعمر بن عبد العزيز . لا يكون والله فينا مثله أبدا . فلما أتى بيت المقدس ودخل الصخرة قال : يا أبا عبيد الله ، هذه رابعة ١٩٤

اعجاب الخليفة المامون العباسى ببنائه على غير مثال تقدم :

ولما دخل الخليفة المأمون العباسى مسجد دمشق ومعه المعتصم ويحيى بن أكثم قال : ما اعجب ما فى هذا المسجد ؟ قال : المعتصم : دهنه وبقاؤه ، فانا ندعه فى قصورنا فلا يمضى عليه عشرون سنة حتى يتغير . قال : ماذاك أعجبنى

قالا : فما هو ؟ قال : بنيانه على غير مثال تقدم ١٩٤

عجائب الدنيا خمس عند الامام الشافعى منها المسجد الاموى :

وقال الامام الشافعى : عجائب الدنيا خمس : منارة ذى القرنين ، والثانية اصحاب

الرقيم بالروم ، والثالثة مرآة ببلاد الاندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة اذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ وجاء أهله اليها ، يرون صاحبهم من مسافة مائة فرسخ ، والرابعة مسجد دمشق ، والخامسة الرخام والفسيفساء ، فانه لا يدرى له موضع ١٩٣

قال ابن فضل الله العمرى : وكذا ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر .

صناعة الفسيفساء وأنواعها :
والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق . ومن هذا النوع المسحور . وأما الملون فمعجون ١٩٣

الفسيفساء التى احترقت سنة ٧٤٠ هـ :
وقد عمل منه فى هذا الزمان (زمن ابن فضل الله العمرى) شىء كثير برسم الجامع الاموى وحصل منه عدة صناديق وفسدت فى الحريق الواقع سنة أربعين وسبعمائة ، وعمل منه قبل للجامع التنكزى ما على جهة المحراب ١٩٣

الفرق بين الفسيفساء القديمة والجديدة فى أيام ابن فضل الله العمرى :
غير أنه لا يجىء تماما مثل المعمول القديم فى صفاء اللون وبهجة المنظر . والفرق بين الجديد والقديم أن القديم قطعة متناسقة على مقدار واحد . والجديد قطعة مختلفة . وبهذا يعرف الجديد والقديم ١٩٣

هذا المسجد يشوق الى الجنة :
وروى الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان قال : ما ينبغى أن يكون أحد أشد شوقا الى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدها ١٩٣

الدرة المسماة (قليلة) :
وروى عن عبد الرحيم الانصارى قال : سمعت بعض الاعراب وهم يدورون المسجد ، يقولون : لا صلاة بعد القليلة . فقيل له : رأيت القليلة ؟ قال : نعم ، وهى تضىء مثل السراج ... ...

الامين يسرقها ، والمأمون يردها للتشنيع عليه :
قلت : من اخذها ؟ قال : سمعت المثل ؟ « منصور سرق القلة » وسليمان شرب المرة » منصور الامير ، وسليمان صاحب الشرطة ، يعنى صاحب شرطته . وذلك أن الامين كان يحب البلور (يعنى اقتناء الدرر) فكتب الى صاحب شرطة متولى دمشق أن ينفذ اليه القليلة . فسرقها ليلا ، وبعث بها اليه . فلما قتل الامين رد المأمون القليلة الى دمشق ليشنع بها على الامين ... ... ١٩٣ – ١٩٤

ضياعها وانكسار البرنية الزجاج التى وضعت مكانها :
وكانت فى محراب الصحابة . فلما ذهبت جعل موضعها برنية زجاج رايتهـا (ابن فضل الله العمرى) ثم انكسرت فلم يجعل مكانها شىء ١٩٤

أستار المسجد :
وقال على بن أبى جميلة : كنا نستر مسجد دمشق فى الشتاء بلبود حسنة ، فدخلته الريح فهرته . فثار الناس فخرقوا اللبود ١٩٤

وصف ابن فضل الله العمرى لبنائه الوثيق الانيق :
قال ابن فضل الله العمرى : وأما بناؤه ، فهو وثيق البناء ، أنيق البهاء ، قد بنى بالحجر والكلس الى منتهى حوائطه ، وشرف بالشراريف فى أعاليه ، واتخذت له ثلاث منائر : اثنتـان فى جناحى قبلته ، شرقا وغربا ، والثالثة فى شامة وتعرف بالعروس ١٩٤

أبوابه القديمة والمستجدة :
ويدخل اليه من ستة أبواب ، منها أربعة أصول ، واثنتان مستجدان . فالاصول باب الزيادة ، وهو فى حائطه القبلى ، وباب الساعات وهو فى حائطه الشرقى ، يفضى الى حضرة الساعات المعمولة لمعرفة الاوقات ، تدار بالماء ، وتعلق بهـا أبواب الساعات ، وتجاهه فى الحائط الغربى باب البريد ، وهو أشهر من الشمس فى الآفاق ، وأكثر ذكرا من « ذكرى حبيب ومنزل » للرفاق . وهو حضرة فسيحة فى جانبيها حوانيت للفواكه والشمع والعطر والشراب وأطايب المأكول . وبها القنى من الميـاه الجارية ، توقد عليها المصابيح بالليل فيموه الماء ذهب شعاعها ، وتطرب الاسماع بلذة ايقاعها . والرابع باب النطافين وهو فى حائطه الشمالى ، تلاصـقه الخانقاه الشميشاطية وتقاربها الاندلسية . وأما البابان المستجدان فهما الباب النافذ الى الكلاسة ، والباب النافذ الى الكاملية . وهما جناحا باب النطافين ... ... ١٩٤ – ١٩٥

صحن المسجد وفسيفساؤه :

والمسجد ذو صحن يعاقب باب النطافين ، قد فصصت حوائطه بالفسيفساء الرومى المذهب والملون بغرائب الاشجار والصباغة ...

رواق الصحن :

ويدور به رواق قد أزرت جدره وسواريه بالرخام الملون ، وعقدت رؤوس عمده وسواريه بالقناطر . وجعل على كل قنطرة منها طاقات صغار ، يفصل بين كل اثنتين

المادة أو الموضوع صفحة

منها عمود رخام أو سارية ... ...

اروقة القبلة وقبة النسر :

وفي قبلته ثلاثة أروقة ، وفى وسطها القبة المعروفة بالنسر : قد عقدت على المحراب الكبير الذى يصلى به خطيب الجامع وعامة الناس . ومقصورة الخطابة وبها المنبر ، وأمامه شدة الاذان ... ...

المصحف العثمانى الذى كان فيه :

والى جانبه الايسر المصحف العثمانى بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه . (ملاحظة : ولا ندرى هل لا يزال هذا المصحف الكريم باقيا فى مكانه حتى الآن ، أم امتدت اليه أيدى السارقين ، أو المستعمرين بعد توالى الدهور وتعاقب القرون ؟)

محراب الصحابة :

وفى شرقى هذه المقصورة المحراب المعروف بمحراب الصحابة . وهو محراب المسلمين الاول ، وبه تصلى المالكية الآن (عمر ابن فضل الله العمرى) ... ...

محراب الحنفية :

وغربى المحراب الكبير محراب يعرف باللازوردة . تصلى به الحنفية . جوار دار الخطابة ... ...

محراب الحنابلة :

ثم يليه باب الزيادة ، ويليه من الغرب محراب تصلى به الحنابلة ... ... ولكل من هذه المحاريب الثلاثة امام ومؤذن وقد وقف فى كل محراب منها وقف على مدرس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة : كل طائفة فى محرابها ١٩٥

وصف الاروقة :

وكل أروقته بالعمد والعضائد ، عليها طاقات القناطر المعقودة بعضها على بعض . وقد أزرت جدر هذه الاروقة بالرخام الابيض والمجزع والاحمر المنقط والاخضر المرشوش والاسود الغرابى والابقع والمعجون والازرق ١٩٥

وصف قبة النسر :

وأما أركان القبة الاربعة وجناحا النسر القبلى والشامى فمن الرخام الى أعلى الجدر والاركان معمول بالفسيفساء ، مسقوف بالبطائن المعمولة بالذهب واللازورد والزنجفر والاسفيداج والاصباغ الخالصة من لون والمركبة من اونين ... ...

مشاهد الخلفاء الراشدين :

وقد جعل فى أركان المسجد الاربعة أربعة مشاهد اتخذت على أسماء الصحابة الاربعة . فالشرقى بقبله مشهد على اسم أبى بكر ، وبه عدة خزائن كتب وقف . وشاميه مشهد على اسم على . والغربى بقبله مشهد على اسم عمر ، ويعرف الآن (عمر ابن فضل الله العمرى) بمشهد عروة ، وبه شيخ حديث وجماعة من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزائن كتب وقف . وجنوبيه مشهد على اسم عثمان . وبه يصلى نائب السلطان فى شباكه والحاكم الشافعى الى جانبه . وبهذا الشباك يحكم الحاكم بعد الصلاة ، كأنه كرسى ملك له ... ...

مجلس الحاكم الشرعى والحكام الاربعة :

وبهذا المشهد تعقد مجالس الحكام الاربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التى لاينفرد بها حاكم . فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون فى تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم ... ...

أما المكان الذى سجن به (زين العابدين) رضى الله عنه حين أقدم على يزيد (لعنه الله) فالى المقال الآتى ان شاء الله تعالى .

للترجمة بقية

أبعاد ملك سليمان

للأستاذ بهاء الدين القباني

رأينا فى المرحلتين السابقتين كيف كان تمهيد القرآن للمسئولية الخطيرة .. التى ألقـــاها الله على كاهل سليمان النبى العظيم .. ليبلوه أيشكر أم يكفر ! وعرفنا قصة سليمان مع الجياد وكيف يمكن اعتبارها الخلية الأولى لحياة ملك لم يكتب التاريخ أبعادا لمملكة أضخم وأروع من أبعادها !. ولاروحا أطهر من روحها ! ولا نسبا أشرف من نسبها !.. كما عرفنا أن هذه القصة لم يرد ذكر لها فى جميع أســـــفار واصحاحات كتب العهد القديم !؟..

وليستعد السادة القراء اذن .. فلقد أصبحنا وجها لوجه أمام أغرب جيش عرفتـه البشرية ! ليس جيشا الصواريخ كتائبه والطـائرات النفاثة أجنحته .. وانما كتائبه من عمالقة العفاريت من الجن !! وقلبه من الانس ذكوره واناثه !.. وأجنحته من الطيـــر على أية صورة خلقت .. لكل من هؤلاء جميعا منطق وكلام ولغة يتفاهم بها مع جنسه .. وكل منطق وكلام ولغة له فهمه الخاص وأسلوبه المعلوم لدى القائد الأعلى سليمان .. فلا يعزب عن فهمه وادراكه منهجهـــا شىء .. مهما تباينت تلك القوات المترامية ودقت !. ولسليمان مخاطبتها بلسانها الذى هداها اليه اللطيف الخبير !. والريح تلف ذلك الحشد جميعا .. أن أشار اليها سليمان بأصبعه عصفت فبلغت الذروة أو هدأت ! أو أشار فحملته الى أقصى الأرض وأطرافها جميعا .. ونحسب أن الصمت فى حضرة سليمان له قرع الطبول المدوية فى أذنى كل عملاق !. وله صخب متصارع فى أذنى كل انسى .. أما الطير فكأن على رءوسها الطير !..

التنافس بينهم فى الخشوع شديد .. سخطوا عليه أم رضوا .. كرهت العمالقة أم حمدت .. فلقد أصدر الكبير المتعالى قرارا بتنصيب أحد أنبيائه ملكا .. فكان ملكا !! فمن يزغ منهم عن طاعته تكبـــله الأغلال ذات الاقفال .. وبعدها قد لا يفك اسارة الا يوم ينفخ فى الصور .. والذى بيده مقاليد كل ذلك بالطبع هو الملك النبى سليمان عليه السلام !..

انه لون من الأنبياء .. والأنبياء ألوان .. لكل منهـا اطاره وعمقه الخاص الذى تفرد به وتميز .. ووضـح وضوحا .. حتى أصبح التعرف على صاحب كل لون منها أمرا محتما .. فما يكون لاصبع أن تخطىء الاشـارة اليه .. ولا لقلب أن يحدثه الوسواس بنفيه !. وسواء آمن به البعض وكفر البعض الآخر .. فلقد استقت تلك الألوان جميعا من معين واحد .. وأرسلت من باب واحد .. تعلن أمرا واحداخطيرا تناهىفىخطره.. أن الله واحد لا شريك له !. فلا ينبغى للخلائق أن تتخذ معه الهـا آخر .. ذلك هو القول الفصل !! وما هو بالهزل !..

سليمان بآياته الكبار يعلن ذلك الأمر فى ايمان وقوة.. ويتوعد الخارجين عليه بجنود لا قبـل لهم بها .. بل ويشردهم من ديارهم ويخرجهم منها أذلة وهم صاغرون!! سليمان بعلمه وفهمه لغة الجن والانس .. ومعرفته منطق الطير .. فلا تعزب عنه لغة جنس منها فى مشارق الارض ومغاربها .. سليمان بحشده الهائل من العفاريت والانس والطير !. سليمان بكل هذه الاطارات المهيبة الرهيبة.. لم يرد ذكر لهن فى جميع أسفار واصحاحات العهـــد القديم !؟ فيا ترى ماذا كتبت الأسفار والاصحاحات اذن عن سليمان ؟ ان هذا لهو العجب العجاب !! اهـــدار حقوق الملك النبى سليمان هو المنحى السائد المكنوز فى صناديق كتب العهد القديم المتداولة بالعربية !. ومـع ذلك .. فهناك أقوام يقدسونها ويعتبرونها موحى بهـا من الله العلى .. ويقرأونها فى السبوت والاحاد .. فى الهياكل والمعابد .. ويبثونها لصبيانهم وفتياتهم ..وبها

يبشرون وينفقون الأموال الطائلة .. تلك الصناديق وايم الله مطلية أغلفتها بطلاء زائف خفيف .. ومن يرفع عنها الغطاء يروعه التجويف الفـــــارغ المملوء الى حلقه بلا شيء !!..

ولابد لنا من أن نتساءل ـ وقد رفعنا نحن أغطية تلك الصناديق ـ عن ذلك الملك العريض ! والعلم الفيـاض ودقائقه التى آتاها الله سليمان ؟. وهل شكر العبـــد واعترف بالأنعم أم كفر ؟ وماذا كان جزاؤه ؟ لم تجب كتب العهد القديم وكأنها الأطلال الصامتة التى هجرها أهلوها فى غير رجعة فتآكلت وتهدمت .. وشاء القدر أن يتهالك بعضها على متبعيها .. فدفنت تحت أنقاضها من دفنت .. وتحاصر الآن من يعيش من ذويهم وذراريهم فى مضيق وسياج معقدين صنعتهما بقايا الجدر المتهالكة !. ثم هم فى حمأتهم .. وفى أسارهم يحسبون أنهم مهتدون مع أنهم فى طغيانهم يعمهون !!..

وحتى نستطيع أن نلقى أضواء كاشفة على زوايا ملك سليمان كما تناولتها أيدى القرآن .. وكما أخبرت بهـا أسفار العهد القديم .. نطـــوف رويدا فاحصين لتلك الزوايا .. مدققين ما شاء الله لنا من تدقيق .

وأول ما يطالعنا فى هذا الصدد هو حلم يرويه سفر الملوك الأول أن الله تعالى تراءى لسليمان فى هذا الحلم ودارت محادثة بينهما .. سأل سليمان أثناءها ربه أن يهبه حكمةوعقلا راجحـــا يستطيع بهما أن يسيطر على العباد .. فقد دعاهقائلا : « فاعط عبدك قلبا فهيما لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر لأنه من يقـــدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا ؟ (ملوك أول ص ٣ : ٩).. ولقد أجاب الله لسليمان لسؤله قائلا : « هو ذا أعطيتك قلبا حكيما ومميزا حتى انه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك .. وقد أعطيتك أيضا ما لم تسأله غنى وكرامة حتى أنه لا يكون رجل مثلك فى الملوك كل أيامك.. فاستيقظ سليمان واذا هو حلم » (ملوك أول ص ٣ : ١٢ ـ ١٣) .. وهذه اذن هى المحادثة التى تمت فى حلم ذات ليلة ـ كما وردت فى ســــفر الملوك الأول ـ التقى سليمان بربه المتعال وجها لوجـــه فتكالما .. وكان دعاء وكانت اجابة .. هكذا بكل بســـــاطة .. وكما يلتقى شخصان عاديان على موعد !!..

وفى الواقع .. لقد أجملت هذه المحادثة ملك سليمان ورسمت اطاره الخارجى توطئة لازاحة الستـار العريض عن الملك العريض ..فهذا هو الأسلوب الذى ارتضاه سفر الملوك .. كمدخل الى تبيان مدى ذلك القلب الحكيم المميز الذى وهبه الله سليمان . والى تفصيل معنى الغنى والكرامة اللذين أعطاهما الله سليمان واختصهما به دون الملوك .. هذا هو المنطق الذى يمكن اعتباره مهذبا ولايمكن أن نذهب الا اليـــه وكذاك كل باحث .. ولكننا ما أن أزحنا الستار لرؤية أبعاد الملك الذى شوقتنا اليه هذه المقدمة اذ بنا لا نجد شيئا !. لا دعائم !. ولا أضواء .. بل فراغ كبير ليس به سوى مجموعة من الوديان التى جفت عنها السيول فتركتها قاعا صفصفا !.

أما القرآن فقد أخبر أن سليمان دعا ربه أن يهبـه ملكا لا يتملك ناصيته أحد من بعد سليمان ـ كما عرفنا ظروف الدعاء فى المرحلة السابقة ـ فقد قال سليمان : رب اغفر لى ! وهب لى ملـكا لا ينبغى لأحـــــد من بعدى ! انك انت الوهاب ! » (ص ٣٥)..ولقد استجاب له الله فخاطب سليمان قائلا : « هذا عطاؤنا افامنن ! أو أمسك ! بغير حساب ! » (ص ٣٩) ..

وعلى هذا فاننا سنمضى فى تجوالنا خلال أسفار العهد القديم والقرآن الكريم لنتعرف على أبعا ملك سليمان مقسمين المدخل الذى ذكرناه آنفا الى قسمين :

الأول : رؤية سليمان لربه ..

الثانى : أبعاد الملك ..

أما القسم الخاص برؤية سليمان لربه فى الحلم الذى ذكره سفر الملوك.. فنقول انه بغض النظر عن استعمالات السفر للفظ حلم فى منام أحد الأنبيـــاء وكان أولى به استعمال لفظ رؤيا .. فلكل من اللفظين فلك يدور فيه .. فاننا نتساءل عن شيء أعمق وأخطر وهو امكان رؤية وجه الله فى الصحو أو فى المنام أم استحالة تلك الرؤية ؟ حتى يمكننا الذهاب الى مدى صدق السفر من عدمه..

وفى الواقع ان رؤية وجه الله ليست من الأمور الجائزة فى حقه تعالى .. فالله يتكلم اما عن طريق الوحى .. أو من وراء حجاب أو يرسل الى من يشاء رسولا .. يقول القرآن : « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ! أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ! انه على حكيم » (الشورى ٥١) .. حتى أن قوم موسى عندما طلبوا منه رؤية الله جهرة أخذتهم الصـــــاعقة : « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهـرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » (البقرة ٥٥) .. تماما حينما طلب موسى نفســـه رؤية الله فقال الله له : « لن ترانى ! » (الاعراف ١٤٣) .

وهكذا لا يمكننا الشك فى استحالة رؤية الله عز وجل .. بينما نجد سفر الملوك فى مواضع كثيرة لا يتورع ولا يتحفظ فى ايراد هذه الأمور الخطيرة .. وكأنه صـبى غير مميز لا يعى مايقول وما يفعل !!.. ومن العجيب أن حكاية « الحلم » هذه وما بعدها من المحادثة بين الله وبين سليمان قد كررها مترجم الأسفار مرات متعـددة حتى أعتقدنا أنه خطأ مطبعى !! فان الاصحاح الثـالث بأكمله من سفر الملوك يكاد ينطبق مع الاصحاح الأول من سفر أخبار الأيام الثانى .. وكأن المترجم أراد أن يزيد من صفحات الأسفار لتظهر كثيرة وطويلة لتملأ أعيـــن قارئيها من متبعيها وكأن أعين أولئك المتبعين لا تملؤها الا كثرة الأسفار والصفحات فأراد أن يحشـــوها بأى كلام !!..

ولقد لاحظ هذا التكرار أيضا الباحث المسيحى فخرى عطية خادم الانجيل فى كتابه « الملك سليمان » من سلسلة كتب « تأمل معى فى الكتاب المقدس » طبعة ١٩٦٣ .. فتساءل قائلا : « ما الداعى لسجلات سفر الاخبـــار ما دامت موجودة فى سفر الملوك ؟؟ ويجيب فخرى عطية عن سؤاله الذى طرحه على نفسه بأنه كانت للـــروح القدس أهداف ومقاصد !.. ويضيف : « وعلى هـــذا الأساس نجد فى داود وسليمان من زاوية سـفر الأخبار ظلالا للمسيح بينما يحدثنا عنهما ســـفر الملوك كمجرد رجلين فى ضعفهما وفشلهما » .. ولن نريد الآن الدخول فى مناقشة كلمات ظلال المسيح والضعف والفشل التى أوردها فخرى عطية فى كتابه وان كنا سنتناولهما فيمـا بعد ـ ونكتفى الآن بأن فخرى عطية يقصـــد أن سفر الأخبار فى تحدثه عن سليمان مملوء بالرموز التى تتنبأ عن مجيء المسيح بينما سفر الملوك يتحـــدث عن داود وسليمان من ناحية أسلوب حياتهما ويذهب الى أن هذا هو تعليل تكرار الأسفار .. وبالطبع هذا قول هزلى .. والسؤال ما زال يفتقر الى الاجابة المنطقية .. فان بعض اصحاحات سفر الأخبار تكاد تنطبق مع البعض الآخر من اصحاحات سفر الملوك تمام الانطباق .. فالكلام الموجود هنا .. هو نفس الكلام الموجود هنـــاك .. واذا عنت تخريجات من هنا .. فانها نفس التخريجات التى يمكن استخراجها من هناك .. وعلى هذا فاذا كانت هنـــاك رموز مقول بوجودها فى سفر الأخبار فانه يمكن استخراج هذه الرموز من سفر الملوك أيضا لأن الكلمات نسخة طبق

الأصل من بعضها البعض .. أى أنه يمكن الاكتفاء بسفر واحد أو باصحاحات بعينهـا عن السفر والاصحاحات الأخرى ولا داعى لذلك التكرار .. وسنبين أمام القراء الاصحاحات المتفقـة والتى تتعلق بما نحن بصدده فحسب .. ونترك الحكم للقراء :

اصحاح ٣ من ملوك أول يتفق مع اصحاح ١ من أخبار أيام ثان

اصحاح ٥ من ملوك أول يتفق مع اصحاح ٢ من أخبار أيام ثان

اصحاح ٨ من ملوك أول يتفق مع اصحاح ٦ من أخبار أيام ثان

اصحاح ١٠ من ملوك أول يتفق مع اصحاح ٩ من أخبار أيام ثان

وهناك اصحاحات أخرى كثيرة متفقة ولكنها لا تتعلق بموضوعنا !!..

أما القرآن فانه لم يذكر أن سليمان رأى ربه فى منام أو فى غيره .. ولم يتعرض لهذا الموضوع على اعتبار أن الله يوحى بكلامه الى من يشاء من عباده دون أن يراه أحد .. وأن هذا الوحى أمر غير مشكوك فيه بالنسبة الى سائر الأنبياء والمرسلين .. يقول القـرآن : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده .. وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسـحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان .. وآتينا داود زبورا » (النساء ١٦٣) .. هذا عن القسم الأول ..

وعندما نتناول القسم الثانى بالبحث وهو الخـاص بأبعاد ملك سليمان .. فاننا نستشعر عطاء الله الوهاب .. الذى لا يمكن أن يقف فى طريقه انس ولا جان !. ولا نستطيع تشبيهه بالغيث .. أو بالنهر .. فكل هـذه تشبيهات تصورها لنا أفكارنا القاصرة عن الاحاطة بفضل الله الغنى .. فالذى يعلم حدود هذا العطاء صـاحب العطاء نفسه .. أما تصويرنا هذا فقد خلقته أذهاننا الضيقة كأقصى بعد يمكنها الذهاب اليه !. فلا مكيال ولا ميزان نستطيع أن نكيل أو نزن ذلك الفضل السابغ .. ويكفى أن نقرأ قول الله نفسه لسليمان فى هـذا الصدد : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » (ص ٣٩) لنعلم فى حدود تفكيرنا الى أى مدى أعطى الله فضله لسليمان .. وجعله الآمر الناهى فى جنود يتلقون أوامرهم من الله !! ثم أصبح يأمر فيهم سليمان وينهى !.

هذا الملك الذى وهبه الكبير المتعال لسليمان عليـه السلام لا نستطيع استنقاذ أى بعد له فى أسفار العهد القديم .. وكأن الله تعالى لم يعط سليمان الا قشورا وأجزاء ضحلة .. بل ان كثيرا من الملوك الحـاليين من يفوق سليمان فى ذلك الملك .. بل قد يتمتع بأبهة وعظمة أكثر منه !! مع أن الله حادثه فى « الحلم » الذى ذكـرته الأسفار قائلا : « لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعـدك نظيرك » كما مر بنا .. نحن لا نستطيع استنقاذ تلك الأبعاد اللهم الا من خلل المآدب والأطعمة وعدد الخراف والثيران والأوز التى حشاها المترجم حشوا !. فنقـرأ فى سفر الملوك الأول : « وكان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر الى أرض فلسطين والى تخوم مصر كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل أيام حياته وكان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كرسميذ .. وستين كر دقيق .. وعشرة ثيران مسمنة .. وعشرين ثورا من المراعى .. ومائة خروف ماعدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمن » (ص ٤ : ٢١ – ٢٣) ..

هذه اذن هى أبعاد ملك سليمان كما صورها سـفر الملوك الأول !! ولم ينس السفر أن يورد شيئا عن حكمة سليمان بأنها كالرمل وان سليمان أنشد ألفا وخمسة أناشيد – لم يبق منهم سوى نشيد الانشاد كما جاء فى كتاب فخرى عطية .. وكأن المترجم يريد أن يظهر أمام متبعى العهد القديم بأنه فاق الدقة نفسها عندما حسب نشائد سليمان فوجدهم ألفا وخمسة بالضبط .. يقول السفر : « وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيرا جـدا ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطىء البحر !. وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق وكل حكمة مصر .. وكان أحكم من جميع الناس .. وكان صـيته فى جميع الأمم حواليه وتكلم بثلاثة آلاف مثل .. وكانت نشائده ألفا وخمسة (ص ٤ : ٢٩ – ٣٢) ولاحظ أيها القارىء أن حرف « الكاف » هنا تكرر ١٢ مرة !!.. ولم ينس المترجم أن يضيف شيئا الى حكمة سليمان فقد قال عنه بأنه : « تكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان الى الزوفا النابت فى الحائط وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك » (ص ٤ : ٣٣) ..

أما بيت الرب !. أو المسـجد الأقصى الذى بناه سليمان .. فكان بودنا أن ننقل وصفه الى السادة القراء كما جاءت به الاصحاحات الخمسة التى تنتظم تسع صفحات عدد سطور كل منها ٢١ سطرا بالخط الرفيع .. ليحس معنى مدى الشغب الذى عاث فيه مترجم الأسفار .. ونحن فى هذا المقام لا بد لنا من استعراض مقتطفات سريعة منها وهى لا تنصرف الى الاتيـان بموجز لوصف المسجد بالطبع وانما لاستشعار طريقة الوصف الساذجة التى لا تخضع على الاطلاق لأى فن وصفى .. أو وصف فنى .. الى جانب تنافر الألفاظ والجمل والحـروف فيها .. مع المجىء بأرقام وأعداد تحتاج الى خريج من خريجى كلية التجارة لعمل « ميزانية » متأنقة للمسجد الأقصى غير تلك الواردة فى الأسفار !! يقول سفر الملوك الأول : « وسخر الملك سليمان من جميع اسرائيل وكانت السخر ثلاثين ألف رجل فأرسلهم الى لبنان عشرة آلاف فى الشهر بالنوبة .. وكان لسليمان سبعون ألفا يحملون أحمالا وثمانون ألفا يقطعون فى الجبل ما عدا رؤسـاء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاثمائة » (ص ٥ : ١٣ – ١٦) .. أما المراحض والموائد فلم ينس المترجم أن يذكرها جنبا الى جنب : « وعمل عشر مراحض وجعل خمسا عن اليمين وخمسا عن اليسار للاغتسال فيها وعمل منائر من ذهب .. وعمل عشر موائد ووضعها فى الهيكل » (أيام ثان ص ٤ : ٦ – ٢٢) .. أما الرواق « والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعا حسب عرض البيت وعرضه عشرة أذرع قدام البيت .. وكان باب الغرفة الوسطى فى جانب البيت الايمن وكانوا يصعدون بدرج منعطف الى الوسطى ومن الوسطى الى الثالثة » (ملوك أول ٦ : ٣ – ٨) ..

أما بيت سليمان نفسه فينتظم فيه بكر كثير : « والبكر الأربع تحت الاتراس وخطاطيف البكر فى القاعدة وارتفاع البكرة الواحدة ذراع ونصف ذراع .. وعمل البكر كعمل بكرة مركبة خطاطيفها وأطرها وأصابعها وقبوبها كلهـا مسبوكة ! » (ملوك أول ص ٧ : ٣٢ – ٣٣) .. لاحظ أن حرف الكاف فى هذه الفقرة القصـيرة قد تكرر ٩ مرات .. وحرف الراء ١٢ مرة والعين ٨ مرات والطاء ٥ مرات !! والبقية تأتى !..

هذه اذن هى أبعاد ملك سليمان كما صورتها أسفار العهد القديم !! أبعاد ضئيلة ممسوخة وأوجه تساقط لحمهـا عنها .. فأمست حواسها مختلطة بعضها مع بعض .. فما يعرف مكان الأذن فيها من مكان العين والفـم ..

وصور لا يصح أن يركن اليها فى التعرف على سليمان على الاطلاق .. بل لا يحق أن تستمر هكذا منشورة فى كتب العهد القديم .. فأولى لمتبعيها أولى أن يحذفوها نهائيا من كتبهم فانها تنتقص من حقوق سليمان كنبى عملاق !! ونحسب أن لو كان سليمان حيا .. وحمل الجن أو الطير أو الانس الى أذنى سليمان شيئا مما كتبه عنه مترجم الأسفار وكيف أنه أغمض سليمان حقه كنبى وملك آتاه الله من كل شيء .. ولم يحدث بأنعم الله وكرمه على سليمان .. لسلط عليه نسرا من جنوده ينقره بمنقاره ويضربه بجناحيه حتى يشوه وجهه كما شوه قصة سليمان الرائعة جزاء وفاقا على ما قدمته يداه !.

ولكن .. أين سليمان اليوم ؟؟.. لقد مات بالطبع !. أما الذى أعطى سليمان ذلك الملك .. وأسبغ عليه نعمة لم يعطها لمخلوق من قبله ولا من بعده .. فهو حى لا يموت .. فكان أن تحدث الله عن سليمان حديثا صادقا .. وأعاد لسليمان حقه المهضوم .. لم يرتض لشرذمة من محرفى الكلم عن مواضعه أن يدفنوا ملك سليمان مع جثة سليمان .. وأن يترك أنبياءه عرضة للغلط .. فكان أن تحدث القرآن عن نبى الله العملاق .. فكان فضل الله على سليمان قد تكامل مرتين : الاولى : أثناء حياة سليمان بملكه العريض .. والثانية بعد موته وتأريخ سيرته فى أطهر كتاب أنزل للبشر وهو القرآن !! وفى خشوع وعزة .. نتناول اذن ذلك الكتاب الذى أحكمت آياته كى نرى أبعاد ملك سليمان من الجوانب الأربعة الآتية :

١ ـ الجن ..

٢ ـ الانس ..

٣ ـ الطير ..

٤ ـ الريح ..

وأول ما يطالعنا ونحن بسبيل هذا الملك العظيم هم الجن !! فلقد سخر الله تعالى لسليمان جنودا من الجن وهم طائفة عاتية ماردة بعيدة عن الحشر والتسخير ـ كما ورد فى الألوسى ـ يأتمرون بأمره .. فالجن يقفون فى حضرة سليمان صفوفا خاشعين .. آذانهم مرهفة الى أية همسة من أمر يتفوه به سليمان فيعملون له مايشاء !. فهو القابض على ناصيتهم باذن الله .. يسوسهم ويخضعهم ويردعهم .. واننا لنتصور صاحب المنصب فى كل عصر .. فنجد بعضهم يسوس الشعوب ويظهرون عليها بشخصياتهم القوية وبما أوتوا من ملكات القيادة .. ومع ذلك يروى التاريخ أن شرذمة من تلك الشعوب كانت تخرج بين الفينة والفينة على حكامها تريد الانقضاض عليهم وما ذلك الا لأن هؤلاء الحكام لم يحيطوا بالشعوب احاطة تامة وذلك لقصورهم .. أما سليمان عليه السلام فانه لم يسيطر على الانس فقط .. ولا على بعض الجن دون البعض الآخر فحسب وانما يستطيع السيطرة على أى صنف من الجن ويخضعه لارادته دون أن يبدوا منهم امتعاضا أو خروجا أو تمردا .. فلقد شاءت ارادة الله القدير أن يتملك سليمان ناصية أولئك الجن ويتصرف فيهم وفق ما يشاء .. يقول القرآن : « وحشر لسليمان جنوده من الجن ! » (النمل ١٧) .. ومن هؤلاء الجن من كان يعمل لسليمان ما يشاء وهم ظاهرون أمام عينيه بأشكالهم وأحجامهم العملاقة التى لا شك فى أنها مخيفة ومفزعة .. وليس بينه وبينهم الا مسافة قصيرة جدا !! ومع هذه المناظر الرهيبة التى عليها الجن الا أن سليمان كان آمرا لها ناهيا لا يستطيع أحدهم الخروج على طاعته .. يقول القرآن : « ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه » (سبأ ١٢) ..

وقد يتساءل البعض عن مدى ايمان هؤلاء الجن بالله ؟. وهل يمكن أن يكون هناك مؤمنون منهم بالله ؟ وأى الأصناف كان يتملك ناصيته سليمان ؟؟.. ونحن نعتقد أن الجن المسخرين لسليمان على صنفين :

١ ـ صنف مؤمن بالله ..

٢ ـ صنف آخر غير مؤمن بالله ..

والصنف الأول آمنوا بسليمان وبرسالته .. وأيقنوا أن الله واحد لا شريك له .. نظرا لتعاليم النبى سليمان لهم بالوحدانية .. وبالطبع فسليمان كان هو النبى الأوحد الذى أرسله الله ليدعوة التوحيد الى الجن والانس والطير .. وكان هؤلاء يقومون بالصلوات والأدعية والتراتيل الخاصة التى دربهم عليها سليمان .. تماما كما يتلو الانس أدعيته ويقيم شعائر دينه .. المؤمنون أولئك بالطبع لم تكن هناك حاجة لتقييدهم والخوف من بطشهم .. أو الانقضاض على اخوانهم من الجن الآخر وكانوا مأمونى الجانب لا يخشى تمردهم وعصيانهم تماما مثل الصنف الآخر على يدى محمد صلى الله عليه وسلم : « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » (الجن ١ ـ ٢) ..

أما الصنف الثانى وهو غير المؤمن فقد رفع راية العصيان فى وجه سليمان وتنكبوا طريق الايمان به وبرسالته فكان جزاؤهم أن قيدوا يدا مع رجل فى سلاسل ضخمة اذلالا لهم وكبحا لشرورهم يقول القرآن : « والشياطين كل بناء وغواص !! وآخرين مقرنين فى الأصفاد » (ص ٣٦ ـ ٣٨) ـ ومع ذلك فقد استعمل سليمان هذا الصنف المقيد من الشياطين فى شتى الأعمال وهم بين يديه لا يجرءون على ثورة أو تزمر .. فهم يعلمون أن عذابا شديدا ينتظرهم اذا هم أبدوا امتعاضا ولو يسيرا يقول القرآن : « ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه !. ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » (سبأ ١٢ ـ ١٣) .

ولقد ذهب الملك سليمان عليه السلام الى تقسيم العمل بين هؤلاء الجن وجعل كلا منهم يختص بناحية معينة يدور فى فلكها ولا يتعداه .. فكان ظاهرة تقسيم العمل كما نراها الآن كمثل على حضارة القرن العشرين وقد اتضحت وضوحا ضخما .. كانت لها جذور عميقة فى تلك العصور السحيقة التى عاش فيها سليمان .. كشف القرآن النقاب عنها فى قصة سليمان وأثبت أن الحضارة البشرية ومقوماتها كانت على أوسع نطاق على يدى سليمان .. فلقد قسم سليمان الجن الى خمسة أقسام :

١ ـ البنائين

٢ ـ الغواصين .

٣ ـ النحاتين .

٤ ـ الرسامين

٥ ـ الوزراء ..

أما البناءون فقد استعملهم سليمان فى تأسيس وتشييد المسجد الأقصى وهو الجزء من الأرض التى بارك الله فيها .. وكان سليمان يشرف على هؤلاء الجن وهم يضعون الأحجار الضخمة فى أماكنها من البناء ـ تلك الأحجار التى جاء بها الحمالون من الجن أيضا ـ فى كل دقة وهندسة .. وسليمان على بساط من الديباج والذهب حملته الريح بأمره ـ يطوف عليهم ويراقبهم لئلا يتكاسل أحدهم عن العمل العظيم .. ولقد جاء فى مجلة

« منبر الاسلام » عن حياة المقر الشهابى بن فضل الله العمرى للاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى : « وقال كعب: أوحى الله تعالى الى سليمان أن ابن بيت المقدس فجمع حكماء الانس وعفاريت الجن وعظماء الشياطين .. ثم فرق الشياطين فجعل منهم فريقا يبنون وفريقا يقطعون الصخور وفريقا يقطعون العمد من معادن الرخام وفريقا يغوصون فى البحر فيخرجون منه الدر والمرجان.. عمل بيت المقدس عملا لا يوصف وزينه بالذهب والفضة وألوان الجوهر فى سمائه وأرضه وأبوابه وجدره » .. يقول القرآن : « والشياطين كل بناء !! » (ص ٣٧) ..

أما الغواصون فان أبهة الملك التى أراد سليمان أن يظهر عليها كانت تستتبع تزيين عرشه بالجواهر النفيسة واللآلىء حتى تبز أى عرش آخر فى عصره .. وبالطبع كان الحال فى قصوره ذات الأعمدة من الرخام والردهات الفسيحة وما تحتاج اليه من الزخرفة ومن الزينة ومن القناديل المرصعة بالجواهر .. أما نساء سليمان وجواريه وسراريه اللائى يمكن عدهن بالمئات فكانت كل منهن تتجمل وتتزين بالياقوت والمرجان والعقيق .. وكل هذه اللآلىء ليس لها وجود بالطبع الا فى قاع البحار والمحيطات .. فكان لابد من أن يسخر سليمان هؤلاء الجن فى أن يغوصوا له فى تلك الأعماق المظلمة ليستخرجوا له الكنوز التى يعجز الانسان عن وصف روعتها وألوانها.. وبالطبع كان هناك الصائغون الذين يشذبون تلك اللآلىء ويهذبونها حتى تصبح صالحة للاستعمال .. وهؤلاء لم يكن لهم عمل غير صياغة تلك المجوهرات النفيسة .. وكان الله حافظا للجن أن يخرجوا على أوامر سليمان .. يقول القرآن : « ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين » (الانبياء ٨٢) .. ويقول : « والشياطين كل بناء وغواص ! » (ص ٣٧) ..

أما النحاتون فكانوا خمسة أقسام .

الأول : نحاتو الاعمدة : وهم الذين ينحتون لسليمان رءوس الأعمدة فى الاشكال التى يشير بها عليهم أو الحكماء والفنيون من الانس فيجعلون رءوسها على هيئات مختلفة كالزهور والطير أو الأسد وغيره ..

الثانى . نحاتو المحاريب : والمحاريب جمع محراب وهى الاماكن التى تقام فيها الصلوات .. فكان الجن يستعملون قوتهم وطاقاتهم فى تشكيل هذه المحاريب تشكيلا هندسيا زخرفيا يليق ببيت الله ..

الثالث . نحاتو التماثيل . وكان هذا القسم يشكل الاحجار والرخام والاخشاب والنحاس الى صور ورسوم مختلفة .. وجعلها تماثيل للاسود أو الطيور .. وهى اما أن تزين عرش سليمان أو ردهات بيت المقدس .. أو لاضفاء المنظر الجميل فى داخل قصوره هو ومبانيه أو على زوايا تلك القصور الخارجية يقول القرآن « وأسلنا له عين القطر » (سبأ ١٢) ..

الرابع : نحاتو الجفان . أما هذا القسم فعليه نحت الاوانى العظيمة الاتساع للطبخ لتكفى كمية ضخمة من الطعام وقد شبهها القرآن بالجواب جمع جابية وهى الحوض الذى يجبى فيه الماء .. وبالطبع هذا الاتساع ودلالته على كمية الطعام الهائلة التى تعد فيه يخبر عن مدى كرم سليمان عليه السلام وما كانت عليه موائده الفخمة .. كما يخبر عن عدد ضخم من المدعوين الى هذه الموائد اعلانا بأنعم الله عليه وفضله ..

الخامس . نحاتو القدور . وثمة صنف خامس من الجن يختصون ــ تحت امرة سليمان ــ بنحت القدور الضخمة ونحسب أنها صنعت من النحاس وتوقد تحتها النيران العظيمة لطهو الطعام .. وقد وصفها القرآن بالقدور الراسيات أى التى لا يمكن نقلها من مكان الى آخر الا بعد بذل جهد جهيد .. ونحسب أنها قريبة الشبه بالجبال أو بالتلال المرتفعة .. وقدور هذا وصفها يستتبع عظم كمية ما يطهى فيها من طعام وكثرة الانفس التى تقتات منها .. وفى كل هذا يقول القرآن العظيم : « ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ! يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات » (سبأ ١٢ ، ١٣) ..

أما القسم الرابع الخاص بالرسامين من الجن فكانوا يشتغلون بالرسم والزخرفة والتلوين والنقش .. فالمحاريب تحتاج الى طلاء يجعلها تسر الناظرين مثل الطلاء بالزيت أو بمركبات تضفى عليها لونا بهيجا جذابا .. وكذلك التماثيل .. أما الجفان والقدور فاما أنها من معدن « الالمونيوم » أو من النحاس .. وكلاهما يتغير لونه ويشحب بطول الاستعمال ويحتاج الى طلاء بالقصدير مثلا فى نقوش جميلة .. أو التنظيف ببعض المساحيق التى تذهب عن المعدن الشحوب والاصفرار وتعيد اليه رونقه وبهاءه !!

ومن ناحية اتخاذ سليمان وزراء له من الجن .. فقد اتخذ منهم وزراء يتبعونه حيث سار ويأتمرون بأمره .. فعندما أراد سليمان أن يحمل اليه عرش ملكة سبأ تساءل فيمن حوله من الملأ عمن يستطيع المجىء بعرشها اليه وهو فى مجلسه على وجه السرعة .. فرد عليه وزير من وزرائه بانه يستطيع القيام بهذه المهمة فى سرعة خارقة .. يقول القرآن : « قال يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ؟؟ قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » (النمل ٣٨-٣٩) .

ونأتى الى الجانب الثانى وهو الانس .. فلم يحشر لسليمان جنوده من الجن فحسب .. وانما من الانس أيضا .. من بنى آدم ذكوره واناثه .. هذا الجانب الانسى فقط هو الذى ذكرته اصحاحات العهد القديم وتوسعت فيه وكأن سليمان لم يحشر له سوى هذه المجموعة من الانس .. ولقد أفاضت الاصحاحات فى الاتيان باعداد ضخمة كانت تخدم تحت امرة سليمان وتحت امرة وكلاء سليمان يقول سفر أخبار الايام الثانى : « وعد سليمان جميع الرجال الاجنبيين الذين فى أرض اسرائيل بعد العد الذى عدهم اياه داود أبوه فوجدوا مائة وثلاثة وخمسين الفا وست مئة !!.. فجعل سبعين ألف حمال وثمانين ألف قطاع على الجبل وثلاثة آلاف وست مائة وكلاء لتشغيل الشعب » (ص ٢ : ١٧-١٨)

أما القرآن فلا يجبرنا على وضع « جدول ضرب » الى جانب آياته لتساعدنا على فهم الارقام والاعداد .. أو يلزمنا باستعمال « جداول اللوغاريتمات » لفهمها .. وانما هنالك اعتدال وايجاز .. فمتى عرفنا ملك سليمان الواسع وفرق الجن التى تعمل بين يديه أمكننا ــ فى منتهى البساطة ــ تصور الاعداد الضخمة من الانس التى كانت لها هى الاخرى أعمالا تتفق وطبيعتها الانسية .. وهذا هو المطلوب فى مثل هذه الحالة .. أما أنه يعد الحمالين والمسخرين والوكلاء كمن رآهم ويأتى بأرقام لا يستسيغها الا القليلون الذين يساورهم الشك فى صحتها !! فهذا اجراء لا تتخذه آيات الكتاب المحكمات.. فلقد اكتفى القرآن عن الانس بكلمة واحدة لها ميزان دقيق بين أقرانها من الكلمات يقول القرآن : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون »

« النمل ١٧ » .. وهذه لقتـــة قوية بارعة من القرآن العظيم !!..

أما الجانب الثالث الخاص بالطير .. فلم نقرأ في العهد القديم كما قلنا شيئا عن تسخير سليمان للطير .. وبالتبعية نفتقد معرفة سليمان للغاتها ولا نستشعر غرابة في ملك سليمان .. ولا اعجازا .. ولا يمكن باية حال من الاحوال أن يتطرق الى ذهن القارىء للاســـفار أن ثمة معجزات قد حدثت على يدى سليمان .. أو ان وضـــعا خارجا عن المألوف في حياة الملوك يظهر في حياة سليمان .. فلا لمحات عن سيطرته على الطيــور .. ولا نبـــوة لسليمان على الطيور .. ولا ايمان للطيور بالله الواحد .. ذلك الايمان الجوهرى في قصة سليمان جميعا ـ عبث به مترجم الاسفار والاصحاحات فلا نجد له ذكرا !!..

أما القرآن .. فانه لا يضع النقـــاط على الحروف فحسب .. وانما ينشىء حروفا ونقاطا أخرى جـــديدة تنتظم أسلوبا أدبيا راقيا .. وتتأكد في ثنايا الكلمات من خلال الايجاز في أعلى مراتبه الفنية !. وروعته التعبيرية!! فلقد أعطى القرآن سليمان حقه من معرفة لغة الطيـــور ومخاطبتها ودعوتها الى الايمان تأكيدا لنبوته على طريقة القرآن الجبارة عندما أعلن سليمان بنفسه أمام الشعب في احدى خطبه قائلا في اعتزاز : « يأيها الناس .. علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء » « النمل ١٦ » .. وأردف سليمان في تواضع لله واعتراف بفضله قائلا: «ان هذا لهو الفضل المبين ! » .. ولقد جاء في الالوسى أن سليمان « علم ما تقصده الطير في أصواتها في ســـائر أحوالها فيفهم تسبيحها ووعظها وما تخاطبه به ومايخاطب به بعضها بعضا » .. ولنا في قصة سليمان مع الهدهد أصدق دليل على ذلك .. فما أن رجع الهـــدهد من غيبته حتى قال لسليمان . « أحطت بما لم تحط به ! وجئتك من سبأ بنبأ يقين ! » ورد عليـــه سليمان بلا مترجم بالطبع : « سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين» « النمل ٢٧ » .. وهي التى سنتناولها بالبحث في المراحل القادمة ان شاء الله ..

ونأتى الى الجانب الرابع الاخير وهو الريح !

ونحن اذا أمعنا النظر في عملية تسخير الريح لسليمان .. لبدا لنا أنها لازمة له ملازمة الروح للجســـد .. بافتقادها يصبح الجسد جثة لا أهمية لها ـ ولقد قدر الله الخبير أهمية الريح لسليمان .. وكيف أنها تعتبر همزة الوصل بين جميع أفضال الله عليه .. بل تعد من مستلزمات سليمان حالة كونه ملكا يتصرف في الخلائق من الجن والانس والطير ويفهم لغاتها جميعا ويستطيع مخاطبتها على أطرقها الخاصة .. فكان أن تحدث القرآن عنها مرارا تأكيدا لسموها ولزومها لبنـــاء ملك سليمان الجبار .. ولو لم يذكر القرآن تسخير الريح لسليمان مع جملة تسخير الله لتلك الخلائق لكانت هنـــاك عدة أسئلة ونقاش حول ذلك العامل الذى يربط كل أولئك جميعا .. ويعين سليمان على متابعته لتملك ناصية من هم تحت امرته .. ونحن لا نغالى اذا ذهبنا الى أن الريح تعتبر سوطا عنيفا ذا أطراف متعددة يستطيع سليمان ان يلهب به ظهر من تحدثه نفسه بالثورة أو بالخروج على طاعته .. ويمكننا ذكر بعض خدمات الريح لسليمان من النواحى الآتية :

١ ـ البناء .. ٢ ـ الزراعة .. ٣ ـ السفر ..
٤ ـ المطاردة .. ٥ ـ السمع ..

أما من ناحية البناء فقد استعمل سليمان الريح في المساعدة في نقل الاحجار من الجبال المجاورة لبيت المقدس لتكون في متناول أيدى الجن من البنائين بدلا من تولى الجن من الحمالين حملها بمفردهم الى حيث يقوم البناء .. ويمكن تسخير الريح أيضا في تفتيت الاحجـــار « كالديناميت » توطئة لعملها كالملاط وغيره .. وهذا بالطبع يستتبع أن تكون الريح عاصفة قادرة على اجراء عملية النقل والتفتيت في وقت قصير .. يقول القرآن : « ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها » .. يقول النسفى : « أى شديد الهبوب »

والزراعة وأنواعها تحتاج بالطبع اما الى ريح شـــديدة تساعدها على النماء والامتلاء .. أو الى ريح رخاء طيبة مع الحـــرارة فتكسبها ثمارا ناضـــجة يقول القرآن : « فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب » « ص ٣٦ » .. يقول البيضاوى : « أى لينة من الرخاوة لا تزعزع أو لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد » ..

ونأتى الى السفر .. وأهمية الريح لسليمان تظهـــر جلية في تنقلاته في أنحاء مملكته المترامية الاطراف وكأنها طائرة نفاثة خاصة .. أو طائرة هليوكبتر « للاشراف على الانفس والخلائق التى يتملك ناصيتها .. وخاصة لمتابعة بناء المسجد الاقصى ومفاجأة العاملين عليه حتى لايتكاسل الجن عن العمل العظيم .. ولمعرفة ما يدور فيها في حينه .. فهو يستطيع أن يأمر الريح فتسير به في رحلة طويلة يقطعها السائر العادى في شهر كامل ونحسب أنه ثلاثون يوما كما يأمرها بالعودة الى المكان الذى بدأ منه رحلته دون أن تخرج الريح على أمره يوما واحدا .. أو حتى ساعة واحدة .. فلا يشكو من نقص في الوقود ـ كقلة البنزين للطائرات ـ أو عطب يصيب اطاراتها .. وهو يدل على مدى تسخير الريح لسليمان وكيف أنها رهن اشارته في كل وقت ولمدة طويلة قوامها شهران متتابعان أو غير متتابعين على وفق أمره .. يقول القـــرآن : ولسليمان الريح غـــدوها شـــهر ورواحها شهر ! » « سبأ ١٢ » ..

أما المطاردة فقد قامت الريح مع سليمان بنصـــيب وافر في جمع عمالقة الجن من العفاريت ومن الشياطين للمساهمة في بناء المسجد الاقصى والذى يقوى على أن تسوقهم السياط الى حيث العمل القائم على قـــدم وساق هو الريح العاصف الذى يلهب ظهورهم .. يقول القرآن : « ولسليمان الريح عاصـــفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها » فتسوق أمامها الجن لمواصلة العمل في الارض المباركة وهى بيت المقدس ..

ونأتى الى السمع : وللريح أهمية كبرى أيضا في حمل الاصوات من أفواه الجن والعفـــاريت والشياطين .. وكذاك الانس والطير الى أذنى سليمان .. فمنها ما علا صوته فلا تحتاج أذنا سليمان الى مجهود يذكر .. ومنها ما خفت صوته وبعد كصوت الطيور .. فالريح تحمـــل له أصواتها الى حيث يوجد .. بل ان الريح تحمل له صوت النمل الدقيق الذى لا يكاد يحس بسيره الشخص العادى الا اذا وقع بصره عليه تحمله من مكان قريب أو بعيد صوتا واضـــــحا لا لبس فيه .. بل وأدق من « التليفون » !! والدليل على ذلك ما جرى بين سليمان وبين ملكة النمل التى ساقها الله كحجة قاطعة .. وكمثل يسير على صدق ما تقدم .. وهو جوهر بحثنا في احدى روائع القصص القـــرآنى التى سنعرضها في عدد قادم ان شاء الله ◼

من أعلام المعاصرين

الدكتور حسين الهراوى

الأستاذ أنور الجندى

هذا باحث عالم له آثار متنوعة ونتاج ادبى وفكرى متصل منذ ١٩١٨ تقريبا الى عام ١٩٣٤ وليس له فى سير الباحثين شأن مذكور ، ولا يعرف عنه الا القليل مع ان الدور الذى قام به كان جليل الشأن فقد دافع عن الاسلام دفاعا مستنيرا فى مجالات عدة وقاوم حملات بعض المستشرقين ورد مغالطاتهم واخطائهم .

وكشف عن دورهم ، واذا كانت مفاتيح فكر الكاتب تتجلى فى مطالع آثاره فان هذا الطبيب الشاب الذى كان يتلمس طريقه قبيل انتهاء الحرب العالمية الاولى وفى ظل ثورة ١٩١٩ قد بدأ يكتب عن اثر العرب والمسلمين فى حضارة أوربا يوم كان هذا الامر منكور التقدير يجد أشد الاغضاء والاغفال ، ثم لم يلبث ان اشترك فى أول معركة للغة العربية فى الجامعة وهى معركة كلية الطب أو مدرسة الطب المصرية فى الدعوة الى تدريس علوم الطب باللغة العربية وذلك فى ظل المحاولات التحررية التى اتصلت بثورة ١٩١٩ فى مقاومة الاستعمار البريطانى والاحتلال والنفوذ الاجنبى فى مجال التعلم والحث على اعطاء اللغة العربية الصدارة فى مجال الدراسات العليا . هذه المطالع تلقى ولا شك الضوء على اتجاه هذا الطبيب المولع بصناعة القلم .

ويمضى الدكتور الهراوى فيكتب فى مجالى الطب والاسلام ويناصر كل مايتصل بأمجاد العرب والمسلمين ويكشف عن فضلهم فى مجالات الطب ، وأثرهم فى الحضارة الغربية حتى نراه عام ١٩٣٣ ومابعدها يشمر عن ساعده وقلمه ان صح هذا التعبير ليواجه الحملة التغريبية الضخمة التى اجتاحت الشرق الاسلامى وهى حملة التبشير ، وقد كان لها فى مصر خطر وزلزال . واذا هو يشن حملة ضخمة ويتصدر الكتابة فى افتتاحية الاهرام محاربا اشراك المستشرق (فنسنك) الهولندى فى عضوية المجمع اللغوى الوليد اذ ذاك كاشفا عن مواقفه من الفكر العربى الاسلامى ، ولقد كان لهذه الحملة أثرها السريع الذى ألغى دعوة فنسنك وحال بينه وبين المجمع ثم اذا هو فى ذلك الوقت يدخل فى معارك مع الكثيرين فى مجلتى الهلال والمعرفة عن دور المستشرقين فى الفكر العربى الاسلامى. وعندما بدأ الدكتور هيكل ينشر فصوله الاولى من كتابه (حياة محمد) فى السياسة الاسبوعية مقتبسا اياها ومترجما من كتاب اميل درمنجم حاوره وداوره فى نظريات المستشرقين وشبهاتهم .

كما عارض الدكتور زكى مبارك فى التسليم بفضل المستشرقين تسليما كاملا .

وكان من رأيه ان أمثال فنسنك من متعصبة المستشرقين انما يفرضون فرضا معينا ثم يبحثون فى الآيات القرآنية عما يناسب هذا الرأى (فاذا وجدوا آية تدحض رأيهم حذفوها حذفا وانكروها انكارا . حتى يخرجون بالنتيجة التى تزرع الشك فى فؤاد من يطلع على اقوالهم من غير تمحيص) . ويقول : (ان هذه الطريقة لم يبتدعها (فنسنك) ، انما هى طريقة قديمة من أقدم ما ورد فى كتب المستشرقين ، والغرض منها جلى ظاهر ، هو تزويد جماعة المبشرين والمستعمرين . بحجج شبه منطقية يزعزعون بها عقائد المسلمين ويقللون من تمسكهم بدينهم ، وقال : ان هذه هى احدى الطرق التى وضعها رواد الاستعمار منذ زمن قديم ، وكانت احدى وسائلهم مع تقوية لغة العامية حتى لا يتفاهم المسلمون ولا يفهمون لغة قرآنهم) .

وأشار فى معرض هذه المعركة الضخمة الى انه استطاع أن يحصل على تقرير لجنة العمل المغربى فى أوروبا ، وفيه يقول المستشرق سيكارو : ان الاسلام فى روحه الخاص قوة مخالفة لاحتياجاتنا ورغباتنا ونزعاتنا فمن مصلحتنا التعليل منه بين الشعوب الخاضعة لسلطاننا) .

ولم يتوقف الدكتور حسين الهراوى عند هذا الحد بل لقد ذهب يستعرض آراء المستشرقين ويرد عليها فعند آراء برينو الذى يدرس اللغة العربية لفريق من طلبة أوروبا ويقول لهم : ان لغة القرآن هذه اللغة التى ماتت ولا يتكلم بها احد ، فهى (لاتينية) اللغة العربية ، ويرد على مرجليون الذى (يغالى فى الطعن على نسب النبى فيقول ان اسم أبيه عبد الله ومعناه انه مجهول الاب) ثم لايلبث أن يعلن انه لايقرأ كتابا من كتبهم الا وجد فيه جهلا بالاسلام واجماعا على الطعن فى النبى .

ويصل من هذا كله الى ان يقول : اننا يجب ان نقرأ للمستشرقين فى حرص ويقظة ولا نسلم بكل مايقولون ، فان للاستشراق غرض وهدف) .

وهكذا كانت أعمال التبشير فى مصر فى الثلاثينات فرصة ضخمة لظهور كفايات مثقفة تدافع عن الاسلام وتواجه المعركة على نحو علمى لا يكتفى بالمقالات القائمة على الصراخ ومطالبة الحكومة بايقافه . وفى مقدمة الذين كشفت المعركة عن قدرتهم فى هذا المجال الدكتور هيكل

والدكتور حسين الهراوى الذى اشار فى بعض كتاباته الى هذا المعنى حين قال : انه لما اشتدت وطأة المبشرين فى الاغواء ، عكفنا على دراسة شيء غير قليل من طرقهم ومؤلفاتهم ، وخرجنا بنتيجة رسخت فى عقيدتنا رسوخا قويا هى أن المستشرقين هم طلائع المبشرين .

ونحن نخالف الدكتور حسين الهراوى ، فنرى مايراه الدكتور عمر فروخ صاحب كتاب (التبشير والاستعمار) من أن الاستعمار يستغل المبشرين ، والمبشرون والاستعمار يستفيدون من كتابات المستشرقين الذين قد يكونوا متعصبين لمفاهيمهم الاساسية فى الفكر الغربى . أو يكونوا على قدر قليل من الكفاية لفهم النصوص العربية الاسلامية : (البلاغية والفقهية) ومن هنا تقع أخطائهم او آرائهم المضطربة ، هذا مع التحفظ بأن هناك قلة قليلة من المستشرقين يعملون فى دوائر الاستعمار وهناك فئة مخلصة للبحث العلمى ، وفيهم انصاف لا شك فيه وقد أوردنا لبعض هؤلاء آرائهم فى كتابنا (الاسلام فى غزوة جديدة للفكر الانسانى) .

***

وقد كان الدكتور حسين الهراوى فى مجال مناقشته للدكتور هيكل حول آرائه فى فصوله عن حياة محمد قد استحدث بحثا مضى فيه ثمة ولم يتمه ذلك الذى أطلق عليه (التحليل النفسى لحياة محمد) وقد نشر منه فصولا قليلة . قال فى مطالعها انه قد وجب أن نواجه حملة التبشير بلسان العلم الصرف لا بلسان المنطق:(لذلك أردت أن أنشر نوعا جديدا من البحث عن القرآن فى ضوء العلم الحديث فى الطب والفلك) وسنرى أن القرآن قد سبق العلم بنحو ألف وثلاثمائة سنة) وقال (أن هذه الابحاث لا تقنع المبشرين والمستشرقين ، لانهما حرفتان يجاهد أصحابهما فى سبيل بقائهما ؛ لذلك يجب علينا ان ننبه أذهان أبنائنا اليهم وأن نرد على ما يكتبون بعد أن نجردهم من تلك الثياب المنمقة ، ونهتك ستر الغرض الحقيقى الذى يكتبون من أجله . وعلينا أن نحترم أنفسنا ونداقع عن شرقيتنا ونحرر فكرنا حتى نفهم العالم كما هو لا لما يجب أن يكون)

وكان دافع الدكتور الهراوى من هذه الابحاث أساسا ايمان صادق بالفكر العربى الاسلامى ومحاولة حمايته من أن تستشرى حوله الشكوك والشبهات فينصرف عنه أهله ، كاشفا عن غناه وثرائه ودوره الايجابى الحى . وفى هذا ينعى علينا (خطأنا الفاضح فى أن نعتمد على الغرب حتى فيما يخصنا من التاريخ القومى وما يخص بلادنا من أدب واجتماع ، فنستمد مثلا تاريخ قدماء المصريين من الكتب الافرنجية بينما كتب المرحوم أحمد كمال باشا الخطية مازالت رهينة للكاتب والدواليب) .

وقد حمل لواء الدعوة الى مقاومة حملة التشكيك والتغريب واثارة الشبهات حول الفكر العربى الاسلامى : (هذه الموجة الهائلة التى اكتسح الغرب بها أفكار الشرقيين قد وجب أن تصادمها موجة أخرى من الشرق هذه الموجة الشرقية هى الانانية فى الادب والاجتماع والاعتزاز بالنفس وتحرير الفكر الشرقى من أثر التخدير الطويل الامد) .

***

ولم يقف أمر الدكتور حسين الهراوى وفكره عند هذا الحد ، بل انه عالج بالبحث العلمى ميدانا آخر . هو ميدان القصة الغربية المترجمة الى العربية ومدى أثر هذه القصة ، وهو أساسا ليس خصما للقصة فهو يراها (أقرب موارد الدراسات النفسية بأسهل أسلوب يحتمله العقل والجهد) ولكنه لا يرى فى الادب الغربى فى هذه الفترة ماكان يقدمه من قبل من روائع ، ويرى أنه تحول بعد الحرب العالمية الاولى نحو وجهة الاستهتار الجنسى (فليس للروائيون فى الغرب مصدر الهام غير هذا الموضوع ، القائم على استهتار المجتمع الحاضر بروابط الزوجية والاسرة) .

ويتعرض لتفصيل هذا فيقول (على أن العالم مملوء بما أهم تدوينا من انتهاك الحرمات ووصف المخازى ولكن المسائل الجنسية المبذلة الاحاديث جذابة المواضيع أكثر رواجا واستثمارا ، ولذلك نرى هؤلاء الاساطين يعنون بالمادة قبل أن يعنوا بنشر الصالح).

وخلص من ذلك الى ان القصة المصرية يجب ان تكون مخالفة للقصة الغربية كما تختلف بيئتنا وبيئتهم ، واشار الى انه لم يوجد الى اليوم كاتب غربى حديث استطاع ان يكتب قصة تساوى (عطيل) او (هملت) ذلك لان الكتاب الحديثون فى الغرب مهمتهم تسلية الجمهور بما يحبه ذلك الجمهور الجانح فيتولى الكتاب زعامتهم وارشادهم الى الطريق الذى ينالون منه حظا وافرا من النجاح فى الحياة) .

وبعد أن تناول الدكتور حسين الهراوى هذا الامر بالبحث العلمى القائم على الدراسة ، لا العاطفة ، خلص الى أن الرواية المصرية يجب أن تختلف فى منهجها وطريقتها وأهدافها عن القصة الغربية لانها نابعة من بيئة لها مقوماتها الخاصة واستمداداتها من تاريخها وعقائدها وتراثها) .

***

هذا هو الخط الذى سار فيه الباحث الطبيب ، الذى بدأ كتاباته عام ١٩١٧ فى مجلة السفور ثم شق طريقا رسمته له ثقافته ومهنته فطالما نشر فصولا من يومياته فى السياسة الاسبوعية كشف فيها عن جوانب من الاخطار الاجتماعية التى مرت بالمجتمع المصرى فى ظل ما أطلق عليه (الفتنة الغربية) الصادرة من القصة المترجمة وماكان لها من آثار وجرائم فى المجتمع جريا وراء ماتحمل من صور وأحداث .

وقد كان الدكتور الهراوى طبيبا لقسم مصر القديمة ، ولقسم عابدين ، وقد عاش حياته لمهنته صديقا للمرضى ، قادرا على اسداء الخير أينما يحل ، ثم هو بعد ذلك باحث له آثاره فى الاسلام والطب ، وله آثار مطبوعة ماتزال تحمل اسمه فى سجلات دار الكتب ، وذلك غير مقالاته المنوعة المتعددة فى الصحف ، ومع هذا كله فقد مضى الدكتور حسين الهراوى ، دون أن يذكره ذاكر ، وربما ذكر الناس شقيقه الاكبر (محمد الهراوى) صاحب القصص الشعرية من أدب الاطفال التى قرأها جيلنا فى مطالع حياته مثل (سمير الاطفال) ومازال بعضنا يحفظ هذه الكلمات له (أنا فى الصبح تلميذ وبعد الظهر تجار)ٍ .

***

ومازال الهراوى الشاعر موضع ذكر الناس ، أما الدكتور حسين الهراوى فقد اختفى فى تضاعيف تراث كبير ، وأسماء كثيرة من أعلامنا مازالت آثارها مدفونة فى بطون الصحف والمجلات لم يكشف عنها بعد ولاشك فى آثارها نفع كبير واضافات للثقافة العربية الاسلامية المتجددة فى ظل ايمان صادق فى هذا العصر بتقدير أعلامنا واحياء آثارهم وانا لنأمل أن يتاح لآثار هؤلاء الاعلام أن تجمع وتنشر .

فضل العمل في الاسلام

الأستاذ جمال الدين عياد

اختلفت نظرة الاسلام الى العمل اختلافا جوهريا عن نظرة الجاهلية فلقد كان أهل الجاهلية من البدو يعتمدون فى حياتهم على الرعى والصيد والنهب والسلب ، وحراسة القوافل التجارية ، وكانوا يعتزون ببعض هذه الاعمال ، ويزدرون سائر الحرف كالزراعة والصناعة والملاحة . ومن أجل هذا عقد ابن خلدون فصلا فى أن أهل البادية اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب ، وعدد لنظريته هذه أسبابا منها :

« ان العرب (ويعنى بهم البدو) يتلفون على أهل الاعمال من الصنائع والحرف أعمالهم لايرون لها قيمة ولا قسطا من الاجر والثمن . والأعمال – كما سنذكر – هى أصل المكاسب وحقيقتها ،واذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت الامال فى المكاسب وانقبضت الايدى عن العمل وفسد العمران » .

وقد اشتغل أهل الحضر من العرب بما أنف منه أهل البادية فكان منهم الزراع كأهل المدينة ، والتجار كأهل مكة والملاحون كأهل عمان وكان منهم أصحاب الصناعات كالحداد والنجار ، فضلا عن الاجراء فى ميادين العمل المختلفة ، ولكن اشتغالهم بهذه الاعمال لم يرفع من شأن العمل عامة ، ولم يكرم العاملين على اختلاف درجاتهم بل ظلت بعض المهن محتقرة مزدراة يعير بها أصحابها كأنما هي وصمة عار .

فالتميميون كانوا يعيرون الازديين بأنهم بحارة ، لأن ابناء عمومتهم فى عمان كانوا يشتغلون بالملاحة .

والقرشيون كانوا يحتقرون أهل المدينة لأنهم زراع ، وحين لقى أبو جهل مصرعه فى غزوة بدر ، لم يأسف على مقتله بقدر ما أسف على انتهاء أجله بيد أكار ، اذ يقول وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة : « فلو غير اكار قتلنى ! » والاكار الزراع « أراد به احتقاره وانتقاصه – كما يقول ابن الأثير – كيف مثله يقتل مثله !.

وكذلك قال أبو جهل عندما ارتقى ابن مسعود عنقه : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعى الغنم ، وهو قول ينم عن احتقار أبي جهل للاجارة علي رعى الغنم ، وما أشبهه من الاجارات مثله فى ذلك كمثل أشراف العرب جميعا .

وكانت كرائم النساء فى الجاهلية يانفن من الارتزاق بالارضاع ولو آذاهن الجوع ، حتى ليقول المثل الجاهلى « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » . ولم يكن يشفع للمرأة الجاهلية أن ترضع أبناء الملوك فلقد كان أهل بيت زرارة حضان الملوك فافتخر بذلك حاجب بن زرارة فقال « حضنا ابن ماء المزن وابن محرق حتى بدت منهم لحا وشوارب » فعابه الناس وقالوا : ما رأينا من يفتخر بالمعايب غيره ، وذلك أن الظئر خادمه والخدمة تضع ولا ترفع . وهكذا احتقروا الخدمة عامة ، والارضاع خاصة .

ويؤكد ما قدمناه من هوان العمل عند العرب فى الجاهلية لفظ « المهنة » الذى اتخذوه للعمل عامة والخدمة خاصة ، فهو مرتبط بالمهانة والذلة اذ يقال « السهل يوطأ ويمتهن » أى يداس ويبتذل ، والمهين من الرجال : أى الضعيف ، وامتهنت الشىء أى ابتذلته ، والابتذال ضد الهانة ، ومنه البذلة والمباذل ، وهو ما يلبس من الثياب فيمتهن ولا يصان ، والمبذل والمبذلة ، وهو الثوب الخلق والتبذل ترك التزين والتهيىء بالهيئة الحسنة الجميلة ، وهكذا فان العامل عندهم كالثوب الخلق مهين مبتذل ، حتى ليسمى الرجل مبتذلا ومبتذلا ، أى مهينا لنفسه غير صائن لها ، اذا ولى العمل بنفسه أو ولى عمل نفسه فأما اذا وكل عمله لغيره وعاش فارغا عاطلا فهو بالتالى الكريم الذى يصون نفسه ويجلها !.

كذلك كانت نظرة الجاهلية الى العمل والعمال ، فلما جاء الاسلام نظر الى العمل نظرة مختلفة جدا ، كلها تكريم واكبار :

فلقد رفع العمل الدنيوى الى مرتبة العبادة عامة ، والجهاد فى سبيل الله خاصة ، وناهيك بها من مرتبة ، اذ يقول بعض الصحابة وقد رأوا شابا قويا يسرع الى عمله ، لو كان هذا فى سبيل الله ! فيقول عليه السلام لهم « لاتقولوا هذا فانه ان كان خرج يسعى على ولده

صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان ، ويقول فى مناسبة أخرى : « العامل على الصدقة بالحق كالغازى فى سبيل الله حتى يرجع » ، وكذلك يقول عمر لرجل ترك عمله الذى يرتزق منه ، ورحل الى المدينة ليجاهد : « ارجع فان عملا بالحق جهاد حسن » ، وروى أيضا انه بعث سفيان بن مالك ساعيا بالبصرة فمكث حينا ثم استأذنه فى الجهاد ، فقال له عمر : أو لست فى جهاد ؟ .

ولو لم تكن للعمل الحلال قدسيته التى تقارب قدسية العبادة لما سمى سبحانه الايمان تجارة، اذ يقول « هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله » ، ولما قرن العمل بالصلاة اذ يقول « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وبالجهاد اذ يقول : « وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » ولما أذن بالتجارة فى مواسم الحج : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » ، بل ان الحج انما فرض لينتفع الناس بالتجارة كما ينتفعون بالعبادة وباجتماعهم فى صعيد واحد ، وفى ذلك يقول تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات » .

وقد خفف الله سبحانه وتعالي عن رسوله ، ومن اقتدى به من المسلمين ، أعباء قيام الليل ، لاسباب منها : ألا يرهق التعبد البعض ليلا فيقعدهم عن طلب الرزق نهارا ، وفى هذا يقول سبحانه ، « ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه ، وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرءوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ، فاقرءوا ماتيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا » ، فانت تراه سبحانه قد جعل الضرب فى الأرض طلبا للرزق من أسباب التخفيف مثله فى ذلك كمثل المرض تماما ، كما أشارت الآية ، فليس على المريض حرج ، ولا على العامل حرج ، اذا لم يقوما الليل واكتفيا بما تيسر من القرآن . كل حسب قوته . وفى هذا الاشارة الى أن العمل فى نظر القرآن ضرورة من أكبر الضرورات .

وكما يثاب المرء فى الآخرة على العبادة من صلاة وصيام ، يثاب على العمل الحلال أيا كان ، اذ يقول عليه السلام : « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » ، ويقول « الخازن الأمين الذى يؤدى ما أمر طيبة نفسه أحد المتصدقين ويقول « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار . ويقول أبو ذر لرسول الله : « أى الرقاب أفضل ؟ فيقول عليه السلام : « أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا . فيقول أبو ذر « فان لم أفعل ؟ (أى فان لم أعتق أو فان لم أجد ما أعتقه ؟) فيقول عليه السلام « تعين صانعها أو تصنع لأخرق » ففى الأحاديث اشارة الى أن عمل العبد كمثل الصدقة ، وعتق الرقاب ، من مصادر الثواب الأخروى .

وكذلك يقول عليه السلام : « من بات كالا من عمله بات مغفورا له » ، ويقول : من بنى بنيانا من غير ظلم ولا اعتداء ، أو غرس غرسا فى غير ظلم ولا اعتداء ، كان له أجر جار ما انتفع به من خلق الله تعالى » ، ويقول: « ما من رجل يغرس غرسا الا كتب الله عز وجل له من الأجر قدر ما يخرج من ثمر ذلك الغراس » ، ويقول « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان لديه صدقة » .

ومن الملاحظ أن بعض ماقدمنا من أحاديث قد ورد فيها لفظ رجل بدلا من مسلم ، ولفظ «رجل» يشمل المسلم وغير المسلم ، الا أن ما ثبت من حديث أنس عند مسلم يؤكد أن الكافر لايثاب على ما زرع الا فى الحياة الدنيا .

واذا قدرنا ما أعد الله من أجر للزراع أو الغارس ، وما ينبغى له من التقدير والاحترام تبعا لهذا ، أدركنا مقدار تكريم الاسلام لهذه الفئة الكادحة ، فما الزارع يأكلها انسان ، أو تلوكها بهيمة ، الا الأمكار الذى أنف الذى يثيبه الله بكل حبة من زرع أو يأكلها انسان ، أو تلوكها بهيمة ، الا الامكان الذى أنف أبوجهل ان يكون مصرعه على يديه كما أشرنا من قبل .

ومن الملاحظ أن العمل الأخروى لايقبل عند الله مالم يكن خالصا لوجهه الكريم ، اذ يقول الرسول عليه السلام « الاعمال بالنيات ، ولكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته الي الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه ، وفى هذا يقول أبو على : « ان العمل اذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، واذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتي يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، واذا كان العمل الأخروى كذلك فمن باب أولى - اذا جاز لنا أن نبدى الرأى - ألا يقبل العمل الدنيوى ، حتى تصحبه النية الصالحة التي تجعله لوجه الله الكريم .

وليس أكرم للعمل والعمال من اشتغال الرسول عليه السلام بمختلف الاعمال ، وهو المختار لاكرم رسالة قام بها انسان ، فلقد عمل عليه السلام أجيرا لأهل مكة ، يرعى الغنم على قراريط ، وفى هذا يقول « مابعث الله نبيا الا رعى الغنم » فقال أصحابه : وأنت ! فقال نعم: كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة . وليس المهم أن يشتغل عليه السلام ، بالرعى قبل الرسالة ، فقد كان انسانا عاديا ، وكان يتيما فقيرا ، انما المهم أن يذكر اشتغاله بهذه الحرفة بعد أن بعث ، وبعد أن صار رئيسا للحكومة وقائدا للامة ، ففيه ايحاء شديد بأن العمل الشريف ولو كان رعيا للغنم على قراريط ،ليس بالأمر المهين أو المشين .

وكذلك عمل عليه السلام أجيرا عند خديجة بنت خوالد ، وكانت امرأة تاجرة تستأجر الرجال فى مالها ، فكان - عليه السلام - يخرج فى مالها ذاك ، حتى يبلغ الشام فيبيع ويشترى .

وقد روى ابن هشام أنه عليه السلام بعد أن بعث ، اجتمع اليه أشراف قريش ليصدوه عن سبيل الله ، فأغروه بالمال والملك ، فأبي - عليه السلام - ودعاهم الى الاسلام ، فسألوا أن يأتيهم بمعجزة ليؤمنوا ،وقال قائلهم « سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما نقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فانك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم ، فقال عليه السلام « ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا » .

وهكذا لم تمنع أعباء الرسالة رسول الله - طيلة العهد المكي من أن يلتمس المعاش كسائر الناس .ولعله استمر في الاتجار لخديجة بأسواق مكة . فلما هاجر - عليه السلام - الى المدينة - شغلته الرئاسة والجهاد عن التماس المعاش . فكان يأكل من نصيبه من الغنائم .

ولئن شغل عليه السلام أعظم المناصب الروحية والدنيوية باعتباره رسولا ورئيسا للحكومة في وقت واحد ، فقد كان لايأنف من مشاركة المسلمين في أعمالهم العادية بين الحين والحين ، فتراه في مناسبات عديدة يغرس النخل بيديه ، ويشارك خدمه في أعمالهم أو يخفف عنهم بعض أعبائهم . فيرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته ، ويعقل بعيره ، ويدخل السوق بنفسه فيشتري ما يريد ويحمل بضاعته الى البيت ويخدم ضيوفه بنفسه ، بل ويخدم خدمه ، حتى ليقول أنس : خدمته (أي رسول الله) نحوا من عشر سنين فوالله ما صحبته في سفر ولا حضر أخدمه الا وكانت خدمته لي اكثر من خدمتي له .

وتراه يشارك المسلمين في بناء المسجد بعد الهجرة ، فينقل معهم اللبنات لبنيانه ، ويقول : اللهم ان الأجر أجر الآخرة ، فارحم الأنصار والمهاجرة ، وينظر المسلمون الى الرسول وهو يعمل بينهم فيدأبون في العمل ويقولون :

لئن قعدنا والرسول يعمل   لذاك منا العمل المضلل

وتراه يوم الخندق ينقل التراب ، وقد وارى التراب بياض بطنه ويقول : ((لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزل السكينة علينا ، وثبت الاقدام ان لاقينا ، أن الألى قد بغوا علينا ، اذا أرادوا فتنة أبينا .

وتراه يأتي زمزم ، وأصحابها يسقون ويعملون فيها، فيقول ((اعملوا .. فانكم على عمل صالح .. لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه ((وأشار الى عاتقه)) .

وكذلك كان عليه السلام في بعض أسفاره ، فأمر باصلاح شاة فقال رجل : يارسول الله ، على ذبحها ، وقال آخر : علي سلخها ، وقال آخر : على طبخها ، فقال رسول الله صلى لله عليه وسلم ((وعلى جمع الحطب)) قالوا : ياوسول الله ، نحن نكفيك ، فقال : ((قد علمت أنكم تكفونني ولكن أكره أن أتميز عليكم ، فان الله يكره من عبده أن يراه مميزا بين أصحابه ، وقام فجمع الحطب)) . ومن الملاحظ أن جمع الحطب كان من أقل المهن شأنا عند العرب بدليل قوله عليه السلام : ((لان يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه)) ولكن الرسول عليه السلام لم يستنكف أن يقوم به ، ليضرب المثل العملي للمسلمين في احترام العمل الحلال أيا كانت درجته .

وكذلك كانت سنة الانبياء والمرسلين . اذ عمل زكريا نجارا وعمل داود زرادا ، وعمل موسى أجيرا وكل رعى الغنم كما أشار الرسول عليه السلام في بعض أحاديثه، وكل مشى في الأسواق كما أشار القرآن .

وكذلك عمل الاعلام من أصحاب رسول الله عليه السلام ، حتى سارع أبو بكر الي السوق صبيحة يوم استخلافه ، وعلى رأسه أثواب يريد أن يتجر فيها . وقد كاد يفعل ، لولا أن منعه عمر وأبو عبيدة ليفرغ لأمور المسلمين ، اذ قالا ((كيف تصنع هذا وقد وليت أمور المسلمين : قال فمن أين أطعم عيالي ، قالوا نفرض لك ، ففرضوا له كل يوم شطر شاة .

وكان الصحابة كلهم عمالا ، فقد روى البخاري في الفصل الذي عقده بعنوان ((كسب الرجل وعمله بيده)) ان عائشة رضى الله عنها قالت ((كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال أنفسهم ، وكان يكون لهم أرواح (أي روائح كريهة من أثر العمل) فقيل لهم : لو اغتسلتم .

وقد خفي يوما حديث من أحاديث الرسول عليه السلام على عمر بن الخطاب ، فرد هذا الى انشغاله بالتجارة ، اذ يقول - فيما يرويه البخاري ((أخفي علي من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .. ألهاني الصفق في الأسواق)) وبمثل هذا احتج أبو هريرة اذ خفي على الصحابة من أمر رسول الله ماعلمه ، فقال ((ان اخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في أموالهم ، وان أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبع بطنه ، ويحضر مالا يحضرون ،ويحفظ مالا يحفظون)) .

وحين هاجر المسلمون الى المدينة ، استضاف سعد بن الربيع الانصاري عبد الرحمن بن عوف،وعرض عليه نصف ماله ، فأبى عبد الرحمن أن يكون عالة على سعد ، وآثر العمل قائلا ((هل من سوق فيه تجارة ؟))

وحين زوج عمر ابنه عاصما ، أنفق عليه من بيت المال شهرا ثم منع عنه النفقة ، وأمره بالعمل لكيلا يكون عالة على بيت المال وفي هذا يقول عاصم ((لما زوجني عمر أنفق على من مال الله شهرا ، ثم قال:يارفأ : احبس عنه ، ثم دعاني فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ((أما بعد ، أي بني ، فاني لم أكن أرى هذا المال يحمل لي الا بحقه ، ولم يكن أحرم على منه حين وليته وفاد أمانتي ، فقد أنفقت عليك من مال الله شهرا ، ولن أزيدك عليه ، وقد أعنتك بثمن مالي - أو قال بثمر مالي - بالعالية - فانطلق فاجدده ثم بعه ، ثم قم الى جانب رجل من تجار قومك ، فاذا ابتاع فاستشركه ثم استنفق ، وأنفق على أهلك . ففعل عاصم ما أمر به عمر وهكذا خرج ابن أمير المؤمنين الى السوق بائعا ، مثله في ذلك مثل غيره من أبناء الرعية .

وكذلك لم يستنكف على بن أبي طالب وهو ابن عم رسول الله وزوج ابنته - أن يعمل أجيرا عند يهودي لقاء ثمرات معدودات، فقد روى ابن ماجة عن ابن عباس قال : أصاب نبى الله صلي الله عليه وسلم خصاصة ، فبلغ ذلك عليا ، فخرج يلتمس عملا يصيب فيه شيئا ليغيث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بستانا لرجل يهودي ، فاستقى له سبعة عشر دلوا ، كل دلو بثمرة ... فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم))

وقد حث سبحانه على العمل أكبر الحث ، وامتن على العباد أن ذلل لهم الأرض ، وسخر لهم البحر ، وأجرى لهم الفلك ، وأضاء لهم النهار ليعملوا ويبتغوا من فضله ، وفي هذا يقول تعالي ((هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)) ويقول ((وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها .. وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون))ويقول : ((وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا)) ويقول ((ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)) ويقول ((ألم يروا

انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ، ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون » .

ومن الملاحظ أن التسخير الالهى للبحر والأنهار ، والفلك والأنعام لايغنى عن العمل ، فهو سبحانه حين قال « وسخر لكم البحر » لم يرد أن البحر يقذف للناس بالاسماك يأكلونها لحما طريا ، وانما أراد أن مصادر الرزق كامنة فى البحر مهيأة لمن يبذل الجهد فى استخراجها والانتفاع بها ، وهذا مانص عليه سبحانه بقوله «تستخرجونها» وهو سبحانه حين قال «وسخر لكم الفلك ، لم يعن أن الفلك تنزل من السماء لتجرى فى البحر بأمره ، وانما أراد أن الخشب يطفو على الماء باذنه ولكن الخشب لم يحمل الناس فى البحر حتى يستحيل سفينا يصنعها الانسان ويقودها بنفسه فلابد من عمل .

وكذلك تسخير الانعام للناس لايغنى عن العمل ، فاللبن لايسيل من ضروعها حتى يحلب ، ولحمها لايؤكل حتى يطبخ ، ولا يطبخ حتي تذبح وتسلخ . وكل هذا عمل » .

وهكذا فان التسخير قوة كامنة لايظهرها الا العمل، فبالعمل تصبح البحار والانهار والفلك والانعام مسخرة بالفعل بعد أن كانت مسخرة بالقوة .

وكان - عليه السلام - يدعو بالبركة فى البكور ليسارع الناس الى أعمالهم فى أول النهار ، فلايضيعوا وقت النشاط فيما لايفيد .

وكان اذا بعث سرية أو جيشا بعثهم فى أول النهار. وكان صخر الغامدى رجلا تاجرا ، فكان مذ سمع دعاء الرسول بالبركة فى البكور يبعث غلمانه من أول النهار، فاثرى وكثر ماله وكان بعض الصحابة ينهون عن نوم الصبح ، لأنه وقت تقسيم الأرزاق .

وكان عليه السلام يدعو الى الاتجار فى مال اليتيم حتى لاتأكله الصدقة ، ويجعل الارض الموات لمن يحييها ويحث على العمل حتى آخر رمق فى الحياة ، وآخر لحظة فى الدنيا ، فيقول « ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فان استطاع أن لايقوم حتى يغرسها فليفعل » ، وكان كذلك لايقطع أصحابه الأرض الا ليعملوا حتي لقد صادر عمر أرضا أقطعها رسول الله لبلال بن الحارث المزنى لان بلالا لم يعمل فيها بنفسه، ولم يدعها لغيره ليعمل فيها ، وفى ذلك يقول عمر لبلال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحتجزه عن النفس ، انما أقطعك لتعمل فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى .

وكان عمر ينصح بأداء الأعمال فى أوقاتها ، فيقول : « لاتؤخر عمل اليوم لغد ، فتدال عليك الأعمال » ويدعو الى تعلم المهنة فيقول « تعلموا المهنة ، فانه يوشك أن يحتاج أحدكم الى مهنته » ، ويقول : مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس » ، ويقول لأن أموت بين شعبتى رحلى أسعى فى الأرض أبتغى من فضل الله كفاف وجهى أحب الى من أن أموت غازيا .

وكان اذا رأى فتى فأعجبه حاله سأل عنه هل له حرفة ، فان قيل لا سقط من عينه .

وكذلك قال على « الاكتساب من الحلال جهاد ، وانفاقك اياه على عيالك وأقاربك صدقة ، وقال ابن مسعود « انى أكره أن أرى الرجل فارغا لا فى عمل دنياه ولا آخره » وقال بعض الشيوخ « التكسب للنفس والأولاد من أهم الواجبات ، وأن الله تعالى استغنى بما ركب فينا من حب المال والحرص عليه عن التصريح بايجابه كايجاب الصلاة والحج والزكاة ، وذلك لما فى تحصيله من التحوز عن اذية الناس بالسؤال » .

ويتصل بسياسة الاسلام فى الحث على العمل نهيه عن المسألة وفى هذا يقول الرسول عليه السلام لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » ويقول من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر ، ويقول « لان يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق به ويستغنى عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه »

وقد بايع عليه السلام بعض أصحابه على أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا والصلوات الخمس ولا يسألوا الناس شيئا .

ومن الملاحظ أن الرسول اذ ينهي عن المسألة ، فانما ينهى عن احترافها . وفى هذا يقول عليه السلام : « ليس المسكين بهذا الطواف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والثمرة والثمرتان » قيل : فما المسكين يارسول الله ؟ قال الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئا ، أما المسلم العامل الذى يرتزق بعمله الحلال ، ثم تصيبه ضائقة أو كارثة فمن حقه أن يسأل ، ومن واجب المسلمين حكومة وشعبا أن يعينون ، فاذا أعين حرم عليه السؤال . وفى هذا يقول قبيصة ابن مخازن الهلالى « تحملت حمالة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنامر لك بها ، ثم قال ياقبيصة أن المسألة لاتحل الا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حماله فحلت له المسألة حتي يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش (أو قال سدادا من عيش) ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه « لقد أصابت فلانا فاقة ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش (أو سدادا من عيش) فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحتا ، يأكلها صاحبها سحتا » .

وقد فسر القرطبى المسكين بمن أسكنته الحاجة وأذلته ، وفسره الفخر الرازى بمن عجز عن الاكتساب بنفسه ، أما اليتيم فهو الذى مات كاسبه فيبقى عاجزا عن الكسب لصغره ، مع أنه مات كاسبه وهكذا تحل المسألة لهؤلاء ، لأن ظروفا أقوى منهم منعتهم من الكسب بالعمل الحلال ، أو جعلت كسبهم دون حاجتهم ، ولابد من أن يشهد ثلاثة من أهل الخبرة بأنهم فى حاجة ، كما أشار الحديث .

وقد أتى الرسول رجل يسأله ، فأبى أن يعطيه ، ودله على عمل يرتزق منه . وفى هذا يقول أنس : ان رجلا من الانصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال : أما فى بيتك شيء ؟ فقال بلى ، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب تشرب فيه الماء قال ائتنى بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وقال : من يشترى منى هذين ؟ قال رجل أنا آخذهما بدرهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا ؟ قال رجل أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما اياه، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الانصارى وقال : اشتر باحدهما طعاما فانبذه الى أهلك واشتر بالآخر قدوما فائتنى به ، فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما ، فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة .

ودعوة الاسلام الى التوكل لاتنفى العمل ، وانما تعني الجمع بينه وبين الثقة فى الله سبحانه ، بحيث يقبل العامل على العمل من تجارة وزراعة وغير ذلك ، مما يحتمل الكسب والخسارة وهو يؤمن بأن الله سبحانه هو الرازق الذى لايتخلي عن عباده .

وهذا الفهم واضح تماما من قول الرسول عليه السلام « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ، فأنت تراه سبحانه لايرزق الطير حتى تغدو وتروح فى طلب الرزق ، فلابد من العمل والتوكل معا . وقد عبر - عليه السلام - عن هذا المبدأ فى صراحة ووضوح عندما سأله بعض أصحابه « يارسول الله : أرسل راحلتى وأتوكل ؟ فقال عليه السلام : بل قيدها وتوكل » .

ويتضح مفهوم الاسلام للتوكل فى مجال العمل الدينى أيضا - فيما روى على رضى الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا وفى يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال « ما منكم من نفس الا وقد علم منزلها من الجنة والنار » فقالوا يرسول الله فلم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال لا ، أعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ثم قرأ « فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » رواه الشيخان وغيرهما.

ومهما جاز لنا أن نقول أن التوكل الصق بنية المرء وايمانه منه بطبيعة العمل ذاته ، فربما أقبل المرء على عمل يكاد يكون مضمون النتيجة بنفس كلها توكل على الله وايمان بأن الأمر لايزال موكولا اليه ان شاء أمضى العمل ، وان شاء أحبطه ، وهو اذ ذاك انما يكشف عن ايمان أتم ممن يتوكل على الله فى عمل غير مضمون النتيجة ، وعليه فلا عبرة بقولهم أن الزراعة أفضل لأنها أقرب الي التوكل .

كما أن اشتغاله عليه السلام بالتجاره .. كاشتغاله برعى الغنم - انما كان لظروف بيئية ، اذ كانت الحرفتان منتشرتين فى بيئته فوجد الفرصة سانحة لرعى الغنم لأهل مكة ، والاتجار فى مال خديجة ، ولو كان فى بيئة زراعية أو صناعية لما تردد فى أن يعمل زارعا أو صانعا . يؤكد ذلك ما ورد من أحاديث فى فضل الزراعة ، وفى اشتغال بعض الأنبياء بالصناعة .

ومن الملاحظ أنه لم ترد أحاديث فى تفضيل حرفة على سائر الحرف ، انما فضل عليه السلام عمل اليد فحسب ، « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

« ففى الحديث فضل العمل باليد - كما يقول ابن حجر وتقديم مايباشره الشخص بنفسه علي مايباشره بغيره والحكمة فى تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره فى أكله على مايعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة فى الأرض ، كما قال تعالي وانما ابتغى الأكل عن طرق أفضل ، ولهذا أورد عليه السلام قصته فى مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد .

وهذا التفصيل لايعنى أن حرفة تتميز علي حرفة ، وانما يعنى - كما قال ابن حجر - أن ماباشره الشخص بنفسه أفضل مما باشره بغيره .

ومع هذا ، فربما جاز لنا أن نقول أن الاعمال - فى نظر الاسلام - متفاضلة - لأن روح الاسلام التى تقدر العلم وترفع قدر العلماء ماكانت لتسوى قط بين من يعمل بعقله ويده ومن يعمل بيده وحدها أو بين من يطبق العلم على العمل ، ومن ليس له من العلم والخبرة شيء ، وعلى هذا الأساس يجوز أن يفضل العمل الصناعى عملا زراعيا ، أو يفضل العمل الزراعى عملا صناعيا ، ولكننا لا نستطيع القول بأن الاعمال الزراعية ولو كانت مجرد بذر البذور ، أفضل من أى عمل صناعى ولو كان اختراعا عبقريا فليس فى ذلك دليل من الاسلام ولا سند من منطق سليم .

الإيمان صانع المعجزات

الأستاذ محمود الرجبسي

— ٣ —

ويمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته ، وسط جو عاصف من العداوة والبغضاء من قريش ومن والاها ، وايمانه الوثيق الركين بدعوته يمده بمدد من الصبر على احتمال الأذى ، وقوة على مجالدة الشدائد ، فينهض الى نشر دعوته ، وتبليغ رسالته ، مستهينا بكل شدة ، راضيا بكل محنة ، مستمدا من قوة ايمانه وثبات يقينه ما يذلل له العقبات ، وما يعينه على احتمال سخرية قومه ، وايذائهم له ، وعدوانهم عليه .

وقد ذكرنا طرفا مما لحق الرسول الكريم حين بدأ يدعو قومه الى رسالة التوحيد ، ولم تكن قريش قد اشتطت بعد في الكيد للرسول والنيل منه ، ولكنها ما ان رأت اصراره على المضي في دعوته ، ومغالبة الصعاب في سبيل نشرها ، حتى بالغت قريش في ايذائها لرسول الله ، وأمعنت في العدوان عليه ، وسلطت سفهاءها يحثون التراب على رأسه وهو ساجد لربه ، وينضدون الفرث والأمخاث والدماء على باب بيته ، ويطرحون رحم الشاة في برمته ، بل بلغ من أذاهم أن عقبة بن أبي معيط وصل به حد التهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن انتهز فرصة سجوده عند الكعبة ، فوطىء رقبته ، حتى آلمه وآذاه ، ورسول الله مع ذلك في أناته وحلمه ، وايمانه بربه لا يزيد على قوله : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

ولقد حاولوا أن ينالوه بالأذى فرادى وجماعات ، فكلما سنحت فرصة للنيل منه وهم مجتمعون عند البيت اهتبلوها : حدث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله فيما كانوا يظهرون من عداوته ، فقد حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم . فبيناهم في ذلك ، اذ طلع رسول الله ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، قال عبد الله: فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، واتجه اليهم وقال : أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح ، قال : فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر وقع ، حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى انه ليقول : انصرف يا أبا القاسم : فوالله ما كنت جهولا . فانصرف رسول الله ، حتى اذا كان الغد

اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه ، فبينـــاهم فى ذلك طلع رسول الله فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، واحاطوا به يقولون : انت الذى تقول كذا وكذا فى حق آلهتنا وديننا ؟ فيقول رسول الله : نعم ، أنا الذى أقول ذلك ، فهجم عليه رجل منهم ، وأخذ بمجمع ردائه يحاول أن ينال منه ، فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه وهو يبكى ، ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، فانصرفوا عنه بعد أن نالوا من أبى بكر ، وقد صدعوا فرق رأسه ، مما جبذوه بلحيته، وكان رجلا كثير الشعر .

ولم تكتف قريش باســـتخدام العنف والايذاء فى محاربة الرسول ، بل استخدمت كل أساليب الاغراء فى صرفه عن دعوته حيث فشلت القـــوة والعنف ، فهذه قريش تجلس حول عتبة بن ربيعة ـ وهو سيد قومه ـ فى نادى قريش يستمعون اليه ، ورسول الله جالس على مبعدة منهم ، فيقول عتبة : يا معشر قريش ، الا أقوم الى محمد فاكلمه ، وأعرض عليه أمورا ، لعـله يقبـل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ويكف عنـا ؟ فقالوا : بلى ، يا أبا الوليد ، قم اليه فكلمه ، فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله ، فقال : يا ابن أخى ، انك منـــا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليـد اسمع . قال : يا بن أخى ، ان كنت تريد بما جئت به من هـــذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينـا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا ، حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه . فلما فرغ عتبة ورسول الله يســـتمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال فاستمع منى ، قال افعل ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، حم ، تنزيل من الرحمـن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل اننا عاملون » ، ثم مضى رسول الله فى السورة يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، حتى اذا انتهى رسول الله الى السجدة منها سجد ، ثم قال : سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك ، فقام عتبة الى أصحابه « فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعونى ، واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الـذى سمعت منه نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم به أسعد النـــاس . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

ثم يمضى بقريش عنادها وكفرها الى حد الامعان فى اللجاجة ، ومحاجة الرسول بما يستحيل تحققه ، فقد اجتمع أشراف قريش يوما حول الكعبة ، وقالوا ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه : أن أشراف قومك قد اجتمعـــوا لك ليكلموك ، فأتهم ، فجاءهم رسول الله سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس اليهم ، فقالوا له مثل مقالة عتبة بن ربيعة فيما سبق ، فقال لهم رسول الله : ما تقولون ؟ ما جئت بما جئتكم بـه أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحـــكم الله بينى وبينكم . فقالوا : يا محمد ان كنت غير قابل شيئا مما عرضناه عليك فانك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ، ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب ، فنسألهم عما تقول ، أحق هو أم باطل ؟ فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وانه بعثك رسولا كما تقول ، فقال النبى : ما بهـذا بعثت اليكم ، انما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم . قالوا : فاذا لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث معك ملكا يصـــدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فانك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كمـا تزعم ، فقال النبى : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت اليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا ، قالوا فاسقط علينا كسفا كما زعمت أن ربك لو شاء فعل ، فانا لا نؤمن لك الا أن تفعل . قال : ذلك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل ، ولما كثر لجاجهم ، وأمعنوا فى المهاترة نهض رسول الله الى أهله حزينا آسفا لما رأى من مباعدتهم اياه . فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، ان محمدا قد أبى الا ماترون ، وانى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسـه ، فاســـلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نسلمك لشىء أبـــدا ، فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ينتظره ، وغـدا رسول الله كما كان يغدو ، فقام يصلى وقريش فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صـــلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى اذا دنا منه رجع منهزما ، ممتقعا لونه مرعوبا ، قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت اليه رجال من قريش ، فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ، قال : قمت اليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بى أن يأكلنى .

وتنتصر كلمة الحق على أعدائها ، ويمضى رسول الله فى دعوته اليها ، لا يبالى ما أجمعت عليه قريش من مكر ، وما اتفقت عليه من عدوان ، لأن الله معه ، والله مع المؤمنين بدعـوتهم الى أبعـد مـدى من التأييـد والنصر .

حقوق الإنسان

حقوق الانسان جملة كلامية ، ما اسهل النطق بها ، وما أحلاها فى المذاق ، وما احفلها بالمعانى الجسام ، وبالتفسيرات العظام ، فهى كما يقول الشاعر :

وتحسب انك جسم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

فهى تدور حول الحياة من جميع نواحيها ، والحياة لا تتوقف ، بل تزيد اسراعا كلما تقدمت بها الأيام ، وزادت من عمرها الأعوام .

اكتب هذه الكلمة ونحن على قيد خطوات مضت من ذكرى هذه الحقوق ، ومن تذكر ان الأمم المتحدة اعلنتها منذ سبعة عشر عاما ، ثم من ذكرى أيامنا هذه بما يجدد الرغبة فى نفس الانسان الموسر من حقوق لأخيه المعسر ، وقد سمتها الشريعة الاسلامية بالزكوات والصدقات . فى عيد من أعياد المسلمين هو عيد الفطر .

اردت أن أكتب عن هذه الحقوق قديمها وحديثها بالاجمال ، وانظمها فى سمط واحد ، لأنها متماسكة الأطراف ، متسقة الائتلاف ، وقسمتها قسمين ، قسم منها وضعه الانسان المعاصر ، وهو القسم العام الذى يشمل البشرية جميعا ، وقسم منها وضعه التشريع الاسلامى ، واتحدث عن الأول لانه فى عمومه أوسع آفاقا من الثانى ، لانه يشمل الكثيرين من الشعوب .

حقوق الانسان العامة هى التى تمخض عنها اجتهاد الأمم المتحدة منذ سبعة عشر عاما ، فى رد الحقوق المضيعة للأقوام ، بعد أن تألبت على ضياعها المطامع ، واتحدت على هضمها المظالم ، فهى كما يقول الشاعر :

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

وفحوى هذه الحقوق - لا نصوصها - هى تحرر الناس فى اوطانهم ، لانهم بشر لا يحكمون بغير ما يريدون ورد ما اغتصبه الانسان من الانسان مثلما اغتصبت الصهيونية قطعة كبرى من أرض العروبة ، هى فلسطين ، التى لم يكن فى مقدور الصهاينة أن يتملكوها كما حاولوا ذلك طوال أيامهم ، لولا دولة ذات قوة وغنى واستعمار قديم هى التى أهدتها اليهم، وكأنها من املاكها الخاصة تهبها لهم هبة خالصة لوجه الظلم والعنت دون مبالاة بأحد ، وكتغليب الاقلية البيضاء فى الأكثرية السوداء فى روديسيا لا لعلة الا أن هؤلاء ملونين باللون الأبيض ، وأهل البلد ملونين باللون الأسود ، ينتفع بثمرات بلادهم وهم عنها مبعدون وكبقية الشعوب التى لا تزال من مستعمرات اللون الأبيض الذى صور أهله من نفسه خصما وحكما على قارة من قارات المسكونة هى قارة أفريقية ، التى أخذت تقشع عن أنفسها الصفة القديمة المعروفة بالقارة المظلمة ، وستضاء بنور على نور ان شاء الله .

ومن فحوى هذه الحقوق أيضا التى أعلنتها الأمم المتحدة التحرر من الخوف والفقر ، والجهل والمرض ، وفحوى ذلك هو التعايش السلمى فى أحسن درجاته ، والمخالطة فى أفضل صورها مع العالم الذى بيض بشرته فعل الزمن والجو والبيئة والمناخ ، كما ان خط الاستواء وما حوله من مناطق كان سببا فى سمرة البشرة وسواد اللون ، وليس الانسان هو السواد او البياض ، وانما هو العقل والنفس والروح ، والصمود على العمل ، وتعمير الأرضين .

أما القسم الثانى من حقوق الانسان فهو القسم الخاص بالعيد الذى نحن فيه وهو عيد الفطر ، واذا ذكر هنا العيد ذكرت الصدقات - كما سماها الامام

قديما وحديثا

الأستاذ حسن الشيخة

الغزالى – والزكوات التى يخرجها الناس فى هذا اليوم .

ان المقادير الزكوية التى حددها الأئمة المجتهدون رضوان الله عليهم قد لا تغنى عن حاجات الناس شيئا فى هذا الزمن التى زادت فيه أعباء الحياة ، وقد قدر هؤلاء الأئمة تقديرا فى الزكوات والصدقات يناسب حالة أيامهم ، وما كان الناس عليه من رقة فى العيش ، وناهيك بما كان عليه الأئمة أنفسهم فى حالاتهم الخاصة ، فان أولهم وهو الامام أبو حنيفة كان بزازا ، ويبدو أنه أخذ من حرفته هذه تفضيل النقود على غيرها فى صدقة الفطر ، لانها أنفع من غيرها للفقير ، يتصرف فيها حسبما توجهه حاجاته التى هو أدرى بها من غيره .

عندنا فى التشريع الاسلامى غير الصدقات ، وهى مفروضة ومن أركان الاسلام ، وليس لها وقت معين الا ان يحول عليها الحول ، وتتوفر فيها كل شروطها ، هى زكاة المال .

كما ان فى شريعتنا الصدقات الجارية التى ليس لها أيضا وقت معين ، ولكنها متروكة لانسانية صاحبها طوال العام ، وانى من الريف المصرى ، واعرف ان كثيرين محتاجون الى هذا النوع من الصدقات دائما .

ان الزمن فى تطور ، ولسنا الآن كما كنا قبل الثورة التى عمت بركاتها ، واتصلت خيراتها ، وأصبح الكثيرون الذين كانوا لا يجدون قوت يومهم من المالكين ، ذوى الأرضين ، وهؤلاء انقطع اتصالهم بأخذ الصدقات ، ولكن غيرهم لا يزال بحاجة الى الزكوات ، مثل العجائز والنساء والأطفال ، المنتشرين فى القطر كله ، انهم بحاجة الى زكاة المال ، والى زكاة الفطر ، والى الصدقات الجارية .

ان الذى كان مثل هؤلاء الفقراء قبلا ، ثم من الله عليهم بشىء من الأرضين ، اعتقد انهم يلبون نداء العطاءات كلها شكرا للنعمة التى انعم الله بها عليهم ، وكذلك العمال الذين زادت أرزاقهم فى المصانع والشركات زيادة ما كانوا يحلمون بها ، وكذلك كل مستطيع ان يعطى من جميع الفئات التى كانت عدما واصبحت ذات جدة ويسر .

وبالجملة فما شرع لنا من الأئمة المجتهدين لا يصح فيه التغيير ، وانما تجعله أساسا للزيادة فى الخيرات كواضع أساس البناء الذى كلما علا فى بنائه كلما زاد فيه من الطنف والخرجات لتوسيعه واتساقه وتجميله .

ايها القادرون جميعا على الاعطاء من اصلاء فى الثراء من المالكين ، ومن جميع الطوائف التى عمتها نعمة الثورة فأصبحت من الموسرين ، اجعلوا هذا العيد وأيامه نعمة على الفقير ترتفع به عما كان له فى سالف الاعياد ، فان الزيادة فى الخير محمود عواقبها ، ممتدح صاحبها كما قال الشاعر الحكيم .

والناس اكيس من ان يمدحوا رجلا
حتى يروا عنده آثار احسان

يقول تبارك وتعالى : (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) ، والاستخلاف فى الآية الكريمة يحمل معنى كبيرا هو ان المالك فى الحقيقة هو الله الرزاق ، وان الذين يملكون هم مستخلفون عن المولى سبحانه ، وقد أمرهم بالانفاق مما استخلفوا فيه ، والانفاق لا قيد له ولا حدود ، فاعطوا ذوى القربى من الفقراء أولا ، ثم من يليهم من اهل الحى ثم من يليهم من أهل القرية ، اذا كان ذلك كذلك فما أسعد الفقراء والمساكين بهذا العيد الجديد .

بقيــة معـــالــم الطــريــق

السويس واحت القواعد اللى كانت موجودة بعد معركة السويس القوى الوطنية فى كل مكان من انحاء العالم بصت واظهرت رأيها وشعورها وهى على ثقة من انها تستطيع ان تنتصر .

طبعا قبل معركة السويس كنا نشعر بهذه الاثار ، وكان الاستعمار ايضا يشعر بهذه الآثار ، ولم يكن الاستعمار على استعداد ان يسلم بسهولة وبالتالى بعد الجلاء بكام شهر رجعوا تانى، واعتدوا علينا واحتلت بورسعيد ولم يكن شعب مصر على استعداد ابدا لان يستسلم وبالتالى فقد استماتت فى المقاومة حتى تحطمت كل خطط العدوان وفشلت اغراضه بهذا العمل ، وليس بأى شىء غيره ، بكفاحكم واستشهاد أبنائكم واخواتكم وبتعبئة شعب مصر واستعداده للقتال والاستشهاد ، قامت الثورة الحاسمة الحقيقية .

استرد الشعب حريته

واسترد الشعب المصرى كرامته وارادته كاملة ، ليستعملها فى تحقيق الحرية الحرية التى كافح من أجلها أبناؤنا وأجدادنا ، الحريه اللى قام الجيش يطالب بيها فى ثورة عرابى، الحرية اللى قامت ثورة ١٩ تطالب بيها ، الحرية اللى ايام ما كنا فى المدارس نطالب بها ، والحرية التى من اجلها كان الاستشهاد بين ابناء مصر كل سنة ، سنة ٣٥ سنة ٣٦ سنة ٤٧ كل هذه كانت معارك من اجل الحرية والحرية الحقيقية ، التى كنا ننادى بيها اللى كنا نقول يحيا الاستقلال ، من اجل الحرية يسقط الاحتلال ، ويسقط الاستعمار ، كنا عايزين نخرج الانجليز من بلدنا ليه حتى تعود بلدنا لنا ، وحتى نكون أحرارا فى بلدنا أحرارا فعلا لا قولا ، كنا نريد ان نقضى على الاستعمار واعوان الاستعمار وبهذا نستطيع ان نقضى على الاستغلال وان نقضى على الرجعية ، وان نقضى على الحكم الطبقى .

حينما كنا ننادى بالاستقلال ، وننادى بالحرية ، كان هذا يتمثل فى خروج قوات الاحتلال البريطانى من مصر .. قبل الثورة لم يكن هناك حرية ازاى تقدر تقول بقيام حرية ، وفى البلد قاعدة للاجنبى المحتل هنا فى منطقة السويس ، ماكانش فيه حرية ابدا، وماكنش فيه حرية سياسية بأى حال من الاحوال ، كلنا نعرف ازاى كان السفير البريطانى حتى بعد ما اتغير المندوب السامى الى سفير بريطانى كان يستطيع أن يغير الوزراء ، كنا نعرف ازاى السفير البريطانى قبل الثورة بسنة اعتذر عن مقابلة رئيس الوزراء فسقطت الوزارة ، كنا نعرف مين اللى كان فى الحكم اذن لا يمكن بأى حال ان نتكلم او نقول عن قيام الحرية وفى البلد احتلال وقاعدة للاجنبى ، والقاعدة الاجنبية معناها القضاء كلية على الحرية السياسية ، وكانت القاعدة الاجنبية فى بلدنا تمثل لكل واحد فينا ذل الاحتلال رغم المظاهر الخداعة اللى كانوا عاملينها رغم البرلمان والمناقشات البرلمانية .. رغم الدستور اللى كان موجود، رغم هذا كله كل واحد كان عارف أن انجلترا بتحكم مصر طالما فيه قاعدةأجنبية تبقىالدولة المحتلة هى التى تحكم ولا يمكن بأى حال من الاحوال ان تكون هناك حرية سياسية .

اذن قبل الثورة ماكانتش فيه حرية .. ازاى تقدر تقول بقيام الحرية ومفاتيح الاقتصاد المصرى كلها بما فيها تجارة القطن والبنوك وشركات الاراضى والتأمين والتجارة الخارجية ملك للمصالح الاجنبية ازاى اذا كانت بلدنا ثرواتها مش فى ايدينا ، ثرواتها فى أيد الأجنبى . ويمكن الأجانب بيعطوا بعض الناس من المصريين اللى بيتعاملوا

معاهم ، لكن هل كان الشعب فعــلا يملك ثرواته ، هل كان الشعب فعلا يملك اقتصاده لم تكن هناك حرية قبل الثورة ، لان الاقتصاد لم يكن ابدا فى ايدى الشعب ولكنه كان فى يد المصالح الاجنبية ..

حكم النصف فى المائة

ازاى نقـدر نقول ان قبـل الثورة كان فيه حرية ، وتوزيع الثروة ، فى البلد فى وطننا ، كان يجرى على الرقم اللى عارفينه كلنا عن ظهر قلب نصف فى المائة من السكان نصف فى مصر يحصـــلون على ٥٠ ٪ من الدخل القومى ، ١/٢ ٪ الطبقة اللى كانت تحكم وتستغل ، وتدخل فى الاحزاب وتدخل فى الوزارات ، الطبقة التى كانت تمثـل تحالف الاقطاع ، مع الرأسمالية ، الطبقـة اللى كانت تتعاون مع الاستعمار لان الاستعمار كان يؤمن لها مصالحها .. امال الباقى فين .. الباقى كان فى خـــدمة الـ ١/٢ ٪ ، الفلاحين فى خدمة الاقطاعيين ، العمال فى خدمة الرأسماليين ، بقيـة الشعب مغلوب على امره ، ما يقدرش يتكلم الشغل لمين ؟ والعمل لمين .. لهذه الطبقة .. الطبقة اللى هى ١/٢ ٪ .. التعليم لمين ؟ لهذه الطبقة .

استطاعت الطبقة المتوسطة انها تشـــق طريقها بصعوبة وبالضنك وكان الواحد من دول يكون موظف ، ويقطع من قوته الفلوس، وكان يودى ابنه المدرسة أو يودى ابنـــه الجامعة ، ويلبسه ، ولكـــن كانت خيرات بلدنا كلها ٥٠ ٪ من الادخـــار القومى لل ½ ٪ وال ٥٠ ٪ الباقية لل ٩٩ ٪ ٪ .

نريد حقوقنا

طبعا لا يمكن بهذا ان نقول ان كانت هناك حرية ابدا ، كان فيه استغلال .. كان فيـــه استغلال .. كان فيه حكم طبقى ، كان فيه تحكم طبقى ، كان فيه تحالف بين الاقطـــاع ورأس المال ، كان فيه تحالف بين الرجعيـــة والاستعمار، وكان الحكم نتيجة لهذه الاوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية . تحتكره الطبقة المستغلة المتعـــاونة مع الاستعمار ، الحكم تحتكره الطبقة المستغلة المتعاونة مـــع الاستعمار ، كانت هى التى تحـــكم وكانوا يتكلموا ويقولوا الضـــمانات الاجتمـــاعية ، وزارة الشئون الاجتماعية حتعمـــل ضمانات اجتماعية، وحتوزع حسنات، احنا شعبمامش عايزين حسنات ، احنا شعب عايز حقـوقه ، ازاى نبقى فى بلدنا ، وناخد حسـنة فى بلدنا، عايزين فرص العمل ، عاوزين نشارك فى ثروة بلدنا ، عايزين نشارك فى حقنـــا ، عايزين نسترد حقوقنا المغصوبة اللى استولى عليهـا ١/٢ ٪ من أهل بلدنا بمعاونة الاستعمار .. ما كانش فيـــه حرية بشكل من الاشكـال والاستقلال اللى كنا عايشين فيه قبل الثورة، لم يكن الا سخرية ، امام كل ما هو واقع فى مصر ، تحت سمع وبصر الشعب المصرى .

متى كنا مستقلين

واستمر هذا الوضع حتى قامت الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، واقول انه حتى بعد ٢٣ يوليو ونجاح الثورة يوم ٢٣ يوليو ، ويوم ٢٦ يوليو ، لم تتحقق الحـــرية تلقائيـا ، وبخروجوش الانجليز على طـــــول ، ما استردناش حقوقنا المغتصبة ، اللى فى ايد المصالح الاجنبية ، واللى فى ايد المستغلين من بلدنا .. ولكن بعد ٢٣ يوليو و٢٦ يوليو نقدر نقول ان سلطة الحكم اصبحت فعـــلا مستقلة عن كل نظام الاستغلالى الاستعمارى والاقطاعى السافر .

رفضنا انذار الانجليز

الثورة ، ما كانتش حكومة تاخد اوامرها من السفير البريطانى او غيره وماكانتش تاخد اوامرها من تحالف الاقطاع مع رأس المال ده اللى فعلا استطعنا ان احنا نحققه يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، يوم ٢٥ يوليو الانجليز أدونا انذار ، كنا لسه جداد بقالنا يومين . وبنسمع الانجليز : وكان انور السادات فى اسكندرية ، وجاء الوزير المفوض البريطانى ، وسلمه انذار بالنسبة للعائلة المالكة ، وطلب منع تجول وطلب طلبات ولكن فى نفس اليوم رفضنا الانذار بعـد الثورة بثلاث ايام وكان

الانجليز موجودين فى القنال ، وحركتنا قواتنا خارج القاهرة ، وكنا على استعداد ، ان نقاتل من اول الثورة وماكناش ابدا على استعداد ، ان احنا ناخد اوامر ولا ناخد نصائح ، ماكناش ابدا مستعدين ان نتنازل عن المبادىء الكبيرة الى آمنا بيهـا ، والى آمن بيها شعب مصر على مر السنين،ماكناش مستعدين ان نتنازل عن المعنى اللى كان يقصده شعب مصر ، وهو بنـادى بالحرية والاستقلال .

الحرية ان نتخلص من نظام الاستغلال ونتخلص من نظام الاستغلال الاقطاعى والرأسمالى ، رغم ان الانجليز قعدت ليهم قوات هنا من سنة ٥٢ الى سنة ٥٦ ، ولكن من يوم ٢٣ يوليو سنة ٥٢، انتهت سلطة الانجليز على الحكومة ، كنا احنا مستعدين نقاتل وكنا ننوى أن لا بد من خروج الاستعمار ، ولكن شعورنا ان الاستعمار اذا لم يخرج فان احنا سنحول الارض الى ميدان قتال ، بالنسبة لنا ، انتم حضرتم هنا فى السنين اللى حصل فيها اعمال الفدائيين وكثير منكم اشترك فى هذه الاعمال .

هذا اللى حققناه يوم ٢٣ يوليو اكثر من هذا ما نقدرش نقول ان احنا حققنا ، ابتدينا طبعا نحقق اهداف الحرية فى القضاء على الاقطاع اللى هو يمثل الهدف الثـانى من اهداف الثورة كان امامنـا تناقض مع المصالح القائمة ، الاحزاب التى كانت بتحكم والسياسيين ، واللى احنا اتصلنا بيهم ، وقلنا لهم تفضلوا تولوا السلطة ، ولكن حققوا لنا المبادىء الستة ، حددوا ملكية الأرض كان قدامنا احتمال من اثنين يا تمضى احتمالات الثورة مجرد احتمالات ، ونحقق الثورة الكاملة ونصفى كل ما هو متناقض مع الحرية واما ان تنقضى المصالح القائمة بقوة ما تملكه لتقود انقلابا لتستولى به على السلطة السياسية مرة ثانية ، زى ما كانت قبل ٢٣ يوليو وتقضى على كل امل فى الثورة .

حاولوا استنزاف مقاومتنا

الاربع سنين قبل السويس قبل العدوان، السنوات اللى وصفتها دلوقت فى كلامى بانها كانت سنوات الاستعداد والتأهب وسنوات التحفز وسنوات الحشد ، حاولت القوى المعادية للثورة بكل طريق ، حتى بالمساومات والغواية ، ان تستنزف المقـاومة وقدرة الاحتمال ، ولكن أصالة النضال المصرى ، استماتت فى تمسكها بهدفهـا حتى اضطر الاستعمار الى ان يفرض دمـوية الصراع ويعتدى علينا ليحتل بلدنا .

وكانت مفاجأة الاستعمار الكبرى ، فى معركة بورسعيد، ان الشعب المصرى لم يتردد ولم يتراجع ولم يستسلم وانما وقف شريفا شجاعا ، واجه المؤامرات ورفض الانذارات، وتصدى للجيوش ، والاساطيل ، وتحمل الغـارات التى تعرضت بورسـعيد لأعنف موجاتها فى يوم واحد ، عاشت بور سعيد تحت ارهاب ٣٧١ غارة جوية ، انحرقت احياء فى بور سعيد وتهدمت بيوت فى بور سعيد ولكن لم تتهدم مبادئها ، ابدا قويت ، وهذا كان اساس النصر وفشل العدوان ، وابتلع البحر جيوش المعتدين بالهزيمة .. كما قذف بهم قبلها على شواطئها بالحقـد المجنون .

قصة الاخوان مع الثورة

السنوات الاربع قبل معركة بور سعيد سنوات الاستعداد والتأهب والحشـد ، حاولت القوى المعادية للثورة بكل طـريق ، انها تقضى على الثورة .. تقضى على المقـاومة واصطدمنا بالاحزاب ، واعلنا قانون الاصلاح الزراعى وقالوا أن قانون الاصلاح الزراعى لن ينفذ ، ولكن تصميم الشعب المصرى مكن من تنفيذ قانون الاصـلاح الزراعى ، وحلت الاحزاب .

واصطدمنا مع حزب الاخوان المسلمين ، فى الاربع سنين ، سنة ٥٣ و ٥٤ وكـان الاخوان المسلمين فى هذا الوقت يريدوا ان يؤثروا على احتمال الثورة ، ويعملوا من

نفسهم أوصياء على الثورة ، واختلفنا وأعلنوا الحرب علينا وأطلقوا على الرصاص فى سنة ٥٤ يوم ٢٩ اكتوبر فى اسكندرية وبدأ صراع واعتقل اعضاء الارهاب فى حزب الاخوان المسلمين وحوكموا .

فى سنة ١٩٥٤ كنا بنتفاوض مع الانجليز علشان الجلاء، وفى نفس الوقت كان الاخوان المسلمين يعقدوا اجتماعات سرية ، مع اعضاء السفارة البريطانية ، وقالوا لهم ان احنـا سنستطيع ان نستولى على السلطة ، سنستطيع ان نعمل كذا وكذا ، وتفاوضوا معانا ، وكان الاخوان المسلمين كحزب لايمثل ابدا الشعور اللى بنشعر بيه فى مصر ، المرشد فى حزب الاخوان المسلمين فى هذا الوقت ايام ما كنا بنحارب فى القنال ، سئل ايه موقفكم من الحرب فى القنال ؟ قال : احنا والله دعوة واسعة انتم هنا فى مصر قد تكون مصلحتكم ان تحاربوا فى القنال ؛ واحنا نرى ان المصلحة ان نحارب فى بلد اخر .

دى دعوة الاخوان المسلمين كلام كله تضليل وكلام كله تجارة بالدين ، فى سنة ١٩٥٣ كنا نريد فعلا مخلصين ان احنا نتعاون مع الاخوان المسلمين، على ان يسيروا فى الطريق الصحيح ، والطريق السليم وقابلت المرشد العام للاخوان المسلمين .. وقعد وطلب مطالب .. طلب ايه .. اول حاجة قال لى يجب ان نقيم الحجاب فى مصر ونخلى كل واحدة تمشى فى الشارع تلبس الطرحة ، وأنا قلت له يعنى اذا الواحد قال هذا الكلام يقولوا رجعنا لايام الحاكم بأمر الله اللى كان بيخلى الناس ما يمشوش بالنهار ، ويمشوا بالليل ، وانا فى رأيى ان كل واحد فى بيته هو اللى ينفذ هذا الكلام ، فقال لى لا انت باعتبارك الحاكم المسئول قلت له يا استاذ انت ليك بنت فى كلية الطب مش لابسة طرحة ولاحاجة ملبستهاش طرحة ليه اذا كنت انت مش قادر تلبس بنت واحدة اللى هيه بنتك طرحة ، عايزنى انا انزل البس ١٠ مليون طرح فى البلد بعدين المرأة متشتغلش .. انا فى رأيى ان المرأة حينما تعمل نحن نحميها لان اللى بيضلوا ، بيضلوا ليه من الحاجة من الفقر ، بنعرف واحدة انها عيانة أو امها عيانة ، ولم تجد فلوس كلنا نعرف الحكايات اللى كانت بتحصل بهذا الشكل .. اضطرت تفرط فى نفسها .

اذن العمل هو حماية للمرأة اما منع المرأة من العمل هو ضد صالحها ، نحن فعلا نحرر المرأة بأن المرأة تعمل وتتكاتف مع الرجل .. طلب حاجات بقى بعد كده بأن نقفل السينما ، ونقفل المسارح حنخليها ضلمة مكنش ممكن طبعا نعمل هذا . ابتدأوا معانا بعد الحاجات دى وبدأوا فى ١٩٥٤ بالتضليل تحت اسم الدين ، وبدأوا محاولة الاغتيال ، وفى نفس الوقت اقيمت محكمة الثورة .

تآمروا بعد العفو

فى السنة اللى فاتت سنة ١٩٦٤ قبل الدستور قلت عفا الله عما سلف ، وطلعتهم كلهم من السجن ، وعملت قانون يرجع كل واحد فيهم الى عمله بماهيته ويأخذ دوره فى الترقى ، بدون شك فى سنة ١٩٦٤ عملت هذا القانون ، وطلعوا .

فى سنة ١٩٦٥ مسكنا مؤامرة الاخوان الجديدة الجهاز السرى وخطة الاغتيالات والتدمير، وكلام الواحد اما يشوفه يستغرب بيقولوا ان كل هذا الشعب شعب كافر محدش مسلم وهم عليهم ان يستولوا على السلطة وربنا اللى يحكم مش الانسان اللى يحكم . طيب ازاى ربنا حيحكم الا اذا كان فيه رسول .. كلنا عارفين فى اول الاسلام ، كان هناك رسول ، بيقول لك ان احنا نرفض التمثيل الشعبى ونرفض البرلمان ونرفض كل هذا .

المرشد خليفة الله ؟!

ولكن حكم الله من حكم اله المرشد أكبر واحد فيهم هو خليفة الله وهو رسول الله واحنا كلنا كفرة ، مش احنا بس كل العالم كل الدول العربية ، حتى اللى هم قاعدين

فيها النهاردة ، وكل الدول العربية دى كافرة بملوكها برؤسائها ، بكل واحد فيهم كافر ، ده الكلام اللى قالوه ومحدش مسلم غيــر الاخوان المسلمين .

لم نقبل اغتيال الشعب

طبعا اعتقل واعتقلنا ايضا جميع تنظيمات الاخوان المسلمين الاخيرة ، وقلنا ان العملية مش عملية دقيقة ، العملية مش عملية اغتيال عبد الناصر اغتيال جمال عبد الناصر حيطلع ألف واحد جمال عبد الناصر ولكن اغتيــال الشعب لا يمكن ان احنا نقبله بأى حال من الاحوال والتدمير ثم الفاشستية اللى بينادوا بيها بأنهم بيحكموا باسم الله ، وهم فى هذا لا ينفذوا أى شيء ولا يقصدوا أى شيء الا أن يكون فيه حكم فاشيستى فعلا .

مصير المتآمرين

وبدأنا نستعرض حالاتهم كلهم ، الناس اللى اشتركوا فى هذه التنظيمـات السرية كلهم حيتقدموا للمحاكمة، الناس الخطرين اللى افرجنا عنهم سنة ١٩٦٤ وكانوا اساسا يمثلون رؤوس فى الجهاز السرى او اعضـاء خطرين .. دول حنعتقلهم بعد كده الباقين يطلعوا ونفرج عنهم ونديهم فرصة ثانية بعد كده اذا أى واحـد منهم لعب بديله بنعتقله ومش حنخرجه ابدا من المعتقل .. كفاية

احنا لا نستطيع ان نقامر بمكاسبنا اللى حققناها فى الـ١٣ سنة اللى فاتت ولانستطيع ابدا ان نتهاون فى مصيرنا او نسلم انفسنا لاعوان الاستعمار والرجعية مهما كان اسمهم ولو كان اسمهم اخوان مسلمين احنا كلنــا تعرف ان الاسلام فى هذا ليس الا خديعـة علشان يضحكوا بها على عقول الناس وينضموا لهم اما هم لا هم مسلمين ولا هم اخوان انما حاقدين الحقد يملأ قلوبهم يملأ نفوسهم ..

قياداتهم موجودة فى الخارج تعاونوا مــع حلف بغداد تعاونوا مع الدول الاستعمـارية تعاونوا مع جميع اعدائنا تعاونوا مع الرجعية العربية .

الاخوان عملاء للاستعمار والرجعية

وأثبتوا بالدليل الواضح ان حزب الاخوان المسلمين او حركة الاخوان المسلمين ليست الا حركة تعمل لحساب الاستعمار وحساب الرجعية يمولها الاستمار وتمولها الرجعية، ونحن حسب مبادئنــــا لن نسمح لاعوان الاستعمار ولا اعوان الرجعية ان يكون لهـم اى مجال ولا اى نشاط بيننا لاننا بهذا نؤمن مستقبلنا ونؤمن النجاح اللى حصلنا عليـه قاموا هم فى سنة ١٩٥٤ وحاولوا انهــم يضربوا الثورة فكانوا بهـذا يخدموا مصالح الاستعمار لان الانجليز كانوا موجودين وكنا اتفقنا على الجلاء وكان مفروض ان الجــلاء سيتم فى خلال عشرين شهر قاموا هم وحاولوا القيام بالاغتيالات بدأوا بمحاولتهم اغتيـالى وانا فى الاسكندرية واستطعنا ان احنا نضربهم ونقضى عليهم .

الشعب كشف الاخوان

والشعب فى هذه الايام كشفهم والشعب فى هذه الايام عرفهم ونبذهم وبعـد كـده جينا نديهم فرصة جديدة ولم يقبلوا ان يأخذوا بهذه الفرصة الجديدة .

زى ما قلت فى السنين الاربع اللى قبـل معركة بورسعيد حاولت كل القوى المعادية للثورة بكل طريق انها تضعف الثــورة او تقضى عليها او تستنزف طاقاتها ولكنهـا لا تستطيع الشعب المصرى لم يتراجــع ولم يستسلم وكانت النتيجة الحتمية لصلابتنا وتصميمنا على ان ننال الحرية الحقيقيــة الكاملة ، ان حدث الصدام الدموى ، وحدث العدوان وفشل العدوان .

البداية الحقيقية لعصر الحرية

بعد فشل العدوان نقول انه بدات فعـلا البداية الحقيقية لعصر الحرية ، الذى كنـا نسعى اليه ، واللى كان آباؤنا بيسعوا اليه ، واللى كان أجدادنا بيقاتلوا من أجله ، بعـد

فشل العدوان كانت فعلا البداية للثورة . لم يبق ايها الاخوة على ارض الوطن بانتصاركم **فى بور سعيد ظل أو شبح للاحتلال الاجنبى** او لوجود اجنبى او لنفوذ اجنبى . خرجوا الى غير رجعة .

اقتصاد وطنى

وفى نفس الوقت هم خرجوا يوم ٢٣ ، احنا يوم ٣١ أممنا كل الاموال الفرنسية والانجليزية واستعدنا فعلا المصالح الاقتصادية اللى كانت منهوبة وكانت مستباحة . وبدأ فعلا بعد كده العمل من اجل ان يكون الاقتصاد اقتصاد وطنى . بعد كده اممت المصالح الاجنبية الاخرى غير الانجليزية والفرنسية ، ومكنش معقول بأى حال من الاحوال ان يستمر ١/٢ ٪ من السكان فى الحصول على ٥٠ ٪ من الدخل القومى .

معركة بور سعيد نفسها حددت معايير اعادة توزيع الثروة . النصر اللى حققتموه فى بورسعيد هو اللى دعم هذه المعركة .

الـ ١/٢ ٪ الذى كان يحصل على اغلبية الثروة كان وقت المعركة هو الجزء الذى لم يتصور ، ولم يتحمل القطيعة الكاملة والصدام الحاسم ضد الاستعمار . لانهم اساسا كانوا هم أصدقاء الاستعمار . كانوا يملكوا الوطن ولا يعيشوا فيه ولا يعيشون له. وكانوا يملكوا الثروة طبعا فى نفس الوقت كان المذهل أن الاغلبية الساحقة التى تعيش فى الوطن وتعيش للوطن ولا تملكه انتم .. الشعب اللى ما يملكش حاجة هو اللى تحمل وطأة الحديد والنار .. معركة بور سعيد حددت .. معركة بور سعيد قطعت .. الناس اللى بيعيشوا فى الوطن وبيعيشوا ليه هم الناس اللى يجب ويحق لهم ان يملكوه اما النص فى المائة الذى كان يسلب ويستغل ، لا يمكن ان يستمروا وان يملكوا ثروات الوطن. هكذا ايها الاخوة سقط فى ضمن ما سقط خلال معركة بورسعيد عصر الحياة للنص فى المائة من السكان على حساب الغالبية العظمى الساحقة كان ذلك امل الحرية الحقيقية يصنع نفسه بالعزة والكرامة على الارض المصرية .

١/٢ ٪ هم اللى كان عندهم كل شىء ، عندهم العربيات ، عندهم البيوت ، عندهم العمارات ، عندهم الشركات ، عندهم الارض، عندهم المصانع ، عندهم كل حاجة ، واولادهم هم اللى بياخدوا كل شىء ويبورثوا ، لما الواحد من دول بيموت ابنه بيطلع يرث ١٠٠ الف جنيه ، ٢٠٠ الف جنيه ، الف فدان ، ٢٠٠٠ فدان ، اذن نص فى المائة بيعيش على ٥٠ ٪ من خيرات البلد ، وبعدين يقفوا يكلمونا ، ويقولوا لنا نقاوم الفقر والمرض والجهل ازاى ؟ ازاى نقاوم الفقر والمرض والجهل ازاى ازاى سمعنا من اول الواحد ما طلع وابتدا يوعى فى البلد دى، وهو بيسمع مقاومة الفقر والمرض والجهل ـ مقاومة الفقر والمرض والجهل بايه طالما ان معاكم ٥٠ ٪ من ثروة البلد ، وطالما ان ما بيهمكوش اللى بيتولدوا بيشتغلوا او ما بيشتغلوش ، عاطلين او غير عاطلين . كان فيه جيش جرار من العاطلين ـ اللى بيهمكوا انكم بتطلعوا بره فى الصيف ، كل واحد يروح اوروبا يصيف ويتفسح ويستشفى شهر او اثنين او ثلاثة يعمل سياحة ـ الفلوس اللى محوشينها موجودة برة فى البنوك وفى المصارف ، ومافيش حاجة ابدا صعب عليهم . كل الحياة المرفهة ليهم اما الشعب الشعب بيعملوا له مصلحة ضمان جماعى تدى المحتاج منه حسنة ـ صدقة . ده كان مجتمع النص فى المائة .

هل احنا اللى طلعنا ونادينا بالثورة والاستقلال والحرية كنا نرضى ان نبقى فى مجتمع النص فى المائة نص عايش وتسعة وتسعين ونص ، اما مش عايشين او عايشين على الفتات نص فى المائة اخد نص الدخل القومى وواخد ناتج عمل الباقى ـ العامل بيعمل ويستحق ٢٥ قرشا او ٣٠ قرشا بياخد ١٢ قرشا ، الباقى بياخدهم مين الطبقة السائدة الحاكمة .

النص فى المائة اللى عنده نص الدخل القومى او العامل الزراعى اللى بيجى يشتغل

فى المواسم بخمس قروش عشر قروش على الاكثر بقية السنة عاطل - تبقى بلد ايه - بلد النص فى المائة اما الـ ٩٩٫٥٪ مالهمش حاجة لهم الفقر رغم ما يقوله الحكام عن الضمان الجماعى ومقاومة الفقر والجهل والمرض .

هل كنا نقبل ان احنا نعيش فى مجتمع النص فى المائة ؟ يعنى ايه ان احنا نعيش فى مجتمع النص فى المائة ؟

يعنى ما نصنعش ما نصلحش ارض ما نعملش السد العالى ما هو المجتمع النص فى المائة ؟ لو انا من النص فى المائة دول انا عايز السد العالى ليه - انا عايز السد العالى علشان الناس تطلع تشتغل وتتعلم . طيب انا النص فى المائة المستغل انا عايز الناس تطلع تتعلم علشان يعملوا ثورة على !! - انا النص فى المائة اللى ناهب ثورة البلد انا ليه يهمنى أن الناس تتعلم بيهمنى الناس ما تتعلمش بيهمنى الناس تفضل مغمضة ماتفتحش نص فى المائة اللى بتحكم واللى بيستغل مايهموش ابدا الناس تتعلم ولايهمه ان تبقى صحتها كويسة ولا يهمه ان الناس تشتغل بل بالعكس يهمه ان يكون الناس فى بطالة علشان ييجو يتذللوا له علشان يشتغلوا .

كل واحد يجى يبوس الايد ويبوس الرجل علشان يشتغل شغلة باربعة جنيه أو بثلاثة جنيه . كلنا عارفين ازاى كان ده بيحصل قبل الثورة . المجتمع اللى بيحكم ، المجتمع اللى يحصل على نص الدخل القومى عايز يعمل سد ليه ؟ ها يعمل ارض لمين . للفلاحين . وليه الفلاحين ياخدوا ارض ويفتحوا عنيهم ؟ ها يعمل ارض ليه . ما هى عنده الارض !!

المشروع السد من سنة ١٩٢٠

ما هو مشروع السد العالى ده موجود من سنة ١٩٢٠ .. حدش فكر ابدا ينفذه بيدينا ٢ مليون فدان ويحول لنا ٧٠٠ الف فدان حياض . مجتمع حكم الطبقة ، تحالف الرجعية تحالف الاقطاع مع راس المال ، تحالف الرجعية مع الاستعمار ، لا يمكن انه يقبل . العملية سهلة . بيقول لك المجتمع حر ، كل حاجة فيه حرة الحكومة مالهاش دعوة ، الناس عايزة تعمل مصانع تعمل مصانع - طيب انا اللى مش لاقى آكل ها اعمل مصانع ؟ ازاى اللى مش لاقى ياكل مش ها يقدر يعمل مصانع - مين اللى ها يقدر يعمل مصنع - اللى ها يقدر يعمل مصنع هو اللى عنده فلوس يعنى نص فى المائة برضه - اللى هايروح يجرى يشتغل فى المصنع ده الناس مش لاقيين شغل طالما .. ان الناس مش لاقيين شغل عدد كبير .. اذا بيقبلوا بأى اجر يعطى ليه ..

مين اللى يكسب

اذا مين اللى يكسب .. يكسب الطبقة المستغلة تحالف الاقطاع مع رأس المال .

عملية سهلة خسرت أموال أو ما خسرتش اموال هم لا يهمهم ، وزى ما قلنا فى سنة ٥٢ الاستثمار فى الصناعة كان ٢ مليون جنيه - يعمل خطة ليه .. ده هو عايز الناس كلها ، لهى لاقيه تاكل ولا تتعلم . يدوب كل واحد ياخد أجر يؤكله الضرورى . ولا تتعلم ولايديها خدمات بحيث يبقى الكل عبيد له والكل يجروا وراه يترجوه ، والكل يروحوا له بكروت . ده عايز يشغل ابنه ، وده عايز يشغل كذا وده عايز يعمل كذا .

كلنا نعرف قبل الثورة اللى كان بيطلع من كلية الحقوق كان بيشتغل فين ، اللى كانوا بيخرجوا من الجامعة كانوا بيروحوا فين . ما عدا ولاد النص فى المائة ومحاسيبهم اللى بيخدموهم واللى عارفينهم . بيروحوا فين بيروحوا - هل بيشتغل كان بشهادته الجامعية؟ يقولون له مافيش محلات . يشتغل شغلة بسبعة جنيه ونص لغاية ما يفضى محل . اذا فضى محل مايهمهمش . مجتمع النص فى المائة مجتمع الاستغلال مجتمع الطبقة .

العملية بالنسبة لنا احنا بعد الثورة تبقى عملية سهلة قوى ، ان احنا نعيش فى مجتمع النص فى المائة ، ولا نعذب نفسنا ولا نحتاج جهد ولا نقول خطة ، ولا استثمار ولا ادخار

الشعب والمستقبل لكل الشعب مش الحياة لطبقة الرأسمالية الاقطاعية ، والمستقبل لها والفقر للشعب والاهمال للشعب .

خرج ايضا الشعب المصرى بعد بور سعيد، انه لامته العربية ومن الامة العربية ، وخرج ايضا .. انه للحرية فى كل مكان ، الشعب المصرى الذى نادى بالحرية انه للحرية فى كل مكان ، ومع الحرية فى كل مكان وايضا انه للسلام ، على كل ارض ، ومن اجل السلام، كل دى مبادىء مترابطة .

هدفنا مجتمع الـ ١٠٠

منطلق هذه المبادىء جميعا رفض مجتمع النص فى المائة اللى كنا عايشين فيه قبل الثورة ، مجتمع النص فى المائة بيجد الراحة داخل حدوده وفى العزلة وحصل وكنا معزولين ، ومالناش دعوة بالامة العربية ، ولا بالشعب العربى ، بعد أن صممنا .. أن نكون مجتمع المائة فى المائة ، اعلنا بصراحة اننا للامة العربية كلها واننا من الامة العربية وجزء من الامة العربية .. مجتمع النص فى المائة حكم الطبقة المستغلة حكم تحالف الاقطاع مع رأس المال ، تجد الحماية دائما من قوى الاستعمار ، يتحالف مع الاستعمار سرا او علنا .. عندنا امثلة فى المنطقة بتاعتنا ، كتير يتحالف مع الاستعمار ، ويحقق للاستعمار مصالحه والاستعمار يحميه ، مجتمع النص فى المائة ما يهموش السلام ، لانه بيقدر يضاعف ثرواته فى وقت الحروب ، ويأخذ الغنيمة او يأخذ لقمة من الغنيمة ، زى ما عملوا هنا فى وقت الحرب العالمية الثانية .

احنا مجتمع المائة فى المائة بنقول ان النضال الوطنى الاصيل ، ثورتنا ، نضالنا الوطنى ، الحرية التى نسعى اليها ، كل هذا .. لا يمكن لنظامنا الوطنى ان يصاب بازدواج الشخصية ، اوضاع الوطن فى الداخل هى التى تحرك الوطن فى الخارج .

أصبحت لنا قيمة عالمية

نبص فى الاول قبل الثوره برة كانت قيمتنا ايه العالمية ، ماكانش لنا قيمة عالمية ، أبدا ماحدش يدينا قيمة عارفين أن الانجليز هم اللى بيحكموا .. بعد الثورة ابتدأت تبقى لنا قيمة عالمية ، ليه لان احنا بقينا احرار فى الداخل وعندنا حرية فى الداخل اذن كل العالم يحترمنا .

طبعا وأنا باقول النص فى المائة النص فى المائة بيساوى واحد فى المائة ويساوى ٣ ٪ ويساوى ٥ ٪ لان ممكن طبعا الطبقة تكبر ، ناس تدخل ضمن الطبقة والطبقة تبقى ٥ ٪ ، يبقى ٥ ٪ عايشين ٥٪ لهم كل شىء ٥ ٪ لهم كل الثروة أو لهم نص الدخل القومى او اكثر و ٩٥ ٪ مالهمش ٥ ٪ بيتحكموا ٥ ٪ يمثلوا الطبقة .. تحالف الاستعمار مع الرجعية يمثلوا الطبقة تحالف الاقطاع مع رأس المال وحوالينا بلاد كثيرة بتحكم بهذا الاسلوب واراحت نفسها بالعزلة ، وحمت الرجعية نفسها بالتواطؤ مع الاستعمار ، واستعادت الرجعية ، استفادت الطبقة المستغلة ، والنص فى المائة او الخمسة فى المائة من الاحلاف الظاهرة ، ومن الاحلاف الخفية ، واصبحت هذه البلاد قواعد لهجمات الاستعمار العسكرية او السياسية او الاقتصادية او الدعائية ضد الناس اللى بترفع رؤوسها فى مواجهة الاستعمار .

لا نقبل مجتمع نصف المائة

احنا لا نقبل مجتمع النص فى المائة مجتمع الطبقة، ولا مجتمع الخمسة فى المائة لان هذا المجتمع فى البلاد اللى هو عايش فيها ، البلاد اللى فيها حكم هذا المجتمع مشاكلها كلها مدفونة مع مصالح جماهيرها، والجماهير تضغط من فوقها عناصر الطبقة المسيطرة .. والطبقة المستغلة حكم النص فى المائة حكم الطبقة .. حكم تحالف رأس المال مع الاقطاع لا يواجه مشاكل التنمية مثلا .

- ابدا - تريح نفسنا ونقول لكم احنــــا مالناش دعوة . هانحكمكم وننضم للطبقـة وهم كانوا يرحبوا بنا قوى .

ومجتمـع هـو كويس ومجتمـع طرى ، ومجتمع كويس ويريح مش مجتمع شــقاء وعذاب وغلب - مجتمع سهر .. ســهـر ورقص - يعني الواحد لو عايز يريح نفســه كان بعد الثورة ، يعني الواحد بعد الثـورة لو كان راح انضم لهم كان استريح !! ماكانش شاب اه. لو كنا كده ماكناش عملنا ثورة ثم احنا كنا كويسين طيب ما انا كنت كويس انا واحد سالني في معسكر الشباب

بيقول لي انت اشتركت في الثورة عشان الحافز الشخصي قلت له حافز شخصي ايه ده انا طلعت يوم ٢٣ يوليه وبنسبة كبيرة ان انا ما ارجعش !. كنا عدد قليل قوى . كنا تسعين واحد . احتمال نرجـع البيت او ما نرجعش احتمال ما نرجعش اكبر قــوى من احتمال نرجع اذا ماكانش وازع شخصي ولا طموح شخصي كانت تضحية وكانت ثورة واحد طالع علشان يموت مش طالع علشان يعيش ابدا .. دى المبادىء اللى طاهنا بها ، ودى المبادىء اللى خلتنا مشينا فى الســكة اللى احنا ماشيين فيها لغاية النهاردة .

لو كنا رحنا انضمينا لمجتمع الحفــلات والطبقة وسرنا استمرارا لتحالف الاقطاع ، مع رأس المال بالنسبة لنا شخصيا كان ، يبقى الموضوع اريح ولكن طبعا لو كنا كده ما كناش أبدا فكرنا فى الثورة كنا مشينا .. انا قبل الثورة كنت ضابط كبير فى الجيش عنـدى عربية عندى عائلتى ، عايش كويس عنـدى اولادى ، وبالنسبة لى انا ما كانش ينقصنى ينقصنى حاجة كتير .

اذن العملية من اجل شعب مصر من اجلكم انتم من اجل الشعب . المبادىء الستة اللى اعلنت يوم الثــــورة والاعمال التى عملت مارضيناش ابدا ، ان الامور تجرى كما كانت تجرى ، وان القلة الممتازة تبقى على القمـة وان حكم الطبقة يفضل قلنا لابد ان يهــزم حكم الطبقة المستغلة ، تحالف الاقطاع مـــع رأس المال ، تحالف الرجعية مع الاستعمار ، ونقيم بدلا من ذلك تحالف قــوى الشعب العاملة - العمال والفلاحين المثقفين الجنود الرأسمالية الوطنية .

دى الثورة . الكلام الاولانى لا يحتاج الى تخطيط ولا خطط حكم الطبقة ولا تصنيع ولا مصانع ولا اوض جديدة ولا ســدود ولا كهربة ولامفاعلات ذرية ولا الكلام اللى بنعملوا النهاردة .. اهو على كل شوية انتخابات ويوزعوا لهم قرشين ويقولوا لكم شـــوية خطب . وحزب الاغلبية بياخد الحكم لغاية الانتخابات الجاية وهكـذا كلنا كنا عـارفين ازاى يفضل الفلاح للفقر والجهل والمرض ، ويفضل العامل المصرى نفاية ، تعتصر الالــة الرأسمالية كل حياة فيها ثم تتركها لمصيرها.

بارادة الثورة

لكن الشعب المصرى بارادة الثورة وبارادة الحرية . مش من ايامنا من قبلنا اباءنا . يوم كانوا بيقولوا يحيا الاستقلال ويستشهدوا واجدادنا .

الشعب المصرى من قبلنا بارادة الثــورة وارادة الحرية أوضــح وأثبت وصمم على رفضه المطلق لمجتمع النص فى المائة لطغيانه ولاستغلاله الشعب المصرى .

صمم على ان يبنى مجتمع المائة فى المائة . البلد تبقى للمائة فى المائة ما تبقاش للنص فى المائة ده كان اختيار الشعب المصرى المجيد ولكنه ايها الاخوة كان ايضا اختيار الشعب المصرى صعب. سهل قوى ان أعيش نصف فى المائة واديهم مستوى كويس فى المعيشة ، واخلى الـ ٩٩٫٥ ٪ يخدموه صعب قــوى ان انا اعيش المائة فى المائة . بنعوز عمل وجهد ولكنه اختيار مجيد وفى نفس الوقت اختيار صعب . ماكانش طبعا هذا الاختيار الصعب داخل الحدود بس. كان داخل الحدود وخارج الحدود . الشعب المصرى خرج الى عصر ما بعد السويس بخطوط رئيسية .. الحياة للكل والمستقبل لهم - الحياة للكل .. لكـل

مجتمعهم لا يواجه التنمية

لمين التنمية ؟ ليه التنمية ! التنمية اللى بنتكلم عليها فى بلادنا .. ليه ؟ التنميــــة للمستقبل .. طبعا حــكم الطبقة يريد ان يحصل على كل ما يستطيع الوصول اليه ، كلنا بنفتكر حكم الوزارات عندنا فى الماضى ، كل وزارة بتيجى سنة، ست اشهر، سنتين ، عايزة فى السنة او السنتين تاخذ اكبر ما تقدر تعمله .

الانصار والناس ، عايزين شوية مصارف عايزين شوية ترع .. عايزين شوية طرق ، بتتعمل العملية دى كل سنة او سنتين .. الخدمات للطبقة الحاكمة والطبقة المستغلة ، وطبعا اذا كان فيه حديث عن التنميـــة او حديث عن الضمان الاجتماعى فكل ده يكون ستار للاستغلال ، التنميـــــة تكون ستار للاستغلال ، تطرح المشاريع لتكون وسيلة لزيادة تكديس الثروات ولزيادة تراكم الارصدة المهربة الى الخارج .

.. او التخطيط

البــلاد زى ما كنا قبل الثورة بيحكمها نص فى المائة او للى فيها حكم الطبقة نص فى المائة او ٥ فى المائة لا تواجه مشاكل التخطيط لمن التخطيط ؟ اقرب السبل الى تحقيــق اكبر قدر من الاستغلال لا يحتاج الى تخطيط، لا يفكر فى الصناعة الثقيـــلة لا يفكر فى السدود ولا يفكر فى الكهرباء ، ايه اللى يغريه يعمل مشروع زى ما قلنا مشروع الســـد العالى يصرف مشروع السد العــالى ٤٠٠ مليون جنيه لسه ما خدناش فوائد من ال ٤٠٠ مليون جنيه ، حتيجى الفوائد بعد كده ، بل بالعكس صرف ٤٠٠ مليون جنيه بيعمل لنا مشاكل لانه بينزل فى السوق ٤٠٠ مليون جنيه .

او الاستهلاك

لا يواجه مشاكل الاستهـــلاك ، حكم ال **نص فى المائة من الاستهلاك لمن الاستهلاك مين** خيستهلكوا ايه؟ اذا كانت الناس ماتشتغلش حتستهلك ايه ، اذا كانت النـــاس عاطلة » حتستهلك ايه ! اذا كان العامل بيشتغل بـ ١٢ قرشا ، حيستهلك ايه ، واذا كــان الفلاح بيشتغل بعشر قروش، او بتمن قروش حيستهلك ايه ؟ مين بيستهلك ! ال نص فى المائة والناس المقربين ليهم ، استولوا على كل طلباتهم سهل قوى كل طلباتهم بتيجى من الخارج مستوردة ال نص فى المائة هم اللى بيستهلكوا الاستهلاك الحقيـــقى هى اللى عندهم الثروة ، عندهم نصف الدخل القومى وبقية الناس ٩٩٫٥ ٪ عندهم نصف الدخل القومى الثانى .. اد ايه الدخــل القومى ده .. لما قامت الثورة كان الدخــل القومى ٨٠٠ مليون جنيه نص فى المـــائة بياخدوا ٤٠٠ وال ٩٩٫٥ بياخــدوا ٤٠٠ ، نص فى المائة عندهم ٤٠٠ مليون جنيــه يشتروا منها استهــلاكهم ، وال ٩٩٫٥ ٪ عندهم ٤٠٠ مليون جنيه يادوبك كل واحد يقدر يكفى نفسه او ما يكفاش .

مجتمعنا يختلف عن ذلك

مجتمع ال ١٠٠ ٪ بيختلف .. النهاردة الدخل القومى بدل ما كان ٨٠٠ مليون جنيه، فى الشهر الثالث لسنة ٥٩ ، ١٧٦٢ مليون جنيه .. لكــن لمين للنص فى المائة لا .. لل ١٠٠ ٪ ، للشعب كله ، مفيش ال نص فى المائة مفيش الطبقة المستغلة التى كانت تملك الثروات تملك المصانع ، وتملك الارض الى آخر كل شىء .. وتملك كل شىء مجتمع النصف فى المائة لا يواجه مشاكل الاستهلاك ولا يواجه مشاكل الادخار .

الادخـــار

الادخار فى مفهومه هو الادخار الشخصى فى البنوك الاجنبية فى الحسابات السرية فى سويسرا ، هو ده الادخار ولكن مش ضرورى ابدا يكون ادخار علشان الاستثمار ولا يواجه مشاكل زيادة السكان ، اذا اراد السكان انهم يزيدوا ، يزيدوا ويأكلوا اذا لقوا أكل يأكلوه واذا ما لقوش يأكلوا الجوع ، يأكلوا اى حاجة ده المجتمع الطبقى مجتمع تحالف الاقطـاع مع رأس المال ، اذا مالقوش العيش والبصل

والقول ده فلسفة تحالف الاقطاع مع راس المال .

الشعب المصرى بالثورة رفض هذا كله الشعب المصرى بثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وبالثورة المستمرة رفض هذا المجتمع كله ، كسر هذا المجتمع كله ، وصمم على ان يقيم مجتمع تحالف قوى الشعب العاملة ، مجتمع الـ ١٠٠ ٪ مجتمع الشعب كله رفض مجتمع النص فى المائة ، واختار الشعب المصرى طريق الحرية ، ولكنه فى نفس الوقت اختار الطريق الصعب ، سهل قوى ان انا اوفر مبلغ من المال لـ نصف فى المائة اما اقول الـ ٤٠٠ مليون جنيه دول بيروحوا للنصف فى المائة سهل توزيعهم لكن تعالى بقى اذا كنت عاوز تدى نفس النصيب لل ٩٩٫٥ فى المائة يبقى عايز كام .. يبقى عايز ٤٠٠ مليون × ٩٩ × ٢ مالية كبيرة خالص .. اذا كنا عايزين نعيش بالطريقة اللى كانوا عايشين بيها .. اذن الشعب المصرى اختار الطريق الصعب .. ولكن اختار الطريق يحقق للشعب كله الحرية فى عصر ما بعد السويس .. بعد بورسعيد الشعب المصرى وضع خطين .. الخطين دول حكما مسيرته الى الآن فى عمله الداخلى ، الكفاية والعدل، والكفاية يعنى لانتاج نفضل ننتج لغاية كل واحد فينا ما يأخذ كفايته . والعدل يعنى عدالة التوزيع واذابة الفوارق بين الطبقات، الكفاية والعدل، وهل نقدر نعمل ده فى يوم وليلة ، ونعمله ازاى فى يوم وليلة ، كنا عشرين مليون يوم الثورة النهاردة الحمد لله زادوا الى ٣٠ مليون .

نريد الكفاية

طيب عايزين كفاية حققنا العدل وزعنا عملنا على اذابة الفوارق بين الطبقات ، عايزين الكفاية بقى ولما نحقق الكفاية بنقول ان احنا حققنا الاشتراكية النهاردة واحد اداني جواب وبيقول انه عايز مسكن والا ازاى نبقى فى عهد لاشتراكية ، انا بقوله لسه يا ابنى مابقناش فى عهد الاشتراكية لسه ، يقوم فعلا لما نقدر نبنى لكل واحد مسكن جديد ، ومسكن مريح .. نقول ان احنا فى عهد الاشتراكية ، اما النهاردة احنا فى مرحلة انتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية نبنى بنشتغل علشان نقيم مجتمع الرفاهية ، وهذا لن نحققه الا

ليس عندى بئر ذهب

ما عنديش انا بير فى البيت بانزل فيه جردل ، واطلع ذهب علشان ادى الدكتور عبد المنعم القيسونى او زكريا محيى الدين ابدا .. زكريا محيى الدين ماعندوش حاجة عنده كام فدان مستعدين ناخدهم منه ماعندوش الراجل حاجة ما عندوش غير شجرتين مانجه فى البيت ما فيش حنجيب منين .. أنت عايز بيت حاجيب لك منين انا، البيت اللى يتكلف الف او الفين جنيه انا وانته وهوه وكل واحد فينا مع بعض نتكاتف ونبنى ندخر ونعمل بيت كفاية، لكنى ياريت انا النهاردة أقدر ادوس على زرار اطلع لكل واحد فيكم شقةولكلواحد بيت مفيش زراير أدوس على زرار أطلع لكل واحد تليفزيون وعربية مفيش ربنا قادر على كل شىء وربنا قال لنا اجتهدوا بالاجتهاد والعمل بنأخذ ربنا كان قادر يعطى كل واحد فينا ، وكل واحد من الناس كل شىء ، وكل اللى انتم عايزينه ، ولكن ليه حكمة ، حكمة الحياة ان احنا نكافح ونعمل علشان نحقق املنا ، والا كانت الحياة حياة مافيهاش كفاح مافيهاش نضال .

احنا قضينا على حكم الطبقة واقمنا حكم الشعب حكم الـ ١٠٠ ٪ .. تحالف قوى الشعب العاملة، اذبنا الفوارق بين الطبقات ، عملنا واممنا وسرنا خطوات .. اممنا البنوك واممنا شركات التأمين ، واممنا الصناعة والتجارة الخارجية ، والنقل ، كل الحاجات اللى عارفينها دى .. قلنا ده يجى مائة مرة طيب وبعد كده..طب ده العدل اذن الخطوة الثانية هى الانتاج ، لا تستطيع الاشتراكية او المبادىء الاشتراكية اللى احنا بنادى بيها، انها تغير فى يوم وليلة نتائج مجتمع الاستغلال .. نتائج حكم الطبقة وتحالف الاقطاع مع راس المال ، ابدا ولكن نستطيع بالعمل المستمر ان احنا نحقق سياستنا ،

اقلنا علشان الكفاية نعمل ايه بعد بور سعيد في سنة ٥٧ عملنا خطة صناعية كلفت ٣٠٠ مليون جنيه بدأت سنة ٥٧ وانتهت سنة ٦٠، في الوقت اللى بدأت فيه الخطة الخمسية الاولى ، فى الخطة الخمسية الاولى وجهنا ١٥١٣مليون جنيه للاستثمار مش كفاية طبعا هل الـ ١٥٠٠ مليون جنيه دول حيعملوا لنا ايه اذن خمس سنين حنعمل حاجة طب لو ما صرفتش الـ ١٥٠٠ مليون جنيه دول كان يحصل ايه ؟ ماتشتغلوش ولا اولادكم يشتغلوا ولا اللى يتخرج من الجامعة يلاقى شغل ، طب النهاردة الناس بتشتغل ليه ؟ فيه مصانع بتشتغل ، اللى بيتخرج من الجامعة، بيشتغل، فيه اصلاح اراضى بنشتغل مشاريع كهرباء بنشتغل ، فيه سدود الفلاح بيشتغل فيه اصلاح اراضى بنشغل الفلاح بيشتغل فى طرق لنشتغل ، فيه بنشتغل ، فيه بناء مساكن بنشتغل طيب .. السدود والصناعة والخدمات والطرق والكلام ده حا اعملها مجانا والا اعملها بفلوس .

صرفنا ١٥١٣ مليون جنيه

الخمس سنين اللى فاتت ، صرفنا ١٥١٣ مليون جنيه واما فى العدل عملنا الخطوات .. الشعب سيطر على وسائل الانتاج ، العامل شريك فى الادارة والربح ، ٧ ساعات فى اليوم ، اجازات والتأمينات والعمالة والتعليم الابتدائى، كان عندنا مليون النهارده عندنا ٤ مليون وفى سنة ١٩٥٢–٥٣انصرف على التعليم ٢٧ مليون جنيه ، ١٩٦٤–٦٥ من ٢٧ مليون الى ٨٦ مليون جنيه كان عندنا فى الابتدائى مليون طالب عندنا ٤ مليون عاوزين سنة ١٩٧٠ كل ولد فى البلد يكون له محل فى الابتدائى .. الجامعة كل واحد بيدخل الجامعة ، المعاهد العليا كل واحد بيدخل المعاهد العليا مش بالطبقة بالمجموع ملناش دعوة مين ابوه والا مين اهله، والا مين عيلته مفيش ، مش موضوعنا ، التعليم مجانا ، الجامعة مجانا ، فى العدل المعاشات طول عمرنا الحكومة بتخصم كانت ربع المعاش ، الحكومة تنازلت مفيش حاجة متعملتش ، التامين ، العمالة ، اللى اتخرجوا من الجامعة كل سنة يتعينوا اللى يتخرجوا من المعاهد الصناعية يتعينوا ، اللى اتخرجوا من المعاهد العليا بتعينوا ، واللى يتخرجوا من الثانوية الزراعية يتينوا ، كل واحد بيشتغل .. ده بالنسبة للعدل وبالنسبة للكفاية ، وبالنسبة للعمل السياسى ، توزيع السلطة السياسية لضمان الاستقرار ، سلطة الفلاحين والعمال بالنصر فى كل المجالس الشعبية وفى مجلس الامة ، الاتحاد الاشتراكى كتنظيم لقوى الشعب العامل .

مشينا من سنة ٦٠ الى ٦٥ سنوات اول خطة وسميناها سنوات التحول العظيم ، وانتهت الخطة الاولى ، والآن ابتدينا فى الخطة الثانية ، واجهتنا مشاكلها ، ايه المشاكل ده ، هل هذه المشاكل هى مشاكل النجاح او مشاكل الفشل ، لنبحث طبعا اختيارنا الصعب للحرية ، كان هو السبيل لو كنا والله مجتمع الـ نص فى المائة ماكانتش تقابلنا المشاكل ، اللى بياكلوا سكر ماكانوش بياكلوا سكر ، اللى بيشرب عشرة فناجين شاى يا دوب كان بياخد له كوباية شاى ، لان مفيش حد مابيشتغلش، طبعا هذا الطريق الصعب اذا ماكناش اخترناه كنا ضيعنا الحرية اللى نادينا بيها ، واللى قامت الثورة من اجلها ، واللى استشهد من اجلها اباءنا واجدادنا وضيعنا الحياة وضيعنا المستقبل ، وفضل الشعب فى مجتمع الـ نص فى المائة

ماذا حققنا فى ٥ سنوات

الخمس سنين اللى فاتوا عملنا ايه؟ استثمرنا ١٥١٣ مليون جنيه ، يعنى ايه استثمرنا ؟ يعنى شغلنا بنينا مصانع ، وصلحنا ارض ، وبنينا طرق وسكة حديد وخطوط اوتوبيس وكبارى ، الى اخر كل هذه العمليات وبنينا مساكن ، مجموع الفلوس اللى اندفعت فى العمليات ديه ١٥١٣ مليون جنيه ، طيب انا جبت الـ ١٥١٣ مليون جنيه منين ؟ انا لاعندى حاجة ولا زكريا محيى الدين عنده حاجة معندناش . الشعب اللى قال انه شعب المابة فى المابة هو اللى عليه يعمل وعليه يبنى ، عليه يعمل وعليه يبنى ، زودنا

الخدمات .. بقول عملنا ايه فى الاسكان .. العشر سنين اللى قبل الثورة فى الاسكان صرفوا ١٨ مليون جنيه من اول الثورة ، حتى سنة ٦٠ انصرف ٣٦٢ مليون جنيه للاسكان من ١٨ مليون جنيه الى ٣٦٢ مليون من اول الثورة لسنة ١٩٦٥ انصرف ٥٢٤ مليون جنيه للاسكان.. الحكومة صرفت .. التعليم قلت لكم عليه .

الصحة سنة ٥٣ كانت ميزانية الصحة ٦ مليون جنيه سنة ٦٤/٦٥ ، ٢٢ مليون جنيه ونصف ، العمالة سنة ٥٢ كان عندنا ٤ مليون ونصف عامل ، سنة ٦٤/٦٥ ، ٧ مليون و٣٣٣ الف عامل يعنى تقريبا ٧ ونصف ، اشتغلوا على الـ ٤ مليون عامل ونصف ٣ مليون عامل ٢ مليون فى مجتمع النص فى المائة مجتمع حكم الطبقة ماكانش ولا حد ولا نص مليون ، لان حيبنو مصانع ليه، وحيبنو سددد ليه ، وحيبنو طرق ليه ، وحيعملوا الكلام ده ليه .. مافيش داعى ابدا . التعليم مجانا الاجور ارتفعت الاجور سنة ٥٢ ، مجموع الاجور كان ٣٥٠ مليون جنيه، وصل ٦٤/٦٥ الى ٨٨٠ مليون جنيه ، الاجور اللى كانت بتتاخد سنة ٥٢/٥٣ كانت ٣٥٠ مليون جنيه ، ووصلت السنة اللى فاتت اللى احنا فيها ديه ٨٨٠ مليون جنيه فى مجتمع الـ نص فى المائة ، مجتمع حكم الطبقة يدوا اجور ليه يرفع الاجور ، ويجعل الحد الادنى ٢٥ قرشا ليه ، يعمل سبع ساعات ليه ، يعمل سدود ليه ، ما يعملش مافيش اجور يصلح ارض ليه ، طبعا النتيجة كده كله ان زاد الاستهلاك لان الاجور فبنقول اجور .

وبعدين لما أقول الاجور لازم أفتكر حاجة ثانية كمان .. الارض اتوزعت على الفلاحين المليون فدان . دى كانت ضمن ايراد الطبقة المستغلة ، النهاردة دى تعتبر كأجور عائد من الملكية ، وبينصرف مش محسوب ، غير الاصلاح الزراعى وغير التمليك ، وغير الحاجات دى ، دى الاجور اللى بتؤخذ نقدا .. اما بنضيف عليها المليون فدان بتوع الاصلاح الزراعى اللى اتوزعوا يطلع حوالى ٥٠ مليون جنيه ، او اكثر .. النهاردة الفلوس اللى بتتوزع فى البلد على هذه القاعدة الكبيرة .

طبعا عندنا مشاكل قابلتنا زيادة السكان من ٢١ مليون الى ٣٠ مليون وطبعا انا ما اقدرشى امنع زيادة السكان بقانون ، ولكن اذا ما كناش استثمرنا وزودنا الانتاج مع زيادة السكان، كان الحال يكون اسوأ .. فيه مشاكل يمكن نقول فيه تعقيدات بيروقراطية ، فيه تعقيدات فى بعض الشركات ، لكن كل دى مشاكل تنحل .. اهم شىء ان احنا عملنا .. اشتغلنا بالعمل وعملنا كمجتمع الـ ١٠٠ ٪ وليس كمجتمع النص فى المائة وانتجنا للمائة فى المائة مش للنص فى المائة.. واستهلكنا للمائة فى المائة مش للنص فى المائة واتعلمنا للمائة فى المائة مش النص فى المائة .

عملية المراجعة

ايها الاخوة ..

ما ظهر امامنا من نتيجة نجاح الخطة الخمسية الاولى هو الدافع الاول والوحيد الى عمليات المراجعة التى نقوم بها الان ، لنضمن بها نجاح الخطة الثانية .. الخطة الاولى استثمرنا ٥١٢ مليون جنيه وحصل الاستهلاك وزادت الفلوس فى البلد طبعا .. زادت الفلوس مافيش انتاج خالص بقولك باصرف فى السد العالى .. ٤٠٠ مليون جنيه ولسه انا ما اخدتش ناتج السد العالى لسه سنة ٦٩ سنة ٧٠ حاخد ناتج .. يصرف فى مصانع ومصنع بيتأخر ثلاث سنين او اربع سنين لغاية ما يدينى النتائج بتاعه.

قابلتنا مشاكل النهاردة. هل نتوقف واذا توقفنا نرجع تانى .. الى سبيل من السبل الآتية : ما حدش يشتغل لا اخوك ولا ابنك ولاحد لان حاشغله منين، حادفع له ماهيته منين . ماهياش تكية ييجى واحد ياخد ماهية ييجى واحد يأخد ماهية ، حاشغله

فين الا اشغله فى مصنع او فى سد او فى طريق او فى بناء او فى تجارة الى اخر هذا الكلام اللى بيطلع من الجامعة ما اشتغلوش.. اللى بيطلع عايز يشتغل عامل تتأسف مافيش فلوس ، اذا توقفنا يعنى بارجع تانى زى المجتمع القديم . بعدين حدى العلاوات منين اذا كان مافيش شغل اذن بجمد العلاوات زى ماكانوا بيعملوا زمان . هل بس نقتصر على تجميد العلاوات . لا . نوفر .. فى اللى بيشتغلوا لان حاجيب لهم ماهيتهم منين .. اذن لا يمكن ان احنا نتوقف لان اذا توقفنا يبقى رجعنا للمجتمع القديم وانتهى كل شىء .. لازم نستمر فى طريق الحرية .. لا نستطيع ان نفشل وده ايضا اختبار صعب .

الخطة الاولى خدت ١٥١٣ مليون جنيه الخطة الثانية المبتدئة السنة دى عايزة ما يقرب من ٣ الاف مليون جنيه ، علشان نضاعف الدخل فى عشر سنوات علشان سنة ٧٠ نكون ضاعفنا الدخل عن سنة ٥٩ ــ ٦٠ ، الدخل عن سنة ٥٩ ــ ٦٠ ، الدخل كان سنة ٥٩ ــ ٦٠ ، ١٢٨٥ مليون جنيه عايزينه فى ٧٠ الضعف ، عشان نشغل الناس.. ونوكل الناس .. ونرفع مستوى المعيشة الى اخر الكلام اللى احنا قلناه ، يا اما فيه يا اما مافيش حاجة ، واحنا عندنا موارد .. ايه مواردنا ايه فى بلدنا بترول بناخد منه ايه.. اولا ستة مليون فدان ، واقل من ستة مليون فدان ، واحنا صلحنا نصف مليون فدان جديد .. قنال السويس .. والبترول بيدينا حاجة بسيطة .. والصحراء بتاعتنا لسه ما اكتشفناش فيها ، ويمكن بعد سنين نلاقى بترول ، لكن ده مواردنا وهنعيش ازاى بنعيش بعملنا ونوفر جهودنا وتعيش ونوفر جهودنا وتشغل أولادنا ونشغل اخواتنا .

ولكن يجى واحد يقولك احيينى النهاردة وموتنى بكرة ، واحد بعت لى جواب بعد الاجراءات الاخيرة ويقولى احيينى النهارده وموتنى بكره هو انا باشتغل لك انت وحدك بس ، طب انت اشتغلت طيب انا مستعد ارفدك ، وارفدك وماليش دعوه بيك ، احيا انت بقه لوحدك انا ماليش دعوه بيك .. ماباشغلكش.. مانقدرش أبدا نفكر تفكير ضعيف جدا احنا بنفكر فى المجتمع مجتمع المائة فى المائة لو كل واحد يقولك نفسى النهاردة اشتغل ، ما يهموش اللى حيطلعوا من الجامعة السنة دى ، يشتغلوا ولا لا ، يخرج من الجامعة فى السنة ٢٥ الفا مين حيشغلهم ، الحكومة والقطاع العام والحاجات دى بتوقف .. ما بيشغلوش لاده ولا ده ده المشاريع الجديدة هى اللى حتشغلهم ..

واحد بعت لى جواب ويقولى ان الجيل ده ضحى .. ليه الجيل ده يضحى بكل حاجة ، وما كتبشى اسمه ، انا بقوله انا مش شايف ان احنا يعنى ضحينا قوى ، انا باقول ان الجيل اللى فات هو اللى ضحى الجيل اللى كان قاعد تحت حكم النصف فى المائة هو اللى ضحى وجاع وقاسى ومات من الجوع يعنى ضحينا فعلا ضحينا فى معارك سياسية من اجل حريتنا لكن ما قلناش ابدا اربطوا الحزمة ، كده وبنعمل بالعكس ده احنا ابتدينا بانتاج البضائع الاستهلاكية مابتديناش بالصناعة الثقيلة ابتدينا بالبضائع الاستهلاكية علشان ندى سلع استهلاكية فى السوق اللى فيه ، هى التضحية ، التضحية ، هى ان الاجور زادت من ٣٥٠ مليون الى ٨٨٠ مليون ، العمالة زادت من ٤٫٥ مليون الى ٧٫٥ مليون ، اذن يعنى تفكير انصاف المثقفين يبقى اهوج اصطناع كامل .

هذا هو المستقبل

احنا لسه اذا كنا عايزين نشتغل لسه علينا نعمل ، وعلينا نعمل ونعمل ونعمل ما عندناش بترول لسه .. ما عندناش موارد حاندور على البترول ، وندور على المناجم ، وحنصلح ٢ مليون فدان ونزرع ارض ونعمل سد ، ونطلع ١٠ مليون كيلو وات ساعة كهربا ونعمل محطات وكهربا ، ونبنى بلدنا .. هو ده سبيلنا الوحيد

والفلوس اللى بنوفرها نبنى بيها مصانع وبنصلح بيها ارض .. ييجى واحد يبعتلى جواب ويبقوللى ايه قوت الشعب يا ريس ليه بنصدره .. امنعوا التصدير .. احنا اولى ما نصدر شىء .. ده كلام طب اذا كنت ما صدرشى مستنى العالم يبقشش على .

اى حاجة باجيبها من بره بادفع فيها فلوس ، طيب ، انا باجيب الفلوس دى منين .. ما هى من تصدير القطن والارز وشوية برتقال وشوية خضار وشوية طماطم وقنال السويس وشوية بترول .. وشوية منسوجات ، ولكن بقى ايه بنستورد لحمه .. بنستورد لحمه من الارجنتين ومن اورجواى ومن الصين ومن استراليا ومن الصومال ومن السودان .. حنستوردها مجانا ولا حندفع فيها فلوس .. حاجيب لحمه حادفع فلوس .. اذن علشان ادفع فلوس لازم اصدر .. وبعدين نجيب مصانع .. مفيش حد بيبقشش مصانع لسه .. باجيب مصنع باشتريه .. بادفع فلوسه .. برضه باقول لكم انا وزكريا محيى الدين ما عندناش فلوس .. كلنا ما عندناش حاجه .. طيب حنجيب الفلوس دى منين .

لما بنقول عايزين فى الخطة الجاية نحط ما يقرب من ثلاثة الاف مليون جنيه .. حاجيبها منين .

حاخد قروض من بره .. خدت فى الخطة اللى فاتت ٤٠٠ مليون قروض وباخد فى الخطة اللى جاية ٤٠٠ مليون جنيه .. بس بيفضل الفين ومائتين .. الفين وثلاثمائة .. يبقى لازم ندفعها .. ندفعهم منين .. من الادخار انا عندى الفين وثلاثمائة .. لا فى الحكومة ولا فى البيت ولا هنا ولا هنا .. مفيش بندخر .. انت وانت .. القرش على القرش وده وده .. بابنى لكم مصانع .. وبابنى لكم بلد .. واقول لكم ادى مصانع لاولادكم وادى ارض زراعية .. تشتغلوا فيها وتأكلوا منها .. بهذا نقدر نبنى بلادنا .. اللى بعت لى يقول ما تصدرش .. طب ما انا ما صدرش يعنى ما استوردش احنا مصانعنا بنستورد لها مواد خام وسلع وسيطة ب ١٤١ مليون جنيه علشان مصانعنا تدور لو ما دفعناش الـ ١٤١ مليون جنيه يعنى مصانعنا تقف واكثر .. طيب اذن لازم اصدر قطن .. لازم اصدر ارز ده السنة دى كنا عايزين نصدر ٤٥٠ او ٥٠٠ الف طن .. مش باين .. يدوبك حنقدر نصدر ٢٥٠ الف طن والباقى حيتاكل .. طيب ما نصدرشى ما نجبشى القروض اللى بناخدها لازم ندفعها .. القروض لازم ندفعها .. المصنع لازم ندفع ثمنه اذن لازم اذا كنا عايزين نبنى بلادنا نزيد صادراتنا .. ونقلل استهلاكنا .

ده اختيار صعب .. ولكن طالما قررنا ان احنا نكون مجتمع الـ ١٠٠ ٪ مجتمع الشعب العامل كله .. لازم نسير فى هذا الطريق .. ما قدمناش طريق غيره لانستطيع ان نتوقف ولا نستطيع ان نفشل ، وانا كنت اتوقع ذلك .. وقلت ذلك صراحة .. وادركت من الضرورى ان اضع صورة النضال المقبل امام الناس فى أول مرة بعد ما قبلت الترشيح من مجلس الامة .. ذهبت الى الناس يوم ٨ مارس فى اسيوط .. وقلت بالحرف « ايها الاخوة لست ارضى لنفسى ولا لكم ان اقف لاقول لكم اعطونى اصواتكم وسوف أصنع كذا وكذا وكذا . ثم اسرد على مسمع منكم الاحلام والمنى . لقد حرصت على ان أقف امامكم لاقول لكم بكل امانة واخلاص اننى لا املك ولا اقدر ان احقق لكم عالم الاحلام والمنى ، اننى اجىء اليكم وليس معى وعود براقه .. وانما اجىء لكم ومعى خطط عمل مضنية وليس فى جيبى هداية مغرية اعرضها عليكم .. انما ما اعرضه عليكم هو مسئولية ضخمة وشاقة اريد ان اضعها على اكتافكم .. لم اجىء لاعطيكم وانما جئت لاطلب منكم .. » ده قلته يوم ٨ مارس .

ايها الاخوة ..

فى كل شىء المرحلة الجديدة تتطلب عمل .. وعمل جاد .. وعمل صعب .. اذا

كنا فعلا عايزين نخلق مصر اللى فيها المواطن العزيز .. المواطن الشريف .. لازم نعمل خصوصا أن زيادة السكان عندنا .. فى .. يعنى .. سنة ٨٠ تتضاعف .. سنة ٧٠ حنبقى ٣٥ مليون حنوكل الناس دى منين .. احنا دلوقتى قدامنا الميه اللى حتجيلنا من النيل من السد العالى ، كل الميه حتدينا ٢ مليون فدان أو ٢،٥ مليون فدان .. بعد كده مفيش .. بنستورد قمح .. بنستورد ذرة ، القمح سنة ٥٢ كنا بنستهلك مليون و٦٠٠ الف طن .. السنة دى ٣ مليون و٦٠٠ الف ، بنستورد اكثر من مليون ونص طن السنة دى بنستورد قمح وذرة حبوب بـ ١٢٠ مليون جنيه ، الراجل اللى باعت لى جواب ويقول لى متصدرش .. طيب حجيب الـ ١٢٠ مليون جنيه منين .. اذا نجيب لك القمح واجيب لك الذرة واجيب لك اللحمة من الخارج وحتى جبنا الفراخ من برة مجمدة ، لازم ادفع الـ ١٢٠ مليون جنيه والا تصبحوا ما تلاقوش عيش فى البلد .. اذن ملناش غير التصنيع وان احنا نعمل علشان نقدر نستوعب الزيادة فى السكان ، وربنا يهدينا ونقلل الزيادة فى السكان شوية .. يعنى دى مع دى نمشى.. اما العمل بس حيتعبنا .. الذرة من مليون طن الى ٢ مليون و٢٦٢ الف طن ، الزيت من ٧٨ الف طن الى ١٥٠ الف طن ، السمن الصناعى من ١٢ الف طن الى ٤٥الف طن ، الاقمشة القطنية من ٣٠٠ مليون الى ٤٩٣ مليون متر ، الصوف من ٢ مليون ٣١٥ الف متر الى ٨ مليون و٧٦٥ الف متر .. ادى الزيادة فى الاستهلاك .

لو كنا ما ادناش اجور ولو كنا ماشغلناش حد مكنشى حصل اللى حصل .. كنا استريحنا وقعدنا فى المجتمع الطرى .. مجتمع تحالف رأس المال مع الاقطاع ، وريحنا نفسنا من البلاوى اللى حطينا دماغنا فيها .. بس هل دى مبادئنا .. ابدا .. ابدا .. مبادئنا احنا تبنى هذه البلد ، وتبقى فيها حرية تقضى على حكم الطبقة ، حكم الاستغلال، ونقيم حكم الشعب العامل ، الشعب كله ، ونخلق فعلا مصر بلد كريمة عزيزة لكل واحد فيها لكل ابن من ابنائها .

طيب ايه مع زيادة الاستهلاك ده نعمل ايه .. احنا مهددين مع زيادة الاستهلاك أن النجاح اللى بنعمله بيتاكل كله .. دى المشكلة .. والله لو فشلنا ومعملناش خطة الخمس سنوات كان اسهل .. مكناش شغلنا حد .. كان يبقى عندى مشكلة عاطلين .. وبدل ما بجيلى جوابات تقول لى بلاش تصدر واحيينى اليوم وموتنى بكره ، كان يقول لى والله انا عايز شغله اى حاجة زى ما كنت اول الثورة .. انا المشاكل اللى عندى النهاردة غير مشاكل اول الثورة ، اول الثورة كل الجوابات ، كنت باطلع اى رحلة بارجع الاقى صناديق عايز شغل ، عايز شغل لدرجة ان احنا قررنا مرة نعمل طرق علشان نشغل الناس .. لا .. النهاردة عايز بيت .. عايز تليفزيون .. وعايز مش فاهم ايه .. وعايز ايه.. يقول له الله ! هو التليفزيون ده كماليات ابدا ده التليفزيون مش كماليات .. احنا حنضحى ازاى.. نضحى الجيل ده.. نضحى من اجل المستقبل .. طبعا مشاكلى النهاردة غير مشاكلى من ١٣ سنة .

لو فشلنا كانت المشكلة اسهل .. كنت النهاردة فى بور سعيد خدت .. يعنى انا النهاردة فى بور سعيد من ضمن الورق اللى جالى جالى طلبين شغل.. كنت الاول باجى برضه هنا فى بورسعيد باطلع بمقاطف طلبات شغل .. النهاردة باجى النهاردة .. وانا ماشى باقول ، لعبد الحكيم ، مستوى بور سعيد واللبس اللى لابساه الناس احسن من السنة اللى فاتت .

ده الطريق.. الناس ولبس الناس ووش الناس وصحة الناس.. مجتمع النص فى الماية ميعملش الكلام ده .. احنا مجتمع المائة فى المائة .. لو كنا فشلنا مكنتش تبقى فيه مصانع عايزة استثمارات ولا مصانع عايزة مواد خام ولا سلع وسيطة .. مكنش يبقى فيه عمالة زايدة تستهلك اكثر .. والشعب المصرى انا

على ثقة لا يريد ذلك .. قلت معنديش هدايا اوزعها عليكم وانما عندى مسئولية اضعها على اكتافكم .. قلت لم اجىء لاعطى وانما جئت لآخذ .. قلت الكلام ده فى مارس اللى فات .. كان فى ذهنى بالطبع الى اننا قد نلجأ الى الحد من الاستهلاك حتى نقيم مجتمع المائة فى المائة .. وفى الخريف الماضى فعلا كان واضح ان هناك عدم تناسب بين الطلب على السلع وبين ما هو معروض منها رغم الزيادة الضخمة فيها .. وكان واضح ان احنا لا يمكن ان نترك الاستهلاك يلتهم كل شىء ولا يبقى للاستثمارات الجديدة شىء .. معناه ان احنا نتوقف .. معناه ان احنا نعيش النهاردة وننسى بكرة .

زيادة الاسعار

جالى جوابات على زيادة الاسعار .. جه الجواب اللى قلت لكم عليه بتاع ليه زيادة الاسعار انا مالى ومال بكرة، ومال الاستثمارات انا باشتغل احيينى النهاردة وموتنى بكره .. هل ده فعلا منطق الشعب المصرى لو كان ده منطق الشعب المصرى فى بور سعيد طب كنتم حاربتم ليه واستشهدتم فى بور سعيد كان انهار الشعب المصرى فى بور سعيد لو كان ده منطقه .. مكنش وقف .. دى ابدا مش طبيعة الشعب المصرى .

لو كان الشعب المصرى طبيعته كده ، ما كان من اول الطريق مارضيش يمشى فى الطريق اللى مشينا فيه .. كان قال احنا كويسين فى مجتمع تحالف الاقطاع ورأس المال .. حكم الطبقة .. نسيب مجتمع النص فى الماية يعمل واحنا نعمل عبيد ونخدم .. واللى خلق الافواه والناس يتكفل برزقها .. ربنا قلت لكم ماقالش كده .. ربنا قال اعملوا .. وعمل قيمة كل انسان بعمله وقدرته ، ربنا زى ما قلت لكم كان سهل عليه يدينا من غير عمل هو قادر قدرته لا تحد . ولكن ترك الانسان مع ما اودعه فيه من طاقات وقدرات وطلب منه الا يستكين وان يأخذ اقداره فى يده وان يصنع مصيره .. بتجيلى جوابات ويقولوا لى انت قلت بنرجع بالاسعار لسنة ٦١ .. ذلونى بحكاية ٦١ .. ذلونى بحكاية ٦١ .. والله من يوم انا فى مجلس الامة وانا باتكلم السنة اللى فاتت وقلت ان فيه ناس بتبعت على غلاء الاسعار ، وقلت لرئيس الوزارة انه يعمل على العودة بالاسعار الى سنة ٦١ .. وبعدين جينا بعد كده درسنا الموضوع وجدنا مستحيل .. اما شفنا الارقام وجدنا ان العملية مستحيلة .. ما هى العملية عرض وطلب .. فيه فلوس وفيه كذا .. مليون اجور وفيه كذا مليون عامل .. وفيه السلع اللى احنا بننتجها ، ايه واللى بنستوردها ايه مافيش اكتر من كده .. العملية عرض وطلب .. اذن لا يمكن الرجوع .

ورحت مجلس الامة بعد كده ، السنة اللى فاتت ، وقلت شرحت وقلت انه بعد ان تكاملت الصورة اتضح ان الرجوع الى اسعار ١٩٦١ مستحيل .. دى محدش سمعها .. مش مسجل على غير دى .. باقول لهم النهاردة مستحيل حاعمل ايه .. معنديش لو عندى انا فلوس استورد واجيب لكم سلع كنت اجيب .. محدش عنده فلوس ، احنا كده ، وقدرتنا كده ، وطبيعتنا كده ، وحالتنا كده .. ووقفت فى مارس اللى فات وقلت انا لم اجىء لاعطى وانما جئت لآخذ .. لان انا عارف الخطة دى عايزة ٣ الاف مليون جنيه .

معدل الادخار فى الخطة الاولى كان ١٥٪ اذن فى الخطة الثانية عايزين معدل الادخار علشان نعمل ٣ الاف مليون جنيه ٢٥ ٪ .. باقول لكم فيه بلاد عاملة ٣٥ ٪ واكتر وبتبنى ، وانا حبنى منين .. كل واحد فيكم يوفر جزء وانا باخد هذه الفلوس وبديها للحكومة والحكومة بتبنى مصانع وبتشغل ولادكم وبتديكو عائد ، لكن لو ناكل كل الفلوس اللى فى ايدينا نصرفها .. طب حنبنى منين .. برضه مفيش مورد نجيب منه فلوس

وبرضه احنا مش مجتمع النص فى المياية والاقتصاد الحر والكلام ده .. لا .. احنا مجتمع التخطيط والتنمية .. مجتمع المياية فى المياية ولازم نوجد عمل لكل واحد .. ولازم نوجد بيت لكل واحد ولازم نعمل كذا ونصلح ارض ونبنى مصانع الى اخر هذا الموضوع .. ارتفاع الاسعار فى الفترة الاخيرة حصلت اجراءات ارتفاع الاسعار نتيجتها توفير ١٠٠ مليون جنيه واحنا الحقيقة عايزين ١٥٠ مليون جنيه ، توفر ١٥٠ مليون جنيه ، نقوم نعمل توازن اقتصادى ، نمنع السوق السوداء ، ونمنع ارتفاع الاسعار العفوى ، ونخلى الفلوس على قد السلع ، اذا كانت الفلوس اللى فى البلد اكثر من السلع يبقى على طول السلع حتختفى ويبقى فيه سوق سوداء وغلاء ، اذا كانت الفلوس قد السلع ودى حلها ازاى اذا كانت السلع قليلة أستورد .. وطب واذا كان معنديش فلوس استورد يبقى لازم امتص الفلوس .

التليفزيون والثلاجات

فى نفس الوقت عندى عجز فى ميزان المدفوعات ٦٠ مليون جنيه مديون يعنى لازم ادفع الستين مليون جنيه ، او اذا مدفعتش يبقى المصانع بتاعتى حتقف اللى هى عايزة ١٤١ مليون جنيه جزء منها الستين مليون جنيه .. الاستهلاك مخلينى مش قادر ابدا أوازن ميزان المدفوعات .. اذن لم يكن هناك مفر من أجل التوازن الاقتصادى ، ومن جل ان احنا مندخلشى فى مشاكل اكثر السنة الجاية من اتخاذ هذه الخطوات .. الجزء الاكبر منها ضغط انفاق حكومى .. بعد كده رسوم على سلع كمالية : السيارة والثلاجة والتليفزيون واجهزة تكييف الهواء .. بتقولى لا .. دى مش كماليات .. لكن الطلب النهاردة اكبر .. معنديش .. انتاج حجيب لك منين .. ما لازم حا استورد لك .. السيارات ٤٠ ٪ عملة صعبة ، التليفزيون ٣٠ ٪ عملة صعبة .. الثلاجات فيها جزء عملة صعبة .. لسه ما صنعتش الحاجات دى بالكامل .. اذن كل ما يزيد الطلب اذن انا على ادفع عملة صعبة علشان استورد الاجزاء اللى باشتريها بالعملة الصعبة .

بعد كده اتعملت ضرائب على الشرائح العالية . ثم زيادات فى بعض الاسعار فى الحاجات الضرورية ، ولكن احنا زودنا فى السكر قرشين .. الحر .. سكر التموين ما زدش .. اللى زاد السكر خارج البطاقة .. الادوية .. احنا خفضنا من ٣ سنين الادوية ٢٥ ٪ ولكن فى الفترة اللى فاتت دى زودنا بعض الادوية بنسبة ١٠ ٪ وهى الادوية الكمالية زى الفيتامينات .. تقول لى ليه .. تعرفوا كنا بنستهلك فى اول الثورة ادوية بـ ٦ مليون جنيه .. عارفين السنة دى مستهلكين ادوية بكام بـ ٣١ مليون جنيه .. بعد ما خفضنا الـ ٢٥ ٪ ٣١ مليون جنيه من ٦ مليون لـ ٣١ مليون .. النص فى المياية كان بيتعالج والباقى ماكانش بيتعالج . النص فى المياية ومحاسيبهم اللى كانوا بيشتغلوا معاهم بيتعالجوا والباقى ما بيتعالجش ، مجتمع المياية فى المياية النهاردة احنا لسه لم نحققه كاملا لكن بيتعالج ، بياخد الدواء . اللى كان مابيشفش الدوا ولا يعرفش عنه اهو بيشوفوا .. بنستهلك النهاردة دوا بـ ٣١ مليون جنيه .. زادت اسعار بعض الاقمشة ولكن الاقمشة الشعبية مازادتش بأكثر من قرش واحد للمتر اللى اقل من ٢٠ قرش .

انا كنت اتمنى ألا تزيد الاسعار مليما واحدا ولكن كنت اتمنى زى ما قلت لرئيس الوزراء اننا نرجع لاسعار سنة ١٩٦١ ده اللى انا كنت عايزه وباتمناه ولكن ده مستحيل واذا كنا مشينا بدون الاجراءات اللى حصلنا فيها ، كنا دخلنا فى خلل اقتصادى وعدم توازن اقتصادى ، واتلخبطت كل الامور والمصانع وقفت اللى مفروض نستورد لها خامات وسلع وسيطة من الخارج ، ومع ذلك باقولكم ان زيادة الاسعار عالية ونترك العالم كله ونبص حوالينا وحوالينا ماحدش بيتحمل

اعباء تنمية ومعندهمش زيادة السكان زى ما عندنا .. وبنقارن الاسعار بينا وبينهم ، بنجد ان احنا برضـــه لا زلنا بلد رخيص وبالنسبة ايضا لبلاد العالم نعتبر من ارخص البلاد .. ما زلنا من ارخص بلاد العالم .. باقولكم كان من الممكن الحل ده ايه .. الحل اذا كنت ما عملتش زيادة اسعار .. اداى حاجتين يا معملش مشاريع وماشغلش حد ، واجمد العلاوات وارفد الزيادة عن العمل، يبقى عندى عاطلين وارجع لمجتمع واقف فاشـل الى اخره .. يعنى نصبح دولة من العاطلين ده الحل البديل .. يا كنا نرفع الاسـعار يا نعمل كده الاسلم ان احنا نرفع الاسعار .. ورفع الاسعار هو ضريبة .

ذوبنا الفوارق الطبقية فعلا

بيبعتولى جوابات بيقولوا ليه تاخد مننا ما تاخد من الكبار .. مافيش فايدة المجتمع اختلف .. احنا ذوبنا فعـلا الفوارق بين الطبقات .. طب تعرفوا احنا عاملين الشرايح على الدخول العاليـة ماتجيش حاجة .. تجيب كام .. متين الف جنيـــه .. مفيش يعنى كان زمان لو نعمل ايام حكم الطبقـة ضرائب بهذا الشكل كانت تجيب .. النهاردة ماتجيش ..

اللى باقوله النهاردة ان احنا نستطيع ان احنا نطلب ضمانات .. الا يتحول ارتفـاع اسعار بعض السـلع الى دوامة تجر كل السلع ، وتخلق موجة عامة من الغـلاء ، وده رئيس الحكومة تعهد بيه قدام مجلس الامة .. وعنده تفويض ان أى محل يرفع الاسعار فى أى صنف غير الاصناف اللى صدرت بيها هذه الاجراءات ، يستولى عليه ويقفله عشان ميستغلوناش تجار السوق السوداء .

الشىء الثانى نوجه كل شىء للاستثمـار وان نضاعف جهود الانتاج لانطلاقة اكبر .. مثل هذه الضمانة بيطلبها الشعب والناس بتطلبها منه ناس طبعا عاقلين .. بيبعتولى جوابات كتير ، يعنى بيقولوا ، فاهمين كـل حاجة .. بس بيقول لك مافيش داعى انه يكون فيه دوامة فى ارتفـاع الاسعار .. والحكومة بتضرب على المستغلين فى السوق السوداء الى اخر الكلام ده .. كله ده بنظمه قد يكون فيه سوء فى التوزيع وسـوء فى العملية ، دى كل ده بنراجعوا النهارده وكل ده ممكن ننظمه وهـذه الضمانات لا بد ان مجتمع الـ ١٠٠ ٪ يطلبهـا لانها ضمانات ضرورية ليه ضمانات اساسية .

مجتمع الـ ١٠٠ ٪ مطالب بالعمل

مجتمع الـ ١٠٠٪ مطالب امام نفسه وامام الاجيال القادمة وامام امته .. بأن يعمل لكى يحقق الاهداف الكبرى التى حمل امانتها ومسئولياتها .. عايزين نضاعف الدخـل القومى فى ١٠ سنوات .. عايزين نضاعف الانتاج .. الانتاج كان عندنا سنة ١٩٥٢ ، ١٨٠٠ مليون جنيه سـنة ٦٤ ـ ١٩٦٥ ، ٣٤٧٤ مليون جنيـه بالاسعار الثابتة .. اسعار سنة ١٩٥٩

عايزين فى السنة الاولى من الخطة الثانية ان احنا نرفع الادخار من ١٥ ٪ من الدخل القومى الى ١٧ او ١٨ ٪ .. عـايزين فى السنة الخامسة فى الخطة ان احنا نرفـع الادخار الى ٢٥ ٪ عشان تخلقوا مجتمع قوى الشعب العاملة .

امامنا الى سنة ٧٠ بمشيئة الله موعـد اتمام خطة مضاعفة الدخـل القومى .. سنوات من العمل ماقدمناش .. غير العمل فى بلادنا .. بنعمل زراعة وبنعمل صناعة وبنعمل كهربا وبنعمل تنمية فى جميـع الميادين ، بنعمل خدمات ونطور الخدمات ونوفر التعليم لكل الناس ، ونرفع المستوى، بندعم السلطة السياسـية لقوى الشعب العامل بنعمل فى كل محافظة فى كل قرية وفى كل مدينة كل مكان فى مصر يجب ان ينبض بالنشاط هو ده رأسمالنا الاساسى .. لعمل .. العمل .. العمل .

الميناء الحر ببور سعيد

بور سعيد انتو فى المرحلة الجاية ليكوا دور خاص وهو انجاح مشروع الميناء الحر

ومش معنى هذا ان احنا حانطلع بورسعيد بره المجتمع الاشتراكى زى ما طلعت بعض منشورات هنا ، وقالت بهذا الشكل من مدة .. ابدا احنا بلد اشتراكى بنمشي الاشتراكية وفق ما يناسبنا وزى ما قلت مفيش بابوية فى الاشتراكية ، تقضى على استغلال الانسان للانسان ولكن كل شيء نكسب منه للشعب.. مش لفرد اولافراد بنعمله هو ده المجتمع الاشتراكى كما نفهمه .. مفيش حاجات ابدا محددة اللى بيناسبنا بنعمله واحنا ماشيين فى قطاع عام وفيه قطاع خاص ، ومش معقول احنا حانيجى فى القطاع الخاص ونؤمم مثلا الحلاقين واللا الجزمجية واللا الترزية .. ابدا ده موضوع مش موجود فى الميثاق ومش ممكن يحصل ودى الاشتراكية زى ما احنا فاهمينها .

مش معقول حا أئمم الدكاكين حانسيب الدكاكين ولكن حانزود الجمعيات التعاونية .. قد تكون فيها مشاكل ولكن بنحل هذه المشاكل .. بنمشى فى الاشتراكية بتاعتنا زى مصلحتنا وزى النتائج الكويسة التى بتعود علينا منها فيه ناس قالوا ان الميناء الحرة ده يتنافى مع الاشتراكية باقول ابدا اى حاجة نكسب منها هى اشتراكية طالما مافيش استغلال الانسان للانسان .

انا واثق من الشعب

ايها الاخوة ..

أنا واثق أن الشعب بتاعنا سيتحمل مصاعب المرحلة القادمة .. برضه باقول ان احنا ما بنضحيش ان احنا قلنا فى الميثاق ان احنا مش عايزين نضحى بجيل من اجل اجيال مستقبلة .. كنا نقصد حاجات كتير قوى محصلتش هنا ابدا.. احنا مابنضحيش .. بالعكس احنا بنحاول باسرع ما يمكن نخلق مجتمع المائة فى المائة .. ادينا فرص العمالة .. وقللنا ساعات العمل .. شاركنا العمال .. وزعنا الارض .. شاركنا العمال فى مجالس الادارة .. وزعنا الارض .. الى آخره .. وهدفنا أن ندعم فعلا المبادىء اللى قامت عليها هذه الثورة اللى قالهـا الميثاق .. اقامة مجتمع حر .. اقامة مجتمع قوى .. وسبيلنا فى هذا العمل .. وانا على ثقة أن الشعب المصرى فى كل مكان سوف يحقق مهام المرحلة المقبلة .. فى كل ناحية من النواحى .

يعنى فيه شكوى من ان العمال بيغيبوا .. انا بقول ان العامل اللى بيغيب بدون عذر بيخون كل العمل اللى احنا بنعمل من اجله .. والقروش اللى احنا بنلمها من بعض وبنبنى بيها .. بنبنى بيها بلدنا ويعدين .. بعد كده بناخد اجراءات .. بنعدل على طول .. ونقول ان العامل اللى له كذا يوم يصرفهم اذا مكنش فيه شعور بالواجب اقصد الشعور بالحق .. ده لا يمثل العمال كعامل ولكنه يمثل عضو فعلا مريض فى المجتمع . طبعا لازم تزيد الانتاجية عشان تزيد السلع .. عشان نقدر نواجه الاستهلاك .. مين اللى بيقوم بهذا .. العمال .. والادارة .

واثق ان الشعب سـوف يحمل العبء الكبير وهنبنى ان شاء الله سنة ٧٠ .. نضاعف الدخل القومى ونفتخر فى العالم كله ونقول ادينا ضاعفنا الدخل القومى فى عشر سنوات زى ما قلت ان شاء الله ، بالقروش اللى بنلمها والفلوس اللى هيه قرشين بتوع السكر والقرش بتاع القماش ، والكلام ده باوجد فرصة عمل لاولادك فرصة عمل لاخوانك واللى هيتخرج من الجامعة وبديلك فرصة تودى ابنك الجامعة مجانا ، مهما كنت عامل ما انتش عامل ابنك بيقدر يروح الجامعة .. وانا اعرف ناس فعلا مكنش يحلم ان ابنه يدخل الجامعة عندهم اولاد النهاردة دكاترة وكذا ونفخر لان دول أبناء المجتمع المائة فى المائة مش مجتمع النص فى المائة .

فاضل حاجة بسيطة .. احنا زى ما قلنا شعب ما عندناش موارد كبيرة ولكن شعب عندنا مبادىء كبيرة ، ومن اجل هذه المبادىء رحنا اليمن .. وقمنا فى اليمن بواجبنا كما نشعر بيه .. نصرة للمبادىء .. قمنا فى اليمن بواجبنا العربى .. ونحاول الآن ان نحل المشاكل بسلام بكل اسف مؤتمر حرض موصلش الى حل .. اذن لازم احنا نثابر حتى نستطيع ان نصل الى حل وفقا لاتفاقية جده .. وده اللى احنا هنعمله .. النهاردة سامع فى راديو لندن الصبح الساعة سبعة تصريح .. بيقولوا صرح الملكيين انهم هيقاتلوا الجمهوريين بعد شهر .. والله اذا ابتدوا هنضربهم ببساطة .. مفيش كلام تانى .. ولكن احنا بنقول عايزين السلام وعايزين نحل المشاكل بسلام .. ودى مبادئنا .

قطع العلاقة ببريطانيا

بعدين برضه بنقول ان احنا ناس ماعندناش موارد كبيرة ولكن عندنا مبادىء كبيرة .. ومن اجل هذا قطعنا علاقتنا فى الاسبوع اللى فات مع انجلترا وفقا لقرار مؤتمر القمة الافريقى .. اللى قطعوا علاقتهم تسع دول احنا احدهم وده واجبنا .. واجبنا لا يمكن ان احنا نتردد فيه بأى حال من الاحوال .

من اجل فلسطين احنا بنعمل .. وبنبنى جيشنا ومن اجل فلسطين احنا اتفقنا على وحدة العمل العربى .. من أجل فلسطين النهاردة الدول العربية بتتسلح وربنا يهدى الدول العربية كلها علشان فعلا نستطيع ان احنا نحرر فلسطين كما يتمنى الشعب العربى والامة العربية فى كل مكان .. معركتنا مع الاستعمار ومع الصهيونية معركة كبيرة .

الله يوفقكم

وأمامنا واجبات ضخمة فى الداخل وواجبات ضخمة فى الخارج .. ولا تستطيع الحكومة ولا تستطيع ان تقوم بهذه الاعباء الا بتعبئة جهود هذا الشعب الطيب .. هذا الشعب العظيم .. والله يوفقكم جميعا .. والسلام عليكم ورحمة الله .

يارب طال صراعي

الشاعر عبد الله شمس الدين

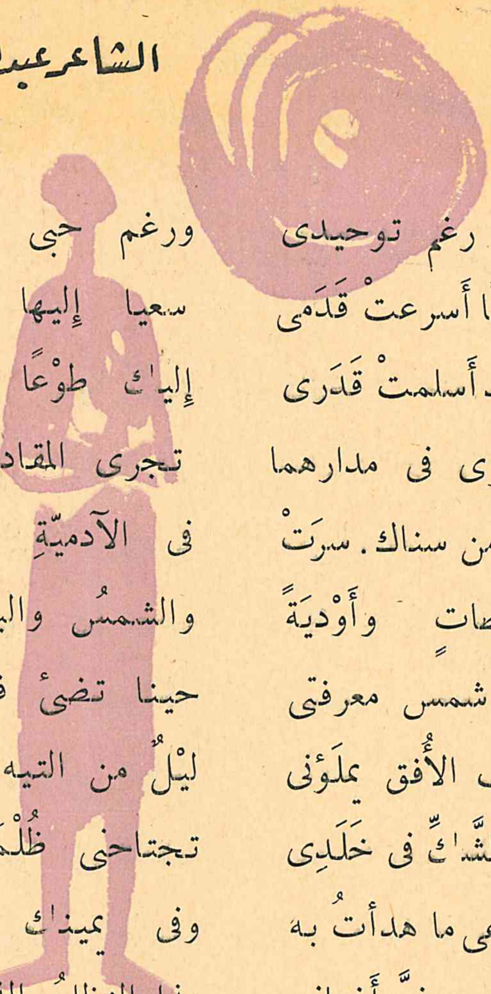

مالى أخاف المنايا رغم توحيدى ... ورغم حبى لمولايا وتغريدى

وكلّما ازددْتُ خَوْفًا أسرعت قَدَمى ... سعيا إليها . قضاءً غيرَ مردود

يا ربّ :هذى يدى قد أسلمتْ قَدَرى ... إليك طوْعًا على حُبٍّ وتمجيد

خلَقْتَ دنيا وأُخرى فى مدارهما ... تجرى المقادير غيبًا غير مشهودِ

ونحن نفخة روحٍ من سناك . سرَتْ ... فى الآدميّةِ سرًّا غير مشهود

الكوْنُ فِىَّ محيطاتٍ وأَوْديَةً ... والشمسُ والبدْرُ فى آفاقىَ السُّودِ

على صعيد سمائى شمس معرفتى ... حينا تضئ فتطوى ظلمة البيدِ

وحينَ تغرُبُ خلف الأُفق يملؤنى ... ليْلٌ من التيه فى خَوْفٍ وتشريد

وحين تعوى رياحُ الشّكِّ فى خَلَدِى ... تجتاحنى ظُلْمَةٌ تهوى بتوحيدى

يا ربّ : طال صراعى ما هدأتُ به ... وفى يمينك يا ربى مقاليدى

ما إنْ سبحْتُ بفكرى فِىَّ أذهلنى ... هذا النظامُ الذى يُورى بتفنيدى

مصانِعٌ فى الحشا آلاتُها عَجَبٌ ... تدورُ باسمك فى شتّى المواعيد

وفوق جلْدى زروع الشَّعْرِ نابتةٌ ... من غير حَرْثٍ ولا غرْسٍ وتمهيد

وبيْن لحْمِىَ أسنانٌ مُدَبَّبَةٌ ... تَجِلُّ فى صُنْعِهَا عن كلِّ تجويد

وكلُّ ما فِىَّ من خَلْقٍ ومعجزة ... إذا أعدَّ فما كوْنى بمعدود

إنِّى أجلُّ اختراع فى الوجود بدا ... وفوق عرشى استوى ربِّى بتمجيد

أنا الخلود وسرُّ الموت يقهرنى ... وعبْرَ مَوْتى يمضى سرُّ تخليدى

من وحي العيد

الأستاذ الشاعر على الجمبلاطى

بشائر اليمن وافى بينها العيد ... فالخير منطلق والشر موءُود
تبسمت فيه أَفراح الوجود فلم ... يخفت دعاء ولم تصمت أَغاريد
كأَنما صبحة فى الدهر جوهرة ... من السماءِ لها فى الأَرض تجديد
تشع بالنور لايخبو لها وهج ... ولا جمال سنى اللمح منضود
عواطف الروح شتى فى مسالكه ... يسمو بها خافق فى الصدر معمود
والليل نور على الأَرواح مطلع ... والشوق مرتشف والحب مورود
صحا فأَيقظ من ناموا على شغف ... ومن طواهم على الأَشواك تسهيد
والناس تهتف فى شوق ويجذبهم ... نور الصفاءِ فلا عادوا ولاعودوا
شفى الضمائر من غل ومن حسد ... فليس فى القوم مغلول ومحسود
كأَن كل وليد فى مباهجه .. ... بشرى السلام لها فى الكون ترديد
كأَن كل هتافٍ فى حناجرهم ... نجوى من العالم الأَعلى وتغريد
وللسلام هتافات محببة ... لها على صفحات الوجه تجسيد
وكل شيءِ جديد حين تبصره ... عليه ظل من الإبداع ممدود
وقد تجدد حتى اللحن فى فمه ... ورف فى نوره حتى الأَناشيد
وحومت بجناحيها بلابله ... وعانقت وكنها الخضر الأَماليد

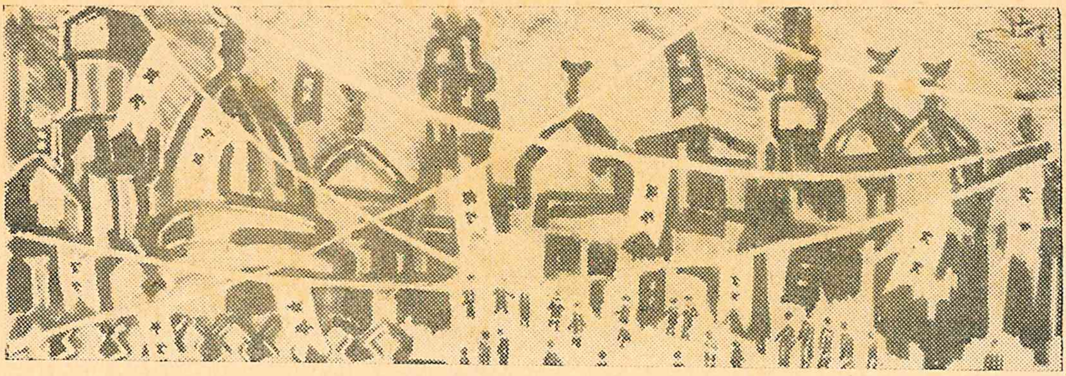

وصارت الأَرض للأَفراح مرتبعا   والبشر كالراح يحسوه المعاميد
وقد تلاقى بنو الدنيا على ظمإ   طابت على ظله الضاحى المواعيد

* * *

يا عيد : كل فقير هز راحته   شوقا وكل غنى هزه الجود
من راح يبذل مال الله فهو له   أَو جاد منه فبالأَضعاف مردود
وللغنى زكاة عند خالقه   ينالها حسنات فهو مجدود
تمسه الرحمة الكبرى ويدركه   لطف من العالم الموعود موعود
مشى إِليك بنو الأَسمال مزقها   من فوق أَجسادها بؤس وتشريد
تلج فيهم على شوق رغائبهم   ويزحف اليأْس فيهم وهو مجهود

* * *

يا عيد فرج عن المحروم كربته   فالخير فى ظلك المرجو منشود
يدق بابك لا يأْس ولا جزع   فكيف يرجع عنه وهو مطرود ؟
وكلما عدت لم تهتف بلا بله   « عيد بأَية حال عدت يا عيد »
هتافه لك إِحسان ومرحمة   وبشره بك إِيمان وتوحيد
ولم ينله بيأْس فى جوانحه   إِلا رجاء على العلات مفقود
وكيف يجأْر بالشكوى وأَنت له   والخير بغيته والله موجود

دين الله

الشاعرة روحية القليني

هذى الحياةُ سرابٌ لا بقاءَ له | فكيف أَحرص أَو أَبقى على فان
تمضى الحياةُ ويفنى كل ساكنها | لا يبقى غير إلٰه مالهُ ثان
ونلتقى كلنا فى عالمٍ أَلِق | يضمُ من جاءَ من قاصٍ ومن دان

* * *

إنى لأَعجبُ ممن قد تغرهمو | تلك الحياةُ وينسون الذى خلقا
يمضون فى غيهم كالطفل تجذبه | حَلوى الصفاءِ بها أَو دُمية عشقا
ممن تكبر أَو ممن تجبر أَو | ممن يخالف منهم دينَ من صدقا

* * *

فيم التباغض فى الحياة وكلنا | أَبناءُ آدم كلنا اخوانُ
ولِمَ التكالب والحياة قصيره | وسماع ما قد وسوس الشيطان
لِمَ لا يسود الحب فيما بيننا | ويكون هدْىَ حياتنا القرآن

* * *

وتسير فى درْب السلام قلوبُنا | أَرواحُنا تسمو على إيمانِه
للمؤمنين لدى الإله مكانةٌ | لِمَ لا نسير على هُدَى فرقانِه

الشعر الديني

مختارات من شعر ابن عربي في التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

بقية حرف الراء :

حقيقة البعث

رأى ابن عربى رؤيا ألهمته معانى فى حقيقة البعث وما تكون عليه الصور المنشورة فى قيامها من مراقدها . ويقول انه نظم بعض هذه الرؤيا فى نومه ثم نظمها ملهما فى يقظته وهى :

قد صـــح عندى خبر
وجـل عنـدى من خبر
ليس لنـــــا اعـــادة
فيمـــا انقضى وما غبـــر
من صـــور معـــلومة
محسـوسة من البشر
لانهـــا عـــلى مـــزا
ج كلـــه مـزاج شر
وانمـــــا اعـــادتى
فى مثلهـــا من الصور
على مـزاج صـــالح
ما فيه شىء من ضرر
من صـــور مشـــهودة
فيهن نحيـــا ونسر
فى فـــرش مرفـــوعة
منضـــودة وفى سرر
وهى الذوات عينهـــا
المودعـــات فى الحفـــر
لم تلحـق الذات اذا
نظـــرت فيها من غير
وانمـــا مزاجهـــا
من يعتبره أم يحـر
لله فى هـــذا الذى
أقـــوله معنى وسر

هذا بعض مارآه ابن عربى ووقع فى خاطره من الفكر وعلى قلبه من الالهام فنظمه شعرا وهو نائم ثم اتصل حين استيقظ بالانشاد وظل كاشفاغائصا فى كشفه حتى أكمل قصيدته عند السحر . وذلك يعنى أنه أتـم القصيدة فى شطر الليل الاوسط أما أوله وآخره فكان يقومهما بالذكر والصلاة .

وهو يرى كما يرى أهل الظاهر من الفقهـــاء ـ أن الاجسام المدفونة فى الحفر ستبعث بذواتها ، وانمـــا تتغير صور الامزجة فيها تأهبا للخلد واستعدادا للدوام لتحدث المناسبة بين الاجسام والحيـــاة الابدية التى تصير اليها ، أما كما هى الان بنفس مزجتهـــا وكل استعداداتها الدينوية فانها غير مخلوقة للبقاء.

وابن عربى لم يتكلم فى هذه المقطعة الا عن صور الاجساد التى تلبسها النفوس الصالحة ، أما النفوس الشريرة فقد أمسك عنها ، ولعله ترك الكلام فيهـــا للمفهوم دون المنطوق .

ولم يخالف بن عربى الاخبار الواردة فى المنقول روى أنه ألقى عليها تفصيلا يضاهىء العقول . وجعل التغيير كله مصورا فى الامزجة التى تتكيف بها أعال الصور وحركات الاجسام ، وربما نشـــأ من انقلاب الامزجة كل التغيير وسبحان المعيد القدير .

الوجود أجمعه

وقال ابن عربى يصف وجود اللهسبحانه معتمدا على ما يشاهده فى الكون الذى خلقه كامل الابداع والامكان وعلى ماجاءت به الآيات المنزلة فى تفصيل القرآن :

لمـــا قرأت كتابا ليس فى سيرك
علمت أنى جهلت الامر من خبرك
ان كان جودك قد عم الوجـود فما
فى الكون حرف تراه ليس فى سيرك
أنت الوجود فما فى الكون غير كمو
أما وجودك أو ماكان من أثـــرك
فالكل أنت ومنك الامر أجمعـه
اليك مرجعه فى الآى من ســورك

وهذا معنى كررته الصوفية لانه من الحقائق الاولى عندهم فى حقيقة الوجود المطلق اذ لاموجود به الا الله ، أما هذا الوجود المقيد المضاف للصور والكيفيات والزمان والمكان فانما هو أثر يدل عليه ، وقد كرره ابن عربى كثيرا فى شعره وشرحه فى كتبه وقد قدمنا منه مكررا فيما سبق من مختاراتنا له فى مجلتنا هذه البيضاء الغراء .

وابن عربى فى هذه المقطعة يقول انه استدل على وجود الله ذلك الوجود المطلق مما رأى فى الاكوان أكثر مما رأى فى الاقوال ، بل ان ماتراه الانظار يفوق علما كل ما جاءت به الاخبار .

ويستدل ابن عربى على الجود بالموجود ، وأقصى الجود من صفات الخالق ، ولو لم يكن متصفا به لما أبرز الكون على أحسن صورة ، وهو سبحانه منزه عن البخل ولذلك جاء بالابداع ،

ـ وهذه قضية وفاها أبو حامد الغزالى حقها من القول وجعل ابن عربى يتخذ من اقوال الغزالى ما يؤيدها فى شعره ونثره ـ وهكذا جاءت فى كل كائن نعمة وفى كل مخلوق حكمة لتتضح سيرة الخالق وقدرة البارىء ، وليكون الوجود المقيد كله محققا لوجوده المطلق فى ذاته وصفاته .

ولما كان هو الكل ـ لا بالمعنى الجامع للاجزاء ـ بل لان منه الامر والجود كان اليه المرجع والمآل ، وهو ما يجب أن تدركه العقول ليوافق ماجاءت به الآيات والنقول .

هذا ، وأرجو أن يعرف أن حرف الروى فى القافية هنا هو الراء لا الكاف ، كما تحقق ذلك فى اصطلاحات العروض .

مشيئة القدر

وقال فى تقابل الاضداد وتخيل التنازع فى الاقدار مثبتا أنه كله مشيئة الله وليس للعبد ـ فيما لايطيقه ـ الا التسليم والتفويض الذى هو قدر أيضا ، ثم ربما كان التسليم سبيلا للحصول على الرضا وطريقا لتحقيق المرتجى :

تنازعنى الاقدار فيما أرومه
وان نزاعى فيه أيضا من القدر
فحكمى عليها ـ ان تاملته ـ بها
فمنها أمان الخائفين مع الحذر
تقابلت الاضداد منها كمثل ما
تقابلت الاسماء بالنفع والضرر
فكل الذى فى الكون من متقابل
من العلم بالله العظيم لمن نظر
فسلم وفوض واتكل واعتمد فقد
يجيئك ماترضاه يمشى على قدر

يصور ابن عربى معركة التنازع الحادثة بين المتقابلات والمتناقضات ونزاع النفوس معها هذا النزاع المعقد الذى يختفى سره وتتوارى حكمته ليظل التنازع قائما والتقابل مشروعا حتى تظل الحياة ذات حركة والحركة ذات نشاط .

وحكم المتأمل على هذا التنازع انما هو كامن به مستقر فيه ، فلولاه لم تحدث الحكمة من حذر الخائف الذى يبلغه مكان الامن ، ولم يحدث اقتحام الجرىء الذى يورده مورد الشهادة .

وهذه المقابلات المتضادة من جواهر الكون المخلوق ومظاهره تسيطر عليها أفعال الاسماء الحسنى التى تتقابل أفعالها بالخير وضده فى أنظار العباد ، ولا يدرك ذلك الا العلماء الذين أفاض الله عليهم من بعض العلم ماشاء .

ودائرة الاسماء الحسنى عند ابن عربى تنقسم الى أسماء الذات وأسماء للصفات وأسماء للافعال وليس بين هذه الاقسام انفصال بمعنى أن ماكان للذات قد يكون للصفات والافعال وهكذا بقية الاقسام ، غير أن الاتجاه الاكثر لكل اسم يفهم من معناه . ومثالها الرب والحى والرزاق فالاول اسم ذات والثانى اسم صفة والثالث اسم موكل بالافعال .

وليس للعبد ان رام النجاة الا أن يسلم لله ويفوض اليه الامر كله متكلا على مشيئته معتمدا على تصريفه . وربما كان التسليم من العبد سببا فى رضا الله عليه بل ربما كان هذا الرضا مكتوبا فيما قدر له ومجىء الرضا والعبد مطيع راض خير من أن يجيئه وهو غاضب عاص .

ويجب أن يعلم أن التسليم والتوكل ـ عند أئمة التصوف ـ لايتنافى مع التماس الاسباب والسعى للرزق والحياة والعلو فيها درجات اذ التماس الاسباب من طبائع البديهة وأوامر الشريعة .

الشريعة أولا

وقال فى تقديم أخبار الشريعة ووجوب السبق اليها والاكتفاء بها :

غنيت بتصديقى رسالة أحمد
عن الكشف والذوق المحقق والخبر
وهذا عزيز فى الوجود مناله
ولو لم يكن هذا لاصبحت فى خسر
ولى فى كتاب الله من كل سورة
نصيب وجل الخير من سورة العصر
تواصوا بحق الله فى كل حالة
كما أنهم أيضا تواصوا على الصبر

هذه الابيات من قصيدة طويلة تناول فيها أغراضا وقصصا تحتاج الى ديوان بشرحها ، وقد اكتفيت بهذه الابيات التى توضح اتجاه ابن عربى الذى هو فى قمة التصوف الى الاعتماد على الشرع والحث على الاكتفاء به

وفى مثل هذا تسقط حجة كل من يشك فى أن الحقيقة تنافى الشريعة أو تسلك غير سبيلها متقدمة أو متأخرة ، كما تتحطم فرية كل من يظن أن ابن عربى فرق بينهما ، والعذر كل العذر لمن لايفهم كلماته ولا يلمح اشاراته .

وابن عربى يرى أن السعادة كلها فى تصديق رسالة النبى والعمل بها ، وهى تغنى عن ادعاء الكرامة أو التماس الكشف والذوق والاجتهاد فيهما اذ هما ـ ان استقاما ـ موصلان الى تحقيق أخبار الشريعة وقدكفتنا أخبارها المؤونة ، والسعداء من يعملون بها اذ تسلمهم من العطب وتنجيهم من البوار .

وحسب العالم بالشريعة ـ على قلة هؤلاء العلماء ـ أن يرى فى كل سورة من سور القرآن نصيبا من العلم موفورا وقدرا من الحكمة والاحكام واسعا كبيرا ، بل ان أقل السور كسورة العصر التى تتكون من ثلاث آيات ـ وهو أقل عدد تتكون منه سورة ـ فيها جل الخير ومعظمه اذ تحث متبعها على التخلق بالحق والصبر والحث عليهما وفى ذلك تتحقق سعادة العباد وتعمر البلاد

كتائب الانصار

يقول ابن عربى ان ماكتبه هنا من مدح للانصار قد أملاه عليه الهادى عليه الصلاة والسلام فى المنام ،

وقد امتثل امر النبى فى مدحهم فلم يكتب الا ما املى عليه رواية دون روية كما جرت عادته فى نظمه ونثره ومعظم مايسطره .

ويقول أيضا ان حسان بن ثابت رضى الله عنه ذكر له فى رؤيا هذه بيتا يبنى عليه وهو :

شغف السهاد بمقلتى ومزارى
فعلى الدموع معولى ومثارى

ثم أصبح ابن عربى يكتب قصيدة الرؤيا فكان مما كتب :

انى امرؤ من جملة الانصار
فاذا مدحتهمو مدحت نجارى
بسيوفهم قام الهدى وعلت بهم
أنواره فى رأس كل مشار
قاموا بنصر الهاشمى محمد
المصطفى المختار من مختار
صحبوا النبى بنية وعزائم
فازوا بهن حميدة الآثار
باعوا نفوسهمو لنصرة دينه
ولذاك ما صحبوه بالايثار
لو أننى صغت الكلام قلائدا
فى مدحهم ماكنت بالمكثار
كرش النبى وعيبة لرسوله
لحقت بهم أعداؤه بتبار
رهبان ليل يقرءون كلامه
آساد غاب فى الوغى بنهار

يمدح هذا الشعر الانصار ويصفهم . وفى أول الكلام يعد ابن عربى نفسه منهم وينتمى اليهم كما هو معروف من نسبه ، فهو اذا مدحهم اتصل فخر الابن بالاب والفرع بالاصل . ويمدحهم لنصرتهم النبى بسيوفهم فى كل مكان فى الارض من طول وعرض ، وكانوا فى هذه المناصرة صادقى النية شديدى العزائم فحمدت لذلك آثارهم وخلد ذكرهم .

ويشير ابن عربى فى ابياته هذه بايثار الانصار غيرهم على نفوسهم وهو يستمد معانيه من قوله سبحانه يصف الانصار « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة »

أما بيع النفوس الذى اشار اليه فلم يحدث مثله بيع فى الحياة ، فحين بايع الانصار النبى سرا على أن لايشركوا بالله شيئا وعلى أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وعلى أن يمنعوا رسول الله مما يمنعون منه نفوسهم وأموالهم وذراريهم قالوا يارسول الله فما لنا ؟ قال « الجنة » قالوا : ربح البيع . فليس مثل هذا البيع الذى رضى به الانصار بيع .

ثم يرى ابن عربى أنه لم يبالغ فى مدحهم مهما قال حتى أنه لو اتخذ كلمات مدائحهم من قلائد در أو عقيان وصاغها فى سلوك من الذهب المسبوك لما كان مكثرا ولا مبالغا ، فقد استحقوا بما فعلوا كل حمد وصاروا أهلا لكل مدح .

ويختم ابن عربى المقطعة بالاشارة الى قول النبى صلى الله عليه وسلم « الانصار كرشى وعيبتى » . وهذا الذى اشار اليه ابن عربى فى شعره شرحه الشريف الرضى قائلا : انه عليه الصلاة والسلام اراد بالكرش أنهم يمدونه بانفسهم ويكون معوله فى السراء والضراء عليهم أو أراد أنهم أهله وجماعته اذ الكرش اسم للجماعة . وأراد بعيبته أنهم موضع ثقته ومكان سره كالعيبة التى يودعها الانسان نفائس ذخره وكرائم وفره .

ويصف ابن عربى ليل الانصار ونهارهم ومراوحتهم بين العبادة والجهاد ، اما هم فى الليل فهم رهبان منكبون على الذكر وقراءة القرآن ، وأما هم فى النهار فهم آساد حرب وليوث وغى . وكل هذا وذاك فى نصرة الله ورسوله نصروهما بالزمن والمال والارواح ففاز الانصار بكل الفخار .

ذكر الله

وقال مقتبسا من قوله سبحانه « ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » :

ان لله عبادا كلما
ذكروا الله فنوا فى ذكره
يبتغون الفضل منه عندما
شكروا المنعم حق شكره
والى هذا فهم ما أمنوا
حال ذكراهم له من مكره

يصف ابن عربى العبادالمخلصين بأنهم الذين يذكرون الله ويفنون فى ذكره بحيث لايبقى فى قلوبهم ذكرغيره وهم بشكره حق الشكر يبتغون فضله ويطلبون قربه ، ولكنهم مع هذا الحب والثناء يجب أن لا يأمنوا أن يبتليهم بما يظهر أنه شر ومكروه حتى يخلصوا فى الاقبال عليه ويصدقوا فى الامتثال له .

الاول والاخر

وقال فى أسماء الله الحسنى وحمد الله بها :

الحمد للاول والآخر
الاحد الباطن والظاهر
ان الغنى وصف له ثابت
عند اللبيب العاقل الناظر
والنقل قد أثبت أسماءه
لحكمة الخابر والحائر
والكشف قد قال بهذا وذا
لانه فى الموقف الباهر

ان حمد الله بأسمائه الحسنى التى تدل على ذاته وصفاته وافعاله من اول واجبات العبد . وفى الاسماء الحسنى كلام وبحوث قد لايحصيها الا الباحث الصبار وابن عربى له فيها كلام سقنا بعضه فى هذا المقال ، ثم هو يرى أن هذه الاسماء ثابتة لله بالنقل والكشف

أما النقل فهو ماجاءت به الآيات والاحاديث والاخبار وأما الكشف فهو مايراه أفراد الصوفية فى أحوال الصفاء ومقامات الوصول . والنقل والكشف طريقان وأحقهما بالاتباع معرفة الاسماء مما جاء فى الانباء ، وهذا الكلام نيسر به ـ قدر الامكان ـ شرح مايريده ابن عربى فى هذه الابيات . ولو تركناه لبادى الرأى لحار والتوى ، ولم يرجع الى مستقره من نوى . وقديما قال الشريف الرضى شفقة بالعلماء من الجهلاء :

انى لاكتم من علمى جواهره
كى لايرى الحق ذو جهل فيفتتنا
فقد تقدم فى هذا أبو حسن
الى الحسين ووصى قبله الحسنا
يارب جوهر علم لو أبوح به
لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى
يرون أقبح مايأتونه حسنا

وابن عربى يرى اسم الاول والآخر اسما مطلقا من غير اولية وآخرية ، فلا أولية لاوليته ولا آخر لآخريته بل هو وجود مطلق من غير تقييد اذ التقييد يستحيل على الحق سبحانه وهو كلام يحتاج فى فهم الحق الى تجرد وعمق . وفيه تتفاوت الفهوم وتختلف العقول .

معاوية بن أبي سفيان

الأستاذ عبد الحميد جودة السحار

دخل الحسن على رجل يجود بنفسه ، فعاين مايقاسيه من الكرب ، فأحس يدا تهصر قلبه ، فغمغم :

ـ ان آمرا هذا آخره لجدير بأن يزهد فى أوله ، وان أمرا هذا أوله لجدير أن يخاف آخره .

وخرج الى المعسكر ، فألفى ألوف الرجال ينتظرونه ، فخرج فى عسكر عظيم وعدة حسنة ، حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس ، ثم دعا عبيد الله بن العباس فقال له :

ـ يابن عم انى باعث اليك اثنى عشر ألفا من فرسان العرب وقراء مصر الرجل منهم يريد الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك ، وافرش لهم جناحك ، وأدنهم من مجلسك فانهم بقية ثقات أمير المؤمنين ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات حتى تصير بمسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاويه ، فان أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك ، فانى على أثرك وشيكا ، وليكن خبرك عندى كل يوم ، وشاورهذين « قيس بن سعد ، سعيد بن قيس » واذا لقيت معاوية، فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فان فعل فقاتله ، وان أصبت فقيس بن سعد على الناس ، وان أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس .

وسار عبيد الله بن عباس بمن معه ، فجعل أصحاب الحسن الذين وجههم معه يتسللون الى معاوية ، الوجوه وأهل البيوتات ، فكتب عبيد الله اليه: « أما بعد فان المسلمين ولوك أمرهم بعد على رضى الله عنه ، فشمر للحرب وجاهد عدوك ، وقارب أصحابك واشتر من الظنيين دينه بما لا يثلم لك دنياه ، ووال أهل البيوتات والشرف تستصلح به عشائرهم حتى يكون الناس جماعه فان بعض ما يكره الناس ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدى الى ظهور العدل وعز الدين خير من كثير مما يحبه الناس اذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور وذل المؤمنين وعز الفاجرين واقتد بما جاء عن أئمة العدل فقد جاء عنهم أنه لايصلح الكذب الا فى حرب أو اصلاح بين الناس ، فان الحرب خدعة ولك فى ذلك سعة اذا كنت محاربا ما لم تبطل حقا ، واعلم أن عليا أباك انما رغب الناس عنه الى معاوية أنه آسى بينهم فى الفىء ، وسوى بينهم فى العطاء فثقل عليهم ، واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله فى ابتداء الاسلام حتى ظهر أمر الله ، فلما وحد الرب ومحق الشرك وعز الدين أظهروا الايمان وقرؤوا القرآن مستهزئين بآياته ، وقاموا الى الصلاة وهم كسالى ، وأدوا الفرائض وهم لها كارهون ، فلما رأوا أنه لايعز فى الدين الا الاتقياء الابرار توسموا بسيما الصالحين لتظن المسلمون بهم خيرا ، فما زالوا حتى أشركوهم فى أماناتهم وقالوا حسابهم على الله ، فان كانوا صادقين فاخواننا فى الدين ، وان كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الاخسرين ، وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباههم ، والله ما زادهم طول العمر الا غيا ، ولا زادهم ذلك لاهل الدين الا مقتا .

فجاهدهم ولا ترض دينه ولا تقبل خسفا ، فان عليا لم يجب الى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب وأنهم يعلمون أنه أولى بالامر ان حكموا بالعدل ، فلما حكموا بالهوى رجع الى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ولا تخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك والسلام » .

وسار الحسن بمن معه حتى نزل ساباط ، وجاء الليل فنظر الى عسكر ، وأطرق وبان فى وجهه هم ثقيل ، انه يخشى اهراق دماء المسلمين وأنه يخشى أن يسأله الله فيم أهرق دماءهم ، وأمسى طول ليله ينظر فى أمره ، أصبح الصباح نادى فى الناس :

ـ الصلاة جامعة .

فاجتمعوا ، فصعد المنبر فقال :

ـ الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا اله الا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالحق وائتمنه على الوحى ، صلى الله عليه وآله أما بعد ، فوالله انى لارجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله منه وأنا أنصح خلقه لخلقه ، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ، ولا مريدا له بسوء ولا غائله ألا وان ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة ، ألا وانى ناظر لكم خيرا من نظركم لانفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولا تردوا على رأيى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى واياكم لما فيه محبته ورضاه ان شاء الله .

ثم نزل ، فعلا وجوه الناس وجوم ، ونظر بعضهم الى بعض وقالوا :

ـ ما ترونه يريد بما قال ؟؟

ـ فظنه يريد أن يصالح معاوية ويكل الامر اليه ، كفر والله الرجل .

وثارت ثائرة الناس فشدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه رجل فنزع مطرقه عن عاتقه ، فبقى جالسا متقلدا سيفا بغير رداء ، فدعا بفرسه فركبه ، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراده ، ولاموه ، فقال :

ـ ادعوا لى ربيعة وهمدان .

فدفعوا له فأطافوا به ، ودفعوا الناس عنه ، وانطلق ، فلما مر فى مظلم ساباط قام اليه جراح بن سنان وبيده معول ، فأخذ بلجام فرسه وقال :

ـ الله أكبر يا حسن ، أشرك أبوك ثم أشركت أنت .

وطعنه بالمعول ، فوقعت فى فخذه فشقته . وسقط الحسن الى الارض بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده ، واعتنقه فخرا جميعا الى الارض ، فوثب رجل ونزع المعول من يد جراح فخضخضه به ، وأكب آخر عليه ، فقطع أنفه ، ثم أخذا له الآجر فشدخا رأسه ووجهه حتى قتلوه .

وحمل الحسن على سرير الى المدائن ، فقام بها يعالج نفسه ، وجاء الحسين وعبد الله بن جعفر فقال لهما الحسن :

ـ انى قد كتبت الى معاوية فى الصلح وطلب الامان .

فثار الحسين وقال :

ـ نشدتك الله أن تصدق أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة على !

ـ أسكت فأنا أعلم بالامر منك .

وأقبل معاوية حتى نزل قرية يقال لها الحيوضة بمسكن ، وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بازائه ، فلما كان من غد ،وجه معاوية بخيل الى عبيدالله فيمن معه تقربهم حتى ردهم الى معسكرهم ، فلما كان الليل أرسل معاوية الى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلنى فى الصلح وهو مسلم الامر الى ، فان دخلت فى طاعتى الآن كنت متبوعا ، والا دخلت وأنت تابع ، ولك ان أجبتنى الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجل لك فى هذا الوقت نصفا ، واذا دخلت الكوفة النصف الآخر .

فاقبل عبيد الله اليه ليلا ، فدخل عسكر معاوية ، فوفى له بما وعده ، وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلى بهم ، فلم يخرج حتى أصبحوا ، فطلبوه فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيد الله فنال منه ، ثم أمرهم بالصبر والنهوض الى العدو ، فأجابوه بالطاعة وقالوا له :

ـ انهض بنا الى عدونا على اسم الله .

فنهض بهم وخرج اليه بسر بن أرطأة ، فصاح :

ـ ويحكم !! هذا أميركم عندنا قد بايع وامامكم الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم ؟؟

فقال قيس بن سعد لاهل العراق :

ـ اختاروا احدى اثنتين : اما قتال مع غير امام ، واما أن تبايعوا بيعة ضلال !!

ـ بل نقاتل بلا امام .

فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم الى مصافهم فكتب معاوية الى قيس ابن سعد يدعوه ويمنيه ، فكتب اليه قيس :

ـ « لا والله لا تلقانى ابدا الا وبينى وبينك الرمح »

فكتب اليه معاوية حينئذ لما يئس منه : « أما بعد ، فانك يهودى ابن يهودى تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، فان ظهر أحب الفريقين اليك نبذك وغدرك وان ظهر أبغضهم اليك نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمى غير غرضه ، فأكثر الجز وأخطأ المفصل فخذله قومه ، وأدركه يومه فمات بحوران طريدا غريبا والسلام .

فكتب اليه قيس بن سعد بن عبادة : « أما بعد ، فانما أنت وثن ابن وثن ، دخلت الاسلام كرها ، وأقمت فيه فرقا ، وخرجت منه طوعا ، ولم يجعل الله لك فيه نصيبا ، لم يقدم اسلامك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حربا لله ولرسوله ، وحزبا من أحزاب المشركين ، وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده ، وذكرت أبى لعمرى فما أوتر الى قوسه ، وما رمى الا غرضه فشغب عليه من لاتشق غبار ، ولا تبلغ كعبه ، وزعمت أنى يهودى ابن يهودى . وقد علمت وعلم الناس أنى وأبى أعداء الدين الذى خرجت منه ، وأنصار الدين الذى دخلت فيه ، وصرت اليه . والسلام » .

فلما قرأ معاوية كتاب قيس غاظه، وأراد اجابته فقال له عمرو :

ـ مهلا ، فانك ان كاتبته أجابك بأشد من هذا ، وان تركته دخل فيما دخل فيه الناس ، فامسك عنه .

واعتزل قيس فى أربعة آلاف فارس وبعث معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة الى الحسن المصلح فدعوه ، فى هذا الامر ، وما كان الحسن فى حاجة لمن يزهده ، وأعطياه ما شرط له معاوية ، وان لا يتبع أحد بما مضى ، ولا ينال أحد من شيعة على بمكروه ، ولا يذكر على الا بخير وتم الصلح بين معاوية والحسن ، فانطلق الحسن الى الكوفة وأكابر أصحابه يلومونه ويبكون اليه جزعا مما فعل

سار معاوية حتى نزل النخيله .. واقبل الحسن فبايعه ، ومال عمرو بن العاص على معاوية فقال له :

ـ مر الحسن بن على أن يخطب ، فانه حديث السن عيى فلعله يتلعثم فيتضع فى قلوب الناس ، فطلب معاوية من الحسن ان يخطب فامتنع ، فناشده ان يفعل فوضع له كرسى ، فجلس عليه فقال :

ـ أما بعد أيها الناس ، فان الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، الا أن أكيس الكيس التقى ، وان أعجز العجز الفجور ، وان هذا الامر اختلفت أنا ومعاوية فيه ، اما ان يكون احق به منى واما ان يكون حقى تركته لله عز وجل ولاصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقن دمائكم :

ثم التفت الى معاوية وقال :

ـ وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين .

فتغير وجه معاوية ، والتفت الى عمرو وقال فى غيظ :

ـ هذا من رأيك .

ارسل معاوية الى قيس بن سعد يذكره الله ويقول :

ـ على طاعة من تقاتل وقد بايعنى الذى أعطيته طاعتك ؟!

فأبى قيس أن يلين له ، فبعث اليه معاوية سجلا قد ختم اليه فى أسفله فقال :

ـ اكتب فى هذا السجل ماشئت فهو لك .

قال عمرو لمعاويه :

ـ لاتأته هذا فقاتله .

ـ على رسلك فانا لا نخلص الى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعداءهم من أجل الشام ، فما خير العيش بعد ذلك وانى والله لا اقاتله أبدا حتى لا أجد من قتاله بدا .

فلما وصل الى سعد ذلك السجل ، اشترط ابن قيس فيه له وللشيعة على الامان على ما أصابوا من الدماء والاموال ، ولم يسأل معاوية فى سجله ذلك مالا .

جيىء بقيس ليبايع ، فقال قبل ان يدخل على معاوية :

انى حلفت أن لا القاه الا وبينى وبينه الرمح أو السيف .

فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبر يمنية ودخل قيس ليبايع فأقبل على الحسن فقال :

ـ أفى حل من بيعتك ؟..

ـ نعم ..

فالقى له كرسى ، وجلس معاوية على سرير والحسن معه ، فقال له معاوية :

ـ أتبايع ياقيس ؟

ـ نعم ..

ووضع يده على فخذه ولم يمدها الى معاوية ، فجاء معاوية من سريره وأكب على قيس حتى مسح يده على يده ، وما رفع اليه قيس يده .

وبلغ الخوارج نزول معاوية بالنخيلة فقالوا :

ـ قد جاء الآن ما لاشك فيه ، فسيروا الى معاوية فجاهدوه .

فاقبلوا حتى دخلوا الكوفة ، فارسل اليهم معاوية خيلا من خيل اهل الشام ، فكشفوا اهل الشام فارسل

معاوية الى الحسن يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج فقال الحسن :

ـ سبحان الله ، تركت قتالك وهو لى حلال لصلاح الامة وألفتهم ، أفتراني أقاتل معك ؟ وأرسل معاوية لاهل الكوفة :

ـ لا أمان لكم والله عندى حتى تكفوا بوائقكم .

فخرج أهل الكوفة الى الخوارج فقاتلوهم ، فقالت لهم الخوارج :

ويلكم ، ماتبغون منا ؟ أليس معاوية عدونا وعدوكم دعونا حتى نقاتله وأن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم وأن أصابنا كنتم قد كفيتمونا .

ـ لا والله حتى نقاتلكم .

ـ رحم الله اخواننا من أهل النهر ، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة .

وقاتل أهل الكوفة الخوارج حتى قتلوهم ، واطمأن معاوية ، فجمع الناس فخطبهم :

ـ ما اختلف أمر أمة بعد نبيها الا وظهر أهل باطلها على أهل حقها .

ثم انتبه وندم فقال :

ـ الا هذه الامة يا أهل الكوفة ، أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ، ولكنني قاتلتكم لا تأمر عليكم وعلى رقابكم ، وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون الا ان كل مال أو دم أصيب فى هذه الفتنة فمطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمى هاتين ، ولا يصلح الناس الا بثلاث: اخراج العطاء عند محله ، واقفال الجنود لوقتها ، وغزو العدو فى داره ، فان لم تغزوهم غزوكم .

وذكر عليا فنال منه ، فقام الحسين وكان جالسا تحت المنبر ، ليرد عليه ، فأخذه الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال :

ـ أيها الذاكر عليا ، انا الحسن وأبى على وأنت معاوية وأبوك صخر ، وأمى فاطمة وأمك هند ، وجدى رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة وجدتى خديجة وجدتك قتيلة ، فلعن الله أخملنا وألأمنا حسبا وشرفا قديما وحديثا ، وأقدمنا كفرا ونفاقا .

فقالت طوائف من أهل المسجد :

ـ آمين .

ودخل معاوية الكوفة بين يديه خالد بن عرفطة ، ومعه حبيب بن حماد يحمل رايته ، وجاء الحسيب بن نجية للحسن فقال له :

ـ ماينقضى عجبى منك ، بايعت معاوية ومعك أربعون ألفا ، ولم تأخذ لنفسك وثيقة وعهدا ظاهرا ، أعطاك أمرا فيما بينك وبينه ثم قال ما قد سمعت والله ما أراد بها غيرك

ـ فما ترى ؟

ـ أرى أن ترجع الى ماكنت عليه ، فقد نقض ماكان بينه وبينك .

ـ ياحسيب ، انى لو اردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء ، ولا أثبت عند الحرب منى ، ولكنى اردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعضه فارضوا بقدر الله وقضائه .

ودخل الحسن الكوفة ، وجلس بفناء داره وعنده رهط ، فدخل عليه رجل فقال :

ـ السلام عليك يامذل المؤمنين .

ـ وعليك السلام .

ونزل الرجل فعقل راحلته ، ثم أتاه فجلس اليه فقال له الحسن .

ـ كيف قلت : السلام عليك يامذل المؤمنين لم جرى هذا منك الينا ؟

ـ أنت والله بأبى وأمى أذللت رقابنا حيث أعطيت الطاغية البيعة وسلمت الامر الى اللعين ابن آكلة الاكباد ، ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك فقد جمع الله عليك كل الناس .

ـ كانت جماجم العرب بيدى ، يسالمون من سالمت ، ويحاربون من حاربت ، فتركتها ابتغاء وجه الله .

واستعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة ، فساء ذلك المغيرة بن شعبة ، فاتى معاوية وقال له :

ـ استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمرا على مصر ، فتكون أنت بين نجبى الاسد !

وفكر معاوية فوجد ماقاله المغيرة صحيحا فعزل عبد الله وولى المغيرة .

وبلغ عمرا ماقاله المغيرة لمعاوية ، فدخل عمرو على معاوية فقال :

ـ استعملت المغيرة على الكوفة ؟

ـ نعم ..

ـ أجعلته على الخراج ؟

ـ نعم ..

ـ تستعمل المغيرة على الخراج فيغتال المال فيذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئا ، استعمل على الخراج من يخافك ويهابك ويتقيك .

فعزل المغيرة عن الخراج واستعمله على الصلاة فلقى المغيرة عمرا فكلمه فى ذلك فقال عمرو :

ـ ألست المشير على أمير المؤمنين فى عبد الله بن عمرو ؟

ـ بلى .

ـ فهذه بتلك .

وانصرف معاوية راجعا الى الشام ، وأتى سليمان بن صرد الحسن ، وكان غائبا عن الكوفة ، وكان سيد أهل العراق ورأسهم فقال :

ـ السلام عليك يامذل المؤمنين .

ـ وعليك السلام ، اجلس لله أبوك .

ـ ان تعجبنا لاينقضى من بيعتك معاوية ومعك مائة ألف مقاتل من اهل العراق وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك بقية فى العهد ولا حظا من القضية . فلو كنت كتبت عليك بذلك كتابا واشهدت

عليه شهودا من أهل المشرق والمغرب أن هذا الامر لك بعده كان الامر علينا أيسر ، ولكنه أعطاك هذا فرضيت به، من قوله ثم قال: وزعم على رءوس الناس ماقد سمعت انى كنت شرطت لقوم شروطا ، ووعدتهم عدات ، ومنيتهم أمانى ، ارادة اطفاء نار الحرب ، ومداراة لهذه الفتنة اذ جمع الله لنا كلمتنا وألفنا ، فان كل ماهنالك تحت قدمى هاتين ، والله ما أعنى بذلك الا نقض مابينك وبينه ، فاعد للحرب خدعة ، واذن لى أشخص الى الكوفة فأخرج عامله منها ، وأظهر فيها خلعه وانبذ اليه على سواء ان الله لايهدى كيد الخائنين .

وسكت سليمان ، فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقول :

– ابعث سليمان بن صرد وابعثنا معه ثم الحقنا اذا علمت أن قد أشخصنا عامله وأظهرنا خلعه .

فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال :

– أما بعد ، فانكم شيعتنا واهل مودتنا ، ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا وقد فهمت ماذكرتم ولو كنت المجزم فى أمر الدنيا وللدنيا ، أعمل وأنصب ما كان معاوية بأبأس منى بأسا وأشد شكيمة ، ولكان رأيى غير ما رأيتم ، ولكنى أشهد الله واياكم انى لم أرد بما رأيتم الا حقن دمائكم واصلاح ذات بينكم فاتقوا الله، وارضوا بقضاء الله ، وسلموا الامر معه ، والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتى يستريح بر ويستراح من فاجر .

وقام سليمان وخرج من عنده وهو يرجو أن يجد عند الحسين غير ما جد عند الحسن . فلما دخل عليه وعرض ما عرضه على الحسن قال :

– ليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته مادام معاوية حيا ، فانها بيعة كنت والله لها كارها ، فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم .

وتجهز الحسن والحسين للشخوص الى المدينة ، فدخل عليهما المسيب بن نجية الفزارى وظبيان بن عمارة التيمى ليودعاه ، فقال الحسن :

– الحمد لله الغالب على أمره او أجمع الخلق جميعا على أن يكون ماهو كائن ما استطاعوا .

فقال الحسين :

– لقد كنت كارها لما كان ، طيب النفس على سبيل أبى حتى عزم على أخى فاطعته ، وكأنما يجد أنفى بالمواس .

فقال له المسيب :

– انه والله مايكبر علينا هذا الامر الا أن تضاموا وتنتقصوا . اما نحن فانهم سيطلبون موتنا بكل ماقدروا عليه .

– يامسيب نحن نعلم أنك تحبنا

فقال الحسن :

– سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (من احب قوما كان معهم)

وتجهز الحسن والحسين ، وخرج الناس لوداعهم ، وانطلق الركب وقد جرت الدموع وطأطأ أبو بكر رأسه ، فعاد بفكره القهقرى فتذكر يوم كان النبى يحدثهم والحسن بن على فى حجره ، فيقبل على أصحابه فيحدثهم ثم يقبل على الحسن فيقبله ثم يقول :

(ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)

بعث معاوية زيادا على البصرة وكتب اليه : (أما بعد ، فانظر عبد الله بن هاشم ابن عتبة فشد يده الى عنقه ثم أبعث به الى)

ونادى منادى زياد فى البصرة :

– أمن الاسود الاحمر بامان الله الا عبدالله بن هاشم ابن عتبة ، ففر عبد الله ، ومكث معاوية يطلبه أشد الطلب ، فقد كان يريد أن يضع يده عليه ، فما نسى تحريضه لاهل العراق فى صفين بعد أن قتل أبوه ، وظل مدة لايعرف له خبرا حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة ، فقال له :

– أنا أدلك على عبد الله بن هاشم ، اكتب الى زياد فانه عند فلانة المخزومية ، فدعا كاتبه فكتب :

أما بعد ، فاذا أتاك كتابى هذا فاعمد الى حى بنى مخزوم ففتشه دارا دارا حتى تأتى الى دار فلانة المخزومية فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر ، وقيده وغل يده الى عنقه ، واحمله على قتب بعير بغير وطاء ولا غطاء وأقدمه الى .

وقبض زياد على عبد الله فبعث به الى معاوية مغلول اليدين ، فلاقى فى سفره نصبا كثيرا ، ودخل دمشق فى يوم الجمعة ، وهو اليوم الذى خصصه معاوية لاشراف قريش وأشراف الشام ووفود العراق ، فلم يشعر معاوية الا وعبد الله بين يديه، وقد ذبل وسهم وجهه، فعرفه ولم يعرفه عمرو بن العاص ، فقال معاوية :

– يا أبا عبد الله ، أتعرف هذا الفتى ؟

– لا ..

– هذا ابن الذى يقول فى صفين

أعور يبغى أهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا
لابد أن يفل أو يفلا

– وانه لهو ، دونك الضب فاشخب أوداجه ، ولا ترجعه الى أهل العراق فانهم أهل فتنة ونفاق ، وله مع ذلك هو يرديه ، وبطانه تغويه ، والذى نفسى بيده لئن أفلت من حبائلك ليجهزن اليك جيشا تكثر صواهله .

فقال عبد الله وهو فى القيد :

– يابن الابتر ، هلا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين ، ونحن ندعوك الى البراز وتلوذ بشمائل الخيل . كالامة السوداء والنعجة القوداء ؟! أما ان قتلنى قتل رجلا كريم المخبرة ، حميدة المقدرة .

فقال عمرو :

– أما والله لقد وقعت ، ولا أحسبك منفلتا من مخالب أمير المؤمنين .

– ان أقتل فرجل أسلمه قومه وأدركه يومه أما والله يابن العاص انك لبطر فى الرخاء ، جبان عند اللقاء ، غشوم اذا وليت ، هياب اذا لقيت .

فقال معاوية :

– ألا تسكت لا أم لك !

– يابن هند أتقول لى هذا ، والله لو شئت لاعرقن جبينك ولاقيمنك وبين عينيك وسم يلين له أخدعاك : بأكثر من الموت تخوفنى ؟!

فقال معاوية فى لين :

– أو تكف يابن أخى .

وأمر به الى السجن ، وراح عمرو يزين له قتله ، فقد كان أبوه يوم صفين جمرة عليهم ، ولكن معاوية لم يسمع له ، فقد كان يعمل على تحبيب الناس فيه واستمالتهم اليه بالمال والعفو والصبر والاناة . وأتى من سجنه وقال له :

– أتراك فاعلا ماقال عمرو من الخروج علينا ؟

– لا تسل عن عقيدات الضمائر لا سيما اذا أرادت جهادا فى طاعة الله .

ـ اذن يقتلك الله كما قتل أباك
ـ ومن لى بالشهادة ؟
واستمر معاوية يلاينه حتى أخذ عليه موثقا الايساكنه بالشام حتى لايفسد عليه أهله ثم أحسن جائـزته وأطلقه .
وجلس معاوية وعمرو وسعيد وعتبه والوليد يتذاكرون صفين ، فذكروا الزرقاء بنت عدى .
فقال معاية :
ـ أيكم يحفظ كلامها ؟
ـ نحن نحفظه ياأمير المؤمنين .
ـ فاشيروا على فى أمرها .
ـ نشير عليك بقتلها .
ـ بئس الرأى أشرتم به على ، أيحسـن بمثلى أن يتحدث أن يتحدث عنه أنه قتل امرأة بعد ماظفـر بها !
فكتب الى عامله بالكوفة أن يوفدها اليه مع ثقة من ذوى محارمها ، وعدة من فرسان قومها ، وأن يمهـد لها وطاء لينا ، ويسترها بستر خصيف ، ويوسـع لها فى النفقة .
فارسل عامله الى الزرقاء فأقرأها الكتاب ، فقالت :
ـ ان كان أمير المؤمنين جعل الخيار الى فانى لاآتيه وان كان حتم فالطاعة أولى .
فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به ، فانطلقت الى الشام مع عدة من الفرسان ، فلما دخلت على معاوية قال :
ـ مرحبا وأهلا ، قدمت خير مقدم قدمه وافد ، كيف حالك ؟
ـ بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النعمة .
ـ كيف كنت فى مسيرك ؟
ـ ربيبة بيت طفلا أو ممهدا
ـ بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثت اليك ؟
ـ انى لى بعلم مالم أعلم ؟
ـ ألست الراكبة الجمل الاحمر ، والواقفـة بين الصفين فى يوم صفين تحضين على القتال ، وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك ؟
ـ ياأمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبتر الذنب . ولم يعد ماذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والامر يحدث بعده الامر .
ـ صدقت .. أتحفظين كلامك فى صفين ؟
ـ لا والله لا أحفظه ولقد أنسيته .
ـ ولكنى أحفظه ، لله أبوك حين تقولين : أيهـا الناس ارعووا وارجعوا أنكم قد أصبحتم فى فتنـة غشتكم جلابيب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيالها فتنة عمياء ، صماء بكماء ، لا تسمع الناعقها ، ولا تنساق لقائدها ، ان المصباح لايضىء فى الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ولا يقطع الحديد الا الحديد الا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه .
أيها الناس : ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبرا يامعشر المهاجرين والانصار على الغصص ، فكأنه قد اندمل شعب الشتات ، والتأمت كلمة العدل ، ودفع الحق باطله ، فلا يجهلن أحد فيقول : كيف العدل وانى ليقضى الله أمرا كان مفعولا . ألا وأن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم مابعده ، والصبر خير فى الامور عواقبا . أيها فى الحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين .
ثم قال لها :
ـ والله يازرقاء لقد شركت عليا فى كل دم سفكه .
ـ أحسن الله بشارتك ، وادام سلامتك ، فمثلك بشر بخير وسر جليسه !..
ـ أو يسرك ذلك ؟
ـ نعم والله ، لقد سررت بالخبر فانى لى بتصـديق الفعل ؟
فضحك معاوية ، وقال :
ـ والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له فى حياته ، اذكرى حاجتك !
ـ ياأمير المؤمنين ! آليت على نفسى أن لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا ومثلك أعطى من غير مسألة ، وجاد من غير طلبة .
ـ صدقت .
وأمر لها والذين جاءوا معها بجوائز وكساء ، وتوافد أصحاب على وأقاربه على معاوية فكان يعطيهم مالا كثيرا وما أعطوه كلمة طيبة .
وأتى عقيـل بن أبى طالب معاوية فأعطاه ستة ألف ثم غدا عليه يوما بعد ذلك وجلسا معاوية حوله ، فقال معاوية :
ـ يا أبا يزيد اخبرنى عن عسكرى وعسكر أخيك فقد وردت عليهما .
ـ أخبرك ، مررت والله بعسكر أخى ، فاذا ليـل كليل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونهار كنهـار رسول الله ، الا أن رسول الله ليس فى القـوم ما رأيت الى مصليا ، ولا سـمعت الا قارئا ، ومررت بعسكرك فاستقبلنى قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة ثم قال :
ـ من هذا عن يمينك يامعاوية ؟
ـ هذا عمرو بن العاص .
ـ هذا الذى اختصم فيه سته نفر فغلب عليه جزاء قريش ، فمن الآخر ؟
الضحاك بن قيس الفهرى .
ـ أما والله لقد كان أبوه جيد الاخذ لعسب التيوس فمن الآخر ؟
ـ أبو موسى الاشعرى .
ـ هذا ابن السراقة .
ورأى معاوية انه أغضب جلساءه ، وعلم أنه ان استخبره عن نفسه قال فيه سوءا ، فعزم على أن يسأله ليقول فيه مايعلمه من سوء فيذهب بذلك غضـب جلسائه
قال :
ـ يا أبا يزيد ماتقول فى ؟
ـ دعنى من هذا ؟
ـ لتقولن ..
ـ أتعرف حمامة ؟ ومن حمامه
ـ يا أبا يزيد ؟
ـ قد أخبرتك
ثم قام فمضى ، فارسـل معاوية الى النسابة فدعاه فقال :
ـ من حمامة !
فظهر الارتباك على وجه الرجل وصمت ، فقـال له معاوية :
ـ من حمامة ؟
ـ ولى الامان ؟
ـ نعم ..
ـ حمامة جدتك أم أبى سفيان كانت بغيـافى الجاهلية صاحبه راية فقال معاوية لجلسائه :
ـ قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا .

ندوة الشهر

أجر المجاهدين والشهداء

اعداد : عبد الرحمن الشربينى

المجاهد والشهيد كلاهما عند ربه فى أعلى منزلة .. واجره أعظم أجر .. ذلك لان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

فاذا كان هذا هو أجر المجاهد والشهيد .. فهل هناك شروط لهذا الاجر العظيم لمنزلة المجاهد والشهيد فى سبيل الله ؟

أهناك التزامات لابد من توفرها للحصول على هذا الاجر الكبير ؟..

يتحدث عن ذلك فى ندوة الشهر .

١ - فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدنى .

٢ - الدكتور عبد العزيز كامل .

يقول فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدنى ..

- الجهاد اذا نظرنا اليه من حيث قيمته الطبيعية .. نجد أن المجاهد هو ذلك الذى يقدم نفسه وروحه فداء لوطنه وفداء لعشيرته وفداء للاخرين .. فهو يجود بأعز ما يملك فى الحياة لينقذ الاخرين .. ولا شك أن هذا سمو فى الانسانية لدرجة أنه يترك أعز مايملك فيقدم من أجل مجتمعه أو فى سبيل الله .. وهى كلمة تلخص كل معنى من معانى الخير ومعانى الجهاد المشروع .. ولذلك يقول الشاعر .

يجود بالنفس ان ضن البخيل بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

والله سبحانه وتعالى يعرفنا بأجر الجهاد لانه أعد للمجاهدين أجرا عظيما ، ويصور فى هذا المجاهد الذى عاد من المعركة منتصرا ولم يقتل والمجاهد الذى استشهد فلم يرجع من المعركة فيقول :

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

فهو قد فرض الناحيتين فى المجاهد الذى خرج للجهاد .. فرض فيه ناحية أنه يقتل ويستشهد .. وفرض فيه ناحية أخرى أنه يغلب ويرجع ويعود .. وجمع بينهما فى الحكم حيث يقول « فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

واذا نظرنا بشىء من التفصيل فى هذه الجوانب فاننا نرى السنة المطهرة مثلا تحث على الجهاد وتبين لنا فضله فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » .. وفى مثل قوله عليه الصلاة والسلام « من أغبر وجهه فى سبيل الله وهو يجاهد أمنه الله من غبار النار يوم القيامة » .. وفى مثل قوله صلى الله عليه وسلم .. « عينان لاتمسهما النار ، عين بكت من خشية الله وعين سهرت فى الحراسة فى سبيل الله » .. ويقول عليه الصلاة والسلام .. « ألا أنبئكم بليلة هى أفضل من ليلة القدر .. فقالوا بلى يارسول الله .. فقال ليلة باتها حارس فى سبيل الله فى موضع مخوف عسى ألا يرجع منه الى أهله » .. واذن من هنا نفهم منزلة الجهاد وأجره .

ويقول القرآن الكريم « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .. فالله سبحانه وتعالى يبين لنا أنه عقد صفقة مع المؤمنين .. هذه الصفقة فيها مشتر وبائع .. فالبائع هو المؤمنون .. والمشترى هو الله جل جلاله .. والمبيع هو الانفس والاموال فى سبيل الله ، والقتال فى سبيل الله .. والثمن المقابل لذلك هو الجنة ..

والله سبحانه وتعالى لم يقل لنا ان هذا الثمن خاص بمن قتل واستشهد فقط .. وانما هو يقول .. يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، فليس هذا الثمن مشروطا بأن يقاتل المجاهد ويستشهد ، ولكن بمجرد أن يدخل فى معمعة القتال ويقدم نفسه طائعا مختارا ليحارب فى سبيل الله وينصر أهداف الله فانه يكون مستحقا لهذا الثمن وهو الجنة .

واذا رجعنا الى الشهيد فاننا نجد أن الشهداء لهم أجر عظيم .. فالله سبحانه وتعالى يقول « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » فاثبت الله سبحانه وتعالى لهم الحياة .. كما قال فى آية أخرى .. « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » . وهذه الحياة علينا أن نفهم أن الله سبحانه وتعالى أضافها لنفسه فقال « عند ربهم » وهى عندية ليست مكانية ، وانما هى عندية تشريف وتكريم .. ولا نعلم كنهها ولا نفسر ما أجمله الله سبحانه وتعالى فى أمرها .. فقد وردت بعض الروايات فى السنة المطهرة رواها بعض علماء السنة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، وكان أبوه قد استشهد وهو يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة من الغزوات .. فقال جابر .. لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن استشهد أبى فقال لى عليه الصلاة والسلام .. ياجابر مالى أراك حزينا منكسرا .. فقلت له يارسول الله لقد استشهد أبى فى القتال معك وترك صبية صغارا وزوجا فقال عليه الصلاة والسلام .. ياجابر .. ألا أبشرك ياجابر

بما لقى الله به اباك .. قال بلى يارسول الله .. قال ان الله لايكلم أحدا الا من وراء حجاب.. وقد احيا الله أباك فكلمة وقال له تمن على ياعبدى .. فقال اى ربى .. اتمنى عليك أن تعيدنى الى الدنيا لاجاهد فى سبيلك وأقتل .. فقال الله تعالى .. لقد سبق القول منى أنهم لايرجعون فى الدنيا ولكن يرجعون يوم الجزاء .. فقال اى ربى .. اذن فابلغهم عنى وعرفهم أننى فى نعمة منك .. فانزل الله تعالى قوله « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاخوف عليهم ولا هم يحزنون » وبذلك بلغ الله سبحانه وتعالى رسالة شهيد فى عالم الشهداء .. بلغها فبعث بها جبريل الى خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغها الى العالمين ، فكانت أشرف رسالة بلغها الله عن طريق جبريل ومحمد الى جميع العالمين تبين أكرم منزلة للشهداء عند ربهم .

ويتحدث الدكتور عبد العزيز كامل :

ـ علماء الحديث فى الاسلام يهتمون عادة بحديث الرسول الكريم « انما الاعمال بالنيات » وهوالحديث الذى جعله الامام البخارى أول الاحاديث فى صحيحه .. فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالاخلاص فقال « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » فمدار الامر أولا هو الاخلاص فى العمل لله سبحانه وتعالى ..

وذكر النبى عليه الصلاة والسلام فى حديثه « ان من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة كريم وعالم وشهيد . فيؤتى بالعالم فيسأل عما عمل فى الدنيا ، فيقول ياربى تعلمت العلم وعلمته الناس .. فيقول الله كذبت .. لقد تعلمت وعلمت ليقال فلان عالم .. وقد قيل عنك هذا واستوفيت جزاءك من الناس فلا جزاء لك اليوم عندى .. وكذلك يؤتى بالكريم فيقول ياربى أنفقت فى سبيلك فيقول الله كذبت .. وتقول الملائكة كذبت .. انما فعلت هذا ليقال فلان كريم . وقد قيل عنك هذا فاستوفيت جزاءك من الناس فلا جزاء لك اليوم عندى .

وكذلك يفعل مع الشهيد ..

اذن الذى يستوقف النظر هو قصد الانسان أن يقال عنه .. اما اذا مدحه الناس وقالوا عنه الكثير وهو لايقصده ولا يحبه .. فهذا لاشىء عليه ..

ما الذى يستطيع أن يفعله عالم يخطب فى الناس أو يتكلم فيهم ويعظهم .. لا يستطيع أن يفعل ذلك سرا .. لابد أن يتكلم وأن يعلم .. فما بال الشهيد فى ميدان المعركة ليس المهم ما يقوله عنه الناس وانما المهم مايقصده هو أن يقول الناس عنه .. وهذا سر لايعلمه الا هو والله معه.. ولذلك لانستطيع نحن أن نقول ان هذا عمل غير مخلص أو عمل خالص لله .. هذا مرده الى الله تعالى .. واذن فمناط قبول العمل هو الاخلاص وهو سر بين العبد وربه .

وقد يقول الناس كلاما عن رجلين .. أحدهما مقبول عند الله والاخر غير مقبول .. لان احدهما يحب المحمدة فى الله ويحب دائما أن يقال عنه وأن يفتخر .. أما الاخر فلا يهمه من ذلك الا أن يكون بينه وبين الله خير مهما قال الناس عنه .

بعد ذلك نسأل .. هل الاستشهاد يقتصر على المجاهد الذى يقتل فى ميدان المعركة ؟ ان الاحاديث لاتقول بهذا .. ولو كان كذلك لكان تضييقا لمعنى الاستشهاد والشهادة فى الاسلام .

يقول النبى عليه الصلاة والسلام .. « من قتل دون ماله فهو شهيد .. ومن قتل دون دمه فهو شهيد . ومن قتل دون دينه فهو شهيد .. ومن قتل دون أهله فهو شهيد »

نذكر قول الله تعالى .. « ألم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم أبعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ، قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا .

والمجتمع الذى يستطيع الوصول الى استقلاله وتامين نفسه انما يعتبر فى سبيل الله كل كفاح فى سبيل استقلاله وتامينه.. والله تبارك وتعالى يمتن على المسلمين فى ذلك فيقول « واذكروا اذا انتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » فاذن شكر هذه النعم كلها انما هو عمل فى سبيل الله .

نعود بعد هذه الآيات الى الحديث مرة أخرى ..

« من قتل دون ماله فهو شهيد » فهل ماله هو عبارة عن النقود التى فى جيبه أو التى فى بيته ؟.. ان كان هذا هو المعنى لكان معنى ضيقا وقاصرا. خصوصا فى مجتمع نعيش نحن كلنا فيه ونعتقد أن ثروته انما هى ثروة الشعب جميعا وأن واجب كل فرد فيه أن يحافظ على هذه الثروات لان خيرها انما يعود على كل فرد فيه . فاذا ما فسر هذا المعنى على المال الخاص فمعنى ذلك أن يكون المجتمع اقطاعيا أو رأسماليا مفككا ممزقا ليس له وحدة تجمع القوى الشعبية الكافية فيه .. ولكن حينما يصبح كل مافى الامة ملكا للامة فانما يكون من مالى ، ولو مت دفاعا عن ذلك فانما أموت دفاعا عن مالى وحينئذ أموت شهيدا فى سبيل الله سبحانه وتعالى .

فاذا كان لنا اخوان بذلوا جهودهم فى السد العالى وانهارت عليهم بعض الاجزاء فهم شهداء فى سبيل الله .. انسان وقف يحرس ماكينة فصعقه التيار الكهربائى فهو سبيل الله .. انسان يقوم بأى عمل يحميه ممن يريد أن يهدمه فهو فى سبيل الله .

فما لك اذن انما هو كل شىء فى هذه الامة .

« ومن مات دون دمه فهو شهيد » .. هل معنى هذا أن أدافع عن نفسى فقط ؟.. لو دافعت عن زوجى .. أليس فى ذلك دفاعا عن دمى أيضا ؟ .. وجارى وصديقى والمواطن الذى أعيش معه .. أليس كل هؤلاء يفدوننى بنفوسهم وينبغى على أن أفديهم بنفسى !

ذلك الجندى الذى يقف ليحمينى .. والذى دافع عنى فى اليمن .. والذى دافع عنى على الحدود ..أليس هو كنفسى ولا ينبغى أن أوثر عليه بشىء .. فلادافع عنه كما دافع هو عنى .. فاذا أنا مت فى سبيل هذا الدفاع عن اى فرد من هؤلاء فانما أموت شهيدا فى سبيل الله تعالى .

ثم بعد ذلك « ومن مات دون دينه فهو شهيد » .. دينك يامر بعدالة .. دينك يأمرك بمساواة .. دينك يأمرك بان ترفع مستوى الشعب كله .. فاذا أنت رفعت كل هذه المستويات فانك تحقق دينك وتفعل كل ذلك من أجل دينك .. فانت حين تدافع عن مجتمع بكل هذه العقائد انما تفعل ذلك فى سبيل الله تعالى .

وبهذه المعانى نستطيع أن نفهم أن الدفاع عن المال والدين والدم والاهل انما هو دفاع فى سبيل الله ومن قتل دونها فهو شهيد فى سبيل الله .

باب الرياضة

اعداد: ناصف سليم

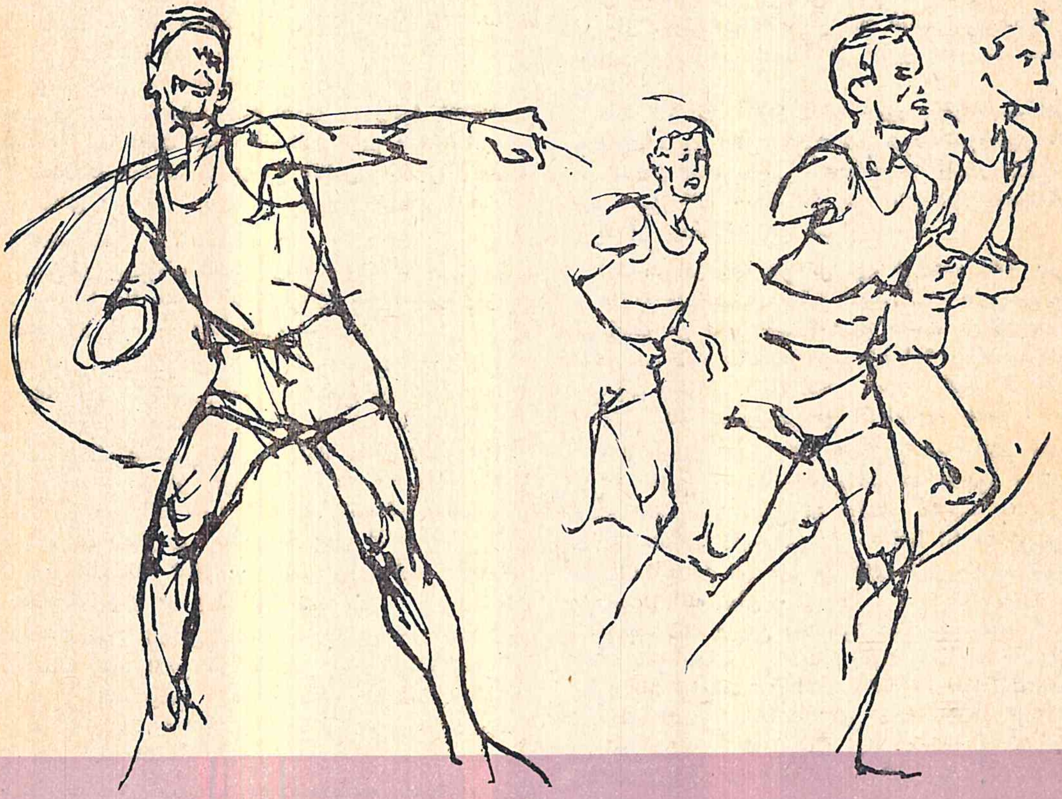

القدوة الحسنة فى تربية الشباب

ما من شك فى أن الدولة وفرت الامكانيات الضخمة فى السنوات الاخيرة لرعاية الشباب فى مراحله المختلفة .. ولكن الملاحظ أننا لم نقو بعد على منافسة الدول الكبيرة فى كثير من اللعبات .

اذن لابد هناك من سبب او اسباب تؤدى الى تخلفنا بالرغم من الدفعات القوية التى نلمسها من المسئولين بين الحين والحين .

انى أعتقد أن أحد أسباب الجمود وضعف المنافسة هو قلة عدد القادة الاكفاء فى كثير من مجالات الشباب .

فالملاحظ أن نضوج الوعى الآن أدى الى تحول كبير من جانب الشباب الى الملاعب والاندية والمعسكرات ولم نجد لهذا العدد المناسب قادة يمكنوننا من تخريج أجيال قوية ، تستطيع أن تنتج فى المجال الدولى اذا ما تعرضت لمنافسات دولية فى أى فرع من فروع الرياضة والتسابق .

اذا تحدثنا مثلا عن الاندية وهى التى تعتبر الآن معامل تفريخ الابطال ، وتربية الشباب ، وجدنا أن بها عددا ضئيلا من القادة لا يتفق مع عدد المشتركين من الاعضاء ، ووجدنا نشاط هؤلاء القادة قاصرا على النواحي الفنية فى مجالات اللعبات التى تنظم لها مسابقات دورية .

وقد أدى نقص عدد القادة الى انحرافات كثيرة لعل القارئ يعرف كثيرا منها اذا كان منتميا للاندية أو قارئا للصفحات الرياضية .. أو لعل ذلك يكون مفهوما من ذكر كلمة ((معسكر)) للاعبين ، فى هذا النادى أو ذاك .

كذلك ينقصنا فى الاندية القائد الذى تكتمل فيه صفة القيادة ، لان اللاعبين أو المنتمين للاندية ، انما يحاولون تقليد من سبقوهم من كبار اللاعبين .

فاذا كان هؤلاء ممن يتباهون بشرب الخمر مثلا أو التدخين ، فانهم على الفور يقلدونهم .. ولا ينكر أحد ما للتقليد من أثر فى التربية ، انه يكون عادات صالحة أو غير صالحة ، وفقا لحالة ذلك الذى يضع نفسه فى موضع القائد .

لذلك كان لابد لنا اذا أردنا أن نضع أسسا سليمة للتربية الرياضية ، وخلق جيل من الشباب النافع أن نعد القادة أولا .. القادة الذين تتوافر فيهم شروط القيادة .

كأن يكونوا قدوة حسنة ، لان من عهد اليهم بتربيتهم رياضيا انما تتطلع اعينهم عليهم ، فالحسن عندهم مايفعل القادة ، والقبيح عندهم ما يتركه هؤلاء القادة

ويجب أن تكون أعمال هؤلاء المشرفين مطابقة لاقوالهم دائما ، لان عمل ما يخالف القول يكون بمثابة تكذيب له، وهذا يقلل من تاثيره ويحط من قيمته .

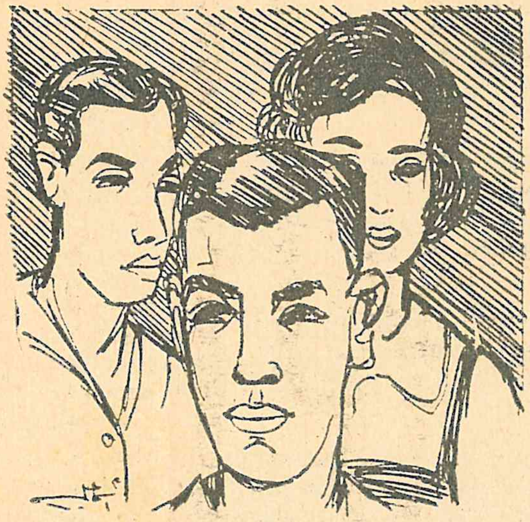

كذلك يجب أن يكون جو الاندية مشبعا بروح التعاطف والتآلف ، يشيع فيه النظام فى العمل ، ويسوده الانسجام بين أفراد الفريق الواحد ، وبين الفريق وباقى الفرق .

واذا تركنا الاندية وتحدثنا عن النشاط الذى يمارسه الشباب خارجها ، وجدناه لا يعدو أن يكون معسكرات الصيف ، أو رحلات الشتاء لطلبة المدارس وما يجب أن يتوفر فى الاندية مما ذكرنا يجب أيضا ان يتوفر فى المعسكرات والرحلات .

يجب أن ينزل المشرفون الى التلاميذ ، ويعاملونهم كأصدقاء ، خاصة اذا كانوا فى معسكر ، حتى يرفع ذلك من الروح المعنوية لدى الشباب ، ويثق فى نفسه ، ويثق فى مشرفيه وقادته .

ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فى ذلك ، فقد روى انه وهو فى طريقه الى غزوة بدر ، رجاه على بن أبى طالب ومرثد رضى الله عنهما ، أن يركب الدابة فى دور كل منهما وهما يمشيان ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يمشى فى دوره كما يمشيان وقال لهما :

((ما انتما باقوى منى على المشى ، وما انا باغنى منكما على الاجر)) .

وهذه الروح العالية ، والاخلاق السامية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترشدنا الى صفات كثيرة من صفات القائد ، صفة التواضع ، وعدم الترفع على الغير ، والمساواة ، واكتساب الاجر بالعمل .

ولو أننا أدركنا معنى هذا التصرف ومغزاه ، وأثره فى نفوس رجاله ، لما ركب الآن مشرف على رحلة — مثلا —

فى الدرجة الاولى ، وترك تلاميذه فى الدرجة الثالثة .. وقد تكون الرحلة من القاهرة الى أسوان ، وما أكثر المشاكل التى يتعرض لها الشباب اذا ترك فترة من الوقت دون اشراف أو قيادة ، وهو فى سن المراهقة .

معسكرات العمل

وتجرنا مناسبة الحديث عن قادة الشباب ، وتربية النشء الى هذا النوع من المعسكرات الذى بدأنا تنظمه فى السنوات الاخيرة ، الا وهو « معسكر العمل » .

ان معسكرات العمل توفر فيها من وسائل خلق الشباب وتنشئته التنشئة التربوية الصحيحة ما لم يتوفر فى غيرها .

انها الى جانب مساهمتها فى قضاء وقت الفراغ عند الشباب ، تساهم فى الانتاج للدولة ، فرواد المعسكر تقع على كواهلهم أعمال لابد وان ينجزوها فى فترة محدودة فاصلاح الطرق وتعبيدها ، واصلاح الارض وتشجيرها وما الى ذلك .

وقد نجح هذا النوع من المعسكرات فى بلادنا ، أكثر مما نجح فى غيرها ، لاننا لم تستخدم لها الوسائل التى تستخدمها الدول الاخرى فى اغراء الشباب للاقبال عليها .

لقد رأيت معسكرات العمل فى يوغوسلافيا ، وعشت فيها ، ووجدتهم يرغبون الشباب فى الانضمام لمعسكرات العمل عن طريق الاختلاط اى السماح للفتيات بالانضمام لنفس المعسكر ، حتى يكون ذلك تشجيعا للشباب كى يقبل كل فتى ومعه فتاته للعمل فى المعسكر وقضاء وقت ترفيهى .. واذا كانت فكرة المعسكر جميلة لانها تساهم فى الانتاج وتربية الشباب بدنيا ، فانها بهذه الوسائل لا تساعد على تربيته خلقيا . والحمد لله .. لم نقتد بهم فى كل شىء ، فاخذنا ما هو جميل ومفيد من معسكراتهم لننفذه فى معسكراتنا ، ولا ضير فى ذلك .

وقد كان من المعسكرات النموذجية التى أثمرت وأفادت فى قطاع شباب البعوث الاسلامية ، معسكر أبى بكر الصديق – حيث توفرت فيه الرعاية الصحية والطبية والثقافية والرياضية ، وأدى رسالة ضخمة ، نتيجة توفر عدد من القادة فيه ، وخلق قادة من نفس الشباب المقيم فى المعسكر ، حتى شاعت فيه روح التربية الاسلامية .

امكانيات هائلة

والحقيقة التى لا جدال فيها انه لم يعد لشبابنا الآن مايرجوه للعاملين فى ميدانه مايشكون منه . بعد أن ظفروا فى ثلاثة عشر عاما بميزانيات هائلة ، زادت على المليونين من الجنيهات ، وقد كانت قبل الثورة مائة الف لا أكثر .

وطالما استرسل شباب الجيل السابق بآماله الى شىء من هذا وحامت نفوسهم عليه دون أن يبلغوا من ذلك شيئا ، ولم يعد بعد ذلك أمامنا الا أن يفهم الشباب رسالته .. ونبنى فى نفوسه روح النضال .. ونجعله يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم .. ليكون الساعد القوى الامين الذى يحمل التبعات فلا ينوء بها .. وليكون درع فى كل زمان ومكان .

لهذا .. ولكى نظفر بهذا النوع من الشباب ، يجب أن تزود الاندية والمعسكرات ، وحقول الشباب فى مختلف القطاعات بقادة على جانب كبير من الوعى التربوى المتمشى مع الروح الاسلامية ... لان هذا الصنف هو الذى يستطيع أن يغرس فى نفوس الشباب أسس التربية هو الذى سيخبرهم بالمواقف البطولية للشباب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيطلعهم – مثلا – على موقف على بن ابى طالب عندما نام مكان الرسول معرضا حياته للخطر .. وبموقف عبد الله بن ابى بكر واخته اسماء وراعى الغنم الصغير ، وهم يكتمون فى نفوسهم سر هجرة الرسول وصاحبه واختبائهما فى الغار بالرغم من تهديدهم ، والمحاولات التى بذلت معهم لكشف السر الخطير .

هذه المواقف البطولية التاريخية لشباب لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره هى التى يجب أن يتدارسها القادة مع الشباب فى معسكراتهم .. حتى يقتدوا بهم .

وحتى يكونوا عدتنا وقوتنا فى كل حين : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وهذا الاساس الذى نضعه فى التربية ، يجنبنا انحراف الشباب ، ويجعله دائما يعمل ويعيش فى ظل التقاليد الاسلامية العربية .

والله الموفق ...

نصيحة

الدكتور محمد مظهر سعيد

لست أدرى لماذا عدت الى الماضى البعيد ، وأنا أطالع العدد الأخير من مجلة « منبر الاسلام » فذكرت نصيحة قيمة ، زودنى بها قس انجليزى ، هو الأستاذ الدكتور بارنز ، أسقف برمنجهام بانجلترا ، الحائز على درجات الدكتوراه فى اللاهوت والعلوم والقانون ، بشأن حاجة العرب لأسلوب علمى جديد فى الدعوة للاسلام . ولعل هذه الذكرى المفاجئة ترجع الي أن الموضوعات التى طالعتها تناولت مجتمعنا الاشتراكى الجديد من نواحيه الثورية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية فى أطار من الدين والشريعة ، وبأسلوب علمى مقنع جذاب .

وخلاصة القصة ، أنى كنت فى سنة ١٩٢٩ ، أستاذا مساعدا لعلم النفس بجامعة برمنجهام ، وفى احدى ندوات الجمعية البريطانية لعلم النفس ، كان موضوع المناقشة الرئيسى ، الأسس النفسية للتربية الروحية . فتناوله الدكتور بارنز من ناحية المسيحية وتناولته أنا من وجهة نظر الاسلام ، علما بأن معظم أقطاب الكنيسة الانجليزية وأساتذة اللاهوت متخصصون تخصصا جامعيا عاليا فى الدراسات النفسية والفلسفية الى جانب الدراسات الدينية .

ويبدو أن حديثى كان موضع التقدير من جانبه ، الي حد أنه وجه الى دعوة كريمة لالقاء محاضرة عن الموضوع فى نفس كاتدرائية برمنجهام . فتهيبت الموقف ، وخاصة عندما طالعت الاعلان عن المحاضرة فى كبريات الصحف وفى اللافتات الكبيرة التى رفعت فى الطرق المؤدية للمكان . فأخذت أتلو القرآن الكريم ، أستمد منه العون والقوة ، وأستعيد ما سبق أن حفظته من الانجيل ، ودعوت لمرافقتى بعض طلاب الجامعة العرب والمصريين .

وهناك سألت الأسقف عن الاجراء المتبع عادة فى محاضرات الكنيسة ، فأجاب : تفتتح بالصلاة الربانية ونتلو أحد مزامير داود ، ثم نقدم المحاضر فاستأذنته ، لغرض فى نفسى ، أن أقوم أنا بتلاوة الصلاة والزمور ، بالانجليزية طبعا ، ثم يقدمنى كأستاذ مصرى دون ذكر ديانتى ، وآنست فى وجهه شيئا من الدهشة ، فقلت ، لا عليك فأنا أحفظ الصلاة والزمور عن ظهر قلب ، فقبل ودخلنا معا الى المنصة ، هو بطليسانه الأسود ، وأنا كذلك بروب الجامعة الأسود الطويل ، واللباسان متشابهان الى حد كبير .

ووقفت أجيل النظر فى هذا الجمع الحاشد ، ومن بينهم رفاقى العرب والمصريين ، حتي شمل المكان سكون رهيب ، وبدأت الصلاة الربانية بصوت رتيب هادىء ، كما يفعلون ، وطلبت منهم تلاوة مزمور أعرف أنهم يحبونه ، ويبدأ هكذا : « دعونا نتجمع حول النهر ، النهر الجميل الجميل » .

ورأيت البشر يعلو وجوههم ، والدهشة البالغة تغمر الاسقف . وبعد أن قدمنى لهم كما طلبت ، بدأت الحديث بروح القدس وحياة السيد المسيح وما فيها من عبر ومثل روحية ، ثم رسالة المحبة والتسامح والسلام التى تنادى بها ، وانكاره لقيم الحياة المادية ، ودعوة المؤمنين للزهد والتقشف الى حد التجرد عن أموالهم وأملاكهم ، حتى يدخلوا مملكة السماء ، وهذا فى الواقع مطلب عسير يشق على الكثير من الناس ، لأن مطالب البدن ملحة وشهواته قوية ، ومتع الدنيا كثيرة ، وحرص الانسان على ماله وملكه غريزى ، والشيطان واسع الحيلة والانسان ضعيف . والزهد فى الدنيا كلية ابتغاء الآخرة طفرة فى الطبيعة البشرية ، ولهذا أرسل الله لهداية الناس رسولا بعد رسول ، كل منهم يدفع البشر فى طريق الايمان الكامل خطوة بعد خطوة ، فى تؤدة وصبر . والأديان كلها تنبع من معين الهى واحد ، يكمل اللاحق منها السابق ، تبعا لسنة التطور والارتقاء ، وكلها نور الهي واحد يهدى الناس سواء السبيل ، ولكن التعصب الأعمى هو الذى يحفز أهل كل دين ، بل أصحاب المذاهب المختلفة فى الدين الواحد ، فينظرون للآخرين بعين المقت والكراهية ، ويتهمونهم بالكفر والالحاد والزندقة ، ويرتكبون من الفظائع فى نشر دينهم أو الدفاع عنه ما تأباه روح القدس وتعاليم الدين ، وتاريخ أوروبا حافل بالمآسى والمجازر التى أرتكبت باسم الدين . وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، عصر النور والعلم ، علينا أن نحكم عقولنا قبل قلوبنا فى كل مانسمع أو نقرأ ، ونتقبل بصدر رحب كل مايقره المنطق السليم ، ونحترم الرأى المخالف ، ولو لم نؤمن به .

ووقفت هنيهة ، أطالع فى وجوه السامعين ما كان لحديثى من أثر كبير . ثم أستأنفت الحديث ، فقلت : هناك دين آخر يرى أن الله خلق الانسان ليكون خليفته على الارض ، فأعدها له وزينها وجعل فيها من الخيرات ما يستمتع به رزقا حلالا ، وطالبه بأن يعمل حياته الفانية فى الدنيا ، كأنه يعيش أبدا ، مستمتعا بالحلال ، متجنبا الحرام ، عاملا لخيره وخير الناس ، وفى نفس الوقت يطيع أوامر الله ويتجنب نواهيه ، ويكرس حياته للعمل الصالح والبر والاحسان والعدل والسلام ، كأنه سيموت غدا ، وسيحاسب على ما قدمته يداه ، ومأواه جنة النعيم ان كان من الصالحين ، ومثواه جهنم ان كان من الفاسدين المفسدين ، فهو دين يجمع بين القيم

المادية للحياة الدنيا والقيم الروحية للحياة الاخرى. فالصلاة فيه ليست مجرد عبادة تقليدية ، ينتهى أثرها بعد أدائها ، وانما هي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصدقة فيه ليست مجرد احسان لفقير ، وانما هى تزكى المتصدق فيكون محبوبا من الناس مرضيا عنه ، وتطهره من الذنوب والآثام ، فيكون مقبولا عند الله . والصوم ليس مجرد الجوع والامتناع عن الطعام والشراب وانما هو مغالبة النفس للشهوات . وهكذا يتطور الانسان بفضل تعاليم هذا الدين ، من التعلق بالقيم المادية ، التي تحرص عليها النفس الامارة بالسوء ، الى القيم الاجتماعية التى تحرص عليها النفس اللوامة ، واخيرا يتم ايمانه بالقيم الروحية التى تتمسك بها النفس المطمئنة الراضية المرضية ، التى تدخل فى عباد الله وتخلد فى جنته . ولمحت فى عيونهم نظرات التطلع والتساؤل ، فقلت هذا هو الاسلام الذى أدين به ، ومادمت قد بدأت حديثى بالصلاة المسيحية ، فاسمحوا لى أن أختمه بصلاة الاسلام ، وتلوت ترجمة الفاتحة .

ووقف الأسقف معلقا ، فقال : جرت عادتي أن أدعو بين حين وآخر نخبة من اهل الديانات والمذاهب الأخرى ، ليعرضوا عليكم بضاعتهم ، وأنا أدين بحرية الفكر والمنطق السليم ، والايمان الحق لا يأتى عن التقليد والتسليم وانما عن التأمل والبحث ، ومقارنة وجهات النظر المختلفة ، دون تعصب ، فالتعصب الاعمى يحجب البصيرة عن نور اليقين . وقد عرض عليكم الاستاذ شيئا من عقيدتكم بروح طيبة ، ثم شيئا من عقيدته ، فقابلناها بنفس الروح ، وذلك لانه ليس واعظا محترفا ولا مبشرا دينيا ، وانما هو أستاذ لعلوم النفس والتربية . وفى الأسبوع الماضى استمعتم الى مبشر هندوكى مجد عقيدته البرهمية وهاجم بقية الأديان السماوية ، فلم يحز منكم القبول ، وما هكذا يكون النقاش فى الدين .

وبعد تناول العشاء فى جناحه الخاص ، رفضت الخمر وقبلت القهوة ، فقال انت مسلم حقا . ولى رأى ابديه ونصيحة أسديها ، أما الرأى فهو انى ، باعتبارى أستاذا للاهوت قبل أن أكون أسقفا ، درست الديانات السماوية والكتب المقدسه وسيرة الرسل واحاديثهم ، وانتهيت الى حقيقة ، لو جاهرت بها لنالنى الكثير من الأذى ، والكنيسة لاترحم ، ولو كنت حرا كالمورد هادلى زعيم المسلمين بانجلترا لأعلنتها على الملأ . وهذه الحقيقة هى أن الله اجتباكم وحباكم أيها العرب ، وأتم نعمته عليكم وارتضى لكم دينا سمحا وشريعة عادلة تنظم أمور الدنيا والآخرة وتصلح لكل زمان ومكان . ووهبكم كنزا لايفنى وهو القرآن ، ومعينا لاينضب وهو الشريعة . وجعلكم امة وسطا ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وأمركم بالجهاد فى سبيل الله والدعوة للدين حتى يعم نوره الخافقين . ولكنكم احتفظتم بكنوزكم لأنفسكم ، ودفنتموها فى قبور كتبكم القديمة وآثار السلف الصالح ، ونشرتم الدعوة بلغتكم العربية ، فلم يفد منها غير العرب ، وتركتم مفاتيح هذه الكنوز لنفر من المستشرقين ، ينقلونها من لغتكم الى لغتهم ، بحسب كفاياتهم أو أهوائهم . ومنهم من هو حر الفكر ينشد الحقيقة ، ومنهم من هو متعصب يبدل الباطل بالحق. والغربي المستشرق مهما بلغت دراسته باللغة العربية وثقافة الاسلام وتقاليد العرب ، لايمكن أن يصل الى مستوى المامكم بلغتنا وثقافتنا . وأنا أعلم أن رجال الدين المسلمين منصرفون عن علوم الدنيا ، بعيدون عن الثقافة والحضارة الغربية ، فلا يستطيعون متابعة الشبهات والشكوك والاباطيل التى تزخر بها معظم مؤلفات المستشرقين عن الاسلام ، والتجريح لسيرة نبيكم محمد وشخصيته ، فضلا عن الرد عليها بالحجة والمنطق السليم . وهم ملمون بالفرق الاسلامية ورد شبهاتهم ، وهى فرق بادت منذ زمن بعيد ، ولكنهم يجهلون الديانات الاخرى عامة والفرق المسيحية خاصة . وفيهم الآن علماء جهابذة مجتهدون ، ولكن اجتهادكم لم يتناول بعد مستحدثات الحياة العصرية ونظم المدنية الحديثة ، الاجتماعية والاقتصادية ،ورجال العلم من المبعوثين أمثالكم بعيدون عن مجال الدين . والقليل الذى تعلموه فى مرحلة التعليم الابتدائى والثانوى لايغنى ، فضلا عن أن التعليم العالى ، الخالى من الدراسات الدينية قطع الصلة بينهم وبين الدين الي حد ما . ونحن هنا فى انجلترا نوجه للطلاب المسلمين أسئلة كثيرة هامة ، ولكنا قلما نظفر منهم بالجواب الشافى . بل ان معظمهم لايقومون بفروض دينهم الظاهرة كالصلاة والصيام ، ولو فعلوا ذلك لازددنا لهم تقديرا واحتراما . ويؤسفنى كل الأسف أن أرى الكثير من طلابكم فى جامعاتنا ينسلخون تدريجيا من تقاليدهم الشرقية الاسلامية ، محاولين تقليد عاداتنا ، فيكونون كالغراب الذى حاول التشبه بالطاووس ، مع الفارق طبعا فى التمثيل ، فأنتم لستم غربانا ولا نحن طواويس . وبعضهم تتملكه سورة الغضب عند النقاش الدينى ، فيهاجمون المسيحية بعنف ويشيرون فى حدة الى ما يزعمونه فيها من سيئات ، ثم لايذكرون حسنات الاسلام ، كما لو كانوا مصابين بعقدة النقص . وليتهم يسلكون طريقك ، ولكنك دارس لعلوم النفس والتربية ، وما دمت ترى أن علوم الدين أقوى أثرا فى تكوين الشخصية المتكاملة من علوم الدنيا ، فليتك تبقى هنا داعية للاسلام .

أما النصيحة التى أحب أن أسديها لك ، لتنقلها الي قومك بعد عودتك ، فتتلخص فى جملة واحدة رب الدار أولى بما فيه . فاذا كنتم حقا تؤمنون بأنكم خير أمة أخرجت للناس ، تدعون للمعروف وتنهون عن المنكر ، وأن الدعوة للاسلام هي أساس الجهاد فى سبيل الله ، فعليكم أن تختاروا نخبة من علماء الدين والدنيا والضليعين فى اللغات الأوروبية ، وتؤمنوا لهم معاشهم ، ليتفرغوا لترجمة القرآن وأحاديث الرسول وشرح قواعد الاسلام وأصول الشريعة ، ثم تدربون الدارسين منهم للديانات والمذاهب الأخرى ، وترسلونهم كمبعوثين للعالم الغربى يحاضرون ويكتبون وينشرون ويذيعون ، متبعين الأصول النفسية والتربوية للدعوة ، كما فعلت أنت ، فيعرضون علينا أحسن ما فى بضاعتنا بروح طيبة وفكر مستنير ومنطق سليم ، ثم يعرضون بضاعتكم فنتقبلها بنفس الروح الطيبة ، وأنا موقن بأن الكثيرين منا ، وخاصة ذوى الرأى الحر والأفق الواسع ، الذين ينشدون المعرفة الحقة ، سيدركون أن الاسلام هو المرحلة الأخيرة فى التطور الدينى ، وأن رسالة الاسلام تكمل ما قبلها من رسالات ، وأن محمدا هو خاتم الرسل والأنبياء .

وأوصى كذلك بأن يدرب موظفو سفاراتكم وقنصلياتكم ومبعوثو طلابكم وأعضاء مؤتمراتكم تدريبا دينيا ، بحيث يؤدون فرائض الاسلام أينما حلوا ، فيكونون قدوة حسنة ، ويضربون بسلوكهم المثل الصالح ، والأعمال دائما أقوى أثرا وأكثر اقناعا من الأقوال .

ولدى نصائح أخرى هامة كثيرة ، لعلى أوفق لعرضها عليك فى جلساتنا المقبلة ، اذا أراد الله .

الإلياذة الإسلامية
أو
ديوان مجد الإسلام

الاستاذ حلمى محمد بدير

نيف وخمسة آلاف بيت من الشعر الموزون المقفى ، قوام هذه الالياذة الاسلامية ، وهو حدث لم يشهده تاريخ الشعر العربى ، وقلما وجدنا غيره يصل الى مائة بيت أو مائتين ، على أكثر تقدير وليس الأمر بذى أهمية فقط لطولها ، وانما لموضوعها الذى يعد من أهم الموضوعات الشعرية التي طرقها الشعراء المحدثون

فالاسلام بتاريخه وتاريخ بنيه ، بمجده ومجد رسوله الكريم ، كان الموضوع الأساسى لهذه الملحمة الشعرية الكبيرة واحمد محرم كما يقول صاحب السمو الروحى « أحد شعراء العربية الفحول ذوى الباع الطويل فى الشعر وعلوم العربية ، شهد له أعلام الأدب فى هذا العصر أنه ثالث ثلاثة : أحمد شوقى بك وحافظ بك ابراهيم وأحمد محرم « وهو يصف ملحمته هذه بأنها « درة يتيمة فى الأدب العربى . » (السمو الروحى فى الأدب الصوفى : للحلوانى) .

والالياذة الاسلامية التى طبعت أخيرا بمكتبة دار العروبة بمصر ، على نفقة محافظة البحيرة التى قامت بدورها باهداء دار الكتب المصرية خمس نسخ منها ، هذه الملحمة اختلفت الاراء فى قيمتها ، لا من ناحية الموضوع وانما من الناحية الفنية ، فهي فى رأى الدكتور شوقى ضيف منظومة شعرية لا فن فيها ولا ابداع يقول : « هو لا يكتب ملحمة كالملحمة التى كتب فيها هوميروس الياذته وانما يكتب أو قل ينظم سيرة الرسول ، وفرق بين نظم السير والشعر القصصى ، ذلك لأن الأول عمل آلى ، فالشاعر يقرأ التاريخ ثم يحوله شعرا أو قل يحوله نظما - وهو لذلك لا يعالج حربا ولا ملحمة بعينها ، وانما يعالج سيرة مطولة فيها الحرب وفيها غير الحرب »

ونحن مع احترامنا للرأى ، لا نريد أن نثير هنا ، تلك القضية القديمة ، قضية مكانة الشعر العربى وقضية الالياذة والملحمة وافتقار الأدب العربى لهما ، الذى يعده بعض النقاد والدارسين نقصا يعيب الشعر العربى بخاصة ، ولكن نحب أن نقول ان أحمد محرم لم يقل انها الياذة كالياذة هوميروس ، أو هى ملحمة كانيادة فيرجيل ، أو فيرها ، وانما هو يحاول - والدليل على ذلك كثير - تسجيل مآثر الاسلام وأمجاده فى ديوان شعرى كامل ، يعتبر سجلا حافلا للامجاد الاسلامية والغزوات والسرايا وهو يقول هذا بنفسه ولم نرجحه نحن ترجيحا ، « فقد أرسل اليه السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح برسالة مؤرخة ، ٢٥ من ربيع الاول سنة ١٣٥٢ هـ يقول فيها « وكنت هممت غير مرة أن أكتب اليكم أقترح عليكم مشروعا كنا نحاول اقناع شوقى بك رحمه الله به ، ولكن خشيت أن يصرفكم ذلك عن معاني الجهاد الأخرى ، وهذا المشروع هو ارسال نظركم الكريم بين حين وآخر الى مفاخر التاريخ الاسلامى الخلقية والعمرانية والسياسية والاصلاحية ، والحربية الخ .. ونظم كل مفخرة منها فى قطعة خالدة تنقش فى أفئدة الشباب ، فاذا ذخر أدبنا بكثير من هذه القطع ، على اختلاف فى أوزانها وقوافيها ، امكن بعد ذلك ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع وتأليف الياذة اسلامية من مجموعها » .

هذا هو رأى محب الدين الخطيب ، الذى نقطع بأن ثمرته كانت هذه الملحمة الكاملة

ولقد شهد لهذا العمل الأدبى الفخم شاعر عربي فحل من شعراء العروبة هو الأستاذ أحمد زكى أبو شادى ، فقد كتب فى مجلة الفتح فى ٢٦ من شوال سنة ١٣٥٤ هـ يقول « طبيعة أحمد محرم الأدبية طبيعة فنية ناضجة ، فتاريخه ليس مجرد تاريخ وانما هو عرض فنى شائق للروح الاسلامية العالية التى فتحت الاقطار ونشرت العدل ، واستوعبت الثقافة ودعمت الحضارة ، وزادتها تأنقا علي تأنق ، وليس كل شاعر قدير كفؤا لتسجيل ذلك تسجيلا زاهيا ، هو اللباب النضر الحى وليس القشور الجافة والتواريخ الميتة »

ويتصدر ديوان مجد الاسلام بما يدل على اعتماد الشاعر على علم المغازى والسير ، فى تأليفه فهو يضع فى صدر ديوانه ، أقوال العلماء فى علم المغازى ، كأنما يريد أن يقول ، اننى حين أتعرض لسيرة الرسول لا أنهج نهجا غريبا ، وانما سبقنى اليه غيرى وقال فيه الكثيرون ، ومن هذا :

(فى علم المغازي خير الدنيا والاخرة)

الزهرى

(كنا نعلم مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نعلم السور من القرآن)

زين العابدين بن الحسين بن على

(كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول : يابني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها)

اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص

وتبدأ الالياذة الاسلامية بمطلع النور من افق الدعوة الاسلامية :

املأ الأرض يا محمد نورا
واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى
يكشف الحجب كلها والستورا ...
عب سيل الفساد فى كل واد ..
فتدفق عليه حتى يغورا

وهو يحس بما فعله محمد صلى الله عليه وسلم ، فى الناس ، وما تركه من آثار جمة على خلقهم وحياتهم وهو يعبر عن هذا بقوله :

أنت معنى الوجود بل انت سر
جهل الناس قبله الاكسيرا
انت أنشأت للنفوس حياة
فيرت كل كائن تغييرا

وهو يتحدث فى أثنائها عن صبر محمد ومثابرته وجلده علي البلاء ، الذى تعرض له به أهل مكة الذين وجدوا فيه خطرا على معتقداتهم البالية ، وخطرا على حياتهم ، لا يفكرون فيما وراء هذه الحياة ، من بلى وشرور ، وهو يتحدث عن أبى طالب وحكايته المشهورة مع النبى يوم جاءه يعرض عليه المال ان كان فى حاجة اليه ويعرض عليه الجاه اذا رأى ذلك – يعرض عليه السلطة والجاه والمال والشهرة ، نظير تركه لهذا الجديد الذى يدعو له . ويرد محمد صلى الله عليه وسلم عليه رده المشهور « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتي يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته » : يقول :

جاءه عمه يقول أترضى
أن يقيموك سيدا او أميرا .
ويصبوا عليك من صفوة الما
ل حيا ما طرا وغيثا غزيرا
قال يا عم ما بعثت لدنيا
ابتغيها وما ابتغيها حصورا
لو أتوني بالنيرين لاعصر
ت أريهم مطالبى والشقورا
ان يشيروا بما علمت فتنى
لأدع الهوى وأعصى المشيرا
دون هذا دمى يراق ونفسى
تطعم الحتف راثما مخدورا

ومن هنا نرى أن الشاعر لم يبدأ الياذته الاسلامية بمولد محمد ، ونشأته وسيرته فى حياته ، وانما هو يلتمس تلك الفترة التي بدأت مع بداية حادثة غار حراء يوم أرسل محمد الى البرية ، رسولا من عند الله ، ولعل فى هذا ما يوحى بما كان فى نفس الشاعر من محاولة الحديث عن الاسلام ومجده ودور محمد صلى الله عليه وسلم فى نشر الدعوة الاسلامية وجهوده فى تدعيم قوى الاسلام فى العالم أجمع ، والشاعر لا ينسى دار الارقم بن أبى الارقم ، التى شهدت بداية الدعوة الاسلامية ، سرا وراء الحجب ، كان يجتمع فيها النبى وصحبه القلائل .. ويذكر مجيء عمر بن الخطاب رضى الله عنه اليها يعلن اسلامه فتم به الاربعون :

ودعا الارقم استجب تلك دارى
تسع الدين محرجا محصورا
وافهبا واجمع المصلين فيها
عصبة ان أردت أو جمهورا
واتى ابن الخطاب يؤمن با
لله ويختار دينه المأثورا
قال : كلا لن يعبد الله سرا
ويرى نور دينه مستورا
اخرجوا فى حمى الكتاب أسودا
واطلعوا فى سنا النبى بدورا
ذلكم دينكم فصلوا وطوفوا ..
لا تخافن مشركا أو كفورا

وهو يعرض على حادثة محاولة قتل النبى وهجرته صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة وقصة غار ثور ، الذى احتمى فيه محمد وصاحبه عن أعين الكافرين ، فحماه الله وذر على اعينهم الرماد ، فلم يروه ، وماكان من امر سراقة بن مالك يريد قتل النبى ، وكيف ساخت قوائم فرسه مرارا : ثم يحكى قصة اول طعام اهدى الى النبى فى المدينة طعام أم زيد بن ثابت (جفنة) قال زيد : هذه قصعة أمى ، فقال : بارك الله فيها

يازيد من صنع الثريد وما عسى
ترجو ما حملت يداك وتأمل
بعثتك أمك تبتغى فى دينها ..
ما يبتغى ذو الهمة المتعمل
شكر النبي لها وأطلق دعوة
صعدت كما شق الفضاء مجلجل
اطيب بتلك هدية يسعى لها
فى الله ساع بالجلال مظلل

وكان أهل المدينة عند حضور رسول الله اليهم .. عند حسن ظنه بهم .. فاكرموا وفادته وأكرموا المهاجرين معه ، وأنزلوهم منازلهم ، فى كرم عربى وضيافة سمحة ، حتى كاد التشاجر يقوم بينهم يوم ركب محمد راحلته عند دخوله المدينة ومن حوله المهاجرون والانصار من رجالته ، على من ينزل صلي الله عليه وسلم ؟ ولكنه بحكمته ترك راحلته لزمامها ، وارتضى أهل المدينة حكمها فسارت ونزل محمد فى قباء على كلثوم بن الهرم كبير عمرو بن عوف ، وهم من الأوس .

ويتحدث محرم فى الياذته عن مؤاخاة النبى للمهاجرين والانصار ، وكيف كانت المؤاخاة بعد بناء مسجد المدينة ، وقيل وهو يبنى ، وكان المراد منها ازالة الوحشة وشد الازر فى سبيل الدعوة الاسلامية ، وكانت توجب ان يرث كل أخ دون ذوى الارحام ، فلما عز الاسلام وقويت شوكته ، أبطل هذا الحكم بقوله تعالى : « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » . وكان نزول هذه الاية الشريفة فى وقعة بدر ، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم قبل ذلك ، وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة اشهر

عن زيد بن أبى أوفى أنه قال ، دخلت على رسول الله صلي الله عليه وسلم فى مسجد المدينة فجعل يقول ، « اين فلان ، أين فلان ، فلم يزل يتفقدهم ويبعث اليهم ، حتى اجتمعوا عنده فقال : انى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ، ان الله تعالى أصطفى من خلقه خلقا ، ثم قرأ (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) قال : وأنى اصطفى منكم من احب ان اصطفيه وأؤاخى بينكم ، كما آخى الله تعالي بين ملائكته ، قم يا أبا بكر فقام فجثا بين يديه الشريفتين ، فقال : ان لك عندى يدا الله يجزيك بها ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك فأنت منى بمنزلة قميصى من جسدى « وحرك قميصه بيده . ثم قال : ادن ياعمر فدنا ، فقال : قد كنت شديد البأس

علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز بك الدين أو بأبي جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما الى الله ، فأنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة ، وآخى بين المهاجر والانصاري فجعلهما أخوين

ويقال انهم كانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء ، وقيل كانوا تسعين ، وكانت المؤاخاة في دار أنس بن مالك وهي دار ابي طلحة زوج ام انس وام زيد بن سهل :

هي الاواصر ادناهـا الدم الجاري
فـلا محالـة من حب وايثـار
الاسـرة اجتمعت في الـدار واحـدة
حييت مـن أسـرة بوركت مـن دار
مشى بهـا رسـول اللـه خير أب ..
يدعـو النبيين لبـوا غيـر اغمـار
تأكـد العهـد مما ضـم الفتهـم
واستحصـد الحبـل من شد وامرار

وهو يفضح موقف اليهود والمنافقين ، الذين دخلوا الاسلام لما قـوى أمره خشية القتل ، وبقي هواهم مع اهليهم .

دعـا فأجـابوا والقلـوب صـوادف
وقالوا استقمنا والهـوى متجـانف
مضى العهـد لا حرب تقـام ولا أذى
يرام ولا بغى عن الحـق صـارف ..

ان الياذة محرم الاسلامية لتعد كما قلنا محفلا للامجاد الاسلامية ، التي حققها محمد وصحبه،وهو يحصي غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت قد بلغت الثلاثين غزوة ذكر منها بدر الكبرى وبني قينقاع والسويق وأحد وحمراء الأسد وبني النضير ، وذات الرقـاع ، وبدر الاخرة ودومة الجندل وبني المصطلق والخنـدق وبني قريظة وبني لحيان وذى قرد والحديبية وخيبر ووادى القرى ومؤته وحنين والطائف وتبوك

وغزوة بدر الكبرى في العام الثاني للهجرة ، رأى فيها احمد محرم ، عماية تجنح وهـوى يتحكم فتفسد فيقول

مال النفـوس الى العمـاية تجنـح
أتظـن أن السـيف عنهـا يصـفح
سـويت بالحسـنى فـلج فسـادها
ولديك أن شـئت الـدواء الاصـلح
الآن جـاء فقـل لقومـك أقبلـوا
بالبيض تبـرق والصـوافن تضـبح
أفيطمـع الكفـار الا يؤخـذوا .. ؟
بل غـرهم حـلم يمـد ويفسـح

ثم يتحدث عن أبي سفيان بن حرب وكيف أن قومـه بعثوه في تجارة الى الشام ، فلما اقترب من المدينة خرج الرسول في طلبه ، وعلم أبو سفيان فأنبأ قومه ، أن ينفروا لانقاذه وانقاذ تجارته ،أو قافلته فكانت هذه الموقعة التي سالت فيها دماء المشركين ، من قريش أعداء الله أنهارا ، يقول الشاعر الاسلامي محرم :

ذهب ابن حـرب في تجـارة قـومه
ولسوف يعلـم من يفوز ويربح
نسـر مضى متصـيدا ووراءه ....
يـوم تصـاد بـه النسـور وتذبـح
بينـا حيـد عـن السـهام أصـابه
نبا تصـاب بـه السـهام فتجـرح
بعث ابن عمـرو ما لـكم من قـوة
أن ما لكـم آمس يلـم ويكسـح
واها قـريش انه الـدم فاعلمـوا
من دون بيضـكو يراق ويسـفح

اني صـدقتكم البـلاغ لتعلمـوا
وجبـال مكة شهـد والابطـح
جملت نفـوس القـوم حتى مالها
لجـم تـرد ولا مقـاود تكبـح
نفروا يريدون القتـال وغرهـم
عبث اللـواتي في الهـوادج تنبـح
غنت بهجـو المسلمين وانهـا
لأضـل من يهجـو الرجال ويمدح
الضاربات علي الدفوف فان هم
ضربوا الطـلى فالنادبـات النـوح

وهو يشير بالضاربات اللواتي في الهوادج الى غرفة النسوة العازفات اللائى يصحبن جيش قريش يصحن في الرجال ويحمسنهم ، ويبعثنهم على القتال ، ولهن أغان تذكرها كتب الادب والتاريخ .

ويتقدم محرم فيصف حشد الرسول لجيشه ، وما أعده لو ثنيي مكة من سيوف الله ، المسلولة مثل مصعب بن عمير صاحب اللواء ، وسعد بن أبي وقاص والمقداد وعلى بن ابي طالب ويصور احتدام الموقعة واشتداد أوراها ، وكيف كان قلب الرسول معلقا بأصـحابه وانصاره وهم من حوله ، وعلى رأسهم أبو بكر صفيـه وخليله ، يذوون عن عرشه وكرسيه :

جـد البلاء وهـب اعصار الردى
يـرمى بأبطـال الـوغى ويطـوح
نظر النبى فضـج يدعـو ربـه
لا هـم نصرك اننـا لـك نكـدح
تلك العصـابة مالدينـك غيرهـا
ان شـد عـاد أو أغار مجلـح
لا هـم ان تهلـك فمالك عـابد
يغـدو على الغبـراء أو يتـروح

ومحرم يشير بذلك الى ما يروى عن الرسـول من انه كان يدعو ربه ، في هذه المعـركة قائلا في بعض دعائه : اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض ابدا . ونرى الشاعر يحشد اسـماء بعض الابطال الذين خاضوا الواقعة . ثم يضـيف كيف استجاب الله لرسوله فانزل عليه من السماء كتيبه من الملائكة الاطهار ، كانت تضرب مـع المؤمنين فوق اعناق الكفار وفوق كل بنان :

الله أرسـل في العجـاج كتيبـة
تهفـو كما هـفت البـروق اللمـح
جبـريل يضرب والملائك حـوله
صف ترص بـه الصـفوف وترصـح
للقـوم في اعناقهـم وبنـانهم
نار تريـك الـداء كـيف يبـرح

ولم يلبث المشركون أن ولوا الادبار،وهم ينادون بالويل والثبور ، فقد قطعت رؤوسهم ومزقت اجسادهم ، ولم يبق بينهم بطل ، ولا شجاع الا سفكت دمـه الرماح ، ونهشت لحمه السيوف :

أودى بعتبـه والوليـد وشيبـه
وأميـة القـدر الذى لا يصـرع
وهـو أبو جهـل ونوفـل وارعـوى
بعد اللجـاج الفاحش المتـوقع

فهؤلاء اشراف مكة : أبو جهل وعتبه وابنه الوليـد وشيبه بن ربيعة وأمية بن خلف ونوفل بن خويلد كـل هؤلاء ذاقوا عاقبة كفرهم وعارهـم ، ورد كيـدهم الى نحورهم ، أما المسلمون فاعزهم الله وعز رسوله ، وأيده بنصر من عنده .

ثم هو ينتقل بعد ذلك الى الحديث عن اثر الواقعة فى مكة وحزن المشركين واقامتهم الماتم ، ويحكى كيف عاد ابو سفيان بن الحارث بن هشام ، فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رأى وقال :

لقينا رجالا بيضا على خيل بلق ، قال ابو رافع مولى الرسول صلى الله عليه وسلم ، « تلك والله والملائكة فضربه ابو لهب فى وجهه ضربة شديدة . ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة (لبابة) عمودا فضربت به رأسه فشجه شجة منكرة وقالت : استضعفته ان غاب سيده . قولى دليلا ، ولم يعش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال ثم مات .

وضح اليقين لمن يرى او يسمع
ولعلما تجدى الظنون وتنفع
النصر حق والنبىء صادق
والويل للمذور ، ماذا يصنع

.....

جز النساء شعورهن وغودرت
للحزن منهن الدموع اللهمع
رجعن مكروه العويل على اسى
والبيت يشدو والحطيم يرجع
والمسلمون بنعمة من ربهم
فيها لكل موعد مستمتع
الله أكبر لا مرد لحكمه
هو ربنا واليه منا المرجع

.....

ان صاحب ديوان « مجد الاسلام » . ليريد فى صراحة ووضوح ان يخلد هذا المجد فى ملحمة شعرية تتناولها الاجيال ، على مر العصور . وتتناولها الايدى فى مختلف المجالات هو لا ينسى موقعه او غزوة الا ويكتب عنها ، ويصفها بما يراه بوجدانه ومشاعره . وبما يراه بخلده واحساسه . هو لا ينسى غزوة بنى قينقاع فى السنة الثانية للهجرة أيضا . ويشرح لقصيدته بموقف هؤلاء الغادرين الميثاق ، الناقضين العهد ، المظهرين البغى والحسد بعد مكة وبدر .

ردوا بنى قينقاع الامر اذ نزلا
هيهات ، هيهات ، أمسى خطبكم جللا
نقضتم العهد معقودا على دخل
لما قد ما نوى غشا ولا دخلا
ما زال شيطانكم بالغيظ يقدحه
بين الجوانح حتى شب واشتعلا
هاجت وقائع بدر من حفيظتكم
ونبهت منكم الداء الذى غفلا
اتنكرون على الاسلام بهجته
والله اطلعه من نوره مثلا

.....

.....

وهو يعبر عن تعصبه للاسلام ، وتعصب القوم له . الا هو دين الحق :

هل دولة الحق الا قوة غلبت ؟
فافتح بها الأرض أو فافتح بها الدولا

وينتقل بعدها الى غزوة السويق . فى العام الثانى من الهجرة كذلك . والى غزوة احد فى السنة الثالثة للهجرة .

أدأبك أن تريد المستحيلا ؟
تأمل أيها المولى قليلا
لبثت تعالج الداء الدخيلا
وتضمر فى جوانحك الغليلا

وما يجديك لاعجه فتيلا
أما تنفك تذكر يوم بدر
وما عاينت من قتل وأسر
وراءك انها الاقدار تجرى
بنصر للنبى وراء نصر
وكان الله بالحسنى كفيلا

ثم ينتقل الى مقتل حمزة الذى ألم له الرسول ألما شديدا . جعله يقول ؟ لن أصاب بمثلك وما وقفت موقفا أغيظ لى من هذا . رحمة الله عليك كنت فعولا للخيرات . وصولا للرحم . ثم صلى عليه وعلى أخوانه .

ان أحمد محرم ليؤرخ لغزوات الرسول . غزوةغزوة . لا يترك احداثها ولا ينسى دقائق حوادثها ، وهو بهذا الشاعر المسلم ، الحريص على رفعة دينه ، وعلى منزلته ولست أدرى كيف غفلت الاعين عن ديوان « مجد الاسلام » طيلة هذه العهود الكثيرة . ولم تشمله الرعاية والعناية بالطبع والتحقيق الا أخيرا .. عندما أزمعت محافظة البحيرة على اقامة مهرجان له يبدأ من ١٥ اكتوبر سنة ١٩٦٣ . تكريما لفضله وشاعريته .

ويفرد أحمد محرم جزءا كبيرا من ديوان يتحدث فيه عن (عام احداها) يذكر فيه وفد نصارى نجران ، ووفد الاشعريين ، ووفد ثقيف ووفد بنى عامر بن صعصعة .

يقول عن وفد نصارى نجران :

وفد نجران ان أردت الرشادا
فاتق الله . واتبع ما أرادا .

ان أحمد محرم اذ يذكر فضل الاسلام والمسلمين ، لا ينسى ما قابله النبى من مشاق ومتاعب اذ الوفود التى جاءت تجادله ، عاد منها البعض مؤمنا وعاد الاخرون مشركا ، هو لا ينسى مسيلمة الكذاب الذى حاول تقليد القرآن الكريم بقوله « أنعم الله على الحبلى فاخرج منها نسخة تسعى من بين شغاف وحشا » . وقوله « والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا .. » وهو لا ينسى المشركين والكفار ، عندما يتحدث عن المسلمين الابرار ، لا ينسى مناوئى الرسالة والرسول عندما يتحدث عن المسلمين الابرار ، عندما يتحدث عن مسانديه ومعضديه .

ثم هو لا ينسى بعد ذلك كتبه صلى الله عليه وسلم ، الى هرقل ملك الروم ، وكسرى ملك فارس ، والنجاشى ملك الحبشة ، والمقوقس ملك القبط بمصر ، والمنذر بن مساور العبدى بالبحرين وغيرهم .

الكتب تترى والكتائب تدلف
واليأس بينهما يثور ويعصف
الله وكل بالملوك رسوله
فاذا العروش بهم تميد وترجف
أهى القلوب تلج فى خفقاتها
أم تلك أجنحة تظل ترفرف ..

ان الذى قصر فيه المؤرخون لا يستطيع أن يستدركه الا الشعراء . وأكثر شعرائنا مشغولون بجمال المرأة . ومصروفة عقولهم عن الخير وهم يسرقون من دواوين شعراء الانجليز فليس عندهم وقت لمراجعة تاريخ العرب والاسلام . وقراءة ما بين سطوره . واستنباط المفاخر من أصعب مواقفه التى قد يخيل الى قصير النظر من الناس انها مواقف اندحار ، مع أن ما يبذل فيها من جهاد العباقرة قد يكون أعظم وأمجد مما يبذل يوم تكون الرياح مؤاتية ، والنجم فى طالع السعد .

لذلك فقد كانت الدعوة الدينية من أهم الظواهر التي صارت تتسلل الى كثير من الشعراء في أشعارهم ولعل السبب في ذلك يرجع الى أن العصر ، كان عصر الجامعة الاسلامية وكانت المشاعر الدينية تنبض بها قلوب ملايين العرب ، وكان الشعراء هم هذا القلب النابض فالشعر الذي قيل في مدح الخليفة لا يمكن أن يوصف بالتزلف كما قال غير واحد من الناقدين . وانما هو يعبر في بساطة عن أحاسيس الناس تجاه الخليفة الذي التفوا حوله ، حين دعاهم الى رابطة الدين ، فاستجابوا للجامعة الاسلامية .

وعلى هذا كان لابد وأن تظهر غير ملحمة من الملاحم الاسلامية ، كان لابد وأن تظهر المؤلفات الشعرية الكثيرة كرد فعل قوى لهذه الحركة الدينية الكبيرة في بدايات هذا القرن وأواخر القرن الماضي ومن هنا كانت الالياذة الاسلامية « ديوان مجد الاسلام » .

ان ديوان مجد الاسلام لا ينس أن يفرد جزءا كبيرا منه للحديث عن سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو يبدأ بأول سرية عقب وقعة بدر على عير لقريش فيها أبو سفيان خرج اليها زيد ابن حارثه في راكب فأصابها وهرب القوم وبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم ، وكان دليلهم رجلا من أسارى بدر ثم هرب ، جيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فأسلم .

نهض الغـزاة فأين تمضي العيـر
أعلى الشـآم الى الشـآم تسير
زيد بن حارثة يطير وراءها
ما ظنها بالنسر حين يطير
مهلا أبا سفيان ان طلابكم
عسر وان مصابكم لكبير
صفوان يرعد خيفة وحويطب
مما عراه مروع مذعور

وهو اذ يبدأ بسرية زيد بن حارثة يختم بسرية ابنه أسامة رضى الله عنهما وكانت في السنة الحادية عشر للهجرة النبوية الشريفة . كانت الي « ابنى » ناحية بالبلقاء . من أرض الشام وكانت آخر السرايا ، فقد دعاه صلى الله عليه وسلم وقال له : « سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، وقد وليتك أمر هذا الجيش » يقول :

سر يا أسامة ما لجيشك هازم
أنت الأمير وان تعتب واهم
قالوا : غلام للكتائب قائد
وقف على الصيد الخضارم حاكم
غضب النبي وقال انى بالـذى
جهل الغضاب الساخطون لعالم

وبعد

فقد وقع النقاد في حيرة من أمر هذه الالياذة الاسلامية، أهي نظم للسيرة النبوية وعرض موزون مقفى لتاريخ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أم هي وصل من رصيدنا الشعرى الفني في المدائح النبوية نضعه مع لامية كعب بن زهير ، ورائية النابغة الجعدى ومدائح حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وغيرهما من شعراء الرسول ، أو مع همزية البوصيري ونهج البردة ونبويات شوقي وحافظ والجارم ومن بعدهم من شعراء العصر ؟ أم هي من الشعر الديني : أم هي « الياذة اسلامية » وهي الصفة التي اشتهرت بها وعرفت ، في دوائر الادب عندنا ؟

لم يستطع النقاد ـ كعادتهم ـ عندنا ـ أن يتجمعوا حول رأى في هذه الملحمة الشعرية الكبيرة ، ويرون أن الشاعر وان اتخذ من السيرة مادة ديوانه كلها وكان تاريخ العصر النبوى هو المنبع السخى الذى تزود منه ، الا أنه استطاع مع ذلك أن يصوغ المادة التاريخية صياغة فنية لا تخطىء فيها طابع ذاتيته وبعض وجدانه ورؤى الهامه ، ومن هنا يأتي الفارق الكبير بينه وبين نظمهم للسيرة أو رأى لتاريخ العصر النبوى في قالب فنى تعوزه مع الوزن والقافية شاعرية التناول وفنية الاداء .

ان ديوان مجد الاسلام لاحمد محرم وان اختلفت الاراء حوله ليعد من أهم القصائد الاسلامية في تاريخ الشعر العربي في مختلف عصوره ، وهو يمثل بعد ظهوره الآن وبعد مضى ثمانية عشر عاما ، من وفاة صاحبه سنة ١٩٤٥ مشهدا من مأساة الجحود لادب العرب عندنا الذى لم يتمرغ على الاعتاب الملكية ، ولم يدن في فلك أصحاب السلطان ، في معترك الاحزاب ، ولقد مضى على الديوان حين من الدهر ، وهو مطوى مقصور لايجد سبيله الى الظهور ، مع ما امتلأت به السواعد من رخيص المطبوعات ، وخبيث المخدرات المعنوية .

وجدير بالذكر في هذا المجال .. أن مصر لم تشهد في تاريخها مشكلة الاكثرية والاقلية ، التى شهدتها أرض سوريا ولبنان في حقبة من تاريخها الحديث . فسوريا وبنوع خاص منطقتها ساحلية التى تشرف عليها جبال لبنا ن ، كان التنافس الطائفي فيها على أشده وكانت دائما أكثر تعرضا للدعايات الاجنبية وأكثر اختلاطا بالحضارة الغربية ، فنشأ عن ذلك ضغائن ووقائع دموية كان لها في النفوس فلا بدع أن نرى الشعر السورى واللبناني في ذلك العهد أشد تهجما على التعصب الديني ، وأكثر ترحيبا ورجاء بالعهد الجديد ، وقد حملت النشوة الدستورية لبعضهم على الخروج عن جادة الاعتدال فلم يقفوا عند حد التهليل بالاخاء والدعوة الى نبذ الاحقاد ، بل تجاوزوه الى درجة التطرف فصاروا يعزون الى الدين ورجاله كل أسباب التعصب والشقاق ، ويرجعون اليهم كل ما أصاب الشرق من البلايا الاجتماعية . كقول أحد شعراء المهجر :

وانى ليدهشنى تقسم أمتى
بأديانها والشر بين المذاهب
متى ينتهى كهاننا وشيوخنا
فنخلص من حياتهم والعقارب
شقينا لنعماهم وراحتهم منهم
يسوقوننا كالعين نحو المعاطب
فما الدين الا نسخة بعد نسخة
يسخر منها للناس أهواء كاذب

ولكننا لا نكاد نجد في مصر شيئا من هذا القبيل فلا صراع ولا تنابذ ولا تعصب وهو أمر أن استحسن لاستتباب الامور ، الا أنه لا يستحسن في مجال التنافس الادبى والتعصب النزيه

وبعد هذا العرض لديوان « مجد الاسلام » وما يتعرض له من أمور ، وما نراه فيه من آراء أتمنى أن أرى للديوان ، دراسة جادة واسعة تشمله بالبحث والتوفيق، تستشف ما وراء هذا العمل الضخم ، وهو كما قلت سابقا ، وان اختلفت فيه الاراء ، الا أنه سيبقى عملا رائعا غير مسبوق اليه . وحقيقة لا ينكرها أحد .

« وعلامات وبالنجم هم يهتدون » سورة : النحل .

تخير ليلة لا يضيء فيها القمر ، ومكانا خلوا من أضواء المدن والسيارات ونحوها من مصادر الضوء الأخرى ، بحيث ترى النجوم واضحة لامعة . وجه بصرك الى النجم القطبي الذي يعين القطب الشمالى ضمن مجموعة الدب أو المغرفة الكبرى ، واجعل هذا النجم قدر المستطاع مركز بحثك ورصدك .

عندما ترقب السماء مدة كافيه تجد أن بعض الكوكبات (أو مجموعات النجوم) تبدو كأنما هى تتحرك حول دائرة فى السماء بحيث تبقى فوق الأفق بصفة مستمرة ، كما تغرب بعض النجوم التى تكون بعض الكوكبات الأخرى البعيدة نوعا ما عن القطب تحت الأفق بفترة قصيرة لتشرق مرة اخرى بعد مضى ساعات قليلة . وكلما ابتعدت النجوم عن النجم القطبى ازدادت اطوال الفترات التى تمكثها تحت الأفق ، وابتعدت نقط شروقها أو غروبها صوب الجنوب .

الدكتور محمد جمال الدين الفندى

وعندما ننظر الى مجموعات النجوم التى تواجه الشمال تظهر النجوم القطبية كأنها تتحرك فى اتجاه يضاد اتجاه تحرك عقرب الساعة ، فهى تشرق من الشرق وتغرب فى الغرب . ويرجع ذلك الى دوران الأرض . ولما كانت النجوم لا تتحرك فى الحقيقة بهذه الطريقه ، فان هذه الحركة الظاهرية هى وسيلة مقبولة نعبر عنها « بسبيح النجوم » .

وعندما نرقب اجزاء اخرى من السماء نجد أن خطوط المسارات التى ترسمها النجوم فى حركتها الظاهرية مستقيمة ، وتزداد قيمة الزاوية التى يعملها المسار مع خط الافق الشرقى بازدياد القرب من خط الاستواء . وعند هذا الأخير تصير قيمة الزاوية ٩٠ درجة ، أى أنها تصعد الى أعلى مباشرة . ويلزم لكل نجم نحو ٢٤ ساعة ليكمل الدائرة ويعود الى موضعه الأصلى ، أما طول هذه الفترة على وجه التحديد فهى تنقص عن هذا القدر بمقدار ٤ دقائق ، بمعنى أنه يمكن اعتبار

النجوم التى حول القطب بمثابة ساعة تقدم ٤ دقائق بالنسبة للساعة التى نستخدمها كل ٢٤ ساعة . ومثل هذه الحقيقة هى التى ينبهنا اليها القرآن الكريم ويلفت انظارنا اليها على هيئة قضايا عامة .

والآن نذكر ان المغرفة الكبرى لها مشيران هما (ميراك) و (الدبهى) من نبات نعش الكبرى وهما يتجهان من الجنوب الى الشمال بحيث يصل الخط الواصل بينهما الى النجم القطبى مباشرة .

تصور السماء فى الشمال كأنها ساعة عالمية مركزها النجم القطبى ، وان هذه اللوحة المحفوظة التى يشير اليها والى مثيلاتها القرآن الكريم اذ يقول :

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » (الانبياء)

قد قسمت الى ١٢ قسما متساويا ، وبدلا من ترقيم هذه الاقسام من ١ الى ١٢ تعطى أسماء الشهور بترتيب يضاد اتجاه عقرب الساعة ، بحيث يكون مارس فى قمة المقياس ، وأبريل فى الوضع ١١ ، ومايو فى الوضع ١٠ وهلم جرا .. ونظرا لان هذه الساعة السماوية تمثل ٢٤ ساعة ، فان كل قسم منها انما يعادل فترة قدرها ساعتان ، ويمكن ان نجعل المشير الى الوقت هما النجمان (ميراك) و (دبهى) ، وهما كما قلنا مؤشرا مجموعة الدب الاكبر وذلك كما سنبين فيما يلى :

افرض جدلا أن المؤشرين يشيران الى ١٥ مايو على مقياس الساعة ، فان معنى ذلك انك لو نظرت الى السماء الشمالية فى منتصف ليلة ذلك التاريخ تجد المؤشرين وموقع ذلك التاريخ على استقامة واحدة . والقاعدة العامة هى انه عندما ينتصف الليل فى أى يوم من ايام السنة يصير المؤشران على

استقامة واحدة مباشرة مع التاريخ المبين على وجه الساعة أو صفحتها .

فاذا حدث وكان التاريخ هو ١٥ مارس ، بينما يشير المؤشران الى موضع ١٥ مايو فان معنى ذلك أن الوقت هو الرابعة بعد منتصف الليل ، أو الرابعة صباحا . اما اذا كان التاريخ هو ١٥ يونيو يكون الوقت سابقا لمنتصف الليل بساعتين اذا ما أشار المؤشران الى الوضع ١٥ مايو ، أى تكون الساعة العاشرة مساء وهلم جرا ..

ويستطيع القارىء بعد خبرة قصيرة وتمرين دقيق أن يلمس ان ساعة السماء ، وهى من آياتها الرائعات ، يمكن ان تكون من من الظواهر التى يعتمد عليها فى تحديد الوقت وسط الخلاء وفى الريف أو الصحراء

ومن آيات السماء كذلك انه يمكن التنبؤ بالاوضاع التى تشغلها النجوم فى أية ساعة

من ساعات اليوم وخلال أية فترة من فترات السنة ، عن طريق استخدام خريطة تحول لنا الوقت النجمى الى الوقت الذى نقيسه بساعاتنا باتباع الطريقة التالية التى ارجو أن يتتبعها القارىء بأن يقرأها مرارا حتى يتفهمها تماما .

قلنا انه تدور النجوم القطبية من حول النجم القطبى ظاهريا ، وكذلك يعين المؤشران فى مجموعة المغرفة الكبرى الموقع مباشرة على صفحة ساعة السماء عند انتصاف الليل فى ذلك اليوم . افترض هذه الساعة السماوية قرصا دائريا مزودا بسهم يبدأ عند النجم القطبى ويشير الى أعلى مباشرة ، ثم قسم حافة القرص الى ٢٤ قسما متساويا، ثم قارن بين خريطة الوقت الذى تعينه ساعتنا والوقت النجمى، معينا الخط الخاص بالساعة صفر وقت نجمى . تتبع هذا الخط تجد أن الساعة صفر وقت نجمى تحدث فى تمام الساعة ٤ صباحا فى ٢٥ يوليو ، والساعة ٢ صباحا فى ٢٥ أغسطس ، والساعة ١٢ فى ٢٥ سبتمبر وهكذا ..

ويمكنك أن تعين الاوضاع التى سوف تشغلها النجوم فى أى وقت . ليكن هذا التاريخ ١٣ مارس مثلا ، ولنفرض أن الوقت الذى تهتم به هو الساعة ١٠ مساء . ففى ١٣ مارس الساعة ١٠ مساء يكون الوقت النجمى على وجه التقريب هو الساعة ٩ مساء . أدر خريطة النجم حتى يصبح الرقم ٩ معتدلا فتبين لك الاوضاع التى سوف تشغلها النجوم آنئذ .

وجدير بالذكر ان القرآن الكريم عندما ينبهنا الى مثل هذه الظواهر الطبيعية التى يستخدمها الناس فى سبيل النفع العام ، انما يذكر قضايا عامة فى كثير من الحالات ، وقد يدخل فى بعض التفاصيل العلمية أحيانا ، وذلك امر بديهى لأن القرآن معجزة خالدة لا يقف اعجازه عند ثقافة معينة ولا يحد بزمن خاص . ومن جهة النظر هذه نجد ان معجزة محمد صلى الله عليه وسلم هى أكبر المعجزات وأخلدها ، بل انها ستبقى الى يوم الدين . ولكن ليس معنى ذلك كله أن القرآن الكريم مرجع علمى بالمعنى المعروف فليس ذلك هو الغرض منه . وبطبيعة الحال يسبق القرآن الكريم ركب العلم فى كافة مراحله ، فهو مثلا يحدثنا عن سكان السموات ويقرر فيها ما يدب على غرار ما فى الارض، وتلك ناحية هامة جدا ما زالت مجالا للبحث العلمى ، وقد راح العلماء يرسلون اشاراتهم اللاسلكية الى أعماق الفضاء ويحاولون استقبال ما يرد الينا منها عبر الفراغ الكونى مقبلا من عوالم أخرى نائية خارج مجموعتنا الشمسية .

ولقد يقول قائل : ان الآية الشريفة التى صدرنا بها هذا المقال انما تشير فقط الى امكان التعرف على المكان على الارض وسط الصحارى أو عبر المحيطات والبحارباستخدام معرفتنا بنجوم السماء ، وهذا القول يحد من معنى الآية ومرماها ، اذ أنها تشير كذلك الى معرفة الزمن ، فالزمان والمكان هى المحاور التى يهتدى بها البشر على الارض منذ فجر الحضارة . ورغم ان عمر الانسان على كوكبه صغير جدا ، بل يكاد لا يذكر ،بالنسبة الى عمر هذا الكوكب المقدر بآلاف ملايين السنين، الا انه قد كشف كثيرامن أسرارها وأسرار الكون الغامض الذى من حوله خلال هذه الفترة الصغيرة بما وهبه الله تعالى من مزايا وأنعم عليه من الهامات وخواطر .

والعجيب أن أغلب المكتشفات والمخترعات كانت تتم صدفة ، فكثيرا ما جرى العلماء وراء شيء معين الا أنهم عثروا على أشياء أخرى وكشفوا لنا عنها النقاب حسب ارادة الله تعالى . فسبحان القائل :

« ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » .

نشغل المملكة العربية السعودية الشطر الاكبر من شبه الجزيرة العربية وتبلغ مساحتها ٧٨٠ر٠٠٠ ميل مربع وتقع فى الركن الغربى من القارة الأسيويه فيحدها من الشمال منطقة الهلال الخصيب وبادية الشام ومن الجنوب البحر العربى والمحيط الهندى ومن الشرق الخليج العربى وخليج عمان ومن الغرب البحر الأحمر • وبهذا تشرف على مجموعة مائية واسعة • هذا فضلا عن توسطها الجغرافى بين آسيا وأفريقيا •

ومما هو جدير بالذكر أن للمملكة العربية السعودية مكانة خاصة بين الدول العربية فهى مهد الاسلام ومنبت العروبة •

أهم الظاهرات الطبيعية فى شبه الجزيرة العربية

تنقسم شبه الجزيرة العربية الى وحدات اقليمية لها حدود طبيعية وشبه طبيعية تحولت فيما بعد الى وحدات سياسية لكل منها كيانها المستقل • وتسميتها بالجزيرة العربية وان لم تكن جزيرة دليل واضح على مبلغ عزلة هذه الجهات عن بقية القارة الأسيوية •

وعليه فينقسم السطح الى الاقسام الآتية •

١ ـ اقليم مرتفعات السراة : حيث تمتد سلاسل المرتفعات التى تعرف باسم السراة من رأس خليج العقبة شمالا حتى خليج عدن جنوبا

المملكة العربية السعودية

دكتورة عنايات الطحاوى

موازية لساحل البحر الأحمر تاركة بينها وبينه سهلا ساحليا يضيق حينا ويتسع أحيانا • وتخترق هذه المرتفعات وديان تكثر فى بعضها المياه الجوفية ولهذا قامت فيها القرى الواحية واستقر بها السكان الذين فضلوا حياة الاستقرار على حياة الرعى والتنقل •

وتأخذ هذه المرتفعات فى الارتفاع من الشمال الى الجنوب كما يزداد اتساعها ايضا فى نفس الاتجاه وتتكون من الصخور البللورية والغارية القديمة • كما تكسو المقذوفات البركانية بعض أجزائها

وتسمى هذه المرتفعات بأسماء الأقاليم التى تخترقها فيقال مرتفعات الحجاز ومرتفعات عسير ومرتفعات اليمن •

٢ ـ هضبة نجد : وتشغل قلب شبه الجزيرة العربية وتحد شمالا بنطاق رملي كبير يسمى

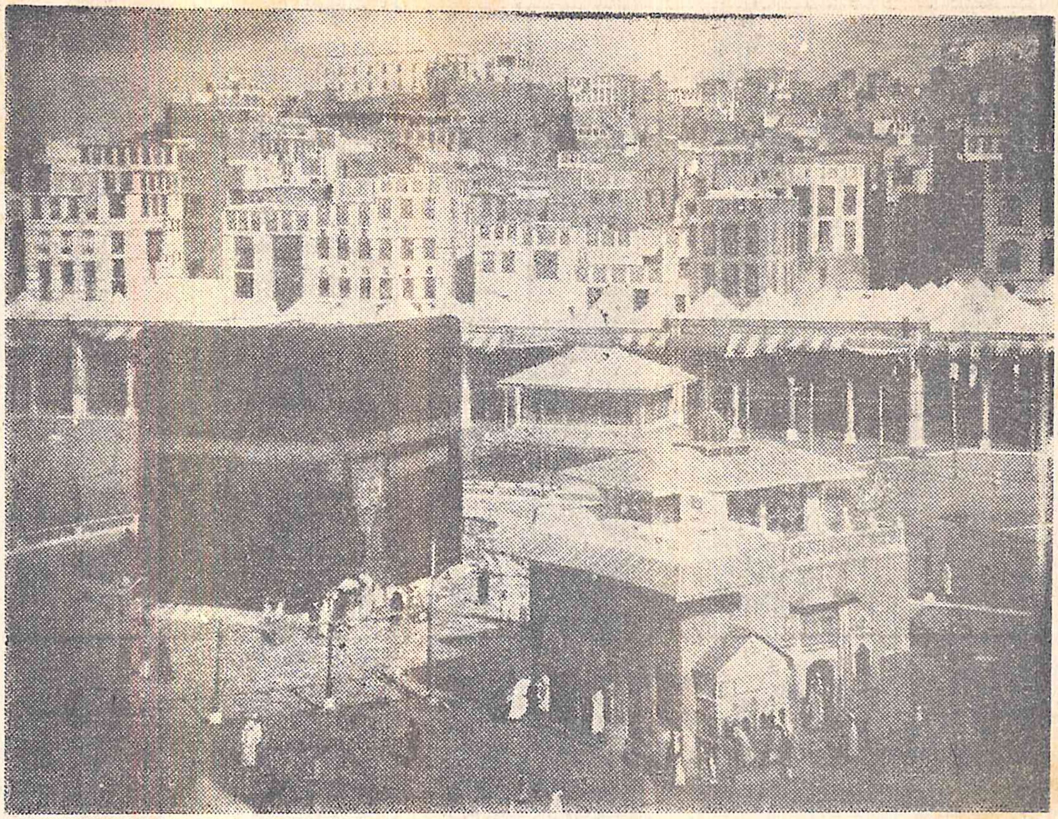

صورة الحرمين والكعبة

« النفود الكبير » وجنوبا بتكوينات رملية ضخمة تسمى « بالربع الخالى » كما يمتد الى شرقها نطاق رملى يسمى « بالدهناء » وتمتد فيها مرتفعات طويق كما تمتد بها نطاقات من الرمال وبذلك قسمت هضبة نجد الى اقسام ينفصل الواحد منها عن الآخر ويكل قسم وديانه التى تجرى فيه بعد سقوط الأمطار والينابيع الجوفية التى تساعد على قيام نشاط زراعى على نطاق ضيق فتناثرت القرى الواحية على طول هذه الوديان فى الأجزاء المختلفة من هضبة نجد .

٣ ـ **أقليم هجر** : وينحصر بين نطاق الدهناء غربا والربع الخالى جنوبا والخليج العربى شرقا وهضبة الدبدبة شمالا وقد تأثر أقليم هجر الى حد ما بالثقافة الفارسية وفى بعض فترات التاريخ خضع للنفوذ الفارسى . ويمتاز هذا الأقليم بوجود واحات زراعية غنية بمياهها الجوفية ويكثر بها الزراع المستقرون

٤ ـ الاقليم الجنوبى : ويشمل حضرموت غربا وعمان شرقا وأقليم حضرموت يتصل باليمن غربا عن طريق الأودية والممرات الجبلية ويطل جنوبا على البحر العربى وقد سادت فيه الحضارات التى إنتشرت فى اليمن

أما اقليم عمان فيقع فى الركن الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة العربية ولهذا كان اكثر اتصال هذا الأقليم بالبحر شرقا الى بلاد فارس وغربا بحضرموت واليمن ولهذا كان اقليم عمان مثار نزاع دائم بين الفرس من جهة والقبائل اليمنية المهاجرة اليه كقبائل الأزد فترات طويلة من تاريخه .

الظاهرات المناخية :

نظرا لاختلاف الظاهرات الطبيعية فى المملكة العربية السعودية من مناطق مرتفعة وأخرى منخفضة أو جهات تطل على البحار وأخرى بعيدة عنه كل البعد فانه توجد بها احوال مناخية مختلفة ولكن الصفة الغالبة فى مناخها هى الحرارة الشديدة الرطبة على السواحل وبالقرب منها والحرارة الجافة فى الداخل . وتقل درجة الحرارة فى المناطق المرتفعة عنها فى المناطق المنخفضة .

أما المطر وهو أهم العوامل المناخية التى تشكل الأسس الاقتصادية لحياة السكان فانه

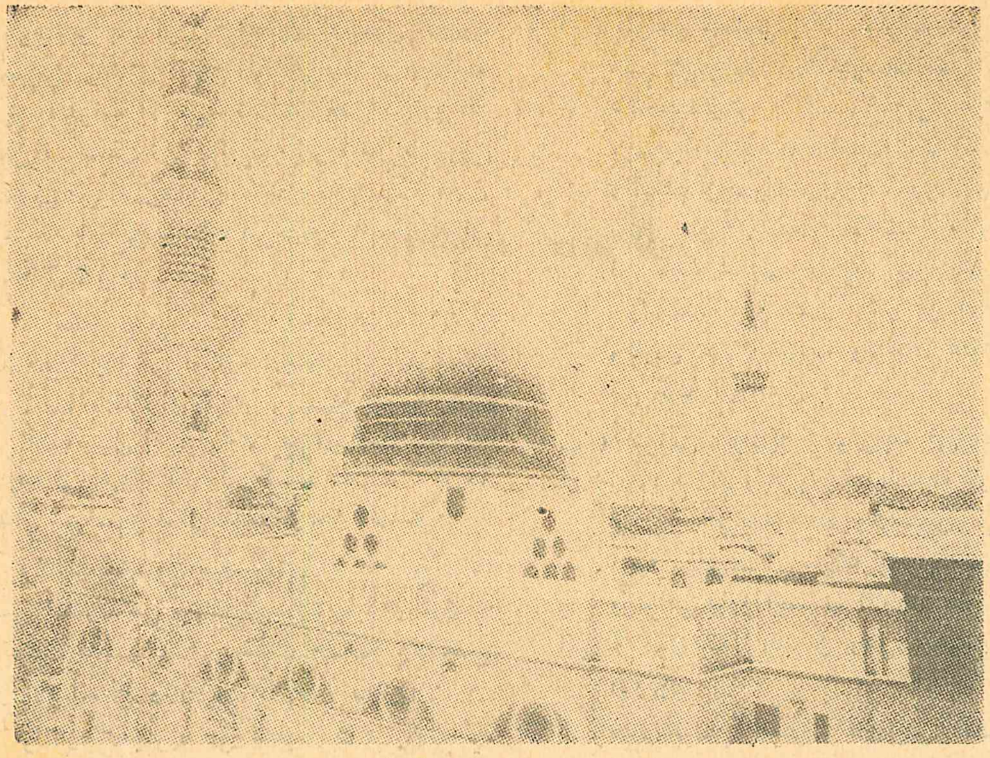

الحرم النبوى فى المدينة المنورة

يسقط شتاء وفى أوائل الربيع وبغير انتظام فيسقط بشدة لدقائق معدودات ثم ينعـــدم سقوطه شهورا أو سنوات • ويبلـغ متوسط سقوط المطر السنوى حوالى أربع بوصات أو أقل وهذا القدر من الأمطار لايكفى لقيام نشاط زراعى ولكنه يكفى لنمو الأعشـــاب القصيرة والنباتات الشوكية الصحراوية التى ترعاهـا الماعز والأغنام والأبل •

ولهذا كانت الغالبية العظمى لسكان شبـه الجزيرة العربية يعتمدون على الرعى • أماحيث تتوفر المياه الجوفية فى الينابيع أو الآبار ، يقوم النشاط الزراعى الذى يساعـــد عـلى الاستقرار وذلك فى مناطق الواحات المتعـددة المبعثرة فى انحاء البلاد •

اقتصاديات المملكة العربية السعودية

أولا الزراعة : ان الزراعة لها مكانة كبرى لا باعتبارها مصدرا للرزق وانمـا باعتبارها دعامة حيوية من الدعائم التى يقوم عليهـــا الاقتصاد القومى •

وتبلغ مساحة الأراضى الزراعية بالسعودية نحو ٣٠٠٠ر٠٠٠ هكتـار (٧٥٠ر٠٠٠ فدان) يعتمد حوالى ٨٠٪ منها على الرى والباقى على الأمطار • ويعتمد نحو ٧٠٪ من الاراضى المروية على مياه الآبار التى ترفع بواسطة المضخات أو الآلات البدائية التى يديرها الحيوان ، ١٠٪ على الينابيع المتدفقة والباقى على مياه الفيضانات المتكررة بالأودية •

ويقع معظم الأراضى الزراعية فى منطقة جبال عسير فى الجنوب •

وأهم المزروعات القمح والشعير والفاكهـة والتمر حيث يوجد بالبلاد حوالى ثمانية ملايين من أشجار النخيل • غير أن أى توسع فى الزراعة والانتاج الزراعى رهين أساسا باستغلال الموارد المائية المتوافرة •

وكان القمح يزرع بكثرة فى السعودية الى أن أخذ السكان يستبدلونه فى طعامهم بالأرز المستورد من الخارج ثم أخذوا يهتمون بزراعة الأرز وخاصة فى مناطق الواحات

ومن المحصولات الزراعيـة الثانوية البـن وخاصة فى عسير وكذلك بعض الفواكه كالمشمش والتين والموالح والسفرجل والبطيخ والعنب والتفاح

ومن الخضروات نجد الباذنجان والباميـة والفجل والبصل •

وجدير بالذكر انه قد بذلت بعض الجهود لتحسين وسائل الانتاج الزراعى فقامت الحكومة فى السنوات الاخيرة بتنفيذ بعض المشروعات التى تستهدف زيادة الرقعة الزراعية كمشروع الصرف فى القطيف لمنفعة مساحة واسعة كانت مشبعة بالماء وقد تمت المرحلة الرابعة منه فى سنة ١٩٦٣ م

ثم مشروع سد جيزان لحجز مياه الأمطار والانتفاع بها فى أوقات الجفاف وبذلك يحول دون تسرب الماء الى البحر ويسمح بزراعة طائفة من المحاصيل الصيفية وتبلغ المساحة المزروعة حاليا فى المنطقة المحيطة بالسد المقترح ٢٥٫٠٠٠ فدان سوف تزيد الى الضعف عند اتمامه .

وكذلك مشروع سد وادى أبهـة لمنع المياه التى تسقط على جبال السودة وأبهة والشنيقه وتمتاز هذه المنطقة باعتدال مناخها وتصلح لزراعة التفاح والزيتون والعنب والتين .

وأخيرا الحيلولة دون طغيان الكثبان الرملية على المناطق الزراعية المجاورة لها وذلك بانشاء حواجز من النباتات الجافة والشبه جافة والخضراء .

ونظرا لاتساع مساحة البلاد واختلاف أجوائها تنمو بها الآف الأنواع من النباتات الطبيعية وبعد فحص عدد كبير منها اتضحت قيمته الاقتصادية كالصمغ والورد والياسمين واللوز .

وأيضا توجد بالسعودية حوالى المليون فدان مغطاة بالنباتات ولكن قطع الأخشاب والأسراف فى الرعى قضيا على جزء كبير منهـا ولهذا يجرى الآن ابدال النباتات البرية بأشجار أخرى ذات ثمار جيدة وقد بدىء فعلا فى الانفاق على هذا المشروع منذ سنة ١٩٦٣ م

كذلك تبذل المحاولات المتعددة لتحسين الانتاج الزراعى فى شتى الحقـول وذلك بوساطة البذور والشتلات التى تستورد من مصر أو لبنان أو الولايات المتحدة وتوزع على الفلاحين باسعار بسيطة

ثانيا ــ الثروة الحيوانية :

من النواحى التى يجب أن تحظى بقدر وافر من العناية الثروة الحيوانية ــ وتنقسم المراعى فى السعودية الى قسمين

أ) المراعى الصحراوية : وتوجد فى المناطق التى لايتجاوز فيها متوسط المطر السنوى ١٥ سنتميترا وتشمل صحراء نجد وصحراء الشمال المتاخمة لحدود العراق والشام وسهول وأودية الحجاز وبخاصة سهل تهامة ومنطقة الأحساء . والأمطار فى هذه المراعى تسقط فى الخـريف والعشب هنا غض أخضر فى الشتاء ويابس فى الصيف وتتغذى عليه الماشية فى كلتا الحالتين .

ب) المراعى الجبليه : وتوجد فى المناطق العالية المعروفة بجبال السراة أو عسير ويزيد متوسط المطر السنوى فيها على ٣٠ سنتيمترا وجوها يمتاز بالاعتدال ويتوافر فيها العشب الأخضر على مدار السنة فوق قمم الجبال وعلى سفوحها وفى الأودية

وهذه المراعى بنوعيها كان يتولى استغلالها البدو الا انه ترتب على ظاهرة الهجرة الكبيرة المتزايدة الى المناطق الحضرية أن تضاءل عدد سكان البادية وكان نتيجة لذلك تنـاقص الانتاج الحيوانى .. وبذلك نجد السعودية ابتداء من عام ١٩٥٢ م تستورد كميات كبيرة من الماشية واللحوم والمنتجات الحيوانية بعد أن كانت تصدرها .

ففى سنة ١٩٥٠ م وصلت قيمة الواردات من الماشية واللحوم والألبان مليونين وربع مليون ريال مقابل ٧١٫٠٠٠ ريال فقط سنة ١٩٤٤ م ثم اطردت هذه الزيادة بحيث أربت قيمتها فى سنة ١٩٥٩ م على ٤٥ مليون ريال .

ويلاحظ أن هذه الزيادة حدثت فى الفترة التى شهدت التوسع الكبير فى الانتاج البترولى والنشاط الواسع فى أعمال العمران والبناء فى المدن ، مما اجتذب اعدادا كبيرة من الايدى العاملة وفدت الى الحضر من البادية . وبذلك قل عدد المشتغلين بتربية الحيوان .

لهذا يجب أن يتولى تربية الحيوان المزارعون المستقرون أنفسهم فتكون تربية الحيـوان جزءا من العملية الزراعية ذاتها

وفى الوقت نفسه ينبغى الاهتمام باستغلال المراعى الجبلية التى يتوافر فيها

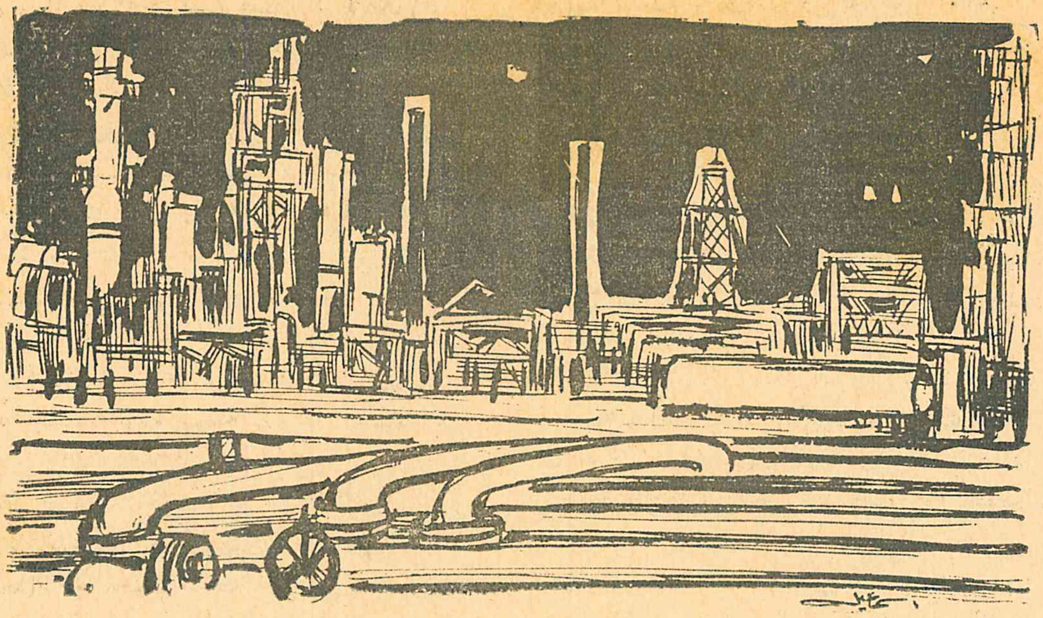

العلف الأخضر الممتاز على مدار السنة نظرا لتوافر المطر نسبيا

وبذلك تنعم البلاد بالاكتفاء الذاتى من هذه الناحية وتعود الى نشاطها القديم وهو تصدير الماشية ومنتجاتها بدلا من استيرادها

ثالثا : الثروة المعدنية ·

أسفر البحث عن المعادن فى السعودية عن نتائج عظيمة لم تخطر على بال أحد وكأن الطبيعة التى شحت على البلاد بالأنهار الجارية والأمطار الهاطلة وما يترتب عليها من ثروة نباتية وحيوانية قد عوضتها وجادت عليها بثروة معدنية كامنة فى بطن الأرض ومنتشرة تحت أديمها طولا وعرضا ·

ويعتبر البترول : الآن المصدر الرئيسى للنشاط الاقتصادى فى البلاد · وتتولى استغلال البترول بصورة اساسية شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) التى لها امتياز فى مساحة قدرها ١٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع

وتعتبر السعودية ثانى بلد فى العالم العربى بعد الكويت انتاجا للبترول الخام · وقد بلغ انتاج أرامكو من الحقول السبعة التى تستثمرها حوالى (٧٤٫٥) مليونا من الأطنان الانجليزية أى ما يعادل (٥٥٥) مليون برميل وذلك فى نهاية سنة ١٩٦٢ م

وتتركز حقول البترول فى شرق المملكة العربية السعودية وأهم هذه الحقول الفوار وبقيق والدمام وابو حدرية والقطيف والفاضلى والخرسانية وفريص والسفانية ومنيفة ·

ويجرى تكرير خام البترول الناتج من حقول أرامكو فى مصفاة رأس تنورة ومصفاة البحرين ويبلغ حوالى (٢٢) مليون طن · أما الكمية التى صدرت خاما وحملتها الناقلات من رأس تنورة فتبلغ ٣٦ مليون طن وذلك حسب احصائية سنة ١٩٦٢ م

ويصدر الزيت عن طريق اربعة مسالك رئيسية تنقله الى أسواق العالم هى :

١ ـ عن طريق البحرين عبر انابيب ممتدة تحت المياه من الظهران الى معمل التكرير بالبحرين

٢ ـ عن طريق معمل التكرير فى رأس تنورة

٣ ـ عن طريق ميناء رأس تنورة للزيت الخام

٤ ـ عن طريق التابلين أى خط الأنابيب عبر البلاد العربية ولاتقف أهمية السعودية عند حد الانتاج الحالى الذى يزداد باطراد ولكنها تتعلق بالاحتياطى الثابت وجوده فبينما يصل الانتاج فى سنة ١٩٦٢ م الى ٥٥٥ مليون

برميل نجد أن الاحتياطى يصل الى ٥٦٫٨٨٤ مليون برميل أى أن الاحتياطى الثابت يكفى لمدة قرن من الزمان على الأقل .

وتحصل الحكومة السعودية على دخل كبير من استغلال الزيت الكامن فى باطن أرضها وقد سار هذا الدخل فى طريق الزيادة المطردة منذ تطبيق مبدأ اقتسام الأرباح مناصفة وتمشيا مع تطور الانتاج

وكان الدخل من البترول يمثل ٨٤٪ من ميزانية سنة ١٩٦٢ م غير أن الأصوات ترتفع مطالبة برفع نسبة نصيب الحكومة من الأرباح والاشتراك بحصة فى رأس المال . وهناك أصوات أخرى ترى أن الأقتصار على عملية استخراج البترول لاتحقق الكسب الواجب للبلاد ولهذا تطالب بالتوسع فى عمليات التكرير فى داخل المملكة العربية السعودية ذاتها . وقيام شركات للصناعات البترولية وذلك لاستيعاب المزيد من الأيدى العاملة وزيادة النشاط الاقتصادى بالبلاد

واذا كان البترول هو عماد الثروة فى البلاد حاليا الا أنه يوجد أيضا أنواع أخرى من الثروة المعدنية فعلى طول ساحل البحر الأحمر من ينبع الى خليج العقبة والى الداخل قليلا توجد مدخرات كبيرة من الجبس وهناك الملح الصخرى فى جيزان واكتشفت عروق من الباريت شمالى جدة . كذلك جرى العثور على البوكسيت بالقرب من الحدود اليمنية والذهب والرصاص والفضة .

وللاستفادة من هذه المعادن يتطلب الأمر القيام بعملية مسح جيولوجى شامل للكشف عن مختلف المعادن حتى يتسنى الوقوف على مدى أمكانية استغلالها استغلالا تجاريا .

كذلك تعتبر وسائل النقل وتمهيد الطرق فى بلد واسع الأرجاء كالمملكة العربية السعودية ذات أهمية عظمى لربط مراكز الانتاج بأسواق الاستهلاك وموانى التصدير والاستيراد . ولا يوجد حاليا سوى خط حديد واحد يبلغ طوله ٥٥٦ كيلو مترا فيما بين الدمام والرياض بينما يبلغ طول الطرق المهدة حتى سنة ١٩٦١ م ١٤٦١ كيلو مترا فقط . وأهم هذه الطرق الطريق بين المدينة المنورة وجدة والطريق من جدة الى مكة كما توجد بعض الطرق الأخرى فى هضبة نجد علاوة على الدروب الصالحة نسبيا للسيارات

والى جانب ما تقدم نجد بعض الطرق البحرية التى تعتمد على موانى الخليج العربى وأهمها الدمام ورأس التنورة ثم ميناء جدة على البحر الاحمر . وقد ازداد النشاط فى النقل البحرى وخاصة بعد أن ساهمت الدولة فى بعض شركات الملاحة العالمية .

كذلك قطعت المملكة شوطا كبيرا فى المواصلات السلكية واللاسلكية بحيث يمكننا القول بأن معظم مدن المملكة وقراها تتصل بعضها بالبعض الآخر من جهة وبالعالم الخارجى من جهة أخرى

رابعا - النشاط الصناعى والتجارى

الصناعة بمعناها الصحيح لاتوجد الا فى المدن الرئيسية حيث تتوافر المواد الخام المحلية والمستوردة كما تتوافر القوى الكهربائية اللازمة لادارة الاجهزة الميكانيكية الحديثة . . ولعل استخراج البترول من حقول منطقة الأحساء على الخليج العربى جعل لهذه المنطقة الصدارة .

أما أشهر المصانع بالمملكة فهى مصانع الأسمنت والتمور والموبيليات والأخشاب والصابون ودبغ الجلود . كما توجد مصانع الأحذية والمزايكو وهذه كلها تعتبر من الصناعات الحديثة .

أما الصناعات اليدوية فأهمها صناعة الذهب وصناعة الفخار وقطع الأحجار وصناعة الأسلحة والسروج للحجاج الزائرين

ومن الصناعات اليدوية الهامة أيضا ذات الشهرة العالمية النسيج فالعرب يجيدونه اجادة تامة فهم يصنعون من شعر الماشية (الصوف) مايسد حاجتهم من الخيام والركائب التى توضع على الجمال والبسط والسجاد والمفارش والمعاطف والبطاطين .

كذلك تعتبر صناعة بناء السفن من الصناعات الهامة وتنتشر فى معظم موانى البحر الأحمر . وفى السعودية ترسانة انشئت حديثا لصناعة الطرادات وقد اخرجت الطراد المسمى (احد) .

أما من حيث التجارة فان سكان المملكة

العربية السعودية يعتمدون اعتمادا كليا على التجارة وأهم صادرات البلاد تتركز فى البترول والتمر والصمغ والصوف والسمك المجفف واللؤلؤ والحناء والملح وشتائل النخيل •

وتستورد السعودية قدرا كبيرا من احتياجاتها من الولايات المتحدة ويشتمل معظمها على المواد الغذائية المحفوظة ثم المصنوعات النسيجية والسيارات والماكينات والمواد الكيماوية • كذلك تستورد من انجلترا الأغذية المحفوظة والأدوات الكهربائية وآلات الاحتراق •

سكان المملكة العربية السعودية

يسكن السعودية حوالى ٦ مليون نسمة ولا توجد أرقام ثابتة عن عدد السكان ذلك لأن كثيرا منهم بدو رحل لاتوجد أى أرقام صحيحة عن عددهم • وقد قامت الحكومة باحصاء فى أوائل سنة ١٣٥١ هـ كان النتيجة مايلى :

المقاطعة	عدد البدو	عدد الحضر
الحجاز	٧٠٠ر٠٠٠ نسمة	٤٠٠ر٠٠٠ نسمة
عسير	٤٥٠ر٠٠٠ نسمة	٧٥٠ر٠٠٠ نسمة
نجد	١ر٣٠٠ر٠٠٠ نسمة	٨٠٠ر٠٠٠ نسمة
الاحساء	٢٠٠ر٠٠٠ نسمة	١٠٠ر٠٠٠ نسمة
الملحقات الأخرى	٣٥٠ر٠٠٠ نسمة	١٥٠ر٠٠٠ نسمة
المجموع	٣ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة	٢ر٢٠٠ر٠٠٠ نسمة

وغالبية السكان من العرب الأنقياء كذلك يوجد فى بعض الأنحاء خليط من العناصر الأخرى واعدادها كما يلى

حوالى ١٥٠ر٠٠٠ زنوج وأحباش ٢٠٠ر٠٠٠ عناصر صفراء ٢٥ر٠٠٠ صقالبه وترك واعجام وأفغان ٢٠ر٠٠٠ ، أرقاء ٢٠ر٠٠٠

وبذلك يكون مجموع هذه العناصر جميعها ٤٣٥ر٠٠٠ نسمة

وينقسم السكان عامة الى حضر وبدو وأهل الهجر •

فالحضر هم سكان المدن والأمصار والقرى مثل سكان مكة ويثرب والطائف فى الحجاز واليمامة فى نجد وجرا فى الأحساء وهم يقيمون فى بلاد عمروها وديار شادوها • ولما كان الاستقرار والتوطن فى مكان واحد اساس العمران والترقى فاننا نرى أن الأصقاع التى يقطنها هذا القسم من السكان عامرة بالمدن مكتظة بالسكان •

أما البدو فينتقلون وراء الكلأ فى هجرة فصلية هى رحلة الشتاء والصيف ففى الشتاء يستقرون فى أقسام شبه ادارية ولهم آبارهم يقيمون حولها خيامهم وفى الصيف عندما يشتد الجفاف تهاجر هذه القبائل الى أطراف الصحراء حيث الرى والغنى النسبى فقبائل وسط الجزيرة يهاجرون الى شمالها قرب وادى دجلة والفرات وقبائل الجنوب تهاجر الى أطراف اليمن أو الى الواحات الغنية بمائها وغطائها النباتى • وهؤلاء البدو مقسمون الى قبائل يحافظ معظمهم على عاداته القبلية ونظمه الاجتماعية القديمة •

وبالنسبة لأهل الهجر فهم عبارة عن طبقة جديدة لم يكن لها وجود من قبل بهذا الاسم فهى قبائل اهتدت حديثا الى الدين الحنيف وتركت ما كانت عليه من أمور جاهلية وعادات قبائلية وتركت حياة البداوة وانتقلت منها الى حياة الاستقرار وعاشت فى قرى سميت بالهجر وسمى أهلها المهاجرين دليلا على تركهم الجهل والضلال واهتدائهم الى دين الاسلام

ولا يختلف أهل الهجر عن البدو الا فى تركهم معيشة التنقل بالخيام الى معيشة القرى •

وعلى الرغم من وجود بعض العناصر الأجنبية غير العربية فان لغة التخاطب بين هؤلاء ايضا هى اللغة العربية وثقافتهم عربية •

وفيما عدا ما تقدم فانه تجدر الاشارة هنا الى أن شعب السعودية يسوده النظام الطبقى فينقسم تقريبا الى ثلاث طبقات هى :

١ ــ الطبقة الخاصة وتشمل الأسرة المالكة وكبار الأعيان وكبار التجار

٢ ــ الطبقة المتوسطة وتشمل رجال الجيش والموظفين والتجار والمطوفين

٣ – طبقة العامة وتنقسم الى طبقة الزراع ورواد القوافل • وطبقة العامة فقراء لايكادون يجدون مايسد رمقهم • وهم الذين ينطبق عليهم قوله تعالى •

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم • ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (قرآن كريم – سورة ابراهيم الآية ٣٧)

المجتمع فى الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام وبعده

كانت طبيعة بلاد العرب بما فيها من صحارى قاحلة وجبال وعرة وهضاب عالية وأودية عميقة تدعو الى تباعد العرب وتفرقهم وتؤدى الى صعوبة اتصالهم وامتزاجهم مما أدى الى ظهور مجتمعات صغيرة مستقلة ينفرد كل مجتمع منها بحياة اجتماعية مستقلة متميزة مما أدى الى اختلاف العادات والتقاليد

ولم تعد اللغة العربية كافية لايجاد مجتمع عربى متكامل متماسك • وتطلع العرب الى عامل قوى يكون محورا تدور حوله حياة العرب الاجتماعية ونقطة ارتكاز يرتكز عليها المجتمع العربى • وكان الدين هو المحور ونقطة الارتكاز • كانت الحياة الدينية فى بلاد العرب تتصف بالفوضى فهناك الوثنة أوعبادة النجوم والكواكب ومظاهر الطبيعة المختلفة • كما انتشرت عبادة الأصنام فى سائر انحاء شبه الجزيرة العربية وكانت تتسم بطابع قبلى أى أن لكل قبيلة صنمها الخاص تأخذه معها فى حلها وترحالها • وكانت معظم هذه الأصنام ممثلة فى الكعبة بمكة وقد وجد الرسول (عليه الصلاة والسلام) يوم الفتح فى مكة أكثر من ٣٦٠ صنما • وهذه الأصنام تدل على انقسام سكان الجزيرة الى قبائل مستقلة الواحدة عن الأخرى وأن كل قبيلة تعتز بصنمها رمز كرامتها وعزتها •

ولم تكن هذه القبائل على وفاق فيما بينها فكانت الخصومات تمزق الروابط بين الحضر المستقرين والبدو الرحل • كما أن البدو الرحل انفسهم كثيرا ما تقوم بينهم الخلافات وينشب القتال بسبب اغارة القبائل القوية على الضعيفة لاغتصاب مالديهم من متاع

وعليه فقد ظهر فى بلاد العرب ثلاث حركات للأصلاح حاولت أن تقيم مجتمعا عربيا واحدا على أساس دينى وهذه الحركات الاصلاحية هى اليهودية والمسيحية والحنيفية

أما اليهودية فقد كان انتشارها محدودا يقتصر على بعض بلاد شبه الجزيرة العربية وخاصة فى اليمن ويثرب وظل معظم العرب عاكفا على دين آبائه المتوارث وهو عبادة الأصنام

ثم حاول الأحباش والرومان نشر المسيحية كتمهيد لبسط نفوذهم السياسى وأصبح فى مدينة نجران جالية مسيحية ولم تخل مكة من معتنقى المسيحيه فقد وجد الرسول عليه الصلاة والسلام تمثالا للسيدة مريم وفى حجرها عيسى فى داخل البيت يوم الفتح • وانتشرت المسيحية أيضا فى بعض جهات اقليم الأحساء ولكن العرب عامة لم يقبلوا عليها اقبالهم على الوثنية •

أما الحركة الاصلاحية الثالثة فحركة عربية داخلية حاول العرب فيها الأرتقاء من الوثنية الى اعتقادات أسمى فدعوا الى دين توحيد جديد والى نبذ الوثنية وحاولوا احياء دين ابراهيم عليه السلام • وقد كرست هذه الحركة جهودها نحو غرض واحد هو استبدال الوحدانية بعبادة الأصنام •

ولم تلق الحنيفية اقبالا من العرب وربما كان ذلك راجعا الى افتقارها الى سند دنيوى يظاهرها وتعتمد عليه •

وفى ظل هذه الأحوال الاجتماعية ظهر الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام ونادى بما كلف به من رب العالمين وحاربته قريش فحاربها وغلبها على أمرها وانتصر المسلمون ودخلت قريش راضية فى دين الاسلام وقد كان فتح مكة وخضوع قريش للدعوة الأسلامية له أثر كبير فى حمل القبائل العربية الأخرى على الاسراع فى قبول الدعوة الاسلامية

ولم تأت السنة العاشرة للهجرة الا وكل القبائل فى شبه الجزيرة العربية قد دخلت فى الاسلام • وأرسل النبى الكريم عماله على اليمن وحضرموت وعمان وهجر والبحرين وتحولت شبه الجزيرة العربية لأول مرة الى وحدة دينية وسياسية أخذت على عاتقها نشر

الاسلام خارج حدود شبه الجزيرة وكانت الفتوح الاسلامية المشهورة التى مهدت لانتشار الاسلام فى آسيا وأفريقية وأوربا .

وقد كان من أهم أهداف الاسلام اقامة مجتمع عربى اسلامى قوى واقامة حضارة جديدة خالية من الفساد الذى انتشر فى المجتمع الفارسى و لمجتمع الرومانى فى ذلك الحين

وسما الاسلام بالانسانية وارتفع بكرامة الفرد والمجتمع وغذى روح الجماعة وقضى على الفردية والفساد الاجتماعى وبعث الاسلام شعورا جديدا فى العالم كافة يقوم على ايمان وطيد بمبادىء الحق والعدالة والحرية والمساواة .

لمحة تاريخية عن نظام الحكم القائم بالمملكة العربية السعودية

اتصلت الدعوة الوهابية بالبيت السعودى وكان محمد بن عبد الوهاب قد بدأ دعوته عام ١٧٣١ م ثم اتصل بآل سعود فنصروه وأيدوه وتزوج محمد بن سعود بابنة محمد بن عبد الوهاب وأنجبا عبد العزيز الذى خلف اباه سنة ١٧٥٧ م وجمع بين سلطان جده ابن عبد الوهاب من الوجهة الدينية ووالده سعود من الناحية السياسية . وبذلك دخلت الدعوة الدينية ميدانها السياسى واستولى على مكة .

ومن ثم أصبح السعوديون موئل هذه الدعوة وسيفها المحارب وباسمها فتحوا الرياض ووصلت الدعوة الجديدة الى أطراف الجزيرة والى حدود اليمن .

ثم استولى السعوديون على بلاد الحجاز وعلى مكة وامتد سلطانهم الى الحسا وغيرها من نواحى شبه الجزيرة . وقد استتب الأمر لسعود بن عبد العزيز فاصبح امام الوهابيين وزعيمهم الأكبر . وقد أوفد جيشا الى العراق وكربلاء سنة ١٧٩٧ م لتحطيم مزارات الشيعة بالنجف والكاظمية وغيرها وظل أمر السعوديين قويا حتى عام سنة ١٨٠٧ م عندما بعثت تركيا بمحمد على الذى حارب الوهابين وأزال سلطانهم عن الحجاز الذى عاد الى حكم العثمانيين سنة ١٨٢٤ م وبقى تحت سلطانهم حتى استولى آل سعود مرة أخرى على الحجاز كله سنة ١٩٢٥ م

ولم تنظر تركيا الى الحركة الوهابية نظرتها الى الدعوات الاصلاحية وانما رأت فيها قوة سياسية تريد أن تجتاح جزءا من أملاك الدولة العثمانية ولذلك سرعان ما سلطت عليها محمد على الذى كان يعمل على اقامة امبراطورية عربية ويطمع فى أن تكون الحجاز قلب هذه الأمبراطورية لولا ان عاجلته أوربا وحطمت قوته فى نافارين .

ومن ثم عاد الحجاز مرة أخرى الى موزة تركيا التى كانت تقيم الفتن بين آل سعود وآل الرشيد وانتهى الأمر سنة ١٠١ م بخروج عبد العزيز آل سعود على رأس اربعين من رجاله وهاجم الرياض وانتزعها من آل الرشيد وبذلك عاد لآل سعود ملكهم الضائع .

ثم تجدد الخلاف بين السعوديين والهاشميين واصبحت الحرب سجالا بينهم وعقد مؤتمر الكويت لتسوية الخلاف وانتهى بالفشل ولم يلبث السعوديون أن اتجهوا الى السيطرة على الحجاز بعد أن تبين لهم مدى اضطراب الأمن فيه وكان ذلك فى سنة ١٩١٩ م . وكان اضطراب موسم الحج فى سنة ١٩٢٤ م الشرارة التى دفعت الى مهاجمة السعوديين للحجاز ودخولهم مكة فى اكتوبر ١٩٢٤ م وأعلن الملك عبد العزيز أنه لايطمع فى ملك الحجاز وانه سيجعل الامر شورى بين أقطاب العالم الاسلامى

وانتهى الأمر بأن سقطت حكومة الهاشميين وقضى على الآمال التى كانت معلقة على اقامة حكومة عربية برئاسة الشريف حسين .

وفى يناير سنة ١٩٢٦ م نودى بالملك عبد العزيز ملكا على الحجاز وسلطانا على نجد

وشرع الملك عبد العزيز بن سعود يوجه اهتمامه الى تثبيت دعائم ملكه فعمل على تقوية مركزه الدولى بعقد معاهدات شتى مع الدول الأوربية وتركيا وايران . كما عنى بتوثيق صلاته بجاراته من البلاد العربية .

أما فى الداخل فقد حاول ان ينهض بالمملكة العربية السعودية ويخرج بها من عزلتها ويوطد الأمن والسلام فى ربوعها وخضعت له القبائل والعشائر وبذلك حرص على توطيد ملك السعوديين فى المملكة العربية السعودية .

وبذلك تعتبر المملكة العربية السعودية احدى دول المجموعة المستقلة ضمن الوحدات السياسية التى تتضمنها الجزيرة العربية كلها .

أضواء على المسلمين فى العالم

الاسلام والمسلمون فى استراليا

اعداد : رياض خليفة

عزيزى القارىء ..

منذ شهور قليلة لم التق بك فى هذه السلسلة التى أهدف من ورائها التعريف بأشقاء لنا فى الدين والانسانية يعيشون فى أشلاء متفرقة من العالم .

واليوم : على موعدى معك لاعطيك صورة سريعة عن حياة الاسلام والمسلمين فى القارة الجديدة .. استراليا وسنرى كيف يعيش الاسلام وكيف دخل الى هناك وكيف يعيش المسلمون حياتهم اليومية ومدى انصهارهم فى مجتمعهم الذى وفدوا اليه . ومع أن عدد المسلمين فى استراليا ليس كثيرا ولكن يلاحظ أنهم نشطاء . فقد استطاعوا على مر الزمن بلورة شخصيتهم وتطويرها الى أن أصبحوا اليوم وهم أكثر من عشرة آلاف مسلم يعيشون جنبا الى جنب مع سائر المواطنين هناك .

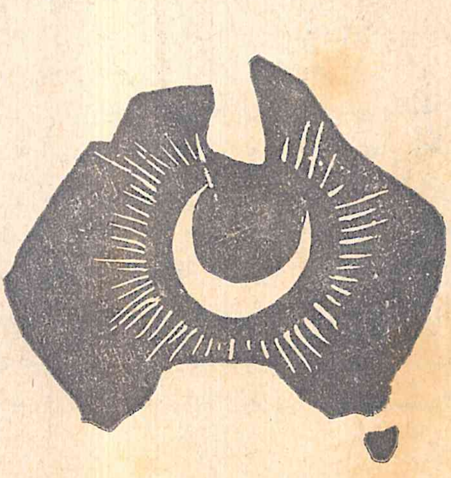

استراليا فى كلمات

واستراليا هى أحدث قارات العالم اكتشافا . وهى لم تكتشف الا فى القرن السابع عشر ولم تعرف العمران الحقيقى الا فى القرن التاسع عشر .

والبولنديون أول من اكتشفوا استراليا عام ١٧٠٦ وسموها الجزيرة البولندية وفى سنة ١٧٨٨ استخدمتها بريطانيا منفى للمجرمين ثم فتحت ابواب القارة لمنشاء الاستيطان ، وبعد أن توطن كثير من المهاجرين البريطانيين فى كثير من بقاع الشاطىء الشرقى . وطدوا العزم على كشف مجاهل أواسط القارة ودراسة تربتها وأحوالها الطبيعية وذلك بقصد الزحف اليها واتخاذها موطنا لهم .

وكان أول ما فكر فيه هؤلاء هو البحث عن وسيلة صالحة للسير والانتقال فى أرجاء الصحراء القاحلة .

فلما لم تفلح وسائلهم الجديدة لم يستسلموا . واتجه التفكير الى اختيار الوسيلة القديمة التى استخدمها العرب فى صحاريهم وذلك بالاستعانة بسفينة الصحراء « الجمل » وكان ذلك سببا فى وصول الاسلام كماسياتى فيما بعد .

دخول الاسلام الى استراليا

وفى سنة ١٨٤١ تقريبا بدأ دخول الاسلام والمسلمين الى هناك ومع أن الهجرة الاسلامية الى استراليا ليست محدودة التاريخ تماما ولم يفكر أحد من المسلمين فى تاريخ دخول الاسلام الى هناك، الا أن الاسلام فى استراليا له صفحة تاريخية تختلط بها الاحداث وأعمال الرجال الذين كان لهم الفضل فى انتقال الدين الحنيف وانتشاره فى تلك القارة البعيدة .

فبعد أن سمح بالهجرة الى استراليا لمن شاء : وفد اليها عدد كبير من العلماء وهواة الاكتشاف والمضطهدين السياسيين وسائر الطبقات .

وسكن الوافدون سواحل القارة الشمالية والغربية والجنوبية ، ثم اخذت انظارهم تتجه الى قلب القارة ولكن عاقتهم مشكلة المواصلات ولم يستطيعوا اختراق المسافات الكبرى من الغابات والمجاهل .

ولكنهم لم ييأسوا فاستعانوا بقوافل الجمال لاكتشاف المجاهل وخصوصا ان المواصلات الآلية لم تكن قد عرفت بعد .

وكان الجمالون لحسن الحظ فيهم بعض المسلمين الذين وفدوا من الهند وغيرها ، ومع القوافل والجمالين دخل الاسلام الى استراليا ، وحملت القوافل الدين الاسلامى الى كل بقعة اكتشفوها فى سائر انحاء القارة وقرىء القرآن الكريم فى كل مكان ، وارتفع صوت المؤذن: الله اكبر الله اكبر .

جاء هؤلاء الى القارة الجديدة بعقيدتهم الدينية ، وبعد مرور اعوام كانوا قد نقلوا دينهم الحنيف الى انحاء متفرقة فى استراليا . من «ادلانيد» الى «داروين» ومن «بيرث» الى «سيدنى» وسرعان ما انتقل العمران الى الصحارى القاحلة سواء كانت فى الشمال أم فى الوسط .

وكان معظم التجمع فى الاماكن الهامة التى تتوافر فيها المياه وسرعان ما انشئت محلات صغيرة تشبه المدن الضئيلة حول مارية

ثم جاء فى أعقاب أعمال هؤلاء المكتشفين أحداث اخرى كان منها اضراب عمال مناجم الذهب فى الغرب عن العمل . وفى فكتوريا تطورت تربية الاغنام والماشية مما مهد لقيام بعض الصناعات الزراعية هناك .

ونتج عن هذا التطور الاقتصادى ان انتقل بعض هؤلاء المسلمين الى عدة أماكن فى استراليا ولما استقرت بهم الاحوال استدعوا افراد أسراتهم من بلادهم فجاءوا واتخذوا من استراليا وطنا ثانيا .

هجرات المسلمين الى استراليا

عاصر الاسلام مراحل التطور فى تاريخ استراليا فقد دخلها مع الرواد الاول الذين هاجروا اليها - كما ذكرت - ولم تكن هجرة المسلمين الى قلب استراليا كسائر الهجرات بل كانت ضرورة حتمية اقتضتها طبيعة وظروف العصر الذى يعيشون فيه .

وقد بدات طلائع الهجرات الاسلامية حين سمحت حكومة استراليا لبعض مشوهى الحرب من اوربا ومنهم فلاحون من البانيا وروسيا واشتغلوا بفلاحة الارض .. وكانت معرفتهم بالدين محدودة ، ومع ان احدا منهم لم يؤثر عليه تيار المسيحية الجارف الا أن ادراكهم للاسلام كان محدودا .

وقبيل الحرب العالمية الثانية أدركت استراليا ضرورة فتح الهجرة اليها لملء الفراغ فيها . وكانت هذه السياسة تشكل خطرا اساسيا عليها .

لجأت الى أمريكا لتقيها من هؤلاء الملايين الذين جاءوا يقفون أمامها جائعين .

ففتحت بابها على مصراعيه للرجل الابيض . واغرت المهاجرين بعيشة كريمة من أجل تطوير نفسها زاعمة انها تساهم فى تخفيف حدة تكاثر السكان لدى بعض الدول المزدحمة .

جاء الى استراليا المهاجرون البيض ، ودخلها اناس كثيرون باستثناء الشيوعيين .

وفد اليها كثير من مشوهى الحرب من دول البلطيق والبلقان والمجر والشرق الاوسط ومن هنا جاءهامسلمون من مصر والبانيا وسوريا وفلسطين وقبرص وهم الدم الجديد الذى يجرى فى شرايين المسلمين هناك .

وهى نقطة هامة فى تاريخ الاسلام هناك فقد حولت تاريخهم من الزوال الى الانتشار ، وبعثت فيهم الروح من جديد بثقافتهم المعاصرة .

فقد جاءت وفود هذه الموجة من المسلمين بمزيد من الحماس وفهم الدين فهما صحيحا وهم السواد الاعظم الذى يسود الولايات الاسترالية .

ويضاف الى ذلك تلك الوفود الكثيرة من الطلبة الاسيويين المسلمين الذين يدرسون العلوم فى جامعات استراليا من الهند وباكستان واوندونيسيا وغيرهم من البلاد .. وهم يعملون بجد ونشاط فى نشر الدين الاسلامى فى محيطهم العام والخاص .

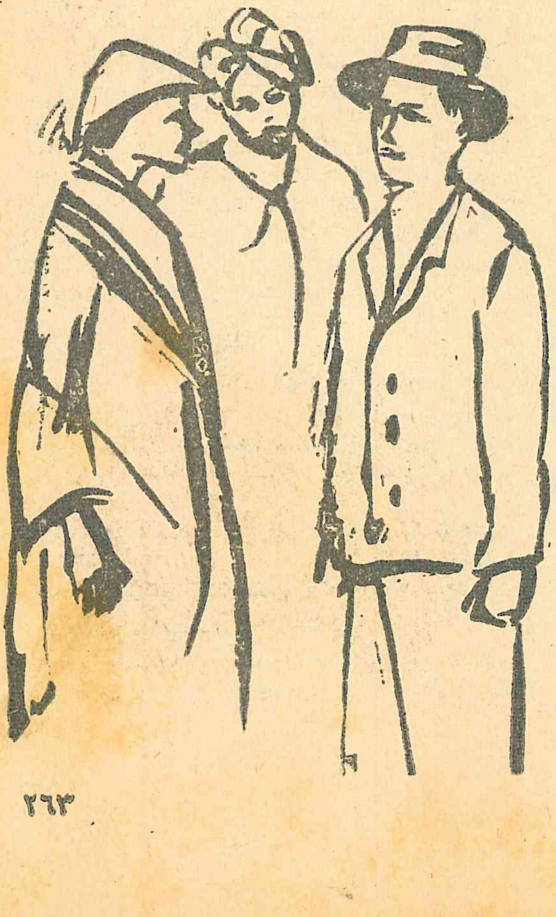

وهناك فريق آخر من المسلمين يعيش فى أطـراف القارة وهم من الملايو ويعملون بصيد اللؤلؤ ، وهؤلاء يعوزهم أهمية كبرى لبيان معالم الدين الاسلامى لديهم وفيهم من النظم ما يحتاج الى تهذيب واصلاح نظـرا لانتشار عادات وتقاليد ليست من الدين الاسلامى فى شىء .. وما احوجهم الى بعثات دينية لوقايتهم من هذا التخبط الدينى والانحراف العقائدى .

انتشار الاسلام فى الولايات الاسترالية
جنوب استراليا :

ولابد ياأخى القارىء من ايضاح انتشار الاسـلام والمسلمين فى القارة ونبدأ فى الكلام عن جنوب استراليا .

فقد أراد احد المسلمين فى « ادلائيد » بجنـوب استراليا شراء قطعة أرض لاقامة مسجد ومركز اسلامى عليها ، وكان ذلك فى يوليو سنة ١٨٨٩ ، وكان لهـذا المسلم مكانة محترمة بين رجاله الذين بلغ عددهم فى ذلك الحين اربعمائة شخص ، وقد اختاروه زعيما لهم .. فأشار عليهم ببناء المسجد ، واكتتب المسلمون فيمـا بينهم ، وسرعان ما اقبلوا على المساهمة فيه عن طيب خاطر وسموا المسجد باسم صاحبهم ، ومالك الارض : « الحاج مولا مربين » .

ثم ساءت الاحوال عندما اكتشف الذهب فى غـرب استراليا وتخلى المسلمون عن أعمالهم وكثرت الديون على الزعيم « مولا » فارتهن أملاكه لاوسترالى اسمـه « جورج هانت » مقابل ٣٠٠ جنيه ، ثم انتقلت الاملاك الى آخر من أهالى « ادلائيد » الذى احتفظ بهـا الى سنة ١٨٩٦ .

وتحسنت أحوال الطائفة الاسلامية واستطاعت جمع المال الذى يستوفى الدين وعلى أية حال فقد قسمت الاملاك بين اثنين من المسلمين هما « عبد الغنى خان » وآخر اسمه « عبد الواحد » .

وسرعان ما انتقل نصيب عبد الغنى الى أحـد الاستراليين وقامت عليه المساكن والمبانى ويشغل هـذا الجزء اليوم الحى القديم من مدينة « ايدلائيد » ، أما نصيب الآخر فقد شيد عليه الجامع الصغير وبعض المساكن الملحقة به وتشرف عليه الجمعية الاسلاميـة .

وقد هاجر الى هناك عدد من المسلمين من البـانيا ويوغوسلافيا وقبرص وكونوا الجالية الاسلامية هناك .. وقد أصدرت الجمعية مجلة المنار باللغـة الانجليزية واليوغوسلافية واستطاعت أن تجذب قسيسا استراليـا وأعلن اسلامه بعد أن كان قد جاء للتبشير ، وتعتبـر هذه الجمعية من أنشط الجمعيات هناك .

فى غرب استراليا :

وفى ولاية غرب استراليا كان ظهور الاسلام فى فجـر القرن العشرين وفى سنة ١٩٠٥ اقيم أول مسـجد فى « بيرث » والحق به مسكن لسكنى المسلمين وقد أعد لاستقبال ٦٠ مسلما وقد بنى المسلمون مسجدا آخـر هناك .

وقد تزعم الشيخ محمد على ـ وهو مسلم انجليزى ـ الطائفة الاسلامية فى غرب استراليا وأنشأ جمعيـة اسلامية وللمسلمين هناك مقبرة خاصة فى « بيرث » .

فى سوث ويلس الجديدة :

يقيم فى « سيدنى » العاصمة عدد كبير من المسلمين من باكستان وقبرص واندونيسيا ولبنـان وتركيـا والبانيا .

وليس هناك فى سيدنى أو ملبورن مسـجد ولكن المسلمين كانوا قد شيدوا عام ١٩٠٨ مسجدا فى «بروكن هيل» ولكنه أهمل منذ سنوات .

وفى جامعتى سيدنى وفكتوريا عدد من الطلبـة المسلمين من جميع أنحاء العالم يحافظون على تقاليدهم الدينية .

وزعيم الجالية الاسلامية فى «بروكن هيل» أبو سعادة ويعاونه نفر من قدامى المسلمين على بث التعاليـم الاسلامية وتعليم قواعد الدين الاسلامى بين الطـلاب وغيرهم .. ومن هؤلاء « در محمد » .

أما فى « ليمسور » فالزعيم هنـاك هو محمـد حسين ...

ومنذ زمن قريب استقدمت الجالية الاسلامية هناك اماما من الالبانيين الذين تخرجوا من الازهر كى يساعدهم على اقامة شعائرهم .

وعلى الرغم من كثرة المسلمين الذين يعيشـون فى سيدنى وتعدد جنسياتهم وعلى الرغم من التأييد الادبى الذى يلاقونه هناك وحالتهم اليسيرة .

بالرغم من ذلك كله لم يفكروا فى اقامة مسجد لاقامة شعائر الاسلام ويرجع ذلك الى عدم التكامل الاسرى فيما بينهم نظرا لتعدد جنسياتهم .

والمسجد الوحيد فى هذه الولاية فى « بروكن هيل » وقد أهمل حتى كادت جدرانه أن تتداعى وهو بحاجة الى رعاية اسلامية سريعة .

ومع ان الاسلام عاش فى استراليا فى أماكن متعددة الا أنهم ذابوا فى المجتمع الاسترالى واندمجوا فيه .

وقد قام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة باهداء الجمعية الاسلامية فى هذه الولاية مصحفا مرتلا واسطوانات الصلاة ومجموعة من الكتب الدينية ، ودعى المسلمين لانشاء مركز اسلامى ومسجد فى ملبـورن أو سيدنى .

وفى مارس سنة ١٩٦٢ عقد بملبورن مؤتمر عـام للجمعيات الاسلامية باستراليا واشتركت فيـه كل الجمعيات فى أنحاء الولايات ودعى هذا المؤتمر الى تكوين اتحاد عام ومهمته التنظيم والتوجيه للجمعيـات الى التوعية واصدار مجلة لنشر الدين الاسلامى وافتتاح مدرسة فى كل ولاية وهى خطوة ايجابية اذا وجهت توجيها صحيحا خصوصا أبعاد المسلمين عن التعصب حتى يشتد عود الاسلام وتعلو بالمسلمين كلمة الحق وترتفع رايـة الاسلام .

فى كوينزلاند :

أما المسلمون فى ولاية كوينزلاند فى منطقتين فى برسبين وفيها مسجد وفى ماريبا الى الشمال تقوم جالية قليلة العدد تعمل فى صناعة التبغ وقد أنشىء مسجد برسبين فى ١٩٠٨ وقد دخل المسلمون أولا مع قوافل الجمـال ثم اشتغلوا بالزراعة والحرف الاخرى . ومن المسلمين هناك فى برسبين « عبـد الرحمن وان » و « فيض الدين » ، وقد قام أولهما بنشر طائفـة من الكتب الاسلامية الف معظمها ونشرها ، وأما الثانى فاشتغـل فى الاعمال العمرانية وقد قام فيما بعد باصلاح المسجد فى القاطعة الجنوبية على نفقته .

وبعد : فهذه لمحات الى تاريخ الاسلام والمسلمين فى القارة الجديدة استراليا أرجو أن أكون قد وفقت .. والى اللقاء .

مواقيت الصلاة

الأيام	شوال ١٣٨٥	يناير ١٩٦٦	فجر ق	فجر س	شروق ق	شروق س	ظهر ق	ظهر س	عصر ق	عصر س	مغرب ق	مغرب س	عشاء ق	عشاء س
الأحد	١	٢٣	٢٠	٥	٥٠	٦	٠٧	١٢	٠٣	٣	٢٤	٥	٤٤	٦
الاثنين	٢	٢٤	١٩		٥٠		٠٧		٠٤		٢٥		٤٥	
الثلاثاء	٣	٢٥	١٩		٤٩		٠٧		٠٥		٢٦		٤٦	
الأربعاء	٤	٢٦	١٩		٤٩		٠٧		٠٦		٢٧		٤٧	
الخميس	٥	٢٧	١٨		٤٩		٠٨		٠٧		٢٧		٤٧	
الجمعة	٦	٢٨	١٨		٤٨		٠٨		٠٧		٢٨		٤٨	
السبت	٧	٢٩	١٨		٤٨		٠٨		٠٨		٢٩		٤٩	
الأحد	٨	٣٠	١٧		٤٧		٠٨		٠٩		٣٠		٥٠	
الاثنين	٩	٣١	١٧		٤٧		٠٨		٠٩		٣١		٥٠	
الثلاثاء	١٠	فبراير ١	١٧		٤٦		٠٩		١٠		٣٢		٥١	
الأربعاء	١١	٢	١٦		٤٥		٩		١١		٣٣		٥٢	
الخميس	١٢	٣	١٦		٤٥		٩		١٢		٣٣		٥٢	
الجمعة	١٣	٤	١٥		٤٤		٩		١٢		٣٤		٥٣	
السبت	١٤	٥	١٥		٤٤		٩		١٣		٣٥		٥٤	
الأحد	١٥	٦	١٤		٤٣		٩		١٤		٣٦		٥٤	
الاثنين	١٦	٧	١٣		٤٢		٩		١٤		٣٧		٥٥	
الثلاثاء	١٧	٨	١٣		٤٢		٩		١٥		٣٧		٥٥	
الأربعاء	١٨	٩	١٢		٤١		٩		١٥		٣٨		٥٦	
الخميس	١٩	١٠	١٢		٤٠		٩		١٦		٣٩		٥٧	
الجمعة	٢٠	١١	١١		٣٩		٩		١٧		٤٠		٥٨	
السبت	٢١	١٢	١٠		٣٨		٩		١٧		٤١		٥٩	
الأحد	٢٢	١٣	١٠		٣٧		٩		١٨		٤١		٥٩	
الاثنين	٢٣	١٤	٩		٣٦		٩		١٨		٤٢		٠٠	٧
الثلاثاء	٢٤	١٥	٨		٣٥		٩		١٩		٤٣		٠١	
الأربعاء	٢٥	١٦	٧		٣٤		٩		١٩		٤٤		٠٢	
الخميس	٢٦	١٧	٦		٣٤		٩		٢٠		٤٥		٠٢	
الجمعة	٢٧	١٨	٦		٣٣		٩		٢٠		٤٦		٠٣	
السبت	٢٨	١٩	٥		٣٢		٩		٢١		٤٦		٠٣	
الأحد	٢٩	٢٠	٤		٣١		٩		٢١		٤٧		٠٤	

فرحة المسلمين بعيد الفطر

تحقيق : هاني عامر

عزيزي القارىء ..

العيد فرحة للقلب وصفاء للنفس .. فى يوم العيد تجتمع القلوب وتتآلف النفوس .. العيد يوم ضيافة الرحمن لعباده المخلصين ، يجتمعون على موائد المسرة تحفهم الرحمة وتحتفى بهم الملائكة ..

ما أجمل العيد حيث يخرج الانسان من صومه طاهر النفس مغفور الذنب ، وقد رضى الله عنه .

ان النفوس تمتلىء بشرا حينما ترى أحبابها وقد جاءوا يتزاورون وقد نسوا أحقادهم وتصافت نفوسهم .

فى هذا اليوم تعم الفرحة الجميع ويتساوى أمامها الصغر والكبر .. ان الفقير يشعر فى هذا اليوم المبارك بالسعادة التى يغدقها عليه الغنى . فزكاة عيد الفطر طهرة للصائم وقربة له عند ربه .

ومن هنا تتضح أمامنا المعانى السامية التى تظلل المسلمين فى يوم عيدهم ، فاخاء ومساواة وفرحة وبهجة ومما يزيد هذه المعانى روعة وجمالا ما نلاحظه من تقاليد وعادات مختلفة لدى كل شعب من شعوب الامة الاسلامية .

ويسر مجلة منبر الاسلام ان تقدم لقرائها الكرام صورة من مظاهر احتفال المسلمين بعيد الفطر فى شتى بلاد العالم الاسلامى .

ففى سفارة الكويت تحدث الينا السيد عبد الله عبد الرحمن الرومى الملحق الصحفى عن عادات وتقاليد الشعب الكويتى فى عيد الفطر المبارك قال :

فى الكويت يتحدد أول أيام العيد تبعا لرؤية الهلال عملا بالشريعة الغراء ، واذا تعذرت الرؤية فيكون التحديد اعتمادا على الدولة الاسلامية المجاورة أو اكمال عدة رمضان ثلاثين يوما .

ويحرص الكويتيون على اداء زكاة الفطر حتى اذا حل وقت الصلاة تكون الزكاة قد دفعت لمستحقيها فلا يجوز عندهم اخراجها بعد صلاة العيد .

وفى صباح العيد يتوجه الجميع الى المساجد التى تمتلىء بالمصلين حتى انك لا تجد موضعا لقدم ، وقد ارتدى كل منهم ثيابه الجديدة متطيبين بالعـود - البخور - ودهن الورد ، وهو ذو رائحة جميلة .

ويتوجه أمير البلاد أو ولى عهده الى مسجد الخليفة قرب قصر السيف على البحر ليؤدى الصلاة مع المصلين ويحرص الكويتيون على سماع الخطبة فلا يبرحـون المساجد الا بعد سماعها ، وعند الانتهاء من الخطبـة تطلق المدافع تحية للعيد .

وتتوافد جموع الشعب على قصر السـيف لتهنئـة أمير البلاد بالعيد المبارك . ثم يتوجهون الى دواوينهم والديوان هو المكان المخصص فى دورهم لاستقبال الرجال وفيها يتبادلون التهنئة والفرحة بالعيد .

ويقوم سمو الامير بزيارة هذه الدواوين ليبادلهم التهنئة مشاركة منه لشعبه فى أفراحه بالعيد ، كما هى عادته دائما .

وقبيل اذان الظهر يقدمون فى هذه الدواوين الموائد للفقراء والمساكين والاصدقاء وعابرى السبيل .

وفى الكويت لا يصنعون الكعك فى العيد ولكن تقدم أكلات كثيرة ، والاكلة المفضلة عند الـكويتيين هى « المكبوس » وهى عبارة عن ارز باللحم يصنع بطريقة خاصة .

وتستمر اجازة العيد فى الكويت ثلاثة ايام بالاضافة الى يوم الوقفة .. ومن التقاليد الاسلامية الاصيلة فى الكويت تحريمهم على المرأة زيارة القبور فلا يزورها الا قلة قليلة من الرجال الطاعنين فى السن لقراءةالفاتحة للتذكرة والعظة .

وتقابلنا مع السيد طلعت حمدى بسفارة المملـكة العربية السعودية حيث نقل الينا صورة من احتفالات المسلمين فى العربية السعودية بعيد الفطر ، قال :

المملكة العربية السعودية هى المملكة التى اقامها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سـعود ، وساحلها الغربى على البحر الاحمر ويبدأ عند العقبة وينتهى عند حدود اليمن ، وحدودها الجنوبيةوالجنوبية الشرقية تتصـل بحدود اليمـن . وعـدن ومسقط وعمـان والمشـيخات الموجودة على الخليج العربى وساحل المملكة الشرقى على الخليج العربى ويتجـه شمالا نحو الكويت .

وفى السعودية دائما ما يلتقى المسلمـون من كل الجنسيات وسائر أنحاء العالم فى مواسم الحج والزيارة لذلك تجد التقاليد فى العيد لا تختلف كثيرا عما هو متبع فى كثير من بلاد المسلمين .

ففى اول أيام العيد يرتدى الجميع فقيراوغنيا ،كبيرا وصغيرا الملابس الجديدة ويسارعون فى الصـباح الى المساجد للصلاة ، وبعد الصلاة والخطبة يحاول كل منهم أن يقابل خصومه ليسارع كلا الطرفين فى نسيان هذه الخصومات ويتصالحون .

وفى هذا اليوم تبدأ الزيارات العائلية للاقارب ... وفى اليومين الثانى والثالث تكون الزيارات للاصـدقاء والجيران .

ويقدمون للضيوف الحلو ىوالشيكولاته ، وتصـنع ربا تالبيوت ما يشبه لقمة القاضى هنا فى مصر ..ولكن الطبخة المميزة هى عبارة عنخليط منقمر الدينوالفستق والبندق وتطبخ جميعا معا وتسمى هذه الاكلة الدبيازة

وفى نجد تعد الاطعمة وتوضع فى صوان على نواصى الطرق ليأكل كل عابر جائع .. وتستمر الاحتفـالات بالعيد فى المملكة طوال أربعة أيام كاملة .

وتوجهنا الى سماحة الشيخ مبشر الطرازى كبيـر علماء افغانستان لنعلم كيف يحتفل المسلمون فىافغانستان بيوم العيد فقال :

يبدأ عيد الفطر فى افغانستان برؤية هلال شوال أو تكميل رمضان ثلاثين يوما وذلك بقرار من قاضىالشريعة الاسلامية ، ومن حوله من أعضاء جمعية العلماء هناك ، وهى جمعية تعترف بها الحكومة ولها دستورها فى عهد المغفور له الملك محمد نادر شاه الغازى محرر افغانستان من الاستعمار البريطانى .

ويعلن القرار بضرب المدافع ليلة العلة وفى الاذاعة فترى المسلمين فى العاصمة كابل وغيرها من المدنوالقرى يستعدون لاستقبال العيد .

وتحدد الحكومة التى دينها الرسمى الاسلام المساجد الكبيرة لاقامة صلاة العيد فيها كمسجد « عيد كاه » أى مسجد صلاة العيد وهو موجود فى ضاحية كابل عند الميدان الكبير .

ويؤدى جلالة الملك صلاة العيد مع الوزراء وكبار رجال الدولة فى المسجد الملكى بالقصر .

وبعد الصلاة يجتمع كبار رجال الدولة فى قصر «سلام خانه » يعنى « قصر عرض السلام » حتى يشرفهم جلالة الملك للتهنئة بالعيد .

وعند بدء عرض التهنئة على الملك تطلق المدفعيـة احدى وعشرين طلقة ثم يقوم جلالة الملك بعد ذلكويلقى خطابا ملكيا يرد فيه التهانى للشعب والحكومة .

وينصرف الجميع الا الرؤساء الثلاثة - رئيس الوزراء ورئيس البرلمان ورئيس مجلس الشيوخ - ومعهـم

الوزراء وعدد من كبار رجال الجيش يتجهون نحو القصر الملكي « قصر ولكشا » حيث يتشرفون بالسلام على جلالة الملك ويقضون وقتا طيبا مع جلالته الى أن يتناولوا طعام الفداء على المائدة الملكية ثم ينصرفون .

أما طوائف الشعب فانهم يصلون صلاة العيد في تلك المساجد الكبيرة وبعد الصلاة يتبادلون التهنئةبالمصافحة والمعانقة بينهم قائلين بعضهم للبعض « عيد شما مبارك - وزه وغاز قبول » .

يعني « عيدكم مبارك . وتقبل الله صـــيامكم وقيامكم » . ثم يتوجهون الى بيوتهم .

ويتبادلون الزيارات والتهاني مع الاصدقاء والجيران ويزورون كبار المشايخ والعلماء والاساتذة تقديرا لهم . وهكذا تستمر الافراح والزيارات ثلاثة أيام كاملة .

وتقدم في كل مكان أنـــواع الحلوى والجاتوهات للضيوف . وتطبخ أنواع كبيرة من الاطعمة الشعبية في المنازل اكراما للضيوف وبهجة بالعيد وتفـاؤلا في توسع الخيرات والنعم .

وتذيع الاذاعة الاغاني الخاصة بالعيد مع الاناشيد الدينية المختلفة وكذلك تقام الحفلات في النـــوادي والرحلات والخـــروج الى الحدائق العامة حيث تـكثر فيها الموسيقى والرقصات الشعبية ويلبس الاطفـــال الملابس الملونة المزركشة الوطنية الافغانية ، ويرقصون رقصة « أتن » وهي تشبه الى حد كبير رقصة الدبكة المعروفة في لبنان وسوريا .

ومن التقاليد المعروفة في أفغانستان في العيد هـو اعطاء النقود للاطفال والهدايا لا فرق في ذلك بين الاغنياء والفقراء لادخال البهجة والسرور في نفوس الاطفال .

وكذلك يوزع الشعب الافغاني زكاة الفطر أو صدقة الفطر بكل حرص واهتمام بين الفقراء والمحتاجين وذلك قبل يوم العيد أو في اليوم الاول من العيد ، هذا غير الزكاة والخيرات الاخرى التي يخرجها الشعب خـلال رمضان المبارك حتى يعم الخير الجميع .

وفي سفارة نيجيريا التقينا بالسيد الملحق الصحفي بالسفارة التي تحدث الينا عن عادات وتقاليد المسلمين في نيجيريا فقال :

في نيجيريا يتحدد أول أيام العيد تبعا لرؤية هـلال شوال ، وقد يحدث أن تحجب السحب الكثيفة الهلال ويستطيع أهل الشمال رؤية الهلال قبل أهل الجنـوب لارتفاعهم .

وفي صباح العيد قبل الصلاة تدفع الزكاة وهي كمية من الذرة للمستحقين ويراعى فيها كل مقدرته المالية ، وقد تزيد عما هو مفروض عليه ولكن لا يمكن أن تنقص بحال من الاحوال عن النصيب المقرر شرعا .

ويرتدي النيجيريون الملابس الجديدة الجميلة في ألوان زاهية ويتوجهون للصلاة في مكان خاص يعد لذلك .. وهذا هو الفارق المميز بين صلاة العيد التي يتجمع فيها المسلمون في مكان واحد والصلاة في الايام العادية ويوم الجمعة التي تقام في المساجد .

وفي المدن الكبرى مثل لاجوس العاصمة يتوجه المسلمون في سياراتهم الخاصة والعامة للاجتماع في أرض واسعة يسورها حائط للصلاة .

وانه لما يبعث في النفس السرور والطمانينة أن ترى عدد المسلمين يزيد على ألف مسلم حتى أنهم لايستطيعون رؤية الامام بل يسمعونه عن طريق مكبرات الصـوت وبعد سماع الخطبة ، وهي تلقى باللغة العربية والوطنية يعود الجميع الى بيوتهم ثم تبدأ الزيارات بين الاسر .. وفي المساء يخرج كل منهم الى حيث يروقه .

وفي الحدائق والاماكن الاخرى ترى الناس مرتدين ملابسهم الوطنية المزركشة الجميلة راكبين جيادهم .. وفئات ترقص وتغني وتطبل .. وهكذا في يوم العيـد يعودون الى الرقص والموسيقى التي يمتنعون عنها طوال شهر رمضان احتراما وتقديرا للشهر الفضيل .

ويصنعون في هذا اليوم كريات صغيرة من دقيق الذرة المعجون ويضيفون اليه السكر أو العسل ويسـمى « ما صا » .

وتستمر الاحتفالات بالعيد حتى يوم الجمعة الـذي يلي يوم العيد أي مدة اسبوع أما الاجازة الرسمية فهي يومين .

هـذا وننتقل الى قارتنـا احتفال شعب الفلبين بالعيد ، فنقول :

تتكون الفلبين من عدة جزر ، والجو صحو مما يساعد على رؤية هلال شوال بسهولة .

والجدير بالذكر أن أول حكومة منظمة في الفلبين تأسست حوالي عام ١٣٦٣ وكانت حكومة اسلامية منظمة تركزت في مدينة سولو ، وتوجد في أقصى الجنوب منطقة مندانو وهي منطقة اسلامية خالصة .

وفي صباح العيد يتوجه المسلمون جميعا كبيـرهم وصغيرهم لاداء الصلاة ، وبعد سماع الخطبة التي تلقى باللغة العربية والصلاة يقومون بالزيارات العائليـة وللاصدقاء .

ويصنعون أطعمة كثيرة يوم العيد منها « فانيام » ، وهو أرز مطحون بالسكر وعصير جوز الهند و «سندل» أي شوربة و «جاه» - وهي تشبه الى حد كبير الكنافة

وفي المساء يقام حفل ديني عام يقرأ فيه القـرآن الكريم وتلقى الخطب الدينية احتفالا بهذا اليوم .

وتقام للاطفال الالعاب ويقدم الاغنياء جوائز تجري عليها مسابقات للفوز بها وتسمى هذه اللعبة سيفاء .

وتوجهنا الى سفارة جمهورية تنزانيا حيث تحدث الينا السيد أحمد حسن دريا سفير جمهورية تنزانيا في الجمهورية العربية المتحدة قال سيادة السفير :

ان تنزانيا جمهورية قامت بين شعبي زنجبار وتنجانيقا ولو أن الرئيس نيريري غير مسلم الا أنه يحضر احتفالات المسلمين بعيد الفطر المبارك .

ونائبي رئيس الجمهورية السيدان عبيد أمان كارومي، ورشيدي كاووا مسلمين . ويوجد في زنجبار معهـد اسلامي كبير كما يوجد علماء دين يدرسـون الدين الاسلامي في منازلهم .

ويتحدد أول أيام العيد تبعا لرؤية هلال شوال أو اعتمادا على رؤيته في الدول المجاورة . وفي صباح العيد يرتدون ثيابهم الجديدة ويتوجهون الى «منـاز موج » وتعني بالعربية الساحة الكبيرة المعدة للصلاة . وبعد الصلاة والخطبة يعودون حيث يقـومون بزيارة موتاهم . وفي المساء تتم الزيارات العائلية وللاصدقاء .

وفي يوم العيد تفتح المطاعم التي كانت مغلقة طوال نهار رمضان بأمر حكومي . ويقدمون للضيوف والمهنئين بالعيد الكعك والبسكوت الجاهز كمـا أنهم يعطرون الزوار بالروائح الجميلة .

ويقدمون في الغداء والعشاء « والي » أي أرز مطبوخ بالطريقة الخاصة .

وبعد ..فتهنئة خالصة للمسلمين بهذا العيد ومشاركة قلبية في احتفالات المسلمين به في كل مكان .. راجين للعالم الاسلامي جميعه المجد والرفعة .

وكل عام وأنتم بخير .

الجندية في الإسلام

الدكتورة سعاد ماهر

لم تكن مصر منذ فتحها العرب سنة ٦٤٠ م على حالة واحدة من الناحية السياسية فقد كانت حينا جزءا مندمجا فى جسم الدولة العربية ، كما كان الحال فى عهد الدولة الاموية وفى بعض فترات من حكم الدولة العباسية ·

وقد تقوى شخصيتها فى احيان اخرى وتتمتع بنوع من بنوع من الاستقلال ، كما حدث فى فترات من تاريخ الدولة الطولونية والاخشيدية · ولما توفر لها من الاسباب والظروف ما حقق لها استقلالا كاملا نمت واتسعت واصبحت مركزا لدولة عظيمة كما حدث فى العصر الفاطمى والايوبى والمملوكى ·

كذلك كان حال الجند فى مصر فى العصر الاسلامى . ففى عهد الدولة الاموية واوائل العصر العباسى كان جندها يكون بعض فرق الجيش الاسلامى العام ، اما فى عهد الدولة الطولونية والاخشيدية فكان لها جيشها الخاص الذى استطاع ان يحمى استقلالها وان كان غير تام · وفى عهد استقلالها الكامل التام كان جيشها من القوة والمنعة بحيث استطاع ان يقف امام جيوش العباسيين فى عهد الدولة الفاطمية ويرد كيد الصليبيين فى عصر الايوبيين ويقهر التتار فى زمن المماليك ·

كان عدد الجيش فى عهد احمد بن طولون مائة الف مقاتل من اجناس متعددة من المصريين والسودانيين والنوبيين والروم · وكان احمد بن طولون سياسيا محنكا وقائدا ماهدا خبيرا باساليب الحروب وتعبئة الجيوش ، فقد استطاع ان يرد جيوش الخليفة الموفق العباسى بقيادة عامله ابن كنداج عن دخول مصر والاستيلاء عليها ، لمناعة وقوة حاميتها وبسالة جيشها · وقد استطاع الجيش المصرى فى عهد ابن طولون ان يجعل من مصر امبراطورية تمتد من العراق شرقا الى برقة غربا ومن بلاد النوبة جنوبا الى آسيا الصغرى شمالا ·· وقد خشى باسها امبراطور الدولة البزنطية على مابين البلدين من بعد الشقة ووعرة الطريق · فاخذ يتودد الى احمد بن طولون بالهدايا وعن طريق الافراج عمن كان عنده من اسرى المسلمين · ونستطيع ان نتبين نظام الجيش وسلاحه ولباسه فى عهد الدولة الطولونية مما جاء فى المراجع التاريخية فى وصف استعراض الجيش فى عهد خمارويه بن احمد بن طولون عند الاحتفال باعياد الدولة ومواسمها ، فقد جاء فى النجوم الزاهرة « ويسير فيه « اى الجيش » اولاد الحرف وشناتره الضياع ، وكانوا من قطاع الطرق ضخام الاجسام المعروفين بالشجاعه والباس . وادخلهم خمارويه فى خدمة الجيش وادر عليهم الارزاق والعطايا ، ومنع عن الناس اذاهم وكان بعض فرق الجند يلبسون الاقبية من الحرير والديباج ويتمنطقون بالمناطق العريضة الثقيلة ويتقلدون بالسيوف المحلاه ، ويسير خلف هؤلاء طوائف العسكرية المختلفة يتلوهم الف من السودان ، لهم درق من حديد محكم الصنعة ، وعليهم الاقبية والعمائم السود فيخالهم الناظر بحرا اسود يسير لسواد الوانهم وسواد ثيابهم · ويزيدهم بهاء بريق درقهم ووهج سيوفهم والبيض « الخوذة » التى تلمع من تحت العمائم · فاذا مضى السودانيون قدم خمارويه وسار منفردا عن موكبه بمقدار غلوة (رميه) سهم · ويحف به حرسه المختاره وهو ممتط فرسا ، تكسوه الهيبة . ويدل مظهره على السطوة وشدة الباس »

وبلغ عدد الجند اربعمائة الف مقاتل فى عهد الاخشيديين ، عدا حرس الامير الخاص وعبيده ومماليكه الذين كان يزخر بهم القصر . وكان عددهم كما يقول المقريزى ثمانية الاف رجل ولما تولى كافور الاخشيد زمام مصر وما يليها من البلاد بعد وفاة الاخشيد انضم الى الجيش عدد كبير من السودانيين · وكان الجيش المصرى من القوة فى ذلك الوقت مما جعل الخليفة المتقى العباسى يلجأ اليه ويستنجد به لتخليص حلب من سيف الدولة الحمدانى ، وقد قدر الخليفة للاخشيد هذا الفضل فاقره على ولاية مصر والشام هو واولاده من بعده ثلاثين عاما ·

ولما استقلت مصر استقلالا تاما فى عهد الدولة الفاطمية ، كان من البديهى ان يوجه خلفاء الفاطميين عنايتهم الى اعداد جيش قوى · وكان الجيش فى عهدهم يتكون من فئتين رئيسيتين ، الاولى فئة الامراء والثانية طوائف الجند ولكل من هاتين الطبقتين مرتبة لايتجاوزها الى غيرها ·

وكانت طوائف الجند تتكون من عدة عناصر كالمغاربة والاتراك والاكراد والغز والديلم والسودان · وقد اهتم الخلفاء بعرض الجيش ، وتوديع الحملات الحربية وقد اعطانا « ناصر خسرو » الرحالة الفارسى الذى زار مصر فى القرن الخامس الهجرى ، وصفا مفصلا عن عرض الجند جاء فيه (يحضر الخليفة وفى ركبه عشرة الاف فارس يمتطون الخيول المطهمة الملجمة ،ويلبسون الدروع المحلاة بالذهب والاحجار الكريمة · المكسوة

لوحة رقم « وا » تمثل الجندى المصرى فى العصر الفاطمى فى القرن الخامس الهجرى

بدبياج مطرز باسم الخليفة . ويلى هؤلاء صفوف من الجمال عليها هوادج تقودها طائفة من جند الخليفة ، اما الجند فكانت تسير فى صفوف منتظمة فصيلة تلو فصيلة ، البربر من هؤلاء يسيرون فى عشرين الفا من اشداء قبيلة كتامه المغربية من سلالة جند المعز . ويسير خلف هؤلاء ، وأولئك الاتراك والفرس فى عشرة آلاف ، ويطلق عليهم اسم المشرقيين ، ولو أن مسقط رأسهم هو مصر ، ويتبعهم من بدو الحجاز عشرة آلاف ومن السودا نثلاثون الفا ، وكان يطلق عليهم عبيد الشراء . وكان حرس الخليفة يتألف من ثلثمائة من الديلم المشاة ، مرتدين الحلل السندسية المصنوعة فى بلاد الروم ، حاملين المعاول والمزاريق)

وكان خلفاء الفاطميين يكرمون رجال الجيش والممتازين من قواده وجنوده غاية التكريم ، فكانوا يخلعون على امراء الجند بأطواق الذهب فيحملونها حول اعناقهم وبالقضب الفضية على من يليهم فى المرتبة . وكانت بعض الفرق ينسب الى الخلفاء ، كالحافظية نسبه الى الخليفة الحافظ لدين الله والآمريه نسبه الى الآمر باحكام الله ، والبعض الاخر ينسب الى الوزراء كالجيوشية نسبه الى بدر الجمالى والافضليه نسبه الى ابنه الافضل .

اما عن انواع السلاح الذى استعمله الجندى فى العصر الفاطمى فقد اسهب فى وصفه وبيان عدده واختلاف انواعه ابن ميسر والمقريزى من يعده اسهابا يكاد يخرجه من عالم الحقيقة الى عالم الخيال ، وقد اعتبر العالم الاثرى زكى حسن ، خزائن السلاح من كنوز الفاطميين ، فأفرد لها بابا خاصا بها فى كتابه « كنوز الفاطميين جاء فيه : (ان الفاطميين احتفظوا فى خزائن سلاحهم ، بأسلحة عظيمة القيمة التاريخية كالسيف المسمى ذى الفقار ، وهو السيف المشهور الذى غنمه النبى (صلى الله عليه وسلم) فى وقعة بدر بعد ان كان ملكا لمشرك اسمه منبه بن الحجاج وسيف عمرو بن معدى كرب المعروف بالصمصامه ، هو الفارس الزبيرى العربى المشهور ، وسيف عبد الله بن وهب الراسبى ، وهو من الخوارج الذين انفصلوا عن على بن ابى طالب سنة ٣٧ هـ وسيف المعز ودرعه ، وسيف ابى المعز وسيف الحسن بن على بن ابى طالب ، ودرقة حمزة بن عبد المطلب ، وسيف جعفر الصادق) ..

ويقول المقريزى عن ابن الطوير ان الخليفة كان يزور خزانة السلاح فيطوفها ثم يجلس على سرير اعد فيها ويتأمل مافيها من « الكزاغندات « الجزء الخشبى فى البندقية) المدفونة بالزرد المغشاة بالديباج المحكمة الصناعة ، والجواش المبطنة المذهبة ، والزرديات السابلة (المسبلة او المرخاة) برؤوسها ، والخوذ المحلاة بالفضة ، والزرديات والسيوف على اختلافها من العربيات والقلجوريات (قلج بالتركية سيف) ،

والرماح والقنا (قضيب مسعود الداخل ينبت فى الهند) والقنطاريات (خشب الرمح وهى من اليونانية

والمدهونة والمذهبة والاسنة الرصانية « لعلها الخرصانية بمعنى الرمح القصير » والقسي المنسوبة الى صانعها مثل الخطوط المنسوبة الى اربابها فيحضر اليه منهـا ما بجزية . ويتامل النشاب وكانت نصوا مثلثـة الاركان على اختلافهـا ، ثم القسي الرجل والركاب ، وقسي اللولب الذى زنة النصل خمسة ارطال ، ويرمى من كل سهم بين يديه فينظر كيف مجراه . والنشاب الذى يقال له الجراد وطوله شبر يرمى به عن قسى فى مجار معمولة برسمه فلا يدرى به الفارس او الراجـل الا وقد نفذ . فاذا فرغ من نظر ذلك كله ، خرج من خزانة الدرق وكانت فى المكان الذى هو خان مسرور (بحى الازهر الان وهى برسم الاستعمالات للاساطيل الكبورة الخراجية ، والخوذ الجلودية الى غير ذلك ، فيعطى مستخدميها خمسة وعشرين دينارا ، ويخلع على متقدم الاستعمالات حوكانيه (جاكتة) مزيدة حرير او عمامة لطيفة)

ويقول النويرى (ان خزانة سلاح الفاطميين كان بها آلاف القطع من الخوذ والدروع والنجافيف (آلة يلبسها الفارس كالدرع) والسـيوف المحلاة بالذهب والفضة ، والسيوف الحديدية ، وصناديق النصول ، وجعاب السهاب الخلنج ، وصناديق القسي ورزم الرماح الزان الخطية وشدات للقنا الطـوال والزرد والبيض (الخوذ) . ثم يضيف (وكان فى خزانة السلاح عمال يتعهدون محتوياتها ويقومون فى الوقت المناسـب بالاصلاح التى تحتاجه من مسح ودهان وصـقل وجلاء وشحذ وتثقيف وخرز وغير ذلك)

اما خزائن السروج فيقول المقريزى (ان خزائن السروج الفاطمية كانت تحتوى على مالا تحتوى عليه مثلها فى مملكة من الممالك وهى قاعة كبيرة تحت جدرانها مصطبة علوها ذراعان . وعلى المصطبة متكات على كل متكا ثلاثة سروج متطابقة وفوقه فى الحائط وتد مدهون مضروب فى الحائط قبل تبيضه ، ومعلق فيه كل مايلزم السروج من لجم وقلائد واطواق مصنوعة اكثر اجزائها من الذهب والفضة او محلاة بهما . ويقـول القاضى الرشيدى ابن الزبير فى كتـابه الذخائر والتحف (وكان ثمن بعض السروج المحفوظة فى خزانة يتراوح بين الف دينار وسبعة آلاف . اما العمـال والصناع الذين كانوا ملحقين بالخزانة يدابون على العمل فيها ، فقد كان عددهم كبيرا من صاغة وخرازين ومركبين)

واما الريات التى كانت تحملها فرق الجند فكثيرة متعددة ، كما كان لها مرادفات كثيرة كذلك ، فالبند العلم الكبير واللواء والراية والعلم والبيرق والسنجق وكانت تسمى جاليش عند السلاجقة والتتار والايوبيين والمماليك . والراية قديمة فى التاريخ اتخذها المصريون القدماء ومن عاصرهم من الدول والشعوب . وكانت شائعة عند العرب فى الجاهلية فكان لـكل قبيلة لواؤها يتميز عن غيره بلونه واحيانا بشـكله وكان يربط فى طرف الرمح ويحمله سيد القبيلة او احد المتقدمين فيها . وجاء فى السيرة الحلبية ان المسلمين فى غزوة بدر كانت لهم ثلاث رايات احداها بيضـاء دفعها الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى مصعب بن عمير والاخريان سوداوان احدهما حملها على بن ابى طالب يقال لها العقاب صنعت من مرط (كساء صوف او خز) للسيدة عائشة والثالثة لرجل من الانصار .

وقد اتفق جمهور مؤرخى صدر الاسلام ، على ان النبى صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة كان على راس جنده العلمين الاسود والابيض ، كما ذكروا أن الرسـول صلى الله عليه وسلم فى موقعة ذات السلاسل ، سلم عمرو بن العاص رايتين احداهما سوداء والاخـرى بيضاء . وفى السنة الاولى للهجرة لما ارسل النبى صلى الله عليه وسلم السرية التى اعترضت قافلة قريش القادمة من الشام عقد النبى صلى الله عليه وسلم بيده علما ابيض على رمح وسلمه لابى مرشد . وقيل ان هذا اول لواء عقد فى الاسلام ، فكان ابو مرشد أول من حمل لواء الاسلام . اما الرايات الاسلامية فقد اختلفت الوانها باختلاف الدول ، فقد كانت فى عهد الخلفاء الراشدين على ماكانت عليه فى عهد الرسول اما اعلام بنى امية فكانت حمراء فى قول وبيضـاء فى اقوال كثيرة . وكل من دعا الى الدولة العلوية فعلمه ابيض . ولما جاءت الدولة العباسية اتخذت السـواد شعارا لها حزنا على شهدائهم من بنى هاشم ونعيا على بنى امية قتلهم ولذا سموا المسودة .

ولما دب الخلاف بين الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسيين ذهبوا الى مخالفتهم فى ذلك فاتخذوا الرايات البيض وسموا المبيضة . ومن الثابت ان دعاة بنى هاشم من الشيعة كانت اعلامهم خضراء لان الخليفة المامون لما بايع لعلى بن موسى بولاية العهد امر جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضر ، ولما مات على ، عاد المامون الى السواد ليظفر بود الثائرين عليه من رجاله . وقيل فى سبب اختيار الشيعة اللون الاخضر شعارا لهم ، ان النبى صلى الله عليه وسلم عندما هاجر من مكة طلب من على بن ابى طالب ان يبيت فى فراشه واسجى عليه عبـاءته الخضراء ليضـلل الكفار ، فلمـا قدموا لارتكاب جريمتهم ورفعوا العباءة الخضراء راوا عليا فلم ينالوه باذى .

ولما دخل العرب مصر كانت راياتها تتبع اعـلام الدول الاسلامية فالبنود السوداء والبيضاء على عهـد الخلفاء الراشدين ، والرايات الحمراء او البيضاء فى عهد بنى امية ، اما فى زمن العباسيين ، فكانت الاعلام سوداء ..

ولما استقلت مصر فى عصر الدولة الفاطمية اختـار الفاطميون اللون الاخضر شعارا لهم مثلما اختـاره العلويون من قبل . وقد كانت للدولة الفاطمية عادات وتقاليد خاصة فى حمل البنود والاعلام ، فقد كان يحمل علمان احدهما على يمين الخليفة والثانى على يسـاره ، ويحيط بكل حامل علم جماعة مؤلفة من عشرة الى عشرين من طبقته ثم يتبعهم حامل المجرة وحامل السيف . ثم يقبل الخليفة واتباعه ثم ياتى حامل علم الخليفة الذى قيل انه تميز عن سواه بكونه مثبتا الى عصا او سارية يعلوها كرة من ذهب)

ونظرا لاهمية البنود والاعلام ، فقد خصص لها خلفاء الدولة الفاطمية خزائن خاصة فى قصورهم عرفت بخزائن البنود ، ويقول المقريزى ان الذى بناها هو الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله وانها كانت تشتمل على كميات كبيرة من الرايات والاعلام ، وان الخليفة الظاهر اتخذ فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنايع ، وكان ينفق على هذه الخزانة فى كل سنة من سبعين الف دينار الى ثمانين الف دينار .

تراثنا الفني الاسلامي

الاستاذ سعيد الصدر

الفن عصب الحياة في كل العصور وهو نبع من الينابيع الهامة التي تحرك تلك الحياة وتبعث على الامال فيها .

ومهما اختلفت الاديان وتباينت فان هذه الحقيقة ظلت كائنة تلعب دورها في تكييف حياة الشعوب وتنميتها وتشكيل حضاراتها - واصبحت عنوانا يستدل به على مدى ماكان عليه مستوى المفاهيم الانسانية لدى كل شعب ومدى ماكان عليه من عمق روحي ووجداني .

ولقد لعبت الاديان بدورها دورا هاما وهي التي هيأت الصفاء النفسي والروحي للانسان - وفرقت بينه وبين الحيوان . وفي تلك الاديان نجد تعاليم كثيرة كلها تتقابل وتتلاقى في خط عريض واحد وهي كلها تصب في الانسان الكائن الحي على هذه الارض .

والدين الاسلامي بما فيه من تعاليم سامية غني كل الغنى بتلك المفاهيم الانسانية التي تنطق بالمشاعر المرهفة التي تعتبر اساسا لكل ما ينتج ما عرفه البشر باسم الفن .

والفن في مذهبنا مهما اختلفت اساليبه هو التعبير عن الجمال بموازينه المتباينة وهو ايضا شعور فياض واحساس عميق بقدرة الخالق عز وجل ورغبة ملحة في التعبير عن هذا الشعور بوسيلة الرسم او النحت - كشأن مايعبر الاديب او الشاعر بالكلمة المنظومة او المنثورة .

ولكم من مرات وقفت امام مشهد للغروب وذهبت بفكري بعيدا في قدرة الخالق وشعرت برغبة ملحة في تسجيل ذلك المشهد الخلاب واحسست بخوف وبعجز عن تسجيله لما هو عليه من عظمة باعثة على الرهبة - وتلك هي نظرة الفنان ومشاعره التي تدفعه الى اخراج عمل

فنى يستند الى مايحيط به من كل جوانب الحيـــــاة ومظاهرها سواء كانت مما له صلة بالطبيعة او بالبشر او الكائنات الحية الاخرى •

ولقد كان الفن وآثاره على مر السنين من اهم ما اعتمد عليه الناس فى تهيئة المساجد وبيوت العبادة وجعلهـا بالصورة والمظهر الذى ميزها وعرفها عن الدور العادية – وكذلك كان الفن وسيلة التجميل والتنسيق لهذه الدور بوصفها البيوت والدور الجديرة بكل احترام – اذ يقف فيها روادها امام الخالق عز وجل •

ولعل المنابر والمآذن والقباب والمحاريب الكثيرة التى نراها فى مساجد القاهرة وغيرها من البلاد والمـــدن القديم منها والحديث – وما لتلك القطع المعمارية من روعة فنية وجمال انشائى وما تتضمنه من زخــرف والوان وآيات قرآنية نسقت تنسيقا بديعا – لعل كل هذا يؤكد ويوضح اهمية الفن فى حياة الناس فى كل مجالاتها •

وعلى هذا النهج ايضا نرى مثلا آخر يؤكد لنا ما للفن من أهمية بالغة – ذلك ان مصحفا مدونا بخط فنى جميل الصورة ييسر للقارئ قراءته ولا يعرضه للتعثر او الخطا فى القراءة – ولهذا نجـــد ان كثرة من الخطاطين قد تسابقوا وتنافسوا لتقديم اروع المصاحف مظهرا وجمالا •

وقد عملت الجمهورية العربية المتحدة على تربيـــة جيل فنى جديد فى ميدان الخط العربى وانشات لذلك معهدا خاصا يتدرب فيه الراغبون على دراســـة الخط وتحسينه •

هذا الى جانب ماتعلنه الدولة من مســـابقات بين الخطاطين الفنيين لتقديم افضل الخطوط واجملها – ولدينا من المصاحف الاثرية ذات الخط الجميل العــدد الوفير بصالة المعرض بدار الكتب العربية – وكذلك بالمتحف الاسلامى ومتاحفنا الاخرى ومن اهمها مصحف عثمان رضى الله عنه •

واذا ما نظرنا الى مجموعة المنتجات الاسلامية المتنوعة المحفوظة بالمتحف الاسلامى بالقاهرة وهى فن الخــزف والمعادن والخشب والزجاج والرخام والمنسوجات والبسط – هى تلك المجموعة التاريخية القيمة بالنسبة للتاريخ الاسلامى – وما كانت عليه الدولة الاسلامية فى اروع عصورها – لوضح لنا ان الفن قد اثبت وسجل لنــا مدى ماكان عليه المسلمون من مدنية وحضارة – واكد لنا تلك المفاهيم العريضة التى كا ن يعيش فيهـــا المسلمون عندما اخذت الرسالة المحمدية تنتشر فى كل الآفاق شرقا وغربا – وكان لتلك الفنون وتلك التعاليم الغير محدودة المدى اكبر الاثر فيما تطورت اليه المدنية الاوروبية فيما بعد • وهنا نذكر ان الولاة والحـــكام الاوربيون كانـوا يتوقـون دائما الى منتج من منتجات الفسطاط العاصمة الاسلامية الاولى بوادى النيل – او منتج من الشام او العراق وكانوا يزركشون ملابســـهم بالرسوم العربية والاسلامية حتى هذه التى كانت تتضمن بعض الآيات القرآنية بمفهوم انها تخاطيط زخرفيـــة تهز المشاعر دون البحث وراء معانيها •

ولطالما استخدمت الآيات القرآنية لملء فراغ فيما بين زخرف وآخر تبركا بتلك الآيات واستلهاما منها لعظمة الخالق وقدرته عز وجل •

كما نرى فى حالات اخرى كلمات وادعية وبعضا من اسماء الله الحسنى موزعة ومنسقة زخرفيـــا فوق مصنوع من النحاس او الخزف او غير ذلك • ولقـــد تعرض كثرة من الكتاب الاوروبيين الحديثين للفنـــون الاسلامية ووصفوها بانها فنون جامدة – وانها كانت لمجرد ملء الفراغات والسطوح المختلفة – وانها تبعث على الملل خاصة وان معظمها تكرارى الطابع • ونحن بدراستنا للتراث الفنى الاسلامى وبممارســـتنا للفنون ممارسة فعلية لسنوات عديدة مضت لانرى فيما كتبه هؤلاء الكتاب الا ترديدا لمفاهيم سطحية تتسم بطـــابع الاغراض مع التنكر للحقائق التى يؤكدها التاريخ والتى نرى اثرها واضحا فى الانتاج الاوروبى •

فالفنون الاسلامية فنون البهجة والجمال وهى تتسم بالحرية والانطلاق فى تصورات ومبتكرات اخذت واقتبست عن المشاهدات فى الطبيعة وعن القصص والتقاليد وجمعت تلك الفنون كل عناصر الطبيعة من نبات الى زهر الى طير الى حيوان الى انسان – وتناول التعبير بالرسم كل الفلسفات والشعر وما الى ذلك • كما ان العلماء العرب الذين الفوا فى الطب والهندسة استعانوا بالرســـم لتوضيح بحوثهم ونظرياتهم • وبذا كان الفن عونا على نشر العلوم عند العرب ولم يـــكن مقتصرا على كونه للتجميل او لتهذيب شكل منتج من المنتجات •

وقد كان للفن عند المسلمين فلسفة خاصة وكان لهم فيه نظريات لم يطرقها غيرهم ومن المعروف انهـــم كانوا يعدون ورقا خاصا للرسم عليه ولتذهيب بعض مناطق الصورة او الزخرف بذهب خالص كانوا يعدونه ايضا بانفسهم وكثرة من الصفحات المذهبة لا زالت محتفظة ببهجتها ورونقها حتى اليوم وعلى هذا النحــو ايضا بقية الالوان التى استخدموها كالازرق واللازوردى والاحمر والاخضر وغير ذلك •

ونحن حين نرى الرسوم الاسلامية التى تشبه المنمنمات نعجب كل العجب على ما احتوته من دقة ومهارة فى التنفيذ الى جانب فنها وما احتوت عليه من تعبير صادق

وعلى هذا النحو ايضا نرى كثرة من الانتاج الصناعى الفنى وقد غطيت سطوحه بالتطعيم او التكفيت او النقش مما يعتبر اعجازا فى عصرنا هذا •

وجملة القول – ان المسلمين كانوا اهل فن واصحاب حيل فنية – ولم يدانيهم فى ذلك شعب آخر •

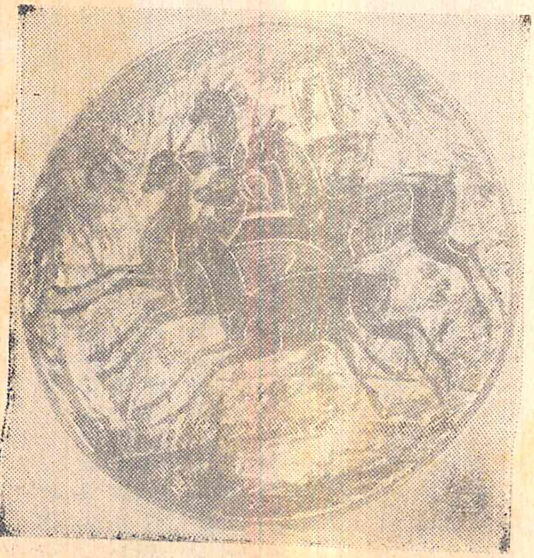

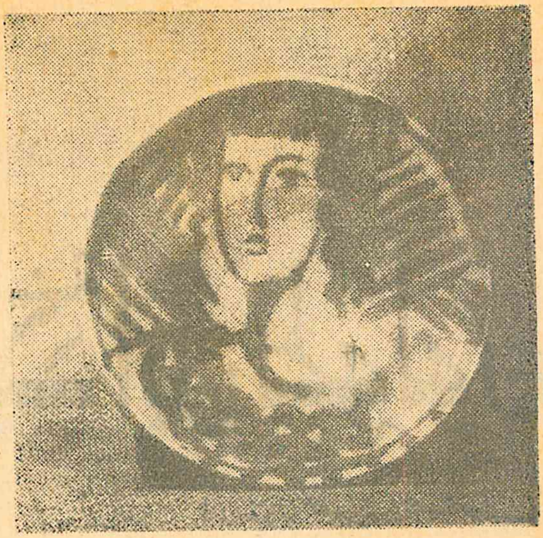

ونحن اذا ما دعونا الى الاهتمام بالتراث الاسلامى ودراسته فانما لانهدف من وراء ذلك أن يكون انتاجنا الفنى نقلا عنه • فنحن لنا حياتنا التى نحياها الآن ، ونحن لسنا الفراعنة الذين عاشوا منذ ثلاثة أو اربعة آلاف سنة ــ ولسنا العرب الذين عاشوا منذ مئات السنين ــ ولكننا اهل الجمهورية العربية المتحدة • ونعيش على ضفاف النيل الذى احتضن كل تلك الحضارات ــ وتلك هى النقطة الحساسة التى تربطنا من جانب من الجوانب بما كانت عليه الحياة فى نفس البقعة سابقا •

ولقد تغيرت الحياة والطبائع والتقاليد خضوعا للزمن وخضوعا للاحداث التاريخية التى مرت بنا كبشر يعيش فى تلك المنطقة •

ولقد تغيرت المفاهيم تبعا للروابط والاتصالات العالمية واتساع نطاق الثقافة وتعدد جوانب العلوم والفنون ــ وما استحدث فى العالم من اساليب الحياة وما استحدثته الصلات العالمية من اتصالات وتبادل فى ميدان الثقافة العالمية سواء كان ذلك فى ميدان العلم او الفن •

من هنا اصبح لزاما علينا كفنانين ان نعمل بوحى من عالمنا دون ان ننسى اننا لازلنا نعيش على ضفاف النيل ــ ودون ان نهمل تدارس التراث الذى خلفه لنا من عاشوا قبلنا على ضفاف هذا النهر •

على ان تدارسنا لذلك التراث لايكون الا بالبحث والفحص الامين ــ لنتبين فيه جوانبه التى تتفق والقيم العالمية التى تقرها حياتنا الآن ــ ولنتعرف ايضا على ما هنالك من نتائج وقيم ــ قد لاتتفق وحياتنا فى القرن العشرين •

وهكذا نستكشف طريقنا لانتاجنا الفنى• ففى القديم ما هو جدير بالتقدير ــ وفيه أيضا جوانب تعتبر فى عرفنا الآن هزيلة ضعيفة وبطبيعة الحال يخضع قرارنا فى كل مرئياتنا الى مايكمن فى انفسنا من احاسيس تختلف من زمن الى آخر ومن فرد الى فرد • وان قرارنا فى كل مرئياتنا يختلف ايضا ويتباين تبعا لنوع ومستويات ثقافتنا ومدى اختلافها او تلاقيها وهى لابد وان تلتقى فى مفهوم يرتبط بالكيان العربى الحديث والجنس البشرى هو النبع الذى تولد وتنبثق عنه الثقافات المختلفة ولكل فرد من البشر احاسيس واتجاه معين فى التذوق ينمو معه مرحليا خلال سنوات حياته كما يصبح البشر الذى يعيش الفنان بينه املا عنده يود ان يجده متجاوبا مستقبلا استقبالا حسنا لما يؤديه من انتاج فنى ــ وهنا تبدا مشكلة الفنان الذى ينتج اعمالا فنية متجاهلا احاسيس الناس مستغرقا فى اعماق نفسه فقط وهو بهذا يصبح كمن يجلس وحيدا يتحدث الى نفسه ــ ويصبح كمن يحاول ان يحصل على تيار كهربائى من سالب فقط دون موجب •

على ان هذه الاستجابة من الجماهير لانتاج الفنان قد لا تتحقق طالما انه بعيد فى مفاهيمه عنها غير ناظر الى ماقد ترسب فى مشاعرها من تقاليد عربية اصيلة ــ وغير ناظر الى ما انطبعت عليه الجماهير من احاسيس قد لايقابلها مثيلا فى غير المنطقة العربية وفى غير الشرق بصفة عامة • فالجماهير العربية تاصل فيها حب الضوء ودفء الشمس وحرارتها وتاصلت فيها الرؤية الصريحة الخالية من الابهام وتاصل فيها حب النغم الشجى وجمال الطبيعة بمروجها الخضراء وسمائها الصافية وصحراواتها التى يسمع فيها اصداء الصوت وما الى ذلك مما لاتتمتع به دنيا اخرى غير دنيا العرب والشرق التى عرفت الروحية والوجدان منذ الحقبات البعيدة ــ وتلك كلها احاسيس ومشاعر تعيش وتنمو خلال حياة الانسان العربى والشرقى وهى عامل فعال لما يحسه فيما حوله من اشياء اخرى ــ لما يبدعه كتابه وشعراؤه وفنانوه ولما تنتجه قرائح هؤلاء الرسل ــ ومن هم فى مقام الريادة الفنية على تنوعها التشكيلى •

واذا ما كان الفنان يستلهم افكاره وانتاجه من البيئة التى يحيا فيما بين احضانها فان من اولى عوامل نجاحه أن يراعى كل ذلك حتى تتحقق له الاستجابة المرجوة على مستوى الجماهير لا على الاتجاه البيروقراطى فحسب

والاشتراكية حين تدعو الى تطور المجتمع ليحيا حياة افضل ــ ذلك حق وذلك هو السبيل ايضا الى حياة افضل للفنان نفسه كفرد فى نفس المجتمع •

مئذنة مسجد ابن طولون

الاستاذ محمود وصفى

منارة لمسجد وفيها يظهر الطبقات المربعة والمستديرة

ينفرد جامع احمد بن طولون بمئذنته التى تعرف بالملوية . وقد اثير وما يزال كثير من الجدل والنقاش حول هذه المئذنة الامر الذى دفعنى ان أفرد لها موضوعا خاصا أتناول فيه كل ما جاء عنها فى المصادر التاريخية والاثرية . وقد يكون من المفيد قبل ان نتناول مئذنة ابن طولون بالتفصيل أن اذكر شيئا عن نشأة المآذن فى الاسلام وتطورها .

كان النبى واصحابه يصلون من غير اذان ، ثم امر النبى بلالا ان يؤذن للصلاة من اعلى سطح يجاور المسجد فكان اول مؤذن فى الاسلام وكانت المساجد الاولى فى الاسلام بغير مآذن ، وكان يحدث احيانا ان يدعو المؤذن الى الصلاة من سور المدينة .

واتخذ المسلمون المآذن لاول مرة فى المسجد الاموى فى دمشق حين اذنوا للصلاة من ابراج المعبد الوثنى القديم الذى قام على انقاضه المسجد ، وكانت هذه الابراج الاربعة الاصل الذى بنيت على مثاله المآذن الاولى فى الاسلام ، ولا سيما فى مصر والشام وبلاد المغرب

وعرف المسلمون المكان الذى يلقى فيه الاذان باسم المئذنة والصومعة او المنارة . وكان العرب يطلقون على ابراج الزهاد اسم « الصوامع » ولعل استعمال هذه الكلمة للدلالة على المآذن راجع الى ان المآذن الاولى فى الشام وغيرها كانت مربعة كابراج الزهاد . وقد ظلت المئذنة تسمى صومعة فى بلاد المغرب حتى الآن ، ويسمى اهل المغرب المئذنة باسم « عساس » بمعنى مكان المراقبة او الملاحظة مما يشهد بان المآذن لم تكن تستخدم للاذان فحسب ، بل كانت تستعمل للكشف والمراقبة فى بعض الاحيان . اما كلمة المنارة فكانت تطلق فى البداية على المكان الذى تشعل فيه النار او ينبعث منه النور ثم اطلقت على الفنارات عامة ، وانتقلت منها الى المآذن لمشابهتها ابراج الفنارات .

واول اشارة لبناء المآذن فى مصر ما ذكره المقريزى عند الكلام على زيارة مسلمة بن مخلد الانصارى فى الجامع العتيق جامع عمرو ، فقد كتب ان هذا الوالى « امر بابتناء منار المسجد الذى فى الفسطاط وامر أن يؤذنوا فى وقت واحد وامر مؤذنى الجامع ان يؤذنوا للفجر اذا مضى نصف الليل ، فاذا فرغوا من آذانهم اذن كل مؤذن بالفسطاط فى وقت واحد ، قال ابن

والتى تعرف بالملوية
٢٣٤ - ٢٣٧ هـ
٨٤٨ - ٨٥٢
والتى تعرف بالملوية

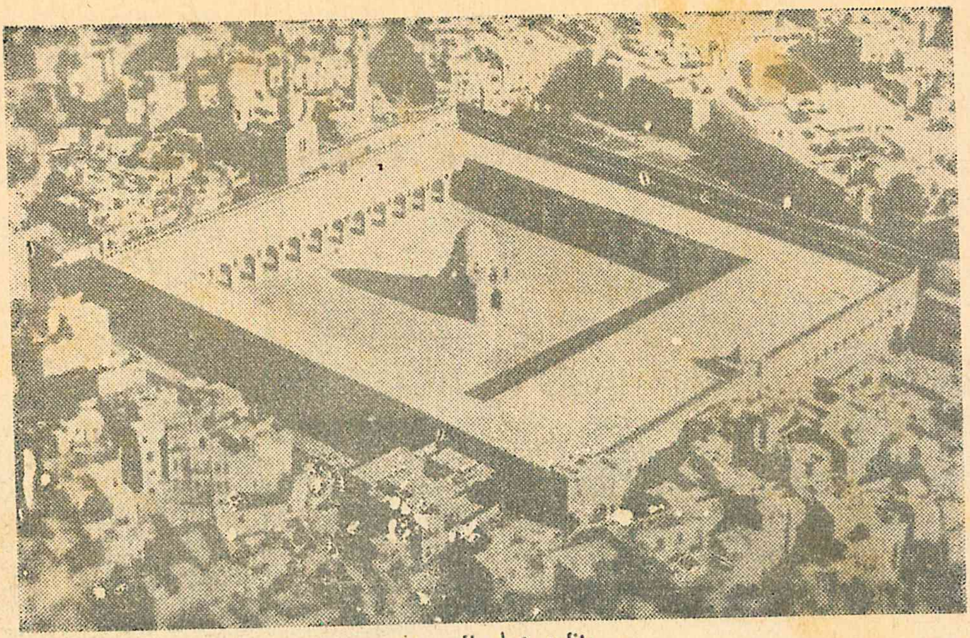

منظر عام للمسجد

لهيعة فكان لاذانهم دوى شديد ، فقال عابد ابن هشام الازدى لمسلمة بن مخلد :

لقد احكمت مسجدنا فاضحى
كاحسن مايكون من المبانى
فتاه به البلاد وساكنوها
كما تاهت بزينتها الغوانى
وكم لك من مناقب صالحات
واجدر بالصوامع للاذان
كان تجاوب الاصوات فيها
اذا ما الليل القى بالجران

وقد ذاعت فى مصر طرز مختلفة من المآذن حتى ليمكن اعتبار القاهرة معرضا لمعظم انواع المآذن التى عرفتها العمارة الاسلامية ، اذ تفنن المعمار فى جعلها رشيقة فجملها بالدلايات تارة وكسى بعض اجزاء من ابدانها بالقاشانى تارة اخرى وكانت لبعض المآذن أكثر من راس واحدة فمئذنة الغورى بمسجده بالغورية لها اربعة رؤوس .

اما مئذنة جامع احمد بن طولون فمبنية من الحجر الجيرى وتتالف من قاعدة مربعة تقوم عليها طبقة اسطوانية عليها اخرى مثمنة ومراقيها من الخارج على شكل مدرج حلزونى الا فى الجزء العلوى فهى داخلية .. ويقول القضاعى الذى عاش فى القرن التالى لبناء المئذنة (ان هذه المئذنة نقلت عن سامرا وهى مدينة سر من راى . والقضاعى كما نعلم من اشهر مؤرخى مصر وقد تبعه عدد كبير من المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ وآثار مصر . ومع ذلك فانه من الواضح أن المئذنة الحالية ولو انها تشبه برج الملوية فى سلمها من الخارج الا انها ليست نسخة منه ولا نسخة من برج مسجد ابى دلف لانه مقسم الى طبقات منفصلة كما أكد هرتزفلد ، والطبقة السفلى ذات قاعدة مربعة ولكن على الرغم من ذلك فمن المؤكد انها كانت تشبه الملوية أكثر مما تشبهه الآن ، لان المؤرخ ابن دقماق وكذا المقريزى وابوالمحاسن يكررون القصة التى تقول ان احمد بن طولون كان يعبث يوما بقطعة من الورق فلفها حول اصبعه فاصبحت كالبريمة فاخذها واعطاها لمهندسه ليبنى المئذنة على شكلها ، والآن ولو ان هذه الاسطورة تنطبق تماما على شكل مئذنة سامرا الا انها لاتنطبق على شكل مئذنة ابن طولون الحالية ، فقد سقطت بعض اجزائها واعيد بناؤها اكثر مرة وفيما يلى الادوار التى مرت على بنائها .

المئذنة والقبة من خلال احدى العقود المدببة

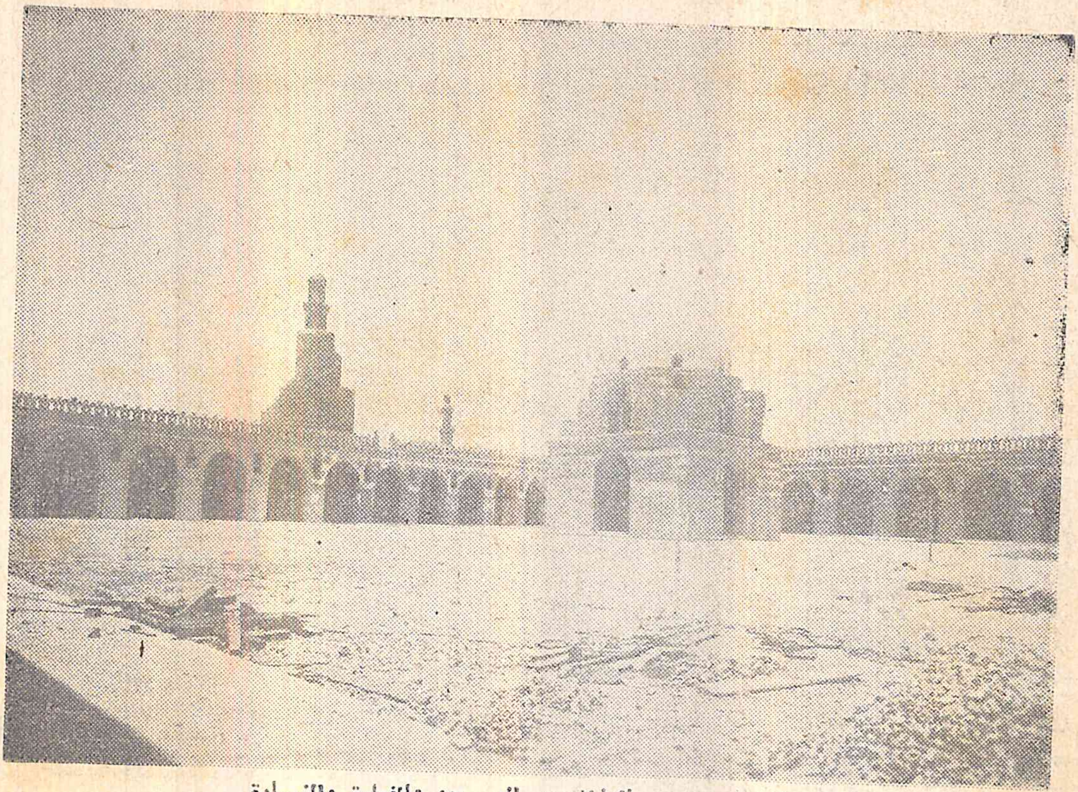

منظر للمسجد من الداخل .. الصحن والفوارة والمنارة

يقول الرحالة ناصرى خسرو الذى زار مصر سنة ١٠٤٧–١٠٤٨ م ان خلفاء احمد بن طولون باعوا المسجد للحاكم الخليفة الفاطمى مقابل ثلاثين الف دينار (حوالى خمسة عشر الف جنيه) ثم بدأوا بعد ذلك فى هدم المنارة الملحقة بالمسجد ، فلما سألهم الحاكم عن سبب ذلك قالوا انهم لم يبيعوه المنارة فاشتراها منهم بمبلغ خمسة آلاف دينار فلا بد اذا أن المنارة نالها شىء من التهدم فى ذلك الوقت .

ويقول المقريزى انه فى اثناء المجاعة التى اجتاحت البلاد فى عصر المستنصر بالله الفاطمى وعندما تهدمت العسكر والقطائع تخرب كل مايحيط بالمسجد وبمرور الزمن تهدم المسجد . وقد استقر به المغاربة بعد ذلك بابلهم ومتاعهم وهم فى طريقهم الى الحج .

وقد اشار المقريزى فى كتاب الخطط الى ان المئذنة كانت فى حالة تهدم عندما لجأ السلطان لاجين الى المسجد واختفى به وكان خرابا وذلك عند خلافة على السلطنة مع الاشرف خليل بن قلاوون والامير يلبغا ، فلما استولى لاجين على دست المملكة وتلقب بالملك المنصور فى المحرم من سنة ٦٩٦ هـ ، خلع على الامير علم الدين سنجر الدوادارى واقامه فى نيابة دارالعدل وكان قد نذر باصلاح الجامع اذا قدر له واستلم السلطنة فعهد الى الامير علم الدين شراء الاوقاف على الجامع الطولونى وصرف اليه كل مايحتاج اليه فى العمارة .

واكد عليه فى ان لايسخر فيه فاعلا ولا صانعا وان لايقيم مستحثا للصناع ولا يشترى لعمارته شيئا مما يحتاج اليه من سائر الاصناف الا القيمة التامة . وان يكون ما ينفق على ذلك من ماله ، وعمر الجامع وازال كل ماكان فيه من تخريب ولطه وبيضه . ورتب فيه دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الاربعة وتدريس القرآن الكريم والحديث الشريف والطب ، وقرر للخطيب معلوما وجعل له اماما راتبا ومؤذنين وفراشين حتى بلغت النفقة على عمارة الجامع عشرين الف دينار .

ومن هذا نستنتج ان التغيير الذى حصل فى المئذنة يرجع الى لاجين سنة ٦٩٦ هـ ، ١٢٩٦ م وان الجزء المربع من المئذنة يرجع الى عصر لاجين فى القرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى .

هذا هو الرأى الارجح وأما الدور الثانى وهو الجزء الذى يشبه البريمة فمن المرجح ان يكون قد نقل عن برج الملوية فى سر من رأى ، وأن هذا الجزء كان يمتد الى الارض ، وان الجزء الاسفل قد تهدم ، والطبقة السفلى المربعة هى من عمل لاجين ، وقد بنيت القنطرة التى تصل المسجد بالمئذنة فى نفس الوقت .

اما عن المئذنة الملوية فمن الآراء المسلم بها انها اخذت من تصميم الزيجورات اذ ان الاخيرة كانت كلها او جلها رباعية التخطيط . والزيجورات أبنية قديمة كانت تقام من اجل العبادة بجوار مقر الآلهة وكذلك عند الفرس القدماء .

وكان طراز المئذنة الملوية شائعا فى العصر العباسى الاول ليس فى العمائر الدينية فحسب بل فى المبانى المدنيــة كذلك ، فقد بنى الخليفة المكتفى برجا سنة ٢٨٩ – ٢٩٥ هـ لاغراض دينوية . وتقول الرواية ان هذا البرج كان يرقى اليه بسلم حلزونى قليل الانحدار حتى كان الخليفة يصعد الى قمة البرج راكبا حماره . وبذلك كان يستطيع دون اى عناء ان يشاهد القرى والاراضى المحيطة ببغداد . ويقال ان هذه البقعة كانت عظيمة الارتفاع مستديرة الشكل وكانت تعرف باسم قبة الحمار .

وبذلك اكون قد اكملت البحث عن مسجد ابن طولون وهو ثالث جامع بنى للجمعة والجماعة فى مصر الاسلامية وحسبنا الحديث النبوى الشريف (من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة) .

اعداد : نجاة الزنيدى

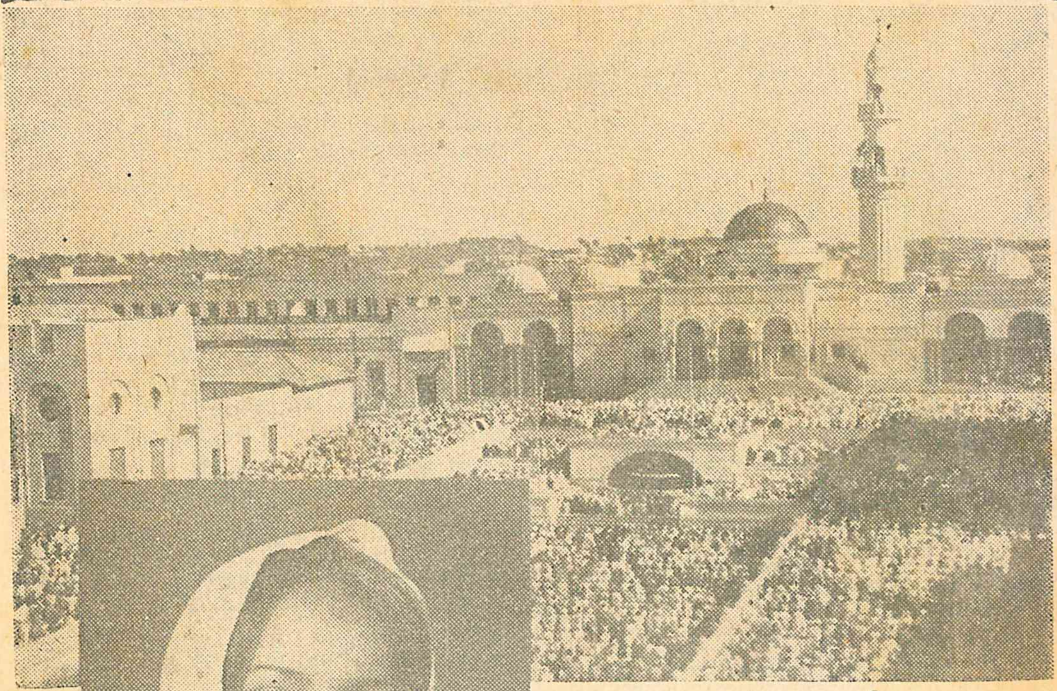

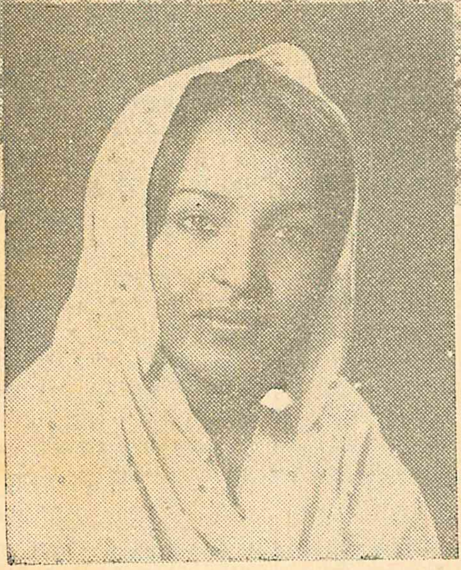

لقاء مع أول فتاة من أرتيريا في القاهرة

القاهرة التى تحتضن دائما كل مكافح ثائر من اجل حرية وطنه واستقلاله ـ القاهرة وطن الحرية والاحرار استقبلت منذ عامين طالبة صغيرة غادرت بلادها وفارقت اسرتها فى مدينة « كرن » بأرتريا وجاءت مع شقيقهـا الاكبر بعد أن تعاهدا على الهدف الواحد والامل الواحد وهو الكفاح من أجل قضية الوطن ..

التحقت بالمدرسة الثانوية بحلوان ثم معهد الخدمة الاجتمـاعية • وأصبحت أول فتـاة تمكنت من مغادرة بلادها والوصول الى القاهرة بمساعدة شقيقها المكافح الثـائر المناضـل لتشاركه الكفاح خارج وطنهـا مع حوالى ٤٥٠ طالبـا من أرتريا فى القاهرة يجمعهم نادى اتحاد طلبة ارتريا حيث تقام الندوات الخاصة التى يحضرها الطلبة من مختلف الجنسيات وأساتذة الجامعات لطرح القضية السياسية لارتريا ..

وتشترك آمنة محمد على فى المؤتمرات الطلابية وتوزع المنشورات والـكتيبات التى تشرح كل شيء عن ارتريا جغرافيا وتاريخيا واقتصاديا وسياسيا حتى تستطيع كل الشعوب أن تعرف وضع أرتريا الصحيح ومشكلاتها وماضيها وحاضرها وحقها من اجل مستقبل الحرية والاستقلال وحق تقرير المصير •

ولما التقيت بها لم أسمع منها الا الحديث الثائر المتحمس عن الوضع السياسى فى بلادها وعن حتمية الاستقلال والحرية وعن كفاح الشباب الارترى داخـل ارتريا وخارجها فى كل بلاد العالم حيث يذهبون ولمـا سألتها عن أسرتها التى فارقتها منذ عامين •• صمتت •• ولم أر الا دموعا حائرة •• ورأيت فيها مثلا رائعا لفتاة صغيرة تمتلىء حماسا ووطنية وتعتبر أول فتاة تأتى من أرتريا الى القاهرة •• وفى حديثـا لى عن وطنها قالت ••

الكيان الارترى

ارتريا قطر صغير يقع على الساحل الافريقى للبحر الاحمر ، يحده السودان من الشمال والغرب واثيوبيا من الجنوب ، والصومال الفرنسى من الجنوب الشرقى .
وفى ارتريا اليوم شعب يناضل من أجل استقلاله وحريته . وهو يحارب من اجل قضية عادلة ضد قوى استعمارية متكتلة . وقد دفع هذا الشعب الى مصير مؤلم عندما اتحد مع اثيوبيا ، وذلك نتيجة لمؤامرة استعمارية تهدف الى التمكين لعملاء الاستعمار فى المنطقة وفى مقدمتهم حكام اثيوبيا لتكون تلك البلاد قاعدة للاستعمار والعدوان .

فى اول يناير عام ١٨٩٠ استولت ايطاليا على ارتريا التى ظلت تحت الحكم الايطالى حتى هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية فاحتلت قوات الحلفاء ارتريا وظلت تحت حكم الادارة البريطانية حتى عام ١٩٥٢ عندما دخلت ارتريا فى اتحاد فيدرالى مع اثيوبيا بناء على قرار من هيئة الامم المتحدة وبذلك حرم شعب ارتريا حق تقرير مصيره بنفسه .. وقد حاول المستعمرون دائما ان يطمسوا الحقائق ويظهروا ارتريا بمظهر البلد الفقير الذى لايستطيع ان يقف وحده على قدميه حتى يبرروا بقاءهم فى البلاد او الحاقها بممتلكاتهم .

السكان - لغاتهم دياناتهم :

لقد ترك التاريخ الطويل للهجرة والغزوات وتقسيم البلاد بين الحكام الاجانب لارتريا والطبيعة المختلفة لاراضى البلاد طابعه على السكان . ففى المرتفعات الارترية الوسطى توجد مجموعة من الزراع المستقرين واغلبهم من الاقباط المسيحيين ويتحدثون (التجرينية) ويسكنون القرى الملتصقة بالجبال . وتوجد بينهم مجموعات (الجبرته) التى تدين بالاسلام - وتسكن قبائل (الشاهو) شبه الرحل على المنحدرات الشرقية ويدينون بالاسلام - ثم قبائل (الدناكل) وهم قبائل شبه رحل يتكلمون (الدنكلية) . ويسكن الاجزاء الغربية والشمالية والشرقية عدة قبائل شبه رحل تتباين من حيث العدد ولكنها ترتبط الى حد كبير فلها لغة مشتركة وثقافة مشتركة وتدين بالاسلام واهم هذه القبائل هى (بنى عامر) ، (الماريا) ، (حباب) ، (منسع) ..

وترجع اللغتان الرئيسيتان الى اصل سام ذلك ان (التجرينية) (والتجرى) قد نبعت من لغة مشتركة هى (الجغرية) وذلك نتيجة للتدفق الدائم للقادمين من جنوب الجزيرة العربية فأقام الحميريون ثقافة سامية بين سكان المرتفعات ونشروا لغتهم وكتاباتهم (الجغرية) التى اشتقت منها لغة (التجرى) (والتجرينية) اى لغة التجار) . ومعظم المتحدثين بالتجرينية من المسيحيين كما ان معظم المتحدثين بالتجرى مسلمون واللغة العربية هى لغة التفاهم بين المسلمين وفى الجزء الغربى من ارتريا يتكلم بعض قبائل بنى عامر لهجة (البيجا) بينما يتكلم جيرانهم من (الباريا) و (الكوناما) لهجتين من اللهجات النيلية وعلى ذلك فهناك ثمانية لهجات للتحادث فى مختلف اجزاء ارتريا علاوة على العربية لغة المسلمين . وتبلغ نسبة المسلمين حوالى ٦٥٪ من عدد السكان .

التعليم :

فى خلال الستين عاما من الحكم الاستعمارى الفاشيستى الايطالى اتبعت سياسة معينة ترمى الى

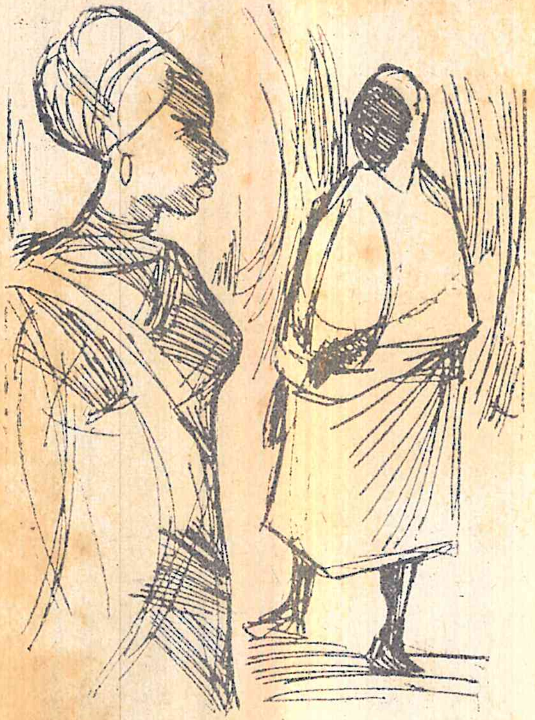

حرمان الشعب الارترى من التعليم . فلم يكن هناك قبل الاحتلال البريطانى فى عام ١٩٤١ اكثر من ٢٤ مدرسة ابتدائية وكان مستوى التعليم منخفضا وبرامجه محدودة اما المدارس التى كانت برامجها احسن قليلا فهى تلك التى كانت تديرها البعثة التبشيرية السويدية وقد اغلقتها الحكومة الايطالية عام ١٩٣٢ .

ولم يدخل المدارس اثناء الحكم الايطالى الا حوالى ٥٪ من الاطفال مع استثناء مراكز التعليم الدينى فى المساجد والكنائس ولم تكن هناك فرص للتعليم وكان من نتيجة ذلك ان ارتفعت نسبة الامية ارتفاعا فظيعا . وبعد الاحتلال البريطانى فى عام ١٩٤١ اضطرت ظروف الحرب الادارة البريطانية الى تعليم وتنظيم وتمرين بعض الارتريين على الوظائف الادارية اذ كان هذا امرا ملحا ، وانشئت عدة مدارس بمساعدة عدد قليل من المدرسين الذين اتوا من السودان ومن بعض الارتريين ذوى التعليم العالى .

وانشئت كلية للمعلمين عام ١٩٤٣ فد جلبت الكتب من السودان ومصر . وقد اثار تطور التعليم الحماس بين افراد الشعب الارترى فجمعوا النقود تطوعا منهم وبنوا المدارس وافتتحت معاهد لتعليم اللغة الانجليزية والنسخ والاختزال والقاء المحاضرات العامة واصبحت اللغة العربية تدرس فى المدارس حيث المناطق التى يكثر فيها المسلمون واللغة التجرينية تدرس فى المناطق المسيحية - وفى عام ١٩٥٠ كانت هناك ٥٩ مدرسة ابتدائية وعدة مدارس وسطى وارتفع عدد الطلبة الى ٢٠,٠٠٠ طالب .

اما الفتاة فلم يتعد تعليمها المرحلة الابتدائية وخاصة الفتاة المسلمة لانها تنتمى لاسرة متدينة متحفظة . واغلقت فى وجه الفتاة الارترية كل فرص التعليم

العالى وكان ذلك تبعا لخطة استعمارية حتى لايستيقظ نصف الشعب من ثبات الجهل وظلامه ..

اما المدارس الاسلامية فرغم كثرتها وانتشارها بين القرى والمساجد فان الضغط السياسى وقلة الكتب وافتقار المناهج الدراسية جعل ثمارها ضعيفة لاتكاد تذكر او تنفع .

والبعثات التبشيرية بالدين المسيحى منتشرة بكثرة هناك ولا أدل على ذلك من انه اذا تهدم مسجد بنى مكانه كنيسة وتستغل هذه البعثات فقر الاهالى وجهلهم وتقوم بتوزيع الهدايا والملابس والادوية والكتب المسيحية مما يؤدى ببعض المسلمات الفقيرات الجاهلات الى الاضطرار بالتظاهر برسم الصليب حتى يحصلن على الهدايا والادوية ..

اما المسلمون الواعون لدينهم الدارسون له فهم متمسكون بدينهم متحمسون له لاتضعفهم اغراءات البعثات التبشيرية . وقد عملت اثيوبيا على تأخير التقدم العلمى واغلقت كثيرا من المدارس فى القرى ومدارس القرى عموما غير مستكملة الادوات والكتب اللازمة فمن الصعب الحصول على الكتب كما أن البرامج غير محددة ومضطربة فمن المألوف مثلا أن نجد مدرسين يدرسون كتبا للمدارس العليا فى المدارس الابتدائية لعدم وجود الكتب المقررة ولعدم وجود المسئولين والكفاية فى مرفق التعليم . ورسمت اثيوبيا سياسة تعليمية بطريقة خاصة لامتصاص (وتمهير) الشعوب التى لاتعتبر نفسها من امبراطورية اثيوبيا فمنعت تعليم اللغة العربية واللغة التجريبية وحلت محلها اللغة اللامهرية التى تعتبر غريبة تماما عن الارتريين . وقد احدث هذا مشاكل واضطرابا اذ ان الاطفال الارتريين اصبحوا يتلقون العلم بلغة مختلفة غريبة عنهم وعن قوميتهم مما اثر على تحصيلهم وقدرتهم الخلاقة .

وفى مدينة (مصوع) لابد أن تحفظ الفتاة القرآن الكريم ثلاثين جزءا فى سن سبع سنوات وتمارس جميع التعاليم الدينية من صلاة وصوم وبتلقين الدروس الدينية فى مدارس بسيطة تسمى (الخلوة) لتحفيظ القرآن الكريم .

النشاط السياسى للمرأة :

وفى خلال السنوات الثلاث الماضية تطور وعى المرأة الارترية واصبحت تشارك الرجال فى النشاط السياسى وتقوم بادوار مختلفة فى التعريف بقضية بلادها والدعاية لها وشرحها . ومنهن المتطوعات فى جيش الثورة خاصة فى التمريض وتقوم بعض السيدات بأدوار اجتماعية وسياسية كبيرة داخل البلاد وخارجها حيث تعمل على مساعدة الثورة فى البلاد الخارجية كالسودان والسعودية عندما تذهب لهذه البلاد كطالبة أو كزوجة مع زوجها .

لكن لاتوجد فى ارتريا جمعيات نسائية ولا جمعيات خيرية على الاطلاق .. وانما يوجد ماهو أشبه بالتجمعات السرية اذ تجتمع حوالى ٥ سيدات فى منزل احداهن لمباشرة النشاط السياسى لخدمة الثورة الوطنية ..ويتم هذا فى سرية تامة .

وفى ارتريا لاتوجد سوى جريدة واحدة يومية تسمى (الزمان) ولا تذكر احداث البلاد الداخلية ولكن تعتمد فى اخبارها على اخبار العالم الخارجى .

الملابس :

يختلف نوع الملابس باختلاف المديريات والمناطق فى أرتريا .. ففى المديرية الغربية ترتدى المرأة الثوب السودانى المعروف وذلك لقربهم من السودان . وفى المديرية الشرقية ترتدى فوق الثوب عباءة او كاب .. وفى منطقة السواحل تلبس الحبرة لقربهم من العرب والمسلمات عموما محجبات تماما .

الطعام :

كذلك يختلف نوع الطعام باختلاف المناطق .. فتشتهر المديرية الغربية بالطعام السودانى مثل (الكسرة والملاح) .. وتشتهر المديرية الشرقية بطبق خاص يسمى (الصحلى) وطريقة صنع هذا الطبق هى أن تقطع الفرخة الى ١٢ قطعة بطريقة خاصة تتعلمها الفتاة كشىء اساسى لابد أن تتعلمه وتتقنه .. وفى اناء خاص يوضع البصل والثوم والشطة والبهارات والطماطم وقطع الفرخة وتسوى على النار .. ثم تسلق ٦ بيضات ويزين طبق الصحلى بالبيض المسلوق اما منطقة السواحل فتشتهر بالسمك .

تقاليد الزواج :

العائلات المسلمة فى ارتريا متحفظة جدا فلا يوجد اختلاط بين الرجال والنساء ولذلك يتم الزواج دون أن يرى الرجل عروسه الا يوم الزواج .. ويقوم رجال العائلة بخطبة العروس من والدها دون حضور العريس .. ويتم الاتفاق بين رجال العائلة على كل شىء دون حضور العريس وللفتاة حق الاعتراض والرفض .. ويحرص والدها على ان يطلب مهلة للتفكير حتى ولو كان موافقا مبدئيا على الزواج .. وذلك كنوع من الكبرياء والكرامة .. والاسرة هناك تميل لاقتناء الذهب بكثرة .. ويقدم العريس المهر لزوجته اما مالا أو ذهبا ثم يدفع مايسمى (عدل البيت) وهو مبلغ من المال لتجهيز ادوات المنزل ويقوم العريس كذلك بتجهيز كل أثاث البيت . فهو الذى يدفع المهر وهو الذى يؤثث المنزل . وتقدم الهدايا للعروس حسب احتياج المنزل وبذلك تساهم الصديقات فى تجهيز البيت عن طريق الهدايا .

ويستمر الفرح لمدة أسبوع فى منزل والد العروس ثم أسبوع آخر فى منزل الزوج وخلال الاسبوعين تقام حفلات الرقص والغناء ورقص الدبكة رقصة جماعية ولها اغان جماعية ايضا .. كذلك رقصة (الكودو) وهى رقصة المديرية الشرقية وتحرص الاسرة على عمل مكان خاص للسيدات فى الحفل بعيدا عن مكان الرجال منعا للاختلاط . وفى اليوم السابع يحضر حوالى ٤٠ رجلا أو أكثر (حسب مستوى العائلة لاخذ العروس الى منزل زوجها ويحضرون معهم بقرة لذبحها عند خروج العروس من بيت والدها وتذهب مع العروس صديقة أو قريبة وتبقى معها لمدة أسبوع وكذلك سيدة كبيرة لتعريف العروس باقارب الزوج وملازمتها لمدة اسبوع . وبعد سبعة أيام تأتى أسرة العروس لزيارتها وتقديم الهدايا وعند عودتهم يأخذون معهم الصديقة والسيدة العجوز للعودة معهم .

والطلاق هناك لايوجد بكثرة وانما يوجد تعدد الزوجات بصورة منتشرة

وبعد .. فارجو ان أكون قد استطعت ان اعطى فكرة واضحة عن المرأة فى ارتريا .

هند بنت عتبة بن ربيعة

وكما أن الله طهر نفس المرأة من نزعة الحقد ، وابرأ قلبها من الغل كذلك حسر عن عقلها حجاب الجهل ونزع عن ادراكها غشاء الاباطيل . فلم تخضع لعقيدة فاسدة ولم ترضخ لوهم مموه .

هكذا كانت هند بنت عتبه التى استطاعت بعقلهــا الراجح وعزة نفسها وادبها وبلاغتها .. ان تفضـــل دين محمد وتعتنق الاسلام عن ايمان وعقيدة

هى :

هند بنت عتبة بن عبد شمس بن عبد منـــاف القرشية ووالدة معاوية بن ابى سفيان مؤسس الدولة الاموية التى دان لها المسلمون حوالى تسعين سنة .

تزوجت هند من ابى سفيان بن حرب الذى اتضحت اهميته فى فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة حينها اراد ابو سفيان ان يمنع الاذى عن قومه ، وانهى العباس ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر مناديا بمكة من اغمد سيفه فهو آمن ومن دخل دار ابى سفيان فهو آمن . ومن اغلق عليه بابه فهو آمن وبذلك سوى الرسول بين ابى سفيان وبيت الله وهذا شرف عظيم لم ينله احد مثله .

هند قبل اعتناقها الاسلام

فى السنة الثانية للهجرة كانت غزوة بدر فقتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبه بن ربيعة والوليد بن عتبـــة . فاقبلت هند بنت عتبة ترثيهم . وبلغها تسويم الخنساء هودجها فى الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها وبابيها عمرو بن الشريد واخويها صخر ومعاوية وانها استمرت تشهد الموسم وتبكيهم وقد عرضت لها بعض ذلك . فلما اصيبت هند بما اصيبت به وبلغها ذلك أكدت هند بان مصيبتها اكبر من مصيبة الخنساء . ودارت المناقشة فى هذه المصيبة وردت كل من الخنساء وهنـــد على بعضهما البعض بالشعر من هنا استبانت لنـــا هند الشاعرة وكيف اقنعت الخنساء فى ردها .

كان لهذه الكارثة اثر فى حياة هند فى غزوة احد التى ارتبط تاريخ هند بتلك الغزوة اذ أنها عمدت فيها على ايذاء المدافعين عن الاسلام لانها زوج أبو ســـــفيان وابنها يزيد واخوه معاوية لم يسلموا بعد الا يـــوم فتح مكة .

وقعت غزوة احد فى منتصف شعبان فى الســـــنة الثالثة للهجرة لان قريشا ارادت ان تثار لما اصابهـــا يوم بدر . وجمع حول ابو سفيان القرشيين من الرجال والنساء وساد الرسول مع المسلمين ولكنهم انقســـموا على انفسهم ولم يتفقوا على طريقه مما كان له اسوأ

الاثر فى نتيجة المعركة حتى كادت تتفرق كلمه المسلمين وتتمزق وحدتهم وكان على رأس المشركين ابو سفيان وعلى الخيل خالد بن الوليد والتحم الجيشان واتبـــع المسلمون خطة الرسول فى بادىء الامر فكان النصر فى جانبهم ولكنهم مالبثوا ان اهملوا ما امرهم به وهو الثبات فى اماكنهم مهما اشتد بهم الكرب فاضطربوا واختل نظامهم حتى تعرضت حياة الرسول للخطــر . وهزم المسلمون فى احد على الرغم من استبســـالهم وتفانيهم فى الذود عن حياة الرسول .

وفى هذه الواقعة مثل نساء قريش بقتلى المسلمين ، وفاقتهن السيدة هند زوجة ابى سفيان ، اذ انها بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب عم الرسول عليه السلام بعد ان قتله وحشى وهو غلام حبشى ، واخذت قطعة من كبده بقصد الانتقام من المسلمين . ولما بلغ رسول الله ذلك قال : لو اساغتها لم تمسها النار ان الله حرم على النار ان تذوق من لحم حمزة شيئا ابدا

هند بعد دخولها الاسلام

اسلمت هند يوم الفتح وحسن اسلامها وذلك ان هندا قالت لابى سفيان بانها تريد ان تتبع محمد فدهش ابى سفيان لانها كانت تكره ذلك الحديث من قبـــل قالت : انى والله ما رايت ان عبد الله حق عبادته فى هذا المسجد قبل الليلة والله ان ياتوا الا مصليين قياما وركوعا وسجودا . قال : فانك قد فعلت مافعلت فاذهب برجل من قومك معك . فذهبت الى عثمـــان فذهب فاستاذن لها فدخلت متنقبة متنكرة لحدثها وما كان من صنيعها بحمزة فهى تخاف ان ياخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدثها ذلك

فقالت يارسول الله الحمد لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه لتنفعنى رحمك يامحمد انى امراة مؤمنة بالله مصدقة برسوله ثم كشفت عن نقابها وقالت انا هند بنت عتبة . فقال رسول الله ((ص)) مرحبا بك فقالت : والله ما كان على الارض اهل خباء احب الى ان يذلوا من خبائك ولقد اصبحت وما على الارض أهل خباء احب الى من ان يعزوا من خبائك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيادة وقرأ عليهن القرآن فقال تبايعيننى على ان لاتشركين بالله شيئا . فقالت هند والله انك لتاخذ علينا امرا ماتاخـــذه على الرجال وسنؤتيكه .

قال : ولا تسرقن .. قالت : والله ان كنت لاصيب من مال ابى سفيان الهنه والهنه وما ادرى اكان ذلك حلالا لى ام لا . فقال ابو سفيان وكان شاهدا لما يقول اما ما اصبت فيما مضى فانت منه فى حل : فقال رسول الله وانك لهند بنت عتبة . فقالت : أنا هند بنت عتـ

اعداد : عائشة حسني

فاعف عما سلف عفا الله عنك • قال : ولا تزنين • قالت : يارسول الله هل تزنى الحرة ؟ قال ولا تقتلن اولادكن • قالت : قد ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا فانت وهم اعلم فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرب قال : ولا تاتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وارجلكن قالت : والله ان اتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز امثل قال : ولا تعصينني فى معروف قالت : ماجلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك فى معروف • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر •• بايعهن واستغفر لهن الله فبايعهن عمرو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصافح النساء ولا يمس امراة ولا تمسه الا امراة احلها الله له أو ذات محرم منه •

واقر رسول الله ابا سفيان وهندا على نكاحهما ثم جعلت هند تضرب صنما لها فى بيتهـا بالقدم حتى فلذته وهى تقول : كنا منك فى غرور •

هكذا اسلمت هند عن ايمان وعقيدة ونسيت ماضيها المؤلم واستغفرت بايمان واصبحت مسلمة حقه وهذا الفتح لنا فى الحديث الذى دار بينها وبين رسـول الله صلى الله عليه وسلم وكما يتضح أيضا فيما بعد

نهى عمر بن الخطاب ابا سفيان بن حرب عن رش باب منزله لئلا يمر الحاج فينزلقون فيه فلم ينته ، ومر عمر فزلق ببابه فعلاه بالدره وقال : ألم امرك ألا تفعل هذا • فوضع ابو سفيان سبابته على فمه • فقال عمر : الحمد لله الذى ارانى ابا سفيان ببطحاء مكة أضربه فلا ينتصر وآمره فيأتمر ، فسمعته هند بنت عتبة فقالت : احمده ياعمر فانك ان تحمده فقد اوتيت عظيما •

وحينما ولى عمر بن الخطاب يزيد بن ابى سفيان ماولاه عن الشام خرج اليه معاوية فقال ابو سفيان لهند : كيف ترين صار ابنك تابعا لابنى فقالت : ان اضرب حبل العرب فستعلم اين يقع ابنك فما يكون فيه ابنى ولما مات يزيد بالشام ولى عمر بن الخطاب معاوية مكانه فقالت هند لمعاويه • والله يابنى انه لقل ماولدت حرة مثلك وقد استنهضك هذا الرجل فاعمل بموافقته احببت ذلك ام كرهته •

اقترضت هند من بيت المال اربعة الاف تتجر فيهـا وتضمنها • فاقرضها فخـرجت بها الى بلاد كلب واشترت وباعت ولكنها لم تلبث ان شكت الخسارة فى تجارتها فقال لها عمر لو كان مالى لتركته لك ولكنه مال المسلمين وهذه مشورة لم يغب عنها ابو سفيان فبعث اليه فحبسه مع انه من سادات قريش وزعمائها حتى ردت زوجته المال الذى اخذته

وشهدت هند اليرموك وحرضت على قتال الروم وجعلت تقول : عضدوا الفلفان بسيوفكم يامعشر المسلمين •

هنا نرى حقيقة هند المؤمنة بالله ورسـوله التى شجعت المسلمين على القتال بعد ان كانت المحرضة لهم • ولكنها عرفت الحق والفضيلة والايمان عن عقيدة ثابتة

وروت عن النبى وروى عنها ابنها معاويه بن ابى سفيان وعائشة ام المؤمنين

وفاتها :

توفيت هند فى خلافة عمر بن الخطاب فى اليوم الذى مات فيه أبو قحافة والد ابى بكر الصديق •

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر : الشيخ حسن مأمون

السؤال الأول :

من قارىء لم يذكر عنوانه :

ما الحكم الشرعى فى قراءة القرآن يوم الجمعة بالمذياع ؟

الجواب :

لم يؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن سورة الكهف وغيرها من آيات القرآن الكريم كانت تتلى عليهم من قارىء يقرأ بالمسجد قبل صلاة الجمعة .

والمأثور أنه يستحب لمن حضر قبل خطبة الجمعة أن يشتغل بالصلاة وذكر الله لقوله عليه الصلاة والسلام « ان من خير أعمالكم الصلاة » كما أنه يستحب أن يقرأ فى يوم الجمعة سورة الكهف لورود آثار عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك والظاهر أن هذه الآثار كانت السبب فى أن المسلمين فيما بعد استحدثوا ما نشاهده اليوم وهو أن يكون فى المسجد قارىء يتلو سورة الكهف بصوت يسمعه من فى المسجد ، واذا قلنا بجواز ذلك مع أنه لم يؤثر عن الرسول وأصحابه فان سماع قراءة سورة الكهف من المذياع تأخذ حكم سماعها من القارىء اذ لا فرق بينهما الا بعد المسافة وقربها مما لايتأثر به وصول الصوت الى السامعين وربما كان السماع من المذياع أوفى اذا كان المذيع أجود قراءة وأحسن أداء وألم بفن التجويد واحكام القراءة ، ولكننا لانفضل هذه الطريقة حرصا على أن يكثر بيننا قراء القرآن وحفظته .

ولا بأس من استعمال المذياع اذا لم يحسن قارىء القرية فى المسجد القراءة ، وتكون هذه الحالة استثناء يلجأ اليه كضرورة من الضرورات ــ والله أعلم .

السؤال الثانى :

من نفس السائل

هل الأذان الشرعى لصلاة الجمعة اذان واحد أم أذانان .. ؟

الجواب :

المتوارث كما جاء فى الفتح والعناية ان للجمعة أذانين ــ الأول هو الذى حدث فى زمن سيدنا عثمان رضى الله عنه ليترك الناس البيع والشراء ويتوجهوا الى الجمعة عملا بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » وقد أمر به سيدنا عثمان لما كثر الناس بالمدينة وتباعدت منازلهم ليعلمهم بدخول الوقت قياسا على بقية الصلوات ، فألحق الجمعة بها ، وأبقى خصوصيتها بالأذان بين يدى الخطيب اجتهادا منه ووافقه على ذلك سائر الصحابة بالسكوت وعدم الانكار فصار اجماعا سكوتيا وهو حجة عند بعض الفقهاء المجتهدين وثبت الأمر على هذا ، وأخذ

الناس به فى جميع البلاد فكان فى يوم الجمعة من ذلك الحين أذانان . هذا الأذان الأول الذى أمر به سيدنا عثمان . والأذان الثانى وهو الذى يكون بين يدى الخطيب حين يجلس على المنبر وهو الذى كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما - ولم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم غيره حتى أحدث سيدنا عثمان الأذان الأول الذى قابله الصحابة بعدم الانكار للحكمة التى ذكرناها ولذا قال صاحب الهداية والأصح أن المعتبر فى وجوب السعى الى صلاة الجمعة وحرمة البيع هو الأذان الأول اذا كان بعد الزوال لحصول الاعلام به - والله أعلم .

السؤال الثالث :

من عبد الحميد محمد الخضيرى - من أبى كبير شرقية .

يقول انه نوى العصر جماعة خلف رجل كان يقرأ التشهد الأخير وفى نفس اللحظة اقتدى شخص آخر بذلك الامام وسلم الامام وخرج من الصلاة فرجع المقتدى الثانى خطوة الى الوراء واقتدى بالسائل وتبعه الامام وجعل نفسه مأموما للسائل كذلك مع أن هذا السائل كان قد نوى الاقتداء به - ويسأل عن الحكم فى ذلك .

الجواب :

اقتداء الذين صلوا خلفك بك - غير صحيح عند الحنفية والحنابلة - وأما الشافعية والمالكية فالاقتداء صحيح لأن نية الامامة عندهم ليست شرطا فى مثل هذه الحالة والله أعلم .

السؤال الرابع :

من محمد محمد أبو مصطفى - المحلة الكبرى شارع بورسعيد .

يقول : رجل كان مسيحيا وأسلم قبل وفاته ثم توفى ولم يترك سوى ابنة لم تشهر اسلامها وما زالت على المسيحية - وبعد وفاته ظهرت سيدة تدعى أنها بنت أخت المتوفى وأنها تدين بالاسلام مع أن والدتها مسيحية وماتت مسيحية قبل وفاة شقيقها الذى توفى مسلما - ويسأل السائل ان كانت بنت الأخت ترث خالها مع أن أمها شيقة المتوفى مسيحية واذا كانت ترث فهل تشاركها الحكومة فى الميراث والتركة تقدر بعشرة آلاف من الجنيهات ؟

الجواب :

اذا ثبت أن السيدة التى ظهرت بعد وفاة المتوفى بنت أخته وأنها كانت تدين بالاسلام حال وفاته فانها تكون حينئذ من ذوى الارحام للمتوفى ، وما دام المتوفى ليس له وارث من العصبة أو أصحاب الفروض - وليس له من ذوى الارحام المسلمين الا بنت أخته المذكورة فى السؤال فانها تأخذ التركة كلها ولا عبرة بمغايرة دين أمها لدين المتوفى لأن العبرة بها هى وليس بأمها فاختلاف دين أمها عن دين المتوفى مانع من ميراث أمها فقط ولا يمنع ميراثها من خالها ما دامت متحدة معه فى الاسلام حين وفاته مسلما - ولا تشاركها الحكومة فى شىء من الميراث وذلك كله بالتطبيق لقانون المواريث المعمول به الآن فى محاكم الأحوال الشخصية .

السؤال الخامس :

من عبد المجيد محمد صالح سرحان - مهندس زراعى بالاسماعيلية .

يقول : ان شخصا اسمه صالح توفى عن ابن اسمه محمد وبنتين احداهما تسمى عائشة والأخرى تسمى ملكة - توفيت عائشة سنة ١٩٢٥ وتركت ابنين وبنتا ثم توفى محمد سنة ١٩٥١ وترك زوجته وابنه عبد المجيد وأربع بنات وبنت ابن ، ثم توفيت ملكه ولم تترك ذرية . ويسأل عمن يرث تركة المرحومه (ملكة صالح) ؟

الجواب :

تركة « ملكة صالح » كلها يرثها عبد المجيد ابن محمد أخيها من والدها صالح المتوفى

الأول تعصيبا ولا شيء لمن عداه لأنهم جميعا ذوو أرحام للمتوفاة ملكة وذوو الأرحام لايرثون مع العصبة أو أصحاب الفروض - والله أعلم .

السؤال السادس :

من جميل عبد الحليم نجار - مساكن بلدة قلقيلية - الاردن

يقول : ان سيدة توفيت وتركت أما وأبا وابنين وبنتين وابنا ثبت أنه قتلها وأختا - يسأل عما اذا كان الابن القاتل يرث ؟ كما يسأل عن نصيب كل وارث ؟ .

الجواب :

اذا ثبت أن الابن قتل أمه المورثة « عمدا » فلا ميراث له عملا بقانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ المعمول به - وتوزع التركة بين الورثة الآخرين كالآتي :

للأم السدس فرضا . وللأب السدس فرضا . والباقي للابنين والبنتين تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين . ولا شيء لمن عدا ذلك . والله أعلم .

السؤال السابع :

من فتاة من محافظة الغربية .

تقول : انها بعد أن تطهر من الحيض ينزل من مكان الحيض سائل أبيض وانها دائمة الشك في صلاتها وتسأل ان كانت تمتنع عن الصلاة عند نزول هذا السائل أم تتوضأ لكل صلاة ؟

الجواب :

ما دامت قد طهرت من الحيض وتطهرت كذلك فلا تمتنعى عن الصلاة بسبب هذا السائل الذى ينزل منك ، وعليك أن تتوضئى للصلاة كلما نزل منك الا اذا كان نزوله بصفة مستمرة تستغرق وقتا كاملا بمعنى أنه يظل ينزل وقتا كاملا من أوقات الصلاة كوقت الظهر مثلا أو وقت العصر الخ - ولا ينقطع في هذا الوقت فترة من الزمن تتسع للوضوء والصلاة ففى هذه الحالة تأخذين حكم المعذور والمعذور يتوضأ لوقت كل صلاة ويصلى ماشاء من الفرائض والنوافل فى الوقت الذى توضأ فيه فاذا خرج الوقت فقد انتقض الوضوء وعليه أن يتوضأ للوقت الجديد وهكذا حتى ينقطع عذره - والله أعلم .

السؤال الثامن :

من نفس السائلة .

تطلب الرأى فى فتاة تصلى وتصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ومع هذا فهى تلبس القصير وتعرف أن لبس القصير حرام ولكن أهلها يمنعونها من لبس الطويل - فماذا تفعل ؟

الجواب :

نحن نحيى فى هذه الفتاة روحها الطيبة وسلوكها الدينى - ونرجو أن تستمر على هذا السلوك وأن تحافظ على صلاتها وصيامها وللعلم أن لبسها القصير لا أثر له على حسن تدينها ما دامت مؤدية لفرض ربها متخلقة بالأخلاق الفاضلة وعليها أن تقنع أهلها بالحكمة والموعظة الحسنة بأن الملابس القصيرة التى تكشف عما أوجبت الشريعة الاسلامية ستره من المرأة حرام - وأن الله تعالى يوجه رسوله صلوات الله وسلامه عليه والمؤمنين بقوله « ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » .

ويقول سبحانه « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال والطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ».

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان عيد الفطر هو عيد الزكاة ، عيد الاخاء والرحمة . عيد التعاطف والمحبة ، عيد الامة الناهضة المؤمنة ، فهو مهرجان انتصار ارادة الصبر والايثار ، والتحرر من ربقه الاثرة والانانية ونبذ النوازغ الشيطانية ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .. فهنيئا للامة الاسلامية عيد فطرها وذكرى انتصارها مع بزوغ هلال شوال المبارك جعله الله طالع يمن وتبريك ، ومشرق خير وسلام للانسانية جمعاء فى ظل رائدنا جمال عبد الناصر .

اشراقات رمضان .. ذكريات خالدة

السيد/ناجى على احمد - المدرس بمعهد المنيا الأزهرى

يناشدنا فى رسالته «ماذا بعد رمضان ؟» الاستمساك بالعروة الوثقى والخصال الحميدة التى أحياها فينا شهر رمضان ، قائلا « على كل مسلم أن يخلو بنفسه ، وينظر فى جميع أقواله وأفعاله طوال شهر رمضان ، فان وجدها خيرا فليحرص على هذا الخير ولا يضيعه ، ويعنى الحرص عليه : أن يسير فى النور الذى اقتبسه من الصوم ولا يسلك طريقا آخر غيره ، ويحذرنا الله سبحانه وتعالى من ان يبطل أحدنا عمله فيقول « ولا تبطلوا أعمالكم » ويقول « ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا »» وينهى رسالته قائلا « أخى المسلم : افعل المعروف ما دمت حيا ، وداوم على فعل الصالحات ، فقليل متصل خير من كثير منقطع » .

سر الطبيعة .. دليل الوحدانية

السيد/سعيد ابراهيم شحاده - كلية التجارة جامعة الازهر

يترجم لنا فى قصيدته « الهى » دليل الوحدانية الذى تبوح به أسرار الطبيعة ، حيث يقول :

الهى عظمت فأنت الخلود
وأنت الضياء اذا ما انتشر
ففى نغمة الناى أنت الحبيب
وفى روضة الزهر أنت النضر
وفى الكون أنت العظيم الجليل
وفى أمر تراه استتر
رحمت العباد بعطف جليل
وانذرت بالحق كل البشر
سقفت الحياة بسحر عجيب
بتلك النجوم وذاك القمر

انتصار كلاى .. انتصار للحرية

السيد/مصطفى محمود مصطفى - مدرس بشبين الكوم الثانوية

يصور لنا الفرحة الكبرى التى عمت الأمة الاسلامية يوم أن سجل كلاى رقما قياسيا جديدا فى تاريخ الملاكمة - فى قصيدته « الله أكبر » :

الله اكبر ياكلاى قد انتصر
ت على العمالقة الكبار مخاطرا
أعززت بالاسلام دين محمد
فأعزك الله القدير واظفرا
داعبت خصمك أولا وتركته
لكن كررت مهاجما ومزمجرا
فمضى ذليلا فى النهاية خاسرا
من بعد مانال العذاب الأكبرا

« شخصية العدد » .. باب مقترح

السيد/محمد محمد على نزة - مدرس بمدرسة صهبرة شرقية

يقترح فى رسالة له أن تخصص « منبر الاسلام » بابا تقدم فيه احدى الشخصيات الاسلامية التى تساهم فى دفع عجلة التقدم والتطوير ، والاقتراح مقبول شكلا وموضوعا ، والى أن تخلص اللجنة من دراسته ، يسر المجلة أن تشكر له هذه الآراء الهادفة والاقتراحات البناءة .

بريد التعارف

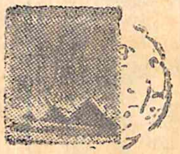

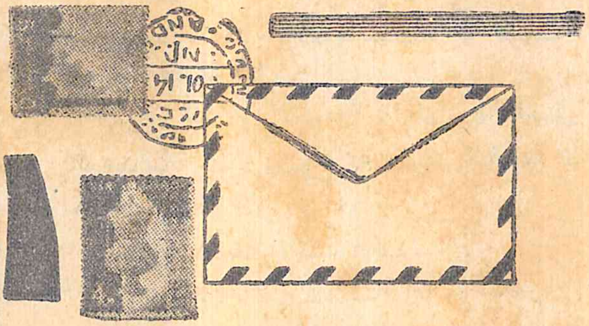

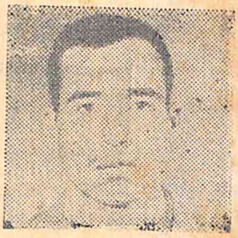

الاسم : علي حاجي
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ٢٨ سنة
المهنة : طالب بالمعهد الديني السحنوني
الهواية : مطالعه الكتب الدينيه والادبية ومراسلة الشباب المسلم
العنوان : بوستةاغزر امقران عند ابن سحنون عماله سطيف الجمهورية الجزائرية

الاسم : آيدن حسين ابراهيم
البلد : الجمهوريه العراقيه
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب اعدادى
الهواية : جمع الطوابع وتبادل الهدايا ومراسلة قراء مجلة منبر الاسلام والاطلاع
العنوان : الجمهوريه العراقية - بغداد الفضل - العزة - رقم الدار ٤٢/٢٣٩

الاسم : عبد الحميد رمضان
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب
الهواية : جمع الطوابع
العنوان : شارع فورسيوى رقم ١٩ قسنطينة الجمهورية الجزائرية

الاسم : محمد المصرى
البلد : الجمهورية التونسية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب اعدادى
الهواية : تبادل الصور والمطالعه والرياضه والمراسلة
العنوان : ١٨١ نهج جان روسى المهديةـ الجمهورية التونسيه

الاسم : طارق فاضل
البلد : الجمهوريه العراقية
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بنهائى معهد المعلمين
الهواية : تبادل الاراء الاجتماعيةـ التعرف على الشباب المسلم العربى
العنوان : الجمهورية العراقية - الموصل محلة الشفاء رقم الدار ١٩٨/١٥

الاسم : محمد على مصطفى بادى
البلد : ليبيا
السن : ١٩ سنه
المهنة : تاجر وطالب اعدادى
الهواية : مراسله الشباب المسلم ، والاطلاع ، وجمع الطوابع والصور
العنوان : سبها - الجديد - فزان - ليبيا

اقرأ فى هذا العدد :

		صفحة
معالم الطريق		٣
الشريعة الاسلامية	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	٦
الصوفية فى الهامهم	الأستاذ حسن كامل الملطاوى	١١
التفسير قبل الزمخشرى	الدكتور أحمد الحوفى	١٧
من حضارة الاسلام	الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل	٢١
عقوبة الاعدام	الأستاذ محمود كمال	٢٧
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٣١
سود على بدء	فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى	٣٤
التطور الاقتصادى	الدكتور أحمد شلبى	٣٦
التكافل الاجتماعى	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٩
أثر الدين فى المجتمع	الدكتور محمد فرج سليم	٤٢
عيد الفطر	فضيلة الشيخ أبوبكر محمد ذكرى	٤٦
رسالة الأعياد	الدكتور لطفى على	٤٩
الحضارة الاسلامية	الدكتور حسن محمود	٥٢
رحلاتى فى الاسلام	فضيلة الشيخ محمود الحصرى	٥٤
الدعوة روح الفكرة	الأستاذ عبد السميع البطل	٥٨
دعوة الميثاق الوطنى	الأستاذ حسنى عبد المجيد	٦٠
وتيقية	الأستاذ عبدالرحمن عبدالتواب	٦٣
الاسلام بين العقل والنقل	الاستاذ محمود ابوالفيض المنوفى	٦٥
صور من البطولة	الأستاذ محمود محمد شبكه	٦٧
الخمر والميسر	الدكتور عزت محمد خيرى	٦٩
الأعياد الاسلامية	فضيلة الشيخ عبدالله المشد	٧٠
التشريعة الاسلامية	المستشار عبدالستار آدم	٧٣
الاسلام دين السلام	الأستاذ محمد حافظ سليمان	٧٥
تاريخ التشريع الاسلامي فى مصر	الدكتور حامد حفنى داود	٧٧
تنظيم الاحسان	الأستاذ محمد عطية الابراشى	٧٩
فى رحاب القرآن الكريم	الأستاذ عبد العزيز العلى	٨١
الاعياد وذكرياتها	فضيلة الشيخ أبوالوفا المراغى	٨٥
من وحى العيد	فضيلة الشيخ عبدالرحيم فرغل البليني	٨٨
الدراسات النحوية فى الأندلس	الدكتور محمد الأمين طـه	٩٠
الأعياد	الدكتور عبد الحميد لطفى	٩٤
العمل قيمة أساسية	الأستاذ حسن فتح الباب	٩٦
الزار خرافة	الأستاذ على الجندى	٩٨
القرآن لا يموت	الأستاذ ابراهيم أبوالخشب	١٠٠
امام الاحداث	الاستاذ عبد العليم المهدى	١٠٣
الاسلام يدعو الى البناء	الدكتور سليمان الحكيم	١٠٥
لا اكراه فى الدين	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	١٠٧
مملكة غرناطة الاسلامية	الدكتور محمد كمال شبانة	١١٠
الاسلام عمل وانتاج	الاستاذ سليمان حسن عبدالوهاب	١١٣
التوبة الصادقة	الأستاذ منصور نسيم	١١٦
الاسلام وتجدد الحياة	الاستاذ محمد معروف	١١٨
الاسلام عدالة ومساواة	الأستاذ عبد الرحمن باز	١١٩
شهر شوال	الأستاذ محمود لطفى عبدالكريم	١٢١
نحو تنمية دينية	الدكتور أحمد كمال أحمد	١٢٢
عبدالناصر صانع السلام	الأستاذ كامل عبد المجيد	١٢٥
بعض الشعوب العربية	الدكتور خليل يحيى نامى	١٢٧

مرحبا بعيد الاحسان ... ... الأستاذ أحمد مسلم ابراهيم ... ١٣٢
الاعياد الاسلامية فى الهند ... ... الأستاذ محيي الدين الألوائى ... ١٣٥
عبد الناصر والشخصية المصرية ... ... الأستاذ ابراهيم مصباح ... ١٣٨
الاجتهاد فى الفقه الاسلامى ... ... الأستاذ محمد الدسوقى ... ١٤٠
العيد فى ثوب جديد ... ... فضيلة الشيخ عطية صقر ... ١٤٤
ذو النورين ... ... الأستاذ عبدالعال شعيب ... ١٤٧
المجتمع الاسلامي ... ... الدكتور على حسن الخربوطلى ... ١٤٩
مصادر القرآن ... ... الدكتور عبد الغنى الراجحى ... ١٥١
العيد رحمة وبر ... ... الأستاذ جابر محمود ... ١٥٤
ابن خلدون والاقتصاد ... ... فضيلة الشيخ احمد الشرباصى ... ١٥٦
الاسلام دين عالمى ... ... الأستاذ عبدالمنعم الأدفوى ... ١٥٩
الحسن بن زياد اللؤلؤى ... ... فضيلة الشيخ محمد سيد جادالحق ١٦١
الفتنة الأولى ... ... الأستاذ سالم البهنساوى ... ١٦٣
من جهود المسلمين فى خدمة النص ... ... الدكتور مصطفى الجوينى ... ١٦٥
عيد الفطر المبارك ... ... فضيلة الشيخ عبدالحميد بليع .. ١٦٩
فلينظر الانسان مم خلق ... ... الدكتور عبدالحليم كامل ... ١٧١
حديث الصيف ... ... الأستاذ محمد فرج ... ١٧٥
اعتراف الأجانب بالدين الاسلامى ... ... سماحة الأستاذ مبشر الحسيني .. ١٧٧
الاعتراف بين الشريعة والقانون ... ... الدكتور حسن المرصفاوى ... ١٨٠
حياة الصقر الشهابي ... ... الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى ١٨٤
أبعاد ملك سليمان ... ... الأستاذ بهاء الدين القبانى ... ١٨٧
الجيل فى أحلامه ... ... الأستاذ أنور الجندى ... ١٩٣
فضل العمل فى الاسلام ... ... الأستاذ جمال الدين عياد ... ١٩٥
الايمان صانع المعجزات ... ... الأستاذ محمود الهجرسى ... ٢٠٠
حقوق الانسان قديما وحديثا ... ... الأستاذ حسن الشيخة ... ٢٠٢
بقية معالم الطريق ٢٠٤
يارب طال صراعى ... ... الشاعر عبدالله شمس الدين ... ٢٢٥
من وحى العيد ... ... الشاعر على الجمبلاطى ... ٢٢٦
دين الحق ... ... الشاعرة روحية القلينى ٢٢٨
الشعر الدينى ... ... الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل ٢٢٩
معاوية بن أبى صفيان (قصة العدد) ... الأستاذ عبدالحميد جوده السحار ٢٣٢
آجر المجاهدين والشهداء ... ... اعداد عبد الرحمن الشربينى ... ٢٣٨
باب الرياضة ... ... اعداد ناصف سليم ... ٢٤٠
نصيحة ... ... الدكتور محمد مظهر سعيد ... ٢٤٣
الالياذه ... ... الأستاذ حلمى محمد بدير ... ٢٤٥
باب العلم ... ... الدكتور محمد جمال الدين الفندى ٢٥٠
المملكة العربية السعودية ... ... الدكتورة عنايات الطحاوى ... ٢٥٣
أضواء على المسلمين فى العالم ... ... اعداد رياض خليفة ... ٢٦٢
فرحة المسلمين بعيد الفطر ... ... اعداد هانىء عامر ... ٢٦٥
الجندية فى الاسلام ... ... الدكتورة سعاد ماهر ... ٢٦٨
تراثنا الفنى الاسلامى ... ... الأستاذ سعيد الصدر ... ٢٧١
مئذنة مسجد أحمد بن طولون ... ... الأستاذ محمود وصفى ... ٢٧٤
المرأة المسلمة ... ... اعداد نجاة الزنيرى ... ٢٧٧
هند بنت عتبة ... ... اعداد عائشة حسني ... ٢٨٠
أنت تسأل والمفتى يجيب ... ... فضيلة الامام الاكبر ... ٢٨٢
مع القراء ... ... اعداد فؤاد هيبه ... ٢٨٥
بريد التعارف ٢٨٦

مجموعة اسطوانات

الصلاة

تحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الأذان * الوضوء
الصلوات الخمس

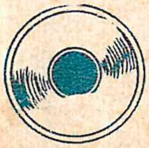

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربى

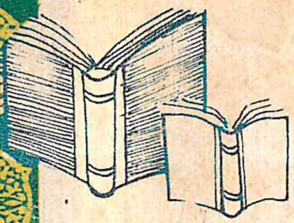

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
بأقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية